دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس
بالبرية الشرقية بالبحر الأحمر
من كنوز آباء الكنيسة
- ٣ -

١٥١١

عن الثالوث

للقديس

هيلاري

أسقف بواتييه

أثناسيوس الغرب

www.christianlib.com

تقديم: نيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس
مراجعة لاهوتية وآبائية: د. سعيد حكيم
ترجمه وقدم له: راهب من دير أنبا أنطونيوس

دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس
بالبرية الشرقية بالبحر الأحمر
من كنوز آباء الكنيسة
- ٣ -

٢١٢٢٩ / الأهرام
١ / ١٥١١
٢٠١٧ / ٢٠١٧

عن الثالوث

للقديس هيلاري أسقف بواتييه

أثناسيوس الغرب

تقديم: نيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس

مراجعة لاهوتية وآبائية: د. سعيد حكيم

ترجمه وقدم له: راهب من دير أنبا أنطونيوس

تُرجِم هذا النَص عن:

The Nicene and Post-Nicene Fathers
Second series, Volume 9
ST. Hilary of Poitiers, select works.
Philip Schaff, November 1983.

أيقونة ظهر الغلاف:

موزاييك للقديس هيلاري أسقف بواتييه، من كاتدرائية مونريال بإيطاليا، ١١٨٥م.

الأيقونة الموجودة في كعب الكتاب مكتوب داخلها باللغة اللاتينية (الآب ليس هو الابن ليس هو الروح القدس... لكن الآب هو الله والابن هو الله والروح القدس هو الله) وهي تشير إلى تمايز الأقانيم ووحدة الألوهية، الأمر الذي أكده ق. هيلاري في هذا الكتاب.

والشمس المرسومة حول العنوان قد ذَكرها ق. هيلاري كتشبيه، قائلاً إن وجود الشمس ينير للإنسان عينيه، لكن التمعُّن الزائد فيها يؤذيهما وقد يؤدي إلى العَمى، مشيرًا إلى محدودية عقل الإنسان الذي لا يمكنه إدراك طبيعة الله سوى بما أعلنه لنا الله عن ذاته.

اسم الكتاب: عن الثالوث، للقديس هيلاري أسقف بواتييه

المترجم: راهب من دير أنبا أنطونيوس

مراجعة آبائية ولاهوتية: د. سعيد حكيم يعقوب

الناشر: دير القديس العظيم أنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر

الاخراج الفني: أحد رهبان دير القديس العظيم أنبا أنطونيوس

الطبعة: الأولى مارس ٢٠١٧م

المطبعة: جريس تيم ٠١٠٠٢٦٩٦٤٦

رقم الإيداع: ٧٤٣٦ / ٢٠١٧



جدارية للقديس الأنبا أنطونيوس من القرن الثالث عشر،
الخورس الثاني بكنيسة الأنبا أنطونيوس الأثرية بديره بالبحر الأحمر



قداسة البابا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية
وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس



تقديم أنبا يسطس..... ٢٩

تمهيد..... ٣٣

الجزء الأول..... ٤٣

مقدمة..... ٤٣

الفصل الأول: حياته وكتاباته..... ٤٥

نشأته..... ٤٥

إيمانه..... ٤٧

اختياره أسقفًا..... ٤٨

ملامح حياته التي شكلت شخصيته، ودراسته وتعليمه..... ٤٩

الأوضاع السياسية والدينية..... ٥٠

محتوى الرسالة الأولى إلى قنسطنطيوس..... ٥٨

سبب عدم قبول الإمبراطور للرسالة..... ٥٩

نَفيه..... ٦٢

إعلان الأريوسية عن نفسها بوضوح في سيرميام..... ٦٧

اقتراب الحزب الأرثوذكسي مِن الحزب نصف الأريوسي..... ٦٩

بداية كتابة مقالاته المعروفة بـ *'عن المجامع'*..... ٧٢

مجمعا ريميني وسلوقيا والنفي الثاني..... ٧٥

محتوى الرسالة الثانية لقنسطنطيوس..... ٨٠

العودة من المنفى، ومضمون *'الطعن ضد قنسطنطيوس'*..... ٨٨

الوضع السياسي داخل الكنيسة، والذي أدَّى لكتابة هذا الطعن..... ٩٦

العودة إلى بواتييه ٩٩
بداية تأليف كتاب 'عن الثالوث' ١٠٢
تحليل مراحل كتابة 'عن الثالوث' ١٠٣
تأثير فكره على اللاهوتيين اللاحقين ١١٤
الوضع الكنسي في بلاد الغال عند عودته ١١٦
الدفاع ضد لوسيفر ١١٦
الوضع السياسي في بلاد الغال بعد عودته ١١٨
يوليانوس الجاحد يُصبح الحاكم الفعلي لبلاد الغال ١٢٠
مجمع في باريس لعزل ساتورنينوس ١٢١
فترة مجهولة في تاريخ ق. هيلاري ١٢٢
العودة للاهتمام بالأعمال الأدبية ١٢٣
'تفسير سفر أيوب' ١٢٣
'عظات عن المزامير' ١٢٤
ق. هيلاري هو أول مؤلِّف للتراتيل اللاتينية ١٢٥
المقالة *'ضد أوكسنتيوس'*، وأسباب كتابتها ١٢٧
رسالة لحث الأساقفة والشعب على نبذ الأريوسية ١٣٥
موقِف الإمبراطور فالنتنيان ١٣٧
آخر أعماله الكتابية ١٣٨
النياحة ١٤٠
الفصل الثاني: فكره اللاهوتي ١٤٣
الكتاب المقدس هو أساس فكره اللاهوتي ١٤٣
تأثره بمنهج أوريجينوس ١٤٦
مكانة السبعينية لديه ١٤٨

المصطلحات اللاهوتية ١٤٩
بالتواضع نعرف الله ١٥٣
استخدام التشابهات الجزئية، رغم أنها لا تُصوِّر الحقيقة كاملةً ... ١٥٤
الآب ١٥٥
الميلاد الأزلي للابن ١٥٦
ولادة الابن من الآب هي بالطبيعة وليست بالإرادة ١٥٧
ألوهية الله الواحدة لا تعني أن الله أقنوم واحد ١٥٩
المسيح هو الاسم الذي يحمله الابن في العالم ١٦٠
التعليم الإلهي في العهد القديم لم يكن مكتملاً في حد ذاته،
بل قد رُسِم لكي يُعِد عقول الناس لانتظار تحقيقه في التجسد ١٦١
التجسد كان لمنح الجنس البشري معرفة الله ١٦٢
مجد المسيح ١٦٣
ناسوت المسيح ناسوت حقيقي ١٦٤
هيئة الله وشكل العبد ١٦٨
ضعفاتنا التي اتخذها المسيح هي ضعفاتنا الطبيعية
وليست ضعفات الخطية ١٧١
المسيح قد سمح لجسده بالضعف تدبيريًا ١٧٣
تفسيره لصلاة جثسيماني ١٧٥
الإخلاء والتدبير ١٧٦
كلام المسيح كإله وكإنسان لا يتعارض مع كونه شخصًا واحدًا ١٧٧
تبادل الخواص بين الناسوت واللاهوت ١٧٨
جسد المسيح ١٨٠
المعمودية ١٨٣

الروح القدس ١٨٤
الإفخارستيا ١٨٥
مُلخَّص فكره اللاهوتي ١٨٦
الجزء الثاني ١٨٩
عن الثالوث ١٨٩
الكتاب الأول ١٩١
الرفاهية والثروة ليستا هما هدف الحياة ١٩١
الحياة الحقيقية تعني العمل الصحيح والفكر الصحيح ١٩٢
كل آمال الروح تتعلق بمعرفة الآب ١٩٣
أفكار خاطئة عن الألوهية ١٩٣
صفة الوجود الأزلي لله قد أذهلته ١٩٥
الله موجود في كل الخليقة والخليقة كلها موجودة في الله ١٩٦
لا يمكن للعقل ألا يرى جمال الله ١٩٨
لا يمكن أن يكون الموت هو هدف الله من منح الحياة للبشر ١٩٩
أبناء الله لا يَهلكون ٢٠٠
الابن المتجسد قد أخذ صفتنا، ولم يتخلَّ عن صفته ٢٠١
بالإيمان يمكننا أن ندرك أعمال الله ٢٠٣
حينما نُدفَن في المعمودية نعود إلى الحياة الأبدية ٢٠٣
لم يعُد الموتِ خوفًا بل شهوةً ٢٠٦
بداية الكلام عن هرطقتي سابيليوس وأريوس ٢٠٧
الإيمان بالله كآب والمسيح كابن الله هو صميم الإيمان الخلاصي ٢٠٨
الفكر المتجدد مطلوب، لكن لا بُد أن يكون مستنيرًا بالروح القدس ٢٠٩

التشبيهات الجزئية رغم كونها ناقصةً إلا أنها مفيدة ٢١٠
خطة العمل، مع تقديم ملخَّص لكل كتاب من الاثني عشر ٢١١
خطة الكتاب الثاني ٢١٢
خطة الكتاب الثالث ٢١٢
خطة الكتاب الرابع ٢١٣
خطة الكتاب الخامس ٢١٣
خطة الكتاب السادس ٢١٤
خطة الكتاب السابع ٢١٧
خطة الكتاب الثامن ٢١٩
خطة الكتاب التاسع ٢٢٠
خطة الكتاب العاشر ٢٢٣
خطة الكتاب الحادي عشر ٢٢٧
السياق الذي سوف يتبعه في البحث ٢٢٩
الجهل بالأسلوب النبوي يؤدي إلى الهرطقة ٢٣٠
الروح القدس أساس شركتنا مع الطبيعة الإلهية ٢٣١
صلاة ختامية من أجل التوفيق في تقديم هذا العمل ٢٣٢
الكتاب الثاني ٢٣٤
المعمودية والثالوث ٢٣٤
دفاعنا ضد أخطاء الهراطقة قد يوقعنا في الخطأ ٢٣٥
أخطاء الهراطقة تكمن في تفسيرهم للنصوص ٢٣٥
تعاليم بعض الهرطقات ٢٣٦
الرد على الهراطقة ليس مهمةً سهلةً، لكن الضرورة تفرض ذلك ٢٣٩
الآب ٢٤٠

ضَعف اللغة سواء في الكلام عن اللاهوت الإيجابي أو السلبي ٢٤٢
الابن هو قوة القوة، حكمة الحكمة، مجد المجد ٢٤٣
كيف نفهم طبيعة الله إن كنا لم نفهم طبيعتنا بَعد ٢٤٥
شهادات الابن نفسه عن علاقته بالآب ٢٤٦
ليسا إلهين بل إله مِن إله ٢٤٨
ليس هناك وقتٌ قد وُلِد فيه الابن ٢٤٩
فكرة الإبيونيين عن اللوغوس ٢٥١
قول يوحنا 'وكان الكلمة الله' يعني أن الكلمة ليس مجرد صوت ٢٥٣
تفسير آية 'كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ' ٢٥٤
هو الحياة ٢٥٥
لن نفهم إن لم نتكئ في حضن الرب مثل يوحنا ٢٥٧
الإيمان الجامع والرسولي ٢٥٨
اعتراف بطرس: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ، هو صخرة إيمانه ٢٥٩
كل البشرية صارت كامنةً في الابن بِسر تجسده ٢٦١
لقد رُفعنا لأنه قد تنازل ٢٦٢
الشهود على هذا التنازل ٢٦٣
الظواهر التي صاحبت مجد التنازل ٢٦٤
الروح القدس لا يحتاج لدليل على وجوده ٢٦٦
سبب شك البعض بخصوص الروح القدس ٢٦٧
الروح القدس هو رباط الاتحاد ومصدر النور ٢٧٠
شهادة الرسول بولس عن الروح القدس ٢٧١
الكتاب الثالث ٢٧٣
فكرة الاحتواء المتبادل صعبة على العقل البشري ٢٧٣

تنازل الابن بالتجسد كان لأجل ضعفنا ٢٧٤
هو الابن الكامل للآب الكامل ٢٧٥
عُرس قانا الجليل..... ٢٧٦
الخمس خبزات والسمكتين..... ٢٧٨
اعتراضات الهراطقة ٢٧٩
مشيئة الآب والابن واحدة..... ٢٨٠
كل أحداث حياة المسيح كانت لتأكيد كونه إنسانًا كاملاً ٢٨١
اعتراف قائد المئة..... ٢٨٤
الآب يمجد الابن والابن يمجد الآب..... ٢٨٥
مهمة الابن هي إعادة الحياة الأبدية لنا..... ٢٨٦
معرفة الابن تعطي الحياة الأبدية ٢٨٨
كيف مجَّد الآب الابن على الأرض؟ ٢٨٨
تلك الصلاة كانت لأجل أن يقبل الجسد المجد الأزلي..... ٢٨٩
اسم الله مُعلَن منذ البدء للخليقة كلها..... ٢٩١
رغم وضوح أعمال الله إلا أننا لا يمكننا إدراكها ٢٩٢
كما أن العذراء لم تنقص شيئًا حينما ولدت المسيح،
هكذا أيضًا الآب لم يفقد شيئًا بولادة الابن ٢٩٣
دخول المسيح القائم من الأبواب المغلقة..... ٢٩٤
جحود الإنسان على الله ٢٩٦
عطية المخلِّص هي معرفة الآب:..... ٢٩٦
وحدة الجوهر وتمايز الأقانيم ٢٩٨
لا يمكن للمخلوق أن يفهم الخالق ٣٠٠
حكمة البشر غير حكمة الله..... ٣٠٢

الكتاب الرابع..... ٣٠٥
تفنيد بقية الأكاذيب..... ٣٠٥
توظيف اللغة لتوضيح أمور الله لا يليق بعظمة الله، لكننا مضطرون٣٠٥
ادعاءات الهراطقة..... ٣٠٦
ثلاثة ادعاءات كاذبة بخصوص عقيدة الهوموأوسيون..... ٣٠٧
ادعاء أن الابن لم يكن موجودًا قبلاً لأنه وُلِد..... ٣٠٨
إيمان الكنيسة بخصوص أزلية ميلاد الابن..... ٣٠٩
الآيات التي يعتمد عليها الهراطقة لإثبات ألوهية الآب فقط ٣١١
عظمة الابن هي مجد الآب..... ٣١٦
فحص قانون إيمان الهراطقة ٣١٦
إعلان الله عن نفسه لإسرائيل أنه واحد بسبب عبادتهم لآلهة كثيرة٣٢١
سفر التكوين خير شاهد على أن الخليقة خلقها الآب بالابن..... ٣٢٢
نَعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ٣٢٤
التمايز بين الأقانيم واضح في عملية خلق الإنسان..... ٣٢٨
أقنوم الحكمة ٣٢٩
تصريح موسى عن أن الله واحد ليس معناه إنكاره لألوهوت الابن.... ٣٣٠
ملاك المشورة العظمى..... ٣٣١
إبراهيم عرف الرب من وسط الثلاثة الذين ظهروا له ٣٣٣
ملاك الله الذي خاطب إبراهيم وهاجر كان ظهورًا للابن ٣٣٥
مثلما ظهر الله الابن لإبراهيم في زي ملاك هكذا ظهر له في زي رجل٣٣٦
الاثنان الآخران اللذان ذهبا للوط كانا ملاكين..... ٣٣٨
الرب الذي أمطر، والذي من عنده المطر، هما الآب والابن ٣٣٩
قول الرب ليعقوب في الحلم يحمل تمييزًا للأقانيم..... ٣٣٩

هناك العديد من ظهورات الابن في العهد القديم..... ٣٤٠
العُليقة..... ٣٤١
شهادات أخرى عن الابن من الأنبياء..... ٣٤٤
فَأَرْحَمُهُمْ وَأُخَلِّصُهُمْ بِالرَّبِّ إِلهِهِمْ..... ٣٤٦
لِأَنَّ فِيكِ اللهَ وَلَيْسَ إِلهٌ آخَرُ مَعَكَ..... ٣٤٧
الرجال ذوو القامة هم الرسل..... ٣٤٩
الله (الابن) في الله (الآب)، لأنه منه..... ٣٥٠
خطة الكتاب التالي..... ٣٥١
القدرات الخاصة بالابن الوحيد..... ٣٥٢
الكتاب الخامس..... ٣٥٥
الفخ الذي ينصبه لنا الهراطقة..... ٣٥٥
كيف نتجنب الوقوع بين خطأ كون الله أقنومًا واحدًا، وتعدد الآلهة ٣٥٧
الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ..... ٣٥٩
الآب أمر بخلق الكون والابن تمم كلمة الخلق..... ٣٦٠
نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا..... ٣٦٢
عَلَى صُورَةِ اللهِ..... ٣٦٣
لقب ملاك الله، الخاص بظهورات الابن، يخُص مهمته وليس طبيعته ٣٦٦
قدرات الملاك في قصة مباركة إسماعيل تُثبِت أنه ليس مجرد ملاك.. ٣٦٨
لا يوجد شيء اسمه 'إله غير حقيقي'..... ٣٦٨
إيمان إبراهيم يدين الهراطقة..... ٣٦٩
الرَّبُّ أَمْطَرَ (كِبْرِيتًا وَنَارًا) مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ..... ٣٧٠
ظهورات الابن كانت نبوات عن تجسده في ملء الزمان..... ٣٧١
خزي المسيح هو قوة الله، وأن جهالة الإيمان هي حكمة الله..... ٣٧٣

صراع يعقوب لم يكن مع إنسان..... ٣٧٤
سُلَّم يعقوب..... ٣٧٥
ظهور الابن في العليقة، وعند إعطاء موسى لوحي الشريعة..... ٣٧٦
اسم الله يدل على طبيعته، والعكس..... ٣٧٩
تحريف الآيات بحسب هوى الهراطقة، أو نتيجة للجهل بها..... ٣٨٢
اسم إسرائيل سوف يُطلَق على مختاري الله..... ٣٨٤
لقب 'مسيحي' هو البركة السماوية الممنوحة لنا على الأرض..... ٣٨٥
بولس الرسول يؤيد قول إشعياء..... ٣٨٨
الله الآب لا يُرى، لكن ابنه قد خبَّر..... ٣٩١
الابن ليس إلهًا ثانيًا..... ٣٩٢
إله من إله..... ٣٩٤
شهادة إرميا النبي عن تجسد الله الابن..... ٣٩٦
الكتاب السادس..... ٣٩٨
صعوبة السباحة ضد التيار..... ٣٩٨
الدفاع عن الإيمان هو واجب الأسقف نحو الكنيسة..... ٣٩٩
المسيح سوف يُنكِر من ينكرونه..... ٣٩٩
تفنيد قانون الإيمان الهرطوقي..... ٤٠٠
السُم المُحلَّى..... ٤٠٤
في إنكار الأريوسية لهرطقة فالنتينوس حجةً لإنكار ألوهية الابن. ٤٠٥
إدانتهم لسابيليوس هدفها إنكار ولادة الأقنوم الثاني..... ٤٠٩
ما نقصده من تعبير 'نور من نور' ليس هو نفس ما قصده هيراكاس.. ٤١٠
لا يمكن لأي ابن أن يوجد بدون أب..... ٤١٢
الآب، لأنه آب، فهو غير مولود..... ٤١٤

الصعوبة ليست في الرد على الهرطقة، بل في إقناع الغافلين ٤١٥
خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ ٤١٦
تعديل كلام الكتاب إهانة لله ٤١٧
ادِّعاء أنه ابن بالتبني وليس بالطبيعة ٤١٩
مناجاة رائعة للآب ٤٢٠
لا يُعقَل أن يكون كل هؤلاء الأنبياء والرسل قد أساءوا الفهم ٤٢١
طبيعة الميلاد الذي يفوق الوصف هي سِر بين الآب والابن الوحيد ٤٢٢
الابن يملك نفس الطبيعة الإلهية التي لأبيه ٤٢٤
فرق كبير بين بنوتنا لله وبنوة الابن الوحيد لله ٤٢٥
شهادة الآب للابن ٤٢٧
التعبيرات الخاصة بخضوع الابن تخص تجسده ٤٢٨
القدرات الإلهية التي نسبها الابن لنفسه تشهد له ٤٣٠
أعمال الابن تَشهد له ٤٣١
لأنه خرج من عند الآب فهو يعرف الآب، وأما المخلوقات فلا تعرفه ٤٣٣
الفرق بين 'خرجت من عند الآب' و 'أتيت' ٤٣٦
شهادة الرسل للابن ٤٣٩
إدراك الرسل لمعنى 'خرجت من عند الآب' ٤٤٢
خروجه من الآب ليس معناه ولادة جوهر جديد ٤٤٣
الصخرة التي بُنيَت عليها الكنيسة هي الاعتراف بأن المسيح ابن الله ٤٤٤
الابن الوحيد ٤٤٩
الله الذي أحب العالم، لم يبذل ابنًا متبنًّى، بل ابنه الذاتي ٤٥٠
الاعتراف بالابن يمنحنا الخلاص ٤٥١
وَنَكُونُ فِي ابْنِهِ الْحَقِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ٤٥٣

كل رسائل بولس الرسول يبدأها بالاعتراف بالابن ٤٥٤
اَلَّذِي لَمْ يَبْخَلْ بِابْنِهِ الذَّاتِيِّ ٤٥٦
أريوس هو ضد المسيح ٤٥٧
اعتراف مرثا هو الحياة الأبدية ٤٥٩
أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ؟..... ٤٦٠
حتى الشياطين تعترف به ٤٦١
إنكار الهراطقة للابن أسوأ من إنكار اليهود..... ٤٦٢
اعتراف الرسل به وسط البحر الهائج ٤٦٤
شهادة قائد المئة بأنه ابن الله ٤٦٤
الكتاب السابع..... ٤٦٦
أربع حيل يستخدمها الهراطقة لخداع البسطاء ٤٦٦
كون الله واحدًا لا يعني أنه أقنوم واحد..... ٤٦٧
خطر التطرف في مواجهة هرطقة بهرطقة أخرى ٤٦٨
ظهور الهرطقات يثبِّت الإيمان بالرد عليها ٤٧٢
الرد على بدعة سابيليوس..... ٤٧٣
هرطقة أريوس ترُد على هرطقة سابيليوس، والنتيجة في صالح الكنيسة٤٧٥
تخبُّط الهراطقة يصب في مصلحة الكنيسة ٤٧٦
اسمه، ميلاده، طبيعته، قوَّته، تأكيده الشخصي، كلها إثباتات لألوهيته٤٧٩
المواضع الكتابية التي سُمي فيها البشر آلهة..... ٤٧٩
الابن هو كلمة وحكمة وقوة الله ٤٨٠
إيمان توما بألوهية الابن ٤٨٢
لأن الاسم يُعبِّر عن الطبيعة، وكلاهما له اسم الله، فهما من نفس الجوهر٤٨٤
الطبيعة نفسها تعلِّمنا أن المولود له نفس طبيعة الوالد..... ٤٨٥

المساواة لا يمكن أن توجد في الاختلاف، ولا في الانفراد ٤٨٧
مَن لا يُكرِم الابن لا يُكرِم الآب..... ٤٨٨
وحدة إرادتهما تُثبِت وحدة طبيعتهما ٤٨٩
معرفة الابن بالمستقبل معرفة كاملة..... ٤٩٢
التمييز الوحيد بين الآب والابن هو أن الابن مولود..... ٤٩٤
كونه يعمل أعمال الآب يؤكد طبيعته الإلهية..... ٤٩٥
أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ..... ٤٩٧
كما أراد اليهود رجمه كإنسان هكذا يفعل الهراطقة معه كإله..... ٥٠٠
أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ..... ٥٠١
قوله 'أنا والآب واحد' يثبت أنه ابن الله بالاسم والطبيعة والولادة..... ٥٠٣
أعماله تُظهره ٥٠٤
حياة الابن من ذاته ومن الآب ٥٠٧
الولادة البشرية تُقدِّم تشابهًا جزئيًا للولادة الإلهية..... ٥٠٨
النار مثال ضعيف لولادة الابن من الآب..... ٥١٠
هما إله واحد وليسا أقنومًا واحدًا ٥١١
الاحتواء المتبادَل..... ٥١٣
هو الطريق والحق والحياة ٥١٤
مَن يعرف الابن يعرف الآب أيضًا ٥١٦
أرنا الآب وكفانا ٥١٦
أعمال الله ظاهرة، لكن العيب فينا..... ٥١٨
الابن هو الصورة الحية للإله الحي..... ٥١٩
الآب يعمل بالابن، لكن الابن أيضًا يعمل أعمال أبيه ٥٢٣
وجود المسيح ليس معناه سوى الوجود في الله..... ٥٢٥

الكتاب الثامن..... ٥٢٧
الأسقف قدوة ومُعلِّم للتعليم الصحيح ٥٢٧
ليس هناك إلهان، كما أن الله ليس مفردًا..... ٥٢٩
براهين ماكرة ٥٣٠
وحدة الله لا تتعارض مع تمايز الأقانيم..... ٥٣٢
ادعاء أن وحدة الآب والابن هي وحدة في الإرادة وليست في الطبيعة ٥٣٤
لأن الله هو الحكمة، فمن يعرفه يعرف الحكمة ٥٣٥
الرد على فكرة اتحاد الإرادة ٥٣٥
تناقض الهراطقة يُثبت جهلهم ٥٣٧
وحدة الآب والابن، ووحدتنا معهما ٥٣٨
مجد الابن يُحضِر كل المؤمنين إلى وحدة مجد الآب..... ٥٣٩
اتحادنا بالمسيح في الإفخارستيا اتحاد حقيقي وليس اتحادًا للإرادة..... ٥٤١
نحن فيه وهو فينا بالإفخارستيا..... ٥٤٢
الابن في الآب بطبيعته الإلهية، ونحن فيه من خلال ولادته بالجسد ٥٤٣
شهادة الابن عن الوحدة التي بينه وبين الآب ٥٤٦
انبثاق الروح من الآب شيء، وإرسال الابن للروح شيء آخر..... ٥٤٧
الروح القدس هو روح الآب والابن..... ٥٤٩
الروح القدس هو من نفس طبيعة الله وليس مجرد خاصية لله..... ٥٥٠
لا ينبغي التفكير في الله بطريقة جسدانية لأنه روح ٥٥٠
مدلولات تعبير 'روح الله' ٥٥١
روح الحق الذي ينبثق من الآب، هو مُرسَل بالابن ويأخذ من الابن ٥٥٣
بما أن روحهما واحد إذًا فهما واحد ٥٥٤
شهادة الروح للمسيح..... ٥٥٥

مواهب الروح الواحد ٥٥٦
التمييز بين الآب والابن في جملتَي 'الرب واحد'، و 'الله واحد' ٥٥٨
الوحدة لا تعني الوجود المنفرد، بل هي وحدة في الروح ٥٦٤
الابن ليس مخلوقًا بل هو إله المخلوقات ٥٦٥
الفرق بين 'منه جميع الأشياء' و 'به جميع الأشياء' ٥٦٦
عظَمة بولس الرسول ٥٦٧
قول ق. بولس يرد على الهراطقة أمثال سابيليوس وفوتينوس وأريوس ٥٦٨
من يريد أن يعمل عمل الله لا بُد أن يؤمن بالابن ٥٧٠
الابن معادلاً للآب في الكرامة والقوة والطبيعة ٥٧١
معنى قوله: الله الآب قد خَتَمه ٥٧٢
إخلاء المسيح يسوع لذاته لم يُفقِده مجد الله الآب ٥٧٤
الابن هو صورة الآب ٥٧٥
المسيح هو البكر، وبه صالَح الآب الكل ٥٧٧
تصريحات المسيح عن طبيعة علاقته بالآب تؤكد ما نؤمن به ٥٧٩
فيه يحل ملء اللاهوت جسديًا ٥٨١
الذي يحل في المسيح جسديًا ليس هو أقنوم الآب
بل اللاهوت الواحد الذي للآب والابن: ٥٨٢
الكتاب التاسع ٥٨٥
الابن هو حقيقة الآب مثلما أنه صورته ٥٨٥
الآيات التي يستخدمونها لإنكار ألوهية الابن ٥٨٧
الرب يسوع إله حقيقي وإنسان حقيقي ٥٨٩
تنازل الله يعطينا الرجاء في الطبيعة الممجدة ٥٩٠
لا يمكن نسب ما قيل عن الناسوت إلى اللاهوت أو العكس ٥٩١

كلام المسيح عن نفسه يخص ثلاث مراحل..... ٥٩٣
الله أراد أن ينتصر بجسدنا كي يثأر لنا..... ٥٩٥
الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ..... ٥٩٦
المعمودية موت وقيامة معه..... ٥٩٨
إن كان الله قد أقام المسيح، والمسيح في نفس الوقت أقام نفسه،
إذًا فالمسيح هو الله..... ٥٩٩
إخلاء الصورة لا يتضمن إخلاء الطبيعة،
فلقد أخلى ذاته لكنه لم يفقد ذاته:..... ٦٠٣
تفسير قوله: لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ الله..... ٦٠٤
شهادة المسيح نفسه عن ألوهيته..... ٦٠٨
ضد المسيح سوف يتمجد بالاستخدام الكاذب لاسم الآب..... ٦١٢
مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ أَيضًا..... ٦١٤
حوار الرب يسوع مع الكاتب..... ٦١٦
المحبة الكاملة..... ٦١٧
الرب يسوع يستشهد بالناموس والأنبياء لتأكيد ألوهيته..... ٦١٨
سِر الله الواحد..... ٦٢٠
هجوم الهراطقة ينقلب ضدهم..... ٦٢٠
'خرجت من عند الآب' إشارة للميلاد منه..... ٦٢٢
عدم الإيمان بوحدة الآب والابن،
تعني عدم نوالنا الخلاص والحياة الأبدية..... ٦٢٦
طبيعة الله لا توصف بالفردية ولا بالتعددية..... ٦٢٩
خروج الابن من الآب ليس تمددًا ولا تسلسلاً..... ٦٣٠
الجسد المُتَّخَذ قد نال مجد الكلمة..... ٦٣١

كل المجد الذي قد ناله ليس للكلمة بل لجسده ٦٣٥
الله يمجِّد في ذاته، لكن الإنسان لا يتمجد من ذاته ٦٣٦
لا توجد حياة أبدية في الاعتراف بالله الآب بدون يسوع المسيح..... ٦٣٨
لماذا لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا
إِلاَّ مَا قَدْ نَظَرَ الآبَ يَعْمَلُ؟..... ٦٤٠
'مَهْمَا عَمِلَ اَلْآبُ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ' تُثبِت أنه ليس ضعيفًا .. ٦٤٤
'لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ' تؤكد طبيعة العلاقة بين الآب والابن ٦٤٥
الآب يُعلِّم من خلال كلمات الابن، ويتكلم معنا في إعلان الابن..... ٦٤٧
الحياة الأبدية هي السُكنى مع المسيح ٦٤٩
تفسير قوله: 'الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي' ٦٥٠
الآب الذي يمجِّد الابن هو أعظم، والابن المُمجَّد في الآب ليس أقل ٦٥٧
تفسير قول المسيح إن الابن لا يعرف اليوم ولا الساعة ٦٥٩
المسيح هو سِر الله، فكيف يجهل ما يعرفه الآب؟..... ٦٦٤
عدم علمه بما يَعلمه ليس إلا تدبيرًا إلهيًا للخلاص في القول والفعل ٦٦٥
أمثلة من العهد القديم قد توحي بأن الله لا يَعلم ٦٦٧
أمثلة من العهد الجديد..... ٦٦٩
في سِر الطبيعة غير المنفصلة يعكس الواحد صورة الآخر ٦٧٤
وحدة الإرادة تعني أيضًا وحدة المعرفة..... ٦٧٥
عِلم الله لا يعنى معرفة ما لم يكن معروفًا لديه، بل الإعلان عنه .. ٦٧٦
الله غير قابل للتغيير..... ٦٧٧
الروح القدس لا يأخذ من مخلوق ليعطينا ٦٧٨
لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ ٦٨١
الكتاب العاشر..... ٦٨٤

الحق يأتي لمَن يطلبه..... ٦٨٤
مهاجمة الهراطقة لأصحاب الإيمان الصحيح باستخدام الآيات ٦٨٨
مُجمَل إيماننا بخصوص الابن ٦٨٩
عدم معرفة الابن للساعة يُظهِر التمايز بين الأقانيم..... ٦٩٠
الآيات التي توحي بضعف الابن المتجسد ٦٩٢
خوف المسيح كان بالتدبير لأجل خلاصنا..... ٦٩٣
النفس الضعيفة تُزيد مِن ألم الجسد..... ٦٩٦
كلمة الله قد أَعطَى نفسًا لجسده لأجل فداء جسدنا ونفسنا ٦٩٧
تفسير قوله: ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ ٦٩٩
آيات تشرح سِر ولادة جسده..... ٧٠٠
المسيح ليس اثنين، بل إله كامل تأنَّس بناسوت كامل ٧٠١
الإيمان الخريستولوجي السليم..... ٧٠٤
المسيح لم يشعر بالألم نتيجة للضعف،
بل بالتدبير سمح لناسوته أن يتألم بالآلام المخلِّصة المُحيية:..... ٧٠٦
المسيح لم تكُن له ضعفاتنا الناتجة عن الخطية ٧٠٩
كيف يخاف المسيح من الآلام التي سيتمجد بها ٧١٤
كيف يخاف المسيح من كأس الألم، وهو قد أرادها ٧١٤
قوله 'لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟' هو سلاح الكفرة الباطِل..... ٧١٥
إثباتات لقوة جسد المسيح..... ٧١٦
الصلاة بخشوع لأجل فهم كلام الله ٧١٩
حُزن نفس المسيح لم يكن بسبب الموت بل قد انتهى بالموت..... ٧٢٢
المسيح يصلي كإنسان لأجل البشر كي تَعبُر الكأس ٧٢٥
الحزن كان على زعزعة إيمان التلاميذ أثناء لحظات آلامه..... ٧٢٥

لماذا قال: نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا، بعد أن انتهرهم بسبب النوم؟ ٧٢٦
لأنه حَزن لأجلنا، فلا بُد أيضًا أنه قد تعزى من الملاك لأجلنا ٧٢٧
الأناجيل تُكمِّل بعضها البعض ٧٢٩
أمثلة لعدم الشعور بآلام الضعف حينما تنتشي النفس بالهدف الأسمى ٧٣١
طبيعته البشرية شعرت بالألم حينما تألم ٧٣٤
احتمل كإنسان كل الضعفات لأجلنا، ولكنه انتصر عليها كلها كإله. ٧٣٦
ثلاث هرطقات ٧٣٨
الإيمان الكنيسة يُدرِك سِر التدبير ٧٤٠
محدودية عقل الإنسان ٧٤١
النفس البشرية للناسوت الكامل هي التي حزنَت وبكَت ٧٤٥
نفس المسيح غير أقنوم الكلمة ٧٤٧
اللاهوت ليست له يدان وعينان، وغيرها ٧٤٨
ينبغي أن نرى الله في المسيح بدون تجاهُل الناسوت ٧٤٩
الذي يموت يملك، والذي يملك يموت ٧٥٢
موت المسيح كان لتجديد طبيعتنا ٧٥٢
يسوع المصلوب هو أيضًا رب المجد ٧٥٣
لا بُد من الإيمان بما قد قاله الله، وما كُتِب في الأسفار المقدسة ٧٥٧
الطريق إلى الأبدية واضح وسهل ٧٦٠
لقد مات لكي يؤكد أن الناسوت الذي اتخذه كان ناسوتًا حقيقيًا ٧٦٢
الكتاب الحادي عشر ٧٦٤
الفرق بين 'رب واحد'، و 'إله واحد' ٧٦٤
اعترافنا بالله الآب الواحد يعتمد على إيماننا بالرب المسيح الواحد ٧٦٧
تأكيد الهراطقة على عظمة صفات الآب

إنما هو بغرض إنكارها على الابن..... ٧٦٧
ينبغي فهم المناسبات التي كان يتكلم فيها عن الناسوت
وعدم نسبها للاهوت..... ٧٦٩
آيات ما بعد القيامة التي يستخدمها الهراطقة لإثبات هرطقتهم ٧٧٠
بإيماننا بالتدبير نُعَد لمشابهة الرب في مجده..... ٧٧٢
أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ..... ٧٧٤
كونه مولودًا يشير إلى نمط وجوده،
لكن المولود هو من نفس طبيعة الوالد..... ٧٧٥
هو أبوه من جهة لاهوته، وإلهه من جهة ناسوته..... ٧٧٥
ويمكن أيضًا أن يُقال إنه أبوه من جهة ناسوته مثلما هو أبونا ٧٧٨
هو أخونا من جهة ناسوته ٧٧٨
المَسحة هي للناسوت..... ٧٨٢
خضوع المسيح للآب كان بحسب تدبير التجسد ٧٨٥
لو آمنَّا فسننال عطية الفهم كمكافأة للإيمان ٧٨٧
تفسير ما جاء في (١كو ١٥: ٢١- ٢٨)..... ٧٩٠
ليست نهاية البشر هي الذوبان في الهواء ٧٩١
معنى تسليم المُلك للآب ٧٩٣
الآب يأتي بنا إلى الابن، والابن يقودنا إلى الآب..... ٧٩٦
سنصير على صورة جسد مجده..... ٧٩٨
لأن ملكوت الله في داخلنا، فنحن إذًا ملكوت الله ٨٠١
خضوع المسيح لم يكن معناه خضوع الابن للآب،
بل ابن الإنسان لمجد الألوهية بعد قيامته..... ٨٠٢
مجد جسده هو نتيجة اتحاده بالطبيعة الإلهية ٨٠٤

مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ! ٨٠٧
سر الإخلاء ٨١٠
الكتاب الثاني عشر ٨١٣
'اَلرَّبُّ خَلَقَنِي أُوْلَى طُرُقِهِ' هي أصعب آية يستخدمها الهراطقة ٨١٣
شهادة الكتاب بعهديه للخالق ٨١٥
لو كان مَن هو في صورة الله مخلوقًا، إذًا فالله مخلوقٌ ٨١٧
المساواة في الكرامة تعني المساواة في الطبيعة ٨١٨
استخدام الله للأعضاء الجسدية كتشبيهات لتوضيح مقاصده ٨٢٠
مولود غير مخلوق ٨٢١
نحن أبناء بالتبني، أما هو فابن بالطبيعة ٨٢٢
الولادة البشرية لا تنطبق على ولادة الابن من الآب ٨٢٥
الله الابن فوق الزمان ٨٢٦
ادعاء الهراطقة أن ميلاد الابن معناه أنه لم يكن موجودًا قبلاً ٨٢٧
كيف يَنصُب الملحِدون شِبَاكهم ٨٢٨
الإيمان البسيط رغم كونه الأفضل إلا أنه في خطرٍ ٨٢٩
المولود من الأزلي له صفة الولادة الأزلية ٨٣٠
صفة الأبوة أزليةً كأزلية الآب، كما أن صفة البنوة أزليةً كأزلية الابن ٨٣١
العقل لا يَفهم سوى ما يحدث بعده ٨٣٤
الابن موجود منذ الأزل لأنه مولود منذ الأزل ٨٤٠
آيات من العهدين تشهد عن أسبقيته للزمان ٨٤٣
'اَلرَّبُّ خَلَقَنِي أُوْلَى طُرُقِهِ' تُشير إلى ناسوته ٨٤٥
أقنوم الحكمة كان حاضرًا عند الآب وقت إعداد السموات ٨٤٨
الإعداد الكامل للسموات والأرض هو أمر أزلي كأزلية الله ٨٥٠

مسيح لم يعطنا أن نعرف سوى ما ينفعنا فقط ٨٥١
خَلق يخص الناسوت، والولادة الأزلية تخص اللاهوت ٨٥١
ناسوت الابن قد خُلِق لأجل تجديد الخليقة ٨٥١
ظهورات المسيح في العهد القديم بأكثر مِن شكلٍ
تؤكِّد أنها ليست هيئته الطبيعية كإله: ٨٥٥
لماذا يُهاجَم ميلاد الله الأزلي بسبب ما قد صُمِّم
خصيصًا لخلاص الإنسان؟ ٨٥٦
المسيح الذي نلبسه قد خُلق ناسوته كإنسان جديد بحسب الله ٨٥٧
هناك فرق بين الخَلق منذ بدء الدهور، والميلاد الذي سبق الدهور ٨٥٨
ق. بولس قَصَد أن يقول 'صَائِرًا مِنِ امْرَأَةٍ'
لكي يؤكد ولادته الفريدة منها ٨٥٩
مناجاة للآب بخصوص الابن والروح القدس ٨٦١
إقرار بالإيمان بالآب والابن ٨٦١
إدراك حضور الله في أعماله ٨٦٢
إنكار ميلاد الابن هو إنكار لقدرة الآب على الولادة ٨٦٣
الروح القدس منبثق من الآب، ومُرسَل بالابن ٨٦٤
كما أن الابن غير مخلوق هكذا أيضًا الروح القدس غير مخلوق ٨٦٥
فهرس الكلمات والمجامع ٨٦٨
مَراجِع المُترجِم ٨٧٦

تقديم

لنيافة الحَبر الجليل الأنبا يسطس

بِسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين.

يبدأ الكتاب المقدس في سفر التكوين بإعلان طبيعة الله فائق الوصف، وعمله الثالوثي المتكامل، بقوله: "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. وَقَالَ اللهُ: لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ." (تك ١: ١- ٣). وعن هذا يقول مار إفرام السرياني: "كان من المناسب هنا إظهار أن الروح يرف لكي نعلم أن عملية الخلق قد حدثت بمشاركة الروح القدس مع الآب والابن. الآب تكلم، الابن خلق، فكان من المناسب أن يقدم الروح عمله، وهو ما ظهر بشكل واضح في رفرفته، لأجل إظهار وحدته مع الأقنومين الآخرين. وهكذا نتعلم أن الكل قد كمل وتم بالثالوث"* . لكن ما كان مبهمًا في العهد القديم بخصوص الثالوث القدوس، قد أُعلِن بشكل واضح في العهد الجديد، وصار فرح البشرية بإعلان الله لها عن ما يخص طبيعته، وإدراكها لعظمة مَن خلقها.

* EPHREM THE SYRIAN, *COMMENTARY ON GENESIS* 1. *ESOO* 1:117.

يقدم لنا هذا الكتاب نَصًا قيِّمًا عن الثالوث القدوس، كتبه أحد الآباء العظام في الكنيسة، القديس هيلاري أسقف بواتييه، المعروف باسم 'أثناسيوس الغرب'، لأنه كان أهم المعضدين للقديس أثناسيوس في الدفاع عن إيمان الكنيسة بخصوص ألوهية المسيح، وقد عانى مثله من النفي لأجل استقامة إيمانه. ومنذ أن دعاه الله لدخول معركة الدفاع عن ألوهية المسيح، لم يذق الراحة ولا يومًا واحدًا، لذا لم يقبل الله أن تضيع جهوده هباءً، وعاد العالم كله مرة أخرى للإيمان المستقيم، بعدما أوشكت الأريوسية أن تبتلع العالم كله، لولا جهود القديس أثناسيوس في الشرق، والقديس هيلاري في الغرب.

كما يقدم لنا مقدمة وافية عن سيرة حياته وكتاباته، ورحلة صراعه مع الأباطرة والأساقفة الأريوسيين. لكن على الرغم من صعوبة الحياة التي عاشها في منفاه، إلا أنه لم يفقد روحه المتضعة، وهدوءه، كما أنه كان إنسانًا روحانيًا بدرجة عالية، وكان ناسكًا زاهدًا للأموال والممتلكات.

نَسعد كثيرًا كلما نقرأ كتابات آبائنا الأولين، وندرك أن إيماننا له جذور ممتدة، وأن كنيستنا مؤسسة على الصخر. الرب يعطينا أن نتشبه بهم وبغيرتهم على الإيمان، وأيضًا بسيرتهم الطاهرة التي يفوح عنبرها ليُغطي كل أطراف المسكونة.

والرب يعوض **الدكتور سعيد حكيم**، أستاذ اللاهوت وعِلم الآباء بالمركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء، على تفضُّله بمراجعة الكتاب؛ ويعوض كل مَن ساعد في مراجعة هذا الكتاب القيِّم مِن الأساتذة الفُضلاء، ويعوِّض

تعب الأب الراهب الذي قام بترجمة هذا الكتاب، بشفاعة كُلِّية الطُهر العذراء كل حين والدة الإله القديسة مريم، والقديس العظيم هيلاري أسقف بواتييه، وشفاعة أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس شفيع ديرنا العامر، وشفاعة قديسي هذه البرية، أنبا بولس البسيط، وأنبا مرقس الأنطوني، وأنبا يوساب الأبح، وأبونا الراهب القديس يسطس الأنطوني، وكل مصاف القديسين. بصلوات أبينا صاحب القداسة البابا الأنبا تواضروس الثاني، ولربنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.

نياحة القمص ميخائيل البحيري
١٦ أمشير ١٧٣٣ش
٢٣ فبراير ٢٠١٧م

أنبا يسطس
أسقف ورئيس دير
القديس العظيم أنبا أنطونيوس
بالبرية الشرقية بالبحر الأحمر

تمهيد*

ق. هيلاري أسقف بواتييه هو واحد من أعظم آباء الكنيسة الغربية الذين لم يُدرس عنهم سوى القليل. قد يكون السبب في هذا هو وجود بعض الغموض في أسلوب كتابته، وصعوبة الأفكار التي حاول أن يوصلها، لكن السبب الأهم هو أن لاهوته يونانيٌ أكثر من كونه لاتينيًا، وبالتالي فإن الكنيسة اللاتينية لَم تعطِ الاهتمام بتعاليمه مقارنةً بتعاليم ق. أوغسطينوس، كما أن الشرق لم يَعرِف عنه الكثير نظرًا لأن كتابته كانت باللاتينية. أمَّا السبب الأكيد فهو إيمانه بطبيعة المسيح الواحدة مِن طبيعتين، مِما جَعَل الغرب المؤمن بالطبيعتين ينظر إليه على أنه مونوفيزايت[1] Monophysite.

لكن بالنظر إلى تاريخ حياته، وعُمق أعماله الأدبية واللاهوتية والدفاعية، فسنجد أنه بالحقيقة يستحق الاهتمام كمعلِّم لاهوتي كنسي كَرَّس حياته لخدمة الكنيسة. لقد بدأ حياته الكنسية في فترة صعبة على

---

* للمترجِم.

[1] وهذا هو الوَصف الذي ذُكر في قاموس أكسفورد الخاص بالكنيسة المسيحية.

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983, p. 769.

جدير بالذِكر أن هذا التعبير مرفوضٌ تمامًا بالنسبة لكل الكنائس غير الخلقيدونية، إذ إننا لا نؤمن بطبيعة واحدة وحيدة، بل بطبيعة واحدة مُرَكَّبة مِن طبيعتين، دون حدوث ذوبان للناسوت في اللاهوت.

العالم الأرثوذكسي بسبب عودة الأريوسية بقوة وتعضيد الأباطرة لها، مما جعله يَدخُل سريعًا في الجدل الأريوسي بعد تعيينه أسقفًا على بواتييه في فرنسا بفترة قصيرة. ومع ذلك، فلقد كان مهتمًا أيضًا بالأعمال الأدبية وبالأخص تفسير أسفار الكتاب المقدس، إذ قد فَسَّر إنجيل ق. متى قبل دخوله في الصراع الأريوسي، وفي فترات الهدوء المؤقتة فَسَّر سِفر أيوب وقدَّم عظات عن بعض المزامير.

لقد كان هادئ الطباع يحترم الآخرين ويسعى إلى المُسالَمَة، وأمَّا الشِدة التي تظهر أحيانًا في بعض صفحات كتاباته، فهي تَشهَد على ضرورة وخطورة الصراع الدائر في زمانه بين الإيمان القويم والأريوسية. فعندما يتعلق الأمر بالإيمان، لا بُد مِن فَضْح الهراطقة والدفاع عن الإيمان المستقيم، مهما كَلَّف الأمر.

مِن الواضح مِن كتاباته شعوره بالخطر المُحدِّق بالكنيسة، مثلما كان يشعر ق. أثناسيوس أيضًا، إذ يقول عن الحياة الكنسية في زمنه وزمن ق. أثناسيوس: "العليقة تلتهب تحت ناظري موسى من دون أن تحترق، وهكذا الكنيسة تلهبها نيران الاضطهادات وتجارب الخطأة... فنيران كل المآثم هائجة علينا دون أن تحرقنا" (عن الأسرار ١: ٣٠).

إذًا، لو صَح التعبير، فسوف نقول إنه لولا إيمان هذين الرجلين لصار العالم كله أريوسيًا، لذا فإن هذا الرجل يستحق بالحقيقة أن يُلَقَّب بـ 'أثناسيوس الغرب'.

أمَّا عن أسلوبه الأدبي، فلقد كان فيلسوفًا كبيرًا، إذ قد تغذَّى منذ صغره بلبن الأدب اللاتيني واليوناني على حد سواء، لذا فسوف نلاحظ في كثير من أعماله أسلوبه البليغ في توضيح فكرته، ومع ذلك فلن يشعر القارئ أبدًا بصعوبة فهمه، إذ أنه كان حكيمًا في أن يقدِّم فكرَهُ بأسلوب أدبي بسيط، وكان كثيرًا ما يُكرِّر المعلومة بأكثر من طريقة كي يتأكد من هَضم القارئ لها بسهولة.

وعَن استخدامه للفلسفة لخدمة المسيحية، يقول ق. أوغسطينوس إنه: "دخل الإيمان مُحمَّلاً بذهب وفضة وثياب مصر، مثل كبريانوس ولاكتانتيوس وغيرهم، فلقد كان يتمنى أن يجد خدمة للمسيحية في الفلسفة التي جلبها معه".

ومما يؤكد أهمية دوره في خِدمة الكنيسة الغربية، تأثيره الفكري واللاهوتي على مَن تبعوه مِن الآباء، مثل القديسين جيروم وأوغسطينوس وأمبروسيوس، وغيرهم. يقول عنه ق. أوغسطينوس إنه: "مِن ألمع آباء الكنيسة"، وقد استعان به في مقاومة هرطقة بلاجيوس. كما ذَكر عنه ق. جيروم أنه كان بليغًا وأنه "صوت اللاتين العالي ضد الأريوسيين"، وقال عنه وعَن ق. كبريانوس أسقف قرطاجة: "لقد غَرَسَ الرب شجرتي صنوبر جميلتين خارج العالم داخل الكنيسة". ووَصَفه بأنه "مِن أكثر الرجال اللاتين فصاحةً وقوةً في مقاومة الأريوسيين".

لقد كان هاضمًا تمامًا للكتاب المقدس، إذ يمكننا أن نقول إنه كان 'فلَّاحًا يحرِث الكتاب المقدس'، وكان الكتاب هو مرجعه الأساسي في الرد

على الأريوسية. لقد كان يَنظر للكتاب المقدس ليس ككلمات جامدة بل كرسالة تُخاطِب الروح، ومِن أجمل أقواله عن الكتاب المقدس: "ليس الكتاب في كلماته بل في فهمه".

أمَّا عن أعماله، فقد قدّم للكنيسة كنزًا من الكتب، أهمها:

❖ *تفسير إنجيل متى*: وفيه يستخدم التفسير الرمزي ويضيف بعض التعليقات. كتبه قبل النفي ٣٥٦م.

❖ *عن الثالوث*: وهو العمل الرئيس، والذي سوف نُقدِّمه في هذا الكتاب. يتكون من ١٢ كتابًا، وغالبًا ما كَتب الفصول الثلاثة الأولى قبل عام ٣٥٦م. إذ أثناء نفيه في الشرق قد أتقن اليونانية ودرَس كتابات الآباء الشرقيين، فصارت له معرفة كاملة بمجمع نيقية ٣٢٥م، وأدرك معنى تعبير *homoousion*. لم يُذكر هذا التعبير في كتبه الثلاثة الأولى من عمله '*عن الثالوث*'، إنما وُجد في التسع كتب الأخيرة. وقد كُتب بين ٣٥٦م - ٣٦٠م.

الكتاب الأول تمهيدي، ويشرح فيه سمو الطبيعة الإلهية عن الفهم البشري، ويذكر سيرته الروحية الذاتية. الكتاب الثاني يحوي مقدمةً عامةً عن العلاقة بين الآب والابن والطبيعة الإلهية للابن. ويؤكد على حقيقة وأزلية ميلاد الابن الإلهي ويتحدث كذلك عن الروح القدس. الكتاب الثالث لدحض ادعاءات الأريوسيين بأن الابن أقل من الآب. يختمه بحديث طويل عن قصور وعجز الحكمة البشرية. **لا يستطيع أي إنسان أن يدرك الحقائق الإلهية بدون أن يجاهد من أجل نقاوة قلبه والطهارة والنسك،**

فاللاهوت ليس مجرد نتيجة لجهد العقل، كما أنه يعتبر أن معرفة الله هبة روحية ومعرفة محبة وشركة وتقديس، فلا فرق بين طريق المحبة وطريق المعرفة. اللاهوتي الحقيقي هو من له شركة مع الله. الكتاب الرابع يُقدِّم الاعتراف الإيماني المنحرف الذي أرسله أريوس إلى البابا الكسندروس بطريرك الإسكندرية، ثم يبدأ في تفنيده من أول جملة فيه، محاولاً، بالاستعانة بأمثلة كثيرة أغلبها من سفر التكوين ومن الأنبياء، أن يُثبت أن العهد القديم يَشهد ويُعلِّم بوجود الابن مع الآب كإله. الكتاب الخامس هو تفنيد للجملة الثانية من اعتراف الإيمان الأريوسي، ويوضح ق. هيلاري من خلال دراسته للعهد الجديد أن الابن ليس فقط إلهًا، بل إلهًا حقيقيًا كما الآب وليس إلهًا ثانيًا. الكتاب السادس مناقشة لنفس الموضوع في ضوء العهد الجديد ويَخلُص إلى أن المسيح هو حقًا ابن الله. الكتاب السابع يُثبت بآيات من العهد الجديد أن المسيح إله حق من إله حق، وهو من جوهر الآب وواحد معه. الكتب الباقية من الثامن إلى الثاني عشر هي دحض وتفنيد للعقيدة الأريوسية الخاطئة في بنودها المختلفة.

❖ *عن المجامع*: كتبه أوائل عام ٣٥٩م في فريجيا أثناء نفيه، بعد أن رفض التوقيع على قرار مجمع ميلان. وفيه يشرح سبب عدم قبول تعبير (ὁμοούσιος / *هوموأوسيوس*) الموجود في قانون الإيمان النيقاوي لدى إكليروس الشرق، مقدمًا استشهادات وتفاسير لقوانين الإيمان الشرقية. لقد كان يهدف به إلى توحيد جهود المتمسكين بإيمان نيقية مع أنصاف الأريوسيين، شارحًا مصطلحات قانون الإيمان النيقاوي، مؤكدًا على الوحدة

والتمايز في الثالوث القدوس، ويسمَّى هذا الكتاب أيضًا 'المصالحة' *Eirenicon*.

❖ *الرسالة الأولى إلى قنسطنطيوس*: ويروي فيها الإجراءات الغريبة التي اتخذها مجمع ميلان ٣٥٥م ضد البابا أثناسيوس وضد يوسابيوس أسقف فرشيللي Eusebius of Vercel. وقد كتبه بعد الأحداث مباشرةً في ٣٥٦م قبل نفيه.

❖ *الرسالة الثانية إلى قنسطنطيوس*: كُتبَت سنة ٣٥٩م، وفيها يطلب ق. هيلاري - الذي ذهب إلى القسطنطينية بعد مجمع سلوقيا ٣٥٩م - من الإمبراطور السماح بعقد مناظرة علنية مع ساتورنينوس أسقف آرل الأريوسي Saturninus of Arles الذي كان السبب في إدانة ق. هيلاري الظالمة في مجمع بزييه[٢] Béziers ٣٥٦م، والذي كان في القسطنطينية في ذلك الوقت. وقد أرفق بها دعوى لرفض التعريف الإيماني الجديد (الأريوسي) الذي وضعه مجمع ريميني ٣٥٩م، والعودة إلى قانون إيمان نيقية، لكن هذه الرسالة لم تأت بنتيجة.

❖ *الرسالة ضد قنسطنطيوس*: تألم ق. هيلاري بشدة من أحداث مجمع ريميني ٣٥٩م، ومن اتجاهات الإمبراطور الأريوسية، ومن مجمع القسطنطينية المكاني ٣٦٠م، فكتب رأيه في الإمبراطور بوضوح وتفصيل في هذه الرسالة مدافعًا عن ق. أثناسيوس، ومقارنًا بين الإمبراطور وبين أشر الذين

---

[٢] سوف أذكُر تاريخ كل مجمع ومختَصَر أحداثه في المقدمة.

اضطهدوا الكنيسة مثل نيرون وداكيوس وغيرهم. وقد كتبها في المنفى في حياة الإمبراطور.

❖ ضد أوكسنتيوس: كتبه ٣٦٤م بعد محاولة فاشلة قام بها مع يوسابيوس أسقف فرشيللي لطرد الأسقف الأريوسي أوكسنتيوس Auxentius من كرسي ميلان. ويروي فيها الأحداث التي وقعت في ميلان وخداع أوكسنتيوس.

❖ بعض الشذرات التاريخية (٣٤٣م - ٣٦٦م) حول الجدل الأريوسي.

❖ *عظات عن المزامير*: كتبه بعد عودته من المنفى، وتأثر فيه بأوريجينوس ونقل عنه الكثير من الصور المجازية.

❖ *عن الأسرار*: وقد ذكره ق. جيروم في كتابه 'مشاهير الرجال'. يَذكر فيه ق. هيلاري أن الكتاب المقدس كله يُعلِن تجسد المسيح، ولا بُد من استخدام المنهج الرمزي في العهد القديم.

❖ التسابيح: ويُعد ق. هيلاري أول كاتب غربي شُهِد لنشاطه في كتابة التسابيح. لم تخلُ أشعاره وتسابيحه من الإشارة إلى الجدل الأريوسي، واستخدمها في نشر التعليم المستقيم. يعتبر ق. هيلاري أول مؤلف رسمي للألحان اللاتينية، ولا تزال الكنيسة اللاتينية تذكره.

❖ الأعمال المفقودة: هناك عملان ذكرهما جيروم: *'لنصل إلى الكمال'* و *'تأملات في سفر أيوب'*، وهذا الأخير قد حُفظَت شذرات منه فقط.

في هذا الكتاب سوف تجد أيها القارئ العزيز مُقدمةً وافيةً - ورغم

طولها إلا أنها في غاية الأهمية للدارِس - عن سيرة حياته ومنهجه الروحي والأحداث التاريخية التي أثرت على نمط حياته، ثم تحليلاً لفكره اللاهوتي مِن خلال أهم أعماله، ثم ترجمة لأهم وأكبر أعماله اللاهوتية، *'عن الثالوث'*، والذي يتألف من ١٢ كتابًا، مع ربط فكره بفكر ق. أثناسيوس وبعض آباء كنيستنا العظام.

وفي ترجمة هذا النَص قد التزمْتُ بالنصوص الكتابية التي استخدمها ق. هيلاري، مع التعليق على أي اختلاف طفيف بين ما ذَكره وبين النصوص والترجمات الكتابية الموجودة بين أيدينا الآن، وربطها بالنَصين الصعيدي والبحيري للغة القبطية. وسوف يلاحظ القارئ أنه يستخدم السبعينية بالنسبة للعهد القديم، واللاتينية بالنسبة للجديد، مع إعطاء الأولوية للنَص اليوناني الأصلي للعهد الجديد في حالة وجود اختلاف.

وقد التزمْتُ بالنَص الوارد في الجزء التاسع من مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقية، السلسلة الثانية، طبعة نوفمبر ١٩٨٣م، مع الرجوع للترجمة الجديدة الواردة في الجزء الخامس والعشرين من سلسلة آباء الكنيسة، والتي قامت الجامعة الكاثوليكية بأمريكا بإعادة طبعها ٢٠٠٢م. كما قُمت بوَضع عناوين جانبية لكل فقرة، أو لمجموعة فقرات تحمل نفس السياق، للتسهيل على القارئ، ووضع قوسين () في حالة وجود أية إضافات شخصية، وكل تعليقاتي وَضعتُ في نهايتها {م} اختصارًا للمترجم، كما وضَعتُ كلام الهراطقة الذي يقتبسه ق. هيلاري للرد عليهم، *بخط مائل*، كي لا يختلط الأمر على القارئ.

أتقدم بالشكر لكل مَن ساهم في خروج هذا العمل بهذا الشكل الرائع، وبالأخص نيافة الحَبر الجليل **الأنبا إبيفانيوس** أسقف ورئيس دير الأنبا مقار بوادي النطرون، والذي أفادني كثيرًا بتعليقاته القيِّمة بكل تواضع ومحبة، كما أشكر أستاذي ومُعَلِّمي **الدكتور سعيد حكيم يعقوب**، أُستاذ الآبائيات واللاهوت بالمركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء، والذي تفضل وراجع هذا الكتاب مراجعةً دقيقةً رغم ضيق وقته، الرب يعوض تعب محبته، كما أشكر **الدكتور جوزيف موريس فلتَس** على تشجيعه لي، وأشكر **الدكتور صمويل قزمان معوَّض**، الذي أفادني كثيرًا في تنسيق هذا الكتاب، وأشكر إخوتي رهبان وإخوة دير الأنبا أنطونيوس الذين ساعدوني وشجعوني كثيرًا، الرب يُثبِّتهم ويجعلهم منارةً في سماء الكنيسة مثل أبيهم العظيم أنبا أنطونيوس.

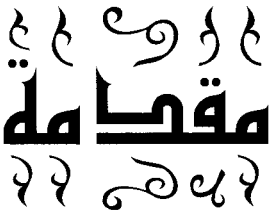
والرب يحفظ لنا حياة وقيام أبينا البابا البطريرك **الأنبا تواضروس الثاني**، وشريكه في الخدمة الرسولية أبي رئيس ديرنا العامر، **الأنبا يسطس**، الذي قدَّم لهذا الكتاب. ولربنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.

٣٠ أمشير ١٧٣٣ش

٩ مارس ٢٠١٧م

نياحة البابا كيرلس السادس

الجزء الأول



الفصل الأول*

حياته وكتاباته

نشأته

من المُرجَّح أنه قد وُلد حوالي سنة ٣١٥م[٣]، وفي الغالب في المدينة، أو في الإقليم المعتمد على المدينة، التي صار عليها أسقفًا. لا بُد أنه كانت له أسماء أخرى غير هيلاريوس، لكننا لا نَعرفها. لا بُد أن أبويه كانا من طبقة محترمة على الأقل، وربما من الطبقة العالية. وبالتالي فقد نشأ في الدوائر الأدبية في ولاية أكويتانيا Aquitaine غرب فرنسا.

كان من المعتاد تعلُّم اليونانية، مثلها مثل اللاتينية. في الواقع، في أيام الامبراطور هادريان[٤] Hadrian لم يكُن المجتمع المتعلم في الإمبراطورية كلها تقريبًا ذا لسانين هكذا، ولم يُحوِّل الغرب الناطق باللاتينية ثقافته وفلسفته إلى اليونانية. لكن في أيام دقلديانوس كانت الحاشية الأكثر أهميةً تُقيم في أسيا كعُرف مُتَّبَع، ومن ثَم اتجهت اليونانية نحو أن تصبح، بالتساوي

---

* وقد اعتمدت بشكل كبير في تلك المقدمة على المقدمة الواردة في مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقية، مع إضافة بعض ما قيل عنه في المراجع الأجنبية والكتب العربية، وما قد استخلصته من خلال النص بخصوص فكره اللاهوتي.{م}

[٣] البعض يقول إنه وُلِد قبل ذلك.{م}

[٤] عُين إمبراطورًا في ١١ أغسطس ١١٧م خلفًا للإمبراطور تراجان.

Jones, B. W. (1996). Hadrian (Emperor). In D. N. Freedman (Ed.), *The Anchor Yale Bible Dictionary* (D. N. Freedman, Ed.) (3:17). New York: Doubleday.

مع اللاتينية، لغة الندماء والمدبرين. إذًا فالاثنان كان لهما تقريبًا نفس الأهمية، مما أثر في نشأة ق. هيلاري وجعله ضليعًا في كلٍ من اليونانية واللاتينية.

بهذه الخلفية لا بُد أن فكره كان منغمسًا في الأفلاطونية الحديثة Neo-Platonism قبل أن يتحول إلى المسيحية. كان ق. هيلاري يعتقد من الناحية المنطقية أن الإنسان مخلوق حر، ذو مبادئ، وموضوع في هذا العالم ليمارس الصبر والنسك والفضائل الأخرى، التي بها ينال المكافأة بعد انتهاء هذه الحياة. ثم أخذ يسعى في شغف ليتعلم عن الله، وبسرعة اكتشف كذب الاعتقاد بتعدد الآلهة، واقتنع أنه لا يمكن أن يكون هناك إلا إله واحد، وأنه لا بُد أن يكون أبديًا، وغير متغير، وكليّ القدرة، والعلة الأولى، ومُبدع كل الأشياء. بهذه الخلفية وبهذا الاعتقاد تَقابل مع الكتاب المقدس وتأثر بشدة من الوصف السامي الذي به يصف موسى الله، ومن الكلمات التي تُعبر عن وجوده الذاتي: "أنا الذي يكون"[٥]، كما تأثر أيضًا مِن فكرة سُلطانه الفائق التي عَبَّر عنها ووصفها الأنبياء. ثم كمَّلَت قراءة العهد الجديد الإجابة عن استفساراته، إذ تأثر بمدخل إنجيل يوحنا بحسب ما ذكر هو نفسه عن إحساسه عند قراءته: "لقد تعلَّمَت روحي عن الله أكثر مما حلمَت به.... وفهمَت أن **كلمة** الله قد صار جسدًا، كي من خلال تجسده يمكن لجسدنا أن يصل إلى الاتحاد بالله **الكلمة**... لقد حل بيننا، كي بسكناه

---

[٥] (خر ٣: ١٤)

يُعرَف على أنه الإله الساكن (فينا)، وبسكناه بيننا، قد عُرف أنه الإله المتجسد، ليس في جسد آخر غير جسدنا.. فابتهجَت به نفسي، التي تتقرب الآن إلى الله وهي في الجسد، والتي قد دُعيَت لميلادٍ جديدٍ من خلال الإيمان" (عن *الثالوث* ١: ١٠- ١٢). بالتالي فقد تَعلَّم مِن الإصحاح الأول لإنجيل يوحنا أن **الكلمة** المتجسد، اللَّه الابن، يتساوى في الوجود والأبدية مع الآب، وواحد معه في ذات الجوهر. ثم قرأ بعد ذلك رسائل بولس الرسول. كل هذا كان هو السبب في تحوُّله إلى المسيحية في شبابه المبكر كما يقول هو.

إيمانه

لقد كان إذًا أن ق. هيلاري قد اقترب من المسيحية كرجل بالغ، له مهارة أدبية وتدريب فلسفي. لقد انجذب نحو الايمان برغبة في الحق الذى لم يجده في الفلسفة؛ واقتناعه بأن هذا الحق كان هو المسيحية نفسها قد تأسس على دراسة مستقلة للكتاب المقدس، وليس بالاتصال مع المعلمين المسيحيين؛ يمكننا أن نستنتج الكثير من الصفحات الأولى من كتاب '*عن الثالوث*' عن هذا. على العموم، سواء وقعت كتابات أوريجينوس - الذى أثَّر على فكره بعُمق شديد - قبل تحوُّله إلى المسيحية، أو حتى بعدما صار مسيحيًا يبحث عن ضوء إضافي للإيمان، فمِمَّا لا شَك فيه أنه قد دَرسها في البداية، إذ بالتأكيد، مِن المُحال أنه قد وُجِد بين المسيحيين في إقليمه الكثيرون مِمن يمكنهم أن يساعدوه في الرد على الصعوبات المنطقية. أغلبية الطبقات المتعلمة كانت لا تزال وثنيةً، والمسيحيون الذين يمكننا أن نقول

إنهم كانوا بالإجماع أرثوذكس، كان إيمانهم تقليديًا وموروثًا بدون أنشطة عقلية كثيرة. إلى داخل هذا الجسد قد دخل ق. هيلاري بالمعمودية في تاريخ غير معلوم. لا يمكن معرفة سِنِّه أو وظيفته، أكان متزوجًا أم لا، هل دخل في العمل الكهنوتي في كنيسة بواتييه أم لا؟ كل ما هو مؤكَّد أنه كان يُقوِّي إيمانه بالفكر والدراسة.

اختياره أسقفًا

في حوالى سنة ٣٥٠م رُسم ق. هيلاري أسقفًا على بواتييه. لذا يمكننا أن نستنتج من كلماته الخاصة[6] في عشية نفيه سنة ٣٥٦م، أنه قد مَرَّت فترة طويلة قبل معموديته، وبعدها بمدة قليلة صار أسقفًا. كونه قد ارتقى مباشرةً - مثل ق. أمبروسيوس - من الحياة العلمانية إلى الأسقفية هو أمر غير معروف، لكنه ليس مستبعَدًا.

أيًا كان، فقد حاول بكل قوَّته الهروب من هذه الكرامة، ولكن كان هذا دافعًا للشعب للتمسك باختياره أكثر، وبالفعل لم تخِب توقعاتهم إذ ظهرت فضائله وصفاته المتميزة التي لفتت الأنظار إليه، ليس في بلاد الغال فقط بل وفي الكنيسة بأسرها. لقد كان واعظًا وشاعرًا، وكان يعتبرها مسئولية حياته أن يشهد عن الله لكل العالم ويقود الناس كلهم إلى محبة الله، وكان دائمًا يدعو الجميع أن يبتدئوا كل أعمالهم بالصلاة. كان يشتهي أن يُنهي

[6] *Syn.* 91.

حياته مستشهدًا، وفي محبته للحق لا يخاف من أي ألم يتحمله في سبيل الدفاع عنه.

لقد كان ق. هيلاري واعيًا لعظمة الأسقفية، وجاهد أن يكون جديرًا بها؛ لكن المسئولية كانت كبيرة جدًا. الأسقف في عينيه هو رئيس الكهنة الوحيد *sacerdos* لقطيعه، سواء وهو في إيبارشيته، أو منفيًا.

ملامح حياته التي شكلت شخصيته، ودراسته وتعليمه

لقد اعتُبر بشكل رئيس كواحد من الذين عانوا من عنف قنسطنطيوس، وكمؤلف لمُلخَّص مفيد عن المناقشات ضد الأريوسية، وكمفاوِض غير ناجح للتفاهُم بين الكنائس الشرقية والغربية، لكن معاناته كانت لا شيء بالمقارنة بما عاناه ق. أثناسيوس، بينما تأثيره على المجادلات يبدو أنه كان قليلاً بمقدار قِلة دبلوماسيته. ليست مشاركته المسكونية، بالقول أو بالفعل، في نزاعات زمانه هي عنوان شهرته الرئيس، بل استقلاله وعمقه كمفكر مسيحي. لقد أبدى بالفعل تأثيرًا مهمًا على نمو التعليم، لكن هذا كان من خلال تبني القديسين أوغسطينوس وأمبروسيوس لأفكاره، والكثيرون ممن استفادوا من أفكاره لم يعرفوا أبدًا من هو مؤلفها.

ق. هيلاري أسقف بواتييه، الذي يجهله الكثيرون، صامت جدًا فيما يخُص نفسه؛ لقد ذُكر نادرًا بين الكُتاب المعاصرين له - في كل الكتابات الضخمة للقديس أثناسيوس لم يُذكر مرة واحدة بالاسم، والمؤرخون القدامى للكنيسة عَرفوا القليل جدًا عنه.

معرفته الأدبية والتقنية باللاتينية كانت أيضًا كاملةً، فلقد كان تلميذًا جاء للفكر الأفضل الموجود في أيامه، ووَجد في الأفلاطونية الجديدة التدريب التأملي والرغبة التي كانت لتجد كفايتها في الإيمان، لمعرفة الله والاتحاد به.

لا شك أن التعليم الشفهي الذى ساد في الغرب قد قَدَّم له إرشادًا آمنًا في التعليم، لكنه لم يستطِع أن يُقدِّم الأسباب الكافية للإيمان. لقد كانت المبررات العقلية هي الاهتمام الأكبر للقديس هيلاري، إذ كان الاقناع يتم مُقدَّمًا قبل النقاش.

الأوضاع السياسية والدينية

لقد كانت أفريقيا مشلولةً، وكان انتباه المقاطعات الغربية مُنصبًّا على الصراع الدوناتي[٧] Donatism، كما أن تعليم وحُكم المهتدين حديثًا بلا عدد، والذين تقاطروا على الايمان أثناء نمو التسامح الإمبراطوري، لا بُد أنه قد نال كل الاهتمام الذى يمكن لحكام الكنيسة أن يقدموه. كل هذا كان بعد جيل من الاضطهاد عديم الرحمة، والذي في أثناءه كان مِن المستحيل تطوير الطقس أو نمو الفكر. المعترفون، الذين كانوا بالطبع قوةً محافظةً، كانوا

---

[٧] بسبب تعيين دوناتوس بدلاً من كايكيليان Caecilian أسقف قرطاج، الذي كرَّسه فيليكس أسقف أبتونجا Aptunga الذي اعتُبِر خائن لاشتراكه في الاضطهاد أيام دقلديانوس، مما أدى إلى رفض الشعب له وتعيين دوناتوس.{م}

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983, p. 499 - 500.

قوةً سائدةً في الكنيسة. لا يسعنا أن نتفاجأ من أن الملحوظات المتفرقة في كتابات ق. هيلاري بخصوص نقاط التعليم، وتعليمه التاريخي، لا تُعتبر مختلفة عما نجِده في القرن الذى قَبله في كتابات القديس كبريانوس. إيمان الناس قد نما بشكل محدود مع مرور السنين، لكنهم في أثناء ذلك قد أخذوا الإيمان كما استلموه؛ يمكن أن يُقال إن الأريوسية لم تكُن لتثير الخوف داخل الكنيسة الغربية، بالرغم من الإحساس بالنفور منها. الكنائس كانت مكتفيةً بالإيمان والحياة كما رأوها فيهم وحولهم. ديانتهم كانت تقليديةً دون انحلال. لكن مثل هذا التدين لا يمكن أن يُرضي العقول المجتهدة والميالة للمنطق، مثل التي للقديس هيلاري وخليفتيه اللاتينيين العظيمين، القديسين أمبروسيوس وأوغسطينوس.

موقعه كأسقف كانت له أهمية كبيرة، وكما يبدو بالتأكيد أن هذا كان بدون صعوبات خاصة. كان هناك اختلاف واسع بين نظام الكنيسة في المقاطعات الناطقة باللاتينية في الإمبراطورية وبين المقاطعات الناطقة باليونانية في الشرق، باستثناء وسط وجنوب إيطاليا وأفريقيا حيث كان هناك جمعٌ من الكراسي الأسقفية قليلة الأهمية كانت تعتمد على الحُكم المطلق لروما وقرطاج نسبيًا. في الأولى كان هناك عدد قليل فقط من الإيبارشيات على مساحات جغرافية ممتدة؛ في الأخيرة كل مدينة، على الأقل في الأجزاء الأكثر تحضرًا، كان لها أسقفها. لقد كان الأساقفة الغربيون معزولين بشكل محتَّم عن بعضهم، ولَم يمكنهم أن يختبروا أي من تلك الهيمنة الثابتة على أرثوذوكسية بعضهم البعض، الأمر الذى كان للشر مثله مثل الخير، من

الملامح المميزة لحياة الكنيسة في الشرق. الكرسيان الكبيران اللذان كان ق. هيلاري على علاقة مباشرة معهما هما آرل وميلان، وكلاهما كانا في يد الأريوسيين. كانت هناك ضرورة لتهييج الإمبراطور العدائي ضد ق. هيلاري، وكان عبثًا هجوم ق. هيلاري ضد أوكسنتيوس، في ارتفاع تيار إحياء الأرثوذوكسية في الغرب. الإمبراطور الأرثوذكسي قد أَيد الأريوسيين، وهو الذي أبقى ق. هيلاري حيًا لمدة ثماني سنوات، ومات وهو أسقف إيبارشيته. لكن هذه المكانة العظيمة والآمنة التي للأسقف الغربي كان لها عيوبها.

أثناء الأعوام الأولى لأسقفية ق. هيلاري كان هناك اضطراب مدني في الغال، لكن الكنيسة كانت في سلام. وبينما حابى الحاكم الشرقي قنسطنطيوس الأريوسيين، سواء بتضليل من مشيرين ليس لهم مبدأ، أو بسيرِه وراء أناس غير حكماء، رغم أنه كان أمينًا ويرغب في التسوية بدوافع السلام، كان أخيه قنسطنس، الذى ملك على الغرب، ميالاً للأرثوذكسية التي تَعلَّقت بها الغالبية العُظمى من الإكليروس والشعب. ذُبح قنسطنس في يناير ٣٥٠م مِن قِبل ماجنينتيوس Magnentius المغتصِب، الذى اتَّخَذ نفس الجانب، بِغَضّ النظر عن الدافع. لقد كان هذا هو بالضبط ما يُرضي أتباعه؛ لكنه ذهب الى أبعد من هذا وحاول تقوية عرشه المتقلقل أمام الهجوم الوشيك لقنسطنطيوس بالتفاوض مع المسيحيين النيقاويين الساخطين في الشرق. لقد حاول أن يستميل ق. أثناسيوس الذى كان حكيمًا جدًا بعدم إصغائه. على العموم، لم يَجنِ شيئًا من إفساد أمور قنسطنطيوس. هَزم قنسطنطيوس ماجنينتيوس، ولاحقه، وذبحه في النهاية في ١١ أغسطس

٣٥٣م، ثم صار سيدًا، ليس فقط للشرق، بل وللغرب، الذي شرع في إجباره على الخضوع الكنسي بسيادته، قدر إمكانه.

لا بُد أن نضيف أن قنسطنطيوس قد تحرك بكراهية شديدة شخصية ضد ق. أثناسيوس، وأن الأساقفة مِن حاشيته يبدو أنهم قد وَجدوا وظيفتهم الرئيسة في تدبير المكائد لأجل نفي الأساقفة، الذين يبدو أن كراسيهم كانت مملوءةً من أصدقائهم. لقد كان ق. أثناسيوس خصمًا هائلاً بسبب مكانته القوية في الإسكندرية، حتى بالنسبة للإمبراطور؛ كان قنسطنطيوس يحاول إضعافه بخلق انطباع بأنه لم يكن جديرًا بالاحترام الكبير الذى كان يمتلكه. حتى ذلك الوقت لم يكن قانون الإيمان النيقاوي قد رُفِض علانيةً في الشرق؛ وكانت المسائل العقيدية في الغال لا تزال أقل إثارةً، إذ كانت الحقائق المقرَّرة في قانون الايمان النيقاوي تُعتبَر واضحة جدًا، حتى إن قانون الايمان نفسه لم يُثِر أقل انتباه. حتى ذلك الوقت لم يكن ق. هيلاري قد سمع عنه[٨] رغم مرور حوالى ٣٠ سنة على إقراره، لكن كانت هناك اتهامات شخصية ضد ق. أثناسيوس قد ألحقت به ضررًا شديدًا، والتي عنها قد قَدَّم هو نفسه تقريرًا ممتعًا وكاملاً. لقد تم دحضها علانيةً وبشكل كامل أكثر من مرة، بجلال عظيم ونهاية ظاهرة قبل عشر سنوات في مجمع سرديقا Sardica سنة ٣٤٣م. لكن في إقليم بعيدٍ، أمكن للإمبراطور الحصول على إدانة عدوِّه في منطقةٍ تعاطفها اللاهوتي معروف بأنه في صفِّه، وتم كَسب خطوة عظيمة نحو نفيه من مصر. وبسرعة في أكتوبر ٣٥٣م تمت

[8] *Syn.* 91.

الدعوة لمجمع في آرل للنظر في التُهم. لقد كان ملائمًا لهدف قنسطنطيوس أن ساتورنينوس أسقف آرل، أهم كرسي في الغال، كان متوددًا، وأريوسيًا. لقد قام بعمله جيدًا. الأساقفة المجتمعون آمنوا، أو كانوا مستحثين للتظاهر بأنهم قد آمنوا، بأن التُهَم الموجَّهة ضد ق. أثناسيوس لم تكن على هوى مقاوميه اللاهوتيين، وأن تقدير الإمبراطور لهم كان صحيحًا. القرار بإدانة المتهَم كان بالإجماع، فيما عدا باولينوس أسقف تريف Paulinus of Treves، الذي نُفي لمعارضته. ربما يكون هو المحامي الوحيد عن ق. أثناسيوس، أو ربما ظَن قنسطنطيوس أن عبرة واحدة سوف تكون كافيةً لإرهاب أسقفية الغال للخضوع. من المستحيل أن نجزم إن كان ق. هيلاري حاضرًا في المجمع أم لا. بعد ذلك بعامين، أصبح الإمبراطور مشغولاً جدًا عن متابعة مسألة ق. أثناسيوس، بسبب القتال عند الحدود الغالية. لكنه في خريف ٣٥٥ م قد دعا إلى مجمع في ميلان، المدينة التي كان تأثيرها على الغال عظيمًا جدًا، حتى إنه يمكن أن يقال عنها 'العاصمة الكنسية للبلدة'. مرة أخرى هنا قد تم استخدام ضغط قوي، وصَدر الحُكم كما يرغب قنسطنطيوس. لم يكن ق. هيلاري حاضرًا هذا المجمع؛ لقد كان في ذلك الحين مُلمًا بتحركات قنسطنطيوس والأساقفة التابعين له، وبالتأكيد قد شارك في المعارضة المطروحة، ومن الوارد أن يكون قد شارك في النفي المحكوم به على ثلاثة من القواد، الذين هم ديونيسيوس أسقف ميلان Dionysius of Milan، الذى اختفي من التاريخ، وقد أخذ مكانه عدو ق. هيلاري في المستقبل، أوكسنتيوس Auxentius، ويوسابيوس أسقف

فرشيللي، ولوسيفر أسقف كالياري Lucifer of Cagliari، وكلاهما قد صنع علامةً في التاريخ.

في ذلك الحين اتَّخذ ق. هيلاري جانبه المحدد، وسوف يكون من الجيد التأمل في علاقته بالأحزاب الموجودة في الجدال، وأولاً علاقته بالأريوسية. كما رأينا، أصبح الأساقفة الأريوسيون الآن في حوزتهم كرسيا جواره، اللذان في آرل وميلان؛ والأريوسيون من مختلف الفرق، أو على الأقل الرجال المتسامحون مع الأريوسية كانت لهم الغالبية العظمى للأسقفيات الشرقية، فيما عدا مصر الأرثوذكسية تمامًا. لم يوجد نظام خاطئ قد ضَرب الإيمان المسيحي مباشرةً أكثر من الأريوسية. لقد كان لقادة هذه المدرسة الكثير من الأماكن العظيمة في الكنيسة، وأكدوا أن لهم الأحقية في التمسك بها؛ فإن لم يكن لهم الحق الوحيد، فعلى الأقل لهم نفس الأحقية التي للأساقفة الأرثوذكس أن يكونوا أساقفة، ومع ذلك أن يُعلِّموا بأن المسيح كان مخلوقًا وليس هو الابن. ما جعل الأمور أكثر سوءًا أنهم بدوا كأنهم متفقون في الرأي مع الأرثوذكس، لكننا لا يمكننا أن نتعجب من أن القديسين أثناسيوس وهيلاري، المُلمين بالطبيعة السُفسطائية للكثير من الجدالات المستخدمة، والعارفين أنه على الأقل بعضًا مِن القادة كانوا مغامرين مستهترين، لا بُد أنهم قد اعتبروا كل الأريوسية وكل الأريوسيين غير أمناء بشكل عمدي. إن جهود ق. هيلاري كانت ضد الأريوسية مباشرةً، وقد كَرَّس بقية عمره لاستئصال هذا الشر.

رغم عدم معرفته بقانون إيمان نيقية إلا بعد نفيه، إلا أن ولاءه للأرثوذكسية لم يكن أقل إخلاصًا. إن تلك الوثيقة، والتي اختصت مبدئيًا بالأساقفة فقط، وعند الشك في أرثوذوكسيتهم فقط، كانت بالكاد معروفةً في الغرب، حيث لم يكن الأساقفة يشُكون في إيمان بعضهم البعض. لم يسمع ق. هيلاري عنه أبدًا حتى قبل نفيه. في جدالاته الأولى نادرًا ما ذَكره، وحينما فَعل كان بالاتصال بالظروف المحلية الموجودة في الشرق. لقد أَدرَك قيمته، هو وكل المسيحية الغربية، كنقطة تجمُّع للمؤمنين؛ لكن حتى ذلك الوقت لَم يوجَد ارتباط بالقانون لأجل نفسه. قد يبدو تقريبًا أنه بدفاعه مع ق. أثناسيوس عن قانون الايمان، قد نال هذا المجد وهذه الشهرة الأولى. اضطهاده الظالم واحتماله البطولي قد أثارا الاهتمام به كمناضل. لو كان الأمر غير ذلك، لكانت هناك مؤامرة غريبة للصمت بين اللاهوتيين الغربيين. لقد كان قانون الايمان في سنة ٣٥٥م معروفًا بشكل ضئيل في الغرب، وغير شعبي في الشرق.

والآن حان الوقت للقديس هيلاري، الذى رُسمَت أمامه تلك الأفكار الأريوسية والأفكار الإيمانية، أن يأخذ جانبًا حيويًا في الصراع. لقد رأينا أنه لم يكن في ميلان؛ لذا فلم يكن تحت الشُبهة الشخصية، لكن شرف الكنيسة أجبره على التحرك. لقد أجهد نفسه في حث أساقفة الغال على إلغاء الشركة مع ساتورنينوس Saturninus، ومع أورساكيوس Ursacius

وفالنس Valens أتباع أريوس[9] أثناء نفيه إلى ضفاف نهر الدانوب قبل ثلاثين سنة، والذين لهم أفضلية عنه الآن لدى قنسطنطيوس ووزراءه بالنسبة للشؤون الكنسية في الأقاليم الغربية[10]. نحن لا نعرف كم عدد الأساقفة الذين حثهم ق. هيلاري ضد ساتورنينوس. من المحتمل أن يكون عدد الذين تبعوه في هذه المخاطرة الجريئة ليس كثيرًا؛ حتى الرجال الذين لهم نفس فكره ربما قد ظنوا المخاطرة عدم حكمة. لقد كان تقريبًا عملاً ثوريًا، واستيرادًا لوسائل الجدال الشرقي إلى الغرب المسالم، لأن ذلك لم يكن عملاً قانونيًا لمجمع، بل مغامرة خاصة بالقديس هيلاري وحلفائه. مهما كانت استقامتهم وضرورتهم، إلا أن سلوكهم ربما قد بدا لقنسطنطيوس ومستشاريه كازدراء بقانون الكنيسة والدولة. بالتأكيد لم يربح ق. هيلاري رضا الإمبراطور برسالة اعتراضه، *الرسالة الأولى إلى قنسطنطيوس*، التي كُتبَت حوالي نهاية سنة ٣٥٥م.

---

[9] فالنس كان أسقف مورسا في بانونيا، ومات سنة ٣٧٥م، أما أورساكيوس فكان أسقف سنجيدونم (بلجراد). يأتي ذكرهما كثيرًا كزعماء حركة الأريوسية في الغرب، وهي الحركة التي سُميت بالأريوسية المتطرفة وباللاشبهية *Ultra-Anomoeans*، ويقابلهما في الشرق أكاكيوس الذي تزعم حركة الهوموويان أيضًا. كانا تلميذين لأريوس أثناء نفيه في الليريكوم (ألبانيا) وهما اللذان تزعما اتهام ق. أثناسيوس في بعثة مريوط، وفي مجمع ميلان ٣٤٧م. راجع: متى المسكين (القمص): *القديس أثناسيوس الرسولي*. وادي النطرون: دير أنبا مقار، الطبعة الأولى مايو ١٩٨١م، صـ ٢٦٤.

[10] *Sulp. Sev., Chron.* ii, 39.

محتوى الرسالة الأولى إلى قنسطنطيوس

تبدأ الفقرة الأولى بشكوى من التدخل الظالم للموظفين المدنيين في الأمور الدينية. لو طُلب السلام فلا بُد من الحرية (فقرة ٢)؛ لا يجب أن يُجبَر الأرثوذكس على الأريوسية. صوت المعارضة قد ارتفع؛ بدأ رجال يقولون إنه من الأفضل الموت عن رؤية الإيمان يتدنس بأمر فردي. العدالة تتطلب ألا يعاني الرجال الخائفين الله من المعاملة الجبرية مع معلمي التجديف اللعين، بل يوهَب لهم أساقفة يمكنهم أن يطيعوهم بضمير صالح. الحق والكذب، النور والظلمة، لا يمكن أن يجتمعا. لقد ترجى الإمبراطور أن يَسمح للناس بأن يختاروا بأنفسهم لأي المعلمين يريدون أن يستمعوا، والذين معهم سوف يشتركون في سِر الشركة والصلاة لأجله. في الفقرة الثالثة ينكر وجود أي سبب للخيانة أو أي بطر. الاضطراب الوحيد هو الذى تسبب فيه الأريوسيين ناشري الهرطقة، الذين يُضلون الجَهلة. في الفقرة الرابعة يُصلي لأجل رجوع الأساقفة الجيدين الذين أُرسلوا إلى المنفى، والنتيجة سوف تكون الحرية والبهجة. ثم يهاجم في الفقرة الخامسة مبادئ الأريوسية الحديثة والمميتة، مقدمًا قائمة بأسماء قادة أريوسيين، ومن ضمنهم 'هذان الشابان الجاهلان والخبيثان أورساكيوس وفالنس'، قائلاً إن الشركة مع مثل هؤلاء، حتى لو بالجهل، هي اشتراك في ذنبهم، وإثم قاتل. ثم تَقدم في الفقرة السادسة لشجب الشرور الفظيعة التي اقتُرفت في مصر بالتماس باهر لتحرير الضمير، إذ أنه باطل وردئ محاولة دفع الناس للأريوسية، والإيمان بالإكراه هو في كل الحالات بلا جدوى. لقد كان

الأريوسيون (فقرة ٧) أنفسهم مدانين قانونيًا لفترة طويلة مضت، وأُخلي سبيل ق. أثناسيوس؛ إنه قلبٌ للعدالة أن يُدبِّر المُدان المكيدة ضد واحدٍ مستقيمٍ جدًا ومؤمنٍ جدًا بالحقيقة. وفي النهاية (فقرة ٨) تَطرَّق إلى الخطأ الذى حدث توًا في ميلان، وتلى القصة المعروفة عن العنف الذى مورِس ضد يوسابيوس أسقف فرشيللي وآخرون في 'مَجمع الخبثاء'، كما دعاه. هنا أيضًا ينتهز الفرصة للكلام عن باولينوس أسقف تريف، الذى نُفي لأجل معارضته في آرل قبل عامين، إذ 'قاوم الجرائم المُريعة لهؤلاء الرجال'. للأسف ضاع ختام الرسالة، وهناك فجوة أو أكثر في الورقة.

سبب عدم قبول الإمبراطور للرسالة

كل هذا نعتقد أنه قد جعل الرسالة مرفوضة تمامًا من قنسطنطيوس. لا بُد أنه اشتم رائحة الثورة، والثورة كانت خطيرةً بشكل لا يمكن تصوره. لقد رأينا أن ماجنينتيوس قد حاول أن يجنِّد ق. أثناسيوس لحسابه ضد الإمبراطور الأريوسي. قنسطنطيوس لم يكن سوى حاكم جديد على الغال، وربما قد فَسَّر بشكل منطقي كلمات ق. هيلاري إلى خطر أن أرثوذكس الغال سوف يُدعِّمون شخصًا يَدعي الأرثوذكسية لو لم يتم الاستجابة لمطلبهم. كان هناك سببٌ خاص للشك. في هذا الوقت بالذات كان قنسطنطيوس قد وَهب حُكم الغرب لابن عمه يوليانوس (الجاحد)[١١]

---

[١١] (٣٣٢م- ٣٦٣م)، اسمه بالكامل فلافيوس كلاوديوس يوليانوس، عُين إمبراطورًا رومانيًا ٣٦١م. وهو ابن أخي قسطنطين الكبير وابن عم قنسطنطيوس، بعد قتل أسرته اهتم برعايته كل من

Julian، الذى قد نُصِّب قيصرًا في ٦ نوفمبر ٣٥٥م. من المُحتمل أن يكون عدم الثقة بين قنسطنطيوس ويوليانوس موجودًا منذ البداية. وهكذا يبدو أن الانفجار كان وشيكًا، إذ أن القيصر الغادر قد بدا كأنه وَجَد حلفاءً من الأرثوذكس المتذمرين. لا يمكننا التعجب من أن رسالة ق. هيلاري لم يكن لها تأثير على سياسة قنسطنطيوس، إذ قد مَرَّت عشرة شهور قبل عقابه. في ربيع عام ٣٥٦م، ترأس ساتورنينوس مَجمعًا عُقِد في بِزييه (في فرنسا)، حيث يخبرنا ق. هيلاري أنه قد أُجبر على حضوره. نحن لا نَعلم ما

يونوخ وماردينيوس ويوسابيوس النيقوميدي. لكونه هو وأخيه غير الشقيق جالوس Gallus قد تلقيا تعليمًا وثنيًا، فقد نُفيا إلى حصن ماكيلوم Macellum في كبادوكيا سنة ٣٤٥م، حيث بُذلت جهود حثيثة لوضعهما في وَسَطٍ مسيحي. في سنة ٣٥١م، حينما عُين جالوس قيصرًا، أصبح يوليانوس حرًا في مغادرة كبادوكيا. بعد إعدام جالوس في نهاية سنة ٣٥٤م، أُسِر يوليانوس في ميلان، لكن في ٣٥٥م سُمح له بزيارة مدارس أثينا، وكان من بين زملائه ق. غريغوريوس النزينزي. في نوفمبر ٣٥٥ قُدِّم للجيش كقيصر. حينما أراد قنسطنطيوس السيطرة على نُخبة جيش يوليانوس في حملته على الفُرس، رفض الجنود وعَينوا يوليانوس إمبراطورًا في ٣٦٠م، ولولا موت قنسطنطيوس في ٣٦١م لشبَّت حرب أهلية. بعد توليه الحكم المنفرد أراد تجريد المسيحية من مكانتها، وتعزيز الوثنية بكل وسائل الاضطهاد. لقد سعى لإعادة العبادة الوثنية وجعل التعليم في مدارس الإمبراطورية تعليمًا وثنيًا، ونشر مقالات ضد العقيدة المسيحية، كما أراد إضعاف الكنيسة بعودة الأساقفة المعزولين لإحداث بلبلة وصراع بين الشعب. في مايو ٣٦٢ ارتحل إلى أنطاكية للإعداد لحملة ضد الفُرس، لكن اضطهاده للمسيحية جعله غير مرغوب فيه، ثم رحل إلى ميسوبوتوميا في مارس ٣٦٣م، وهناك أُصيب بسهم في المعركة ومات في ٢٦ يونيو ٣٦٣م قائلاً 'قد غلبتني أيها الجليلي'. راجع:
The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983, p. 910.

الذى تضمنه هذا الإكراه. من الممكن ببساطة أن يكون قد تم استدعاءه للحضور، ولم يستطع أن يرفضه بكرامةٍ، رغم أنه بالتأكيد كان عالِمًا بأن التُهَم سوف تُقدَّم ضده. لا نعرف سوى القليل عن تطورات المجمع. الشكاوي ضد ق. هيلاري اختصَّت بسلوكه وليس بإيمانه، لأنه كان بالتأكيد فوق الشُبهات، ولم تكن سياسة حزب البلاط هي الهجوم على الأرثوذوكسية في الغال. يبدو أنه قد شُحِن باستياء شعبي مثير؛ وهذه التهمة، كما رأينا، كانت مقبولةً مِن متن رسالته بشكل معقول. لقد حاول رفع قضية الإيمان، وتحدَّى تعليم خصومه. لكن رغم أن غالبية كبيرة من مجمع أساقفة الغال كانوا بالتأكيد متعاطفين معه، إلا أنه لم ينجح. موقفهم لم يكن مهدَّدًا؛ ق. هيلاري، مثله مثل باولينوس، لم يُتَّهَم بخطأ تعليمي، وكلاهما لو لم يرفعا أي مسألة بخصوص إيمان جيرانهم، ولم يقدما أي اعتراض على ظُلم الإمبراطور، لأمكنهما أيضًا أن يمضيا أيامهما بسلام. على العموم لم يُدَن معه سوى رودانيوس أسقف تولوز Rodanius of Toulouse؛ لو كان هناك احتجاج جريء ضد الظلم، لزاد عدد المُدانين. أَرسل المجمع قراره للقيصر يوليانوس حاكمهم الحالي، الذي بدوره لم يتخذ موقفًا، إذ ربما قد شعر بأن المسألة كانت خطيرة جدًا بالنسبة له أن يُقرِّر بدون الرجوع إلى الإمبراطور، لكن من المُرجح بالأكثر أنه لم يكن يتمنى أن يُهيج المشاعر السائدة في كنيسة الغال، ويُبعِد التعاطف الذي قد يحتاج إليه في المستقبل. لقد رَفض على أية حال أن يُمرِّر حُكمًا كان يَعرف مسبقًا أنه سوف يكون وفقًا لرغبة الإمبراطور، لكن تصويت المَجمع بإدانة ق.

هيلاري قد أُرسل إلى قنسطنطيوس نفسه. أصدر قنسطنطيوس قراره في التو، وفي صيف نفس العام، ٣٥٦م، نُفي ق. هيلاري إلي الإيبارشية، أو المُقاطعة المدنية، التي تشتمل على الكثير من الأقاليم في أسيا.

نَفيه

لقد أتينا الأن إلى المرحلة الأكثر أهميةً في حياة ق. هيلاري. لقد كان بالفعل، كما قد رأينا، تلميذًا scholar يونانيًا وتابعًا للَّاهوت اليوناني. لم يكن يتصل مباشرةً بالمشاكل الكبرى لهذا الوقت في المجال الذي كانوا يتباحثون فيه على الدوام. لقد كان مهيأً تمامًا لأخذ دوره، فقد كَوَّن اعتقاداته الراسخة قبل أن يعرف بتشابه الجوهر *homoiousion*، والجوهر الواحد *homoousion*، أو قانون الإيمان النيقاوي[١٢]. لذا فقد كان في تعاطف كامل مع ق. أثناسيوس في النقطة المهمة. طريقة معالجته للجدال تُظهِر أن سياسة ق. أثناسيوس كانت أيضًا، إلي حد كبير، هي طريقته. مثلما فعل ق. أثناسيوس، هكذا قد أبقى ق. هيلاري على مارسيلُّوس[١٣]

---

[12] *Syn.* 91.

[١٣] أسقف أنقرة، وكان أحد المؤيدين بشدة للتعليم عن مساواة الجوهر في مجمع نيقيه، وهذا هو سبب عدم رفض ق. أثناسيوس والقديس هيلاري له بالكُلية، لكنه أُدين فيما بعد وعُزل من كرسيه بسبب تصريحاته المريبة في كتابه ضد أستريوس Asterius الأريوسي، ثم عاد لكرسيه بعد موت قسطنطين في ٣٣٧م، لكنه عُزل ثانيةً في ٣٣٩م. اعتبره الغرب أرثوذكسيًا في مجمع روما ٣٤٠م ومجمع سرديقا ٣٤٣م على أساس أن العبارات المذنبة كانت مجرد تخمينات. لكن الشرق اعتبر أرثوذكسيته مشكوكًا فيها، ومن ثَم فقد اعتبر النيقاويون تأييده مخجِلاً. لقد علَّم

Marcellus قدر إمكانه. لم يذكر ق. هيلاري اسم مارسيلوس أبدًا، كما لم يذكر اسم أبوليناريوس Apollinaris، رغم أنه كان يتمتع بالذكاء الكافي للشعور بالخطر المتضمَّن في كلتا الهرطقتين، وجادل مِرارًا وبشدة ضدهما. ومثل ق. أثناسيوس أيضًا، لم تكن عنده أية هوادة مع فوتينوس[١٤] photinus. من ضمن علامات تبعيته للقديس أثناسيوس، أنه يستخدم من حين لأخر لقب *Ariomanitoe* أي 'المجانين الأريوسيين' الذي يَنعت به ق. أثناسيوس أعداءه. من المؤكد أن ق. هيلاري كان مُلمًا بكتابات ق. أثناسيوس، وقد اقتبس منها بحرية.

بأن الابن والروح القدس قد انبثقا في وحدة اللاهوت ككيانين مستقلين لغرض الخلق والفداء، ثم بعد إتمام الفداء سوف يعودان ثانيةً للوحدة الإلهية ويكون الله 'الكل في الكل'. لقد وُضِعَت جملة 'الذي ليس لمُلكه انقضاء' في قانون الإيمان بالذات لأجل دحض هذا التعليم.{م} راجع:

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983, p. 1033.

[١٤] هرطوقي، ظهر في القرن الرابع، وهو تلميذ لمارسيلوس Marcellus أسقف أنقرة، وصار أسقفًا على سيرميام Sermium سنة ٣٤٤م. كان يتميز بالعِلم والفصاحة. رغم أنه أُدين مع مارسيلُوس في مجمع أنطاكية سنة ٣٤٥م، إلا أنه عاد لكرسيه حتى ٣٥١م، حيث عُزِل ونُفي بعد أن عُرِضَت أخطاءه في مجمع سيرميوم الذي دعا إليه الإمبراطور قنسطنطيوس. يُقال إن هرطقته كانت شكلاً من أشكال السابلية. بحسب ق. أوغسطينوس، فإنه قد رفض وجود المسيح السابق، رغم أنه أجاز أنه وُلِد من العذراء ووُهِب امتيازات تفوق البشر. وقد أُدين أتباعه المسمين 'الفوتينيين' Photinians في مجمع القسطنطينية ٣٨١م.{م}

The Oxford Dictionary of the Christian Church, Third Edition, 1997, p.1283.

القديسان أثناسيوس وهيلاري لم يمكنهما أن يتقابلا وجهًا لوجه. لكن عيون ونواب ق. أثناسيوس كانوا موجودين في كل مكان. لا بُد أنه قد عَرف شيئًا عن نفي ق. هيلاري وخدماته، ولا بُد أيضًا أن ق. هيلاري كان مُلمًا بتاريخ ق. أثناسيوس. لقد أصبح الآن منجذبًا ناحيته، لأن هذا كان وقت اقترابه من الجيل الأحدث في المدرسة المحافظة، إذ أن صِلة ق. هيلاري الروحية بهم هي الأكثر قربًا والأكثر وضوحًا. الكبادوكيون العظام كانوا مِن تلاميذ مدرسة أوريجينوس، وهذا هو بداية وجود الترابط القوي بين ق. هيلاري وبينهم. ق. غريغوريوس النزينزي، الأكبر سنًا بين الثلاثة كُتاب العظام؛ من المحتمل أنه كان في سن الخامسة والعشرين حينما أُرسل ق. هيلاري إلى المنفى، لذا لا يمكن أن يكون أحدهم قد أثر بشكل جاد حتى على كتاباته المتأخرة. لكنهم قَدَّموا تعليم أفضل رجال المدرسة المحافظة بشكل أكثر كمالاً، وحينما نجد أن ق. هيلاري، الذي كان بمثابة أب للقديس باسيليوس والغريغوريان، له أفكار مشتركة معهم، والتي لا توجد لدى ق. أثناسيوس، فحينئذ يمكننا أن نعتبر هذا التعليم الخاص قد أثَّر على ق. هيلاري، الذي سبق وتهيأ عن طريق ولاءه لأوريجينوس للاستماع إلى ممثلي التقليد الأوريجاني، من هذه المدرسة اللاهوتية.

اقترب أشباه الأريوسيين Semiarians من الاتفاق الفكري مع النيقاويين بخصوص مساواة الابن في جوهر الألوهية، وكلا الجانبين قد ظُنَّ بصدقٍ أنهما على وفاق. بالتأكيد، من جهة ق. هيلاري كانت هناك رغبة شديدة للإيمان بهذه الوحدة، والتي قادته، كما سنرى، إلى محاولة سيئة الحظ

للدبلوماسية الكنسية. هناك دليل أخر على الاتصال مع المدرسة الشرقية، ألا وهو التعبير الشهير 'الله الابن الوحيد'، والذي وظَّفه ق. هيلاري بحُرية كتعبير طبيعي عن فكره الخاص الأكثر عمقًا[15]. يقول د.هورت Hort إن المصطلح قد استخدمه ق. أثناسيوس مرتين فقط، مرة في الشباب ومرة في سِن متأخر، لكن هذا المصطلح كان دارجًا لدى اثنين من الكبادوك، ق. باسيليوس وق. غريغوريوس أسقف نيصص. لا بُد أنهما قد تعلماه من كاتب أسيوي معاصر معروف للقديس هيلاري، وورثاه منه. لكن حينما نَجِد أن ق. هيلاري يرفض معمودية الهراطقة[16]، وبالتالي يَضع نفسه في مقابل الرؤية الرومانية والغال منذ مجمع آرل سنة ٣١٤م، ثم نَجد هذا الرأي يتردد على لسان ق. غريغوريوس النزينزي، فلا بُد أن ننتبه إلى استقلال فكر ق. هيلاري عامةً.

مع هذه المعرفة الكافية باللغة اليونانية، والتعاطف الشديد والأُلفة الشديدة مع أساليب التفكير اليونانية، وَجد ق. هيلاري نفسه في صيف ٣٦٥م منفيًا في أسيا الصغرى. لقد كان نفيًا في أفضل الظروف، وكان هو لايزال أسقفًا على بواتييه، مِن وجهة نظر الحكومة، التي حَرمته فقط من الإقامة في إيبارشيته لأسباب صورية سياسية ليست متَّصِلةً باللاهوت. لقد حَصل على اتصالٍ حُرٍ مع أتباعه من الأساقفة في الغال بدون توقف، وسُمِح له بإدارة إيبارشيته الخاصة، طالما كانت الإدارة بالخطابات ممكنةً، وإيبارشيته

---

[15] Hort, *Two Dissertations,* p. 130.

[16] *عن الثالوث* ٨: ٤٠.

لَم تنساه. لقد عَلِمنا من سالبيكيوس ساويروس Sulpicius Severus أنه هو، والآخرين مِن الزمرة القليلة المنفية، الذين كابدوا النفي في آرل وميلان وبزييه، كانوا أبطال تلك الأيام في بلادهم[17]. إن معاناة الأساقفة الأرثوذوكس من أجل الإيمان كانت أمرًا جديدًا في الغرب، ولا يمكننا أن نتعجب من ظهور الدعم لهم، ومن أن الوفود قد أُرسِلَت لتؤكِّد لهم تعاطف رعيتهم معهم. بالنسبة لرجل مثل ق. هيلاري، لديه القدرة والمهارة، والرتبة الأسقفية المعترف بها، والأرثوذكسية غير المشكوك فيها، فإن الموقف قد قَدَّم له أكبر خدمة، وتدعيمًا أكثر مما كان يتمتع به قبل ذلك. لَم تُوضَع أيَّة قيود على تحركاته، طالما حافظ على الحدود المخصَّصة له. لقد كانت له فرصة سانحة للسفر أو الدراسة، والمال الذي يحتاجه للصرف على رحلاته، وشيء من المجد الذي قد ناله المعترفون. تحركاته كانت محدودةً في تلك المنطقة التي يمكنه فيها أن يَعرف الكثير بخصوص قضية الساعة، وأن يفعل ما هو أكثر لأجل حَلِّها. في الواقع، لقد تأذَّى قنسطنطيوس من إرسال ق. هيلاري إلى منفى مثل هذا، ولم ينجح في بلوغ هدفه من الوحدة بطريقة التسوية. في هذه الحالة، مثلما في حالة أريوس وق. أثناسيوس وأخرين كثيرين، أصبح النفي وسيلةً فعالةً لنشر وتقوية العقائد. رغم أن ق. هيلاري لم يُقدَّر له النجاح الكبير، كما سنرى، في المجمع الذي حضره، إلا أن حضوره أثناء هذه السنوات الحرجة، في الإقليم الذي يوجد فيه الرجال الذين كانوا يرتقون

[17] *Chron.* ii. 39.

تدريجيًا إلى الحق الكامل، كان له تأثير على نموهم الروحي. بالتأكيد أن إقامته في أسيا قد ثبَّتت وأَغنَت فهمه الخاص للإيمان.

مِن المؤكَّد أن ق. هيلاري كان مشغولاً بكتابة عَمله العظيم *'عن الثالوث'*، وبعض أجزاء منه قد نُشِرَت بالفعل أثناء النفي. لكن لأن هذا العمل في صورته النهائية يبدو أنه ينتمي للمرحلة التالية في حياة ق. هيلاري، فسوف يكون حسنًا أن نؤجِّل التأمل فيه حاليًا، ونتقدم في الحال إلى اشتراكه في العمل التوافقي في ذلك الزمن. ليست لدينا معلومة بخصوص سيرته قبل سنه ٣٥٨م، لكن من الضروري أن نقول شيئًا عن الأحداث المهمة التي سبقت نشره لكتاب *'عن المجامع'* واشتراكه في مجمع سلوقيا Seleucia.

إعلان الأريوسية عن نفسها بوضوح في سيرميام

لقد كان الوقت مناسبًا لتكوين تحالفات جديدة بين الأحزاب. الأريوسية كانت تُعلن نفسها صراحةً، إذ لم تجرؤ قبلاً على فعل ذلك منذ مجمع نيقيه. في عام ٣٥٧م أَصدر عدوا ق. هيلاري، أورساكيوس وفالنس، في مجمع سيرميام Sirmium الثالث (في إقليم الليريكوم الذي هو ألبانيا حاليًا)، قانون إيمان أريوسيًا بدون كتمان. لقد كان بالتأكيد ضَربةً لسياسة الإمبراطور التوافقية بشكلٍ أكثر خطورةً مما قد تجرأ عليه ق. أثناسيوس وق. هيلاري. لكنه كان عمل أصدقاء الإمبراطور، وقد أَظهر أن البلاط قد تمت استمالته إلى الحزب المتطرف، في حين كانت قوَى المحافظين لاتزال هي

الأقوى. خلال أشهر قليلة، في بداية سنة ٣٥٨م، انقسم الأساقفة الأسيويون الكبار سريعًا حول مسألة ألوهية الروح القدس، لكنهم ظلُّوا متَّحِدين. باسيليوس أسقف أنقرة Ancyra، ومقدونيوس وآخرون، التقوا في أنقرة وتبرأوا من الأريوسية، بينما تجاهلوا، حسب عادتهم، تعريف نيقية. ثم تقدم مندوبوهم إلى البلاط، في Sirmium، وأعادوا قنسطنطيوس إلى موقفه الأول. أورساكيوس وفالنس، اللذان لم تكن لديهما شكوك، قد وقَّعا على قانون إيمان محافظ، كما فَعل ليبريوس أسقف روما الضعيف Liberius، الذي كان يتوق للهروب مِن المنفى الذي قد أُرسل إليه رسميًا بعد مُدة قليلة من عقاب ق. هيلاري. لقد كان انتصارًا عظيمًا استمالة أسقف بهذه الشهرة بأن يضعف - ولا يمكننا أن نقول بأن يُنكِر- إيمانه الخاص وإيمان الكنائس الغربية. لقد كان القادة الأسيويون مصممين على جَني ثمار الانتصار. في الواقع، لقد سُمح لليبريوس بالعودة إلى الوطن، لأنه قد أكد الخضوع، والمحافظون لم يكن لهم صراع مع هؤلاء المتمسكين بعقيدة وِحدة الجوهر *homoousion*. أمَّا الأكثر شهرةً بين قادة أسيا، الذين فعلوا ما يرضي ضميرهم من جهة اعتقاداتهم الراسخة، وقد كانوا حوالي ٧٠، فقد تم نفيهم. لقد اقتنع قنسطنطيوس سريعًا في الواقع بإعادتهم بسبب تأثيرات أخرى، لكن الاختلاف اللاهوتي قد ازدادت مرارته بسبب إحساس الجرح الشخصي، وأصبحت الصراعات الأخرى محتومة بين المحافظين والأريوسيين.

اقتراب الحزب الأرثوذكسي مِن الحزب نصف الأريوسي

لقد كان من الضروري أن يتعامل ق. هيلاري مع هذا الحزب المحافظ المنتصر في هذه اللحظة. قادة هذا الحزب، وبالأخص باسيليوس أسقف أنقرة، كان الإمبراطور يَسمع لهم، وبدا أنهم يحملون مستقبل الكنيسة بين أيديهم. ق. هيلاري كان على علاقة صداقة مع باسيليوس، والذي كان مشترِكًا معه في أمور كثيرة، وراسل أساقفة الغرب بالنيابة عنه. لقد كان بالتأكيد، بسبب الامتزاج الخاص الموجود داخله بين الشرق والغرب، ربما هو الرجل الوحيد الذي أمكنه لعب الدور الذي تعهده. لقد كان ق. هيلاري أرثوذكسيًا بالتمام، ومع ذلك لم يكن لديه تحيُّز لصالح التعريف النيقاوي. مِثله مِثل الجيل المبَكِّر من أساقفة الشرق، كان يكفيه قانون الإيمان الرسولي[١٨]، النموذج التقليدي للغرب، لتوضيح فكره الخاص الدقيق. كما أنه لو كانت الغيرة الشخصية من ق. أثناسيوس ومدرسته من قِبل الأسيويين المحافظين إحدى العوائق الرئيسية للسلام، فإن ق. هيلاري هنا أيضًا لديه

---

[١٨] "أؤمن بالله الآب القدير، خالق السماء والأرض؛ وبيسوع المسيح، ابنه الوحيد ربنا؛ الذي حُبِل به بالروح القدس، المولود من العذراء مريم، الذي تألم في عهد بونتيوس بيلاطس، وصُلِب، ومات، ودُفن، ونزل إلى الجحيم؛ وفي اليوم الثالث قام من الموت؛ صعد إلى السموات، وجلس عن يمين الله الآب القدير؛ وسوف يأتي ليدين الأحياء والأموات. أؤمن بالروح القدس؛ وبالكنيسة المقدسة الجامعة؛ وبشركة القديسين؛ وبغفران الخطايا، وقيامة الجسد؛ والحياة الأبدية. أمين".

Swete, H. B. (1899). *The Apostles' creed: Its relation to primitive Christianity* (3d ed.) (101). Cambridge: University press.

بعض المميزات. لقد رأينا أنه لم يكن هناك اتصال شخصي بينه وبين ق. أثناسيوس. لقد أمكنه أن يتجاهل، وربما كان يجهل بالفعل، التنافر بين أسيا والإسكندرية. لم يكن تابعًا تبعيةً مطلقةً لتعليم ق. أثناسيوس. لقد رأينا أنه في بعض الوِجهات المهمة كان مفكرًا مستقلاً، وفي وجهات أخري يكون على أرضية مشتركة مع الكبادوك، وخُلفاء الفكر الأفضل لهؤلاء الرجال مثل باسيليوس أسقف Ancyra. كما لم يكن بأية حال من الأحوال تحت أية شبهة من أن يكون متورطًا في هرطقة مارسيللوس Marcellus. لقد كان تقليدًا معتبرًا للبلاد المسيحية الشرقية أن تكون يقظًا من اندمال جرح مثل هذه الهرطقة على هذا الفساد، الذي قد أعاد ضلالات بولس السموسطائي[١٩] وسابيليوس[٢٠]، وبدا أكثر جسامةً بين كل الأخطاء المتاحة في أسيا. مارسيلُّوس قد اِعتبر تعليمه سلاحًا للدفاع عن إيمان نيقية. لو كان

---

[١٩] أسقف هرطوقي، رُسم أسقفًا على أنطاكية حوالي سنة ٢٦٠م. أُدينت تعاليمه عن شخص المسيح في مجمعين أو ثلاثة في أنطاكية وعُزل سنة ٢٦٨م. لقد كان يُعلِّم عن أن **الكلمة** كان ببساطة صفة الآب، عقله وقوته، وأن **الكلمة** قد حل بالتجسد في الإنسان يسوع، مما جعله ابن الله.

[٢٠] هرطوقي من القرن الثالث، قد يكون من روما، لكن بعض الكُتاب يقولون إنه من ليبيا أو الخمس مدن. كان ينادي بأن الله أقنوم واحد أعطى الناموس لبني إسرائيل بصفته الآب، وصار إنسانًا في العهد الجديد بصفته الابن، وحلّ على الرُسل في عُلِّية صهيون بصفته الروح القدس، ولما عرف البابا ديونيسيوس الكبير أمره قاومه بشدة، وانتهى الأمر أخيرًا بحرم سابيليوس في مجمع عقد سنة ٢٦١م. راجع: تادرس يعقوب ملطي (القمص): *قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنيسة*. الإسكندرية: مارجرجس سبورتنج، نسخة إلكترونية.

تعليمه بين التعاليم الأكثر جسامة ضد الأريوسيين، لَبدا جيدًا أنه لم يكن هناك الكثير للاختيار بين الاثنين. ورغم أن ق. أثناسيوس لم يدِن مارسيلُّوس أبدًا، والغرب قد حَكم أكثر من مرة بأنه بريء، إلا أن الشعور العام للشرق كان ضده بشكل حاسم، وكان مرتابًا بشدة من إظهار التعاطف معه. علاوة على ذلك، عن طريق واحدة من هذه التعقيدات الشخصية مع المعارضة اللاهوتية التي كانت للأسف مترددةً، كان باسيليوس متحكمًا في هذا الكرسي الموجود في أنقرة، والتي منها قد طُرد مارسيلُّوس الهرطوقي. لقد رأى ق. هيلاري، الذي لم يكُن مهتَّمًا بكل هذا، أملاً جديدًا للكنيسة في أصدقائه الأسيويين، وكل ميوله الفكرية لا بُد أنها كانت مفاجئةً مُرحَّبًا بها بالنسبة لهم، إذ قد اعتادوا على إتهام الغرب لهم بالسابيلية. لأول وهلة يبدو المشهد عادلاً. لقد بدا الإيمان مدعَّمًا من قِبَل الإمبراطور، وحتى ق. أثناسيوس نفسه، المشهود له في أسيا، ربما يستعيد مركزه. ومع ذلك لم يكن ق. هيلاري يبني على أساس صحيح. الحزب نصف الأريوسي لم يكن متحدًا. ربما لم يرتاب ق. هيلاري، أو ربما، في حماسته للقضية، قد أخفى عن نفسه حقيقة أن في التعليم عن الروح القدس تكمن بذار النزاع التي كانت على وشك فَصل أصدقائه بعيدًا عن بعضهم البعض، كبُعد أريوس عن ق. أثناسيوس. هؤلاء الأصدقاء، كجماعة، لم يكونوا مدعِّمين للإيمان بكفاءة. كان هناك الكثير من الرجال المخلصين بينهم، لكن هؤلاء كانوا مختلطين مع المغامرين، الذين استخدموا التعارض كطريقة للحصول على المنصب، بتردد أقل من الأساقفة الأخرين الذين تباطأوا نحو الوصول للبلاط

الملكي. لكن العائق القاتل للنجاح كان اعتماد الخطة كلها على مساعدة قنسطنطيوس. باسيليوس وأصدقاؤه قد امتلكوا الخطة في ذلك الوقت، لكن خصومهم كانوا رجالاً لهم مهارة أكبر وتردد أقل منهم. فالنس وأورساكيوس ومماثلوهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم لاستعادة غلبتهم والاستمتاع بالانتقام. إنه أمر هام أن ق. أثناسيوس، كما يبدو، لم يكُن له اشتراك في آمال وخطط ق. هيلاري لضَم الشرق والغرب معًا. لقد كانت له معرفة لا تُبارَى بالظروف، وعقل منفتِح، مُريدًا أن يرى شيئًا حسنًا لدي أنصاف الأريوسيين. كانت لديه خطة تحتوي على عناصر النجاح التي قد تُقدِّم له التعضيد المتحمِّس. من ثَم فقد ألقى ق. هيلاري نفسه بكل أمانة داخل هذا. نحن نعلم أنه سافر لمسافة كبيرة، إلى درجة أن الرسائل التي أُرسلت إليه من بلاد الغال لم تَصل إليه حتى سنة ٣٥٨م، وهي كانت مسألةً خطيرةً. لقد رأينا أن المنفيين من الغرب قد حصلوا على تدعيم شديد من رعيتهم. ثقل ق. هيلاري كمندوب لا بُد أنه قد اعتمد على المعرفة العامة، حتى إنه لم يكن واقفًا وحده، بل قدَّم الرأي الشعبي لإقليم كبير.

بداية كتابة مقالاته المعروفة بـ *'عن المجامع'*

لأجل هذا السبب، مثلما أيضًا لأجل سلام عقله، لا بُد أن مجيء الرسائل في النهاية قد أراحه، إذ أن أصدقاءه لم ينسوه ولم يهجروه، فانتهز فرصة الرد بأن يرسل إلى أساقفة كل المقاطعات الغالية والبريطانية الرسائل الدورية التي نسميها *De Synodis* *'عن المجامع'*. لقد كانت محاولةً

مقتدرةً ومكتوبةً بشكل جيد لشرح الموقف الشرقي للَّاهوتيين الغربيين، وفيه يُظهِر أن قوانين الإيمان الشرقية، التي قد تألفت منذ نيقية، قد تأثرت بالمعنى الأرثوذكسي، وكَشفَت بسلاسة عن جَدارتها، بما يتعارض مع الهرطقة التامة للقانون الثاني الأريوسي من قوانين مجمع سيرميام، والذي قد ذَكره بتوسع. لقد حَث الشرق على أن يتقدم نحو وضوح قانون الإيمان النيقاوي، وحَث الغرب على الترحيب بالدلائل الأولى لهذا التقدم. نحن لا نَعلَم رأى ق. أثناسيوس في هذا العمل؛ لا يمكننا التخمين بأن عمله الخاص، الذى حمل نفس العنوان، وكُتِب في السنة التالية، حينما ثَبُت عدم جدوى الأمل الذى جعل ق. هيلاري يطفو، كان نقدًا صامتًا لكتابه. إنه على الأقل نجاح في حد ذاته، وكان خطوةً نحو الانتصار النهائي للحَق؛ لا يمكننا أن نقول الكثير عن جهد ق. هيلاري رغم أن هدفه كان مدهِشًا، وأنه لا بُد أن يكون قد وَهب شيئًا ما لتنعيم الحدة. لكن الإسكندرية والغال كانتا بعيدتين، وبينما كانت الأولى تثير اشمئزاز الإمبراطور، كان للأخرى تأثير قليل عليه. لقد بدا القرار موضوعًا في أيدي باسيليوس أسقف أنقرة وزملائه. لا بُد أن الرجال الذين كان يسمع لهم قنسطنطيوس، والذين أثاروه مؤخَّرًا لمعاقبة الأريوسيين، قد استغلوا تأثيرهم لأجل عودة المنفيين الذين كانوا يُعانون لمعاداتهم للأريوسية؛ لو شاركهم الغرب، حتى ولو قلبيًا، في هذا التأثير، لكان هذا قويًا بما فيه الكفاية لضمان عودة ق. أثناسيوس نفسه. مثل هذه الأفكار كانت حاضرةً بالتأكيد في عقل ق. هيلاري، حينما لوَّن صورة المجامع الشرقية بلمعانٍ شديد، وأَظهر قنسطنطيوس كمؤمن بريء قد أُتيه

قبلاً، لكنه عاد إلى الايمان[21]. لقد توقَّع السلام للكنيسة من القادة أنصاف الأريوسيين المتحكمين في سياسة قنسطنطيوس، وإعادة المنفيين وإزالة الأريوسية. فإن كان إلى حدٍ ما قد خَدع نفسه، وكان يريد أن يُصدِّق ويُقنِع الآخرين بأن إيمان وهدف باسيليوس ورفاقه مختلف عما كان في الحقيقة، إلا أننا يجب أن نتذكر أن التمييز بين الصديق والعدو كان مستحيلاً تقريبًا في ذلك الوقت.

لم يكن الوقت قد حان للتفاهم بين الشرق والغرب، والأسيويون الذين وَضع ق. هيلاري ثقته بهم لم يكونوا - ولا كانوا مستحقين أن يكونوا - مجددي الكنيسة. لقد كَمُل انتصارهم، لكن الإمبراطور كان متقلبًا، وخصومهم كانوا رجالاً أذكياء، إذ قد قادوا رأيه قبلاً، وعَلِموا كيف يسترجعون مكانتهم. وكما نَعلَم، فإن سياسة قنسطنطيوس كانت هي التسوية، وربما بدا له أن التشويش السائد كان لِيَبطُل لو أمكن فقط ابتكار وقبول صيغة شاملة بشكلٍ كاف. لقد كانت سياسة الحزب الجديد الذي كوَّنه فالنس مع الأريوسيين مِن كل لون، الذين ربحوا رضا قنسطنطيوس خلال سنةٍ من انتصار أنصاف الأريوسيين، 'محبةً ظاهرها حسن، وغموضًا شاحبًا'[22]. لقد تم إذلالهم وأُجبروا على التوقيع على اعتراف لم يؤمنوا به، وكثيرون منهم قد قاسوا نفيًا مؤقتًا. إنهم الآن على وشك الثأر. لم تكن فقط علاقات الشركة المتبادلة رخوةً جدًا، حتى إنه وجب على الأريوسيين

---

[21] *Syn.* 78.
[22] Gwatkin, *Studies of Arianism,* p. 163.

المتطرفين أن يكونوا من دون كُلفة مع الكنيسة، بل بحسب التغيير الجديد في القيادات الكنسية، يُسلِّم أنصاف الأريوسيين كراسيهم لأعدائهم.

مجمعا ريميني وسلوقيا والنفي الثاني

كان لا بُد من انعقاد مجمع للوصول إلى هذه الأهداف. التاريخ العام لمكائد الحزب المؤمن بأن الابن كان فقط شبيه بالآب، الذي يُطلق عليه 'الهوموي‌ان' Homoean[٢٣]، وتقسيمهم للقوى التي عارضتهم بجمع المجمع الغربي في ريميني Rimini والشرقي في سلوقيا Seleucia[٢٤]، والنصر

---

[٢٣] وهم حزب أريوسي نشأ سنة ٣٥٥م تحت قيادة أكاكيوس أسقف قيصرية لرفضهم عقيدتي تشابه الجوهر *homoiousion*، ومساواة الجوهر *homoousion*، إذ أرادوا اقتصار الكلام اللاهوتي عن شخص الابن لتأكيد أنه كان مثل الآب *homoios*. لكنهم لفترة وجيزة كانوا قريبين من الشركة مع أنصاف الأريوسيين الأكثر أرثوذكسية.{م}

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983, p. 662.

[٢٤] مجمعا ريميني وسلوقيا يمثلان مجمعًا واحدًا في موقعين، عُقدا بناءً على طلب الإمبراطور قنسطنطيوس الثاني عام ٣٥٩م، وكان هدفهما مساندة الجانب الأريوسي بالرغم من قلة عددهم. كان المطلوب هو إرسال مندوبين عن كل مجمعٍ ليلتقيا في نايك Nike بتراقيا Thrace لتوحيد نتائج المجمعين. في الجانب الغربي اشترك ٤٠٠ عضوًا في مجمع ريميني (أريمينم Ariminum) بإيطاليا، ورأى الأغلبية أن قانون الإيمان النيقاوي فيه الكفاية، وأنه يجب وضع حرمان ضد الأريوسية. التقى الطرفان (الأرثوذكس والأريوسيون) من كنائسٍ متعددةٍ بعد رفض الاقتراح الأريوسي بأن التعبيرين 'من ذات الجوهر' (*ὁμοούσιος* / *هوموؤوسيوس*) و 'من جوهرٍ مشابهٍ' (*ὁμοιούσιος* / *هوموي‌وسيوس*) ليسا كتابيين، وأن المعنى الأدق هو 'مثل أو شبه' (*ὅμοιος* / *هوموي‌وس*). استُبعَد قادة الفكر الأريوسي، لكن الإمبراطور عاد فساندهم. أما في الموقع الآخر الشرقي وهو سلوقيا أسبيرا Aspera عاصمة

الواضح الذى حصلوا عليه بنفاقٍ مُخزٍ في الأول، هو في غير محله. لقد كان ق. هيلاري وأصدقاؤه الأسيويون مهتمين فقط بالمجمع الذى اجتمع في سلوقيا في سبتمبر ٣٥٩م. أراد الإمبراطور، الذى كان يرجو الوصول إلى تسوية نهائية، أن يكون المجمع أكبر ما يمكن، وحكام المقاطعات أجهدوا أنفسهم في جمع الأساقفة، وتوجيههم نحو سلوقيا على نفقة الدولة، كما كان معتادًا.

كانت النتيجة هي نفي ق. هيلاري - الذى كان أسقفًا له إيبارشية خاصة، وله أرثوذكسية غير مشكوك فيها - مع البقية، مُتَّهَمًا ظاهريًا بجريمة سياسة، وقد تَلقَّى أمرًا بأن يلتزم بعقوبة الدولة[٢٥]. لكن كيف انقلب الوضع هكذا سريعًا؟

كان أصدقاؤه من أنصاف الأريوسيين هم الغالبية بنسبة ثلاثة إلى واحد، في المجمع الذى كان حاضرًا به حوالى ١٦٠ أسقفًا؛ لو جُمع النيقاويون

Isauria (في جنوب تركيا الحالية) فكان المشتركون فيه ١٦٠ عضوًا طالَب أغلبهم بتعبير (ὁμοιούσιος)، وطالبت القِلة الأريوسية، وكان عددهم ٥٠، بالتعبير (ὅμοιος) ورفضوا التعبيرين الآخرين، وحرموا القائلين (ἀνόμοιος / *أنوموويوس*) 'غير مشابهٍ'. رُفض رأيهم عندما أعلن أكاكيوس أسقف قيصرية أن الابن لم يكن إلا مشابه للآب في الإرادة. استُبعد الأريوسيون لكن ساندهم الإمبراطور. استطاعت القِلة في المجمعين التي هي ضد قانون الإيمان النيقاوي أن تتمتع برِضى الإمبراطور. التقى مندوبون من المجمعين في Nike وقبلوا قانون الإيمان الأريوسي بعد أن قيل لكل طرفٍ أن الطرف الثاني قد قبله، ووُضع قانون Nikene لكي يختلط على البسطاء على أنه قانون الإيمان النيقاوي.

Ferguson: *Encyclopedia of Early Christianity*, Everett Butler, 1999 May 13.{م}

[25] Sulp. Sev., *Chron.* ii. 42.

المصريون صُلاب الرأي، والأريوسيون المتعصبون معًا، فلن يشكلوا أكثر من رُبع الحاضرين. رُحِّب بالقديس هيلاري بشكل حارٍ، وكما بدا كان الترحيب بالإجماع؛ لكن كان يجب عليه أن يُنكِر، لأجل مصلحة الكنيسة في الغال، تُهمة السابيلية، ويُقدِّم سببًا لترحيب الغرب بمارسيلُّوس. لقد أَقر بإيمانه وفقًا لقانون الإيمان النيقاوي[٢٦]. لا يمكننا أن نشُك في أنه استخدم نفس كلماته، لأن ق. هيلاري لم يكن الرجل الذى يتراجع عن موقفه، ومصطلحات اتحاده مع مدرسة باسيليوس أسقف أنقرة لم تكن تحتاج لأي إنكار. أنصاف الأريوسيين الأقوياء بسبب عددهم، والذين ظُن أنهم ما زالوا ينالون رضا الإمبراطور، قد اكتسحوا كل شيء أمامهم. لقد تبنّوا قانون الإيمان الغامض لمجمع التدشين[٢٧] Dedication الذي انعقد في أنطاكية، لأن النيقاويين كانوا أقلية ضعيفة؛ وقد أعادوا قضيتهم عن قطع الشركة مع الأريوسيين الذين كانوا لا يزالون أقل في العدد. لقد جازفوا حتى برسامة خليفة لأودوكسيوس Eudoxius، واحد من أكثر المتطرفين، على الكنيسة العظمى في أنطاكية. انتخب المجمع لجنة من عشرة قادة من الأغلبية ليقدموا للإمبراطور تقريرًا عن أعمال المجمع، وتفرقوا. بالرغم من وجود بعض الإشارات المنذرة بالسوء على عناد الحزب الأريوسي، ورضا رجال

---

[26] *Ibid.*

[٢٧] عُقد بمناسبة تكريس كنيسة قسطنطين الذهبية في أنطاكية، وكان أول مجامع القرن الرابع التي انعقدت للتنازل عن لاهوت نيقية. حضره ٩٧ أسقفًا إلى جانب الإمبراطور قنسطنطيوس نفسه. أُصدِرَت أربعة قوانين على الأقل، وكُلها كانت لاستبدال قانون إيمان نيقية.{م}

الدولة عنهم، إلا أنه يبدو أنهم قد نجحوا في ترسيخ النتائج التي حصلوا عليها في أنقرة قبل سنتين بشكل أكثر ثباتًا، وصفعوا لطمةً أخرى للهراطقة بشكل مؤثر. لكن حينما وَصل الوفد الذى سافر معه ق. هيلاري إلى القسطنطينية، وَجدوا أن الموقف قد تغيَّر بالكامل عمَّا كانوا يتوقعون. الحزب المدبِّر للمكائد الذى كان هدفه هو معاقبة وعَزل أنصاف الأريوسيين قد دَبَّر مؤامرةً مزدوجةً. لقد وَصفوا للإمبراطور المجمع الغربي على غير الحقيقة، بحسب هواهم، وَضَحّوا بزملائهم الميالين للأريوسية. لقد كرهوا أولئك الذين تمسَّكوا بتشابه الجوهر، مثل باسيليوس أسقف أنقرة، الذين ينادون بأن الابن من طبيعة مشابهة للآب؛ وقد رَفض الإمبراطور بكل صِدقٍ الأريوسية المنطقية التي قالت إنه مِن طبيعة غير مشابهة. لقد تخلّوا عن أصدقائهم كي يحثوا قنسطنطيوس على التضحية بمشيريه القُدامى من أنصاف الأريوسيين، وعرضوا بنجاح صيغتهم الجديدة عن تشابه الطبيعة، بأن الابن 'مثل الآب في كل شيء، كما يقول الكتاب المقدس'. لم تُذكَر طبيعته، إذ أن الكلمات الأخيرة كانت إذعانًا بسبب ارتياب الإمبراطور. سوف نرى حالاً أن هذا الانفصال عن الأريوسيين الثابتين، هو مسألة لها أهمية ما في تاريخ كتابه *'عن الثالوث'*، لكننا في الوقت الحالي سوف نتتبع نجاحه هو وحلفائه. لقد سافر معهم إلى القسطنطينية، وهذا كان بحسب الظاهر مخالفةً للأمر الذى أُعطي له بحَبس نفسه في إيبارشية أسيا؛ لكنه قد أُمِر بالفعل بأن يسافِر إلى سلوقيا، والتي تقع بعيدًا عن هذه الحدود، ورحلته إلى القسطنطينية ربما كانت استكمالاً شرعيًا لرحلته السابقة. في جميع

الأحوال لَم تتم مضايقته، وسُمِح له بالظهور مع وفد من سلوقيا في قَصر القسطنطينية. استمرت النزاعات العنيفة بخصوص الإيمان حتى آخر شهرين من سنة ٣٥٩م، لكن الإمبراطور كان ثابتًا على قراره بالسعي في إتمام التسوية التي يجب أن تَضُم كل فرد لم يكن أريوسيًا متطرفًا أو أريوسيًا بكل قلبه، وقادة حزب مشابهي الابن بالآب Homoean قد دعموه بذكاء ودنائه. لقد زوروا مَغزى مجمع ريميني وأنكروا أريوسيتهم، وقنسطنطيوس أيَّدهم بتهديدات ضد وفد سلوقيا. لم يكن للقديس هيلاري بالطبع موقفًا قانونيًا، وأمكنه الكلام فقط عن نفسه. لقد بدا أن الكنيسة الغربية قررت ما يُخالِف إيمانها، وقرار الشرق، الذى قدَّمه العشرة المفوضون، لم يكن قد وضح بعد، رغم احتمالية خضوعهم تحت الضغط الذى وُضع عليهم، وهجرهم لاعتقاداتهم الراسخة، واعتقادات أولئك الذين يحملون تفويضهم من أعضاء المجمع. في تلك المواقف كانت للقديس هيلاري الشجاعة الكافية لتقديم استغاثة شخصية لقنسطنطيوس[٢٨]. مِن المثبت حتى الآن أنه كان كثير الرجاء، أو على الأقل أنه يفكر بأن الأمر جديرًا بالمحاولة. إنه يَكتُب بنفس التواضع المعهود الذى وجدناه في رسالته السابقة إلى الإمبراطور: 'قنسطنطيوس فائق التقوى'، 'الصالح والمتدين'، 'الرحوم جدًا' وغيرها. إن الإخلاص الموجود في الاستغاثة واضح جدًا؛ ق. هيلاري مازال

---

[28] Sulp. Sev., *Chron.* ii. 45.

يقول ساويروس إنه قدم في ذلك الوقت ثلاثة التماسات للإمبراطور، وهذا جائز، لكن يبدو أنه كان يقصد الالتماس الذي قُدِّم قبل النفي، والالتماس الحالي، ثم الرسالة ضده.{م}

يُصدِّق، أو يحاول أن يُصدِّق، أن الإمبراطور الذى كان منذ عهد قريب في جانب باسيليوس أسقف أنقرة وأصدقائه، وأهان ونفى أعدائهم، لم يتحول مرة أخرى إلى الرضى عن حزب فالنس. لقد كَتَب الرسالة بعزَّة نفس في الأسلوب والمحتوى.

محتوى الرسالة الثانية لقنسطنطيوس

يبدأ ق. هيلاري بتوضيح أن أهمية موضوعه هو لفت الانتباه، مهما كانت حقارة المتكلم؛ ومع ذلك فإن مركزه يعطيه الحق في الكلام (فقرة ٢). إنه أسقف له شركة مع كل الأساقفة والكنائس في الغال، ولا يزال حتى هذا اليوم يوزِّع الإفخارستيا بأيدي كهنته لكنيسته. إنه في المنفى، هذا صحيح، لكنه غير مذنب؛ اتُّهِم زورًا عن طريق رجال ماكرين ربحوا أُذن الإمبراطور. لقد التجأ إلى معرفة يوليانوس ببراءته، وكان الألم الناتج عن حقد أعدائه أقل وقعًا عليه بالتأكيد مِن خزي إدارة يوليانوس، التي خَضع لها. المرسوم المَلَكي بالحُكم على ق. هيلاري بالنفي كان علنيًا، لكن الأمر الواضح هو أن التُهَم التي بسببها حُكم عليه كانت على أساس خاطئ. ساتورنينوس، المهيِّج النشِط، إن لم يكن المحرض على الهجوم، كان الآن في القسطنطينية. ثُم يَعِد بثقة بإظهار أن الإجراءات كانت خدعةً لقنسطنطيوس، وإهانةً ليوليانوس؛ لو فَشل، فلن يمكنه أن يقدم بعدها التماسًا أطول بأن يُسمَح له بالعودة لممارسة وظيفته، بل سينسحب ليقضي بقية عمره كعلماني يُقدِّم توبةً. لأجل هذا الغرض طَلب أن يواجه ساتورنينوس (فقرة ٣)، أو بالحري

يُسلِّم جدلاً بأن قنسطنطيوس سوف يَفعل كما يريد. ثم يترك الإمبراطور لكي يَفصِل في كل ظروف الجدال، والتي فيها سوف ينتزع اعتراف ساتورنينوس بكذبه. لقد وَعد مؤقتًا بأن يصمت عن الموضوع إلى أن يأتي الوقت المحتوم. ثم تَحوَّل بعد ذلك إلى القضية الكبيرة المعاصرة. الخطر المُحدِّق بالعالم، خطيئة الصمت، دينونة الله، قد ملأوه خوفًا؛ إنه مضطر للكلام حينما يكون خَلاص نفسه هو والإمبراطور والجنس البشري في خطر، وقد شجَّعه وعي الشعب الذى تعاطف معه. لقد دعا الإمبراطور (فقرة ٤) للعودة إلى الإيمان الذى - كما يقول - يشتاق قنسطنطيوس إلى أن يَسمعه عبثًا من أساقفته. إن هؤلاء الذين مهمتهم هي الإعلان عن الايمان بالله، قد تم توظيفهم بدلاً من ذلك لأجل تأليف معتقدات مِن تأليفهم هُم، لذا فإنهم يَدورون في دائرةٍ مِن الخطأ والنزاع الذي لا ينتهي. لا بُد أن يُقنِعهم الإحساس بالضَعف البَشري بالتمسك بالإيمان، بنفس هيئة الكلام التي قد تسلموها. لقد أقروا وأكدوا إيمانهم في معموديتهم، 'باسم الآب والابن والروح القدس'، لذا فالشك أو التغيير كليهما غير شرعي. ومع ذلك فهم كانوا يستخدمون الكلام المقدس، لكنهم حددوا لأنفسهم معنىً آخر بشكل غاش، وتجرأوا على أن ينصرفوا عنه. وهكذا بالنسبة للبعض كانت الثلاثة أسماء المقدسة ألفاظًا خاويةً. هنا تكمُن البدعة في شرح الإيمان؛ البحث عن البِدَع صار عوضًا عن الخضوع للحق القديم، وقانون إيمان تلك السَنة قد صار عوضًا عن قانون إيمان الأناجيل. كل واحد قد صاغ إيمانه تبعًا لرغبته الخاصة وشخصيته؛ بينما كُلَّما زادت قوانين الايمان، كُلَّما تلاشى

الإيمان الواحد. مُنذ مجمع نيقيه (فقرة ٥) لم تَعُد هناك نهاية لكتابة هذه القوانين. كان الرجال يتنازعون بنشاط شديد حول الكلمات، ويبحثون عن البدع، ويناقشون النقاط المعقدة، ويشكلون أحزابًا ويجدِّون في طلب الشهرة، ويرفضون الاتفاق ويرشقون بعضهم بعض بالحرومات، حتى انجرف الكل تقريبًا بعيدًا عن المسيح. لقد وَصل التشويش لدرجة أنه لم يعُد هناك أحد يمكنه أن يُعلِّم أو يتعلم بأمان. خلال السنة الأخيرة انتشرت أربعة قوانين متضادة على الأقل. لم توجد نقطة واحدة عن الايمان قد تمسكوا بها هم أو آباؤهم لم تطالها الأيدي العنيفة. القانون الحالي، الذى يُرثى له، هو أن الابن 'مثل الآب'؛ لكن هذا التشابه غامض، إذ هل هو كامل أم ناقص؟ لقد كانت نتيجة التغيير المستمر والنزاع الدائم خرابًا متبادلاً يُناقض نفسه. إن هذا البحث عن الإيمان (فقرة ٦) قد تضمَّن افتراض أن الإيمان الحقيقي لم يكُن جاهزًا لأن يتناوله المؤمنون. لقد كان مكتوبًا، لكن ليس في القلب. المعمودية تضمَّنت الإيمان، لكنها بلا فائدة بدون قبوله؛ التعليم عن مسيح جديد بعد المعمودية، أو تغيير الايمان ثم إعلانه، كان خطيةً ضد الروح القدس. السبب الرئيس لاستمرار التجديف الحالي هو حُب المدح؛ الرجال قد اخترعوا تفاسير منمَّقة بدلاً من قانون الإيمان الرسولي ليَغِشّوا الدارج، ويُخفون ضلالاتهم، ويصنعون تسويةً مع الصور الأخرى للخطأ. إنهم سيفعلون أي شيء بدلاً من أن يعترفوا بأنهم كانوا مخطئين. حينما ترتفع العاصفة (فقرة ٧) يعود البَحار إلى الميناء الذى كان قد تركه توًا؛ الشاب المبذِّر يعود الى العادات المُقتَصِدة في بيت أبيه، بعد ضياع أمله.

هكذا المسيحيون؛ مع تَحطُّم الإيمان الظاهر والميراث السماوي الذي ضاع تقريبًا، يجب أن يعودوا إلى الأمان الموجود في الأساس، ألا وهو قانون الإيمان الرسولي الموجود في المعمودية. لا يجب أن يدينوا كما الوقحين، أو ينتهكوا حُرمة الاعتراف النيقاوي، بل يَحذَروا مِن تقديم الفرصة للهجمات على الإيمان، ورَفْض الحقيقة على أساس البدعة. هناك خطر من أن تتسلل البدعة، ويُصفَح عنها كإصلاح لهذا القانون الإيماني؛ الإصلاح هو عملية لا تنتهي، تقود المُصلِحين لإدانة بعضهم البعض.

ثم يؤكد إعجابه الصادق بهدف قنسطنطيوس التقي (فقرة ٨)، واهتمامه بالبحث عن الحق، الذي مَن ينكره فهو ضد المسيح، ومَن يُلفقه فهو محروم. إنه يترجى الإمبراطور أن يسمح له بشرح الإيمان، في حضرته، قبل المجمع الذي يناقِش المسألة الآن في القسطنطينية. إن شرحه سوف يكون كتابيًا، وسوف يستخدم كلمات المسيح، الذي هو أسقفًا ومنفيًا لأجله. إن كان الإمبراطور يبحث عن الإيمان، فليسمعه، ولكن ليس من الكُتب الحديثة، بل من كُتب الله. حتى في الغرب يمكنه أن يُدرَس، إذ سوف يأتي بعض الذين سوف يجلسون على المائدة في ملكوت الله مِن الغرب. هذه ليست مسألةً فلسفيةً، بل هي بخصوص تعليم الإنجيل. إنه يسأل المستمعين بالحري لأجل الإمبراطور، ولأجل كنيسة الله، أكثر من نفسه. إنه متأكد مِن الإيمان الذي لديه؛ فهو إيمان الله، وهو لن يُغيِّره. لكن الإمبراطور لا بُد أن يَعلم (فقرة ٩) أن كل هرطوقي يُعلِن أن ما لديه هو تعليم كتابي. هكذا يمكن أن يقول مارسيلُّوس وفوتينيوس والباقون. ثم يصلي

(فقرة ١٠) لأجل اهتمام الإمبراطور بالأمر، قائلاً إن التماسه هو لأجل الإيمان والوحدة والحياة الأبدية. سوف يتكلم بكل احترام للمنصب الملكي لقنسطنطيوس، ولإيمانه، وما يقوله سوف يَتَّجه نحو السلام بين الشرق والغرب. ثم أخيرًا (فقرة ١١) يُقدِّم سلسلةً من النصوص التي سوف يَبني عليها جداله، كإطار للرسالة التي يريد أن يوصلها. هذا ما قد علَّمه الروح القدس أن يؤمن به. سوف يَتمسك بهذا الإيمان إلى الأبد، ويُخلِص لإيمان آبائه، وقانون إيمان معموديته، والإنجيل كما تعلَّمه.

هناك الكثير من الاعتبارات في هذا الخطاب الذي لا يمكننا أن نتعجب من عدم رد قنسطنطيوس عليه. لا يوجد أي شك في أن نفي ق. هيلاري كان لاعتبارات سياسية، وأن الإمبراطور، في هذه المسألة وفي المسائل الأخرى المتعددة من نفس النوع، قد تَصرَّف عمدًا وبكامل المعرفة بالظروف، بالطريقة التي بدت له أكثر أمانًا للحفاظ على السلام الدائم. إن افتراضات ق. هيلاري بأن قنسطنطيوس قد خُدِع هي تلميح حقيقي، لن يُسيء أحدٌ فهمه، لحقيقة لا يمكن إنكارها. وجوب كلامه كما فعل، ووجوب رفعه للقضية كلها في الواقع، هو علامة واضحة على الشك في الأحوال السائدة في تلك الفترة. الالتجاء المتخوف للرحمة كان بلا فائدة، لكن بالرغم من فشل التصريح الجريء بالبراءة، إلا أن الأمر كان يستحق الجهد للتحقُّق مِن تَقدُّم حزب مشابهي الابن بالآب Homoean. ساتورنينوس أسقف آرل، كما رأينا، كان واحدًا من حزب البلاط بين الأساقفة، وكان عدوًا ليوليانوس الجاحد، الذي كان على وشك السماح بعَزلِه.

معرفة يوليانوس بالقديس هيلاري كانت محدودةً؛ لقد بدأ نفيه خلال شهر أو اثنين من وصول القيصر للغال، ويوليانوس لم يكن مسئولاً عن هذا. كان لديه القليل لكي يقوله في هذه القضية، سواء بالخير أو بالشر. لكن الشُبهات كانت بالفعل قد ارتفعت، وأدَّت سريعًا إلى عِصيان يوليانوس، وقد بدأ قنسطنطيوس في إصدار الأوامر التي سوف تُقلِّل مِن قوة يوليانوس المسلَّحة، وكانت مقصودةً - كما افترَض - للإعداد لسقوطه. الالتجاء ليوليانوس والهجوم على ساتورنينوس كان لتذكير قنسطنطيوس بشكل واسع بأن المَصالح الكُبرى كانت في خطر، وأنه يمكن أن يكون هناك مَن يحمي قانون الإيمان الذي يضطهده. اهتمامه المزدوج بالغرب (فقرة ٨، ١٠)، من جهة القدرة على تعليم الحق، والاحتياج لأن يتصالح مع الشرق، له رنين سياسي. إنه يَفترض أن المقاطعات الغربية هي قوة متحدة، يجب أن يُقدرها الإمبراطور. حقيقة أن قنسطنطيوس لم يَهبه مضمون ما تَوسَّل لأجله، بالسماح له بأن يعود بدون عائق إلى إيبارشيته، قد أَظهرت أن الإمبراطور شعر بالاحتياج إلى الحذَر من الغرب، رغم أنه لم يُجِز اللقاء الذي طلبه ق. هيلاري في حضرته مع ساتورنينوس.

الجزء اللاهوتي في الرسالة هو الأكثر جدارة بالاعتبار. التعليم الموجود فيها، بالطبع، هو بالضبط الموجود في كتاب *'عن الثالوث'*. مُلخَّص إثباتات الكتاب المقدس للتعليم في الفقرة ١١، والوحي للصيادين غير المتعلمين

الذين صاروا معلمي الإيمان[٢٩]، وفقرات أُخرى متعددة، هي إمَّا توقعات أو ذكريات لذلك العمل. لكن أهمية الرسالة تكمُن في طلبها الجريء للبحث وراء كل قوانين الإيمان الحديثة، وفي التشويش الذي رُسمَت به الصورة الواضحة، والرجوع إلى صيغة المعمودية. هنا يوجد محارب قيادي في الجانب الأرثوذكسي يَطلُب في الحقيقة استرجاع اعتراف الإيمان النيقاوي: "في وسط هذا الخراب للإيمان، حينما تكون وراثة ميراثنا السماوي مبدَّدةً تقريبًا، يكمُن أماننا في التمسك بهذا الإيمان الإنجيلي الأول والوحيد الذي اعترفنا به وأدركناه عند معموديتنا، وبعدم إدخال أي تعبير في هذه الصيغة الواحدة، التي، حينما نُرحِّب بها ونستمع إليها، نحمل الإيمان الصحيح. أنا لا أعني أننا يجب أن نحكم على عمل مجمع آبائنا على أنه كتابة عديمة التقوي وتجديفية؛ مع ذلك فإن الرجال الطائشين يستخدمونها كوسيلة للمقاومة" (فقرة ٧).

لكن رغم أن دعوى ق. هيلاري كانت جريئةً وبليغةً وصحيحةً، إلا أن قادة حزب الهوموويان كان لهم النصر في أيديهم إذا ما استمر ق. هيلاري وأصدقاؤه في الظلام، وكانوا يَعلمون ذلك جيدًا. لم يريدوا الصُلح، بل الانتقام، وهذه الدعوى كان محكومًا عليها مسبقًا بالفشل. نهاية الأزمة قد جاءت سريعًا. قادة حزب أنصاف الأريوسيين قد عُزلوا، ليس بتهمة الهرطقة - لأن هذا سوف يكون مناقضًا لموقف الهوموويان، وأيضًا لقبولهم

---

[٢٩] قارن بما جاء في 'عن *الثالوث*' ٢ من فقرة ١٣ وما بعدها.

لصيغة الهوموين - بل بحجة السلوك، والتي كان الحكام دائمًا يلتجئون إليها حينما يكونون مضطرين. لم يكُن باسيليوس أسقف أنقره، صديق ق. هيلاري، هو وحده الضحية، بل وأيضًا مقدونيوس أسقف القسطنطينية، الذي سوف يصبح فيما بعد رئيس الحزب الذي أنكر ألوهية الروح القدس. ربما كان هو وأصدقاؤه غير مدرِكين في ذلك الوقت للهوة التي فصلتهم عن رجال مثل ق. هيلاري، الذين كانوا من جهتهم مكتفين في اهتماماتهم بالوحدة، باللغة التي تُقدِّم تصريحًا غير حقيقي عن إيمانهم، أو ربما لم يكُن لهم بَعد إدراكٌ واضحٌ لإيمانهم لهذه النقطة. على أية حال، كان من الأفضل ألَّا يحصل الإيمان الصحيح على النصر في ذلك الوقت. إن أعضاء الحزبين الشرقيين، مشابهي الابن بالآب Homoeans وأنصاف الأريوسيين Semiarians، اللذين قد طَردوا بعضهم البعض عن كراسيهم، كانوا متوازنين بتساوٍ شديد، ورغم أن قنسطنطيوس أصبح الآن في صف الحزب الأول، إلا أن صداقته لم يكُن من الواجب الثقة بها. الأرثوذكسية الصلبة للغرب كانت عاملاً مؤثرًا لا يمكن إنكاره، كما قد نَوَّه ق. هيلاري، وحتى في الشرق كان النيقاويون قوةً تستحق المصالحة معها. مِن ثَم فقد أَعطى الهوموين نصيبًا من غنائمهم للأرثوذكس. لقد سمحوا للقديس هيلاري بالعودة إلى الغال، ليس لخوفهم من جدالاته، بل هذا كان جزءًا من نفس السياسة. هناك أسباب حكومية، ورغبة كنسية أيضًا، قد أدت إلى عودته.

العودة من المنفى، ومضمون *'الطعن ضد قنسطنطيوس'*

رغم أن الإيمان قد عانى في الثورة المتأخرة، إلا أن هناك أفرادًا من الأرثوذكس قد ربحوا. لكن الحزب الذي قد ارتبط به ق. هيلاري، والذي كان ينتظر منه الكثير، قد تَحطم، ومصلحته الشخصية لم تُعوِّض خسارة الحق. لقد ترك لنا تذكارًا لمشاعره في *'الطعن ضد قنسطنطيوس' Invective against Constantius*، الذي هو واحد من أقسى مستندات الجدل الذي كان كل من ارتبطوا به جادين في التخلص من أعدائهم. إنه جزء عجيب من البلاغة المخضبة بالمشاعر، وهو بحسب قوانين التذوق لهذا الزمن، كامل، رغم أنه تلقائي. يجب أن نتذكر أن تعليم تلك الأيام كان أدبيًا، وهدفه كان تعضيد المتلقِّي بتعبير خاص ودائم عن أفكاره، أيًّما كانت. لقد كان الطعن مكتوبًا بالتأكيد لتخفيف مشاعر ق. هيلاري الخاصة، ولم يُمكِنه أن يتوقع أن قنسطنطيوس لن يُسعفه الوقت، إذ لن يبقى سيدًا على الغال، وسوف يموت خلال ثمانية أشهر.

يبدأ الكتاب بدعوة نشطة للمقاومة: "لقد حان وقت الكلام، ومضى وقت الصمت. دعونا نتطلع لمجيء المسيح، فإن ضد المسيح هو المتسلِّط بالفعل. دعوا الراعي يَصرخ عاليًا، لأن الأُجراء قد هربوا. دعونا نموت لأجل الحَمَل، لأن اللصوص قد دخلوا والأسود المفترسة تَجُول. فلنتقدم للاستشهاد بتلك الكلمات، لأن ملاك الشيطان قد غيَّر هيئته في صورة ملاك من نور". ثم استمر ق. هيلاري يقول (فقرة ٢) إنه رغم إدراكه التام لمدى الخطورة على الإيمان، إلا أنه كان هادئًا بشكل تام في سلوكه. بعد نفي الأساقفة الأرثوذكس

في آرل وميلان، اقتنع هو وأساقفة الغال بقطع الشركة مع ساتورنينوس وأورساكيوس وفالنس، وسُمح لأساقفة مهرطقين آخرين بمُهلة للتوبة. وحتى بعد إجباره على حضور مجمع بزييه، ورَفْض السماح له بالدفاع عن تُهم الهرطقات، ونفيه في النهاية، لم يَنطق أبدًا، سواء بالكلام أو بالكتابة، بأي تشهير ضد أعدائه، مَجمع الشيطان، الذين ادَّعوا كذبًا أنهم كنيسة المسيح. هو لم يتردد في إيمانه الخاص، بل رَحَّب بكل اقتراح يبث الأمل في الوحدة، وفي ذاك الأمل قد امتنع حتى عن لوم هؤلاء الذين اشتَركوا أو قاموا بالعبادة مع المقطوعين. لقد تَعِب لأجل استعادة الكنيسة من خلال توبة عامة، واضعًا كل اعتباراته الشخصية جانبًا. هذا التحفظ والثبات (فقرة ٣) هو برهان على أن ما سوف يقوله ليس بسبب انفعال شخصي. إنه يتكلم باسم المسيح، وصَمته المؤجَّل جعل مُهمته أن يتكلم علانيةً. لقد كان أسعد بالنسبة له أن يحيا في أيام نيرون أو داكيوس (فقرة ٤). إذ كان الروح القدس سيُلهبه للاحتمال مثلما فَعل شهداء الكتاب المقدس؛ سوف يرحِّب بالعذاب والموت. الأمر كان لِيُصبح حينئذٍ معركةً عادلةً مع عدو صريح. لكن (فقرة ٥) قنسطنطيوس الآن هو ضد المسيح، وقد شَن معركته بالخداع والتملق. الأمر في ذلك الوقت كان بلاءً، الآن قد صار إشباعًا للرغبة؛ لم تعُد هناك حرية في السجن، بل عبودية في القصر، والذهب مُهلِك مثلما كان السيف؛ لم يعُد الشهداء يُحرَقون على وتد، بل هناك إضاءة سِرِّية للهيب الجحيم. كل ما يبدو جيدًا في قنسطنطيوس، اعترافه بالمسيح، جهوده لأجل الوحدة، قسوته مع الهراطقة، احترامه للأساقفة، بناءه للكنائس، سوف ينقلب إلى

نهايات شريرة. إنه يدَّعي خضوعه للمسيح، لكن هدفه الثابت هو مَنع المسيح من أن يتساوى في الكرامة مع الآب. إذًا (فقرة ٦) من الواجب أن أتكلم بوضوح، مثلما تَكلَّم المعمدان مع هيرودس، والمكابيون مع أنطيوخوس Antiochus. في (فقرة ٧) يخاطب ق. هيلاري قنسطنطيوس كما لو كان يخاطِب نيرون Nero وداكيوس Decius ومكسيميانوس Maximian. إن قنسطنطيوس مستدعَى للاستجواب أمامهم، كعدو لله ولكنيسته، وكمضطَهِد وطاغية. لكنه لديه عار خاص، أسوأ منهم، لأنه يُعادي المسيح في ثوب مَن يتظاهر بالمسيحية، ويَسجِن الأساقفة، ويُرهِب الكنيسة بالقوة المسلَّحة، ويتوعد ويُجوِّع مجمعًا (في ريميني) لأجل الخضوع، ويُبطِل هدف الآخر (سلوقيا) بزرع الفتنة. إن الكنيسة تدين بدين كبير للأباطرة الوثنيين (فقرة ٨)؛الشهداء الذين أغنوها بهم كانوا مازالوا يصنعون عجائب يومية، يَشفون المرضى، يُخرجون الأرواح الشريرة، ويوقفون قانون الجاذبية[٣٠]. لكن جُرم قنسطنطيوس لا يمكن تخفيفه. إنه مسيحي بالاسم، إذ قد جَلب شرًّا خالصًا على الكنيسة. ضحايا ضلاله لا يمكنهم حتى أن يُناشدوا المعاناة الجسدية كعُذر لإثمهم. الشيطان هو أبوه، وهو الذي تَعلَّم منه مهاراته في التضليل. إنه يقول للمسيح، يا رب، يا رب، لكنه لن يدخل

[٣٠] إذ مِن ضمن معجزات الشهداء أثناء التعذيب ارتفاع أجسادهم في الهواء من ذاتها، والنساء اللواتي عُلِّقن من أرجلهن لم تسقط ثيابهن لتغطي وجوههن، بل كانت ثابتةً على أجسادهن لتغطيهم. وهذا يؤكد لنا أن كل ما جاء في سير شهدائنا من معجزات شفاء أجسادهم وشفاء الناس من الأمراض بدمائهم هو حقيقة وليس مجرد فلكلور شعبي.{م}

ملكوت السموات (فقرة ٩)، لأنه يُنكر الابن، وبهذا يُنكر أبوة الله. المضطهِدون القدماء كانوا أعداءً للكنيسة فقط، أما قنسطنطيوس فيُهين الآب أيضًا، بجعله يكذب. إنه ذئب في ثوب حِملان (فقرة ١٠). إنه يَغمر الكنيسة بذهب الولاية وغنيمة المعابد الوثنية؛ إنها قُبلة خيانة سيده المسيح. الإكليروس يَقبلون الحصانة والإعفاء من الضرائب، وهذا لغوايتهم كي ينكروا المسيح. هو سوف يروي فقط أفعال طغيان قنسطنطيوس التي أثَّرت على الكنيسة (فقرة ١١). إنه لن يستمر في ختم الأساقفة على جباههم، كمجرمين، وجعْلهم يكِدّون في المناجم، لأنه لا يعرف الإساءة المزعومة. بل هو يروي طريقه الطويل مع الظُلم والشغب في الإسكندرية. معركة أطول من التي شُنت ضد فارس[٣١]. في موضع آخر، في الشرق، قد نَشر الإرهاب والخصام، لأجل منع التبشير بالمسيح دائمًا، ثم عاد إلى الغرب. باولينوس العظيم قد أُقتيد من تريف، وعومل بقسوة، وعوقب مِن كل المجتمع المسيحي، وأُجبر على مصاحبة الهراطقة المونتانيين[٣٢]. وأيضًا، في ميلان قد

---

[٣١] وهنا يوجد تلميح لفشل قنسطنطيوس في حربه ضد الفرس.

[٣٢] 'المونتانية' هي بدعة أسسها شخص يُدعى 'مونتانوس' كان ينادي بأن الوحي لا ينقطع من العالم، بل هو مستمر في شخصه - أي أن مونتانوس هو الوحي - الذي هو 'الباراقليط' أو المعزي الذي يتكلم الروح القدس من خلاله للكنيسة، وأن المسيح قريب على الأبواب، وعلى الكنيسة أن تبتعد عن العالم وتترقب قدوم المسيح. ومادام يعتقد أنه الروح القدس، فهو وحده الذي يستطيع قبول الساقطين إلى أحضان الكنيسة وليس الأساقفة، لأنهم على حد قوله: 'تَنقُصهم قيادة الروح القدس'. يقول المؤرخ يوسابيوس القيصري إن سبب ظهور هذه البدعة هو تأثُّر مونتانوس حين اهتدى إلى المسيحيّة بعبادة 'قيباليس' إلاهة الخصب، فاعتبر

شَقَّ الجنود طريقهم بشراسة بين جموع الأرثوذكس، واقتلعوا الأساقفة من المذبح، وتلك الجريمة تُشبه ما فعله اليهود الذين ذبحوا زكريا في الهيكل. لقد سَرَق من روما أسقفها أيضًا، وكانت إعادته مُهينةً للإمبراطور مثلما كان عقابه. في تولوز أُسيئت معاملة الإكليروس بشكل مُخزٍ، والوقاحة السمجة قد اِرتُكبت في الكنيسة. هذه هي أعمال ضد المسيح.

حتي الآن قد تكلم ق. هيلاري عن الأمور سيئة السمعة، رغم أنه لم يشهدها بنفسه. ثم يتكلم الآن عن مجمع سلوقيا (فقرة ١٢)، الذي كان حاضرًا فيه. لقد وَجد هناك مجدفين كثيرين مِن الذين اختارهم قنسطنطيوس. فقط المصريين، باستثناء جيورجيوس[٣٣] George المعتدي على كرسي ق. أثناسيوس، كانوا هم المؤمنين بوحدانية الجوهر بشكل عَلني،

نفسه 'أُرْغُنَ' الروح القدس، وأنّه يحمل وحيًا جديدًا يتفوق على وحي التقليد والكتابات الرسوليّة. لهذا رَفَضَت المجموعات المرتبطة بهذا الانبعاث الروحي سُلطة الأساقفة المَحليين المتعلّقين بالتقليد القديم، ولكن أصحابها بَقُوا في الكنيسة وحاولوا أن يُدخِلوا إليها التقشُّف والتقوى. حارب أساقفة "أسيا" هذا التيار، لكنه انتشر في الغرب، فوصل إلى ليون بفرنسا، وروما، ثم إلى قرطاج. استطاعوا أن يربحوا العلامة ترتليان في صفهم حوالي سنة ٢٠٧م، ثم أسس هو نفسه جماعةً منشقّةً. راجع كتاب: *نصوص مختارة من كتابات العلّامة ترتليان*، ترجمة راهب من دير أنبا أنطونيوس. البحر الأحمر: دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس، الطبعة الأولى، ديسمبر ٢٠١٤. صـ ١٣، ١٤.{م}

[٣٣] أسقف كبادوكية الأريوسي، وقد أخذ مكان ق. أثناسيوس بعد نفيه سنة ٣٥٦م، واستمر في الإسكندرية حتى قتله الغوغاء سنة ٣٦١م.{م}

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983, p. 665.

ومع ذلك، فقد وُجِد بين المائة والخمسة أسقف الذين أقروا بقانون إيمان مُشابهي الجوهر Homoeousian Creed 'شيء من التقوى في كلام بعضهم'. لكن الأنوميان Anomoeans الذين يقولون إنه من جوهر آخر قد لُقبوا بالمجدفين. ثم يُقدِّم في (فقرة ١٣) كلمات من خُطبة قَدَّمها قائدهم أودوكسيوس أسقف أنطاكية Eudoxius of Antioch، والتي قد اقتبسها الأعداء، وقبلوها بالاشمئزاز الذي يستحقونه. هذا الحزب وَجد (فقرة ١٤) أنه لا يمكن توقُّع وجود تسامح مع مِثل هذه التعاليم، وبهذا فقد صاغوا قانون إيمان الهوميان الذي يُنادِي بأن الابن هو فقط مثل الآب Homoean، والذي يُدين على السواء قانون إيمان الـ *homoousion*، والـ *homoiousion* والـ *anomoion*. إن رياءهم هكذا في رفض إيمانهم الشخصي قد ظَهر للمَجمع، وواحد منهم، الذي تَلمَّس دعم ق. هيلاري، قد جاهر بالأريوسية الصريحة في المحادثة. (فقرة ١٥) الأغلبية الكبيرة من الحزب نصف الأريوسي Homoeousian قد عَزلوا مؤلفي قانون إيمان مشابهي الابن بالآب Homoean، الذين بدورهم قد هربوا طلبًا لمساعدة من قنسطنطيوس، الذي استقبلهم بإكرام، وسَمح لهم بنشر هرطقتهم. انعكس الأمر؛ الأقلية المعضَّدين بتهديدات الإمبراطور بالنفي لمَن يعاديهم قد قادوا الأغلبية، في شخص العشرة المنتخَبين منهم، لكي يصادقوا على قانون الإيمان الجديد. لقد أُجبر الناس من قِبل الحاكم، والأساقفة مُهدَّدون داخل جدران القصر؛ المُدُن الرئيسة في الشرق قد قُدِّم لها أساقفة هراطقة. **الأمر لم يكن أقل من تقديم هدية للشيطان، وهي كل**

العالم الذي مات المسيح لأجله. أَقر قنسطنطيوس (فقرة ١٦) بأن هدفه كان إبطال الكلام غير الكتابي. لكن ما هي أحقيته في أن يأمر الأساقفة أو يُملي عليهم لغة عظاتهم؟ المرض الجديد يحتاج لأدوية جديدة؛ لا مناص مِن الحرب عند بزوغ أعداء جُدد. وفوق كل هذا، فإن صيغة إيمان الهوموويان، 'يشبه الآب'، كانت هي نفسها غير كتابية. لقد اقتبس ق. هيلاري من الكتاب المقدس (فقرة ١٧) لكي يُثبت أن الابن ليس مجرد شبيه، بل مساوٍ للآب؛ وواحد في الطبيعة مع الآب (فقرة ١٨)، وله هيئة ومجد الله (فقرة ١٩). هذه 'المشابهة' هي فخ (فقرة ٢٠). عُصافة منثورة على الماء، قَشة تغطي مصيدة، خُطاف مُخبَّأ في طُعم. المفهوم الأرثوذكسي هو فقط المفهوم الصحيح الذي يُمكِن أن تُستخدَم فيه الكلمة، كما هو معروض بشكل أكثر كمالاً في المجادلات التي يمكن إيجادها في *'عن الثالوث'* (فقرة ٢١، ٢٢).

والآن هو يسأل قنسطنطيوس (فقرة ٢٣) السؤال الواضح: ما هو قانون إيمانه؟ لقد صَنع تقدمًا متسرعًا، بخطوة متقهقرة، إلى المصيدة الأدنى التي للتجديف. لقد بدأ بإيمان نيقية، الذي يَستحق الاسم؛ ثم غيَّره في أنطاكية. لكنه كان بَنَّاء غير مُتقِن؛ فالبِناء الذي شَيَّده دائمًا يسقُط، ولا بُد أن يُعاد تجديده بثبات؛ لقد صِيغ قانون بعد قانون للإيمان، وضماناته وحروماته ليست لها حاجة لو بقي راسخًا على إيمان نيقية. ق. هيلاري لا يرثي قوانين الإيمان التي قد هجرها قنسطنطيوس (فقرة ٢٤)؛ ربما تكون هي غير مؤذية في نفسها، لكنها لا تُظهر الإيمان الحقيقي. ومع ذلك فلماذا يجب أن يرفض قوانينه الخاصة؟ لم يوجد أي سبب لعدم اقتناعه بها لأنها كانت

لأجل رفضه قانون الإيمان النيقاوي. هذا التنوع الدائم نَتَج عن احتياج للإيمان؛ 'الإيمان الواحد، والمعمودية الواحدة'، هما علامة الحق. لقد كانت النتيجة لأجل مناقضة أقوال الأساقفة. لقد أُقتيدوا لكي يدينوا بالتعاقب تعبير 'مِن جوهر واحد' الدقيق، و 'مِن جوهر مشابه'، وحتى كلمة جوهر *ousia* أو substance. هذه كانت مجرد ألعاب بهلوان، يُسلي نفسه على حساب الكنيسة، ويُجبر الأساقفة، مثل الكلاب التي ترجع إلى قيئها، لكي يَقبلوا ما قد رفضوه قبلاً. القوانين المتناقضة التي يَعترف بها الآن كل واحد، أو كان قد اعترف بها قبلاً كمهرطق، هي كثيرة جدًا. تلك النتيجة قد حدثت فقط بالعُنف (فقرة ٢٦)، على سبيل المثال في حالة الأساقفة الشرقيين، والأفارِقة الذين قد سُجِنوا بسبب كتابة قضيتهم ضد أورساكيوس وفالنس؛ لقد وَضع قنسطنطيوس يده على الوثيقة. ربما تذهب إلى النيران، مثلما سوف يذهب قنسطنطيوس نفسه، لكن القضية سُجِّلَت عند الله. الرجال الآخرون (فقرة ٢٧) قد شَنوا حربًا مع الأحياء، أما قنسطنطيوس فقد مَد خصومته إلى الموتى؛ لقد عارض تعليم القديسين، وأساقفته قد رَفضوا أسلافهم - الذين هم مديونون لهم برُتبهم - بإنكار عقيدتهم. الثلاثمائة والثمانية عشر الذين كانوا في نيقيه كانوا بالنسبة له محرومين، رغم أن أبيه هو الذي أشرف على المجمع. ومع ذلك فرغم أنه قد ازدرى بالماضي، إلا أنه لا يستطيع أن يتحكم في المستقبل. الحقيقة التي حُدِّدَت في نيقية قد حُفِظَت مكتوبة بوقار، وسوف تبقى، مهما حاول أن يلوثها قنسطنطيوس.

يُنهي ق. هيلاري حديثه بقوله: "إنصت إلى المعنى المقدس للكلمات، إلى قصد الكنيسة، إلى الإيمان الذي إعتَرَف به أبوك، إلى الرجاء الأكيد الذي يجب أن يضع فيه الإنسان ثقته، إلى الاقتناع العام بهلاك الهرطقة، وإعلَم مِن ذلك أنك عدو دين الله، عدو مقابر القديسين[٣٤]، الوارث المتمرد على تقوي أبيك".

الوضع السياسي داخل الكنيسة، والذي أدَّى لكتابة هذا الطعن

هنا أيضًا يوجد كثيرٌ من التشويق. شعور ق. هيلاري المتألم بالعزلة واضح. لقد أُبعد عن الشركة مع ساتورنينوس والأريوسيين القلائل في بلاد الغال، لكنه يجب أن يعترف بأن أصدقاءه لم يكونوا صُلاب الرأي مثله. أساقفة الغال، مع إيبارشياتهم الضخمة، كان لهم ربما القليل من الأسباب للاجتماع، والرجال الحكماء أمكنهم بسهولة أن يتجنبوا التعارض الذي لن يهيج الأقلية الأريوسية بلا ريب. كان الأساقفة مجاملين، أو أكثر من مجاملين. لقد كانت أهمية ق. هيلاري الكلية كمندوب في الشرق تعتمد على

---

[٣٤] لقد أكد ق. هيلاري في الفقرة ٢٧ أن 'الرسول قد علَّمنا أن نتصل بمقابر القديسين'. هنا يوجد تلميح لما جاء في (رو ١٢: ١٣)، مع ملاحظة قراءة μνείαις 'مقابر' بدلاً من χρείαις 'احتياجات'، والتي لها بالتأكيد سند في مخطوطات العهد الجديد والكتابات اللاتينية المسيحية. أيًا كان السبب، ومهما كانت النتائج، فلا يمكننا معرفة تأثير هذا على إقامة الافخارستيا في قبور الشهداء. لقد بدأت تلك العادة قبل زمن ق. هيلاري بحوالي قرن من الزمان، والسبب الرئيس كان هو الحفاظ على الشعور بالوحدة مع قديسي الماضي. لذا فبإنكار قنسطنطيوس للتعليم يجعل نفسه عدوًا لهم.

الإيمان بأنه كان يمثل جماعةً متجانسة الرأي. إعلانه عن هذا التحوُّل في سياسته في المعركة كان سيصبح مدمرًا لتأثيره. ولو كان الضعف، كما كان يرى، هو الذي يقود إخوته في الوطن إلى قبول الأريوسيين، فإن قنسطنطيوس ومشيريه من حزب الهوموميان قد دَبَّروا كسرًا لايزال أكثر خطورةً على الخط الأرثوذكسي للمعركة. كان هناك سبب لشكواه المُرة من كَرَم الإمبراطور الزائد. لقد كان سخيًا، مما جعله صديقًا للأساقفة. النيقاويون كانوا يتمتعون بشركتهم في هذا الإنفاق، لكن دون أن يتراجعوا عن إيمانهم الشخصي، لأن كل ما كان مطلوبًا هو ألا يكونوا فضوليين بخصوص هرطقات جيرانهم. لكن الأساقفة النيقاويين، لطفاء الشخصية، لم يكونوا فقط متمسكين بإيمانهم الشخصي، بل كانوا يتمتعون بالتشارك في غنائم أنصاف الأريوسيين المنهزمين. لقد كانت تقريبًا ضربةً عبقريةً تلك التي حَطمَت حِلف ق. هيلاري، إذ لم يكن محض الصدفة بالتأكيد أن تكون أنقرة نفسها، والتي منها قد طُرد صديقه باسيليوس، من بين الكراسي التي كانت تفضِّل الإيمان النيقاوي، بشركة كاملة ورسمية معه. رغم أن ق. هيلاري كان يجب أن يكون مستاءً من هذا الخنوع، وحزينًا على سقوط أصدقائه، إلا أنه من الواضح أن سياسة الإمبراطور كان لها بعض النجاح، حتى معه هو. لقد تبدَّدَت آماله السابقة على الأرض، وهو الآن يتحول، باهتمام لم يُظهره قبلاً أبدًا، إلى قانون إيمان نيقية كحصن للإيمان. ويمكننا أن نرى نفس الإحساس في اعترافه الرزين جدًا بأنه كان هناك 'بعض التقوى في كلام البعض' بين أصدقائه في سلوقيا. سوف يكون من الظُلم الظن أن ق.

هيلاري انتهازي، لكننا يجب أن نفترض أن هناك شيئًا ما في الغالب، مُنظمًا جدًا، في استبعاد عقله لآماله وأصدقائه السابقين. لقد تَطلَّع دائمًا إلى ثمرة عملية لترسيخ الحق، لكن حُكمًا صالحًا جدًا مثل حُكمه لا يمكن أن يَفشل في رؤية أن المفاوضات الأسيوية كانت فصلاً من فصول حياته قد أُغلق. لا بُد أن عقله كان ممتلئًا بفكرة أنه كان راجعًا إلى الغرب، الذي كان له اهتماماته الخاصة وتحزباته الخاصة، وكان مريبًا لكل اللاهوتيين الشرقيين؛ الغرب الذي 'فتوره الأناني'[35] نحو الشرق كان لايزال في الواقع حاجزًا أمام الوحدة لآخر عشر سنوات. لو أن ق. هيلاري كان، كما نرى، قوةً في الغرب، فلا بُد له أن يستأنف على الفور النهج الغربي؛ لو أنه، في خيبة أمله، كان ميالاً لأن يربط حِلفه الذي فشل بالإمبراطور الذي تَسبب في فشلهم، فسوف يكون هذا خضوعًا تامًا لضعف الطبيعة.

أيًا كان، فإن التصريحات التاريخية بخصوص الطعن لا يمكن إثباتها دائمًا. على العموم، بيان مجمع سلوقيا كان ظالمًا بالنسبة لقنسطنطيوس. لقد كان التعبير الحُر عن إيمان أسيا، ولو أن الهراطقة كانوا حاضرين بأمر الإمبراطور، إلا أن الغالبية العامة، الأكثر أو أقل أرثوذكسية، كانوا حاضرين بموجب نفس الأمر. لكن شخصية وسلطة قنسطنطيوس واضحتان بشكل كافٍ، إذ لم يكن الطعن أكثر عُنفًا مِن هجوم ق. أثناسيوس على قنسطنطيوس.

---

[35] Gwatkin, *Studies of Arianism*, p. 244.

العودة إلى بواتييه

بدأ عزل قادة أنصاف الأريوسيين في بداية سنة ٣٦٠م، ولا بُد أن انصراف ق. هيلاري في طريق العودة للوطن قد تَبِع ذلك مباشرةً. لو أنه قد كوَّن خطة طعنه قبل أن يغادر القسطنطينية، فليس من الوارد أن يكون قد كتبها هناك. من المحتمل أكثر أن تكون توظيفًا لرحلته الطويلة نحو الوطن. طريقه الطبيعي كان هو الطريق الإغناطي العظيم the great Egnatian Way، الذي يؤدي إلى دورازو Durazzo من خلال تسالونيكي، ومن ثَم بالبحر إلى بريندسي Brindisi، ثم إلى روما والشمال. صحيح أن المؤرخين، أو بالحري روفينوس Rufinus، الذي يبدو أن البقية قد استعاروا كل معرفتهم منه، يقولون إن الليركوم Illiricum كانت إحدى دوائر أعماله لأجل استعادة الإيمان، إلا أن الرحلة على الأرض من خلال الليريكوم، بلد فالنس وأورساكيوس، والممتلئة بالكامل بالتعاليم الأريوسية، لم تكن فقط خطيرةً، بل وأيضًا بلا فائدة. إن هدف ق. هيلاري كان تثبيت المؤمنين من الأساقفة، وأن يَربحهم مرة أخرى للأرثوذكسية، بعدما تم إرهابهم أو تضليلهم بالخطأ، ومن ثَم لتأسيس تحالف ضد الهوموايان Homoeans. رغم أن الجزء الغربي من طريق إغناطيا *Via Egnatia* لم يمُر داخل منطقة الانقسام السياسي القائم المسماة الليريكوم، إلا أنه مَر داخل الإقليم المسمى في التاريخ والأدب بنفس الاسم. إن الدليل على أن ق. هيلاري قد مَر من خلال روما ليس مُقنِعًا، لكن بما أنه كان هو الطريق الأفضل له، وهناك سوف يجد الشخص الأكثر

أهمية بين هؤلاء الذين أخفقوا في إخلاصهم للحق، فربما نقبل هذا باطمئنان. لقد جعل عمله، كما أُخبرنا[٣٦]، هو تنبيه الكنائس التي مَر بها بأن تجحد الهرطقة وتعود إلى الإيمان الصحيح. لكننا لا نَعلم شيئًا عن الأماكن التي مر بها قبل أن يصل إلى روما، كرسي ليبريوس، الذي كانت رغبته القصوى أن يكون على وداد معه. ليبريوس لم يكن شديد السواد كما وُصِف في بعض الأحيان، لكنه لم يكن رمزًا بطوليًا. موقفه كان بالضبط مثل موقف أساقفة كثيرين أخرين في الأراضي الغربية. إنهم لم يُنكروا إيمانهم الشخصي، لكنهم في الغالب، في معظم القضايا في ريميني، قد قَبِلوا وجود موضع للشركة مع الأساقفة الأريوسيين. في حالة ليبريوس، تتضمن الظروف بعض الغموض، لكن من الواضح أنه قد اتَّخذ موقفًا يُعتبَر بشكل عملي موقف مجمع التدشين Dedication القديم، لكي يَحصُل على العفو بخصوص مسألة عَزلِه[٣٧]. لقد استطاع أن يَقبل المصطلحات الصعبة التي استخدمها الشرقيون في ذلك المجمع، لكنه لم يستطيع أن يستخدمها كتعبير عن إيمانه الخاص. إن القيام بهذا سوف يكون خطوةً للخلف؛ وهذه الخطوة قد اتخذها ليبريوس، لخزي الكنيسة. ومع ذلك فهو، وكل الذين على موقفه - الكل، ما عدا بعض زعماء الثورة العنيدين - كانوا في الكنيسة؛ انحرافهم كان، كما قال ق. هيلاري، 'شرًا روحيًا'. ق. هيلاري لم يكن مثل لوسيفر في ثورته؛ رغبته كانت في توحيد كل من يمكن توحيدهم

[36] Rufinus, *Hist. Eccl.* i. 30, 31; Socrates iii. 10; Sozomen v. 13.
[37] Cf. Dr. Bright, *Waymarks,* p. 217 n.

للدفاع عن الحق. هذه كانت الخطة من ناحية المحبة والسياسة، ولو كان بالفعل قد تقابل مع ليبريوس -كما هو محتمل - فلا بُد أن خطته قد نجحت. في الواقع، بحسب روفينوس، كان ق. هيلاري ناجحًا في كل مرحلة من مراحل رحلته. لقد تقابل أيضًا في مكان ما في طريقه مع يوسابيوس أسقف فرشيللي، الذى كان قد عُزل في مجمع ميلان، وأمضى وقته في المقاطعة التي تقع شرق المقاطعة التي نُفي فيها ق. هيلاري، وانتُهزت الفرصة الآن بسبب العفو العام الذي قام به حزب الهوموايان Homoeans للرجوع إلى إيبارشيته. إنه كان أيضًا يَستخدم فُرَص السفر للترويج للإيمان. لقد جاء من أنطاكية، ولذا فربما يكون قد وصل إلى نابولي Naples أو بجوارها، كما كان يسافر شمالاً واعظًا أينما ذهب. إن لقاءه مع ق. هيلاري قد حَفَّزَه لبذل مجهود أعظم؛ لكن روفينوس يخبرنا أيضًا أنه كان 'رجلاً وديعًا وخلوقًا بالطبيعة، ومتعلمًا أيضًا وقابلاً للاقتناع الشخصي، قد قَدَّم نفسه للمهمة بمهارة ومثابرة أكبر'[38]. لا يبدو أنهما قد ترافقا في السفر؛ المدن الممكن زيارتها كانت كثيرةً جدًا، ووقتهم الخاص كان قصيرًا جدًا، نتيجة لتحمسهم للوصول إلى أوطانهم. لقد بدَت رحلتهما تقدُّمًا انتصاريًا؛ الأساقفة قد تم حثهم على رفض شركتهم في الخطأ، والناس تمت إثارتهم ضد الهرطقة، لذا فبحسب كلام روفينوس: "هذان الرجلان الكوكبان المنيران في الكون قد

[38] *Hist. Eccl.* i. 30, 31.

غمرا الليريكوم وإيطاليا والمقاطعات الغالية ببهائهما، لكي ينجلي من المخابئ والزوايا الخفية كل ظلام الهرطقة"[٣٩].

في الفقرة التي تم اقتباسها الآن يربط روفينوس مباشرة نشر تحفة هيلاري، المعروفة غالبًا باسم *'عن الثالوث'*، بهذا التوافق. بعد الكلام عن نجاحه فيها، أضاف قائلاً: "علاوة على ذلك فقد نَشر كُتبه بخصوص الإيمان *Concerning the Faith*، مؤلَّفةً بطريقة سامية، إذ أظهر خداع الهراطقة والإغراءات التي مورست مع أصدقائنا، إلى جانب السذاجة ومَنح الثقة في إخلاص مَن لا يستحقون، بالمهارة التي بها قد عَدلَت تعاليمه الوافرة أخطاء مَن قابلهم، بل وأيضًا الذين قد أعاقه بُعدهم عن مقابلتهم وجهًا لوجه". بعض الكتب الـ ١٢ التي تألف منها العمل قد نُشرت بالفعل أثناء نفيه، ومن الممكن أن تؤرَّخ تلك الأجزاء بالتحديد لفترة إقامته الأخيرة في الغال. لكن دراسة العمل نفسه تؤدي إلى استنتاج أن روفينوس كان مُحقًا في الغالب في وضعه إياها في هذه المرحلة من مراحل حياة ق. هيلاري؛ لقد كان هذا بالتأكيد التاريخ الأقدم الذي كان فيه لهذا العمل تأثيره.

بداية تأليف كتاب 'عن الثالوث'

العنوان الذى أعطاه ق. هيلاري لعمله ككل كان في الحقيقة *De Fide* *'عن الإيمان'*، وهو الاسم الذى وصفه به روفينوس. من المحتمل أن يكون

---

[39] *Ibid.* 31.

هدفه الجدلي قد أُشير إليه بإضافة *contra Arianos* 'ضد الأريوسيين'؛ لكن من المؤكد أن عنوانه الحالي *De Trinitate* 'عن الثالوث' لم يكن العنوان الذى وضعه ق. هيلاري. كلمة *Trinitas* 'ثالوث' وجودها نادر بشكل غير عادي في كتاباته؛ الأمثلة الوحيدة تبدو موجودة في الكتاب الأول فقرة ٢٢ وفقرة ٣٦، إذ يُقدِّم ملخصًا مكثفًا جدًا لمحتويات عمله. إنه في هذا الخصوص يشابه ق. أثناسيوس، الذى سوف يَذكر دائمًا الثلاثة أقانيم بالاسم، أكثر من توظيف هذا المصطلح المناسب والمعروف. قد يكون هذا بسبب الاهتمام أكثر بمسألة ولادة الابن الحقيقية من الآب بنفس الجوهر، وعدم الدخول في صراع إنكار ألوهية الروح القدس الذي تبناه مقدونيوس فيما بعد.

تحليل مراحل كتابة 'عن الثالوث'

بالرغم من أن ق. هيلاري نفسه، في ترتيبه للعمل كله، قد فعل الكثير ليجعله يسير بشكل ناعم ومتتابع، ورغم أن النُساخ الذين نسخوه قد جعلوه يَظهر ربما بشكل أكثر تجانسًا، إلا أن بعض مفاتيح تركيبه قد تُركت. الأول هو وصفه للكتاب الخامس كالثاني (فقرة ٣ من الكتاب الخامس). هذا يتضمن أن الرابع هو الأول؛ وحينما نفحص الرابع نجد أننا لو اعتبرنا الثلاثة الأوائل تمهيدًا، فسوف يكون هذا هو بداية دحض الأريوسية. إنه يشرح القضية الأريوسية، ويشرح أهمية مصطلح 'من جوهر واحد' *homoousios*، ويعطي قائمة للنصوص التي يتكل عليها الأريوسيون،

ويرسم بتوسعٍ واحدةً من تصريحاتهم بخصوص العقيدة، *'رسالة أريوس إلى الكسندروس' Epistle of Arius to Alexander*، الذي يتقدم نحو هدمها، في بقية الكتاب الرابع وفي الخامس، بجدالات من عبارات خاصة ومن المعنى العام للعهد القديم. في الكتاب السادس، لأجل السبب المُعطى بالفعل، يُعاد قانون الإيمان الأريوسي، بعد تقرير واضح لشرور ذلك الزمن، والدحض المستمر بمحادثات من العهد الجديد. في الفقرة الثانية من هذا الكتاب يوجد دليل آخر على الصفة المركبة لهذا العمل. يقول ق. هيلاري إنه رغم أنه في الكتاب الأول قد شرح البيان الرسمي الأريوسي، إلا أنه مع ذلك يظن أنه من الجيد أن يعيده في السادس، لأنه ما زال يتعامل معه. يبدو أن ق. هيلاري قد أغفل التناقض الذى قد أصلحه بعض الكُتاب الفضوليين جزئيًا[٤].

الكتاب السابع، كما قال في البداية، هو ذروة العمل كله. لو أخذنا كتاب *'عن الثالوث'* ككل، فإن هذا سوف يكون تلويحًا بلا معنى؛ لكن لو شاهدنا الكتاب الثامن، ووجدنا مقدِّمةً متقَنةً متبوعةً بخَطٍ من الجدال يختلف عن الذى في الأربع كتب السابقة، فيجب أن نكون ميالين للتفكير في أن السابع هو الذروة والختام لما كان عملاً مستقلاً يتكون من أربعة كتب. ولو تحولنا إلى نهاية السابع ولاحظنا أنه وحده من كل الـ ١٢ الذى ليس فيه شيء يُدعى ختام القول، بل ينتهى بطريقة بسيطة ومُرتبة

---

[٤] وكذلك في الكتاب الرابع فقرة ٢ قد لمَّح للكتاب الأول، قاصدًا ما دعوناه الأول، رغم أنه يتكلم في الكتاب الخامس فقرة ٣ عن الخامس كأنه الثاني، كما سنرى.

بشكل مُطلق، فنحن مدفوعون تقريبًا لاستنتاج أن ذلك بسبب أن الخاتمة التي كانت له قبلاً، كذروة للعمل، كانت غير ملائمة لموقعها الجديد، وبالتالي فقد أُزيلت بالكامل. لو كَتب ق. هيلاري هذا الكتاب كواحد من سلسلة الـ ١٢، فسوف يكون بالتأكيد، بحسب قواعد الأدب اللغوي، قد أعطاه ختامًا رسميًا.

إذًا، في هذه الكتب الأربعة، من الرابع للسابع، يمكننا أن نرى نواة نَص *'عن الثالوث'*؛ ليس بالضرورة الجزء الذي كُتب أولاً، لأنه يقول في الكتاب الرابع[٤١] فقرة ١ إن بعض الأجزاء، أيًا كانت، من الثلاثة كُتب الأولى قد كُتبت بتاريخ مبكر، لكن الكل قد رُتب حولها. إن لها وحدةً كاملةً، تتبع قانون الإيمان الأريوسي خطوة بخطوة، والذي سوف نتكلم عنه حالاً. الأمر مثير للجدل بشكل واضح، ومن المحتمل أن يكون عنوان *Contra Arianos*، الذي له بعض الأدلة، ينتمي في الحقيقة لهذا العمل الأصغر، رغم كونه متماسكًا بشكل غير طبيعي، مع كل النص الذي ابتكر له ق. هيلاري الاسم الأكثر ملائمةً، ألا وهو *'عن الإيمان'*. بخصوص تاريخ تلك الكتب الأربعة، يمكننا فقط أن نقول إنه قد أَلَّفهم بالتأكيد في المنفى. فبالرغم من أنه لم يَذكر نفيه، إلا أنه مع ذلك كان أسقفًا (كتاب ٦ فقرة ٢)، ويَعلم تعبير 'من جوهر واحد' (كتاب ٤ فقرة ٤). لقد رأينا بالفعل أن معرفته لقانون

[٤١] أي في الفقرة المقدَّمة كربط مع الكتب التي سبقت، حينما وُضِع العمل كله في شكله الحالي.

الإيمان النيقاوي قد بدأت فقط قبل نفيه؛ لذا لا بُد أنه كتبهم أثناء فراغه الإجباري في أسيا.

في بداية الكتاب الرابع أشار ق. هيلاري مرة أخرى إلى الإثبات الذي تم عَرضه في الكتب السابقة - التي كُتبت في وقت ما - للصفة الكتابية لإيمانه، وللطبيعة غير الكتابية لكل الهرطقات. بوضع الكتاب الأول - الذي لا يتناسب مع هذا الوصف - جانبًا، نجد ما يرسمه في الثاني والثالث. هذا يُشكِّل مقالةً متصلةً قصيرةً وكاملةً في ذاتها. إنها أكثر أكاديميةً من تلك التي تَكلمنا عنها بالفعل، وتتعامل بشكل مختصر مع كل الهرطقات الشائعة (كتاب ٢ فقرة ٤ وما يليها)، لكنها لا تُظهر أية إشارة إلى أن واحدة من تلك الهرطقات، أكثر من الآخرين، كانت خطرًا مُلحًا. لا يوجد أي شغف للنزاع؛ ق. هيلاري في مزاج بلاغي، ويَصنع أفضل فُرَصِه. إنه يُسهِب، على سبيل المثال، في عظمة موضوعه (كتاب ٢ فقرة ٥)، ويَعزِف بإفراط على وتر الصياد[٤٢] الذي قد أُعلنَت له الأسرار بشكل شديد (كتاب ٢ فقرة ١٣ وما بعدها)، ويُسهِب، بطريقة العظة، في الكلام عن الإخلاء والمجد المُعلَن في التجسد، واصفًا المعجزات بخفة روح شديدة في التفاصيل (كتاب ٣ فقرة ٥، ٢٠)، ويُنهي الكتاب (الكتاب الثالث فقرة ٢٤- ٢٦) بتصريح بليغ عن التناقض الظاهري بين الحكمة التي هي جهالة، والجهالة التي هي حكمة، وعن الإيمان كطريقة وحيدة لمعرفة الله. العمل الصغير، رغم أنه يتعامل

---

[٤٢] يوحنا الحبيب.

بثقة مع الهرطقات المحدَّدة، إلا أنه استنتاجي في الغالب. إنه يحتوي إلى أقصى حد على تأكيد إيجابي بخصوص الحق، بدون الإشارة إلى الخصوم، أكثر من كونه يَنتقد وجهات نظرهم. في رزانة النغمة الثابتة يعترف بوجود الشك الأمين (كتاب ٣ فقرة ١)، وفي البراعة الأدبية يتفوق على أي جزء آخر في كتاب *'عن الثالوث'*، ومن جهة أخرى هو بالتأكيد أعلى من عظاته عن المزامير. لكنه لا يفتقد إلى القوة، بالمقارنة بالكتب التالية؛ إذ يشعر القارئ أنه كُتبَ لأجل أن يُكتَب، وبهدف المنفعة العامة. إنه ليس مُصاغًا، مثل الأجزاء الأخيرة من العمل، كسلاح مستخدَم في الصراع بين الحياة والموت. ومع ذلك، فهو يخدم كمقدمة بديعة بوضعه في بداية العمل العظيم ككل. إنه واضح ومقنِع وممتِع، وحُسن ختامه الفصيح يَحمل القارئ إلى الجزء المركزي للعمل، والذي يبدأ بالكتاب الرابع. فيما عدا أن الكتاب الثاني قد فَقد ديباجته، لنفس السبب الذي لأجله فَقد الكتاب السابع ختامه، فإن الكتابين كاملان مثلما أنهما متجانسان.

لا يوجد شيء واضح بخصوص التاريخ. لا توجد أية إشارة لأي اهتمام بالأريوسية؛ وتفرُّغ ق. هيلاري لبحث يصارع فيه عدو ميت مثل الإبيونية Ebionism يوحي بأنه كان يكتب قبل أن يصل النزاع إلى الغال. النغمة العامة للكتابين متجانسة تمامًا مع هذا؛ وقد نعتبره أكثر احتمالاً من كونهما لم يُكتبا قبل النفي؛ كونهما قد نُشرا في ذلك الوقت كمقالة منفصلة، أو قد وُضعا في جانب واحد لمدة من الزمان، هو أمر غير معروف، لكن الافتراض الأول هو الأكثر واقعيةً.

الكتب المتبقية، من الثامن إلى الثاني عشر، يبدو أنها قد كُتبَت باتصال، بالنظر إلى دورها في تكوين الكتاب الكامل. لقد نُشِرت بلا شك بشكل منفصل، وقد تكون، مع الكتب من ٤- ٧، الرسائل التي خاف ق. هيلاري ألا تحصل على أي اعتراف من أصدقائه في بلاد الغال. آخر خمسة كُتُب توجد لها بعض الإشارات التي تعود إلى جدالات الكتب السابقة[٤٣]، في حين أن هذه لا تشير إلى ما بعدها، ولا تشير أي من المجموعات (٢، ٣)، و(٤- ٧) إلى بعضها البعض. لكن الكتب (٨- ١٢) لديها إشارات داخلية، ووَعد بأن يُعامَل الموضوع بشكل كامل في الوقت المناسب[٤٤]. لذا قد نفترض أنه عندما بدأ في كتابة الكتاب الثامن، قد قرر بالفعل الاستفادة من أعماله الثانوية السابقة، وشرع الآن في استكمال مهمته مع الإشارة المستمرة إلى تلك. لا توجد أدلة على وجود تاريخ هنا أيضًا؛ إنه يكتُب كأسقفٍ في المنفى[٤٥]، وتحت الضرورة المُلحة. مقدمة الكتاب الثامن، مع وصفها للمخاطر المعاصرة وشعور ق. هيلاري بواجب الأسقف، يبدو أنها تُمثِّل الحالة الذهنية التي قد اعتزم تأليف كتاب *عن الثالوث* الحالي بناءً عليها. إنه رائع جدًا في الانتقال المجرد من خطوة واحدة في المناقشة المستمرة إلى أخرى. فيما يتعلق بهذه الكتب الخمسة السابقة، ثم، كما هو مكتوب بشكل مستمر، بهدف واحد ووجهة نظر لاهوتية واحدة، قد يمكننا إثبات موعد تقريبي لهم من

---

[٤٣] مثل كتاب ٩ فقرة ٣١ التي تشير إلى كتاب ٣ فقرة ١٢، وكتاب ٩ فقرة ٤٣ إلى ٧ فقرة ١٧.

[٤٤] مثل كتاب ١٠ فقرة ٥٤.

[٤٥] كتاب ٨ فقرة ١، و١٠ فقرة ٤.

خلال اثنين من الاعتبارات. أولاً أنها تُظهِر في الكتاب التاسع والعاشر أنه كان واعيًا تمامًا لخطر الأبوليناريةالمتزايد، وثانيًا فهي تُبين أيضًا، من خلال صمتها، أنه مصمِّم على تجاهُل ما كان واحدًا من أكثر طُرق التفكير الشائعة وضوحًا، بل والكريهة بالأكثر. لا يوجد دحض، إلا ضِمنًا، ولا ذِكر للبدعة التي تنادي بأنه من جوهر آخر Anomoeanism، تلك الأريوسية المتطرفة التي أَعلنت أن الابن ليس مثل الآب[٤٦]. يمكن تفسير ذلك بطريقة واحدة فقط. لقد رأينا أن ق. هيلاري يَعتقد بأن الأريوسية تستحق الهجوم لأنها 'شر داخلي'؛ إنه لا يلتفت إلى البدع التي من الواضح أنها كانت خارج الكنيسة، ولها تنظيم خاص بها ، إلا في وقت مبكر وعمل متمهل مثل الكتاب الثاني. لقد رأينا أيضًا أن حزب الهوموياني Homoeans قد تخلصوا من أشقائهم المُخلصين الذين ينادون بأن الابن من جوهر آخر Anomoean في ٣٥٩م، الذين بدورهم لم يقوموا بأية محاولة لاسترداد موقعهم في الكنيسة؛ فقد شرعوا في تأسيس كنيسة خاصة بهم، والتي اعتبروها هي وحدها التي على حق. في عهد چوفيان (٣٦٢-٣٦٣م) رسموا أسقفهم الخاص للقسطنطينية[٤٧]؛ لكن الانفصال لا بُد أنه كان واضحًا لبعض الوقت قبل اتخاذ تلك الخطوة الحاسمة. وهكذا، حينما أَخذ *'عن الثالوث'* شكله الحالي، كانت الأبوليناريةترتفع في أُفق الكنيسة، وبدعة مماثَلة الابن للآب فقط، Anomoeanism، تَغرق تحتها. نحن بالتالي لا

---

[٤٦] تلك الهرطقة لم تُذكر حتى في الكتاب ١٢ فقرة ٦، حينما كانت الفرصة ملائمةً.

[47] Gwatkin, *Studies of Arianism,* p. 226.

يمكننا وضع نهاية العمل في وقت سابق لإلغاء عقوبة نفي ق. هيلاري؛ لا يمكننا في الواقع افتراض أنه كان متفرغًا لجعله مثاليًا إلا في وطنه. ومع ذلك لا بُد أن الجزء الأكبر من العمل قد انتهى قبل أن يصل كاتبه إلى إيطاليا لدى عودته، إذ أن إصدار أو إعادة إصدار أجزاءه المتعددة كانا قياسًا طبيعيًا وقويًا بالتأكيد، نحو الهدف الذي كان في قلبه.

لازال هناك الكتاب الأول، الذي كان من الواضح، كما رأى إراسموس[٤٨] Erasmus، آخر ما قد تم تأليفه. إنه تقرير عن المهمة المنجَزة، بدءًا مِن سبب ولادة ق. هيلاري الروحية، والنمو الذي سبق ذِكره. ثم يلي ذلك مُلخصًا موجزًا للمناقشة التي ستأتي في الكُتب المتعاقبة، وصلاةً من أجل نجاح العمل. هذا يُفسِّر، وربما كانت الصلاة بغرض التفسير، كونها مثل صلاة من أجل أن يكون جديرًا بإتمام الخطة التي لم تكن موجودة حتى الآن سوى في رأسه؛ لكن يمكن أيضا أن تُفَسَّر، بالمعنى الأكثر واقعيةً، كتوسل كي لا يخيب أمله، وأن يُظهِر كتابه للآخرين ما قد وثق بأنه صحيحًا تبعًا للكتاب المقدس، وسليمًا منطقيًا، ومكتوبًا بتلك الرزانة النبيلة التي كانت تلائِم عَظَمة موضوعه.

بعد الحديث عن بِناء العمل، بحسب الإطار الذي وَضعه له ق. هيلاري، لا بُد أن يُقال شيء بخصوص بعض الزيادات التي لحقت بها، وأهمها تلك التي في نهاية الكتاب التاسع، وفي العاشر فقرة ٨، التي تتعارض بشكل قاطع

---

[٤٨] عالِم كنسي عاش في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.{م}

مع تعليمه. إنها اقتحامات واضحة، غير مشهود لها من المخطوطات، ومُدانة بسبب طابعها الخاص. توجد فقرة أخرى، حيث تُظهِر الدراسة وجود تدخُّل مِن كاتب أقل، في الكتاب العاشر فقرة ٤٠، حيث يوجد سوء فهم غريب للنَص اليوناني للعهد الجديد[٤٩]. لا بُد أن الكاتب كان على علم باليونانية، إذ لا توجد مخطوطة من الكتاب المقدس اللاتيني قد اقتَرحت ما ذَكره بالخطأ، وبالتالي لا بُد أنه قد كتبه مبكرًا. من الممكن حتى أن يكون ق. هيلاري نفسه، لمرة واحدة، على خطأ في دراسته. ومع ذلك فالزيادات قليلة في الغالب، ويمكن اكتشافها بسهولة حينما تؤثر تأثيرًا خطيرًا على المعنى. لا يوجد من المؤلفين القدماء مَن أفلت من الإضافات الطفيفة أكثر من ق. هيلاري.

لقد قَصَد بالتأكيد أن يُنظَر لعمله ككل؛ كمقالة 'عن *الإيمان*'، لأنه قد نما إلى شيء أكثر من مجرد دحض للأريوسية. لقد تَجنَّب بحرص، بمقدار ما سَمحت له ظروف ذلك الوقت والطابع المُركَّب للمقالة، وجود أية إشارة إلى أسماء أو أحداث مؤقتة الأهمية؛ لا يوجد في الواقع شيء أكثر تحديدًا من تكرار الرغبة التي أعرب عنها في *الرسالة الثانية إلى قنسطنطيوس*، أنه كان من الممكن الرجوع إلى صيغة العماد كتصريح قانوني بخصوص الإيمان[٥٠].

---

[٤٩] (لو ٢٢: ٣٢)، حيث توجد ترجمة خاطئة لكلمة ἐδεήθην، إذ إن هذا الفعل مبني للمعلوم، لكنه يُصرَّف في المبني للمجهول، وبالتالي فالمعنى هو 'طلَبتُ'، وليس 'طُلِب مِنِّي' كما فهمه ق. هيلاري.{م}

[٥٠] الكتاب الثاني فقرة ١.

إنه ليس مثل *'عن المجامع' De Synodis*، قد كُتب بغرض دبلوماسي؛ إنه بيان عن الحقائق الدائمة. لكننا يمكننا أن نرى، من خلال اختياره لوثيقة مُفنَّدة، أن اختيار ق. هيلاري كان متعمدًا. لم يكن قانون إيمان حديثًا، ولا اعتراف قد تعهدت به أية هيئة قائمة من أنصار هذا القانون. لقد اختار رسالة أريوس لألكسندروس لكي يقوم بدحضها، تلك التي كُتبَت منذ ما يقرب من أربعين عامًا، واعتُبرَت مجرد وثيقة تاريخية. إنها لم تكُن بيانًا نهائيًا عن الموقف الأريوسي. هذه الرسالة كانت 'أكثر اعتدالاً وحذرًا من بديلتها، *رسالة أريوس ليوسابيوس*'[٥١]. يمكن رؤية نفس النظرة الواسعة أيضًا، في عدم الاكتراث بالاهتمامات المعاصِرة، كما هو واضح في صمت ق. هيلاري فيما يتعلق بأسماء الأصدقاء والأعداء. لا يوجد ذكر لأي اسم باستثناء الرجال الذين كانوا بالفعل مألوفين. هناك أيضًا صمت مطلق بشأن النزاعات والتحالفات المعاصرة. لا توجد ملاحظة بخصوص ولاء المعترفين الأحياء أو اقتراب المترددين حَسني النية من الوصول للحقيقة. لا يحتوي الكتاب على ما يشير إلى أن لديه أي شيء سوى الهدف العام؛ إنه تفنيدٌ شخصي للخطأ وبيان للحقيقة، إلى أقصى درجة ممكنة.

كان هذا هو الغرض المتعمَّد للقديس هيلاري، وقد حَسب نفقته بالفعل بشعبية فورية ونجاح. إن كان العمل قد أحدث تأثيرًا كبيرًا في وقت نشره عن جدارة، كما رأينا، إلا أنه ظَل منذ ذلك الحين، وعلى الرغم من كل مزاياه، غير مشهور. الكتب التي فُنِّدَت فيها تلك الرسالة كانت لها أهمية

[51] Newman, *Arians of the Fourth Century*, ii. v. 2.

حيوية في عصرها؛ والطريقة التي تبنتها خطة ق. هيلاري كانت مثل دعوة لاهوتيين أصغر للتنافس معه.

ثم يصلي، في نهاية الكتاب الأول، كي يكون أسلوبه جديرًا بموضوعه، ومما لا شك فيه أن جهده كان صادقًا كصلاته. كلما كان هناك جهد أقل بالتأكيد، بالنسبة للقارئ الحديث، كلما كان هناك المزيد من النجاح. لكنه لم يكن يتوقع ما في المستقبل، والتكلُّفات البارعة مثل تلك الموجودة في نهاية الكتاب ٨ فقرة ١، 'الشر المتكبر والكبرياء المتبجح والتبجُّح المغوِي'[52] مع تناغم القوافي التي تتبع ذلك، نتذوقها كثيرًا أيضًا في صفحاته. أحيانًا نجد بُقع أرجوانية تُذكِّرنا ببلاغة الخطباء الرومان، وأحيانًا نجد عرضًا مفرطًا للتماثل والتضاد، مما يُذكرنا بأسلوب ق. كبريانوس. ومع ذلك كانت كتابات ق. كبريانوس أبحاثًا عرضية قصيرة مكتوبة للتأثير الفوري. لا هو، ولا أي مسيحي من اللاتين قبل ق. هيلاري، قد غامر لتكوين مقالة كبيرة عن اللاهوت، تهدف إلى التأثير في الحاضر والمستقبل. هناك توسيع مفرط آخر للبلاغة يتمثل في كثرة استخدام الفاصلة، كما في مخاطبته للصياد، يوحنا الإنجيلي، في الكتاب الثاني. لكن كل هذا لم يؤثر على وضوحه بشكل جاد. هناك مقاطع في *'عن الثالوث'*، على سبيل المثال في الكتاب الثامن فقرة ٢٧، ٢٨، يبدو أن ق. أوغسطينوس قد قلَّدها عن عمد.

---

[52] *impietati insolenti, et insolentiae vaniloquoe, et vaniloquio seducenti.*

تأثير فكره على اللاهوتيين اللاحقين

إن ق. هيلاري، مثله مثل ق. أثناسيوس، قد تشرَّب كلمات الكتاب المقدس بشكل رائع روحيًا، أكثر من الفهم الحرفي، لذا فقد كان يوظِّف النصوص لخدمة هدفه، ويفسِّرها في بعض الأحيان ببراعة رائعة. كل هذا يجعله ليس فقط مفكرًا، بل ورائدًا للفكر، إذ قد أثَّرت كنوزه، حتى ولو كان بشكل غير ملحوظ، في صفحات ق. أمبروسيوس وق. أوغسطينوس وجميع اللاهوتيين في وقت لاحق، مما يجعله مستحقًا للإجلال. لم يكن وضعه في مرتبة ق. كبريانوس وق. أمبروسيوس خلال جيل من وفاته، باعتباره واحدًا من الثلاثة الذين شكَّلوا مجد العالم المسيحي الغربي، بلا سبب. كلٌ من القديسين جيروم وأوغسطينوس يَذكره كثيرًا بكرامة كبيرة. لا يَسعنا المجال أن نُلخص أو نناقش محتويات أعماله. لكن القارئ لا يمكن أن يَفشل في التعرف على قيمتها الكبيرة والمتنوعة، واكتمال دحض البدع المعاصرة له، والطابع المقنِع لعرضه للحقيقة، والأصالة، المقيَّدة دائمًا بالمهابة، فضلاً عن الحرص العقلاني، لإضافاته إلى التطور التأملي للإيمان. نحن ندرك أيضًا المثابرة التي بها قد انضم إلى القضايا الرئيسة، إذ قد أُثقِل بمهمة مزدوجة من دحض الأريوسية، وتنمية أفكاره الخاصة. إنه لم يتجول أبدًا في التفاصيل، بل بقي ثابتًا في مساره. على سبيل المثال، هو يمتنع عن كل اعتبار للنتائج التي قد تُحْدِثها الأريوسية على البنية الفوقية للإيمان وعلى سلوك المسيحيين؛ إنهم يُقوِّضون الأساسات، وهو لم ينسَ أبدًا أن تلك هي التي يتعهد بتعزيزها والدفاع عنها. إن ثقتنا به كدليل تزداد عن طريق

الاستخدام العملي البارز لصفاته العُليا. وهذا واضح في أصغر التفاصيل، كما، على سبيل المثال، في تقشفه الحكيم الذي عزز شهرته، والذي سيتم النظر فيه في الفصل التالي، مِن جهة استخدام المصطلحات التقنية للاهوت، حينما يُسهِّل استخدامه لها مهمته، حتى بالنسبة للعقول السطحية. نحن نرى ذلك أيضًا في المواهب التي تَظهَر في اختيار الشعارات، التي تُفيد في توجيه القارئ من خلال جدالاتها، مثل التناقض المتكرر بين مصطلح 'الوحدة' *unitas* الأرثوذكسي و 'اتحاد' *unio* الهرطوقي[٥٣]، وذلك الأخير المؤذي في حد ذاته، قد استخدمه ترتليان بدون اكتراث مع السابق، لكن ق. هيلاري قد انتهز الفرصة بذكاء لوضع نهاية لاستخدامه. هناك أيضًا تكرار عبارة 'ليس إلهين بل واحد'[٥٤]، والتناقض الواضح بين 'واحد' *unum* الأرثوذكسي و 'وحيد' *unus* الأريوسي. وهكذا، في تفوقه في الصنعة الأدبية، وفي قوة الحجة المستمرة والتقدم المطرد للجدال، وفي الاستخدام الكامل للمواهب النادرة من الفكر والقلب، لا بُد لنا من الاعتراف بأن ق. هيلاري قد جعل مشروعه الكبير قضيةً ناجحةً؛ وأن الرحلة التي اكتنفتها مخاطر كثيرة، باستخدام توضيحاته المفضلة، قد وصلت بأمان إلى ملاذ الحق والإيمان.

---

[٥٣] الكتاب الرابع فقرة ٤٢.

[٥٤] الكتاب الأول فقرة ١٧.

الوضع الكنسي في بلاد الغال عند عودته

سواء كان *'عن الثالوث'* كاملاً أم لا في وقت عودته إلى بواتييه، بعد المرور المنتصِر خلال إيطاليا، إلا أن نَشره في شكله النهائي لا بُد أنه قد تَبِع ذلك مباشرةً. رغم سعادته التامة بالرجوع مرةً أُخرى لوطنه، إلا أن العديد مِن المتاعب كانت في انتظاره. أساقفة بلاد الغال، كما عَرفنا من *الرسالة ضد قنسطنطيوس*، كانوا أقل تشدُّدًا ضد جيرانهم الأريوسيين مما كان يتمنى. كان هناك سلامٌ في الكنيسة؛ ذلك السلام الذي يمكن أن يحدث نتيجة التجاهل المتبادل للخلافات. قد يكون جيدًا أن أساقفة الغال، في تعصبهم ضد الشرق، اعتقدوا أن ق. هيلاري نفسه كان قد ذهب بعيدًا جدًا في طريق التوفيق، وأن تحالفه مع أنصاف الأريوسيين Semiarians كان خطوةً أطول نحو حل وَسَط مع الهرطقة أكثر من حيادهم الحَذِر. لا بُد أن كل جانب قد شعر بأن هناك شيئًا ينبغي توضيحه. لقد أوضَح ق. هيلاري، عن طريق نَشر كتاب *'عن الثالوث'*، أن إيمانه فوق الشبهات؛ وامتناعه في هذا العمل عن كل ذِكر للأحزاب القائمة أو لعبارات الجَدَل أظهر أنه قد انسحب من موقفه السابق. لقد عاد الآن كما كان قبلاً، أسقفًا غربيًا، مهتم فقط بالحقيقة المطلقة ومصالح الكنيسة في مقاطعته الخاصة.

الدفاع ضد لوسيفر

بعض شظايا غريبة قد تبقت من الدفاع الذي اضطر لكتابته بسبب هجمات لوسيفر أسقف كالياري، الذي هو واحد من المنفيين من ميلان،

والذي كان من المتعصبين بلا هوادة لقانون إيمان نيقية، والذي لم يمكنه أن يعترف بوجود أية اختلافات بين أولئك الذين لم يقبلوا قانون إيمان نيقية. لقد كان الجميع سيئًا في عينيه؛ لم يكن هناك توضيح للاختلافات أو محاولة للتوفيق القانوني. هذا الأسقف قد صار بعد ذلك شوكةً في خاصرة ق. أثناسيوس، وكان ليُنهي حياته في الطائفة المنشقة التي قام بتشكيلها بسبب أن الكنيسة الأرثوذكسية - من وجهة نظره - لم تستبعد الهرطقة بما فيه الكفاية. أما نحن، الذين نعرف تاريخه بعد ذلك ونتحول باشمئزاز عن الاحتجاجات الرتيبة التي امتلأت بها كتاباته، يمكننا ألا نعيره أهميةً. لكنه في ذلك الوقت كان خصمًا هائلاً. لقد كانت له الميزة الكبيرة بكونه واحد من رُتبة المعترفين لأجل الإيمان، والذين كان يحترمهم الغرب كله. لقد مَثَّل حقًا شعور الكنائس اللاتينية بما فيه الكفاية، والآن فإن ظُلْم قادتهم قد أيقظ عدائهم للأريوسية. إن الإيذاء الشديد، مثل الذي يمكن لقلم لوسيفر البارع أن يُسبِّبه، دائمًا ما يكون مثيرًا للاهتمام عندما يوجَّه إلى رجال أحياء بارزين، رغم أنه يُصبِح مُبتَذلاً حينما لا يُشعَر به بنفس مشاعر المظلوم في زمن كتابته. لقد ضاع احتجاج لوسيفر، لكننا يمكننا أن نَستدِل مِن شظايا رد ق. هيلاري أنه كان أخف لهجةً مما كان معروفًا عنه. في الواقع، إن كتابة معترِفٍ لمعترِفٍ لا بُد أن تَستخدم لغة المجاملة بطبيعة الحال. لكنه كان اتهامًا للسياسة التي كان يتبناها ق. هيلاري، والتي فشل فيها، على الرغم من أن ق. أثناسيوس كان على وشك استئنافها بنجاح أفضل. رغم الكياسة التي صيغت بها، إلا أنه بالتأكيد لم يكن لطيفًا للقديس هيلاري

أن تكون تذكيرًا علنيًا بفشله، وأن تتضمن شكوكًا بخصوص تماسكه؛ على الأقل حينما كان عائدًا إلى بلاد الغال بآمال جديدة، وبصعوبات جديدة أيضًا. إنَّ رده، بقدر ما نرى من الشظايا التي لا تزال قائمة، كان بلهجة يمكن اعتبارها معتدلةً بالنسبة لخلافات اليوم. إنه يخاطب خصمه قائلاً "الأخ لوسيفر"، ويوضِّح بصبر أنه قد أُسيء فهمه. ليس هناك اعتراف بأنه كان على خطأ، على الرغم من أنه يعترف تمامًا بأن مصطلح *homoiousion*، الذي استخدمه أصدقاؤه الشرقيون ببراءة، قد استخدمه الآخرون بمعنى هرطوقي. لقد أشار إلى أن لوسيفر نفسه قد تحدث عن 'مشابهة' الابن للآب، وربما يكون بتلميح إلى عبارة من كتاباته[55]. إن استخدام هذه الحجة بخصوص 'المشابهة' *tu quoque*، وسلسلة الاعتذارات المحدَّدة الواضحة في الرد، يبدو أنها تُظهِر أن ق. هيلاري نفسه قد شعر بأنه في وضعٍ خاسرٍ. لا بُد أنه تمنَّى للعُصبة الأسيوية العرَضية أن تُنسى؛ لا بُد له الآن أن يُبيِّن ثقل وزنه في الغرب، إذ كان يأمل بشدة أن ينجح الهجوم الشديد المباشر على الأريوسية.

الوضع السياسي في بلاد الغال بعد عودته

لقد حدث تغيير كبير في الشؤون العامة. حينما غادر ق. هيلاري القسطنطينية، في ربيع سنة ٣٦٠م في وقت مبكر، ربما كانت القطيعة بين قنسطنطيوس ويوليانوس أمرًا سِريًا قد أصبح لا مفر منه. لا بُد أن الشؤون

[55] Cf. Krüger, *Lucifer Bischof von Calaris,* p. 39.

المدنية والكنسية، والإمبراطور، وحاشيته، والأسقف ساتورنينوس، قد بدت سيطرتهم على الغال في مأمن. لكن الأحداث قد تحركت بسرعة. احتاج قنسطنطيوس إلى قوات لتعزيز الجيوش الشرقية، التي لم تكن كافية لحالة الطوارئ، بسبب الحرب الوشيكة مع بلاد فارس؛ ربما يكون أيضًا قد رغب في إضعاف قوات يوليانوس. لقد طلب رجالاً، وهؤلاء الذين أرسلهم يوليانوس للخدمة الشرقية قد رفضوا التحرك، وأعلنوا يوليانوس إمبراطورًا في باريس. لقد كان هذا في مايو، قبل أن يصل ق. هيلاري، الذي تأخر بسبب مَهامِه في إيطاليا في سبيل الأرثوذكسية، إلى الوطن. أطال يوليانوس المناقشة كَسبًا للوقت، واستمر في المفاوضات مع قنسطنطيوس، ووظَّف جيشه في حرب الحدود. لكن لا يمكن أن يكون هناك أي شك في هذه المسألة، إذ كانت الجيوش الغربية هي الأقوى في الإمبراطورية، فقد انتصر قسطنطين الكبير على ابن أخيه بمساعدتهم، وصار له نجاح وشعبية على حد سواء باعتباره القائد والمسئول. لم تكن مسيرة يوليانوس ضد قنسطنطيوس قد بدأت حتى صيف عام ٣٦١م؛ لكن حُكْم قنسطنطيوس ونظامه اللاهوتي كان قد تم رفضه في الغال. لم يكن الأساقفة قد نبذوا ساتورنينوس كما كان ق. هيلاري يرغب؛ معظمهم قد أُغروا بأن يقدموا إقرارهم للأريوسية في مجمع ريميني. رغم تعتيم الأمر مِن قِبَل قنسطنطيوس وممثله ساتورنينوس، إلا أنهم لم يجرؤوا على إثبات ذاتهم. أما الآن فقد حانت اللحظة، ومعها الزعيم. لا بُد أن ق. هيلاري قد وَصَل إلى الغال

حينما كان الصراع وشيكًا، ولم يكن ممكنًا أن يكون مترددًا في اتخاذ الجانب الذي ينبغي أن يتخذه.

يوليانوس الجاحد يُصبح الحاكم الفعلي لبلاد الغال

بدأ حُكم يوليانوس في الغال قبل بضعة أشهر من منفاه، ومن المُرجَّح أنهما لم يلتقيا وجهًا لوجه. لكن يوليانوس كانت له سمعة جيدة كحاكم صالح وق. هيلاري قد قدَّم اسمه في التماسه الثاني لقنسطنطيوس، كشاهد عن دوره، وكمَن معاناته مشهورة بسبب ظُلم قنسطنطيوس. لا بُد أن نتذكر أن يوليانوس قد أَخفى وثنيته، وأن كل العالم، فيما عدا أصدقائه القريبين، قد سلَّموا بأنه كان مسيحيًا مخلصًا، كما بدا من مستوى حياته العالي. أما الآن فقد أزاح قنسطنطيوس عن حُكم بلاد الغال، وكان ساتورنينوس - الذي عاد في ذلك الوقت - عاجزًا. لا يَسعنا أن نتساءل إن كان ق. هيلاري قد واصل جهوده؛ إن كان قد جال في الأرض، حاثًا الأساقفة في كل مكان على أن يتخلوا عن اعترافهم الذي قُدِّم في ريميني. هذا ما كان الأساقفة، من جانبهم، على استعداد للقيام به بالتأكيد؛ إنهم لم يكونوا أريوسيين في داخلهم، ومُعاملتهم التي لاقوها في ريميني، التي أُتبعَت بتزوير مخادع لمعنى كلامهم، لا بُد أنها قد أثارت بداخلهم استياءً عادلاً. لم يكن هناك أي خطر في ظِل حُكم يوليانوس. لكن ذلك لم يكن كافيًا لغرض ق. هيلاري بأن يتم تعديل 'الشر الداخلي' للإيمان المتردد؛ كان من الضروري أيضًا أن تَرحل البدعة المُعلَنة. لهذا كان من الضروري التعاون مع

يوليانوس؛ وقبل هذا كان يوليانوس يَبحث بطبيعة الحال عن رأي واضح من جانب ق. هيلاري. يمكننا أن نعزو نَشر الطعن ضد قنسطنطيوس، في النصف الثاني من سنة ٣٦٠م أو بداية ٣٦١م، إلى هذا الظرف. لقد كان تخليًا عن الولاء لمِلكه القديم، حتى ولو لم يُذكَر الجديد بشكل واضح. ومع اسم قنسطنطيوس أُقرِن اسم ساتورنينوس، كمحرض على الاستبداد والكفر.

مجمع في باريس لعزل ساتورنينوس

أَدرك يوليانوس قيمة التحالف الأرثوذكسي بتنفيذ قرار المجمع الذي عُقد في باريس، الذي عَزل ساتورنينوس. لم تكن للقديس هيلاري السلطة الكنسية لجمع مثل هذا المجمع، لكن شخصيته وسُمو خدماته جعلت زملاءه على استعداد للسير على خطاه؛ ومع ذلك فلم يكن ممكنًا له ولا لهم أن يتصرفوا هكذا بدون ضمان دعم يوليانوس. عملهم قد أحالهم بلا رجعة إلى قضية يوليانوس؛ ولا بُد أن طرده لساتورنينوس قد أحاله بما لا رجعة فيه إلى الجانب الأرثوذكسي. ومع ذلك فإن يوليانوس، الذي لا يؤمن بكلتا العقيدتين، جعل القضية الظاهرية لنفي ساتورنينوس هي سوء السلوك الذي دائمًا ما كان ذريعةً مناسبةً لنفي أسقف، وليست أخطاؤه اللاهوتية. كان ساتورنينوس رجلاً دنيويًا، وربما كانت أريوسيته مزعومة فقط لمساعدته في طموحه؛ وهذا كان كافيًا لنواله العقاب. يقول سالبيكيوس ساويروس إن سقوط رئيسها قد دمَّر الحِزب. الأساقفة الأريوسيون الآخرون، الذي كانوا بالتأكيد قليلي العدد، قد خضعوا لاختبارات أرثوذكسيتهم،

باستثناء واحد. لقد كان باتيرنوس أسقف بيريجورد Paternus of Perigord، الرجل غير المشهور، شجاعًا. أكد إيمانه بعناد، وشارك ساتورنينوس المصير. هكذا قد حصل ق. هيلاري على ما كان قد فَشل في الحصول عليه. الخطاب المجمعي، الموجَّه إلى الأساقفة الشرقيين ردًا على الرسائل التي أرسلها بعضهم إلى ق. هيلاري منذ عودته، والذي قد أدخله هو في تاريخه، سوف يُذكر فيما بعد[٥٦]. الآن يؤكد أساقفة الغال أرثوذكسيتهم، ويقطعون الشركة مع أوكسنتيوس وفالنس وأورساكيوس، ويحرمون ساتورنينوس على الفور. يقول سالبيكيوس إن ق. هيلاري من خلال عمله في باريس قد نال مجده بمجهوداته الفردية، بتطهير مقاطعات الغال من أدناس البدعة[٥٧].

وقعت تلك الأحداث قبل مغادرة يوليانوس البلاد، في منتصف صيف ٣٦١م، في مسيرته ضد قنسطنطيوس؛ أو على الأقل، إذا كانت الإجراءات الفعلية قد لحقت برحيله، فلا بُد أنها تَلت ذلك بسرعة، لأن إقراره كان ضروريًا، وعندما تم الحصول عليه لم يكن هناك أي دافع للتأخير.

فترة مجهولة في تاريخ ق. هيلاري

ثم يختفي ق. هيلاري عن الأنظار لعدة سنوات. إنه لا يروي لنا شيئًا في كتاباته عن مسار حياته وعمله؛ حتى مواعظه الرسمية والخطابية لم تُلقِ أي

---

[٥٦] شذرة ١١.

[57] *Chron.* ii. 45.

ضوء على أساليبه في الإدارة، عن نجاحاته أو مواضع فشله، والقليل جدًا على نوعية رعيته. لم يكن هناك صراع آخر داخل كنيسة الغال خلال حياة ق. هيلاري. موت قنسطنطيوس، الذي حدث قبل أن يقابله يوليانوس في المعركة، قد أزال كافة القلق السياسي. يوليانوس نفسه كان مشغولاً جدًا بإحياء الوثنية في الشرق عن أن يُقلق نفسه بجدية بالترويج لها في المقاطعات التي تتحدث اللاتينية، التي كان غائبًا عنها، والتي كان يهتم بها بشكل أقل. القضية الأرثوذكسية في بلاد الغال لم تعانِ من رِدَّته. لقد أعقب حُكمه القصير حُكم جوفيان Jovian الأرثوذكسي لمدة أقصر. ثم جاء فالنتينيان Valentinian، الأرثوذكسي الشخصية، لكنه رفض بثبات السماح بوجود رواسب على حساب العقيدة. تحت إمرته تضاءلت الأريوسية جدًا؛ تم انتخاب خلفاء أرثوذكس للأساقفة الأريوسيين، وبعد بضعة سنوات أمكن للقديس هيلاري طرد أوكسنتيوس من ميلان، كما سنرى محاولته فعل ذلك الآن.

العودة للاهتمام بالأعمال الأدبية

'تفسير سفر أيوب'

كان هذا هو تدخله الأخير في سياسة الكنيسة. كان اهتمامه الرئيس من الآن فصاعدا هو العمل الأدبي. لقد فسر سفر أيوب، كما عرفنا من القديسين جيروم وأوغسطينوس. يقول ق. جيروم إن هذا، وعمله عن المزامير، كان ترجمة لأعمال أوريجينوس. لكن الشذرتين اللتين احتفظ بهما

ق. أوغسطينوس من تفسير سفر أيوب قصيرتان جدًا بحيث لا يمكننا استنتاج أي شيء يتعلق بمواصفات الكتاب.

'عظات عن المزامير'

تعديل ق. هيلاري الآخر لعمل من أعمال أوريجينوس، العظات عن المزامير، لا يزال لحُسن الحظ موجود لدينا. إنه عمل عظيم مثل *'عن الثالوث'*، ويمكننا أن نَعلم منه ما هي نوعية الإنسان الذي كتبه. لا يزال هناك أثر واحد فقط، على الرغم من أنه غير كاف، للظروف الأصلية لإلقائها. العظة على مزمور ١٤ تبدأ بـ 'المزمور الذي تمت قراءته'. المزامير كانت تُرتَّل كممارسة لخدمات الصلاة - ولم تكن تُقرأ كدرس - في السياق العادي للخدمات الإلهية؛ لذا ينبغي لنا أن نفترض أن المزمور الذي سوف يُشرح كان يُتلى، بواسطة القارئ أو شخص آخر، كمقدمة للعظة. رغم أن العديد من المواعظ طويلة جدًا عن أن تُلقى في مناسبة أو اثنتين، إلا أن إضافة التسبيح الذي كان يقرره دائمًا ق. هيلاري، مثله مثل أوريجينوس، قد حُذفت في كل الحالات فيما عدا نهاية الموضوع بأكمله[٥٨]. هذا يبين أن ق. هيلاري نفسه، أو ربما بالأكثر بعض النساخ، قد وضعوا العمل في شكله النهائي. لكن هذا الحذف من العظات لم يمتد إلى استئصال العديد من التكرارات، والتي كانت طبيعية جدًا حينما كان ق. هيلاري يقدمها كتعليق كامل في حد ذاته، ولا يسيئنا الأمر عندما نقرأ المقالة عن مزمور واحد، على

[٥٨] فيما عدا مزمور ٥١، وهذا بالتأكيد بسبب عدم دقة النساخة.

الرغم من أنها بالتأكيد تُشوِّه العمل عندما يُعتبر كمقالة عن سفر المزامير عامةً.

من المحتمل أن يكون نتيجة للحوادث الزمنية أن تكون النسخة الحالية للعظات غير كاملة. في الواقع، نحن أفضل حالاً مما كان ق. جيروم. مخطوطته قد احتوت على العظات عن المزامير ١، ٢، ٥١-٦٢، ١١٨-١٥٠، وفقًا للتدوين اللاتيني. لدينا، بالإضافة إلى ذلك، العظات الحقيقية بالتأكيد عن المزامير ١٣، ١٤، ٦٣-٦٩. والبعض الآخر على عناوين المزامير ٩ و ٩١، والتي هي مزيفة على الأرجح.

لا يمكننا تحديد موعد إلقائها، أو إن كانت عظات متصلة زمنيًا. على سبيل المثال، العظة عن المزمور ٦٣، حيث يقول إن الوثنية عدوانية وصارت خطرًا حقيقيًا، بما يتناقض بشدة مع لغته في العظة على مزمور٦٧، الفقرة ٢٠، حيث يتدفق الوثنيون يوميًا إلى الكنيسة، أو في مزمور ١٣٧، فقرة ١٠، حيث انهارت الوثنية، ودُمِّرَت معابدها. يمكن أن يكون مثل هذا الكلام قد كُتب على النحو السابق فقط في عهد الحُكم القصير ليوليانوس.

ق. هيلاري هو أول مؤلِّف للتراتيل اللاتينية

في المخطوطة التي اكتشفها جاموريني Gamurrini في أريزو Arezzo، يوجد ما يؤكد جمع ق. هيلاري للتراتيل. لقد اشتهر بكونه أقدم كاتب للترنيمة اللاتينية. لقد كانت هذه، في الواقع، مهمة لا بُد أن ظروف حياته قد فرضتها عليه. الصراع مع الأريوسية أجبره أن يصبح رائدًا

للاهوت النظامي باللغة اللاتينية؛ كما قد قاده أيضًا إلى النفي في الشرق، حيث عرف التأثير الكبير للترانيم الأريوسية على انتشارها. بالتالي كان من الطبيعي أن يقدم التراتيل أيضًا إلى الغرب. لكن إذا كان *'عن الثالوث'* لم يلاقِ النجاح الكبير، فلا بُد أن التراتيل أيضًا قد لاقت نفس المصير. يخبرنا ق. جيروم أن ق. هيلاري شكا من أنه وَجد الغال غير متعلم للترانيم المقدسة[٥٩]؛ وليس هناك سبب لنفترض أنه حصل على نجاح واسع مستمر في إدخال الترانيم في العبادة العامة[٦٠]. فإن كان واجبًا أن يُنسب للقديس هيلاري الفضل في تأصيل هذا، إلا أن شرف تحوُّل اقتراحه إلى أمر معتبَر يعود إلى ق. أمبروسيوس.

يمكننا معرفة رأي ق. هيلاري فيما يتعلق باستخدام التراتيل من العظات عن المزامير ٦٤، ٦٥. في فقرة ١٢ من مزمور ٦٤، ممارسة الكنيسة لترتيل الألحان في الصباح والمساء بلذة، هي واحدة من الصفات المميزة الرئيسة التي نالتها من رحمة الله تجاهها. في الفقرة الأولى من مزمور ٦٥ قيل لنا إن الترنيمة المقدسة تتطلب مرافقة التناغم الموسيقي، وجَمع الأشكال المختلفة من الخدمة والفن يؤدي إلى نتيجة مقبولة لدى الله. رفع الصوت

---

[59] *Comm. in Ep. ad Gal.* ii. *pref.*

[٦٠] أقرن مجمع توليدو Toledo الرابع سنة ٦٣٣م في قانونه الثالث عشر ق. هيلاري مع ق. أمبروسيوس ككاتب للألحان المستخدَمة بالفعل. كما أن إيسيذوروس أسقف سيفيل Isidore of Seville (٥٦٠ - ٦٣٦م) قد عَلِم دون شك مِن *'مشاهير الرجال' Viri Illustres* للقديس جيروم أن ق. هيلاري كان أول كاتب للألحان اللاتينية.

لله بابتهاج، كعمل من أعمال الحرب الروحية ضد الشيطان وجنوده، هو مثال لاستخدامات الترنيمة (فقرة ٤). بل هو وسيلة لجعل العدو يهرب، إذ يقول:

> "أيًا كان مَن يأخذ وظيفته خارج الكنيسة، فليسمع صوت الناس في صلواتهم، وليحترم الصوت المحتشد لتراتيلنا، وليُدرك في أداء الأسرار الإلهية الاستجابات التي يصنعها اعترافنا المُخلِص. كل خصم لا بُد أن يخاف، والشيطان يُهزَم، والموت يُغلَب بالإيمان بالقيامة، من قِبل الكلام المتهلل من صوتنا المبتهج. العدو سيَعرِف أن هذا يُسعِد الله ويؤكِّد رجاءنا، ألا وهو هذا الرفع الجماعي والمنتصر لصوتنا في الترنيمة".

من الواضح أن التركيب الأصلي، سواء للكلمات أو للموسيقى، في عقل ق. هيلاري، ويمكننا أن نرى أنه يوصي بشيء جديد مفيد أكثر من وصف ممارسة كانت سائدة.

المقالة *'ضد أوكسنتيوس'*، وأسباب كتابتها

نأتي الآن إلى هجومه على أوكسنتيوس أسقف ميلان Auxentius، وآخِر أعماله الكاملة. كان ديونيسيوس أسقف ميلان، كما رأينا، مِن الذين عانوا بسبب نفس القضية مثل ق. هيلاري. لكنه كان لا يزال يُعامَل بطريقة أكثر شدة، إذ لم يُنفَ فقط، بل أخذ مكانه أوكسنتيوس، الذي كان أريوسيًا شرقيًا من المدرسة المفضلة لقنسطنطيوس. تنيح ديونيسيوس في المنفى، وظل

أوكسنتيوس يملك الكرسي بلا منازع. لا بُد أنه كان رجلاً ذا قدرة كبيرة. لقد كان بالتأكيد زعيم الحزب الأريوسي في إيطاليا والغرب الأقصى. حقيقة أن قنسطنطيوس ومستشاريه قد اختاروه لهذا المنصب الكبير جدًا كأسقف على ميلانو تُثبت أن لديهم ثقة فيه. لقد بَرَّر ثقتهم، وتمسك بما لديه دون صعوبة واضحة في ميلان، وعمل بنجاح في قضية التسوية في أرمينيا Ariminum وغيرها، وقد ذكره ق. أثناسيوس مِرارًا بمرارةٍ كزعيمٍ للهراطقة؛ لا بُد أنه قد لُقب مع أورساكيوس وفالنس كواحد من أكثر الرجال عديمي الضمير من حزبه. حينما مَلَك قنسطنطيوس كان أوكسنتيوس بالطبع في مأمن من الهجوم بالطبع. لكن في نهاية سنة ٣٦٤م، اعتقد ق. هيلاري أن الفرصة قد حانت.

منذ دخوله الأخير في الصراع قد مات يوليانوس وخليفته جوفيان، وكان فالنتينيان قد صار إمبراطورًا منذ بضعة أشهر. لقد كان قد قَسَّم توًا الإمبراطورية الرومانية مع شقيقه فالنس Valens، آخذًا لنفسه النصف الغربي مع ميلان كعاصمته، بينما أَعطى القسطنطينية والشرق لفالنس. كان هذا الأخير رجلاً ذا قدرات محدودة، لا يستحق أن يَملُك، ومقتنعًا بالأريوسية؛ فالنتينيان، رغم عيوبه الكثيرة، كان حاكمًا قويًا، ورَجَّح القضية الأرثوذكسية. لكنه كان، قبل كل شيء، جنديًا ورجل دولة؛ ربما كانت أرثوذكسيته مجرَّد إذعانٍ للإيمان السائد بين رعاياه، وكان تأثيرها على سلوكه أقل بكثير من تأثير الأريوسية على فالنس. لا بُد أن ق. هيلاري ويوسابيوس أسقف فرشيللي قد بدا لهم وجود خطرٍ على الكنيسة في حيازة

أوكسنتيوس لأسقفية ميلان، مع وصول المعلومات إلى أُذن الإمبراطور؛ وخصوصًا أن الامبراطور كان جديدًا في عمله ولم تكن لديه المعرفة، ولا القناعات القوية غالبًا، بشأن النقاط المختلَف عليها. مهما استطاعا أن يَحكما، فإن نجاحهما أو فشلهما في عزل أوكسنتيوس من شأنه أن يؤثر على الكنيسة لجيل على الأقل. لذا فمن الظلم اتهام ق. هيلاري بأنه كان في تلك الفترة بلا عمل. لقد تدخَّل، هذا صحيح، في أمرٍ خارج مقاطعته الخاصة، لكنه كان في أزمة خطيرة؛ وعِلمه بالكنيسة الغربية قد أكد له بالتأكيد أنه إذا لم يتصرف، فلن يحدث الاحتجاج الضروري.

من ثَم فقد سارع ق. هيلاري، بالاشتراك مع حليفه يوسابيوس، إلى ميلان من أجل التأثير على عقل فالنتينيان ضد أوكسنتيوس، ومن أجل إيقاظ الأرثوذكسية النائمة لكنيسة ميلان. يبدو أن كنيسة ميلان كان لديها قليلاً من المعارضة المحلية للأساقفة الأريوسيين. من ناحية أخرى، لم تكن هناك أيَّة أريوسية مقاتِلة؛ الصلوات الليتورجية لأوكسينتيوس لم تكن تثير أي وازع، وفي تعليمه كان يتجنب بالتأكيد نقطة الخلاف. هو ومدرسته لم تكن لهما أية رغبة في اضطهاد الأرثوذكسية لأنها كانت في نظرهم أرثوذكسية. من وجهة نظرهم، الإيمان قد استقر في هذه الطريقة 'عِش واترك غيرك يعيش'. علينا أن نتذكر أن مجمع ريميني، المُخزي بسبب الطريقة التي تم بها الوصول إلى القرار، كان لا يزال هو الحاكم لإيمان الكنيسة الغربية. ق. هيلاري ويوسابيوس قد حثَّا العديد من الأساقفة، وسط استحسان من الرعية، ليغيروا موقفهم؛ لكن التعبيرات الخاصة عن

الرأي، أيًا كان عددها، لم تتمكن من محو تعريفات ريميني من سِجلات الكنيسة. لقد استمر هذا حتى شطبها مجمع روما عام ٣٦٩م. كان الهدف الأول للحليفين هو إثارة المعارضة ضد الأريوسية، وقد نجحا في هذا بمقدار ما.

في التماسه الذي قدمه للإمبراطور، أكد أوكسنتيوس أنهما حركا بعض العلمانيين، الذين لم تكن لهم شركة معه ولا مع أسلافه، ليدعونه هرطوقيًا. وصل فالنتينيان ميلان في نوفمبر من ٣٦٤م، وتركها في خريف العام التالي؛ لكن قبل مغادرته كانت قراراته قد أحبطت غرض ق. هيلاري. نحن نعلم فقط أن أوكسنتيوس قد قدَّم التماسًا للإمبراطور، في أقرب وقت بعدما نمَت المسألة بشكل خطير. لم تكن هناك نقطة أكثر أهمية في نظر الحكومة من الوحدة داخل الكنائس المحلية؛ كما أن أوكسنتيوس، الذي كان رسميًا على حق، قد قدَّم التماسه مع الكثير من الثقة. كان نجاحه فوريًا. أصدر الإمبراطور ما قد دعاه ق. هيلاري 'مرسومًا مُحزنًا'[٦١]. يقول فقط إنه تحت حجة الوحدة والرغبة فيها، ألقى فالنتينيان كنيسة المؤمنين في ميلان إلى التشويش. في كلمات أخرى، نهى ق. هيلاري عن التحرك من أجل الفصل بين الناس وأسقفهم.

لكن ق. هيلاري، الذي أُسكِت في المدينة، قد بَذَل نفسه في البِلاط. بلجاجة عاجلة، كما يقول لنا، قدَّم اتهاماته ضد أوكسنتيوس، وحث الإمبراطور على تعيين لجنة للنظر فيها. اجتمعت اللجنة في الوقت المناسب.

---

[61] *Contra Auxentium*, § 7.

تكونت من اثنين من الموظفين العلمانيين، مع حوالى عشرة من الأساقفة كمستشارين[٦٢]. حضر ق. هيلاري ويوسابيوس، فضلاً عن المتهم. ترافع أوكسنتيوس عن قضيته الخاصة، بدءًا بالهجوم المؤسف على خصميه بأنهما قد عُزلا من قِبل مجمع، وبالتالي ليس لديهما الحق في المثول أمام المحكمة كمشتكين على أسقف. هذا كان غير صحيح؛ نحن نعلم أن ق. هيلاري قد نُفي، ولكن لم يُعلَن أبدًا أن كرسيه شاغر، وكذلك يوسابيوس. لم يكونا دخلاء، مثل أوكسنتيوس، على الرغم من أنه قد اكتسب بعض الشرعية بسبب وفاة ديونيسيوس في المنفى. كان فشل هذا الطلب كاملاً حتى إن ق. هيلاري، في تقريره للمسألة، يُعلن أنها لم تكن تستحق أن يُكرِّر دفاعه. ثم جاء العمل الجاد للَّجنة. لم يكن هذا استعلامًا لاهوتيًا عن الحقيقة، بل القضية القانونية كانت هي إن كان تعليم أوكسنتيوس فعلاً يتفق مع المعايير المعترَف بها. أكَّد ق. هيلاري أن عقيدته تختلف عن الإمبراطور وجميع المسيحيين الآخرين، وأكَّدها بلغة قاسية جدًا. لقد أكَّد الآن مزاعمه، وفي قيامه بذلك قدم لأوكسنتيوس ميزةً مزدوجةً، لأنه تعرَّض للقضية العامة عن اللاهوت، بينما تمسَّك أوكسنتيوس بالقرارات الحرفية لمجمع ريميني؛ وكلام ق. هيلاري كان فيه ادعاءٌ بأنه يعاني من الافتراء.

لقد روى ق. هيلاري أن المناقشة العقيدية قد دَفَعَت أوكسنتيوس المتردد إلى حافة إنكار الإيمان؛ وأن أوكسنتيوس قد نجا من هذه الصعوبة

---

[٦٢] المرجع السابق. ومن الواضح أن القرار كان في يد العلمانيين، حتى إن أوكسنتيوس في تقريره عن المسألة لم يذكر الأساقفة.

باستسلام كامل، بجعله يوقّع على اعتراف الأرثوذكسية، بمصطلحات قد وافق عليها عدة مرات أثناء النقاش؛ وأن ق. هيلاري قد أحال هذا الاعتراف إلى الإمبراطور من خلال الرئيس العلماني للجنة. هذه الوثيقة، التي يقول ق. هيلاري إنه قد أرفقها برسالته التوضيحية، قد فُقِدت للأسف. السرد الموجَز للمسألة من خلال أوكسنتيوس لا يتعارض مع تقرير ق. هيلاري. إنه يروي لنا أنه بدأ بالاحتجاج بأنه لم يَعرف أو يرى أريوس، ولم يَعرف حتى ما هي عقيدته؛ ثم انتقل إلى إعلان أنه لا يزال يعتقد ويُنادي بالحقائق التي كان قد تعلَّمها في طفولته، والتي درس بها الكتاب المقدس؛ ويُعطي ملخص لتصريحاته الإيمانية التي قام بها أمام اللجنة. لكنه لا يقول كلمةً واحدةً عن هزيمته، والتوقيع القسري للاعتراف الذي يتناقض مع تأكيداته السابقة.

بالتأكيد يجب أن يُقبل تقرير ق. هيلاري عن الإجراءات. لكن، على الرغم من أن فوزه المعنوي والجدلي كان كاملاً، إلا أنه من الواضح أنه لم يَربح أية فائدة لقضيته. لقد كان قد وبخ أوكسنتيوس بسخرية باعتباره متمسكًا بأريوس. كان لأوكسنتيوس رد فوري، وهو ما قد أوقع خصمه في الخطأ. لا يمكن أن نشُك في أنه قال الحقيقة، عندما قال إنه لم يكن يعرف أريوس؛ تلك كانت القضية بالفعل، أن في السنوات الأولى من القرن الرابع، كانت التعاليم غير الملائمة بخصوص الثالوث سائدةً على نطاق واسع، وقد انتشرت بدون نزاع. كان صحيحًا أيضًا أن الفصيل المهيمن في حاشية قنسطنطيوس، الذي كان أوكسنتيوس رائدًا له، قد تنازل عن تواطؤه مع

الأريوسية بطَرد مُعلِّميها مِن كراسيهم، والانضمام للإدانة العالمية لمؤسِّس تلك البدعة. لكن إن كان هذا مصدر خزيهم، إلا أنه كان أيضًا، في مثل هذه الظروف التي يَخضع لها أوكسنتيوس، حمايةً لهم. لقد تولَّى أوكسنتيوس واحدًا من أكبر المناصب في الكنيسة، وحتى في الدولة، إذ صارت ميلان عاصمة الغرب. لا بُد أنه بدا مثيرًا للغضب أن يقوم أسقفٌ غير مسئول، لمدينة أقل بالمقارنة مع ميلان، باتهام أوكسنتيوس بتلك الطريقة التي استخدمها ق. هيلاري. على الرغم من أنه قد اعترف - بدلاً من التبرؤ - بذلك التقارب مع أريوس، إلا أنه كانت هناك مخالفات في استخدام هذا السلاح المألوف، ألا وهو تلقيب حزب باسم عضوه الأكثر خزيًا، والذي لا يحظى بشعبية. نحن قد نكون على يقين أن أوكسنتيوس، وهو شخصية عالمية، قد استمد كل فائدة ممكنة من تلك الحِدة المفرطة مِن خصمه. في المناقشة نفسها، حيث كانت للقديس هيلاري الميزة - ليس فقط لأن قضيته سليمة، بل بسبب جِدِّية القضية - لا يمكننا أن نتفاجأ بأنه قد فاز بالنصر. أوكسنتيوس ربما كان غير مبال، بينما قد كَرَّس ق. هيلاري حياته وكل مواهبه لأجل هذه القضية. لكن مثل هذا النصر يمكن ألا تكون له أية نتائج، سوى التقليل من تقدير الشعب لأوكسنتيوس ومن احترامه لذاته. لا يبدو من كلماته أو من كلمات ق. هيلاري، أن العقيدة الفعلية لمجمع ريميني كانت ذات أهمية في النزاع. لقد اعتمد عليها أوكسنتيوس؛ لو لم يكن قد عارض بالفعل مصطلحاتها، لأصبح النقاش مجرد مناقشة عن الحقيقة المجردة. لم يتأثر المعيار القانوني للعقيدة بتنازله الإجباري بجحد

التصويت الذي حدث في ريميني قبل سنوات قليلة، والذي قد اضطر أن يقوم به بسبب ق. هيلاري ويوسابيوس.

لا شك أن أعضاء اللجنة قد قدموا تقريرهم الخاص إلى الإمبراطور. نحن لا نعرف فحواه، ولكن يمكننا من النتيجة أن نكون على يقين من أنهم قد أعطوه رأيهم بأن أوكسنتيوس كان الأسقف القانوني لميلان. تحدَّث فالنتينيان بعد ذلك بمُدة. لا نعرف إن كان ق. هيلاري قد اتخذ مزيدًا من الخطوات للتأثير على قراره، لكننا لدينا تذكارًا موجهًا مِن أوكسنتيوس لـ 'الإمبراطورين فائقا البركة والمجد، فالنتينيان وفالنس'. كان لكلا الأخوين، من خلال الترتيب المتبادَل، السيادة داخل مملكته، لكنهما كانا يحكمان كزملاء، وليس كمتنافسين؛ لا بُد أن أوكسنتيوس تشجع لاعتقاده بأنه يبدو غير طبيعي ومتهورًا أن ينتهز الكبير تلك الفرصة الأولى من إعلان معارضته للقَناعات الخاصة بالأصغر، عن طريق إهانة واحدةٍ من المدارس التي يكرمها شقيقه. إن ما قد اقتُرِح لم يكن مِلئًا صامتًا لفراغ مكان شاغر، بل طَرْد أسقفٍ موقعه لا يقل أهمية عن ق. أثناسيوس نفسه، وطرْده كان لأسباب لاهوتية بحتة. قنسطنطيوس نفسه لم يكن جريئًا لتلك الدرجة؛ كل أعماله الظالمة، كما في حالة ق. هيلاري، عادةً ما غَلَّفَتها بعض مزاعم سوء سلوك الضحية. لكن أوكسنتيوس لديه أكثر مما لدى فالنس من اعتبارات سياسية يعتمد عليها. لقد وَضع مجلس ريميني في طليعة دفاعه. هذا الهجوم من قِبل ق. هيلاري وأصدقائه، وفقًا له، هو محاولة حفنة من

الرجال لتفريق وحدة حققتها مجهودات مجمع مؤلَّف من ستمائة أسقف[٦٣]. لقد أَعلن موافقته الثابتة على جميع قرارات المجمع؛ كل بدعة أُدينت قد أدانها هو. ثم أَرسل مع خطابه نسخةً من أعمال المجلس، وتوسَّل للإمبراطور أن يقرأها، لأن لغتها سوف تُقنعه أن ق. هيلاري ويوسابيوس، الأسقفين المعزولين منذ مدة طويلة، كانا يُخطِّطان لانقسام عالمي. هذا، مع تقريره عن المَحاضِر أمام اللجنة، وبيان قصير عن اعتقاده، يُشكِّل التماسه للإمبراطور.

رسالة لحث الأساقفة والشعب على نبذ الأريوسية

قام ق. هيلاري بتوجيه رسالة عامة "إلى الإخوة الأحباء الذين ثبتوا في إيمان الآباء ونبذ الهرطقة الأريوسية، الأساقفة وكل رعيتهم". لقد بدأ بالحديث عن نعمة السلام، التي لا يتمتع بها المسيحيون في ذلك اليوم، ولا يعززونها، هؤلاء الذين يعانون بواسطة الكارزين بضد المسيح، الذي يتفاخر بالسلام، وبعبارة أخرى بالتوافق المتناغم في التجديف، الذي قد جلبوه. إنهم يَقبلون أن يكونوا كهنةً لضد المسيح وليس أساقفةً للمسيح. هذا ليس اعتداءً عشوائيًا (فقرة ٢)، بل إدراكًا واعيًا للحقيقة، التي ذكرها ق. يوحنا، بأن هناك أضدادًا كثيرين للمسيح. فإن هؤلاء الرجال يلبسون قناع التقوى، والتظاهر بالكرازة بالإنجيل، بهدفٍ واحد، ألا وهو حَمْل الآخرين على إنكار المسيح. لقد كان يوم (فقرة ٣) البؤس والجهل أن يسعى الرجال نحو رفع قضية الله بطرُق بشرية ومصالح عالمية. ثم يسأل ق. هيلاري

---

[٦٣] هذه مبالغة فظة، لأنهم لا يمكن أن يكونوا أكثر من أربعمائة، وربما أقل.

الأساقفة، الذين يؤمنون بوظيفتهم، إن كان للرُسل دعمٌ علمانيٌ وكراماتٌ من الحكام. لقد أنشدوا تراتيلهم وهم مجلودون ومكبَّلون. لم يجمع بولس الرسول كنيسة للمسيح بموجب منشور مَلكي؛ لقد عُرِض للجمهور في المسرح. لم يكن نيرون وفيسباسيان Vespasian وداكيوس رعاةً للكنيسة؛ لقد عُرفَت الحقيقة من خلال كراهيتهم. الرُسل عملوا بأيديهم وصلُّوا في العُليات والأماكن السرية، وزاروا كل قرية وكل قبيلة بتحدٍ للسلطات. ومع ذلك كان لهؤلاء المتمردين مفاتيح ملكوت السموات؛ بقدر ما كانوا ممنوعين، بقدر ما بشَّروا، وأُعلِنَت قوة الله. لكن الإيمان الآن (فقرة ٤) يحظى بتأييد الناس. تسعى الكنيسة للتدعيم من العلمانيين، وفي قيامها بذلك تُهين المسيح باعتبار دعمه غير كاف. هي بدورها تَحمل في طياتها تهديدًا بالنفي والسجن. لقد كان ثباتها هو الذي جَذَب الناس لها؛ لكنها الآن تَفرض عقيدتها بالعنف. هي تتفاخر بأن العالم يُحبها؛ لكن كراهية العالم لها كانت دليلَ كونها للمسيح. الخراب الذي وقع على الكنيسة واضح، والسبب واضح (فقرة ٥). زمن ضد المسيح، المتنكِّر في زي ملاكٍ من نور، قد جاء. المسيح الحقيقي قد أُخفي تقريبًا عن كل عقل وقلب. من هنا جاءت الآراء المتضاربة الآن، تعليم أريوس ووَرثته، فالنس وأورساكيوس وأوكسنتيوس وزملائهم. إن وعظهم الجديد بشأن المسيح هو عمل ضد المسيح، الذي يستخدمهم لتقديم عبادته الخاصة. هذا ثابتٌ (فقرة ٦) في بيان تعليمهم المراوغ، لكنه مع ذلك لم يعطي أي انطباع عند العلمانيين السُذَّج وحَسني النية. ثم (فقرات ٧- ٩) يأتي بيان ق. هيلاري عن إجراءاته

في ميلان، الملونة بقوة مشاعره. الرفض الأول لمعارضة الإمبراطور لأوكسنتيوس هو 'أمرٌ بإدخال كنيسة ميلان، التي تعترف بأن المسيح إله حقيقي، من نفس لاهوت وجوهر الآب، في تشويشٍ، تحت ذريعة الرغبة في الوحدة'. قوانين ريميني توصَف كأنها قوانين نيقية؛ احتجاج أوكسنتيوس بأنه لم يَسبق أن عرف أريوس يقابله تأكيده أنه قد تَمَّت رسامته للعمل الكهنوتي في كنيسة أريوسية في عهد جيورجيوس السكندري. يرفض ق. هيلاري مناقشة ما جاء في مجمع ريميني؛ لقد جُحِد عالميًا باستقامةٍ. طَرده من ميلان، على الرغم من احتجاجاته بأن أوكسنتيوس كاذب ومرتد، هو كشف عن سِر عدم التقوى. فإن أوكسنتيوس (فقرة ١٠، ١١) كان قد تحدَّث بنغمتين متضادتين؛ إحداهما هي الاعتراف الذي قاده ق. هيلاري للتوقيع عليه، والأخرى اعتراف مجمع ريميني. مهارته في الكلمات يمكن أن تَخدع حتى المختارين، لكنه قد انكشف بوضوح. أخيرًا (فقرة ١٢) يأسف ق. هيلاري لأنه لا يمكنه التصريح بالقضية إلى كل أسقف وكنيسة بشكل شخصي.

موقِف الإمبراطور فالنتنيان

لم تتغير سياسة الإمبراطور. ألغى أساقفة الغرب في مجمع روما عام ٣٦٩م رسميًا وقائع مجمع ريميني، وبالتالي جردوا أوكسنتيوس من رتبته، لكن فالنتينيان رفض تنفيذ الأحكام الصادرة ضد أوكسنتيوس، وبالتالي فقد ظل أسقفًا على ميلان حتى وفاته عام ٣٧٤م. لقد عاش أكثر من ق. هيلاري

ويوسابيوس، وأيضًا من ق. أثناسيوس، الذي كان آخِر مَن روَّج للهجوم عليه. أما خليفته، ق. أمبروسيوس، فقد كان له الدعم الحماسي من شعبه في صراعاته مع الأمراء الأريوسيين. لكن على العموم، من المؤكَّد أن الكنيسة قد اكتسبت شيئًا من نجاح ق. هيلاري.

آخر أعماله الكتابية

لا يزال هناك عمل واحد متبقي يمكن النظر فيه، ألا وهو تاريخ الجدل الأريوسي كما عاصره. نحن نعلم من السيرة التي كتبها ق. جيروم عن حياة ق. هيلاري أنه كَتب كتابًا ضد فالنس وأورساكيوس، يتضمن سردًا لأحداث مجمعي ريميني وسلوقيا. لقد كانا خصميه طوال حياته العملية. بالنسبة لهما، مثلما لقنسطنطيوس، كانت الإطاحة بأصدقائه الأسيويين أمرًا مناسبًا، وهو بدوره مدين لهما بالحصول على إذن للعودة إلى إيبارشيته. كان أوكسنتيوس واحدًا من حلفائهما، وفشل هجوم ق. هيلاري عليه أوضح أن هذين الرجلين أيضًا، كرعايا لفالنتينيان، كانا في مأمن من الخَلع المستحَق. لقد كان نجاحهما الدنيوي واضح؛ كانت مُهمة كشْف حقيقتهما طبيعيةً ومستقيمةً بالنسبة للقديس هيلاري. لقد كان واضحًا أنه في حياة فالنس وفالنتينيان سيكون السلام داخل الكنيسة الغربية مُسلَّحًا؛ وأن الإطاحة بأسقف بواسطة أسقف في النزاع اللاهوتي سوف يكون محظورًا. كان القلم هو السلاح الوحيد الذي بقي للقديس هيلاري، وقد استخدمه لتقديم تقرير للأحداث منذ وقت مجمع آرل في عام ٣٥٣م، والذي كان بداية دخول

بلاد الغال في الصراع الأريوسي. لقد تبِع مجراه، مع إشارة خاصة إلى أورساكيوس وفالنس، حتى عام ٣٦٧م، أو على الأقل نهاية ٣٦٦م؛ آخِر واقعة سُجِّلَت في الشذرات التي نَملكها لا بُد أن تكون قد حدثت في غضون أشهُر قليلة من وفاته. لم يكن العمل تاريخيًا أكثر من كونه مجموعةً من الوثائق التي جُمِعَت معًا بسردٍ تفسيريٍ. فاتحة العمل قد نجَت لحسن الحظ، ومنها نعلَم الروح التي كُتِب بها. يبدأ (شذرة ١ فقرة ١، ٢) بعرض تعليم بولس الرسول عن الإيمان والرجاء والمحبة. هو يشهد، مع الرسول، أن الأخيرة هي الأعظم. الرباط غير المنفصل، والذي هو واعيًا به، عن محبة الله له ومحبته لله، قد فَصَلَه عن الاهتمامات الدنيوية. وهو كغيره (فقرة ٣) ربما يكون قد تمتع براحة ورخاء وصداقة إمبراطورية، وكان، مثلما كانوا، أسقفًا فقط بالاسم وعبئًا على الكنيسة. لكن الوضع المفروض كان عَبئًا بحقائق الإنجيل، وعَمى مقصود عن الظُلم، وصفحًا عن الطغيان. الرأي الشعبي، غير العالِم بالدقائق اللاهوتية ولا المعتاد عليها، لم يلاحظ التغيير. لكنه يمكن أن يكون انحرافًا جبانًا عن حُب المسيح الذي لا يمكنه أن يتنازل عنه. إنه يشعر (فقرة ٤) بصعوبة المهمة عليه. إن الشيطان والهراطقة قد فعلوا أسوأ ما لديهم، والجماهير قد أُرهِبَت لإنكار قناعاتهم. القصة قد تعقَّدَت بسبب براعة شر المتآمرين، والأدلة يَصعُب الحصول عليها. مشهد المؤامرة لا يمكن رسمه بوضوح، وهو مزدحِم بالأعداد النشطة من الأساقفة والضباط، الذين يتحركون ضد العقول الرسولية. لقد غَرسوا في ذهن الشعب الاعتقاد بأن الأساقفة المنفيين قد عانوا لمجرد رفضهم إدانة ق. أثناسيوس.

إن العناد هو الذي كان يحرِّكهم وليس المبدأ. لأجل احترام الإمبراطور، الذي عرشه من عند الله (فقرة ٥)، لن يُعلِّق ق. هيلاري على اغتصابه للسلطة القضائية على أسقف، ولا على الطريقة التي كانت تمارَس بها؛ ولا حتى على الظلم الذي أَجبر الأساقفة على تمرير الحُكم على المتهم في حالة غيابه. في هذا الكتاب سوف يقدِّم الأسباب الحقيقية للمشكلة. لذا (فقرة ٦)، سوف يقدِّم سردًا كاملاً لتوالي الأحداث من مجمع آرل فصاعدا، مع سرد للمسألة التي ثار حولها الجدل، بإظهار وقائع حالة باولينوس، وإيضاح أن الإيمان فقط هو الذي كان في خطر. ثم يُنهي مقدمته (فقرة ٧) بتحذير القارئ أن هذا العمل يحتاج إلى أن يُدرَس بجدية.

لا بُد أنه كَتب هذا الكتاب في سنواته الأخيرة، ومن الواضح أنه استمر يضيف إلى ذلك من وقت لوقت حتى نهاية حياته.

النياحة

لقد وصلنا الآن إلى نهاية عمر ق. هيلاري. يخبرنا سالبيكيوس ساويروس أنه قد تنيح في السنة السادسة من عودته. وقال إنه ربما وصل بواتييه في وقت مبكر من العام ٣٦١م؛ لقد رأينا أن الحدث الأخير المُسجَل في شذرات العمل الأخير لا بُد أنه نما إلى عِلمه في وقت مبكر من عام ٣٦٧م. لا يوجد أي سبب للشك في أن هذا هو الاستنتاج التاريخي، ولا يشير أي اعتبار إلى أن ساويروس كان مخطئًا في تاريخه. يمكننا بالتالي أن نقول إن نياحة ق. هيلاري كانت تقريبًا سنة ٣٦٧م، وربما في منتصفها. لا نَعلم شيئًا

عن ظروف نياحته، مما يؤكد أن معاصريه لم يعطوه الاهتمام الحقيقي الذي يستحقه. لقد كان بالنسبة لهم الرجل المشغول وغير الناجح؛ لقد تحوَّل خلفائهم في الجيل التالي بعيدًا عنه وعن أعماله إلى الكتابات الأكثر جاذبية، والشخصيات الأكثر قوةً مثل القديسين أمبروسيوس وأوغسطينوس. مع ذلك، لم يكن لأحد غرض ثابت وإيمان أكثر اقتناعًا، وربما لم يوجد عقل أكثر حرصًا، قد كرَّس نفسه للدفاع عن الحقيقة وتوضيحها، أكثر من ق. هيلاري.

الفصل الثاني
فكره اللاهوتي

الكتاب المقدس هو أساس فكره اللاهوتي

في الواقع، لقد اهتم الدارسون بلاهوت ق. هيلاري أكثر من اهتمامهم بتاريخ حياته، والدارس لا يمكنه أن يستغني عن مساعدة الكُتب التي كُتِبَت عنه بالفعل. ومع ذلك فلا بُد من أن يُكوِّن بنفسه حُكمه الخاص عن لاهوته من كتابات ق. هيلاري، إذ أن تلك الدراسات عن لاهوته تختلف بشكل كبير عن الآراء التي تمسَّك بها هو نفسه[1]. لا يمكننا أن نُنكِر تأثُّره بطريقة تفكير العلامة أوريجينوس، سواء من الناحية المنطقية، أو في طريقته للاستدلال على المفهوم الروحي من خلال النَص الحرفي، وبالتالي ميله للمدرسة الرمزية في تفسيره للكتاب المقدس، وهو المنهج الذي اتَّبعه أغلبية المفسرين مِن الآباء الشرقيين، بدون إغفال للحقائق التاريخية الموجودة في الكتاب المقدس[2]. ولكونه تلميذًا لمدرسة أوريجينوس، مِن ثَم فقد

---

[1] إذ قد تحامَل عليه الكثير مِن الكُتَّاب نتيجة لعدم فهمهم له بشكلٍ كافي، أو بسبب انطباعات قد أُخِذَت عنه لإيمانه بطبيعة المسيح الواحدة المتجسدة، وهو ما جعل اللاهوتيين الغربيين متحاملين عليه.{م}

[2] إذ سوف يجد القارئ عند ق. كيرلس الكبير بالأخص تفسيره الرمزي دون إنكار حقيقة حدوث القصص الواردة في الكتاب المقدس، وذلك واضحًا في تفسيره لأسفار الأنبياء الصغار، كما أن أشهر مَن فسر الكتاب بعهديه، ألا وهو ق. يوحنا فم الذهب كان يسير على نفس النهج.{م}

وَجد أصدقاءه الطبيعيين في المدرسة الكبادوكية، التي يمثلها ق. باسيليوس الكبير وق. غريغوريوس النزينزي وق. غريغوريوس أسقف نيصص، وإن كانوا أصغر منه سنًا. لكننا في بعض الحالات يمكننا أن نُلاحظ نمو عقل ق. هيلاري، إذ أنه يحرر نفسه من تأثير أوريجينوس؛ مثلما على سبيل المثال في عِلم النفس الخاص به. لقد تَعلَّم لاهوته، كما سنرى، مِن المراجع الشرقية، ولم يكتفِ بالاستمرار في التعليم التقليدي للغرب، بل اهتم بتطويره. كما أن فكره الفلسفي قد تأثر بالمدرسة الأفلاطونية الحديثة Neo-Platonism، وأيضًا بالفيلسوف اليهودي فيلو - الذي تأثر به بالمِثل كلٌ من أوريجينوس وكليمنضس السكندري - الذي منه قد عَبَر إليه الإحساس بأهمية الإعلان الإلهي الموجود في الاسم الإلهي 'الذى يكون'[٣]. هناك استنتاجان سوف يصل إليهما الدارس الحريص بالتأكيد؛ الواحد هو أن كل تصريح وجدال سوف يكون في تناغم قوي ودقيق مع قوانين الإيمان، والآخر أنه يجب ألا يُفاجأ أمام أية براعة أو جراءة موجودة في منطق أو تفسير، دون تجاوز للحدود، لشرح مثال توضيحي للحقائق المُعتَرَف بها. لكن لا بُد من السعي وراء الدليل على أن قلب ق. هيلاري، مثلما أيضًا عقله، كان مرتبطًا بالبحث والدفاع عن الحق. الفصل الحالي يعتزم فقط أن يَضع - بطريقة واقعية تمامًا - الاستنتاجات التي وصلت إليها عبقريَّته الجريئة، العاملة بطُرق المنطق الصارم وبروح الإخلاص التوَّاق إلى الإيمان.

---

[٣] (خر ٣: ١٤)

في مجهوده لتقديم سبب إيمانه، ينجذب ق. هيلاري للكتاب المقدس، ويستفيد بحُريةٍ مِن اللاهوتيين المبكرين. لكنه لا يجعل نفسه عبدًا لهم أبدًا، فهو ليس المشايع المُعلَن لأي مدرسة، كما أنه لا يَذكُر أبدًا أسماء هؤلاء الذين يتبناهم. إنه يُكيِّفهم تبعًا لنظام فكره الخاص، ويُقدِّمهم للقبول بحسب مميزاتهم، وليس بحسب وزنهم. أيًا كان، فإن توقيره للكتاب المقدس غير محدود. كل شيء يؤمن به، هو مستمَد مباشرةً من الكتاب المقدس، باستثناء الحقيقة الأساسية للإيمان بوجود إله، التي لدى الإنسان وعي فطري بها، لكونه غير قادر على التحديق في السموات بدون الاقتناع بأن الله موجود، وموطنه هناك[4]. الكتاب المقدس بالنسبة للقديس هيلاري يعني السبعينية بالنسبة للعهد القديم، واللاتينية بالنسبة للجديد. لم يكُن، كما سنرى، عالِمًا في العبرية، ولا ميالاً للترجمات التي تُنافِس السبعينية أو اللاتينية التي تترجِم العهد القديم، لكن هناك دليلاً صغيرًا على أنه كان غير راضٍ عن الترجمة اللاتينية للعهد الجديد[5]؛ في الواقع، لقد بَنى جدالاً على تفسير خاطئ[6] في أحد الأمثلة، سواء بسبب قناعته الفطرية بلغته اللاتينية، أو من خلال عدم التدقيق في التحقُّق مِن المعنى. أما الآن فلا بُد

---

[4] *Tr. in Ps.* xxii. 2, 4.

[5] مثل ما جاء في *'عن الثالوث'* كتاب ٦ فقرة ٤٥.

[6] تفسيره لـ (يو ٥: ٤٤) في كتاب ٩ فقرة ٢٢ من *'عن الثالوث'*، راجع التعليق على الفقرة في الكتاب المذكور.{م}

لنا أن نتكلم عن استخدامه للكتاب المقدس كمصدر للحق، وعن الطُرق التي وَظَّفها لكي يشرح معناه.

تأثره بمنهج أوريجينوس

يرى ق. هيلاري أن العهدين من وحي واحد متجانس، لهما نفس القيمة من جميع الجهات[٧]، وأي جزء مِن الكُل يمكن أن يُستخدَم في توضيح أي جزء آخر. لقد أطلق لقب *beatissimus*[٨] على كلٍ من دانيال النبي وبولس الرسول، حينما اقتبس من كليهما في تفسير معلمنا متى (٢٥: ٣). وهو يرى أن الكتاب المقدس متناغم طوال الوقت، كما علَّم أوريجينوس، بل ونافع جدًا كذلك. الكتاب المقدس لا يكرِّر نفسه أبدًا، ويجب البحث عن المعنى ليس فقط في أبسط اختلافات اللغة، بل أيضًا بترتيب المترادفات الواضحة؛ في الواقع، كل التفاصيل، وكل معنى يمكِن أن تُفَسَّر به كل التفاصيل، هو مادة لتحقيق مفيد[٩]. إن تفسير ق. هيلاري للكلمات التي

---

[٧] فهو يقتبس من سفر باروخ بنفس الثقة التي يقتبس بها من بقية الأسفار، في '*عن الثالوث*' ٥: ٣٩.

[٨] قد تعني الطوباوي، الغني، السعيد، المسبِّب للسعادة. انظر:
Oxford Latin Dictionary: Oxford University Press, United Kingdom. (1968), p. 227.{م}

[٩] وهكذا في '*عن الثالوث*' (١١: ١٥)، يُقدِّم في تعليقه على (مز ٢٢: ٦) نظريتين لتوالد الديدان، واحدة فقط يمكن أن تكون صحيحة، بينما يمكن أن تكون كلتاهما خاطئتين. لكنه يستخدم الاثنتين، لكي يوضح حقيقتين تخصان ربنا.

تقول: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّىَ الْمَوْتِ، في *العظات عن المزامير* *Tractaius in Psalms* 141:8، والكتاب العاشر مِن *'عن الثالوث'* فقرة ٣٦، هو مثال رائع لتلك الطريقة، كما سنرى في ترجمة نَص *'عن الثالوث'* في هذا الكتاب.

بالمثل، لغة ق. بولس عن كنوز المعرفة المخفية في المسيح، هي لإثبات معرفة الله العالِم بكل شيء على الأرض. أي شيء مخفي لا بُد أنه موجود في مَخبأه؛ لذا لا يمكن أن يكون المسيح جاهلاً[١٠]. لكن هذا الالتصاق الحميم بنَص الكتاب المقدس له علاقة بالجرأة الشديدة في تفسيره. إنه لا يتجرأ، مثلما فعل أوريجينوس، على التأكيد على أن بعض الفقرات من الكتاب المقدس ليس لها معنى حرفي، لكنه يُعَلِّم بأن هناك ثلاث حالات لم يكن لروایاتها معنىً له علاقة بالظروف التي كُتبَت فيها، ويستخدم هذا لكي يؤكد على التعليم، الذي يتمسك به بنفس ثبات أوريجينوس، أن المعنى الروحي هو الوحيد الذي له أهمية جادة[١١]. كل الحقائق الدينية محوية في الكتاب المقدس، لكن في حدود الكتاب المقدس تكون الحُرية الأكبر في الاستدلال هي في أن يُفسَح لك المجال بخصوص الهدف الذي به كُتِبَت الكلمات والمعنى المتصل بها. أحيانًا، وبالأخص في كتاباته المتأخرة، حينما كان ق. هيلاري ينمو أكثر حذَرًا وفطامًا لنفسه من تأثير أوريجينوس، كان يحذرنا بأن نكون حريصين، وألا نقرأ كثيرًا عن حقيقة عقائدية محددة في

---

[١٠] *عن الثالوث* (٩: ٦٢). وهناك جدال مشابه في فقرة ٦٣.

[11] Cf. *Tr. in Ps.* cxlii. i.

كل فقرة، بل أن نتأمل في سياق الكلام والمناسبة[12]. في موضع آخر، في تفسير لإنجيل متى، نجد أنه في حين أن كل الإنجيل حقيقي، إلا أن حقائقه مُعلَن عنها في الغالب لكي تكون نبوةً مثلما هي أيضًا تاريخ؛ أو أن جزءًا مِن حدثٍ يكون في بعض الأحيان مطموسًا في الرواية لكي يجعل الكل أكثر كمالاً كنبوة[13]. لكنه يمكنه أن يَستخرج درسًا ليس فقط مما يقوله الكتاب المقدس، بل أيضًا من التناقضات التي قد تبدو قائمةً بين النصوص المختلفة التي وصلتنا فيها.

مكانة السبعينية لديه

لقد تَعلَّم ق. هيلاري من أوريجينوس أن يَعتبر السبعينية مرجعًا مستقلاً وموحى به لأجل إظهار العهد القديم. مترجمو السبعينية هم 'هؤلاء السبعون شيخًا الذين كانت لهم معرفة بالناموس والأنبياء، الذين سموا فوق حدود وغموض الحَرف"[14]. ثِقته في عملهم، الذي لم يزِد عن ثقة ق. أوغسطينوس، قد شجَعه على كَسب دروسٍ مِن الاختلافات بين العناوين العبرية والسبعينية للمزامير. على سبيل المثال، مز ١٤٢ قد زُوِّد في السبعينية بعنوان ينسبه لداود حينما طارده أبشالوم، رغم أن العبرية لا تَذكُر هذا،

[12] *Tr. in Ps.* lxiii. 2; *Trin.* iv. 14, ix. 59.
[13] *Comm. in Matt.* xix. 4, xxi. 13.
[14] *Tr. in Ps.* cxlii. 1;

لكن يجب ألّا نُركِّز اهتمامنا على بلايا داود، بل على أحزان المسيح. وهكذا يجب أن تقود السبعينية حُكمنا[15].

لقد كان إدخال فكر أوريجينوس للمسيحية اللاتينية بواسطة ق. هيلاري ومعاصريه هو الذي وَضع هذا النمط، ولا يُمكن أن يكون لأحد منهم تأثير أكبر من تأثير ق. هيلاري نفسه. لقد مارس كل تأثيره الأكثر دوامًا ليس مِن خلال أفكاره الخاصة، لكن من خلال ميراثه الذي نَقله من الإسكندرية إلى أوروبا. لا يمكننا أن نتعجب من أن ق. هيلاري، الذي يدين باقتناعاته العقائدية الواضحة لدراسة حريصة ومستقلة للكتاب المقدس، لا بُد أنه قد تمنَّى أن يقود الآخرين لنفس المصدر من المعرفة. إنه يُقرِن دراسة الأسفار بالإفخارستيا كمائدة ثانية للرب، ووسيلة عامة للنعمة، والتي تحتاج نفس الإعداد لقلب نقي وحياة نقية[16]، لأجل فائدة المستمِع. الانتباه للدروس التي تُقرأ في الكنيسة هو مهمة رئيسة، بل الدراسة الخاصة بالكتاب المقدس مؤكَّد عليها بنفس الجِدِّية. لا بُد أن تكون امتيازًا ومهمةً للكل، كما كانت بالنسبة للقديس هيلاري.

المصطلحات اللاهوتية

إن إحساسه بقيمة الكتاب المقدس قد قوي بإيمانه بقداسة اللغة. الأسماء تُلائِم الأشياء التي تدُل عليها بشكل متلازم؛ الكلمات هي نفسها

---

[15] Cf. *Tr. in Ps.* cxlv. 1.
[16] *Tr. in Ps.* cxxvii.10.

وحي. هذا درس قد تعلَّمه من أوريجينوس؛ والطباق الخاطئ بين طبيعة الله واسمه - والذي بسببه يكون للمسيح الاسم فقط بحسب الأريوسيين، إذ قد نَسب الكتاب تعبير آلهة للبشر - جَعل له استخدام خاص عند ق. هيلاري[١٧]. لكن لو أن هذه الكرامة العالية تخص كل قول بخصوص الحقيقة، فسيكون هناك احتياج أقل للمصطلحات اللاهوتية. لقد نَدر وجودها بالفعل في صفحات ق. هيلاري. لفظ 'الثالوث' قد ذُكِر مرتين[١٨]، وتعبير 'شخص' لم يُذكَر كثيرًا. كما أن لديه المهارة الأدبية للتعبير بكلمات عادية عن أفكار بعيدة تمامًا عن الفكر العادي، لكن ليس إلى بُعد متطرِّف. لا أحد، على سبيل المثال، قد طَوَّر فكرة السُكنى المتبادَل للآب والابن بشكل أكثر كمالاً ووضوحًا منه؛ ومع ذلك فهو لم يجد من الضروري توظيف أو توريث المصطلحات اللاهوتية المتأخرة، مثل circuminsession*، أو *perichoresis* περιχώρησις. حينما يَستخدم مصطلحات من التعليم اللاهوتي الشائع، فهو أبدًا لا يَظهر كعبدٍ

---

[١٧] مثلما في *'عن الثالوث'* كتاب ٧ فقرة ١٣؛ قارن أيضًا فقرة ٣١، وهذا الجدال هو جدال أثناسيوسي.

[١٨] *'عن الثالوث'* كتاب ١ فقرة ٢٢، ٣٦.

* وهو المصطلح اللاهوتي لتبادل الاحتواء interpenetration بين الثلاثة أقانيم في الثالوث القدوس، والذي يُطابق περιχώρησις في اليونانية (أي النشوء حول)، وترجمها Burgundio of Pisa إلى اللفظ اللاتيني *circumincessio* سنة ١١٩٣م.{م}

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition, 1997, P. 354

لها. على سبيل المثال استخدامه لتعبير 'الكيان الحقيقي الإلهي*' Divine substance، أكثر من كلمة 'جوهر' Essence؛ لقد استخدم كلاً مِن 'كيان حقيقي' و 'طبيعة' كمترادفين، لكن بالتبادل الذي فيه يظل كلاهما ينتمي بوضوح لعالَم الأدب، وليس العِلم، إذ قد استخدمهما مرتين كبدائل دقيقة، لأجل اجتناب الرتابة، في عبارات متطابقة في كتابه *'عن الثالوث'* كتاب ٦، فقرة ١٨، ١٩. هكذا أيضًا طبيعة النار في كتاب ٧، فقرة ٢٩، المقصود بها الجوهر؛ وفي كتاب ٩، فقرة ٣٦، يترادف تعبير الكيان الحقيقي الإلهي مع الطبيعة الإلهية. هناك فقط القليل من الأمثلة[١٩]. كالعادة، يوجد

---

* *substantia* في اللاتينية تحمل معنى الطبيعة بالأكثر، بينما *Essentia* تحمل معنى الجوهر. أما في الإنجليزي substance و essence تُتَرجمان كـ 'جوهر'، والحقيقة أن تعبير *substantia* في اللاتينية قد حدث له الكثير من التطور، إذ قد استخدمه اللاهوتيون في الأساس للتعبير عن الكيان الأساسي underlying Being الذي بسببه يكون الثلاثة أقانيم واحدًا. أكثر مَن استخدمه من اللاهوتيين اللاتين كان العلامة ترتليان. في البداية كان هو الترجمة اللاتينية لتعبير *οὐσία* 'جوهر'، إلا أن الكنيسة الناطقة باليونانية قد استخدمته كمرادف لـ *ὑπόστασις*، إذ أن *ὑπο -στασις* تقابل *sub-stantia*، وهذا قد قَبله مجمع نيقيه ٣٢٥م وكان مألوفًا لدى ق. أثناسيوس. لكن تحت تأثير الجدال الأريوسي، وبالأخص لدى الآباء الكبادوك، أصبح هناك تمييزٌ بين *οὐσία* و *ὑπόστασις*، إذ اقتصر الأول على معنى 'جوهر'، بينما صار الثاني مرادفًا لـ *persona* في اللاتينية.{م}
The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition, 1997, P. 1553.

[١٩] في كتاب ٥ فقرة ١٠، 'الله واحد ليس في الشخص (الأقنوم) بل في الطبيعة'، وفي (٤: ٤٢) 'ليس بوحدانية الشخص (الأقنوم) بل بوحدانية الكيان الحقيقي'، وفي (٦: ٣٥) 'ولادة طبيعة حية من طبيعة حية'.

هنا امتناع عن الأفكار والمصطلحات العويصة، التي تدُل، بالنسبة للدارس للفلسفة واللاهوت الفلسفي، على التضييق المتعمَّد لمجال تفكيره، لكن جزءًا ما مِن حذره ربما يكون بسبب إحساسه بعدم ملاءمة مصطلحاته مع التعليم اللاهوتي اللاتيني.

كما قد رأينا، بالرغم من أن الوضع التأملي ليس هو السعادة التامة للإنسان، إلا أن معرفة الله أساسية للخلاص[20]؛ الإنسان، المخلوق على صورة الله، هو قابل بالطبيعة للمعرفة، ومُريدًا لها، والمسيح قد جاء لكي يمنحها له، فيمكن للإنسان أن يسمو إلى الحياة الإلهية. لم ينكمش ق. هيلاري أمام اللغة الرائعة للمدرسة السكندرية، التي تكلمت عن 'تألُّه'[21] الإنسان؛ هو يقول إن الله قد وُلِد لكي يكون إنسانًا، حتى يمكن للإنسان أن يولَد

---

[20] *Tr. in Ps.* cxxxi.6.

[21] والمقصود بالتأله هو رجوع الإنسان إلى الصورة الله التي خُلق عليها باستعادة روحه وعقله وجسده... لتهيئته للفردوس. راجع القمص تادرس يعقوب ملطي، *مدخل إلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية* باللغة الإنجليزية، صفحتا ٧٤، ٢٨٨ طبعة ١٩٩٣م. وعن تعبير التأله يمكن مراجعة تفسيره للإصحاح الأول من إنجيل يوحنا، *والرسالة ضد الأريوسيين* للقديس أثناسيوس الرسولي ١:٣: ٣٣ -٣٤، وفي تفسيره لسفر أعمال الرسل يقول بوضوح تام: "لا يَقصِد الآباء بتعبير التأله أن يصير الإنسان هو الله بل يتمتع بسماتٍ فائقةٍ هي هبة النعمة الإلهية له"، ويقول أيضًا في مكان آخر إن التأله هو: "شركة في الحياة الأبدية والتمتع بخاصية اللاموت والخلود"، وأيضًا راجع كتابه *الاصطلاحان (طبيعة وأقنوم) في الكنيسة الأولى*، مراجعة الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري. الإسكندرية: مارجرجس سبورتنج، ١٩٨٧م، صفحة ١٢. إذًا فالتأله هو الوصول إلى حالة القداسة والكمال الذي طالب به المسيح الجموع قائلاً: "كونوا قديسين... كونوا كاملين".{م}

ليكون إلهًا"[٢٢٣]. لو أن هذا الهدف ينبغي بلوغه، فمِن الواضح أن ما هو مقبول كمعرفة لا بُد أن يكون حقيقيًا؛ مِن ثَم فإن شر الهرطقة الفائق، الذي يدمر مستقبل الجنس البشري بتصوير الخطأ كحقيقة، كلما زادت مكره، وزاد التأني عليه، كلما زادت جريمته. لقد كان ق. هيلاري مقتنعًا بشكل واضح بأن خصومه قد أَدركوا هذا الهدف الشائن. إن وصفه لهم مِرارًا بالكَذَبة لم يكن فقط بلُغة الجدالات التقليدية، بل بكل إخلاص؛ هؤلاء الذين لا يمكنهم أن يكونوا جهلةً بالحقائق التي يُحرِّفونها، والمبتدعون للجدالات المغالِطة والمزيِّفون لنصوص الكتاب المقدس، يَعون أن قَدَرهم مُصَدَّق عليه، ويحاولون تحويل عقولهم بعيدًا عن فكرة بؤس المستقبَل بإدخال الآخرين في دمارهم.

بالتواضع نعرف الله

فبالرغم من أن الإنسان يستطيع أن يعرف الله، ولا بُد أن يعرف الله الذي قد أعلَن عن نفسه، إلا أن معرفتنا يجب أن تتضمَّن قبولاً بسيطًا لمصطلحات الكتاب الدقيقة. التواضع التام أمر ضروري؛ الخطأ يبدأ حينما يصبح الناس فضوليين. قُدرتنا على المعرفة - الأمر الذي لم يكُف ق.

---

[٢٢٣] *عن الثالوث* (١٠: ٧)، وهو نفس ما قاله ق. أثناسيوس: 'الكلمة قد صار جسدًا لكي يقدس البشر ويؤلههم'. القديس أثناسيوس الرسولي: *المقالة الثالثة ضد الأريوسيين، الشهادة لألوهية المسيح*، ترجمة الأستاذ مجدى وهبة صموئيل والدكتور نصحى عبد الشهيد. القاهرة: المركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء، نوفمبر ١٩٩٤. صـ ٧٤.{م}

هيلاري أبدًا من الإصرار عليه - محدودة جدًا، حتى أننا ينبغي أن نكون قانعين بالإيمان بدون تعريف مصطلحات إيماننا. فإنه كما أن العقل ضعيف، هكذا اللغة، الوسيلة التي يوظِّفها العقل، لا تزال أقل ملائَمةً لمهمة كبيرة كهذه[٢٣]. الهرطقة قد أصرَّت على التعريف، والإيمان السليم قد أُجبِر على اتِّباع ما يتلاءم معه[٢٤]. لقد آمن بوضوح بأنه كان من الممكن لنا إدراك الحق المُعلَن والربح الكامل بواسطته، بدون إعادة صياغة النَص أو توضيحٍ آخر. لقد نَجح إلى حد كبير في الاحتفاظ ببساطته فيما يخُص تعليمه عن الله. كان لديه المعنى اليوناني الكامل للاتحاد الإلهي، إذ لا يوجد افتراض بامتلاك أقانيم الثالوث لصفات متباينة أو متمِّمة.

استخدام التشابهات الجزئية، رغم أنها لا تُصوِّر الحقيقة كاملةً

الإعلان الذي دافَع عنه هو أن الله واحد، كامل، مُطلَق، غير متغيِّر. هذا الإله المطلَق قد أعلن عن نفسه تحت اسم 'الذي يكون'، الذي التجأ إليه ق. هيلاري بثباتٍ. إن الله يمكن أن يُعرَف فقط من خلال إعلانه عن نفسه. لكننا هنا تواجهنا صعوبة، وهي أن عقلنا قاصر، ويميل إلى التضليل. إن الجدال من خلال التشابه الجزئي، والذي يجب أن نستخدمه بشكل طبيعي، لا يمكن أن يكون مرشدًا بشكلٍ كافٍ، بما أنه لا بُد أن يتقدم من المحدود إلى المطلق. لقد عَرض ق. هيلاري هذا بشكل متكرر وقُدرة

---

[٢٣] *عن الثالوث* (٤: ٢)، (١١: ٤٤).

[٢٤] *عن الثالوث* (٢: ٢).

عظيمة، وتنوع رائع في بيان هذا الأمر بجملة مِن التوضيحات. إن أهمية كتابه *'عن الثالوث'* تسمو بشكل عظيم بالمهارة والشجاعة التي بها سوف يعالِج بعض المتناقضات الظاهرية، ويجعل تناقضات غير المحدودات المتعارضة تفضي إلى تبجيل المتناقضات. في هذا النَص تَظهر مهارته، والتي بها يُلقي للقارئ نفس الرهبة التي هو نفسه متأثر بها.

الآب

عن الله الآب يمكننا أن نقول القليل مما هو جديد. لقد دُعي آبٌ في الكتاب المقدس؛ لذا فهو آب وبالضرورة ينبغي أن يكون له ابن. وفي المقابل، حقيقة أن الكتاب المقدس يتكلم عن الله الابن، هي إثبات للأبوة. لكن بما أن الإيمان بالآب فقط غير كافٍ للخلاص[٢٥]، وفي الواقع، ليس فقط غير كافٍ، بل زائف بالفعل - لأنه يُنكر أبوته برفض الابن الذي هو من نفس الجوهر - فإن اهتمام ق. هيلاري يتركز على العلاقة بين هذين الأقنومين. هذه العلاقة هي الاحتواء الأزلي المتبادل، أو *perichoresis*، كما دُعيَت، والذي قد جُعِلَ ممكنًا بوحدانية طبيعتهما وبعدم محدودية كليهما. الفكرة استُنبِطَت بقوة الحُجة والكمال من بعض العبارات مثل "إِلَيْكِ يَتَضَرَّعُونَ قَائِلِينَ: فِيكَ وَحْدِكَ اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ .لَيْسَ إِلهٌ" (إش ٤٥: ١٤)، و "صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا" (يو ١٤: ١١). لقد تَقدَّم ق. هيلاري من هذا الموقف الكتابي إلى

---

[٢٥] *'عن الثالوث'* (١: ١٧).

الإدراك العميق للوعي الذاتي الإلهي المتضمَّن في هذا الاحتواء. هذا عند ق. هيلاري مجرد تلميح، وواحدة من الأفكار المتعددة التي منعه إلحاح الصراع مع الأريوسية عن التوسع فيها[٢٦].

الميلاد الأزلي للابن

الصراع الأريوسي كان مشنونًا بشكلٍ رئيسٍ على مسألة الولادة الأزلية للابن، وقد كان ق. أثناسيوس هو البطل في هذا الصراع. في الوقت الذي بدأ فيه ق. هيلاري الكتابة، كان كل نَص من الكتاب يمكن أن يُستخدَم ليكون ملائمًا للنقطة محل النزاع بأكبر شكل ممكن. لم يكن هناك شيءٌ ولو حتى قليل قد تبقَّى لكي يُعمَل في اكتشاف العبارات أو تركيبها. معالجة ق. هيلاري للبرهان الكتابي كاملة تمامًا. الآب هو وحده غير المولود، والابن هو بالحقيقة ابن، لم يُخلَق ولم يُتبنَّى. الابن هو خالق العالمين، **حكمة** الله، الذي هو وحده يعرف الآب، والذي أعلن الله للإنسان في الظهورات الإلهية المتعددة في العهد القديم. ميلاده لا مثيل له، إذ أن الولادات الأخرى تتضمن عدم وجود مُسبَق، بينما ميلاد الابن هو منذ الأزل. فإن الولادة من الآب وميلاد الابن ليسا متصلين بتسلسل زمني للسبب والنتيجة، لكنهما متطابقان تمامًا في الأزلية السرمدية[٢٧]. يُنكِر ق. هيلاري إمكانية توضيح هذا الميلاد الإلهي بالتشابهات الجزئية المحسوسة؛ الأمر يفوق فهمنا كما أنه

---

[26] Dorner, *Doctrine of the Person of Christ,* I. ii. p. 302, English translation.

[٢٧] *عن الثالوث* ١٢: ٢١.

يفوق الزمن. لا يمكننا أن نتعجب من هذا، لأن ميلادنا الشخصي هو بالنسبة لنا سِر لا يُفسَّر. الميلاد الأزلي للابن هو التعبير عن الطبيعة الأزلية لله. إنها طبيعة الواحد الذي لا بُد أن يكون هو الآب، والآخر الذي لا بُد أن يكون ابنًا؛ هذه الطبيعة تَشترِك في الأزلية معهما، ولذا فإن الواحد مشترِك في الأزلية مع الآخر.

ولادة الابن من الآب هي بالطبيعة وليست بالإرادة

أكَّد ق. هيلاري الاستنتاج الذي قد رَسمه ق. أثناسيوس بأن الابن هو 'بالطبيعة وليس بالإرادة'[٨٨]؛ ليس أن إرادة الله تتعارض مع طبيعته، بل أنه لَم يكُن هناك أي غرض أراد الآب لأجله أن يَلد الابن، بل هذه هي طبيعته الإلهية. تلك اللغة كانت احتجاجًا طبيعيًا ضد إساءة الاستخدام الأريوسية؛ لكنها كانت انحرافًا عما تَقدَّم قبلاً، وكانت أكثر إخلاصًا للتقليد السكندري المُتمثِّل في ق. أثناسيوس نفسه، الذي كان ق. هيلاري متفِقًا معه بشكلٍ كبيرٍ. كل الكائنات الأخرى تدين بوجودها ببساطة للقدرة والإرادة، وليس لطبيعة الله. هكذا هي العلاقة بين الآب والابن، ومن الواضح أنهما لا يمكن أن يختلفا في الطبيعة. كلمة 'ولادة'، التي توصَف بها العلاقة، تشير إلى انتقال الطبيعة من الوالد إلى المولود؛ وهذه الكلمة، مثلها

---

[٨٨] القديس أثناسيوس الرسولي: *المقالة الثالثة ضد الأريوسيين، الشهادة لألوهية المسيح*، ترجمة الأستاذ مجدى وهبة صموئيل والدكتور نصحى عبد الشهيد. القاهرة: المركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء، نوفمبر ١٩٩٤. فقرة ٥٩، ٦٠ صـ ١٠٤ إلى ١٠٦.{م}

مثل 'الآب' و 'الابن'، هي جزء أساسي من الإعلان. نفس الطبيعة الإلهية توجد أزليًا وفي كمالٍ متساوٍ في كليهما، غير مولودة في الآب، مولودة في الابن. في الواقع، إن تعبير 'الإله الابن الوحيد' يمكن أن يُطلَق عليه شعار ق. هيلاري (أو كلمة السر الخاصة به)، وهي توجد 'بفيض خاص[٢٩]' في كتاباته، مثلما في كتابات أصدقائه الكبادوك.

لكن، بالرغم من أن الابن هو صورة الآب، إلا أن ق. هيلاري في فكره الأكثر نضوجًا، حينما يكون خاليًا من تأثير حُلفائه الأسيويين (مثل باسيليوس أسقف أنقره وحِزبه)، يكون حريصًا على تجنب استخدام مصطلح 'المشابهة' غير الدقيق والمحفوف بالمخاطر في وصف العلاقة. هذه الولادة، وهذه الوحدة في الطبيعة، تُحتِّم أن يكون الابن إلهًا حقيقيًا. هذا مُثبَت بكل الفقرات الواضحة في العهد القديم، منذ الخَلق فصاعدًا. تلك مُستخدَمة، مثلما هو الحال عند الآباء الآخرين، لإثبات أن الابن ليس له اسم الألوهية فقط، بل وحقيقتها؛ الحقيقة التي تُقابِل الطبيعة. كل شيء قد خُلِق بالابن مِن العدم؛ لذا فهو كُلي القدرة مثلما أن الآب كُلي القدرة. لو أن الإنسان مخلوق على صورة الله، ولو أن كليهما له نفس الروح، إذًا لا يمكن أن يوجد اختلاف في الطبيعة بين الاثنين. لكنهما ليسا اثنين يَملُكان طبيعةً واحدةً وفي نفس الوقت يعيشان حياتين منفصلتين، مثل الأب والابن البشريين. الله واحد، بلاهوت غير منقسم وغير قابل للتجزئة[٣٠]. وق.

---

[29] Hort, *Two Dissertations,* p. 21.

[٣٠] *'عن الثالوث'* (٥: ٣٨)

هيلاري لا يَمَلُّ أبدًا من إنكار التُهمة الأريوسية بأن قانون إيمانه يتضمن عبادة إلهين. لا توجد تشبيهات جزئية من الأشياء المخلوقة يمكنها وصف وحدتهما. الشجرة والغصن، النار والحرارة، المنبع والتيار يمكنها فقط إظهار وجودهما المشترَك غير المفترِق، لكن تلك المقارنات قد تؤدي بشكلٍ محتومٍ إلى الخطأ. الوحدة الحقيقية للآب والابن أعمق من هذا؛ أعمق أيضًا من أية وحدة بين إرادة وإرادة، مهما كانت كاملة. إنه احتواء أزلي متبادل، يتوافق فيه كلٌ منهما مع الآخر ويتضمنه، وهو نفسه في الآخر؛ وهذا ليس بطريقة الامتزاج الأرضي للمواد أو تبادل الخواص، هذا هو الاتحاد بين الآب والابن، بفضل الألوهية. وهذه الوحدة تَمتد بشكل محتوم للإرادة والفعل. بما أن الآب يعمل كل ما يعمله الابن، فإن الابن يعمل كل ما يعمله الآب:- مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا[٣١]. هذا التعليم يوفِّق بين كل تصريحات ربنا يسوع المسيح في إنجيل يوحنا بخصوص عمله الخاص وعمل أبيه.

ألوهية الله الواحدة لا تعني أن الله أقنوم واحد

لكن على الرغم من تلك الوحدة، إلا أن هناك تعدديةً حقيقيةً في عدد الأقانيم. يجب أن نَتذكر أن سابيليوس قد اِعتُبر أسوأ الهراطقة لمدة جيلين. الخطأ الذي قد عَلَّم به هو وبولس السموسطائي للعالَم الناطق باليونانية خارج مصر - أن الله أقنوم واحد - كان لا يزال هو أكثر الأكاذيب خطورةً؛

[٣١] (يو ١٤: ٩)

النصر الفائق للحقيقة لم يتحقق حينما أُدين أريوس في نيقية، بل حينما عُزِل بولس السموسطائي في أنطاكية.

هذا هو جدال ق. هيلاري، المُعلَن بشكلٍ مختصَرٍ. قد نقرأ كل جداله تقريبًا، حيث قد قرأه ق. هيلاري نفسه بالتأكيد، في *'المقالات ضد الأريوسيين'* وفي الأماكن الأخرى في كتابات ق. أثناسيوس. لقد كان الجدَل عالميًا، وكلٌ من هذين الكاتبين العظيمين كان له القصد العملي مِن جمع أفضل النقاشات مما قد اقتُرِح في المناقشات المكتوبة أو الشفهية. إن انتصارهما الفكري والأخلاقي على خصومهما كان حاسمًا، لأن الأريوسيين قد هجموا من خلال أرضيتهما المفضَّلة، ألا وهي نصوص الكتاب المقدس، التي اعتُبرَت محكمة الاستئناف النهائية ضد خصومهما. الأريوسيون قد اختاروا النصوص التي قد تأسس عليها رأي الكتاب المقدس. لقد أُدينوا من فمهم، والعمل الذي تم في القرن الرابع لا يمكن أبدًا أن يحتاج إلى الإعادة.

المسيح هو الاسم الذي يحمله الابن في العالم

لقد تحدثنا عن العلاقة الخاصة بين الآب والابن، مع بعض الصفات التي تخُص الابن بفضل ولادته الأزلية. أما الآن فقد أتينا إلى الجزء الأكثر أصالة في تعاليم ق. هيلاري، الذي يجب أن يُعامَل بتفصيلٍ أكبر. لقد كان يتكلم عن الابن، أما الآن فسيبدأ الكلام عن المسيح، الاسم الذي يحمله الابن في العالم. لقد رأينا أن ق. هيلاري يتحدَّث عن الابن كخالق، وهذا

قد تَبرهن له، مثلما تبرهن للقديس أثناسيوس، من العبارة الموجودة في (أم ٨: ٢٢)، التي يقرأها بحسب السبعينية، اَلرَّبُّ خَلَقَنِي أُوْلَى طُرُقِهِ، الَّتِي لِأَعْمَالِهِ[٣٢]. تلك الكلمات، التي قد أُثير الجدال حولها، قد فَسَّرها الآباء على أنها تتضمن أن الآب قد سُر بأن يتَّخِذ الابن ناسوتًا مخلوقًا لأجل العمل على تجديد الخليقة الفاسدة، وبداية الخليقة الجديدة. تلك المهمة قد وَضعَت نصب عيني ق. هيلاري حدوث ولادة ثانية للابن، ولادة في ملء الزمان، بالتجسد والتأنُّس من الروح القدس ومن مريم العذراء.

التعليم الإلهي في العهد القديم لم يكن مكتملاً في حد ذاته، بل قد رُسِم لكي يُعِد عقول الناس لانتظار تحقيقه في التجسد

المسيح، الذي يجب من الآن فصاعدًا أن ندعوه هكذا، لم يُثبِّت الكون الذي خلقه في الوجود فقط، بل قد منح الناس أيضًا معرفة متزايدة مستمرة بالله. لأجل تلك المعرفة قد خُلِق الإنسان، وخَلاصه يعتمد على امتلاكه إياها. كل الظهورات الإلهية للعهد القديم هي إعلاناته عن نفسه بنفسه، فهو الذي تَكلم بفم موسى والأنبياء. لكن مهما كان ذلك التعليم الإلهي هامًا ونفيسًا، إلا أنه لم يكن مكتملاً في حد ذاته، بل قد رُسِم لكي يُعِد عقول الناس لانتظار تحقيقه في التجسد. مثلما كان الناموس تمهيدًا للإنجيل، هكذا كانت ظهورات المسيح في هيئة إنسانية لإبراهيم ولآخرين

---

[٣٢] '*عن الثالوث*' (١٢: ٣٥ وما بعدها)، وتلك الآية قد أخذت مساحة كبيرة من المقالة الثانية من '*المقالات ضد الأريوسيين*' للقديس أثناسيوس.{م}

إعلانًا عن الناسوت الحقيقي الذي كان سوف يتخذه. لقد كانت إعلاناتً حقيقيةً، لكن الغرض منها لم يكن ببساطة مجرد مَنح تلك المعرفة الكبيرة كما نَقلَتها بوضوح، بل أيضًا لتقود الناس لانتظار ما هو أكثر، ولانتظاره في الشكل التام الذي يأتي به أخيرًا[٣٣].

التجسد كان لمنح الجنس البشري معرفة الله

لقد ظَهر كثيرًا، وتَكلم كثيرًا بفمه عن طريق الرجال الذين أوحَى إليهم؛ وفي كل هذا الاتصال بالعالم كان غرضه الوحيد هو منح الجنس البشري معرفة الله. ولنفس الغرض قد تجسَّد؛ الإعلان الكامل كان لمنح المعرفة الكاملة. يقول ق. هيلاري إنه قد صار إنسانًا لكي نؤمن به: "كي يكون لنا شاهدٌ، ينطلق من أنفسنا، ومن الأمور الإلهية، ويبشرنا، نحن الضعفاء الجسديين[٣٤]". مرة أخرى هنا نحن نرى استمرار القَصْد الإلهي، وإتمام الخطة التي تعود لبداية الزمن. حتى لو لم يخطئ الإنسان، لاستمر محتاجًا إلى الإعلانات المتوالية؛ **إذًا فالخطية لم تكن هي فقط سبب التجسد.**

إن التعليم عن التجسد مقدَّمٌ بشكل كامل في كتابه '*عن الثالوث*'، وبإبداعٍ كبيرٍ. ألوهية المسيح مُصانة بكونه الابن الأزلي، وبحقيقة أنه في

---

[٣٣] '*عن الثالوث*' (٤: ٢٧)

[٣٤] '*عن الثالوث*' (٣: ٩)

وقت تجسده على الأرض كان مستمرًا في عمله الإلهي بالحفاظ على وجود العالمين بدون عائق[٣٥].

مجد المسيح

بالتأكيد، باعتراض طبيعي على تجريد الأريوسيين إياه من رتبته، فإن مجد المسيح هو الذي يضع عليه ق. هيلاري جهده الرئيس. وهذا ليس المجد الأخلاقي للطاعة والتضحية الذاتية، بل المجد المرئي في المعجزات التي تَشهد على الوجود الإلهي. في الكتاب الثالث من كتابه *'عن الثالوث'*، معجزة عُرس قانا الجليل، وإطعام الخمسة آلاف، ودخول الحجرة المغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين، والظلام والزلزال عند الصَلب، هي البراهين التي تؤكد ألوهيته؛ والظروف العجيبة التي أحاطت بالولادة في بيت لحم تَم توظيفها بالمِثل في الكتاب الثاني[٣٦]. الاستنتاج الأكيد هو عدم الإرادة الأكيدة مِن جهة ق. هيلاري بالإسهاب في تسليم المسيح لذاته بإرادته؛ إنه يُفضِّل أن يفكِّر فيه كمَن أظهر الله لنا أكثر من كونه مفتديًا للبشرية، وهذا يؤكد انتمائه للمدرسة الشرقية - وبالأخص المدرسة السكندرية - التي تَنظر إلى المسيح بالأكثر كمَن يُعيد اتحاد البشرية بالله، وليس للمدرسة اللاتينية التي تراه بالأكثر مُنفِّذًا للعدالة الإلهية. لكن، بمَعزل عن تلك الأفضلية، هو يصمِّم بشدة على أن التجسد لم يتسبب في نقصان أو تغيير الطبيعة

---

[٣٥] *'عن الثالوث'* (٢: ٢٥)

[٣٦] 'عن الثالوث' (٢: ٢٧)

الإلهية في المسيح، ويُبرهِن تلك النقطة بنفس كلمات ربنا يسوع المسيح التي قد استُخدِمَت لإظهار البنوة الأزلية. التجسد لم يقلِّل قوَّته مثلما لم يُغيِّر مِن طبيعته. فبالرغم من أنه خضوع لإرادة الآب من ناحية، إلا أنه عمل قدرته الكُلِّية من ناحية أخرى. لا توجد قوة أدنى يمكنها أن تنسب لنفسها طبيعة غريبة؛ الله فقط هو الذي يمكنه أن يخلي ذاته من صفات الألوهية[٣٧].

ناسوت المسيح ناسوت حقيقي

لكن المسيح المتجسد هو إنسان حقيقي مثلما هو إله حقيقي. لقد رأينا أن جسده مخلوق، وق. هيلاري يصمم بشدة على أن ناسوته ليس خياليًا ولا مختلفًا عنا في النوع[٣٨]. فقط الجسد هو الذي يولَد، أما النفس التي تتضمن مشابهة الإنسان لله، فلها مصدر أفخم، لأنها الخليقة المباشرة لله[٣٩]. يمكننا الآن أن نتطرق إلى نظريته عن التجسد. تلك النظرية مؤسَّسة على فهم ق. بولس لآدم الأول والثاني. المسيح، الخالق، قد صَنع من الطين آدم الأول، الذي بناءً عليه صار له جسدًا أرضيًا، ثم جعل نفسه آدم الثاني، ولذا فقد صار له جسدًا أرضيًا، لكنه ممجَّدًا باتحاده بلاهوت **الكلمة**. لأجل هذا الهدف قد نزل من السماء ودخل إلى رحم العذراء. فبموجب قواعد ق. هيلاري في التفسير[٤٠]، كلمة 'روح'[٤١] لا يجب أن تُعتَبَر كأنها تدل بالضرورة على الروح

---

[٣٧] '*عن الثالوث*' (٢: ٢٥)، (١٢: ٦)

[38] *Tr. in Ps.* cxxxviii. 3.

[٣٩] '*عن الثالوث*' (١٠: ٢٠)

[٤٠] '*عن الثالوث*' (٢: ٣٠ وما بعدها)، (٨: ٢٣ وما بعدها)

القدس، بل على واحد أو أكثر من أقانيم الثالوث بحسب ما يتطلب سياق الكلام. أمَّا في هذه الحالة فهي تعني الابن، بما أن المسألة هي بخصوص عمل الخَلق، وهو الخالق وليس آخر. لن يكون كافيًا القول إن **الكلمة** قد اتَّخذ جسدًا، أو وَحَّد نفسه بالجسد[٤١]. لكن هذه الخِلقة لجسد آدم الثاني كي يكون إنسانًا حقيقيًا ليست فقط إثباتنا الوحيد لناسوته. في رأي ق. هيلاري، الأُم تُشارِك جزئيًا في طبيعة مولودها. تلك المشاركة، أيًا كانت، تتعلق بالعذراء؛ لقد أسهَمَت في نموه وفي مولده. لكن بالرغم من أن المسيح قد قيل عنه باستمرار إنه قد وُلِد من العذراء، إلا أنه دُعي بشكل عادي 'ابن

---

[٤١] في الكتب المقدسة وكتابات الآباء كانت كلمة 'روح' تُستخدَم في كثير من الأحيان للتعبير عن الله بصورة مطلقة، فهي تُعبر عن ماهية الله في ذاته في الكمال اللانهائي الذي لجوهره القدوس. إذًا فحينما يُقال أحيانًا عن المسيح ابن الله إنه 'روح' فالمقصود هنا ليس مقارنته بالروح القدس، بل مجرد التأكيد على طبيعته الإلهية. أُنظر كلاً من:

Athenagoras, *Leg.*,10 ;Theophilus, *Ad Aut.*,2.10; Tertullian, *Adv Prax.*, 26f; *Apol.*, 23; Adamantius, *Dial.*, 5.11; Hilary, *De Trin.*, 2.24,26; 8,23f; 9.3, 14; Gregory Naz., *Or.*, 38. 13; *Ep.*101; Amphilochius, *ap.* Theodoret, *Dial.*, i, *MPG*, 83.99. etc.

ويقول ق. أثناسيوس للأسقف سرابيون إنه عندما يشير الكتاب إلى الروح القدس مميزًا إياه عن الآب والابن، نجد أن كلمة 'روح' تأتي دائمًا مُعرَّفةً أو مُضافةً إلى إضافات محددة مثل 'روح الله' أو 'روح الآب' أو 'روح الابن' أو 'الروح' أو 'الروح القدس'، وذلك بطريقة لا تشير إلى وجود أي انفصال قط بين أقانيم الآب والابن والروح القدس لا في الجوهر ولا في الفعل. انظر: Athanasius, *Ad Ser.*, 1.4-7, 14, 20, 27f, 30f; 3.5f; 4.7; *Con. Ar.*, 3.15, etc. راجع:

Torrance, T. F., *The Trinitarian Faith* (London, 2006), 206.{م}

[٤٢] 'عن *الثالوث*' (٢: ٢٤)، (١٠: ١٦)

الإنسان'. لكن العذراء قد شاركت بشكل أساسي في إتمام النبوة. فبالرغم من أن المسيح بدون معونتها كان يمكنه أن يَخلِق نفسه كإنسان، إلا أنه لم يكن ليفعل ذلك، لأنه قد عُيِّن سابقًا كي يكون ابن الإنسان[٤٣]. وبما أنه يتمسك بأن العذراء تقوم بكل وظيفة الأم، فهو يتجنب هرطقة الفالنتينيين[٤٤]، التي تقول إن المسيح قد مَرَّ من العذراء 'مثل الماء من خلال أنبوب'[٤٥]، لأنه هو نفسه كان الخالق الحقيقي لِما خُلق بداخلها، وحينما أَتمَّت دورها، قد وُلِد بجسد حقيقي. إن المعنى الواضح عنده لأسبقية الوجود الأزلي الشخصي للكلمة أنقذه من أي اتصال بالمونارخية[٤٦] monarchianism

---

[٤٣] 'عن *الثالوث*'(١٠: ١٦)

[٤٤] فالنتينوس هو غنوسي من القرن الثاني، وُلِد في مصر، ويقول تلاميذه إنه قد تعلَّم على يد ثوداس تلميذ بولس الرسول. انفصل عن الكنيسة وذهب للشرق ثم عاد إلى روما، حيث مات بها حوالي سنة ١٦٥م.{م}

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983, p. 1676.

[45] Irenaeus, *Adv. haer.*, i. 1, 13.

[٤٦] أي 'المَلَكيَّة'، وهي حركة لاهوتية ظهرت في القرن الثاني والثالث، في محاولتها لحماية فكرة الإله الواحد ووحدة الألوهية، ثم صارت هرطوقية لأنها فشلت في أن تحكم بالعدل بخصوص الوجود المستقل للابن. وانقسمت إلى مجموعتين، الأولى سُميت بالمنادين بـ 'التبني' أو 'القوة' 'Adoptionist' or 'Dynamic' Monarchians، ومنهم أرتيمون وشخصين اسمهما ثيؤدوتوس، وربما بولس السموسطائي. هؤلاء اعتبروا أن يسوع كان هو الله فقط بالمعنى الذي فيه تكون هناك قوة أو تأثير من الآب قد سكن في شخصه الإنساني. المجموعة الثانية سُميت 'الشكلية' أو السابيلية 'Modalist' Monarchians or Sabellians، ومنهم نويتوس وبراكسياس وسابيليوس. لقد تمَسَّكوا بأن التفاضل الوحيد في الألوهية هو مجرد تسلسل للعمليات أو الأساليب. وسُمّوا أيضًا 'مؤلمي الآب' 'Patripassians' حيث كان

التي حاربها ترتليان، والتي تتمسك بأن الابن كان هو الآب تحت مَظهَر آخر.

وهكذا صار الابن جسدًا، وهذا قد استُعلِن بالأمومة الحقيقية للعذراء. لكن الإنسان هو أكثر من الجسد؛ هو نفس أيضًا، والنفس هي التي تجعل منه إنسانًا وليس مادةً. لذا فالمسيح قد خَلق لذاته النفس البشرية التي كانت ضروريةً للبشرية الحقيقية، ليكون إنسانًا حقيقيًا وليس مجرد جسد حقيقي. فإن الإنكار الأبوليناري الغريب لوجود نفس بشرية للمسيح، وبالتالي لناسوته الكامل، لا يتعارض فقط مع كل صفحة من الافتراضات التي تأسس عليها جدال ق. هيلاري، بل يجعله بريئًا منها[٤٧]. المسيح إذًا هو 'إنسان كامل[٤٨]'، له نفس عاقلة وجسد بشري حي'، قد أوفت له العذراء الوظائف الطبيعية للأمومة. لكن هناك فرقًا واسعًا وواضحًا بين طريقة ق. هيلاري في التعامل مع هذه المسألة، وبين التي نعرفها.

لازمًا لتعليمهم أن يكون الآب قد احتمل كونه ابنًا. ورغم أن مصطلح *monarchia* في حد ذاته له معنى أرثوذكسي، إلا أن ترتليان قد استُخدِمه كشعار لأعدائه، الذين عُرِفوا بهذا الاسم لذلك السبب (*Adv. Praxean,* 3 and 9).{م}

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983, p. 1102.

[٤٧] 'عن *الثالوث*'(١٠: ٢٢)

[٤٨] 'عن *الثالوث*'(١٠: ٢١)

هيئة الله وشكل العبد

إذًا فالمسيح، الذي كان إلهًا كاملاً منذ الأزل، قد صار إنسانًا كاملاً. وهكذا كان هناك تقريب بين الله والإنسان؛ الإنسان قد رُفِع من قِبل الله، الذي وضع نفسه لكي يلاقيه. مِن ناحية أخرى قد تقدَّست العذراء استعدادًا لأمومتها المقدسة، وكان هناك تنازل من الابن لمنزلتنا المنخفضة. لقد وَجد ق. هيلاري مفتاح ذلك في لغة القديس بولس. المسيح أخلى نفسه من هيئة الله وأخذ شكل العبد؛ هذا الإعلان حاسم مثل كلمات الرسول نفسه فيما يتعلق بآدم الأول وآدم الثاني. هيئة الله، التي فيها يكون الابن بالنسبة للآب كالصورة الدقيقة المنعكسة في مرآة، ومثل الانطباع المحدَّد المأخوذ من الخِتم، تَخُص كيان المسيح ذاته. لا يمكنه فصلها عن ذاته، لأن صفة الله هي أن يكون كما هو منذ الأزل. يُذكِّرنا ق. هيلاري باستمرار بأن الوجود المستمِر للخَلق هو دليل على أنه لم يكُن هناك انقطاع في العمل الإلهي للابن في الحفاظ على الكون الذي خَلقه. لقد دعَّم العالمين حينما كان في المهد[٤٩]. ومع ذلك، ففي إحدى المعاني الحقيقية، قد أخلى المسيح نفسه من هيئة الله تلك[٥٠]. لقد كان من الضروري أن يفعل ذلك لو وجب أن يتشارك الناسوت - الذي بلا خطية، والذي قد خلقه بنفسه لأجل تجسُّده - الوجود مع اللاهوت في شخصه الواحد[٥١]. هذا مُعلَن بشكل مميَّز، إذ قد احتفظ

---

[٤٩] *عن الثالوث* (٨: ٤٥، ٤٧)، (٩: ١٤)

[50] *Tr. in Ps.* lxviii. 4.

[٥١] وكل عظته عن المزمور ٦٨ قد كرسها لتلك المسألة.

بصلاحيات وعَظمة طبيعته، ومارَس تلك الصلاحيات. بالتالي فمِن الواضح أن هيئة وطبيعة الله قد بقيتا بغير تغيير في الابن، خارج نطاق عمله للبشر؛ لكن بتجسُّده قد أخلى ذاته من مجد الهيئة والصورة الإلهية. مِن جهة أخرى يُعلِن ق. هيلاري صراحةً أن 'توحيد الصورتين سوف يكون متنافرًا'[٥٢]. هذا يُصوِّر الهيئة العليا، التي لله، كشيء أكثر من ثوب أو مَظهر يُمكِن تغييره أو إخفاءه، وهذا واضح في العظة على مزمور ٦٨. هذا الإخلاء الذاتي هو تدبير[٥٣]، يبدو به ابن الله المتجسد، ليس بما هو عليه، بل خاليًا من هيئة الله. فإن تلك الهيئة هي مجد الله، الذي أخفاه ربنا يسوع المسيح لأجل أهداف حياته الإنسانية، والذي قد تمسك ق. هيلاري - ربما أكثر من أي لاهوتي آخر - بأنه كان موجودًا معه على الأرض. في كلمات لها تطبيق على نطاق أوسع، ويجب النظر فيها بعدئذ، يتحدث ق. هيلاري عن المسيح كمَن 'يخلي ذاته ويخفي ذاته داخل نفسه'[٥٤]. الإخفاء يَلعب جزءًا كبيرًا في نظريات ق. هيلاري، وهو في هذه الحالة التفسير الوحيد الذي يتفق مع موقفه العقيدي.

وهكذا جعل الابن اتحاد البشرية بنفسه ممكنًا. لقد أخلى ذاته من هيئة الله إلى هيئة الإنسان، ليس فقط بعمل القدرة الإلهية، بل بإرادة شخصية

---

[٥٢] 'عن *الثالوث*' (٩: ١٤) لذا فقد أخلى الابن ذاته منها، رغم أنها ظَلَّت موجودةً لكنها مُستَتِرةٌ، لكنه قد أظهرها في حادثة التجلِّي.{م}

[٥٣] 'عن *الثالوث*' (٩: ٣٨، ٣٩)

[٥٤] 'عن *الثالوث*' (١١: ٤٨)، (١٢: ٦)

إلهية[٥٥]. إن مَن فعل هذا الشيء لا يمكن أن يتوقف عن أن يكون ما كان عليه مِن قَبل؛ وبالتالي فإن عمله بتقديم ذاته إلى هذا الإخلاء هو دليلٌ على استمرارية وجوده غير المتغيِّر[٥٦]. وعلاوة على ذلك، فإن اتخاذه لهيئة عبدٍ لم يكن مصحوبًا بفعل واحد، بمعنى أن أفعاله لم تكُن عمل بشري فقط. إن اتخاذه لهذا الشكل كان عملاً مستمرًا من الإخضاع الذاتي الطوعي[٥٧]، وأحداث حياته على الأرض تشهد مِرارًا لامتلاكه قدرات الله.

إذًا فقد صار الله متحدًا بالإنسان في المسيح؛ هاتان الطبيعتان تُشكلان 'عناصر' الشخص الواحد[٥٨]. اللاهوت متَّحِد مع الناسوت؛ أو، كما يفضل ق. هيلاري أن يقول، الناسوت مُتَّخَذ مِن قِبل المسيح[٥٩]. هاتان الطبيعتان غير مختلطتين[٦٠]، بل تتعايشان فيه في وقت واحد كابن الإنسان[٦١]. ليس هناك مسيحان[٦٢]، ولا المسيح الواحد كيان مُركَّب بالمعنى الذي يكون به مِن نوع وَسَط بين الله والإنسان. يمكنه أن يتحدث كإله، ويمكنه أيضًا أن يتحدث كإنسان. وهكذا في العظات على المزامير يميز ق. هيلاري باستمرار بين

---

[٥٥] 'عن *الثالوث*' (١٢: ٦)

[56] *Tr. in Ps.* lxviii. 25.

[٥٧] 'عن *الثالوث*' (١١: ٤٨)

[٥٨] 'عن *الثالوث*' (١١: ٤٠)

[٥٩] نفس المرجع السابق.

[60] *Tr. in Ps.* liv. 2.

[٦١] 'عن *الثالوث*' (٩: ١١، ٣٩)، (١٠: ١٦)

[٦٢] 'عن *الثالوث*' (١٠: ٢٢)

تصريحاته كإله وكإنسان. إنه شخص واحد مِن طبيعتين، واحدة منهما تسود، على الرغم من أنها لا تُبطِل الأخرى في كل ما يتعلق بوجوده كابن الإنسان[٦٣]. كل عمل، جسدي أو عقلي، قد قام به، كان بواسطة طبيعة المسيح الواحدة مِن طبيعتين. لقد أُعجب ق. هيلاري جدًا بوحدة المسيح حتى أن جسد المسيح لم يكن بالنسبة له مجرد مَسكن يقطُنه، أو أداة تُستخدَم من قِبل الله، بل ملكية لا يمكن فصلها عن المسيح، الذي هو إله وإنسان.

ضعفاتنا التي اتخذها المسيح هي ضعفاتنا الطبيعية وليست ضعفات الخطية

لكن هنا يجب أن يتم التمييز، والذي سوف يُناقش حالاً، بين نوعين من الألم، الألم الطبيعي، والألم الناتج عن الضَعف الذي لحِق بالبشرية بسبب الخطية. لقد قَبِل عيوبنا حقًا، لكنها لم تكُن متسلطةً عليه. كان جسده مثل جسدنا، لكن واقعه لم يتمثل في هذا الشَبَه[٦٤]، بل في حقيقة أنه قد خلقه جسدًا حقيقيًا، بالطريقة التي يمكن من خلالها تحقيق مقاصد الله، حتى إنه كان ينبغي أن يكون جسدًا حقيقيًا، لكن من الصعب علينا أن نُصدِّق ذلك. مِن ثَم فقد اتَّخذ جسدًا كانت له العادات الضرورية لنا، لكي يُظهِر لنا أنه حقيقي[٦٥]. كان لا بُد أن يتجسد، وطريقة التجسد قد حددَتها اعتبارات منفعتنا. سوف نذكر الآن الجدالات التي تدعم هذه الفرضية، بما

---

[٦٣] نفس المرجع السابق.

[٦٤] *'عن الثالوث'* (١٠: ٢٥)

[٦٥] *'عن الثالوث'* (١٠: ٢٤)

يتوافق مع فكرة ق. هيلاري عن الألم. سيكون من الصعب أن نقرر إن كان قد شيد نظريته بشأن الأنشطة البشرية لربنا يسوع المسيح على أساس هذا التفوق للطبيعة الإلهية في شخصيته المتجسدة، أو إذا كان قد تَكلَّم عمَّا يراه الفكرة الحقيقية لطريقة حياة المسيح على الأرض، واخترَع تلك الفرضية لتوضيحها. على أية حال فقد كانت لديه الشجاعة لكي يعكس الاعتقاد السائد لدى العالم المسيحي فيما يتعلق بالقدرات التي يستخدمها المسيح بشكل طبيعي. لقد اعتدنا على التفكير بأنه، مع استثناءات نادرة مثل التجلي، قد عاش حياةً محدودةً بسبب الظروف البشرية العادية، لكي يَرسم دروسًا لأنفسنا من خلال تحمُّله لها في ظروف مثل ظروفنا، لكي نُقدِّر قيمة تنازله ومعاناته بوعينا. لكن ق. هيلاري يعتبر الحالة الطبيعية للمسيح المتجسد كسموٍ، قد انحنى منه في مناسبات نادرة، بعمل إرادي خاص، إلى اتضاعٍ ذاتي.

عندما نَدرس تفسير الكتاب المقدس الذي يصل به ق. هيلاري إلى النتائج المرجوة، نجد أنه - في كثير من الحالات - غريب في الواقع. كلمات الإنجيل تخبرنا عن الاحتياجات الجسدية والمعاناة؛ فالمسيح، رغم كونه إلهًا متجسدًا، مُثبَت أنه إنسان بخضوعه الواضح لظروف الحياة البَشَرية. لكن وفقًا للقديس هيلاري فإن كل المعاناة البشرية هي نتيجة لاتحاد نفس قد فسدَت بجسد قد فسَد. نفس المسيح، على الرغم من أنها بشرية حقًا، إلا أنها كانت كاملةً وبلا فساد؛ جسده كان ممجَّدًا، رغم إخفائه لمجد الصورة الإلهية. وهكذا فقد كان الجسد والنفس كاملين في نوعيهما، وبالتالي كانا

خاليين من الضَعف مثلما كانا خاليين من الخطيئة[٦٦]، فإن البلاء هو نصيب الإنسان، ليس لأنه إنسان، بل لأنه قد وَرث الطبيعة الفاسدة نتيجةً للخطية. على النقيض من بؤس البشرية الخاطئة، أحاط المجد بالمسيح من البشارة فصاعدًا طوال مساره على الأرض[٦٧]. المعجزة هي برهان ألوهيته، وذاك الذي كان متفوقًا هكذا على قوى الطبيعة لا يمكن أن يَخضَع للمعاناة التي تُسبِّبها الطبيعة، سِوى بالتدبير.

المسيح قد سمح لجسده بالضعف تدبيريًا

لكن، لكونه كُلي القدرة، يمكنه أن يُخضِع نفسه للإهانات التي لا يمكن لقوة أقل منه أن تضعها عليه، وهذا الخضوع الذاتي هو البرهان الأهم على قوَّته وبالمثل على محبته للبشر[٦٨]. الله، والله فقط، هو الذي يمكن أن يَشغل في وقت واحد المَهد والعرش السماوي[٦٩]. وهكذا فإن تأكيد ق.

---

[٦٦] '*عن الثالوث*' (١٠: ١٤، ١٥)

[٦٧] '*عن الثالوث*' (٢: ٢٦)، (٣: ١٨)

[٦٨] وقد فسر ق. كيرلس الكبير هذه المسألة حينما نسب كل ما كان يصنعه المسيح جسديًا إلى **التدبير الخلاصي** لأجلنا، **وليس عن خضوعه لضعفات الجسد**، راجع:
(*Adv. Anthropomorphitas*, PG. 76.1117C.); Cyril, *Apol. contra Theod.*, PG 76.441B-C (=Pusey edn. Vol. 6 p. 476.11-12).
وقد سار على نهجه ق. ساويروس الأنطاكي، وبالأخص في *الرسالة إلى أوكيومينيوس* Severus, *To Oecumenius*, *ibid.*, p. 183.6-9.
ولمعرفة المزيد بخصوص هذه النقطة، انظر التعليق على فقرة ٢٣، ٣٢ من الكتاب العاشر.{م}

[٦٩] '*عن الثالوث*' (٩: ٤)، (١١: ٤٨)

هيلاري على تنزل المسيح هو تمجيد لعظمة المسيح، ودحض لأخطاء الأريوسية. تلك المدرسة قد استغلت معاناة المسيح كدليل على أنه أقل من الآب. في نظر ق. هيلاري فإن قدرته على التنازل وانتصاره النهائي هما الدليل القاطع على لاهوته المساوي للآب. لكنه لو انحنى لمنزلتنا، وكان في نفس الوقت الإله الذي يمارس امتيازاته، فلا بُد أن يكون هناك 'تدبير'. لقد خَضع بالحقيقة لحدود طبيعتنا، وهذه حقيقة من حقائق الإعلان. لقد تكلَّمنا بالفعل عن قبوله للضعفات البشرية العادية. هكذا يُقدِّم ق. هيلاري نفس التفسير للألم مثلما فعل بخصوص عطش أو تعب المسيح. إمكانية معاناته إلى أقصى درجة ممكنة مُثْبَتة مِن خلال حقيقة أنه قد تألم بالفعل؛ ومع ذلك فهل هو كان - أو أمكنه أن يكون - شاعرًا بالألم عن ضَعفٍ؟ لا بُد أن تلك الأعمال قد حدثت لأجل تحقيق الغرض الإلهي، لكي نتأكد من حقيقة عمله؛ لكن كان كافيًا أن تتم بالتدبير، وبعبارة أخرى، أن تكون الأحداث حقيقية رغم أن شعوره بها لم يكن بسبب الضعف الذي يخُص البشرية الخاطئة، بل هو ارتضى أن يشعر بها بالتدبير[٧٠].

[٧٠] وقد فسر ق. كيرلس الكبير هذه المسألة حينما نَسَب كل ما كان يصنعه المسيح جسديًا إلى **التدبير الخلاصي لأجلنا، وليس عن خضوعه لضعفات الجسد، إذ يقول**: "خاف بالتدبير، حتى إنه **أحيانًا** كان يسمح لجسده باحتمال الأشياء التي تخُصه، لكي بهذا يُمكنه أن يجعلنا أقوياء". (Cyril, *Apol. contra Theod.*, PG 76.441B-C).{م}

تفسيره لصلاة جثسيماني

هكذا أيضًا، من وجهة نظره، الصراع في البستان قد أُسيء تفسيره. لقد أَخذ معه التلاميذ الثلاثة، وبعد ذلك ابتدأ يحزن. لم يكن حزينًا حتى أخذهم؛ لقد كانوا هم سبب الحزن، وليس هو. حينما قال: 'نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ'، لا يجب أن يُنظر إلى الكلمات الأخيرة على أنها تعني أنه كان حزينًا بسبب الموت، بل كان كمَن يُعطي موعدًا لنهاية هذا الحزن. الحزن الذي تكلم عنه لم يكن على نفسه بل على تلاميذه، الذين تنبأ بهروبهم، وكان يؤكد أن هذا الحزن سوف يستمر حتى موته. وعندما صلَّى أن تعبر الكأس عنه، لم يكن هذا التماسًا كي يستغني عنه، إذ كان هدفه أن يشربه. كانت الصلاة لأجل تلاميذه أن تَعبُر عنه كأس رؤيته لهم وهم ضعفاء خائفون؛ لكي يتألموا من أجله كشهداء مفعمين بالرجاء، من دون ألم أو خوف[٧١]. إحدى الفقرات، وهي التي جاءت في (لو ٢٢: ٤٣، ٤٤)، والتي تتعارض مع وجهة نظره، قد رفضها ق. هيلاري على أساس يَتعلق بالنَص، لكن ليس بلا سبب. لقد وجد أنها غير موجودة في عدد كبير من المخطوطات، سواء اليونانية أو اللاتينية[٧٢]. إن هدفه، كما قيل من قبل، هو أن يجعلنا مدركين لكونه حقيقيًا. إذا بكى، فلديه نفس الدافع؛ هذا الاستخدام لواحد من الأدلة عن عاطفته الجسدية يساعدنا على الإيمان[٧٣].

---

[٧١] 'تفسير متى' (٣١: ١- ٧)، 'عن *الثالوث*' (١٠: ٣٦، ٣٧)

[٧٢] 'عن *الثالوث*' (١٠: ٤١). انظر التعليق الوارد في النَص.{م}

[73] *Tr. in Ps.* liii. 7.

من الواضح أن نظرية ق. هيلاري تُقدِّم الدفاع المثالي ضد اثنين من مخاطر تلك الأيام، الأريوسية والأبوليناريّة. الأولى قد فَنَّدها بالإصرار المؤكَّد على القدرة الظاهرة في اتضاع ومعاناة المسيح. كونه قادرًا على وضع نفسه في مثل تلك الظروف هو الدليل الأكثر تعبيرًا عن لاهوته. **وإذا كان ناسوته قد أُعطي الخصائص الإلهية، فلا بُد أن لاهوته قد سما فوق الدونية التي يتهمه بها الأريوسيين.** أما الأبوليناريّة فقد جودلت بإظهار ناسوته الحقيقي، لأن 'ما لم يُتَّخَذ لم يخلُص'[٧٤] لأنه لم يتجدد. لا توجد لغة يمكنها أن تصف مجد ناسوته؛ لكن العجب الحقيقي ليس أن المسيح، كإله، لديه مثل تلك الصفات، بل أن ذاك الذي يملكها هو الإنسان ذاته. لقد تم استخدام تلك النظرية جيدًا.

الإخلاء والتدبير

إن كثيرًا من تصريحاته قد تجعله يبدو مدافعًا بشدة عن عقيدة الإخلاء *Kenosis*، التي من شأنها أن تُقدِّم لنا الإخلاء الذاتي الكامل لربنا؛ لكنه في كثير من الأحيان قد ألحقها بفكرة التدبير، حيث بدا المسيح لأجلنا أقل مما كان عليه حقًا. البعض قد اتَّهم ق. هيلاري بـ 'الإبحار إلى حدٍ ما بالقرب من جروف الدوسيتية'[٧٥]، لكن الكل قد اعترف بأنه قد نجا من الغرق. هناك أبحاث مختلفة قد قُدمت عن تعاليمه، وكلها تتفق على تبرئته من هذا الخطأ؛

---

[74] Cyr. of Alex, *On John* 12:27; LFC 2, 154, 152. (*PG* 74, 92, 89; Pusey 2.320, 318.).{م}

[75] Bardenhewer, *Patrologie*, p. 382; Baltzer, *Christologie,* p. 32.

وتلك التي قد قُبلت في هذا الكتاب عن كمال ناسوت المسيح، كشيء معتاد بالنسبة للذين عاشوا بتلك النشوة، مثل بوليكاربوس أو بربتوا في استشهادهما، هو مفهوم نبيل في حد ذاته، وبما يتفق مع العقائد، على الرغم من أنه لا يمكن أن يرضينا.

كلام المسيح كإله وكإنسان لا يتعارض مع كونه شخصًا واحدًا

إن المسيح، الذي قد وصف ق. هيلاري خصائصه، هو شخص واحد. هذا بطبيعة الحال لا يحتاج إلى دليل، لكن يجب أن يُقال شيء عن استخدامه للتعليم. إن عدم انفصال الطبيعتين في المسيح هو من خلال عمل المسيح نفسه بسلطانه؛ ذلك الاتحاد الذي فيه كان لاهوته موجودًا في نفس الوقت في عنصري بشريته[٧٦] - النفس والجسد - بين موته وقيامته. من ثَم، على الرغم من أن ق. هيلاري في كثير من الأحيان قد ميَّز بين كلام المسيح كإله وكإنسان[٧٧]، إلا أنه لم يَفشل أبدًا في جعْل اهتمام قرائه ثابت على وحدة شخصه. تلك الوحدة هي الأكثر وضوحًا، لأن لاهوت المسيح يهيمن على الناسوت.

---

[٧٦] *'عن الثالوث'* (١٠: ٣٤)

[٧٧] مثل *'عن الثالوث'* (٩: ٦)، و في عظته عن مزمور ١٣٨: ١٣.

تبادل الخواص بين الناسوت واللاهوت

وإن لم يكن مسموح لنا أن ننسى أنه حقًا إنسان، إلا أن ق. هيلاري يُفضل الكلام في كلمات مثل: 'الابن الوحيد المولود من الله قد صُلب'[٧٨]، أو أن يقول باختصار أكبر: 'الله قد صُلِب'[٧٩]. يهوذا هو 'الخائن لله'[٨٠]؛ 'الحياة أو البشرية قد تجددت من خلال موت الله غير المائت'[٨١]. مثل هذه التعبيرات لا تزال بعيدةً عن اللغة المتوازنة في 'آلام يسوع المسيح، إلهنا وربنا'[٨٢]، وتلك بدورها أبعد من سمو الناسوت في قوله 'الإنسان يسوع المسيح، رب العظمة'[٨٣].

لكن على الرغم من وجود فروق يمكن استخلاصها، وعلى الرغم من إمكانية تلقيب المسيح باسمٍ واحدٍ فقط من طبيعتيه لأجل التوكيد والإيجاز،

---

[78] *Tr. in Ps.* liii. 12.

[79] *Tr. in Ps.* liii. 12.

[80] *Tr. in Ps.* cxxxix. 15.

[٨١] 'عن *الثالوث*' (١٠: ٣٦)، وبالمثل في *Tr. in Ps.* lxvii. 21.، يتكلم عن "ألم، وصليب، وموت، ودفن الله". كل هذا ناتج عن فهمه لعقيدة تبادل الخواص *communicatio idiomatum*، التي قد استخدمها ق. كيرلس الكبير بشكلٍ واضح، والتي تعني أنه بعد اتحاد اللاهوت والناسوت في شخص المسيح صار هناك تبادل للصفات الإلهية والإنسانية التي تعود إلى مركز واحد وهو شخص **الكلمة** المتجسد. فلقد أكد بفكرة تبادل الخواص أن الطبيعتين اتحدتا بغير افتراقٍ في الشخص الواحد، ولم تتشوشا، وكلٍ منهما قد تبادل ونقل خواصه إلى الشخص الواحد الذي هو مركزهما، والذي فيه قد اتحدتا، وليس لبعضهما البعض. راجع:
"Questions on Christology of St Cyril of Alexandria", *Abba Salama* (Athens), 6 (1974), p. 222. {م}

[82] *Tr. in Ps.* liii. 4.

[٨٣] 'عن *الثالوث*' (٩: ٣)

إلا أن الحقيقة الجوهرية التي لا يمكن أن تُنسى أبدًا هي أنه إله وإنسان، شخص واحد في هيئة الله والعبد. هاتان الطبيعتان لا تقفان معزولتين كل منهما على حدة، بل متضَمنتين في حدود شخصية واحدة فحسب. كما قد رأينا أن ق. هيلاري يُدرِك السُكنى والاحتواء الكامل المتبادَل الموجود بين الآب والابن، هكذا هو يُعلِّم بأن في المجال الضيق للتجسد هناك بالتساوي اتحادٌ صارمٌ وشاملٌ للَّاهوت والناسوت في المسيح. يسوع هو المسيح، والمسيح هو يسوع[٨٤]. ليس فقط أن المسيح الواحد إنسان كامل وإله كامل، بل ابن الإنسان بالكامل هو ابن الله بالكامل[٨٥]. لا يمكن أن يكون ناسوته قد اندمج وضاع في لاهوته. يجب علينا ألا نتصور وجود مسيح واحد في حالتين غير مترابطتين من الوجود. على العكس، الشخص الواحد هو الذي يشترك على نطاق واسع في كل عدم المحدودية وكل الأعمال التي تقع ضمن هدفه. كل ما يفعل، سواء كان يتعلق بالناسوت، أو لم يكن، سواء كان تساميًا للناسوت أو إخلاءَ ذاتٍ للاهوت، قد تم 'في إطار التجسد'[٨٦]، الإطار الذي يتضمن كل كيانه وكل عمله. إخلاء الذات نفسه لم يكن تقريرًا عاجلاً وكاملاً للمصير، قد تم قبل التجسد، بل، كما رأينا، عملية استمرت طوال حياة المسيح على الأرض، وكانت فعالة حتى النهاية. لأنه كما عُلِّق على الصليب بإخلاء طوعي للذات من المجد، هكذا قد أَظهر قدراته الطبيعية بالزلزال. لقد كان

---

[٨٤] *'عن الثالوث'* (١٠: ٥٢)

[٨٥] *'عن الثالوث'* (١٠: ٢٢، ٥٢)

[٨٦] *'عن الثالوث'* (١١: ٤٨)

خضوعه للموت آخِر سلسلة متسقة من جهود مشيئته، والتي بدأت مع البشارة وبلغت ذروتها في الصَلب. لكن في النهاية سيكون ذاك الذي صار إلهًا وإنسانًا في شخص واحد، إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً إلى الأبد[٨٧]. سيحصل الناسوت على المجد، ويُظهِر اللاهوت مجده المخفي في الإخلاء.

جسد المسيح

وهكذا فإن حياة المسيح في العالم كانت مرحلة انتقالية. لقد نزل؛ وهذا كان وقت الإعداد لصعود مساوٍ، بل وأَسمى. الجسد الذي اتخذه قد جعله واحدًا معنا في التجسد وفي الإفخارستيا[٨٨]. حقيقة جسده، كما رأينا، قد صانها ق. هيلاري بما فيه الكفاية؛ شموليته كناسوت يمثِّل البشرية كلها مؤكَّدة بسبب عدم وجود أية أبوة بشرية شخصية قد تعزله عن الآخرين[٨٩]. وهكذا فقد اتَّخذ كل البشرية في جسده الواحد؛ هو الكنيسة[٩٠]، لأنه قد احتواها من خلال سِر جسده. وبنفس المعنى توجد فيه 'جماعة الجنس البشري[٩١] كله' إن جاز التعبير. مِن ثَم فقد تَكلَّم عن نفسه كالمدينة الموضوعة على جبل، والسكان هم البشرية[٩٢]. لكن المسيح ليس فقط قد

---

[٨٧] 'عن الثالوث' (٩: ٦)

[٨٨] 'عن الثالوث' (٨: ١٣)

[٨٩] 'عن الثالوث' (٢: ٢٤)

[90] *Tr. in Ps.* cxxv. 6.

[٩١] 'عن الثالوث' (١٠: ٢٥)

[٩٢] 'تفسير متى' (٤: ١٢).

تَضمَّن البشرية جمعاء في نفسه، بل هو النموذج الأصلي الذي خُلِق عليه الإنسان، والسبب النهائي لخِلقته. كل نفس، حينما تَنشأ مِن بين يدي الله، تكون نقيةً وحُرةً وخالدةً، مع انجذاب وقابلية طبيعية لعمل الخير[٩٣]، والتي يمكن أن تجد اكتفاءها فقط لدى المسيح، الإنسان الكامل والنموذج المثالي. لكن لو أن المسيح هكذا هو كل شيء للإنسان، فلا بُد أن البشرية أيضًا لديها شيء ما تعطيه للمسيح، في هدفه الإلهي.

لقد قَدَّم ق. هيلاري ولادتين تخُصان المسيح، أولاً الولادة الأزلية للابن، ثم التجسد، أي الولادة في ملء الزمان، التي توحِّده بطبيعة لم تكن له من قبل، وتجعله إنسانًا[٩٤]. هذا الناسوت الذي اتخذه الابن بتجسده هو نفسه قد خَلَقه، لأنه الله، وهو ما قد خَلقه أولى طُرق وأعمال الله، المذكورة في سفر الأمثال. تلك الولادة متبوعة بالمعمودية، التي تكلم عنها ق. هيلاري ثلاث مرات[٩٥]. لقد فَهم ما جاء في (مت ٣: ١٧) على أنه: 'أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ'، بدلاً من الكلمات المألوفة للصوت الآتي من السماء. كان هذا في رأيه تأسيسًا لسر المعمودية؛ لأن المسيح قد اعتمد، فيجب علينا اتِّباع مثاله. ثم يتحدث عن القيامة قائلاً إن الناسوت سوف يَظَل موجودًا، لأنه لا ينفصل عن اللاهوت، وسوف يكون، كما كان مِن قبل، من الجسد والروح، لكن لن يُترَك هناك شيء أرضي أو جسدي في الجسد؛ سوف تُصبح طبيعته

---

[93] *Tr. in Ps.* ii. 16, lvii. 3, lxii. 3.

[94] *Tr. in Ps.* ii. 27.

[٩٥] 'تفسير متى' (٢: ٦)؛ 'عن الثالوث' (٨: ٢٥)؛ *Tr. in Ps.* ii. 29.

روحيةً بكل معنى الكلمة[٩٦]. الشكل الوحيد الذي يمكن للقديس هيلاري أن يُعبِّر به عن هذه النتيجة هو التناقُض الظاهري بأن المسيح سوف 'يكون ويستمر بما لم يكُنه'[٩٧]، بحُكم الخضوع النهائي. وهكذا، بقيامة المسيح، يعود له مجد هيئة الله الذي كان قد أخلى ذاته منه، ومن ثم يَتحَقَّق للبشرية الغرض مِن خِلقتها. لقد كان النموذج الأصلي الذي تشَكَّل الإنسان على مثاله، وفي شخصه تحقَّقَت كل إمكانيات البشرية. وهذا التحقُّق الكبير ليس فقط يُنهي مصائر البشرية، بل ويجلب أيضًا زيادة مجد الإنسان الذي هو مُمجَّد في المسيح[٩٨].

إن رجاء الناس يكمُن في حقيقة أن البشرية قد ارتقت هكذا في المسيح. لقد تأله* فيه الإنسان بالمعنى الحقيقي[٩٩]؛ وعلى الرغم من أن ق. هيلاري تجنَّب تلك العبارة المألوفة لديه في كتابات معلميه الإسكندريين، والتي استخدمها ق. أثناسيوس بحُريةٍ هو وغيره من معاصريه، أن الإنسان

---

[٩٦] 'عن الثالوث' (١١: ٤٠، ٤٩)

[٩٧] 'عن الثالوث' (١١: ٤٠)

[٩٨] 'عن الثالوث' (١١: ٤٢)

* راجع ما قلناه سابقًا عن موضوع التأله في التعليق رقم ٢١، صـ ١٣٦.{م}

[٩٩] 'عن الثالوث' (٩: ٤)، (١٠: ٧)

يصير إلهًا لأن الله صار إنسانًا[100]، إلا أن الفكرة التي تنقلها تلك العبارة كانت موجودةً باستمرار في ذهنه.

المعمودية

كما رأينا، فقد خُلِق البشر لمِثل هذا الارتفاع، ولديهم اليقين الفطري بأن أرواحهم هي من أصلٍ إلهي، وتَوق طبيعي لمعرفة الأمور الأبدية والرجاء فيها[101]. إلا أنهم يمكنهم فقط أن يرتفعوا بواسطة عمليةٍ تُماثل تلك التي بها قد ارتفع الناسوت في المسيح إلى مستوى مجد اللاهوت. تبدأ تلك العملية مع الولادة الجديدة في المعمودية الواحدة، وتبلغ اكتمالها عندما نَقبل بالتمام الروح القدس بسر الميرون، ونَقبل معرفة الله الكاملة التي هي الحياة الأبدية. نحن أعضاء في جسد المسيح وشركاؤه، وهذا معناه معرفته، وقبوله إلى عقول نقية. تلك المعرفة تجعل روح الإنسان مَسكنًا عقلانيًا، نقيًا وأبديًا، يمكن للطبيعة الإلهية، التي لها تلك الخصائص، أن تسكُنه إلى الأبد[102]. فقط مَن لديه عقل يمكنه أن يكون في اتحاد مع ذاك الذي هو العقل. الإيمان يجب أن يكون متعلمًا بدقة مثلما يجب أن يكون صادقًا. لقد صار المسيح إنسانًا لكي نؤمن به؛ كي يكون لنا شاهدًا، ينطلق من أنفسنا، ومن الأمور

---

[100] القديس أثناسيوس الرسولي: *المقالة الثالثة ضد الأريوسيين، الشهادة لألوهية المسيح*، ترجمة الأستاذ مجدى وهبة صموئيل والدكتور نصحى عبد الشهيد. القاهرة: المركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء، نوفمبر ١٩٩٤. صـ ٧٤.

[101] *Tr. in Ps.* lxii. 3.

[102] *Tr. in Ps.* cxviii., *Aleph,* 1, cxxxi. 6.

الإلهية، ويبشرنا نحن الضعفاء والجسديون بالأمور الخاصة بالله، من خلال ضعف الجسد[١٠٣].

الروح القدس

أما الروح القدس فلم يتكلم عنه ق. هيلاري كثيرًا في كتاباته. السبب الأقوى كان أن الكلام عن الروح القدس لم يكُن من ضمن الجدل الأريوسي. في الواقع، لقد كان يُفضِّل، مثل ق. أثناسيوس، التركيز على المصطلحات المذكورة في قانون إيمان نيقية الأصلي، ذلك الاعتراف الذي ينتهي بـ 'نؤمن بالروح القدس'. الروح القدس له وجود شخصي ودور خاص يتعلق بنا. إننا من خلاله نعرف الله. طبيعتنا قادرة على معرفته، مثلما للعين القدرة على البصر، وعطية الروح القدس للنفس مثل عطية النور للعين. إنه يَعرض إيمانه بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب وعلاقته بالابن في الكتاب الثاني عشر فقرة ٥٥، ٥٦. وكما رَفض كون الابن مخلوقًا، هكذا قد رفض كون الروح مخلوقًا، ذاك الذي ينبثق من الآب، والذي أرسله المسيح. الابن هو الابن الوحيد، وبالتالي فهو لن يقول إن الروح كان مولودًا؛ كما أنه لا يمكنه أن يدعوه مخلوقًا، لأن معرفة الروح بأسرار الله، والتي يُفسِّرها للبشر، هي برهان وحدانية طبيعته مع الله. الروح يَنطِق بأمور لا ينطَق بها وعمله يفوق الوصف. يكفي القول - مع الرسول - ببساطة إنه روح الله. هناك أيضًا تلك الفقرات الموجودة في الكتاب الثامن، فقرة ١٩ وما يليها،

---

[١٠٣] 'عن الثالوث' (٣: ٩)

حيث يَستخدم كون الروح القدس هو روح الآب والابن كإثبات لوحدتهما. وفي الكتاب الثاني، في الفقرات ٢٣، ٢٥، ٣٠، يَتحدث عن أن 'الروح' قد يَعني الآب أو الابن، مِثلما قد يَعني الروح القدس، ويُقدِّم أمثلةً عن تلك الحالات[١٠٤]. إنه يخبرنا أن الروح ليس مخلوقًا، وأنه من الآب من خلال الابن، ومن جوهر واحد معهما وعلاقته بالواحد هي مثل الآخر[١٠٥].

الإفخارستيا

كما يتكلم ق. هيلاري عن أن وسيلة الحفاظ على الحياة الجديدة هي الإفخارستيا، التي يسميها 'سر الجسد والدم'[١٠٦]، والتي هي مهمة بنفس أهمية المعمودية[١٠٧]. ويؤكد أننا نحيا فيه وهو فينا بالإفخارستيا[١٠٨]، وأن الجسد الذي اتخذه قد جعله واحدًا معنا في التجسد وفي الإفخارستيا[١٠٩]، وأن اتحادنا به في هذا السر هو اتحاد حقيقي وليس مجرد اتحاد للإرادة، إذ يقول:

---

[١٠٤] وكذلك كتاب ٩ فقرة ٦٩، وكتاب١٠ فقرة ١٦.

[١٠٥] '*عن الثالوث*' (٨: ٢٠)، (٩: ٧٣)

[١٠٦] '*عن الثالوث*' (٨: ١٧)

[١٠٧] *Tr. in Ps.* cxxxi. 23؛ '*عن الثالوث*' (٨: ١٣)

[١٠٨] '*عن الثالوث*' (٨: ١٤)

[١٠٩] '*عن الثالوث*' (٨: ١٣)

"فلو أن الكلمة بالحقيقة قد صار جسدًا، ونحن بالحقيقة نأخذ الكلمة الذي صار جسدًا كطعام من الرب"[١١٠]، أفلسنا مقيدين بالإيمان بأنه يُقيم فينا حقيقيًا، ذاك الذي بولادته كإنسان قد اتخَّذ طبيعة جسدنا الآن بعدم انفصال عن نفسه، ووحَّد طبيعة جسده الخاص بطبيعة الألوهية الأزلية في السر المقدس[١١١] الذي فيه قد اتصل جسده بنا؟"

مُلخَّص فكره اللاهوتي

في النهاية لا يسعنا إلا أن نقول إنه واحد من أكثر الشخصيات البارزة في تاريخ الكنيسة المبكِّر، وينبغي أن يُحسَب من بين أولئك الذين بذلوا أقصى جهد ممكن لجعل الفكر المسيحي أكثر ثراءً ودقةً. إن فكره كمسيحي حقيقي يستحق كل الإعجاب. من الجانب الأخلاقي للمسيحية نراه يُصِر على الطابع الطوعي لعمل المسيح[١١٢]، بناءً على أعمال إرادته، والذي يرضي الله ويروق لنا. من الجانب الفكري نجد أن الوحدة في الثالوث مُعلَنة بشكل واضح. لكن ما يفوق كل شيء هو عقيدة ق. هيلاري بشأن التجسُّد كهدف أزلي لله لأجل اتحاد المخلوق مع الخالق، الأمر الذي لا بُد أن يثير

---

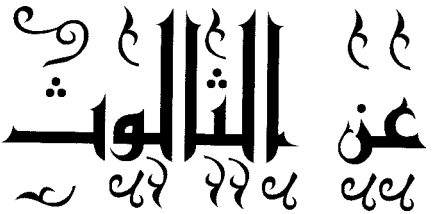
[١١٠] وهو هنا يربط سر التجسد بسر الافخارستيا، مما يؤكد إيمان الآباء الأولين بأن ما نتناوله كجسد المسيح هو جسده الذي تجسد به، وليس مجرد رمز أو ذكرى.{م}

[١١١] أي التجسد. "وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ"(١ تي ٣: ١٦).{م}

[١١٢] 'عن الثالوث' (١٠: ١١)

اهتمامنا ويوقِظ أفكارنا. لقد خَلُصنا بتواضعه؛ بسبب حقيقة أن طبيعة الإنسان قد اتُّخِذَت مِن قِبل خالقه، وليس بسبب حقيقة أن المسيح، مع كونه إنسانًا، ظَلَّ بلا خطية. فإن الخطية قد بدأت ضد إرادة الله وبعد تكوين خطته، لكنها لا يمكنها بالأكثر أن تُعرقِل إتمامها. الخلاص الحقيقي للإنسان ليس هو ما ينقذه من الخطية ونتائجها حينما يَفسد، بل ما يرفعه إلى حياة عدم الفساد، وإلى الاتحاد بالله. حياة الإنسان كان يمكن أن تكون بلا هدف دون التجسد. والجسد البشري من شأنه ألا يكون له مجد، لأن مجده هو أن المسيح قد اتخذه، ولبسه في حالته الضعيفة، مُعيدًا إياه إلى كماله. لا بُد أنه فَعل كل هذا وِفقًا لقصد الله، حتى لو لم يحدث السقوط أبدًا. مِن ثَم فالتجسد والقيامة هما حقيقتان لفائدة أسمى؛ موت المسيح هو بالنسبة للمسيحي الفعل الذي يُمَكِّنه من الانتفاع بالتجسد؛ لكن التجسد نفسه، في كلمات ق. هيلاري، هو ما نَخلُص به لاتحادنا بالله. قوانين الإيمان ليست بيانًا جافًا من الحقائق التي لا تَمَس حياتنا؛ الحقائق التي تحويها هي الإعلان عن الله نفسه لنا. لقد صهر ق. هيلاري الإيمان والسلوك في وحدة تلك المعرفة التي تنبأ عنها إشعياء وامتلكها ق. يوحنا، ليس لأجل مُتعة حَبك النظريات، بل لأجل الاهتمام بالتَقوى العملية، ولأجل المعرفة التي هي ليست مجرد وسيلة لأجل الحياة، بل هي الحياة نفسها.

الجزء الثاني



الكتاب الأول

الرفاهية والثروة ليستا هما هدف الحياة

١- حينما كنت أبحث عن توظيفٍ مستقيمٍ في ذاته، يلائم قدرات الحياة البشرية، سواء ما تحثها الطبيعة أو تفترضها أبحاث الحكماء، بحيث يمكنني به أن أصل إلى نتيجة تليق بعطية الفهم الإلهي المُعطاة لنا، حدثت لي أمور كثيرة تبدو نافعةً وجذابةً أيضًا للحياة بحسب الرأي العام. وبالأخص تلك الحاضرة أمام عقلي، ألا وهي الرفاهية المقترِنة بالثروة، والتي تُعتبَر أكثر شيء مرغوبًا دائمًا، سواء في الحاضر أو في الماضي. لكن وجود الواحدة دون الأخرى يبدو كمصدر للشر أكثر من كونه فرصةً للخير، لأننا نشعر أن الرفاهية في الفقر هي في الغالب نفي عن الحياة نفسها، في حين أن الثروة المُقتَناة وسط القلق هي بلوى في حد ذاتها، قد قدَّمت الأسوأ مصحوبًا بالذُل الشديد الذي يجب أن يعانيه مَن يفقد الأشياء المرغوبة والمطلوبة بالأكثر، بعد امتلاكه إياها. ومع ذلك، رغم أن هاتين الاثنتين تتضمنان أعلى وأفضل وسائل الترف في الحياة، إلا أنهما تبدوان قريبتين من الملذات الطبيعية للبهائم التي، بتجوالها داخل الأماكن الظليلة الغنية بالعشب، تتمتع بالأمان من الوقوع في الشِباك، ووفرة غذائها في نفس الوقت. فلو اعتُبِر هذا هو السلوك المثالي لحياة الإنسان، فستكون النتيجة وجود هدف واحد مشترَك - رغم اختلاف نطاق المشاعر - بيننا وبين عالَم الحيوانات غير العاقلة، بما أنها كلها، في ظل وجود تلك المؤونة الوافرة والراحة المطلقة التي

تمنحها الطبيعة، تتمتع بالفرصة الكاملة للمُتعة بدون الرغبة الشديدة في الامتلاك.

الحياة الحقيقية تعني العمل الصحيح والفكر الصحيح

٢- أعتقد أن مجمل الجنس البشري قد ازدروا من داخلهم بهذا الإذعان لحياة طائشة حيوانية، وانتقدوه في الآخرين، لمجرد ما علَّمته لهم الطبيعة نفسها ليس إلا، بأنه لا يليق بالجنس البشري الاعتقاد بأنهم وُلدوا فقط لكي يُشبِعوا طمعهم وكسلهم، وأنهم دخلوا الحياة بغير هدفٍ سامٍ لعملٍ مجيدٍ أو إنجازٍ واسعٍ، وأن هذه الحياة بالذات قد وُهِبَت (لنا) بدون إمكانية التقدم نحو الخلود؛ في الواقع، إن تلك الحياة التي ينبغي أن ندافع عنها بثقةٍ، لا تستحق أن نعتبرها عطية من الله، لأنها تُضيِّع نفسها بنفسها ابتداءً من عقل الطفولة الفارغ حتى ضلالات الشيخوخة، لكونها تتعذب بالألم وتُشحَن بالمشاكل. أنا أؤمن أن الناس الذين تحثهم الطبيعة نفسها، قد رَفعوا أنفسهم من خلال التعليم والممارسة، إلى الفضائل التي ندعوها الصبر وضبط النفس والرفق، لاقتناعهم بأن الحياة الحقيقية تعني العمل الصحيح والفكر الصحيح، وأن الإله غير المائت لم يعطِ الحياة فقط لكي تنتهي بالموت؛ فلا يمكن لأحد أن يؤمن بأن معطي الخير قد وَهب الإحساس اللطيف بالحياة كي تَظلَمَّ بالخوف الكئيب من الموت.

كل آمال الروح تتعلق بمعرفة الآب

٣- ومع ذلك، رغم أنني لم أستطع أن أتهم قصدهم هذا بالحماقة وعدم الجدوى، سواء بحفظهم للروح بلا لوم، أو تجنبهم لمتاعب الحياة بالبصيرة، أو تملصهم منها بالمهارة، أو احتمالهم لها بصبرٍ، إلا أنني ما زلت لا أقدر أن أعتبر هؤلاء الناس مرشِدين مؤهَّلين لقيادتي إلى الحياة الجيدة والسعيدة. تعاليمهم الأخلاقية كانت تفاهات، بالنسبة للمستوى المُجرد للمنطق البشري؛ الغريزة الحيوانية لم تُخفق في فهمهم، أما الذي فهم وعصي فقد سقط إلى مستوى من الحماقة أحقر من البهيمية الحيوانية. علاوة على ذلك، فقد كانت روحي تواقةً، ليس فقط لعمل الأشياء التي يجلب الاستخفاف بها العار والألم، بل لمعرفة الله الآب الذي قد أعطى هذه العطية العظيمة، ذاك الذي قد لمسَته (روحي)، وخضعَت له تمامًا، وكانت خِدمته هي شرفها الحقيقي، والذي عليه كل آمالها قد تركزت، الذي في شفقة محبته يمكنها أن تستريح وسط كل متاعب هذه الحياة المُضطرِبة، كما لو كانت في بيتٍ ومأوىً آمنٍ. لقد اشتعلَت برغبة شديدة لإدراكه ومعرفته.

أفكار خاطئة عن الألوهية

٤- بعض هؤلاء المعلمين قدَّموا براهينَ عن وجود عائلات مشهورة كبيرة لآلهة مشكوك فيها، وقدموا روايات عن ولادات وأنساب من إله لإله لاقتناعهم بأن هناك نشاطًا جنسيًا لدى الكائنات الإلهية. آخرون أكدوا أنه كانت هناك آلهة أعظم وأقل، في تمايز يتناسب مع قواها. البعض رفض وجود

أية آلهة أيًا كانت، واقتصروا على تبجيلهم للطبيعة التي هي في رأيهم تدين بوجودها لاهتزازات وتصادمات حدثت بالصُدفة*. مِن ناحية أخرى، اتَّبع الكثيرون اليقين العام بتأكيد وجود الله، لكنهم أظهروه غافلاً وغير مختلفٍ عن مسائل الناس. كما عبَد البعض الصِوَر المادية والمرئية الفعلية للأشياء المخلوقة، الموجودة في عناصر الأرض والهواء؛ وأخيرًا، البعض جعلوا آلهتهم تسكن في صوَر الناس والبهائم، الأليفة أو المتوحشة، سواء من الطيور أو من الحيات، وحبسوا رب الكون وأبا اللامحدودية في تلك السجون الضيقة من المعدن أو الحجر أو الخشب. لقد كنتُ واثقًا من استحالة كون هؤلاء مفسرين للحقيقة، إذ رغم أنهم كانوا متفقين على سخف وقذارة ودنس عاداتهم، إلا أنهم كانوا متفاوتين بخصوص بنود إيمانهم الأحمق.

لقد كانت روحي متحيرةً وسط كل تلك الادعاءات، إلا أنها استمرت تشق طريقها على طول هذا الطريق المفيد الذي يقود بشكلٍ محتومٍ إلى المعرفة الحقيقية بالله. إنها لم تحتمل أن يُنسَب إلى الله تَرك عالم قد خُلق من ذاته، أو أن الآلهة قد مُنحَت إمكانية ممارسة الجنس، وأن سلسلة أنساب المنجِبين والمولودين كانت متوافقة مع الطبيعة النقية والعظيمة للألوهة. كلَّا بالحري، فقد كان أمرًا مؤكدًا أن يكون الإلهي والأزلي واحدًا بدون تمييز للجنس، لأن ذاتي الوجود لا يمكن أن يكون قد تَرك خارجًا عن نفسه أي شيء أقوى منه. إذًا فالقدرة الكُلية والأزلية هي مِلكٌ لواحدٍ فقط، إذ أن القدرة

* وهو ما يؤكد أن الأفكار الإلحادية المُثارة الآن موجودة منذ القِدم.{م}

الكلية غير قابلة لدرجات القوة أو الضعف، والأزلية غير قابلة للأسبقية أو الخلافة*. يجب علينا أن نعبد الأزلية المطلقة والقوة المطلقة في الله.

صفة الوجود الأزلي لله قد أذهلته

٥- بينما كان عقلي يسهب في تلك الأفكار وغيرها كثيرًا، وَجدت بالصدفة الكتب التي، بحسب تقليد الإيمان العبري#، قد كتبها موسى والأنبياء، ووجدت في هذه الكلمات التي قالها الله الخالق مُظهرًا نفسه، "أَكُونُ الَّذِي أَكُونُ"، وأيضًا، "الَّذِي يَكُونُ قَدْ أَرْسَلَنِي لَكُمْ"[١]. أعترف بأنني قد ذُهِلت بأن أجد فيها دلالةً دقيقةً جدًا عن الله، حتى إنها قد عبَّرَت، بمصطلحات تتناسب بأفضل ما يمكن مع الفهم البشري، عن بصيرة غير مُدرَكةٍ، تَنفُذ إلى سِر الطبيعة الإلهية. فلا توجد صفة مميِّزة لله يمكن أن يدركها العقل أكثر من الوجود، لأن الوجود، بالمعنى المطلق، لا يمكن أن يُعزَّى إلى مَن سوف ينتهي، أو مَن كانت له بداية، فإن مَن هو موجود الآن متمتعًا بالسعادة الكاملة، لم يكن ممكنًا في الماضي، ولا يمكن في المستقبل، أن يكون غير موجود؛ فأي شيء إلهي لا يمكن أن يبدأ أو ينتهي. لذا، بما أن أزلية الله غير منفصلة عنه، فكان يليق به أن يُظهِر هذا الشيء، كإثبات لأزليته المُطلقة.

---

* أي لا يوجد تسلسل لإله كبير ثم أصغر ثم أصغر وهكذا، ولا يوجد توريث للألوهية.{م}

أي بحسب الكتب المقدسة العبرية.{م}

[١] (خر ٣: ١٤)

الله موجود في كل الخليقة والخليقة كلها موجودة في الله

٦- لقد كانت هذه الكلمات "أَكُونُ الَّذِي أَكُونُ" ملائمةً لمثل هذه الإشارة عن أزلية الله؛ لكننا إلى جانب هذا نحتاج إلى فهم كيف يعمل سلطانه وقوَّته. فبينما الوجود المُطلق يخُصه هو، الباقي إلى الأبد، الذي ليست له بداية في أي ماضٍ بعيدٍ، نَسمع ثانيةً تعبيرًا جديرًا به يَصدُر عن الله الأبدي والقدوس، الذي يقول: مَنْ يَحْمِلُ السَّمَاءَ فِي رَاحَةِ يَدِهِ وَالْأَرْضَ فِي يَدِهِ[٢]، وأيضًا: السَّمَاوَاتُ عَرْشِي، وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ. أَيُّ بَيْتٍ تَبْنُونَ لِي؟ وَأَيْنَ مَكَانُ رَاحَتِي[٣]؟ السماء كلها محمولة في راحة يد الله، والأرض كلها مُمسَكة في يده. الآن كلمة الله، المفيدة كما هي لبساطة فكر العقل التقي، تُظهِر معنىً أعمق للتلميذ الصبور أكثر من المستمِع المتسرع. فإن هذه السماء المحمولة في راحة يد الله هي أيضًا عرشه، والأرض الممسوكة في يده هي أيضًا الموطئ تحت قدميه. لم يُكتَب أننا ينبغي أن نستنتج مِن العرش وموطئ القدم - تلك التعبيرات المجازية المستنبَطة مِن وضع الشخص الجالس - أنه يمتد في الفضاء، كمَن له جسد، لأن هاتين اللتين هما عرشه وموطئ قدميه هما أيضًا ممسوكتان في يد وراحة يد تلك القدرة الكلية الأزلية. لقد كُتب أن كل الأشياء المولودة والمخلوقة يمكن لله أن يُعرَف فيها أو بدونها، مُلقيًا ظلاً عليها وكامنًا فيها، محيطًا للكل ومتخللاً خلالهم

---

[٢] (إش ٤٠: ١٢)

[٣] (إش ٦٦: ١، ٢)

كلهم، لأن راحة اليد واليد، اللتين تمسكان، تُظهِران قوة تَحكُّمه الظاهري، بينما العرش وموطئ القدم، بدعمهما للجالس، يُظهران تبعية الأشياء المادية للواحد الذي يُطوِّق الكل في قبضته خارجًا عنهم، ورغم ذلك يقيم في العالم الخارجي الذي هو مِلكه. بهذه الطريقة يَحكم الرب ويتعامل مع الكون، من الداخل ومن الخارج؛ لكونه غير محدود فهو موجود في كل الأشياء، وفي غير المحدود يوجد كل شيء. بمثل هذه الأفكار الخاشعة تبتهج روحي المنهمكة في السعي وراء الحق. يبدو أن عظمة الله تتجاوز إلى هذا الحد القدرات العقلية لصنعة يديه، فإنه مهما كان مدى الجهد الخطير الذي يمكن للعقل المحدود للإنسان أن يبذله لأجل تعريفه، إلا أن الفجوة لم تنخفض بين الطبيعة المحدودة التي تكافِح، وعدم المحدودية اللانهائية الموجودة أبعد من مدى إدراكها. فقد جئت بتفكيرٍ موقَّرٍ من جهتي لفهم هذا، لكنني وجدت أنه مُثبَت من كلام النبي، أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ[٤]. لا يوجد مكان ليس فيه الله؛ المكان لا يوجد منعزلاً عنه. إنه في السماء، وفي الهاوية، ووراء البحار؛ هو يسكن في كل الأشياء ويُطوِّق الكل. وهكذا هو يعانق الكون والكون يعانقه، ولا يتقيد بأي جزء منه بل ينتشر في الكل.

---

[٤] (مز١٣٨: ٧- ١٠) سبعينية، (١٣٩) بيروتية.

لا يمكن للعقل ألا يرى جمال الله

٧- لذا، رغم أن روحي ابتهجت لإدراك هذا العقل المهيب وصعب الفهم، لأنها يمكنها أن تعبُد أبيها وخالقها بعدم محدودية متناهية، إلا أنني قد التمستُ برغبة ما زالت تتوق بالأكثر إلى معرفة الوجه الحقيقي لربها غير المحدود والأبدي، حتى يمكنها أن تؤمن بأن هذه الألوهية التي لا حد لها، قد تزينت بروعةٍ تتلاءم مع جمال حكمته. ثم، بينما الروح الخاشعة قد تحيرت وشردت من خلال ضعفها الخاص، قد فهمَت من صوت النبي هذا المقياس من المقارنة بالله، المُعبَّر عنه على نحو رائع، فَإِنَّ خَالِقَ الْعَالَمِينَ يُدْرَكُ بِحَقٍّ عَنْ طَرِيقِ عَظَمَةِ أَعْمَالِهِ وَجَمَالِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي صَنَعَهَا[٥]. إن خالق الأمور العظيمة فائق العظمة، وخالق الأشياء الجميلة فائق الجمال. بما أن العمل يتجاوز أفكارنا، فلا بُد أن صانعه يفوقه. هكذا السماء والهواء والأرض والبحار جميلة؛ العالم كله أيضًا جميل، كما يوافق اليونانيين، الذين بسبب ترتيبه الجميل قد دعوه *κόσμος، أي الترتيب order. لكن لو أمكن لفكرنا أن يُقدِّر هذا الجمال الذي للكون بغريزة طبيعية - غريزة مثل التي نراها في بعض الطيور والبهائم التي رغم أن صوتها يقع تحت مستوى فهمنا، إلا أن له معنىً واضحًا لها رغم عدم قدرتها على نُطقه، والذي

---

[٥] (حك ١٣: ٥)

* والكلمة في اليونانية، بحسب قاموس Lampe، تتضمن ثلاثة معانٍ:

١- النظام. ٢- الزخرفة أو الزينة. ٣- العالم، متضمنًا الأرض والسماء.{م}

G. W. H. Lampe, *A Patristic Greek Lexicon*, Oxford, 1961. p.771.

فيه يَكمن معنىً واضحٌ لهم، بما أن كل الكلام هو تعبير عن بعض الفكر - ألا ينبغي أن يُعترَف برب هذا الجمال الكوني، لأنه هو نفسه الأكثر جمالاً بين كل الجمال المحيط به؟ فرغم أن روعة مجده الأزلي تُرهق قوى عقلنا، إلا أنه (عقلنا) لا يمكنه أن يفشل في رؤية أنه جميلٌ. يجب أن نعترف في الحقيقة بأن الله هو الجمال الأقصى، وأنه بهذا الجمال يفرض نفسه على قدرتنا على الفهم، رغم أنه يفوق إدراكنا.

٨- وهكذا فإن عقلي، الذي امتلأ بتلك النتائج التي بسبب انعكاسها وتعليم الكتاب المقدس الذي حصل عليه، قد ارتاح إليها مطمئنًا، كما لو كان في برج مراقبةٍ هادئٍ، هو على وشك الاستنتاج المجيد، إذ أدرك أن طبيعته الحقيقية جعلته قادرًا على إجلالٍ واحدٍ لخالقه، ولا يوجد غيره، سواء أقوى أو أقل؛ أعني التبجيل الناتج عن اقتناعه بأن ما له هو روعة كبيرة جدًا بالنسبة لإدراكنا، لكن ليس لإيماننا. فإن الإيمان المعقول يقترب من العقل ويَقبل معوناته، بالرغم من أن نفس هذا العقل لا يمكنه أن يكون على نفس مستوى عظمة القدرة الكلية الأزلية.

لا يمكن أن يكون الموت هو هدف الله من منح الحياة للبشر

٩- وراء كل هذه الأفكار يكمُن أمل غريزي قد قوَّى ثباتي في الإيمان، مع سعادة كاملة تُقتَنى بعدئذ بأفكار تقية بخصوص الله والحياة المستقيمة؛ إنه المكافئة، إن جاز التعبير، التي تنتظر المحارب المنتصر. إن الإيمان السليم سوف يَمُر بلا مكافئة، لو هلكت الروح بالموت، وأُطفئَت بانتهاء الحياة

الجسدية. فحتى العقل بمفرده يجيب بأنه لا يليق بالله أن يرشد الإنسان إلى وجود يشاركه فيه في فكره وحكمته، فقط لكي ينتظر الحكم بحياة منتهية وموت أبدي؛ أن يخلقه من لا شيء لكي يأخذ مكانه في العالم معناه أنه قد يَهلك حينما يأخذه. فإن الغاية الموجودة في نظرية الخلق المنطقية الوحيدة، هي أن الأشياء غير الموجودة يجب أن تأتي للوجود، وليس أن الأشياء الموجودة يجب أن تتوقف عن الوجود.

أبناء الله لا يَهلكون

١٠- على أن روحي وقع عليها خوفٌ، سواء على ذاتها أو على الجسد. لقد احتفظَت باقتناعٍ ثابتٍ، وولاءٍ مخلِصٍ للإيمان الصحيح بالله، لكنَّها قد انتابها قلقٌ عميق بخصوص ذاتها، والمسكن الجسدي الذي تَظُن أنه ينبغي أن يشاركها في الهلاك. وبينما هي في تلك الحالة، تعلَّمَت، بالإضافة إلى معرفتها بتعليم الناموس والأنبياء، تلك الحقائق التي علَّمها الرسول في الإنجيل: فِي الْبَدْءِ كَانَ **الْكَلِمَةُ**، وَ**الْكَلِمَةُ** كَانَ مَعَ اللهِ، وَكَانَ **الْكَلِمَةُ** الله. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ هِيَ الْحَيَاةُ[٦]، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ. كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا. هذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ*. كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ. كَانَ فِي

---

[٦] انظر شرح ق. هيلاري لتلك الفقرة في الكتاب الثاني، الفقرتين ١٩، ٢٠.

* مع ملاحظة إغفاله لجملة "لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورُ بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ". {م}

الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللهِ. وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا[٧]. هنا الروح ارتقت إلى أبعد مما يمكن أن تَبلغ إليه قدراتها الطبيعية. لقد تعلَّمت عن الله أكثر مما حلمَت به. إذ أنها تتعلم أن خالقها هو إله من إله، وتسمع أن **الكلمة** هو الله وأنه كان مع الله في البدء. لقد وصلَت إلى فهم أن نور العالم كان دائمًا في العالم وأن العالم لم يعرفه؛ وأنه جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله؛ أما الذين قبلوه بإيمانهم فقد ارتقوا لأن يكونوا أبناء الله، الذين لم يولدوا من قبول جسدي، ولا من الحبَل بالدم ولا من رغبة جسدية، بل من الله؛ أخيرًا، لقد تعلمَت أن **الكلمة** صار جسدًا وحل بيننا، وأننا شاهدنا مجده الكامل بالنعمة والحق، كمجد الابن الوحيد من الآب.

الابن المتجسد قد أخذ صفاتنا، ولم يتخل عن صفاته

١١- إن روحي المرتجفة والمتضايقة قد وَجدَت هنا رجاءً أوسع مما قد تصورَته. أولاً دخولها إلى معرفة الله الآب، ثم معرفتها بأن الأزلية وعدم المحدودية والجمال المنسوب - بالمنطق الفطري - إلى الخالق، هي أيضًا تخص الله الابن الوحيد. إنها لم تُبدد إيمانها بين تعدد الآلهة، إذ قد سمعت أنه إله

[٧] (يو١: ١- ١٤)

من إله؛ ولم تسقط في خطأ نَسْب اختلاف الطبيعة إلى ذاك الذي هو إله من إله، فإنها قد تعلَّمَت أنه مملوءٌ نعمة وحق. إن روحي لم تلاحظ حتى أي شيء ضد العقل في (تعبير) إله من إله، إذ قد أُعلِن أنه كان منذ البدء إلهًا من إله. لقد رأت أن الذين بلغوا إلى معرفة هذا الإيمان المُخلِّص قليلون جدًا رغم مكافأته العظيمة، فحتى خاصته لم يقبلوه، رغم أن الذين قبلوه قد ارتقوا ليكونوا أبناء الله بالميلاد، ليس بالجسد، بل بالإيمان. لقد علِمَت أيضًا أن هذه البنوة لله ليست إلزامًا، بل هي شيء ممكن. فعلى الرغم من أن المنحة الإلهية قد عُرِضَت للكل، إلا أنها ليست مجموعة صفات موروثة قد طُبِعَت بشكلٍ محتوم، بل جائزة مُنِحَت لاختيارٍ إرادي. ولكي لا تجعل تلك الحقيقة المجردة - أن أي أحدٍ يمكنه أن يصير ابنًا لله - ضعف إيماننا يترنح[٨]، قد صار **كلمة** الله جسدًا، حتى من خلال تجسده يمكن لجسدنا أن يصل إلى الاتحاد بالله **الكلمة**. ولكي لا نظن أن **الكلمة** المتجسِّد كان شيئًا آخَر غير الله **الكلمة**، أو أن جسده كان من جسد مُختلف عن جسدنا، حل **الكلمة** بيننا، كي بسكناه يُعرَف على أنه الإله الساكن (فينا)، وبسكناه بيننا، قد عُرف أنه الإله المتجسد، **ليس في جسد آخر غير جسدنا**. علاوة على ذلك، فرغم أنه تنازل ليتخذ جسدنا، إلا أنه لم يَخْلُ من صفاته الخاصة؛ فإن الابن الوحيد للآب، المملوء نعمة وحق، قد احتفظ بالتمام بكل صفاته الخاصة وأخذ صفاتنا بالحقيقة.

---

[٨] فإن أقصى ما نريده، رغم صعوبة الحصول عليه، هو الشيء الذي يصعب رجاؤه لعظمته الشديدة.

بالإيمان يمكننا أن ندرك أعمال الله

١٢- لقد ابتهجَت روحي بهذا الدرس الخاص بالأسرار الإلهية؛ (تلك الروح) التي تتقرب الآن إلى الله وهي في الجسد، والتي قد دُعيَت لميلادٍ جديدٍ من خلال الإيمان، وائتُمِنَت بالحرية والقوة على ربح التجديد السماوي، وشعرَت بحب أبيها وخالقها، ووثقَت بأنه لم يُبِد مخلوقًا قد استدعاه إلى الحياة مِن لا شيء. لقد أمكنها أن تستنتج كم تسمو تلك الحقائق فوق الرؤية العقلية للإنسان؛ فإن العقل الذي يتعامل مع الأشياء العادية للفكر، يمكنه أن يُدرِك مِن لا شيء، كما لو كان موجودًا فوق ما يُدرِكه في نفسه أو يصنعه من نفسه. لقد قاست روحي أعمال الله العظيمة، المعمولة على مقياس قدرته الإلهية الأزلية، ليس بقدراتها الخاصة على الفهم، بل بإيمانٍ لا نهائي؛ لذا فقد رفضَت أن تَكفُر، لأنها لم تستطع أن تفهم، أن الله كان في البدء مع الله، وأن **الكلمة** قد صار جسدًا وحل بيننا، بل حَملَت في عقلها حقيقة أن القدرة على الفهم تأتي مع الرغبة في الإيمان.

حينما نُدفَن في المعمودية نعود إلى الحياة الأبدية

١٣- ولكي لا تتوه الروح وتضل ببعض ضلالات الفلسفة الوثنية، فإنها تَقبل هذا الدرس الإضافي عن الخضوع الكامل للإيمان المقدس، الذي علَّمه الرسول في الكلمات الموحى بها: أُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ. فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا. وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ

فِيهِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ. وَبِهِ أَيْضًا خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ. مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ، {وَبِخَلْعِهِ لِلْجَسَدِ قد أَشْهَرَ السُّلْطَاتَ جَهَارًا، ظَافِرًا عَلَيهِم بِالثِّقَةِ فِي نَفْسِهِ}*.[٩] فالإيمان الثابت يرفض التدقيق الباطل للتحقيق الفلسفي، والحق يرفض أن يُهزَم بتلك الشعارات الغادرة التي للحماقة البشرية، وأن يُستَعبَد من قِبَل الكَذِب. إنه لن يَحصر الله في الحدود التي تَمنع عقلنا العادي، ولن يحكُم 'حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ' المتعلقة بالمسيح، الذي 'فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا'، وبهذه الطريقة تتحير الجهود القصوى للعقل الأرضي في إدراكه، بتلك الأزلية والقدرة الكلية التي لا يمكن قياسهما. لقد حَكَمَت روحي بأنه كيان يجذبنا عاليًا لكي نشاركه طبيعته الإلهية، وقد حل من الآن فصاعدًا وثاق العادات الجسدية، الذي، بعكس الناموس الرمزي، لم يُدخلنا إلى شعائر تُشوِّه الجسد، بل هدفه هو أن تقوم روحنا المختونة بتطهير كل القدرات الطبيعية

---

* وبحسب البيروتية "إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ"، والنص اليوناني الدقيق يقول: "وخَلَعَ أَصْحَابَ الرِّئَاسَةِ وَالسُّلْطَةِ وَجَعَلَهُم عِبرَةً، وَقَادَهُم أَسرَى فِي مَوكِبِهِ الظَّافِرِ". لكنه قرأها كما هو مكتوب، ربما في مخطوط لاتيني للعهد الجديد.{م}

[٩] (كو ٢: ٨-١٥)

للجسد من الرذيلة بالامتناع عن الإثم، حتى إننا نحن المدفونون بموته في المعمودية يمكننا أن نعود إلى الحياة الأبدية، لأن تجديد الحياة هو موت عن الحياة السالفة، والموت عن خطايانا هو ميلاد جديد إلى الخلود، حتى إنه مثلما تنازل عن كونه غير قابل للموت لكي يموت لأجلنا، هكذا يجب أن ننهض من الموت إلى الخلود معه. فإنه قد أتخذ جسد خطيتنا لكي بلبسه جسدنا يمكنه أن يغفر الآثام؛ الجسد الذي شاركنا فيه بلبسه إياه، وليس بارتكاب الإثم فيه. لقد محا بالموت حُكم الموت، لكي بالخلق الجديد لجنسنا فيه يمكنه أن يرفع العقوبة التي حددها الناموس السابق. لقد تركهم يسمِّرونه في الصليب حتى يمكنه أن يُسمَّر في لعنة الصليب* ويُبطِل كل اللعنات التي أدين العالم بها. لقد احتمل كإنسانٍ لأقصى درجة كي يمكنه أن يُخزي السلاطين. فإن الكتاب المقدس قد سبق وأنبأ بأن ذاك الذي هو الله يجب أن يموت؛ بأن النصر والظفر لمَن يثقون به، يكمُن في حقيقة أن غير المائت الذي لا يمكن أن يَغلبه الموت، كان يجب أن يموت كي يمكن للمائتين أن ينالوا الأبدية. أعمال الله هذه، المصنوعة بطريقة تفوق إدراكنا، لا يمكن، وأكرر، لا يمكن أن تُفهَم بإمكانياتنا الطبيعية، فإن العمل الذي يقوم به غير المحدود والأزلي لا يمكن أن يُدرَك سوى بعقل غير محدود. من ثَم، كما أن حقيقة أن الله قد صار إنسانًا، وأن غير المائت قد مات والأبدي قد قُبِر، لا تنتمي للمنطق، بل هي عمل فريد للقوة، لذا فمن الناحية الأخرى،

* أي أنه قد صار كشيء ملعون κατάρα، أنظر (غل ٣: ١٣) «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ».{م}

أن يكون مَن هو إنسان إلهًا أيضًا، ومَن مات غير مائت، ومَن دُفِن أبديًا، هو نتيجة للقدرة الكلية وليس للعقل. نحن إذًا قد رُفعنا معًا بالله في المسيح من خلال موته. لكن، بما أن في المسيح يكون ملء اللاهوت، فلدينا هنا إعلان عن أن الله الآب له علاقة بإقامتنا في مَن مات؛ ويجب أن نعترف أن يسوع المسيح هو الله في كل ملء الألوهية.

لم يعُد الموتِ خوفًا بل شهوةً

١٤- في هذا المناخ الهادئ الآمن قد ابتهجت روحي وتشجعَت، ولم تعُد تخاف كثيرًا من عائق الموت، حتى بدا الموت مجرد اسم للحياة الأبدية. وحياة هذا الجسد الحاضر بعيدة تمامًا عن أن تبدو كعبءٍ أو بلوى حتى اعتُبِرَت كاهتمام الأطفال بأبجديتهم، واهتمام الرجال المرضى بشرابهم، واهتمام بحارة غَرقى بالسباحة، واهتمام الشباب بالتدريب على مهنتهم، واهتمام قادة المستقبل بأول حملةٍ؛ أي مثل خضوعٍ مُحتمَلٍ للاحتياجات الحاضرة، ومثل احتمال الوعد بخلودٍ مبهج. كما أنني قد شرعْتُ في أن أُعلن هذه الحقائق التي تؤمن بها روحي بشكلٍ شخصيٍ، كمهمة للأسقفية* التي وُضِعَت عليَّ، بتوظيف منصبي لأجل تعزيز خلاص كل الناس.

* مما يؤكد أنه قد بدأ في كتابة هذا الكتاب بعد أسقفيته.{م}

بداية الكلام عن هرطقتي سابيليوس وأريوس

١٥- وبينما كنت مشغولاً هكذا، خرجَت إلى النور بعض الأفكار الخاطئة لأناس متهورين وأشرار، يائسين في أنفسهم وعديمي الرحمة نحو الآخرين، الذين جعلوا طبيعتهم الضعيفة مقياس قُدرة طبيعة الله. لقد ادَّعوا، ليس أنهم قد ارتفعوا إلى معرفةٍ غير محدودة بالأمور غير المحدودة، بل أنهم قد حصروا كل المعرفة التي لم يُستطاع تحديدها قبلاً، داخل مجال من المنطق المألوف، وثبَّتوا حدود الإيمان. ولما كان العمل الحقيقي للدين هو خدمة الطاعة، وهؤلاء كانوا أناسًا غافلين عن ضعفهم الشخصي، متهورين في شرح الحقائق الإلهية، لذا فقد شرعوا في تحسين تعليم الله.

١٦- أنا لن أصمت حينما تُتاح لي فرصة الرد على هؤلاء الذين يتلاعبون بإيمان الإنجيل بإنكارهم ميلاد الله الابن الوحيد، تحت ذريعة الولاء لله الواحد. إنهم يجزمون بأنه كان هناك امتدادٌ من الله إلى الإنسان، وليس نزولاً؛ بأن مَن كان ابنًا للإنسان في الفترة القصيرة التي اتخذ فيها جسدًا، لم يكن سابقًا، ولا كان فيما بعد، ابن الله؛ بأنه لم تكن هناك ولادة إلهية في حالته، بل تَطابُق والد مع مولود*؛ ولأجل تأكيد ما يعتبرونه إخلاصًا تامًا لموضوع وحدانية الله، يجزمون بأنه كان هناك اتصال تام في التجسد، إذ قد مدَّد الآب نفسه إلى العذراء، وهو نفسه مولود كابنه الخاص. من جهة أخرى

* مثلما كان ينادي سابيليوس بأن الثلاثة أقانيم هم شخص واحد. وتلك العبارة وما بعدها هي أيضًا أفكار سابيليوس.{م}

هناك آخرون - وهم هراطقة، لأنه لا يوجد خلاص بعيدًا عن المسيح، الذي كان عند الله منذ البدء بصفته الإله **الكلمة** - ينكرون أنه قد وُلِد، ويُعلِنون أنه خُلِق فحَسْب.

إنهم يتمسكون بأن الميلاد سوف يكون اعترافًا بأنه إله حقيقي، بينما الخَلق يُبرهن على أن ألوهيته غير حقيقية؛ وبالرغم من أن هذا التفسير هو حيلة ضد الإيمان بوحدانية الله، وهو ما يُعتبَر تعريفًا دقيقًا، إلا أنهم يظنون أنه قد يفي بالغرض كلغة رمزية. إنهم يُنزِلون - بالاسم وبالإيمان - ميلاده الحقيقي إلى مستوى المخلوق، لكي يقطعوه عن الوحدة الإلهية، حتى *لا يدَّعي لنفسه ملء اللاهوت الذي لم ينَله بولادة حقيقية، لكونه مخلوقًا قد دُعي للوجود.*

الإيمان بالله كآب والمسيح كابن الله هو صميم الإيمان الخلاصي

١٧- لقد التهبَت روحي للرد على تلك الهجمات المخبولة، إذ قد تذكرْتُ أن صميم مركز الإيمان الخلاصي ليس هو الإيمان المجرد بالله، بل بالله كآب؛ ليس فقط بالمسيح، بل بالمسيح كابن الله؛ الإيمان به، ليس كمخلوق، بل كالإله الخالق، المولود من الله. إن غرضي الرئيس من خلال التأكيدات الصريحة للأنبياء والإنجيليين، هو دحض جنون وجهل الرجال الذين يستخدمون وحدانية الله - والتي هي في حد ذاتها اعترافٌ تقيٌّ ومفيدٌ - كذريعة لإنكارهم أن الله قد وُلِد في المسيح، أو أنه بالحقيقة الله. إن هدفهم هو عزل إله منفرد في قلب الإيمان، بجعل المسيح، رغم عظمته، مجرد

مخلوقٍ؛ لأن ميلاد الله، كما يزعمون، يفسح المجال للمؤمنين للإيمان بوجود عدد من الآلهة أكثر من واحدٍ. لكننا، نحن الذين قد تعلَّمنا بشكلٍ إلهيٍ ألَّا نعترف بإلهين ولا بإلهٍ منعزلٍ، سوف نُقدِّم شهادة الأناجيل والأنبياء عن اعترافنا بالله الآب والله الابن، متَّحدين، وغير مرتبكين في إيماننا. نحن لن نُسلِّم بتطابقهما ولن نُجيز كون المسيح إلهًا بالمعنى الناقص، كحل وسط؛ فإن الله، المولود من الله، لا يمكنه أن يكون هو نفسه الآب، بما أنه ابنه، ولا حتى يمكن أن يكون مختلفًا في الطبيعة.

الفكر المتجدد مطلوب، لكن لا بُد أن يكون مستنيرًا بالروح القدس

١٨- وأنتم، يا مَن سوف تحتكم حماسة الإيمان والشغف لحقيقة غير معروفة للعالم وفلاسفته على قراءة كلامي، ينبغي أن تتذكروا تجنُّب التخمين الضعيف والعار عن الصحة للعقول الأرضية، وأن تزيلوا حواجز التحيز ونصف المعرفة، برغبة مخلِصة للتعلُّم. إن القدرات الجديدة للفكر المتجدد مطلوبة، إذ ينبغي أن يكون لكل واحد الفهم المستنير بالعطية السماوية الممنوحة للنفس. أولاً لا بُد أن يتخذ موضعه على أساس كيان الله ذاته the sure ground of God، [*ὑποστάσει substantia=]*، كما يقول

* وهو ما يعني حرفيًا 'الأساس الذي يقوم عليه الشيء'، وقد تُرجِمَت في الإنجليزية council وفي العربية البيروتية 'مجلس'، لكن ق. هيلاري قد استخدم هنا اللفظ بمعنى الجوهر أو المادة الأساسية، أو الكيان being، وهو التعبير الذي تبناه الآباء وتُرجِم في السريانية إلى 'ܩܢܘܡܐ / قنومو'، ومنه أخذت العربية لفظ 'أقنوم'.{م}

إرميا المبارك[10]، حتى إنه حينما يسمع عن 'الجوهر' [*substantia*] يمكنه أن يوسع أفكاره حتى تكون جديرة بالفكرة الرئيسة، ليس بأن يحدد لنفسه مقياسًا استبداديًا، بل باعتباره أمر غير محدود. وبالمثل، رغم إدراكه أنه شريك الطبيعة الإلهية، كما يقول بطرس الرسول القديس في رسالته الثانية[11]، إلا أنه لا يجب أن يقيس الطبيعة الإلهية بحدوده الخاصة، بل يقيس تأكيدات الله بخصوص نفسه بمقياس إعلانه الذاتي المجيد عن نفسه. **فإن التلميذ الأفضل ليس مَن يقرأ أفكاره في الكُتب، بل مَن يجعلها (الكتب) تُظهِر أفكارها الخاصة؛ مَن يأخذ منها معناها، ولا يقدِّم معانيه الخاصة إليها، ولا يفرض على كلماتها المعنى الذي اعتبَر أنه المعنى الصحيح قبل أن يفتح صفحاتها.** وبما أننا سوف نتحدث عن أمور الله، فدعونا نفترض أن الله لديه المعرفة الكاملة عن نفسه، وننحني بمهابة خاضعة لكلماته. فإن مَن يمكننا أن نعرفه فقط مِن خلال كلامه الخاص هو الشاهد المناسب عن نفسه.

التشبيهات الجزئية رغم كونها ناقصةً إلا أنها مفيدة

١٩- لو أننا في نقاشنا عن طبيعة وميلاد الله نقدم تشبيهات جزئيةً محددةً، فلا يجب أن يفترض أحدٌ أن مثل هذه المقارنات مضبوطة وكاملة. لا يمكن أن يكون هناك مقارنة بين الله والأمور الأرضية، ومع ذلك فإن

---

[10] (إر ٢٣: ٢٢)

[11] (٢بط ١: ١٤)

ضَعف فهمنا يدفعنا للبحث عن صِور إيضاحية من عالَم أقل لأجل شرح قصدنا بخصوص أفكار أكبر. إن طريقة الحياة اليومية تُظهِر كيف أن خبرتنا بالأمور الاعتيادية تُمكِّننا من تكوين استنتاجات بخصوص موضوعات غير مألوفة. لذا يجب أن نعتبر أية مقارنة كأنها مساعدة للإنسان أكثر من كونها تصويرًا لله، بما أنها توحي بالمعنى الذي نريده، أكثر من كونها تعالجه. لكن لا يجب اعتبار تلك المقارنة أمرًا شديد الوقاحة، حينما تضع الطبائع الجسدية مع الروحية جنبًا إلى جنب، والأمور غير المرئية مع الملموسة، لأنها تجاهر بنفسها كمعونة ضرورية لضَعف العقل البشري، وتستنكر الإدانة الناتجة عن تشبيه جزئي ناقص. على هذا الأساس أبدأ مهمتي، قاصدًا استخدام المصطلحات التي قدَّمها الله، ومع ذلك فلن أُلوِّن جدالي بإيضاحات مأخوذة من حياة البشر.

خطة العمل، مع تقديم ملخَّص لكل كتاب من الاثني عشر

٢٠- أولاً، لقد وضعْتُ خطة العمل كله هكذا لكي أراعي مصلحة القارئ بالترتيب المنطقي للكتب التي قد نظَّمتها. لقد كان الحَل بالنسبة لي ألا أنشر مقالةً نصف كاملة أو ضعيفة، خشية أن يشبه ترتيبها المخالف ذلك الصخب المشوِّش لغوغاء الفلاحين. وبما أنه لا يمكن لأحد أن يُدرِّج جَرفًا إلا إذا كانت هناك سلاسل صخرية ناتئة لمساعدة تَقدُّمه للذروة، فقد وضعت هنا الحدود الأساسية لصعودنا بالترتيب، مُمهِّدًا السبيل لطريق جدالنا الصعب إلى أسهل طريق، غير قاطعٍ الدرجات في وجه الصخر، بل

ممهدًا إياه إلى منحدر لطيف، حتى يمكن للمسافر أن يصل إلى المرتفعات دون أن يشعر بجهد في الغالب.

الكتاب الثاني

٢١- وهكذا، بعد الكتاب الأول الحالي، فإن الثاني يشرح سِر الميلاد الإلهي، حتى يمكن لهؤلاء الذين سوف يعتمدون بسم الآب والابن والروح القدس أن يعرفوا الأسماء الحقيقية، ولا يرتبكون بخصوص معناها بل يُخبَرون بالضبط بالحقيقة والمعنى، وهكذا يتقبلون تأكيدًا كاملاً على أن لديهم الأسماء الحقيقية في الكلمات المستخدَمة، وأن هذه الأسماء تتضمن الحقيقة.

الكتاب الثالث

٢٢- بعد هذا الكلام البسيط عن الثالوث، يتقدم الكتاب الثالث بخطى ثابت، لكن بشكلٍ تدريجي. إنه يضع لنا - باقتباس الشهادات التي تشهد لقوَّته بشكل أكثر وضوحًا - ذلك القول: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ[١٢]، الذي قاله المسيح عن نفسه، داخل مجال الفهم النابع من الإيمان، رغم أنه يَفوق إدراكنا. وهكذا فإن تلك الحقيقة التي تفوق العقل الكليل للبَشر هي جائزة الإيمان المكسوة بمنطق ومعرفة؛ فلا يمكننا أن نشُك في كلام الله عن نفسه، ولا يمكننا أن نفترض أن العقل التقي غير قادر على إدراك إمكانياته.

---

[١٢] (يو ١٠: ٣٨)

الكتاب الرابع

٢٣- الكتاب الرابع يبدأ بتعاليم الهراطقة، ويرفض الاشتراك في الأفكار الخاطئة التي بها يطعنون في إيمان الكنيسة. إنه ينشر قانون الإيمان الكافر[١٣] الذي يُعلنه عدد منهم، ويكشف عن كذب وشر براهينهم المأخوذة من الناموس بخصوص ما يدَّعونه عن وحدانية الله. ويشرح البرهان الكامل الموجود في الناموس والأنبياء لإظهار كُفر تأكيد وحدانية الله# بغرض إبعاد ألوهية المسيح، والخيانة العظمى في زعم أنه لو أن المسيا هو الله الابن الوحيد، إذًا فالله ليس واحدًا.

الكتاب الخامس

٢٤- الكتاب الخامس يستمر في الرد على تسلسل الإصرار الهرطوقي. لقد أعلنوا بالخطأ أنهم قد اتَّبعوا الناموس في المعنى الذي حددوه عن وحدانية الله، وأنهم قد أثبتوا منه أن الإله الحقيقي هو شخص* (أقنوم) واحد؛ وهذا لأجل سلب السيد المسيح ميلاده بما استنتجوه بخصوص الإله الوحيد

---

[١٣] *رسالة أريوس إلى ألكسندروس*؛ راجع قانون الإيمان الأريوسي، الكتاب الرابع، فقرة ١٢، ١٣.

أي أنه واحد منفرد وليس واحد من ثالوث.{م}

* يستخدم ق. هيلاري لفظ 'شخص' قاصدًا به 'أقنوم'، إذ أن كلمة أقنوم تُتَرجَم في اللاتينية *prosopa* والتي تحمل معنى 'شخص' أكثر من معنى الكيان أو الأساس القائم أو ما يقوم عليه الشيء، الذي تبناه الآباء الذين كتبوا باليونانية، وتُرجِم في السريانية إلى 'ܩܢܘܡܐ / قنومو'، ومنه أخذت العربية لفظ 'أقنوم'. لذا فحينما يقول ق. هيلاري 'شخص' فهو إنما يعني 'أقنوم'.{م}

الحقيقي، لأن الميلاد هو دليل على المصدر. لقد أكدتُ في الإجابة، خطوة بخطوة، ما قد أنكروه؛ فإنني قد أظهرتُ من الناموس والأنبياء أنه ليس هناك إلهان، ولا إله واحد حقيقي مُفرَد، لكن ليس بتحريف الإيمان بالوحدانية الإلهية ولا بإنكار ميلاد المسيح. وبما أنهم يقولون إن الرب يسوع المسيح مخلوقٌ، بدلاً من كونه مولودًا، ويحمل الاسم الإلهي كهبة وليس كحق، فقد قمت بإثبات لاهوته الحقيقي من الأنبياء بالطريقة التي يمكن بها الاعتراف بأنه إله حقيقي، لأن تأكيد لاهوته المتأصل سوف يجعلنا نتمسك بحقيقة أن الله واحد.

الكتاب السادس

٢٥- الكتاب السادس يُظهِر الخداع التام لهذا التعليم الهرطوقي. فإنهم يشجبون التعليم المُلحد للمهرطقين لكي ينالوا سُمعة بتأكيداتهم؛ أعني (الهراطقة أمثال) فالنتينوس* Valentinus، وسابيليوس#، وماني•

---

* غنوسي من القرن الثاني، وُلِد في مصر، ويقول تلاميذه إنه قد تعلم على يد ثوداس تلميذ بولس الرسول. انفصل عن الكنيسة وذهب للشرق ثم عاد إلى روما، حيث مات بها حوالي سنة ١٦٥م.{م}

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983, p. 1676.

راجع التعليق الوارد في المقدمة صـ ٥٤.{م}

• ظهر في النصف الثاني من القرن الثالث (٢١٦م – ٢٧٧م) وكان فيلسوفًا من بلاد فارس، حاول إيجاد ديانة توفِّق بين الديانات الفارسية والبوذية والمسيحية. انتشرت المانية بسرعة بين المسيحيين وظلت لأجيال عديدة. أحبها بعض المفكرين، ومن بينهم ق. أوغسطينوس قبل

Manichaeus وهيراكاس[±] Hieracas، ويستولون على اللغة الإلهية للكنيسة كغطاء لتجديفهم. إنهم يستنكرون ويغيِّرون لغة مهرطقيهم،

توبته، وعِلَّة ذلك هو غموض تعاليمها مع إحكام نظامها، وتظاهرها بحَل مشكلة الشر، ومظهر تابعيها بالقداسة والتقشف. أهم مبادئها: ١- وجود إلهين، إله للخير وإله للشر، أو إله للنور وإله للظلمة. ٢- لكل إنسانٍ ملاكه الحارس، الذي يهب المعرفة لمَن يشبهه أو يتفق معه؛ وفي نفس الوقت يحتاج الشخص إلى رجل أو امرأة ينتمي إليه أو إليها، إذ لا يستطيع أن يدخل البليروما Pleroma (أي الملء) بدون نصفه الآخر. ٣- أن كل شخص يتبع ماني له اثنان يوحيان إليه ويقودانه إلى النور. وأن يسوع نفسه السرمدي يعاني من المادة ويَخلص بواسطة الغنوصية.

في هذا الوقت ظهر ذلك الرجل المجنون، واسمه مشتق من هرطقته الجنونية. حضَّن نفسه بقلب أوضاع عقله وتفكيره، كما أقامه إبليس، الشيطان وعدو الله، لهلاك كثيرين. كانت حياته وحشية في القول والعمل وطبيعته شيطانية جنونية، تظاهر بموقف كموقف المسيح. وإذ إنتفخ في جنونه نادى بأنه الباراقليط، الروح القدس نفسه. اقتدى بالمسيح فاختار اثني عشر تلميذًا كشركاء له في تعليمه الجديد. مزج معًا تعاليم مزورة وكافرة، جمعها من أقوال بعض الآباء الملحدين التي انقرضت منذ زمن بعيد، فبعث بها كسمومٍ قاتلة جاء بها من الفرس إلى هذا الجزء من العالم الذي نعيش فيه.

راجع: يوسابيوس القيصري: *تاريخ الكنيسة* ٧ : ٣١، ترجمة القمص مرقس داود.{م}

Fr. Tad. Malaty: *School of Alexandria*, Book 1, 1995, 150-151

[±] عاش في أوائل القرن الرابع الميلادي، وكان معاصرًا للأسقف المصري ميليتيوس Meletius والبابا بطرس السكندري، وذلك أثناء اضطهاد دقلديانوس Diocletian. عاش متوحدًا في ليونتوبوليس Leontopolis بمصر ممتنعًا عن الأكل الحيواني والخمر، وبسبب نسكه الشديد وصفاته الشخصية كانت كتاباته تلاقي قبولاً، وبالذات بين المتوحدين المصريين الآخرين. في كتاباته يتكلم هيراكس عن الفردوس المذكور في سفر التكوين كعَالَمٍ روحيٍ سامٍ، سقطت منه الروح لتنغمس في الأمور الأرضية، وبالتالي فإن القيامة في المستقبل سوف تكون للروح فقط وليس للجسم المادي، إذ اعتبر الموت وسيلةً لتحرر الروح من رباطات الجسد، وبالتالي فمن الصعب الاعتقاد بأنها ستعود للسجن المادي مرة أخرى بالقيامة. أما أهم تعاليم

معدِّلين إياها إلى صورة غامضة بالنسبة للأرثوذكسية، لكي يطمسوا الإيمان المقدس بينما يشجبون الهرطقة ظاهريًا. لكننا نعلن بشكلٍ واضح لغة وتعليم كلٍ منهم، ونبرئ الكنيسة من أي اشتراكٍ أو أُلفة مع الهراطقة المُدانين. نحن نحكم على كلماتهم التي تستحق الإدانة، وهؤلاء الذين يطالبون بقبولنا المتواضع لهم نقبلهم. هكذا البنوة الإلهية ليسوع المسيح، والتي هي دافع إنكارهم الأكثر حماسًا، نُثبتها بشهادة الآب، بتأكيدات المسيح، وكرازة الرسل، وإيمان المؤمنين، وصيحات الشياطين، وتناقض اليهود - إذ هي في حد ذاتها اعتراف -، وباعتراف الوثنيين الذين لم يعرفوا الله. كل

هيراكس فكانت أنه حرَّم الزواج تحريمًا قاطعًا، موضحًا أنه مع كونه مسموحًا به في القديم، إلا أنه بمجيء السيد المسيح لا يستطيع الإنسان المتزوج أن يرث ملكوت السموات. وأن التعليم الجديد الذي أتى به السيد المسيح مختلفٌ عما في العهد القديم وهو ضرورة حياة العفة والقداسة التي بدونها لن يعاين أحد الله. في كلامه عن أمثال السيد المسيح، قال هيراكس إن السيد تكلم عن عشرة: بعضهن جاهلات وبعضهن حكيمات، إلا أن كلهن كُن عذارى. كانوا يعترضون على كلامه بقولهم إن 'الزواج مُكرَّم'، فكان يرد بأن نفس الرسول ردَّ بعد ذلك بقليل في (١كو٧) متمنيًا أن يكون الجميع مثله وأن يقبلوا الزواج فقط خوفًا من الفتنة، أي باعتباره أقل الحالتين شرًا. بالإضافة إلى هذا فقد أنكر الخلاص على الأطفال الذين ماتوا قبل أن يصلوا إلى سن الإدراك، معتبرًا عدم أحقيتهم فيه على اعتبار أنهم لا يمكن أن يُكلَّلوا إن لم يجاهدوا قانونيًا. يبدو أنه حتى أثناء حياته كان محرومًا من شركة الكنيسة، فإن كتاباته عن الزواج كانت كفيلة بعزله وانفصاله. ولهيراكس أيضًا كتابات وآراء خاطئة في موضوعات أخرى مثل طبيعة السيد المسيح ولاهوته، ولاهوت الروح القدس معتبرًا أنه غير مساوٍ للآب في الجوهر.{م}

راجع: *A Dictionary of Christian Biography*, Vol. III, page 24.

هذا لإنقاذ الحقيقة من الشك فيها، تلك التي تركها لنا المسيح بدون عُذر الجهل.

الكتاب السابع

٢٦- ثم الكتاب السابع، الذي يبدأ من أساسات الإيمان الحقيقي الذي قد تحقق الآن، مُقدّمًا رأيه في المناقشة الكبيرة. فهو أولاً يأخذ دورًا في التناقض العنيف بين سابيليوس وهيبيون* Hebion وهؤلاء المقاومون للألوهية الحقيقية، متسلحًا بإثباته السليم - الذي لا يقبل الجدل - للإيمان الذي هو فوق النقد. إنه يربط القضية بسابيليوس في إنكاره للوجود السابق للمسيح، وبمهاجماته على تأكيداتهم أنه مخلوق.

لقد تغاضى سابيليوس عن أزلية الابن، لكنه آمن بأن الإله الحقيقي قد عمل في جسد بشري. أما خصومنا الحاليون فينكرون أنه وُلِد، ويؤكدون أنه قد خُلِق، ويُخفِقون في أن يروا في أعماله أعمال إله حقيقي. إن ما يشك فيه الجانبين هو ما نؤمن به. سابيليوس يُنكر أن الابن هو مَن كان يعمل، وهو مُخطئ؛ لكنه يُثبِت حجته مبتهجًا بالنصر حينما يزعم أن العمل الذي تم كان عملاً إلهيًا حقيقيًا. الكنيسة تشاركه الانتصار على هؤلاء الذين ينكرون أن الإله الحقيقي كان في المسيح. لكن حينما أنكر سابيليوس أن المسيح كان موجودًا قبل العالمين، قد برهن خصومه بالإقناع أن عمل المسيح كان منذ الأزل، ونحن في صفهم في هذا الدحض لسابيليوس، الذي أدرك الإله

* هرطوقي قد تبنى فكر أريوس، وهو السبب الرئيس في كتابة ق. هيلاري لهذا العمل.{م}

الحقيقي، لكن لم يدرك الله الابن في عمله. لقد تحالف خصمانا السابقين* بقوة لدحض هيبيون، إذ يبرهن الثاني الوجود الأزلي للمسيح، بينما الأول يثبت أن عمله كان لإله حقيقي. وهكذا الهراطقة يهزمون بعضهم البعض، بينما الكنيسة، مثلما هي ضد سابيليوس، هي أيضًا ضد هؤلاء الذين يدَّعون أن المسيح مخلوقٌ، وضد هيبيون، تشهد على أن الرب يسوع المسيح إله حق من إله حق، مولود قبل العالمين ومولود كإنسان بمقتضى الأزمان.

٢٧- لا يمكن أن يشك أحدٌ أننا قد أتخذنا طريق التوقير الحقيقي والتعليم السليم، حينما نتقدم نحو دعم الناموس والأنبياء ببرهان الأناجيل، ونُثبت من خلالهم أيضًا أنه ابن الله وهو نفسه إله حق، بعد أن أثبتنا من الناموس والأنبياء أولاً أن المسيح هو ابن الله، وأنه إله حقيقي، دون خَرقٍ للوحدة السرية. إنها أسهل المهمات، بعد إظهار حقه في اسم الابن، أن نُظهِر أن الاسم يَصِف بالحقيقة علاقته بالآب؛ رغم أن الاستخدام العالمي يَعتبر منح اسم الابن اثباتًا مُقنِعًا للبنوة. لكن، لأجل عدم ترك منفذًا لتحايل وخداع هؤلاء الطاعنين في الميلاد الحقيقي لله الابن الوحيد، قد استخدمنا ألوهيته الحقيقية كإثبات لبنوته الحقيقية؛ لأجل إظهار أن مَن يحمل اسم ابن الله -كما هو معتَرف به من الجميع - هو بالفعل إله، أوردنا اسمه، وميلاده، وطبيعته، وقوَّته، وتأكيداته. لقد أثبتنا أن اسمه هو وصف دقيق لنفسه، وأن لقب ابن هو إثبات للميلاد، وأنه في ميلاده احتفظ بطبيعته الإلهية، وفي

* اللذان هما سابيليوس وخصومه.{م}

طبيعته احتفظ بقوَّته، وأن هذه القوة أعلنت عن نفسها بإعلان ذاتي مقصود ومتعمَّد. لقد سجلْتُ براهين الإنجيل لكل نقطةٍ مختلفةٍ، مُظهِرًا كيف أنه بإعلانه عن ذاته قد أظهر قوَّته. كيف تُظهِر قوَّته طبيعته، كيف أن طبيعته هي مِلكه بحق المولد، ومِن ميلاده يأتي لقبه الذي يحمل اسم الابن. وهكذا تبكم كل همسة تجديف، لأن الرب يسوع المسيح نفسه بشهادة فمه قد علَّمنا أنه هو، لأن اسمه، مولده، طبيعته، قوَّته، تُعلِن في المعنى الحقيقي للألوهة، إله حق من إله حق.

الكتاب الثامن

٢٨- بينما تخصَّص الكتابان السابقان في إثبات الإيمان بالمسيح كابن لله وإله حقيقي، انهمك الكتاب الثامن في إثبات وحدة الله، مُظهِرًا أن هذه الوحدة منسجمة مع ميلاد الابن، وأن هذا الميلاد لا يتضمن وجود ثنائيةٍ في اللاهوت. إنه يكشف أولاً عن السفسطة التي حاول بها هؤلاء الهراطقة تجنب الاعتراف بالوجود الحقيقي لله الآب والابن، رغم أنهم لم يمكنهم إنكاره؛ إنه يدحض دعواهم البائسة والسخيفة التي في مثل تلك الفقرات: وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ[١٤]، وأيضًا: وَالْغَارِسُ وَالسَّاقِي هُمَا وَاحِدٌ[١٥]، وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ

---

[١٤] (أع ٤: ٣٢)

[١٥] (١كو ٣: ٨)

فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا فِينَا[١٦]، *بأن وحدة الإرادة والعقل هي المُعَبَّر عنها، وليس اللاهوت*. ومِن التأمل في المعنى الحقيقي لهذه النصوص نُظهِر أنها تتضمن حقيقة الميلاد الإلهي؛ ثم، إظهارًا لكل سلسلة الإعلان الذاتي لربنا، نَعرض، في لغة الرُسل وفي الكلمات الحقيقية للروح القدس، السر الكُلي والكامل لمجد الله كآب وكابنٍ وحيدٍ. إننا نعلم أن هناك ابنًا لأن هناك آبًا؛ في هذا الابن قد أُعلِن الآب لنا، ولذا فإن يقيننا أنه وُلِد ابنًا وحيدًا وأنه إله حقيقي.

الكتاب التاسع

٢٩- في المسائل الأساسية للخلاص ليس كافيًا تقديم البراهين التي يكملها الإيمان ويجدها كافية. الجدالات التي لم نفحصها قد تُضلِّلنا إلى سوء فهم لمعنى كلماتنا الخاصة، ما لم نتخذ الهجوم بكشف خداع براهين العدو، وبالتالي نؤسس إيماننا الخاص على سُخفه الواضح. بناءً عليه تم توظيف الكتاب التاسع لدحض الجدالات التي يحاول بها الهراطقة إبطال ميلاد الله الابن الوحيد؛- الهراطقة الذين يرفضون سِر الوحي المخفي منذ بدء العالم، وينسون أن إيمان الإنجيل يُعلِن اتحاد الله بالإنسان. ولأجل إنكارهم أن ربنا يسوع المسيح هو الله، وصورة الله والمساوي لله كابن وأبيه، المولود من الله بحق مولده والموجود كروح حقيقي، فقد اعتادوا على الاستعانة بكلمات ربنا، مثل: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ

[١٦] (يو ١٧: ٢٠، ٢١)

وَاحِدٌ وَهُوَ الله[١٧]. إنهم يجادلون بأنه بتوبيخه للرجل الذي دعاه بالصالح، وبتأكيده على صلاح الله فقط، قد نفى عن نفسه صلاح الله، الذي هو وحده صالح، وتلك الألوهية التي تخص واحدًا فقط. إن تفكيرهم المجدِّف يصل هذا النَص بآخر: وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ، أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ[١٨]. هم يقولون هنا إنه يعترف بأن الآب هو الإله الحقيقي وحده، وأنه هو نفسه ليس حقيقيًا ولا إلهًا، بما أن هذا الاعتراف بإله واحد حقيقي فقط يختص به مالِك الصفات المنسوبة، ويصرحون بأن الأمر واضحٌ تمامًا بخصوص ما يقصده في هذه الفقرة، لأنه قال أيضًا: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ[١٩]. *إنهم يقولون إن حقيقة أنه يمكنه أن يُقلِّد فقط هي دليلٌ على محدودية طبيعته. لا يمكن أن تكون هناك مقارنة بين القدرة الكلية وبين شخصٍ أعماله تابعةً لفعلٍ سابقٍ لآخرٍ؛ المنطق نفسه يرسم خطًا مُطلَقًا بين القدرة ونقص القدرة. هذا الخط واضحٌ جدًا لدرجة أنه هو نفسه قد اعترف جهرًا بخصوص الله الآب*: الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي[٢٠]. *إن هذا اعترافٌ واضحٌ جدًا يكتم كل اعتراض؛ مِن التجديف والجنون نَسْب وقار وطبيعة الله إلى واحدٍ ينكرهما. لذا فهو خالٍ تمامًا من صفات الإله الحقيقي لأنه يحمل شهادةً عن*

---

[١٧] (لو ١٨: ١٩)

[١٨] (يو ١٧: ٣)

[١٩] (يو ٥: ١٩)

[٢٠] (يو ١٤: ٢٨)

نفسه: وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ[٢١]. *ابنٌ لا يعلم سِر أبيه لا بُد أنه، بسبب جهله، غريبٌ عن الآب الذي يَعلَم؛ الطبيعة المحدودة في المعرفة لا يمكنها أن تشترك في تلك العَظَمة والقوة التي هي وحدها معفاة من استبداد الجهل.*

٣٠- لذا سوف نفضح سوء الفهم التجديفي الذي وصلوا إليه بتشويه وتحريف كلمات المسيح. إننا نفسر هذه الكلمات بالتعبير عن نوع الأسئلة التي كان يجيب عنها، وفي أي الأوقات كان يتكلم، وأية معرفة جزئية كان يتنازل ويفشيها؛ نحن نجعل المواقف تشرح الكلمات، ولا ندفع الأول للتناسق مع الأخير. وهكذا كل حالة من حالات الاختلاف تُفسَّر بتمييزٍ بين الإعلان والتعبير الكامل عن طبيعته وقوَّته. على سبيل المثال بين: الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي[٢٢]، وأَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ[٢٣]، أو بين: لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ، و: مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا[٢٤]، أو اختلاف واسع جدًا مثل الذي بين: كُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي[٢٥]، و: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ

---

[٢١] (مت ٢٤: ٣٧)

[٢٢] (لو ١٨: ١٩)

[٢٣] (يو ١٠: ٣٠)

[٢٤] (يو ١٤: ٩)

[٢٥] (يو ١٧: ١٠)

الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ[٢٦]، أو بين: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ[٢٧]، و: ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ[٢٨]. كلها كلمات نفس الشخص، وعرض القوة الحقيقية لكل مجموعة سوف يُظهِر أن اللاهوت الحقيقي للمسيح لا يَضعف ولا حتى بمقدارٍ ضئيل، لأن ميلاد واسم المسيح قد تم إظهارهما تدريجيًا، وتحت ظروف قد اختار هو لها الفرصة والوقت لأجل تشكيل سِر الإيمان الإنجيلي.

الكتاب العاشر

٣١- الغرض من الكتاب العاشر يتوافق مع الإيمان. فبما أن الهراطقة، في الجهالة التي دفعتهم للاعتقاد بحكمتهم، قد حرَّفوا بعض الظروف والأقوال عن الألم إلى إنكار متغطرس للطبيعة الإلهية وقوة الرب يسوع المسيح، لذا فأنا مُجبَر على إثبات أن هذا سوء تفسير تجديفي، وأن هذه الأشياء قد سُجِّلَت بواسطة الرب نفسه كدليلٍ على عظمته الحقيقية والمطلقة. في تمثيليتهم الساخرة عن الإيمان، يخدعون أنفسهم بكلماتٍ مثل: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ[٢٩]. إنهم يظنون أنه لا بُد أنه قد أُبعِد بعيدًا عن حياة الله الطوباوية التي هي بغير ألمٍ، إلى مَن احتضنَت روحه هذا الخوف الساحق

---

[٢٦] (يو ١٧: ٣)

[٢٧] (يو ١١:١٤)

[٢٨] (مر ١٣: ٣٢)

[٢٩] (مت ٢٥: ٣٨)

لبلاءٍ وشيك، الذي تحت ضغط الألم قد وضع نفسه حتى إلى الصلاة: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ*، ويقينًا قد أدى ظهور الخوف إلى

---

* (مت ٢٥: ٣٩). وقد قدم ق. أثناسيوس تفسيرًا رائعًا لتلك الآيات التي استخدمها الأريوسيون لدعم دعواهم بأن الابن أقل من الآب، حيث يقول:

«وعن قوله "إن أمكن، أن تعبر عنى الكأس" (مت٢٦:٣٩) اعلموا كيف أنه رغم كلامه هكذا فقد انتهر بطرس قائلاً: "لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس" (مر٨:٣٣) لأنه كان يريد هذه الكأس التي طلب أن تعبر عنه، إذ لأجل هذا قد جاء، ولكن الإرادة كانت له. أما الخوف فهو خاص بالجسد، لذلك فقد نطق بهذا الكلام أيضاً كإنسان، ومع ذلك فالأمران معًا قالهما نفس الشخص، لكي يظهر أنه هو الله الذي أراد في نفسه، ولكن حينما صار إنسانًا، فقد أخذ جسدًا يخاف، ولأجل هذا الجسد ربط إرادته الخاصة بالضعف البشرى، لكي بإبادته لهذا الضعف، يُعطي للإنسان أن يكون شجاعًا أمام الموت. يا له من أمر عجيب حقًا! فالمسيح الذي يُلصق به أعداؤه كلمات الخوف، هو نفسه بواسطة ما يسمونه الخوف، جعل الناس شجعانًا وغير خائفين. وهكذا فالرسل الطوباويون من بعده استهانوا بالموت بقوةٍ بسبب كلماته هذه، حتى إنهم لم يبالوا بأولئك الذين حاكموهم، بل أجابوا: "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس" (أع٥:٢٩). والشهداء القديسون الآخرون كانوا شجعاناً أيضًا، حتى اعتقدوا أنهم كانوا ينتقلون إلى الحياة، أكثر من كونهم يقاسون الموت. أليس إذًا هو أمر في غير محله أن يعجب أحد بشجاعة خدام **الكلمة**، ومع ذلك يقول إن **الكلمة** نفسه كان خائفًا، وهو الذي بواسطته أحتقر خدامه الموت؟ ولكن من العزيمة الصبورة جدًا وشجاعة الشهداء القديسين يظهر أن الألوهية لم تكن هي التي تخاف، بل هو خوفنا ذلك الذي نزعه المخلص. لأنه كما أباد الموت بالموت، وبوسائل بشرية أبطل كل ما للإنسان (من ضعفات) هكذا أيضًا بهذا الذي يدعى خوفًا، نزع خوفنا، وأعطى الناس ألَّا يعودوا يخافون الموت فيما بعد.

فكلمته وفعله يحدثان معًا، لأن القولين "أعبر عنى الكأس" و "لماذا تركتني؟" قد قيلا إنسانيًا، وهو قد جعل الشمس تحتجب، والموتى يقومون، إلهيًا. وأيضًا إنسانيًا قال: "الآن نفسى قد اضطربت" (يو١٢:٢٧). وإلهياً قال: "لي سلطان أن أضع نفسى، ولى سلطان أن

احتمال التجارب التي صلى لكي يُعفى منها؛ *الذي طبيعته الكاملة كانت قد أُربِكت بسكرة الموت حتى إنه في تلك اللحظات على الصليب صرخ قائلاً*: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟[٣٠] *مدفوعًا من مرارة ألمه ليشكو من أنه قد تُرِك: الذي هو، لكونه محرومًا من معونة الآب، قد سلَّم الروح بكلماته*: يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي[٣١]. إنهم يقولون إن الخوف، الذي اكتنفه في لحظة موته، جعله يستودع روحه لعناية الله الأب، *إذ أن اليأس الشديد من حالته قد دفعه لأن يسلِّم نفسه لعناية شخصٍ آخر.*

٣٢- إن حماقتهم عظيمة بمقدار تجديفهم، لدرجة أنهم فشلوا في ملاحظة أن كلمات المسيح، التي قيلت تحت ظروفٍ مشابهةٍ، هي دائمًا منسجمة؛ إنهم يلتصقون بالحرف ويهملون الهدف من كلماته. يوجد

آخذها أيضًا" (يو١٠:١٨). فكونه يضطرب فهذا أمر خاص بالجسد، وأن يكون له سلطان أن يضع نفسه وأن يأخذها أيضًا حينما يريد، فهذا أمر ليس خاصًا بطبيعة البشر، بل بقوة **الكلمة**. لأن الإنسان لا يموت بسلطانه الخاص بل باضطرار الطبيعة ورغم إرادته، أما الرب، فلأنه هو نفسه غير مائت، ولكن لأنه أخذ جسدًا مائتًا، فله السلطان كإله، أن يفصل النفس عن الجسد، وأن يعيدها أيضًا، حينما يريد، وداود يرتل عن هذا قائلاً: "لن تترك نفسي في الجحيم، ولا تدع قدوسك يرى فسادًا" (مز١٥:١٠س)».

راجع: القديس أثناسيوس الرسولي: *المقالة الثالثة ضد الأريوسيين، الشهادة لألوهية المسيح*، ترجمة الأستاذ مجدى وهبة صموئيل والدكتور نصحى عبد الشهيد. القاهرة: المركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء، نوفمبر ١٩٩٤. من صـ ١٠٠ إلى ١٠٢.{م}

[٣٠] (مت ٢٧: ٤٦)

[٣١] (لو ٢٣: ٤٦)

اختلاف واسع بين: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ[٣٢]، و: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ[٣٣]؛ وهكذا أيضًا بين: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، و: الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ أَلاَ أَشْرَبُهَا؟[٣٤] وأيضًا بين: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟[٣٥] و: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ؛ وبين: يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي[٣٦]، و: يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ[٣٧]. إن عقولهم الضيقة، غير القادرة على إدراك المعنى الإلهي، تندفع بتهورٍ نحو التجديف في محاولتهم للتفسير.

هناك تمايزٌ واسع النطاق بين القلق والعقل المستريح؛ بين التهور والصلاة من أجل التأنّي؛ بين كلمات الكرب وكلمات التشجيع؛ بين اليأس في النفس والتضرع الواثق لأجل الآخرين. إن الهراطقة ينشرون عدم تقواهم بتجاهل إثبات الألوهية والطبيعة الإلهية للمسيح، والذي يقدم تقريرًا عن النوعية الواحدة لكلماته، بينما هم يركزون اهتمامهم على الصنائع والكلمات التي تشير فقط إلى خدمته على الأرض. لذا فقد قدَّموا تفاصيل كل

---

[٣٢] (مت ٢٦: ٦٤)

[٣٣] (يو ١٨: ٢)

[٣٤] (مت ٢٧: ٤٦)

[٣٥] (لو ٢٣: ٤٣)

[٣٦] (لو ٢٣: ٤٦)

[٣٧] (لو ٢٣: ٣٤)

العناصر الموجودة في سِر النفس والجسد اللذَين اتخذهما الرب يسوع المسيح؛ الكُل قد بُحِث عنه، ولم يُخفِ شيئًا.

ثم، بعد إلقاء ضوء العقل الهادئ على المسألة، قد أشرت في كل واحدةٍ من أقواله إلى النوعية التي يتصل بها كل معنى، وهكذا قد أظهرت أنه كانت لديه أيضًا ثقةٌ لم تتذبذب أبدًا، وإرادة لم تتردد أبدًا، وشجاعة لم تتذمر أبدًا، حتى إنه حينما سلَّم نفسه إلى الآب، كان يشتمل هذا على صلاة لأجل الصفح للآخرين. وهكذا فإن الحس الداخلي الكامل لتعليم الإنجيل يترجِم ويثبِّت كل كلمات المسيح، وليس بعضها فقط.

الكتاب الحادي عشر

٣٣- وهكذا قد صنعوا سلاحًا لتجديفهم من توقيرهم الزائف، وحرَّفوا إظهار السر إلى إهانة لله، لأنه حتى مجد القيامة لم يفتح عيون هؤلاء الرجال الضائعين، وجعلهم داخل قيود برهان الإيمان. فمن الكلمات (التي تقول): إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ[٣٨]، قد جادلوا بأنه *بما أن ذاك الآب هو أبونا مثلما هو أبوه، وذاك الإله هو أيضًا إلهنا وإلهه، فإن اعترافه الخاص بأنه يشاركنا في هذه العلاقة مع الآب والله يُبعده عن الألوهية الحقيقية، ويُخضِعه لله الخالق الذي هو (بالنسبة له) مخلوقه ومرؤوسه، مثلنا، رغم أنه قد قبل التبني كابن. بل وأكثر من هذا، لا يجب أن نفترض أنه يمتلك أيًا من صفات الطبيعة الإلهية، بما أن الرسول يقول:* وَلكِنْ حِينَمَا

---

[٣٨] (يو ٢٠: ١٧)

يَقُولُ، إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُخْضِعَ، فَوَاضِحٌ أَنَّهُ غَيْرُ الَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ. وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، فَحِينَئِذٍ الابْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيُخْضِعُ نَفْسَهُ* لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ، كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ[٣٩]. فإنهم يقولون إن الخضوع هو برهان على نقص القدرة الموجودة لدى المرؤوس وامتلاكه من قِبل المسيطِر.

الكتاب الحادي عشر تم توظيفه في مناقشة موقَّرة للخلاف؛ إنه يُثبِت من هذه الكلمات بالذات التي قالها الرسول ليس فقط أن الخضوع ليس برهانًا على نقص القدرة في المسيح، بل أنها بالفعل إشارة إلى لاهوته الحقيقي كالله الابن؛ إن حقيقة أن أبيه وإلهه هو أيضًا أبونا# وإلهنا هي ميزة غير محدودة بالنسبة لنا وليست تجريدًا لرتبته، بما أن الذي وُلِد كإنسان وعانى من كل أحزان جسدنا، قد رُفِع في السموات إلى إلهنا وأبينا، ليَقبَل مجده كإنسان ممثل لنا.

---

* الطبعة اليسوعية قد ترجمتها هكذا أيضًا، وهي ترجمة أقوى بكثير مما جاء في البيروتية 'سيخضَع'. وهذا يطابق ما جاء في النص القبطي البحيري، "حينئذ الابن سيُخضع نفسه بنفسه": ⲧⲟⲧⲉ ⲛ̀ⲟⲟⲩ ⲡⲓϣⲏⲣⲓ ⲥⲉⲱⲩ ⲉⲩⲉⲃⲉⲛϫⲱⲩ.{م}

[٣٩] (١كو ١٥: ٢٧، ٢٨)

حيث يقول ق. كيرلس عن الله إنه 'أبو الجميع'. القديس كيرلس السكندري: *الجلافيرا، تعليقات لامعة على سفر التكوين*، ترجمة د. جورج عوض. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م، صـ ٢٧١.{م}

السياق الذي سوف يتبعه في البحث

٣٤- في هذا البحث قد تتبعنا السياق الذي نَعلَم أنه متَّبع في كل فرع من فروع التعليم. تأتي أولاً الدروس السهلة والمعتادة، المحقَّقة بتأنٍ بالممارسة، مع أساس الموضوع؛ ثم يمكن للطالب أن يصل إلى برهانٍ، في مسألة الحياة، عن التدريب الذي قد قبله. وهكذا الجندي، حينما يكون كاملاً في تمريناته، يمكنه أن يخرُج للمعركة؛ المحامي يغامر في نزاعات المحاكم حينما يكون متمكِّنًا في مرافعات مدرسة الخطابة؛ البَحَّار الذي قد تعلَّم الإبحار بسفينته داخل ميناء مُغلق، يمكن ائتمانه وسط عواصف البحر المفتوح والأجواء المختلفة. هكذا كان تقدمنا في العلم الأكثر أهميةً وصعوبةً، والذي به يُدرَّس الإيمان. يأتي أولاً الدرس البسيط للمؤمنين غير المتعلمين عن الميلاد، والاسم، واللاهوت، والألوهية الحقيقية للمسيح؛ من بعد هذا تقدَّمنا بهدوءٍ وثباتٍ حتى يمكن لقارئينا أن يضعوا حدًا لكل ذرائع الهراطقة؛ والآن في النهاية قد حرضناهم ضد العدو في النزاع الحالي العظيم والمجيد.

إن عقل الناس ضعيف في فهم فكرة الميلاد الأزلي بالموارد العادية للعقل المُجرَّد، لكنهم يصلون بدراسة الأشياء الإلهية لفهم أسرار تفوق مجال الفكر المعتاد. يمكنهم أن يسفِّهوا ذلك التناقض الذي يخص الرب يسوع، والذي يستمد كل قوَّته وقوة حجته الظاهرية من الفلسفة الوثنية متبلدة الذهن؛ التناقض الذي يؤكد أنه: *كان هناك وقتٌ لم يكن هو موجودًا فيه، وأنه لم يوجَد قبل أن يولَد، وأنه صُنِع من لا شيء*، كما لو أن مولده كان

إثباتًا لأنه كان قبلاً غير موجودٍ وفي وقتٍ محدد قد جاء إلى الوجود، وهكذا أمكن لله الابن الوحيد أن يخضَع لمفهوم الوقت، كما لو كانت الولادة نفسها [بمنح لقب 'ابن'] والطبيعة الحقيقية للولادة قد أثبتت أنه كان هناك وقتٌ حينما لم يكن هو موجودًا. وتبعًا لذلك حاولوا أن يبرهنوا بأنه قد وُلد من لا شيء، على أساس أنه الولادة تتضمن منح الوجود لمن لم يكن له قبلاً أي وجود. نحن نُصَرِّح في الإجابة، بُناءً على شهادة الرسل والإنجيليين، بأن الآب أزلي والابن أزلي، ونُظهِر أنه الابن هو إله الكل بشكلٍ مُطلَقٍ، وله وجود مُسبَق غير محدود؛ فإن هذه الهجمات الوقحة التي لمنطقهم المجدِّف ضده -*أنه وُلِد من لا شيء، وأنه لم يكن موجودًا قبل أن يولَد* - ضعيفة. و (نصرح) بأن أزليته ترتبط ببنوته، وبنوته ترتبط بالأزلية؛ وأنه لم يوجد فيه أي إعفاءٍ من الولادة بل ولادة منذ الأزل، فبينما تتضمن الولادة وجود أب، إلَّا أن اللاهوت غير منفصل عن الأزلية.

الجهل بالأسلوب النبوي يؤدي إلى الهرطقة

٣٥- إن الجهل بالأسلوب النبوي وعدم البراعة في تفسير الكتاب المقدس قد قاداهم إلى إفساد هدف ومعنى الفقرة (التي تقول): اَلرَّبُّ خَلَقَنِي أُوْلَى طُرُقِهِ، اَلَّتِي لِأَعْمَالِهِ*. لقد اجتهدوا في أن يُرسِّخوا بها أن المسيح مخلوقٌ، أكثر من كونه قد وُلِد، كإلهٍ، *ومن هنا تكون له بعض صفات طبيعة*

* (أم ٨: ٢٢) سبعينية. وق. هيلاري يؤكد أن الخلق هنا مقصود به ما يخص ناسوت المسيح الذي وُلِد به لما جاء ملء الزمان، كما سنرى فيما بعد.{م}

الكائنات المخلوقة، رغم أنه يفوقهم في طريقة خلقته، وليس له مجد الميلاد الإلهي بل فقط قدرات مخلوقٍ فائقٍ. ونحن في ردنا، بدون أن نعني أية اعتبارات جديدة أو أراء تم تصويرها مقدَّمًا، سوف نجعل هذه العبارة الخاصة **بالحكمة**[٤٠] تُظهِر معناها وهدفها الحقيقي. سوف نُظهِر أن حقيقة كونه قد خُلِق أولى طُرق الله والتي لأعماله، لا يمكن أن تُحرَّف إلى دليلٍ على الولادة الإلهية والأزلية، لأن الخلق لأجل هذه الأسباب، والولادة منذ الأزل، هما شيئان مختلفان تمامًا. حينما يُقصَد الولادة توجد ولادة، ولا يوجد كلامٌ عن شيءٍ سوى الولادة؛ حينما يُذكَر الخَلق، يُذكَر أولاً سبب هذا الخلق. هناك **حكمة** قد وُلِدَت قبل كل الأشياء، وأيضًا هناك حكمة خُلِقَت لأجل أهدافٍ خاصةٍ؛ **الحكمة** التي هي منذ الأزل هي شيء، والحكمة التي جاءت إلى الوجود أثناء الزمن هي شيء آخر.

الروح القدس أساس شركتنا مع الطبيعة الإلهية

٣٦- وهكذا باستنتاجنا أننا يجب أن نلفظ كلمة 'خلقٍ' من اعترافنا بالإيمان بالله الابن الوحيد، نواصل وضع تعاليم العقل والتقوى بخصوص الروح القدس، حتى يمكن للقارئ، الذي قد تأسست إداناته على الدراسة المتأنية والجادة للكتب السابقة، أن يُزَوَّد بتقديمٍ كاملٍ للإيمان. هذه النهاية سوف تتحقق حينما تُمحى تجاديف التعليم الهرطوقي عن هذا الموضوع، ويُثبَّت السر النقي غير المشوَّه، الخاص بالثالوث الذي يجددنا، بمصطلحات

---

[٤٠] أي أسفار الحكمة، كما كانت تُسمَّى عادةً في الكتابات القديمة.

الدقة المخلِّصة المستنِدة على الرسل والإنجيليين. لن يجرؤ الرجال فيما بعد، بقوة المنطق البشري المُجرَّد، على أن يُصنِّفوا الروح الإلهي بين المخلوقات، والذي نقبله كعربون للخلود وكمصدر للاشتراك مع الطبيعة الإلهية غير الآثمة.

صلاة ختامية من أجل التوفيق في تقديم هذا العمل

٣٧- أنا أعلم أيها الرب القدير أنني مدين لك، كواجب أساسي لكل حياتي، بتكريس كل كلامي وأفكاري لك. عطية الخطابة التي قد منحتها لي لا يمكن أن تمنحني جائزة أكبر من فرصة خدمة الوعظ عنك وتقديمك كما أنت، كآب وآب لله الابن الوحيد، إلى العالَم في عماه، والمهرطِق في ثورته. لكن هذا هو التعبير المجرد عن رغبتي الخاصة؛ يجب علي أيضًا أن أصلي لأجل نعمة معونتك وشفقتك، حتى تملأ نسمة روحك أشرعة الإيمان والاعتراف الذي قد نشرته (أنا)، وتُرسَل لي رياح المعونة كي توجهني في رحلة التعليم. يمكننا أن نثق في وعد مَن قال: اسْأَلُوا تُعْطَوْا، اُطْلُبُوا تَجِدُوا، اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ[٤١]؛ ونحن في احتياجنا سوف نصلي لأجل الأمور التي نريدها. سوف نجلب قوة لا تكل لأجل دراسة أنبيائك ورسلك، وسوف نقرع لأجل الدخول من كل بوابة للمعرفة الخفية، لكن لك أن تستجيب للصلاة، وأن تمنح الشيء الذي نطلبه، وأن تفتح الباب الذي نقرعه. عقولنا مولودة برؤية كليلة ومغلقة، وفكرنا الضعيف محبوس بين حواجز الجهل صعبة الاجتياز

[٤١] (لو ١١:٩)

التي تتعلق بالأمور اللاهوتية؛ لكن دراسة وَحْيِك ترفع نفوسنا إلى إدراك الحق المقدس، والخضوع للإيمان هو الطريق إلى اليقين الذي وراء الوصول إلى المنطق غير المحتاج للمساعدة.

٣٨- ولذا فنحن نتطلع إلى تدعيمك للخطوات الأولى المرتعشة لهذا المشروع، ولمعونتك حتى يمكنه الحصول على القوة والنجاح. نتطلع نحوك لتعطينا شركة ذاك الروح الذي أرشَد الأنبياء والرسل، كي يمكننا أن نأخذ كلامهم بالمعنى الذي تكلموا به ونحدد ظل المعنى السليم لكل لفظ. فإننا سوف نتكلم عن أشياء وعظوا بها بغموضٍ؛ عنك، يا الله الأزلي، أبا الإله الأزلي الابن الوحيد، الذي أنت وحدك بدون ولادة، والرب الواحد يسوع المسيح، المولود منك منذ الأزل. لا يمكننا أن نفصله عنك، أو نجعله واحدًا من الآلهة المتعددة، بأي ادِّعاءٍ بوجود اختلافٍ في الطبيعة. لا يمكننا أن نقول إنه ليس مولودًا منك، لأنك واحدٌ. لا يجب أن ننقطع عن الاعتراف به كإلهٍ حقيقيٍ، بالنظر إلى أنه مولودٌ منك، أيها الإله الحقيقي، أباه. امنحنا إذًا دقة اللغة، سلامة الجدال، توافق الأسلوب، والإخلاص للحق. اجعلنا قادرين أن ننطق بالأمور التي نؤمن بها، كي يمكننا أن نعترف، كما علَّمنا الأنبياء والرسل، بك، أيها الإله الوحيد أبونا، والرب الواحد يسوع المسيح، ونُسكِت مقاومة الهراطقة، ونُعلنك كإله، لكن ليس بشكلٍ مفرد، ونعلنه كإله، بدون أي معنىً كاذبٍ.

الكتاب الثاني

المعمودية والثالوث

١- لقد وجد المؤمنون دائمًا ارتياحهم في ذاك القول الإلهي، الذي سمعَته آذاننا، مَتلوًا من الإنجيل، في اللحظة التي فيها مُنِحَت لنا تلك القوة، والتي برهانها هو: فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ[١]. فما هو العنصر الموجود في سر خَلاص الإنسان، والذي لم يتضمنه هذا الكلام؟ ما الذي قد نُسي، وما الذي قد تُرِك في غموضٍ؟ الكل كامل، لأنه من كمال اللاهوت؛ الكل مُطلَق، لأنه من قداسة اللاهوت. الفقرة تحتوي على الكلمات المضبوطة التي يجب استخدامها، والأعمال الأساسية، وترتيب العمليات، والبصيرة النافذة إلى الطبيعة الإلهية. لقد أمرهم أن يُعَمِّدوا بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، هذا مع الاعتراف بالخالق والابن الوحيد، والعطية. فإن الله الآب هو واحدٌ، الذي منه كل الأشياء؛ وربنا يسوع المسيح الابن الوحيد، الذي بواسطته كل الأشياء، هو واحدٌ؛ والروح، عطية الله لنا، الذي يَعُم كل الأشياء، هو أيضًا واحدٌ*. وهكذا الكل يُصَنَّف حسب القوى المملوكة والمنافع الممنوحة؛ القوة

---

[١] (مت ٢٨: ١٩، ٢٠)

* وهذا يطابق ما نقوله في القداس: "واحد هو الآب كلي القداسة، واحد هو الابن كلي القداسة، واحد هو الروح كلي القداسة".{م}

الواحدة التي منها الكل، المولود الواحد الذي بواسطته الكل، والعطية الواحدة التي تعطينا الرجاء الكامل. لا يمكن أن يوجد شيءٌ ناقصٌ في تلك الوحدة الفائقة، التي تتضمن، في الآب والابن والروح القدس، عدم المحدودية في الأزلي، وشكله في صورته المعبرة، ومتعتنا به في عطيته.

دفاعنا ضد أخطاء الهراطقة قد يوقعنا في الخطأ

٢- لكن أخطاء الهراطقة والمجدفين تدفعنا للتعامل مع الأمور غير القانونية، لنقيس القمم المحفوفة بالمخاطر، ولنتكلم بكلمات لا يُنطق بها، ونتجاوز حدود الأرض المحرَّمة. يجب على الإيمان أن يحقق الوصايا في صمتٍ، عابدًا الآب، مُبجِّلاً الابن معه، ممتلئًا بالروح القدس. لكننا يجب أن نُصفِّي المنابع الفقيرة التي للغتنا، لأجل التعبير عن أفكارٍ أعظم بكثير من الكلمات. خطأ الآخرين يجبرنا على أن نُخطئ ونتجرأ بأن نُجسِّد الحقائق في مصطلحاتٍ بشرية ينبغي أن تكون مخفيةً في التبجيل الصامت للقلب.

أخطاء الهراطقة تكمن في تفسيرهم للنصوص

٣- لأنه قد ظهر الكثيرون الذين قدموا بعض التفسيرات الشخصية الاستبدادية بخصوص الكلام الصريح للكتابات المقدسة، بدلاً من معناه الحقيقي والوحيد، بتحدٍ للمعنى الواضح للكلام. تكمن الهرطقة في المعنى المحدد، وليس في الكلمة المكتوبة؛ الخطأ لدى المفسر وليس في النص. أليس الحق غير قابل للتخريب؟ حينما نسمع اسم الآب، ألا يتضمن هذا الاسم

وجود البنوة؟ وإن كان الروح القدس يُذكَر بالاسم، أفلا يجب أن يوجد؟ لا يمكننا أكثر من هذا أن نفصل الأبوة عن الآب أو البنوة عن الابن، ولا يمكننا أن ننكر وجود الروح القدس في تلك العطية التي نقبلها. إلا أن الرجال مشوَّهي العقل يُقحمون المسألة كلها في الشك والصعوبة، ويعكسون بحماقةٍ المعنى الواضح للكلمات، ويجردون الآب من أبوته لأنهم يريدون أن يجردوا الابن من بنوته. إنهم يزيلون الأبوة بتأكيد أن الابن ليس ابنًا بالطبيعة؛ فإن الابن ليس من طبيعة أبيه حينما لا يكون للوالد والمولود نفس الخصائص، ولن يكون ابنًا مَن يكون كيانه مختلفًا عما للأب، وليس مثله. والآن بأي معنى يكون الله آبًا {كما هو}، إن لم يلد في ابنه نفس الجوهر والطبيعة التي له؟

تعاليم بعض الهرطقات

٤- لذا، فلأنهم لا يمكنهم أن يغيروا الحقائق المسجَّلة، فهُم يجلبون مبادئ ونظريات غريبة من صُنع الإنسان لكي يفهموها. سابيليوس، على سبيل المثال، يجعل الابن امتدادًا للآب، والإيمان بهذا يتعلق بقضية الكلام أكثر من الحقيقة، فإنه يجعل نفس الشخص، ابنًا لنفسه وأيضًا آبًا. هيبيون لا يجيز أي ابتداءٍ لابن الله عدا الذي من مريم، ولكنه يصوره ليس على أنه أولاً إله ثم إنسان، بل أنه إنسان أولاً ثم إله؛ يُعلِن أن العذراء لم تَقبل في نفسها شخصًا كان موجودًا قبلاً، وكان في البدء الإله **الكلمة** الساكن مع الله، بل أنها ولدت جسدًا من خلال قوة **الكلمة**؛ '**الكلمة**' لا يعني في رأيه

طبيعة الله الابن الوحيد الكائن قبلاً، بل فقط صوتًا لصوتٍ مرفوع. بالمثل بعض معلّمي هذه الأيام يؤكدون أن **صورة وحكمة وقوة** الله قد نتج من لا شيء، وفي الوقت المناسب. إنهم يفعلون هذا لكي ينقذوا الله، المعتبَر آبًا للابن، من أن يهبط إلى مستوى الابن. إنهم يخشون أن تجرده ولادته للابن من مجده، ولذا يتقدمون نحو إنقاذ الله بتلقيب ابنه كمخلوقٍ خُلق من عدم، لكي يحيا الله في كمالٍ منفردٍ بدون ابنٍ يولَد منه ويشاركه طبيعته. فما العجب في أن تعليمهم عن الروح القدس يجب أن يختلف عما لنا، حينما يجرؤون على إخضاع مَن يُرسِل الروح القدس للخلق والتغيير* وعدم الوجود. وهكذا فإنهم يدمرون انسجام وكمال سِر الإيمان. إنهم يُنهون الوحدة المطلقة بتحديد اختلاف في الطبيعة حينما يكون الكل مشترَك بينهم بشكلٍ واضحٍ؛ إنهم ينكرون الآب بسلب الابن بنوته الحقيقية؛ إنهم

---

* يوضح ق. أثناسيوس حقيقة ألوهية الابن المتجسد الذي لا يعتريه أي تغيير بكونه مختلفًا في جوهره وطبيعته عن كل المخلوقات، بأن له ما لله الآب، فيقول: «وحيث إنه غريب عن المخلوقات حسب الجوهر، ولكونه **الكلمة** الخاص بالآب وهو لا يختلف عنه، وحيث إن كل ما للآب هو له، فلذلك يقضي بأنه من نفس جوهر الآب.. وهذا ما أدركه الآباء حينما اعترفوا في مجمع نيقيه بأن الابن مساوٍ للآب في الجوهر ومن نفس جوهره. لقد تحققوا جيدًا أن جوهر المخلوق لا يستطيع أن يقول "كل ما للآب هو لي" وبسبب أن وجود الجوهر المخلوق له بداية، فهو ليس كائنًا بذاته ولم يكن أزليًا، ولذا فحيث إن الابن له الخصائص، وحيث إن كل الأشياء السابق ذكرها والتي للآب هي للابن، فمن الضروري أن يكون جوهر الابن غير مخلوق بل من نفس جوهر الآب. لهذا السبب لا يمكن أن يكون جوهره مخلوقًا، فهو يملك خواص الله، تلك الخواص التي له والتي بها يُعرَف الله». *الرسالة الثانية إلى سيرابيون عن الروح القدس*، فقرة ٥؛ وضد الأريوسيين، ٣:٣.{م}

ينكرون الروح القدس بعماهم عن الحقائق (التي تؤكد) أننا نأخذه وأن المسيح قد أعطاه (لنا). إنهم يضللون النفوس غير المدرَّبة لكي تتضرر بتفاخرهم بالكمال المنطقي لتعليمهم؛ إنهم يخدعون مستمعيهم بتفريغ المصطلحات من معناها، رغم استمرار شهادة الأسماء عن الحق. أنا لا أهتم بأخطار الهرطقات الأخرى، (مثل) الفالنتينية Valentinian، والماركيونية* Marcionite، والمانوية Manichee، والبقية. إنهم من وقتٍ لآخر يجذبون اهتمام بعض النفوس الغبية ويُثبِتون ما هو مميت بالاحتكاك المُعدي جدًا بهم؛ يكون أحد الأوبئة مُهلكًا جدًا كغيره بمجرد أن يجد سُم تعليمهم طريقه إلى أفكار المستمِع.

---

* بحسب هيبوليتوس وق. إبيفانيوس، كان ماركيون غنيًا يمتلك سفنًا في بنطس، وفي عام ١٤٠م ذهب إلى روما والتحق بالكنيسة هناك وبعدها بدأ يؤسس نظامه الخاص وينظم أتباعه كجماعه منفصلة، ثم في عام ١٤٤م حُرِم رسميًا نتيجة لتعاليمه. لقد كان يُعلِّم برفض العهد القديم تمامًا، وبأن إله العهد القديم لا يشترك مع إله يسوع المسيح في شيء، ودراسة العهد القديم تبين أن إله اليهود كان متكبرًا ومتقلبًا وقاسيًا ومستبدًا، بينما إله المحبة الأسمى الذي جاء يسوع ليُعلنه لنا مختلف تمامًا. وبحسب ماركيون فإن التناقض بين الناموس والنعمة قد فهمه بولس الرسول وحده، أما الرسل والإنجيليين فكانوا عميان عن الحقيقة نتيجة تأثرهم باليهودية. وبالتالي فبالنسبة له كانت رسائل بولس الى الكنائس (إذ ربما يكون قد رفض الرسائل الرعوية أو لم يكن عنده علمًا بها) ونسخة حديثة من إنجيل لوقا، هي فقط الكتب القانونية. كانت فكرته عن طبيعة المسيح تميل إلى الدوسيتية. بعد وفاته في ١٦٠م انضم أتباعه إلى المانوية.{م}

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983, p. 1033, 1034.

الرد على الهراطقة ليس مهمةً سهلةً، لكن الضرورة تفرض ذلك

٥- إن خيانتهم العُظمى تورطنا في الموقف الصعب والخطير لوجوب تقديم بيان رسمي محدد، أبعد من تصريحات الكتاب المقدس، بخصوص هذه المسألة المُهلكة والمبهَمة. الرب قال إن الأمم يجب أن يعتمدوا بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. كلمات الإيمان واضحة؛ الهراطقة يبذلون قصارى جهدهم ليورطوا المعنى في شكٍ. ربما لا يمكننا لهذا السبب أن نضيف للشكل المحدد، إلا أننا يجب أن نضع حدًا لمنحهم حرية التفسير. بما أن خبثهم، المُثار بمكر الشيطان، يفرغ التعليم من معناه بينما يحتفظ بالأسماء التي توصِّل للحقيقة، فيجب علينا أن نؤكد الحقيقة التي توصِّلها تلك الأسماء. يجب أن نعلن، بالضبط مثلما سنجدها في كلمات الكتاب المقدس، عظمة ووظائف الآب، والابن والروح القدس، وهكذا نمنع الهراطقة من أن يجردوا تلك الأسماء من دلالتها على الخاصية الإلهية، ونجبرهم بواسطة تلك الأسماء بالذات على قَصْر استخدامهم للمصطلحات على معناها الصحيح. لا يمكنني أن أتصور نوع عقل معارضينا، الذين يحرِّفون الحقيقة، ويخفون النور، ويقسمون غير المنقسم، ويمزقون غير المُضار، ويحلون الاتحاد التام. ربما يبدو لهم أمرًا هينًا أن يمزقوا الكمال، وأن يصنعوا قوانينَ للقدرة الكلية، وأن يضعوا حدًا لغير المتناهي؛ بالنسبة لي، مهمة الرد عليهم تملأني بالقلق؛ عقلي يدور، فهمي مذهول، كلماتي المجردة يجب أن تكون اعترافًا، ليس بأنني ضعيف النطق، بل بأنني أبكم. ومع ذلك، فهناك رغبة تجبرني على القيام بالمهمة؛ إنها تقصد مقاومة المغرور،

إرشاد التائه، وتحذير الجاهل، لكن الموضوع لا ينضب. لا يمكنني أن أرى حدًا لجرأتي على الكلام عن الله بمصطلحاتٍ أكثر دقةً مما استخدمه هو نفسه. لقد حدد الأسماء - الآب والابن والروح القدس - التي هي معلومتنا عن الطبيعة الإلهية. لا يمكن أن تُعَبِّر الكلمات أو يتضمن الإحساس أو يُدرِك المنطق نتائج السؤال الذي قيل أيضًا؛ الكل يفوق الوصف، ولا يمكن تحقيقه، ومُبهَم. اللغة مُنهَكة من كبر حجم الموضوع، روعة سطوعه تُعمي العين المحدِّقة، الفكر لا يمكنه أن يحد مداها اللانهائي. ومع ذلك، لأجل الضرورة الموضوعة علينا، مع الصلاة لأجل غفران مَن له تلك الصفات، سوف نغامر، ونُحقِّق ونتكلم؛ وسوف نقبل أي استنتاج سيبينه لنا (الله) - وهذا هو الوعد الوحيد بالنسبة لهذا الموضوع بالغ الأهمية الذي نتجرأ على الدخول فيه.

الآب

٦- إن الوجود كله مدين في أصله ومنشأه للآب، فهو مصدر الكل بالمسيح ومن خلال المسيح. بعكس الكل أيضًا هو موجود بذاته. **إنه لا يكتسب كيانه من خارج، بل يملكه من نفسه وفي نفسه. إنه غير محدود، فهو لا يحويه شيء وهو يحوي كل الأشياء؛ هو أبدي غير خاضع للزمن، لأنه غير محدودٍ؛ أزلي سابق للزمن، لأن الزمن هو مِن صُنعه. دعوا الخيال يجول إلى ما يمكن أن تفترضوا أنه الحد الأقصى لله، وسوف تجدونه موجودًا هناك؛ اجهدوا أنفسكم كما تشاءون فسيكون هناك دائمًا أُفق أبعد يجب**

الاجتهاد نحوه. اللامحدودية هي صفته، مثلما أن القدرة على الاجتهاد (بخصوص تلك الصفة) هي صفتكم. سوف تخونكم الكلمات، لكن وجوده لن يقيَّد. ارجعوا إلى صفحات التاريخ، وسوف تجدونه موجودًا دائمًا؛ وإن كان **ينبغي أن تفشل الأرقام في التعبير عن القِدَم الذي اخترقته، إلا أن أزلية الله لا يمكن إنقاصها. هيِّئوا عقولكم لإدراكه ككل، وسوف يراوغكم.**

إن الله، كوحدة كاملة، قد ترك شيئًا ما في إدراككم، لكن هذا الشيء موجودٌ في تمامه بشكل لا يمكن الخلاص منه. وبالتالي فأنتم قد فقدتم الكل، بما أن ما يبقى في يديكم هو جزء؛ لكنه ليس مجرد جزء، لأنك تتعامل مع وحدة كاملة قد فشلْتَ في تقسيمها. فإن الجزء يتضمن انقسامًا، أما الوحدة الكاملة فلا يمكن تقسيمها، والله موجود في كل مكانٍ وحاضرٌ تمامًا أينما يكون. المنطق إذًا لا يمكن أن يكون على نفس مستواه، لأنه لا يمكن أن توجد نقطة تأمُّل خارجه، ولأن الأبدية هي له على الدوام. هذا تصريحٌ حقيقيٌ عن سِر هذه الطبيعة التي يتعذر فهمها والتي يُعَبَّر عنها باسم 'الآب': الله غير المرئي، فائق الوصف، وغير المحدود. دعونا نعترف بِصمْتنا أن الكلمات تعجز عن وصفه؛ دعوا العقل يعترف بأنه هُزِم في محاولة الفهم، و(كذلك) المنطق في محاولة التحديد. الآن هو لديه، كما قُلنا، في 'الآب' اسم يدل على طبيعته؛ إنه آب مُطلَق. إنه لا يتلقى، مثلما يفعل الرجال، طاقة الأبوة من مصدر خارجي. إنه غير مولودٍ، دائم، أبدي، متأصل. هو معروفٌ فقط للابن، فإنه: لاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ،

وَلَا الابْنَ إِلاَّ الآبُ[٢]. كلٌّ منهما لديه معرفة تامة بالآخر. لذا، بما أنه لاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ، فلتكن أفكارنا عن الآب موافقةً لأفكار الابن، الشاهد الوحيد المخلِص، الذي أعلنه لنا.

ضَعف اللغة سواء في الكلام عن اللاهوت الإيجابي أو السلبي*

٧- من السهل بالنسبة لي أن أعلن هذا بخصوص الآب أكثر من أن أقوله. إنني أدرك جيدًا أنه لا توجد كلمات ملائمة لوصف صفاته. لا بُد أننا نشعر بأنه غير مرئيٍ، وغير مُدرَكٍ، وأبديٌ. لكن القول بأنه ذاتي الوجود وذاتي المنشأ وذاتي البقاء، وأنه غير مرئيٍ وغير مدرَكٍ وغير مائتٍ، هو اعترافٌ بمجده، وتلميح لما نعنيه، ورسم تخطيطي لأفكارنا. لكن اللغة أضعف من أن تخبرنا بما هو الله، والكلمات لا يمكنها أن تعبِّر عن الحقيقة. أنتم تسمعون أنه ذاتي الوجود؛ المنطق البشري لا يمكنه أن يشرح هذا الاستقلال. يمكننا أن نجد أشياءً تؤيِّد، وأشياء تؤيَّد، لكن تلك التي توجد بهذا الشكل هي مختلفة تمامًا عن ذاك الذي هو سبب وجودها. مرة أخرى،

---

[٢] قارن (مت ١١: ٢٧)

* اللاهوت السلبي apophatic theology هو أسلوب للكلام عن الله بإنكار إمكانية تَناسُب أي فكرة من أفكارنا مع حقيقة وصفه. أول مَن استخدم هذا التعبير كان ديونيسيوس الأريوباغي المزيف Dionysius the Pseudo-Ariopagite بالمقارنة باللاهوت الإيجابي cataphatic (*Myst.* 3). أكثر مَن استخدمه من الآباء هو ق. غريغوريوس أسقف نيصص، وكذلك ق. غريغوريوس اللاهوتي، وبالأخص في قُداسه المنسوب إليه، إذ يقول 'غير المرئي، غير المحوي، غير المبتدئ، غير المفحوص، غير المستحيل، غير المائت...'.{م}

إن كنتم تسمعون أنه ذاتي المنشأ، إلا أنه لا يوجد مَثَلٌ يكون فيه معطي نعمة الحياة مطابقًا للحياة التي تُعطَى. إن كنتم تسمعون أنه غير مائتٍ، إذًا فهناك شيءٌ لم ينبثق منه وليس له اتصالٌ معه بطبيعته ذاتها؛ وفي الواقع، الموت ليس هو الشيء الوحيد الذي يدَّعي تعبير 'غير مائت' أنه بعيدٌ عن الله[٣]. إذا كنتم تسمعون أنه غير مدرَك، فهذا سبب أدعى لأن يُقال عنه إنه عديم الوجود، لأن الاتصال به مستحيل! إذا قلتم إنه غير مرئيٍ، فالكيان غير الموجود بشكلٍ مرئيٍ لا يمكن التأكد من وجوده الخاص! هكذا اعترافنا بالله يفشل بسبب قصور اللغة، إذ أن أفضل تركيبٍ للكلمات التي يمكننا أن نخترعها لا يمكنه أن يدل على حقيقة وعظمة الله. إن المعرفة التامة بالله هي أن نعرفه كأننا واثقون من أننا بالتأكيد لا نجهله، ومع ذلك لا نزال غير قادرين على وصفه. يجب أن نؤمن، يجب أن نفهم، يجب أن نعبد؛ ومثل هذه الأفعال التقَوية يجب أن تقف موقف التعريف.

الابن هو قوة القوة، حكمة الحكمة، مجد المجد

٨- لقد استبدلنا أخطار ساحل بلا ميناء بعواصف البحر المفتوح. لا يمكننا أن نتقدم بأمان ولا أن نتراجع بأمان، ومع ذلك فالطريق التي توجد أمامنا لها مشقَّة أكبر من التي توجد خلفنا. الآب هو ما هو، ويجب أن نؤمن

---

[٣] هذا مجرد تناقض لفظي، لأجل إظهار عدم دقة اللغة في التعامل مع الله. فبالرغم من أن الله هو مبدع كل الأشياء، إلا أن التعبير السلبي 'غير مائت' يستثني الموت وما يصاحبه من أمراضٍ وآلام، إلخ، عن دائرة الله.

به كما أُعلِن عنه. العقل ينكمش برهبةٍ من التعامل مع ما يخص الابن؛ إنني أرتجف من كل كلمة لئلا أُخدَع بالخيانة العظمى. فإنه ابن لغير المولود، واحد من واحد، حق من حق، حي من حي، كامل من كامل؛ **قوة القوة، حكمة الحكمة، مجد المجد**، شكل الله غير المرئي، صورة الآب غير المولود. ومع ذلك فبأي عقلٍ يمكننا أن نفهم أن الابن الوحيد هو ابنٌ لغير المولود؟ لقد قال الآب مِرارًا من السماء: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ[٤]. إنها ليست تمزيقًا أو قَطْعًا، فإن الذي يَلِد هو بدون آلام، والذي وُلِد هو صورة الله غير المرئي ويحمل الشهادة (التي تقول): الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ[٥]. إنه ليس مجرَّد تبنِّي، فإنه هو ابن الله الحقيقي الذي يصرخ (قائلاً): اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ أَيْضًا[٦]. وهو لم يأت للوجود إذعانًا لأمرٍ مثلما فَعلَت الأشياء المخلوقة، فإنه هو الابن الوحيد لله الواحد؛ ولديه الحياة في نفسه، تمامًا مثلما أن الذي ولده لديه الحياة، فإنه يقول، كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ[٧]. ولا يوجد جزءٌ من الآب كامنٌ في الابن، فإن الابن يحمل الشهادة: كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي[٨]. وأيضًا: كُلُّ مَا هُوَ لِي

---

[٤] (مت ٣: ١٧ - ١٧: ٥).

[٥] (يو ١٠: ٣٨)

[٦] (يو ١٤: ٩)

[٧] (يو ٥: ٢٦)

[٨] (يو ١٦: ١٥)

فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي[٩]، والرسول يشهد: فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا[١٠]؛ وبطبيعة الأشياء لا يمكن للجزء أن يقتني الكل. إنه الابن الكامل للآب الكامل، فإن الذي له الكل قد أعطى الكل له. ومع ذلك لا يجب أن نتخيل أن الآب لم يُعطِ، لأنه مازال يملك، أو أنه قد فَقد، لأنه قد أعطى للابن.

كيف نفهم طبيعة الله إن كنا لم نفهم طبيعتنا بَعد

٩- لذا فطريقة هذا الميلاد هي سرٌ مقتصَرٌ على الاثنين. لو طرح أحدٌ على عجزة الخاص فشله في حل هذا السر، بالرغم من حقيقة أن الآب والابن لا يتخليان عن بعضهما البعض في تلك العلاقات، فسوف يظل أكثر انزعاجًا بالجهل الذي أعترف أنا به. أنا أيضًا المقيم في الجهل، لازلت لا أسأل أية أسئلة. إنني أنظر بارتياحٍ إلى حقيقة أن رؤساء الملائكة يشاركون في جهلي، فإن الملائكة لم يسمعوا التفسير، والعالَمين لا تحويه، حتى إنه لم يرَه أي نبي من بعيد ولم يبحث عنه أي رسول، لأن الابن نفسه لم يُظهِره. فلنَدَع مثل هذه الشكايا تتوقف. أيًّا كُنت يا من تبحث في هذه الأسرار، فأنا لا أدعوك لاستكمال استكشافك للعلو والعرض والعمق، بل أسألك بالحري أن تُذعن بصبرٍ لجهلك بطبيعة الولادة الإلهية، بالنظر إلى أنك لا تعرف كيف جاءت خليقته إلى الوجود. جاوب على سؤالي هذا: هل تعطيك حواسك أي دليلٍ على

---

[٩] (يو ١٧: ١٠)

[١٠] (كو ٢: ٩)

أنك نفسك قد وُلِدت؟ هل يمكنك وصف العملية التي بها صرت أبًا؟ أنا لا أسأل من أين اكتسبت قدرتك على الفهم، كيف حصلت على الحياة، من أين جاء عقلك، ما هي طبيعة حواسك التي للشم، واللمس، والنظر، والسمع، إذ أن حقيقة استخدامنا لكل هذه هي الدليل على أنها موجودة؛ ما أسأل عنه هو: كيف تُقدمه لأولادك؟ كيف تُطَعِّم الحواس، كيف تنير العيون، كيف تغرس العقل؟ قل لي إن أمكنك. إذًا، فأنت لديك قدرات لا تفهمها، أنت تمنح مِنَحًا لا يمكنك إدراكها. أنت بهدوءٍ لا تهتم بأسرار كيانك، وبسبب الجهل تهتم بأسرار الله بنفاذ صبرٍ دنيويٍ.

شهادات الابن نفسه عن علاقته بالآب

١٠- انصت إذًا إلى الآب غير المولود، انصت إلى الابن المولود الوحيد. اسمع كلماته: الْآبُ أَعْظَمُ مِنِّي[١١]، و: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ[١٢]، و: مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا[١٣]، و: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ[١٤]، و: خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ[١٥]، و: الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ[١٦]، و: كل ما للآب قد أعطاه للابن[١٧]، و: الابْنَ لَهُ

---

[١١] (يو ١٤: ٢٨)

[١٢] (يو ١٠: ٣٠)

[١٣] (يو ١٤: ٩)

[١٤] (يو ١٠: ٣٨)

[١٥] (يو ١٦: ٢٨)

[١٦] (يو ١٠: ١٨)

حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ[١٨]. اسمع لهذه الكلمات، ابن، وصورة، **وحكمة**، وقوة، ومجد الله. الملاحظة التالية هي إعلان الروح القدس: جِيلَهُ مَنْ سَوفَ يُعْلِنهُ؟* لاحِظ تأكيد الرب: لاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ[١٩]. اخترِق السر، اقتحِم الظلام الذي يحجب هذا الميلاد، بحيث تكون وحيدًا مع الله غير المولود والله الابن الوحيد! ابدأ، استمِر، ثابِر. أنا أعرف أنك لن تصل للهدف، لكني سوف أفرح لتقدُّمك. فإن الذي يطأ الطريق الذي بلا نهاية بخشوع، رغم أنه لا يصل إلى أية نتيجة، إلا أنه سوف يستفيد من جهوده. العقل سوف يفشل لاحتياجه للكلمات، لكن حينما يصِل إلى موقِفٍ فسوف يكون (هذا الموقف) هو الأفضل لأجل الجهد المبذول.

---

[١٧] هذه ليست آية، رغم أنها قد اعتُبِرَت في النُسخ على أنها اقتباس كتابي، لكن من الواضح أنها جملة تفسيرية لمعنى آية.

[١٨] (يو ٥: ٢٦)

* (إش٥٣: ٨) سبعينية، وفي القبطي البحيري ⲧⲉⲫⲩⲉⲛⲉⲁ ⲁⲉ ⲛⲓⲙ ⲉⲑⲛⲁⲓⲱⲫⲓⲣⲓ ⲉⲣⲟⲥ، وقد ترجمتها نسخة KJV بنفس الترجمة، بعكس البيروتية التي ذكرتها "وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ...".{م}

[١٩] (مت ١١: ٢٧)

ليسا إلهين بل إله مِن إله

١١- إن الابن يستمد حياته من هذا الآب الذي لديه الحياة بالحقيقة**؛ الابن الوحيد مِن غير المولود، المولود من الوالد، الحي من الحي. كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ. الابن كامل ممن هو كامل، فإنه تام ممن هو تام. هذا ليس انقسامًا أو قَطْعًا، فإن كلاً منهما في الآخر، وملء اللاهوت موجود في الابن. غير المُدرَك مولود من غير المُدرَك، فلا يوجد آخر يعرفهما، بل كلاهما يعرف الآخر؛ غير المرئي مولود من غير المرئي، فإن الابن هو صورة الله غير المرئي، ومَن رأى الابن فقد رأى الآب أيضًا. هناك تمييزٌ، فإنهما آب وابن؛ لكن ليس بكون ألوهيتهما مختلفةً في النوع، فإن كليهما واحدٌ، إله من إله، إله واحد ابن وحيد من إله واحد غير مولود. إنهما ليسا إلهين، بل واحد من واحد؛ ليسا اثنين مولودين، لأن الابن مولود من غير المولود. ليس هناك تفريق، فإن حياة الإله الحي هي في المسيح الحي. لقد اعتزمت كثيرًا جدًا الكلام عن طبيعة ألوهيتهما؛ ليس تصورًا لكوني قد نجحت في عمل ملخَّص للإيمان، بل إدراكًا لأن الموضوع لا ينضب. أنتم تعترضون قائلين: *إذًا فإن الإيمان لا يقدِّم أية فائدةٍ، بما أنه*

** ليس معنى هذا أن الابن قد وُهِب الحياة، بل المقصود أن حياة الابن هي مِن حياة الآب، وحياة الآب مِن حياة الابن، إذ إن جوهرهما الواحد هو الحياة. ومع ذلك فلن ننكر تأثر ق. هيلاري بفكر الكبادوك عن كون الآب هو علة الوجود، بعكس ق. أثناسيوس الذي كان يرى أن جوهر الألوهية هو علة الوجود.{م}

لا يوجد شيءٌ يمكن *أن يدركه*. ليس الأمر هكذا؛ الفائدة الحقيقية للإيمان هي التمسك والاعتراف بحقيقة أنه غير كافٍ لإدراك هدفه.

ليس هناك وقتٌ قد وُلِد فيه الابن

١٢- يبقى أن أقول شيئًا يختص أكثر بالولادة غير المدرَكة للابن، بل بالحري هذا الشيء هو بالأكثر كل شيءٍ. إنني أرتعش، أتردد، قواي تسقط، ولا أعلم من أين أبدأ. لا يمكنني أن أُخبِر بموعد ولادة الابن؛ إن عدم التيقن من الحقيقة هو عدم تقوى. لِمَن سأتضرع؟ مِمَن أطلب المساعدة؟ مِن أية كُتب سأستعير المصطلحات المطلوبة للتصريح بمثل هذه المشكلة الصعبة؟ هل أُفتش في فلسفة اليونان؟ لا! فقد قرأت: أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ مُبَاحِثُ هذَا الدَّهْرِ[٢٠]؟

إن فلاسفة العالم وحُكماء الوثنية بُكمٌ بشأن هذه المسألة ؛ فإنهم قد رفضوا حكمة الله. فهل أعود لكاتب الناموس؟ إنه في الجهالة، لأن صليب المسيح هو جريمة بالنسبة له. هل أنا، ربما، سوف آمُرُكم بإغماض أعينكم عن الهرطقة، والتغاضي عنها بصمتٍ، على أساس أن مهابة مَن نبشر به ظاهرة بشكلٍ كافٍ إن آمنَّا بأن البُرص قد طهروا، والصُم قد سمعوا، والعُرج قد ركضوا، والشُل قد وقفوا، والعميان قد نالوا البصر، والأعمى منذ

[٢٠] (١كو ١: ٢٠) مع إغفال "أَيْنَ الْكَاتِبُ؟".

ولادته قد مُنِح عينين[٢١]، والشياطين قد هُزِمَت، والمرضى قد شُفوا، والموتى قاموا. إن الهراطقة يعترفون بكل هذا، ويهلكون.

١٣- أنظروا الآن لتروا أمرًا ليس أقل إعجازًا من ركض العُرج، وإبصار العميان، وهروب الشياطين، وقيامة الموتى. يقف بجواري هناك - كي يقودني خلال الصعوبات التي قد أعلنتها - صياد سمك فقير، جاهل، غير متعلم، ممسكًا بحبال الصيد، متهرئ الثياب، موحَل القدمين، بالضبط مثل البَحَّار. تأملوا وقرِّروا إن كان العمل الأعظم هو إقامة الموتى أم منح عقل غير متمرِّس معرفة الأسرار العميقة جدًا، مثل التي يُظهرها بقوله: فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ[٢٢]. ما الذي يعنيه هذا، فِي الْبَدْءِ كَانَ؟ إنه يتخذ مكانًا نحو الماضي فوق فترات الزمن، القرون تُترَك، العصور تُلغى. حدِّدوا في عقولكم أي وقتٍ تشاؤون لهذا البدء؛ سوف تفشلون، فإن الذي نتكلم عنه، بالرغم من ذلك، 'كَانَ'. افحَصوا الكون، لاحِظوا جيدًا ما قد كُتِب عنه: فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ*. هذه الكلمة 'البدء' تحدِّد لحظة الخَلق؛ يمكنكم أن تحددوا موعدها لحدثٍ قد تحدد بشكلٍ واضحٍ 'في البدء'. لكن صيادي هذا، غير المثقف، غير الدارس، هو غير مقيَّد بالوقت، ولا يَرهب ضخامته؛ إنه

---

[٢١] (يو ٩)

[٢٢] (يو ١: ١)

* (تك ١: ١). من الواضح هنا أن ق. هيلاري يربط بين (تك ١: ١) و (يو ١: ١)، مثلما قد ربطهما قبله العلامة أوريجينوس في عظاته عن سفر التكوين، بخصوص الخليقة، وهذا يؤكد أن ق. هيلاري قد تتلمذ على تراث أوريجينوس التفسيري للكتاب.{م}

يَنفُذ إلى ما وراء البدء. فإن قوله 'كان'** ليس له حدود للوقت أو بداية؛ **الكلمة** غير المخلوق كَانَ فِي الْبَدْءِ.

١٤- لكننا ربما نجد أن صيادنا كان مخطئًا في الانحراف عن أطراف المشكلة المعتَزَم حلها[٢٣]. لقد حرر **الكلمة** من حدود الزمن؛ أن ذاك الحُرُّ يحيا حياته الخاصة وهو غير مُقيَّد بأي خضوعٍ. لذا، دعونا نعير أقصى اهتمامًا لما يلي: وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ. سوف نجد أن ذاك الذي هو عند الله هو **الكلمة**، الذي كان قبل البدء موجودًا غير محدود بزمن. **الكلمة**، الذي 'كان'، عند الله. ذاك الغائب حينما نبحث عن منشأه في الزمن موجودٌ طوال الوقت مع خالق الزمن. لقد نجا صيادنا هذه المرة؛ لكنه ربما سيخضع للصعوبات التي تنتظره.

فكرة الإبيونيين عن اللوغوس

١٥- إنكم سوف تحتجون بأن الكلمة* word هي صوت الصوت the sound of a voice؛ أي أنها تسمية للأشياء، نُطق للأفكار**. هذا **الكلمة**

** هناك فرق بين أن تقول 'في البدء صار **الكلمة**' وهو ما معناه أنه لم يكن موجودًا ثم صار، وأن تقول 'كان' بمعنى أنه عند بدء تكوين العالم كان **الكلمة** موجودًا مِن قبل.{م}

[٢٣] أي كيفية توفيقه بين وحدانية الله وألوهية المسيح. القول بأن **الكلمة** هو الله قد يبدو مناقضًا للوحدانية عن طريق تأكيد وجود إلهٍ ثانٍ.

* لفظ 'كلمة' في اللغة العربية جنسه مؤنث، أما في اليونانية لفظ 'لوغوس' يكون مذكرًا، لذا فلا يوجد فرقٌ في اليونانية بين **الكلمة** والكلمة، بينما في العربية لا يمكننا أن نذكر أقنوم **الكلمة** بتعبيراتٍ مؤنثةٍ، لذا فحينما نقول **الكلمة** نقول 'صار' و'حل' و'مجده'، وهكذا.{م}

كان عند الله، وكان في البدء؛ فالتعبير عن أفكار المفكر الأزلي يجب أن يكون أزليًا. سوف أقدم لكم في الوقت الحالي إجابة شخصية مختصرة بالنيابة عن الصياد، حتى نرى أي دفاعٍ عن بساطته وَجَب أن يُقدِّمه. إن طبيعة (أيَّة) كلمة إذًا هي أنها أولاً احتمالية، ثم بعد ذلك تصبح حدثًا في الماضي؛ هي شيءٌ موجودٌ فقط حينما يُسمَع. كيف يمكننا أن نقول: فِي الْبَدْءِ كَانَ **الْكَلِمَةُ**، حينما لا تكون الكلمة موجودة قبلاً، ولا تحيا بعد، بل تكون مرحلةً محددةً من الوقت؟ هل يمكننا حتى أن نقول إن هناك مرحلةً توجد فيها الكلمة؟ الكلمات في فم المتكلم لا تكون فقط غير موجودة حتى تُقال، وتموت في اللحظة التي تُنطَق فيها، بل حتى في لحظة النُطق بها يكون هناك تغيُّر عن الصوت الذي يُستهَل به، إلى ما يُنهي الكلمة. هذا هو الرد الذي يوحي بنفسه إليَّ كمتفرج. لكن خصمكم صائد السمك له رده الخاص. إنه سوف يبدأ بتوبيخكم على غفلتكم. وإن كانت أُذُنكم غير المدرَّبة قد فشلَت في أن تُمسِك بالعبارة الأولى: فِي الْبَدْءِ كَانَ **الْكَلِمَةُ**، فلماذا تشتكون من التالية، وَ**الْكَلِمَةُ** كَانَ عِنْدَ اللهِ؟ هل ما سمعتموه هو: وَالْكَلِمَةُ كَانَت فِي اللهِ - وهو القول المأثور لدى بعض الفلسفات العميقة؟ أم أن لهجتكم المحلية لا تصنع تمييزًا بين 'في' و 'عند'؟ التأكيد هو على أن ما كان في البدء كان 'عند'، وليس 'في' آخر. لكنني لن أجادل من بداية الجملة، إذ أن التكملة يمكنها أن تعتني بنفسها. اسمعوا الآن لقب واسم **الكلمة**: وَ**الْكَلِمَةُ** كَانَ عِنْدَ

** بحسب تعليم الإبيونيين، انظر التعليق في الكتاب السابع صـ ٤٥٤.{م}

اللهِ. إن احتجاجكم بأن **الكلمة** هو صوت الصوت، منطوق الفكر، سوف يسقط إلى الأرض. **الكلمة** واقع، وليس صوتًا، كيانٌ، وليس كلامًا، إله، وليس خيالاً.

قول يوحنا 'وكان الكلمة الله' يعني أن الكلمة ليس مجرد صوت

١٦- إنني أرتعد أن أقولها، فالجرأة تجعلني أترنح. لكنني أنا، مَن تعلمت من الأنبياء أن الله واحدٌ، أسمع: وَكَانَ **الْكَلِمَةُ** الله. ولكي تنقذني من المخاوف الأخرى، أعطني أيها الصَديق الصياد إفشاءً كاملاً لهذا السر العظيم. أظهِر أن هذه التأكيدات منسجمة مع وحدانية الله؛ أن ليس بها أي تجديفٍ، أي توضيحٍ بعيدٍ، أي إنكارٍ للأزلية. إنه يُكمِل: هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. إن هذا (القول): هَذا كَانَ فِي الْبَدْءِ، يزيل حدود الزمن؛ كلمة 'الله' تُظهر أنه أكثر من (مجرد) صوت؛ كونه 'عِنْدَ اللهِ' يُثبِت أنه ليس متعدِّيًا ولم يتعداه أحد، فإن هويته غير مُبتَلَعة في آخرٍ، وهو مُعلَن عنه بوضوحٍ أنه موجودٌ عند الله غير الموجود كإلهٍ، ابنه الواحد والوحيد.

١٧- أيها الصياد، نحن مازلنا منتظرين وصفك الكامل **للكلمة**. ربما يُقال، إنه كان في البدء لكنه ربما لم يكن موجودًا قبل البدء. سوف أُزيد ردًا على هذا بالنيابة عن الصياد. **الكلمة** لا يمكن أن يكون شيئًا آخر غير 'كان'؛ هذا (اللفظ) 'كان' غير مشروط وغير محدود. لكن ماذا يقول الصياد بنفسه؟ كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ. هكذا، بما أنه لا يوجد شيء منفصل عنه، قد جاء العالم من خلاله إلى الوجود، فلا بُد إذًا أن يكون لمُبدِع كل

الأشياء وجودٌ لا حد له. فإن الزمن هو مقياس للامتداد، قابل للإدراك والقسمة، ليس في الفترة، بل في المدى. كل الأشياء منه، بلا استثناء؛ فالزمن إذًا هو صَنعة يديه.

تفسير آية 'كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ'

١٨- لكن، يا صيادي، سوف يظهر الاعتراض بأنك متهور ومسرف في لغتك؛ أي أن 'كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ' تحتاج تأهيل. هناك غير المولود، الذي نتج من لا شيء؛ هناك أيضًا الابن، المولود من الآب غير المولود. 'كُلُّ شَيْءٍ' هو تصريحٌ غير حذرٍ، لا يسمح بأي استثناءٍ. بينما نحن صامتون، لا نجرؤ على الرد أو محاولة التفكير في أي ردٍ، (أنت) تُقاطع (في الحديث) بـ (جملة): وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. لقد أعدْتَ مُبدع الألوهية إلى مكانه، وفي نفس الوقت تُعلِن أن له رفيقًا. فمِن قولك إنه لم يكن شيء مما كان 'بِغَيْرِهِ'، أَفهمُ أنه لم يكن وحيدًا. مَن مِن خلاله تَم العمل هو واحدٌ؛ الذي بغيره لم يتم (العمل) هو آخرٌ. هنا يوجد تمييز بين الخالق والشريك.

١٩- إنني قلقٌ على توقير الخالق الواحد غير المولود، خشية أن تكون، بتأكيدك الشامل على أن كل الأشياء قد خُلِقَت **بالكلمة**، قد أدخلته ضمن المخلوقات. لكنك طرحت مخاوفي بقولك: بِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. ومع ذلك فنفس (الجملة): وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ، تتسبب في مشكلة وحيرة. هناك إذًا شيء قد كان بهذا الآخر، لكن هذا الشيء لم يكن 'بِغَيْرِهِ' في الحقيقة. لو أن الآخر قد خَلق أي شيءٍ، بالرغم من أن **الكلمة** كان

موجودًا في الخَلْق، إذًا فليس صحيحًا أن 'كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ'. أن تكون شريك الخالق شيءٌ، وأن تكون الخالق نفسه هو شيءٌ آخر تمامًا. يمكنني أن أجد إجابات شخصية للاعتراض السابق؛ في هذه المسألة، أيها الصياد، يمكنني أن أتجه في الحال لكلامك: كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ. والآن أنا أفهم، فإن الرسول قد أنارني:– فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ، الْكُلُّ مِنْ خِلاَلِهِ وَفِيهِ قَدْ خُلِقَ[٢٤].

هو الحياة

٣٠- إذًا، فبما أن كل الأشياء قد خُلِقَت به، تعال لمعونتنا وأخبِرنا ما الذي بدونه لم يكُن. 'فيهِ كَانَت الْحَيَاةُ'. إن ما كان فِيهِ لم يكن بالتأكيد 'بِغَيْرِهِ'؛ فإن ما خُلق فيه قد صُنِع أيضًا بِهِ*. كل الأشياء قد خُلِقَت فيه وبه[٢٥]. لقد

---

[٢٤] (كو ١: ١٦)

* وعن هذا يقول ق. أثناسيوس: "وفي نفس الوقت كان من المستحيل أن تكون المخلوقات بغير **الكلمة** لأنها قد صارت به - وهذا هو الصواب. وحيث إن الابن هو **الكلمة** ذاته حسب الطبيعة الخاصة بجوهر الله، وهو منه وهو فيه كما يقول هو نفسه، لذلك لم يكن ممكنًا أن تصير المخلوقات إلا به. لأنه مثلما يضئ النور كل شيء بأشعته وبدون إشعاعه ما كان شيء قد أضاء - هكذا أيضًا فإن الآب خلق كل الأشياء **بالكلمة** كما بواسطة يد، وبدونه لم يخلق شيئًا". القديس أثناسيوس الرسولي: *المقالة الثانية ضد الأريوسيين؛ الشهادة لألوهية المسيح*، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد و أ. صموئيل كامل. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م، الفصل الثامن عشر، فقرة ٣١.{م}

[٢٥] قارن (كو ١: ١٦).

خُلِقَت فيه[٢٦]، لأنه مَولود كإله خالق. أيضًا، لا يوجد شيءٌ خُلق فيه قد خُلق بدونه، لأن الله المولود كان هو الحياة، وقد وُلد كحياة، ولم يَصِر حياةً بعد ميلاده؛ فإنه لا يوجد عنصران فيه، واحد بالطبيعة وواحد ممنوح بعدئذ. لا يوجد فاصل في حالته بين الولادة والنُضج. لا يوجد شيءٌ مما خُلق فيه قد خُلق بدونه، فإنه هو الحياة التي جعلَت خِلقة الأشياء ممكنةً. علاوة على ذلك، فإن الإله، ابن الله، هو إله بفضل ميلاده، وليس بعد أن وُلِد. وبميلاده كحي من حي، وحق من حق، وكامل من كامل، فهو مولود بامتلاكٍ كاملٍ لقواه. هو لم يحتاج لأن يعرف في وَقتٍ تالٍ كيف كان مولده، بل كان مدركًا لألوهيته بالحقيقة المجردة بأنه وُلِد كإله من إله.

"أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ[٢٧]" هي كلمات الابن المولود الوحيد لغير المولود. إنه صوت الإله الوحيد يُعلِن عن نفسه أنه آبٌ وابنٌ؛ آب يتكلم في الابن وابن يتكلم في الآب*. لهذا السبب أيضًا: مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا[٢٨]؛ لهذا: كُلُّ مَا لِلآبِ قَدْ أَعْطَاهُ لِلْابْنِ[٢٩]؛ لهذا: كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذلِكَ

---

[٢٦] بشكلٍ كامنٍ.

[٢٧] (يو ١٠: ٣٠)

* فكرة الوجود القائم على الاحتواء المتبادل بينهم. وهي موجودة عند القديسين أثناسيوس وكيرلس الكبير وإبيفانيوس أسقف سلاميس. وقد تكلمنا عنها في المقدمة اللاهوتية صـ ١٣٤، ١٣٩، وسوف تظهر بشكل واضح في الكتاب الحادي عشر فقرة ٤٨.{م}

[٢٨] (يو ١٤: ٩)

[٢٩] (يو ١٦: ١٥)

أَعْطَى الابْنَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ[٣٠]؛ ولهذا: لاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ، وَلَا الابْنَ إِلاَّ الآبُ[٣١]؛ ولهذا: فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا[٣٢].

لن نفهم إن لم نتكئ في حضن الرب مثل يوحنا

٢١- هذه الحياة هي نور الناس، النور الذي ينير الظلام. لكي يُعزينا في هذا الضعف عن وصف جيله الذي تكلم عنه النبي[٣٣]، يضيف الصياد: وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ[٣٤]. لقد احتارت لغة المنطق غير المُعان وصمتَت، أما الصياد الذي يتكئ في حضن الرب فقد تعلَّم أن يُعبِّر عن السر. لغته ليست

---

[٣٠] (يو ١٠: ٢٦)

[٣١] (مت ١١: ٢٧)

[٣٢] (كو ٢: ٩). الجدال الموجود في الفقرات من ١٨-٢٠ ليس سهلاً. إنه يبدأ بالاعتراض المحتمَل على جملة: كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، بأن هذا قد يتضمن كون الآب بين خليقة الابن. الإجابة توجد في الكلمات التالية: بِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. هذه تُظهِر أن الابن لم يكن وحيدًا في عمله؛ الآب كان موجودًا في نفس الوقت. لكنها تُظهر صعوبةً أخرى. ماذا لو كان الآب هو الفاعل المنفرد في عملية الخلق، والابن، شريكه الوحيد غير المنفصل، لم ينل مع ذلك أي نصيب في العمل؟ الإجابة توجد في الكلمات السابقة: كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، موسعةً وموضَّحةً عن طريق ق. بولس حينما يقول إن الكل كان من خلاله وبه، لأن بولادة الابن، خالق المستقبل، أمكن للعالم أن يُخلَق؛ وفيه أيضًا لأنه الحياة، وبهذا فهو سبب كل الحياة، لأنه مصدر وجوده الخاص.

[٣٣] (إش ٥٣: ٨)

[٣٤] (يو ١: ٤)

هي لغة العالم، فإنه يتعامل مع أمور ليست من العالم. دعونا نعرف ما هي هذه، إن كان هناك أي تعليمٍ يمكنكم أن تستخلصوه من كلامه، أكثر مما ينقله معناه الواضح؛ إن كان يمكنكم ترجمة الحقيقة التي استنبطناها إلى مصطلحاتٍ أخرى، فانشروها في كل اتجاهٍ. إن لم يوجد (هذا التعليم) - وهو بالتأكيد لن يوجد - فدعونا نَقبل بتبجيل هذا التعليم الذي للصياد، وندرك في كلماته وحي الله. دعونا نتشبث بتوقير بالاعتراف الحقيقي بالآب غير المولود، والابن المولود الوحيد بشكلٍ يفوق الوصف، الذي جلاله يتحدى كل تعبير وكل قدرة على الفهم. **دعونا، مثل يوحنا، نتكئ في حضن الرب يسوع، حتى يمكننا أيضًا أن نفهم ونعلن السر.**

الإيمان الجامع والرسولي

٢٢- هذا الإيمان، وكل جزء منه، يؤثر فينا بشهادة الأناجيل، وبتعليم الرسل، وعبث المهاجمات الغادرة التي يصنعها الهراطقة من كل ناحية. الأساس يقف ثابتًا وغير متزعزعٍ في وجه الريح والأمطار والسيول؛ الأعاصير لا يمكنها أن تُسقِطه، ولا المياه الهاطلة يمكنها أن تجوِّفه، ولا الفيضانات يمكنها أن تجرفه. ميزته مبرهَنة بفشل الاعتداءات غير المُحصاة على إفساده. بعض الأدوية مُركبة هكذا ليكون لها قيمة، ليس فقط ضد بعض الأمراض المفردة، بل ضد الكل؛ إن لها تأثيرًا شاملاً. إذًا فهي تبعًا للإيمان الجامع. إنها ليست علاجًا لعِلة مخصوصة، بل لكل مرضٍ؛ الجرثوم لا يمكنه أن يسود عليها، ولا الأرقام تهزِمها، ولا التعقيد يربكها.

إنها تواجه واحدًا وغير متغير وتقهر كل خصومها. المدهش هو أن يحتوي شكلٌ واحدٌ من الكلمات على علاجٍ لكل مرضٍ، تصريح بالحق لمواجهة كل اختراعٍ كاذبٍ. دعوا الهرطقة تحشد قواها وكل طائفة تتقدم للمعركة. دعوا ردَّنا على تحديهم يكون أن هناك إلهًا واحدًا غير مولود وهو الآب، ومولودًا وحيدًا واحدًا هو الله الابن، مولودًا كاملاً مِن والد كامل؛ أن الابن لم يولد بأي إقلال للآب أو سقوط عن جوهره، بل أن مَن يملك كل الأشياء قد وَلد ابنًا يمتلك الكل؛ ابنًا لا ينبثق ولا ينشأ عن الآب، بل هو مندمج ومتأصل في اللاهوت الكامل لذاك الذي أينما يكون موجودًا فهو موجودٌ بشكلٍ أزلي؛ واحد متحرر من الزمن، غير محدود في المدة، لأن به كل الأشياء قد صُنِعَت، وبالتأكيد، لم يكن ممكنًا أن يقيَّد بحدٍ قد خلَقه هو نفسه. هذا هو الإيمان الجامع والرسولي الذي قد علَّمه لنا الإنجيل ونحن نجاهر به.

اعتراف بطرس: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ، هو صخرة إيماننا

٢٣- دعوا سابيليوس - لو تجرَّأ - يمزج الآب والابن كاسمين لهما نفس المعنى، جاعلاً إياهما شخصًا (أقنومًا) واحدًا وليسا وحدةً. سوف يجد ردًا عاجلاً من الأناجيل، ليس مرةً واحدةً أو مرتين، بل مِرارًا كثيرةً في الغالب: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ[٣٥]. سوف يسمع الكلمات: الْآبُ أَعْظَمُ مِنِّي[٣٦]، و: أَنَا أَمْضِي إِلَى الآبِ[٣٧]، و: أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ[٣٨]، و: مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا

[٣٥] (مت ١٧: ٥)

[٣٦] (يو ١٤: ٢٨)

الآبُ[٣٩]، و: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ[٤٠]. دعوا هيبيون يحاول أن يقوِّض الإيمان، الذي لم يُقِر بوجود حياة لابن الله قبل رحِم العذراء، ويرى فيه أن **الكلمة** قد بدأ فقط بعد حياته كجسدٍ. سوف ندعوه أن يقرأ ثانيةً: مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ[٤١]، و: فِي الْبَدْءِ كَانَ **الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ** كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ **الْكَلِمَةُ** اللهَ[٤٢]، كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ[٤٣]، و: كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ[٤٤]. دعوا المبشرين الذين رسوليتهم من النمط الأكثر غرابة - رسولية ضد المسيح - يتقدمون ويسكبون تَهكمهم ويهينون ابن الله. لا بُد أن يسمعوا: خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ[٤٥]، و: اَلابْنُ اَلَّذِي فِي حِضْنِ الآبِ[٤٦]، و: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ[٤٧]، أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ[٤٨]. وفي النهاية، إن كانوا غاضبين، كما كان اليهود، مِن وجوب ادِّعاء

---

[٣٧] (يو ١٤: ١٢)

[٣٨] (يو ١١: ٤١)

[٣٩] (يو ١٧: ٥)

[٤٠] (مت ١٦: ١٦)

[٤١] (يو ١٧: ٥)

[٤٢] (يو ١: ١)

[٤٣] (يو ١: ٣)

[٤٤] (يو ١: ١٠)

[٤٥] (يو ١٦: ٢٨)

[٤٦] (يو ١: ١٨)

[٤٧] (يو ١٠: ٣٠)

[٤٨] (يو ١٤: ١١)

المسيح أن الآب هو أبوه، جاعلاً نفسه مساويًا لله، فلا بُد لهم أن يأخذوا الإجابة التي أعطاها لليهود: آمِنُوا بِأَعْمَالِي، أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ[٤٩]. وبهذا فإن أساسنا غير المتزعزع، صخرة إيماننا الواحدة المباركة، هي اعتراف فم بطرس: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ[٥٠]. يمكننا عليها أن نبني أساس الرد على كل اعتراضٍ يمكن لبراعةٍ فاسدةٍ أو خيانةٍ منغِصةٍ أن تهاجم به الحقيقة بعنف.

كل البشرية صارت كامنةً في الابن بِسر تجسده

٢٤- ماذا لدينا أيضًا لتعيين إرادة الآب#. العذراء، الميلاد، الجسد، ثم الصليب، الموت، النزول إلى الجحيم؛ هذه الأمور هي خلاصنا. لأجل خلاص البشرية قد وُلِد ابن الله من العذراء ومن الروح القدس. لقد اعتنى بنفسه في هذه العملية؛ بقوَّته - أي قوة الله - التي ظللَتها، قد زرع بداية جسده، ودخل أول مرحلةٍ مِن حياته في الجسد. لقد فعل ذلك كي بتجسده يمكنه أن يأخذ لنفسه الطبيعة الجسدية، وكي مِن خلال هذا المَزج*

---

[٤٩] (يو ١٠: ٣٨)

[٥٠] (مت ١٦: ١٦)

وهذا يؤكد أن الفداء هو إرادة الثالوث كله، وليس مجرد إرادة الابن.{م}

* لم يكن هذا اللفظ مَثارًا للجدل قبل أن يتبناه الهراطقة للتعبير عن فكرهم، لذا فسوف نجد أن بعض الآباء كانوا يستخدمون مصطلحات المزج والخلط للتعبير عن الاتحاد غير المنفصل بين اللاهوت والناسوت، وأبرز الذين استخدموه هو ق. غريغوريوس النزينزي، حيث يقول:

commingling يمكن أن يأتي إلى الوجود جسدٌ مقدسٌ بإنسانية كاملة؛ **كي هكذا من خلال هذا الجسد الذي سُر أن يتخذه يمكن لكل البشرية أن تختفي فيه، وهو في المقابل، من خلال وجوده غير المرئي، يمكنه أن يتكاثر في الكل.** وهكذا فالصورة غير المرئية لله لم تحتقر الخزي الذي وَسَم بداية حياة البشر. لقد مرَّ على كل المراحل؛ الحَبَل، الولادة، البكاء، المهد، وكل إذلالٍ متعاقِب.

لقد رُفعنا لأنه قد تنازل:

٢٥- ما هو التحوُّل الجدير الذي يمكننا أن نصنعه أمام مثل هذا التنازل العظيم؟ الإله الواحد المولود الوحيد، المولود من الله بطريقة تفوق الوصف، دخل رحم العذراء ونما واتخذ إطار البشرية الفقيرة. الذي يرفع الكون، الذي فيه وبه كل الأشياء، قد وُلِد ولادةً عاديةً؛ مَن ترتعد رؤساء الملائكة من صوته، والسماء والأرض وكل عناصر هذا العالم تنصهر، قد سُمع يبكي

«الله قد خرج مع الجسد الذي اتخذه: واحد من اثنين كانا مختلفين، الجسد والروح، حيث أحدهما كان يؤلِّه والآخر يتأله. **فيا للخلط الجديد! يا للمزج العجيب!**». *PG* 36.325B-C. وق. ساويروس الأنطاكي يدافع في *الرسالة الأولى إلى أوكيومينيوس Oecumenius* عن المعنى الذي قصده ق. غريغوريوس، وهو أن الطبيعتين قد اتحدتا مثلما يتم جدل حبلٍ من خُصلتين *intertwining*، وليس بمعنى الامتزاج الذي فهمه سرجيوس النحوي أو غيره، ومن المعروف أن هذه النقطة قد أخذها البعض على ق. غريغوريوس بعد نياحته، لكن ق. ساويروس فسَّر لنا فكرة ق. غريغوريوس الحقيقية من وراء هذا المُصطلح الشائك. راجع: Severus, *Collected Letters,* Letter 1, p. 15.{م}

بكاء الأطفال. غير المرئي وغير المُدرَك، الذي رؤيته واحساسه ولمسه لا يمكن قياسهم، قد دُثِّر في مهدٍ. فلو اعتبر أي إنسانٍ كل هذا غير لائق بالله، فأكبر ما يجب أن يُقِر به هو أنه مدين بما قد مُنح له، وأقل ما ينبغي أن يُقِر به هو مثل هذا التنازل الذي يلائم عظمة الله. إن مَن بواسطته قد خُلِق الإنسان ليس لديه شيء يجنيه بصيرورته إنسانًا؛ **لقد كان مكسبنا أن الله قد تجسَّد وحل بيننا، جاعلاً كل جسدٍ بيته بأن يأخذ جسدًا واحدًا. لقد رُفِعنا لأنه قد تنازل؛ خزيه كان مجدًا لنا. هو، الذي هو الله، قد جعل الجسد مسكنه، ونحن في المقابل قد رُفعنا مرة أخرى من الجسد إلى الله.**

الشهود على هذا التنازل

٢٦- لكن لأن العقول شديدة الحساسية قد تَقلق بسبب المهد والبكاء، الميلاد والحَبَل، ينبغي أن نقدِّم لله المجد الذي تحويه كل هذه الأمور، كي يمكننا أن نقترب من إنزاله لرتبته، بأرواحٍ تمتلئ كما يجب بمطالبته بأن يسود، ولا تنسى عظمته في تنازله. لذا، دعونا نُدوِّن مَن شاهدوا الحَبَل به. ملاكٌ قد تكلم مع زكريا؛ خصوبةٌ قد مُنِحَت للعاقر؛ كاهنٌ خرج أخرسًا من موضع البخور؛ يوحنا الذي كان مدفوعًا للكلام بينما هو ما يزال محبوسًا في رحم أُمه*؛ ملاكٌ قد بارك مريم ووعد بأنها، العذراء، سوف تكون أم ابن الله. ولأجل إدراكها لبتوليتها، قد تضايقت من هذا الأمر الصعب؛ لقد

* وكأن يوحنا المعمدان كان يريد أن ينطق بالتسبيح من داخل رحم أمه، التي شعرت بارتكاضه في بطنها.{م}

شرح لها الملاك عمل الله القوي، قائلاً: اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ[٥١]. الروح القدس نزل من فوق، قدَّس رحم العذراء، واستراح في ذلك المكان [لأن اَلرّوحُ يَهُبُّ حَيْثُ يَشَاءُ][٥٢]، ومزج* نفسه mingled himself بالطبيعة الجسدية التي للإنسان، وضَمَّ بالقوة والعظمة ما كان غريبًا عن طبيعته. ولئلا بسبب ضعف التركيب البشري ينتج الإخفاق، قوة العلي قد ظللت العذراء، وقَوَّت ضعفها في شبه سحابة تشكَّلت حولها، كي يمكن للظِل، الذي هو قدرة الله، أن يحصِّن هيكلها الجسدي لاستقبال القوة المنتجة التي للروح. هذا هو مجد الحَبَل.

الظواهر التي صاحبت مجد التنازل

٢٧- والآن دعونا نتأمل المجد الذي صاحَب الولادة، البكاء والمهد. الملاك يخبر يوسف أن العذراء يجب أن تلد ابنًا، وأن هذا الابن سوف يُدعى عمانوئيل، أي: اَللهُ مَعَنَا. الروح سبق وأخبر بهذا من خلال النبي، والملاك حمل الشهادة؛ الذي وُلِد هو الله الذي معنا. ضوء نجم جديد قد لمع بالأعلى للمجوس؛ علامة سماوية قد رافقت رب السماء. ملاك قد أحضر للرعاة خبر أن المسيح الرب قد وُلِد، مخلص العالم. جمهور من الجنود السماوية احتشدوا معًا لينشدوا تسبحة هذه الولادة؛ ابتهاج الجماعة الإلهية أعلن

---

[٥١] (لو ١: ٣٥)

[٥٢] (يو ٣: ٨)

* راجع التعليق السابق على ما جاء في فقرة ٢٤.{م}

عن تحقيق العمل العظيم. ثم أُذيع 'الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ'[٥٣]. والآن المجوس يأتون ويسجدون للمدثَّر بالقماط؛ بعد حياة مكرَّسة للمَذاهب الغامضة للفلسفة الفارغة قد أحنوا الركبة أمام طفل رضيع موضوع في مهده. وهكذا انحنى المجوس لتوقير ضَعف الطفولة؛ صيحاته يتم تحيتها بالفرح السماوي للملائكة؛ الروح الذي أوحى للنبي، الملاك المبشر، ضوء النجم الجديد، كلها تخدم حوله. بهذه الطريقة نزل الروح القدس والقوة المظلِّلة للعلي قد أحضرته إلى مولده. إن الحقيقة الداخلية مختلفة كثيرًا عن المظهر الخارجي؛ العين ترى شيئًا، والنفس ترى شيئًا آخر. العذراء تلد، وابنها هو من الله؛ رضيع يبكي، والملائكة تُسمَع مُسبِّحة؛ هناك قماطٌ خشن، والله يُسجد له. إن مجد عظمته لا يمكن أن يُصادَر حينما يتخذ الجسد المتواضع.

٢٨- هكذا كان أيضًا أثناء حياته الباقية على الأرض. لقد كان كل الوقت الذي مر به في الهيئة البشرية مقضيًا في أعمال الله. لا توجد لدي مساحةٌ للتفاصيل، لكن يكفي القول إن في كل أعمال القوة المتنوعة والشفاء الذي صنعه بحرص، الحق واضح في أنه كان إنسانًا بفضل الجسد الذي أخذه، وإلهًا ببرهان الأعمال التي عملها.

---

[٥٣] (لو ٢: ١٤)

الروح القدس لا يحتاج لدليل على وجوده

٢٩- فيما يتعلق بالروح القدس لا ينبغي أن أصمت، ومع ذلك فأنا لا أحتاج لأن أتكلم؛ ومع ذلك فلا يمكنني أن أمتنع، لأجل الذين هم في جهلٍ. لا توجد حاجة للكلام، لأننا مقيَّدين بالاعتراف به بشهادة الآب والابن. من جهتي أنا، أعتقد أنه من الخطأ مناقشة مسألة وجوده. إنه موجودٌ، مثلما هو مُعطَى، ومقبول، ومُحتَفَظ به. هو مرتبط بالآب والابن في اعتراف إيماننا، ولا يمكن أن يُستَثنى من الاعتراف الحقيقي بالآب والابن؛ انزَعوا جزءًا، وسوف يَفسَد الإيمان. لو أن أي أحدٍ سأل ما هو المعنى الذي نُلحِقه بهذا الاستنتاج، فلا بُد أنه قد قرأ مثلنا كلمات الرسول: بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا، يَا أَبَا، الآبُ[٥٤]، و: لاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ[٥٥]، وأيضًا: نَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ، بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ، لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ[٥٦]، وأيضًا: وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَاكِنًا فِيكُمْ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ[٥٧]، وكذلك: وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا (من أجل) رُوحِهِ السَّاكِنِ

---

[٥٤] (غل ٤: ٦)

[٥٥] (إف ٤: ٣٠)

[٥٦] (١ كو ٢: ١٢)

[٥٧] (رو ٨: ٩)

فِيكُمْ[٥٨]. وهكذا بما أنه مُعطَى من الله، ومُقتَنَى منه، وهو منه، فلندع طاعنوه يلتجئون إلى الصمت. حينما يسألون، مِمَن هو؟ إلى متى يبقى؟ مِن أي طبيعة هو؟ نُجيب بأنه هو الذي من خلاله توجد كل الأشياء، والذي منه كل الأشياء، وأنه هو روح الله، وعطية الله للمؤمن. إن كانت إجابتنا تثير استياءهم، فإن استياءهم لا بُد أن يقع أيضًا على الرسل والأنبياء، الذين تكلموا عنه بالضبط مثلما تكلمنا. وعلاوة على ذلك، الآب والابن لا بُد أن يتعرضا لنفس الاستياء.

سبب شك البعض بخصوص الروح القدس

٣٠- أعتقد أن السبب في استمرار بعض الناس في الجهل أو الشك هو أنهم يرون هذا الاسم الثالث، الذي للروح القدس، يُستَخدم غالبًا للدلالة على الآب أو الابن. لا يوجد احتياج لظهور أي اعتراضٍ على هذا؛ سواء كان آب أو ابن، فهو روح، وهو قدُس.

٣١- لكن كلمات الإنجيل: اَللهُ رُوحٌ[٥٩]، تحتاج إلى فحص دقيق لمعناه وغايته. فإن كل قولٍ له سبب سالف وهدف يجب أن يتم التحقق منه بدراسة المعنى. يجب أن نحمل هذا في العقل لئلا، بقوة الكلام (التالي): اَللهُ رُوحٌ، لا ننكر فقط الاسم، بل أيضًا عمل وهِبة الروح القدس. لقد كان الرب يتكلم مع امرأة سامرية، فإنه قد جاء ليكون الفادي لكل البشرية. بعد أن تحدَّث

---

[٥٨] (رو ٨: ١١)

[٥٩] (يو ٤: ٢٤)

باستفاضة عن الماء الحي، وعن أزواجها الخمسة، ثم عمَّن هو لها والذي ليس هو زوجها، أجابت المرأة: يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ. آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ[٦٠]. أجاب السيد: يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ. لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا[٦١].

إننا نرى أن عقل هذه المرأة مملوءٌ بتقليدٍ موروث، رغم أن الله يجب أن يُسجَد له سواء على جبل، مثلما في السامرة، أو في هيكل، مثلما في أورشليم؛ فإن السامرة بعصيانٍ للناموس قد اختارت موضعًا على الجبل للسجود، بينما اليهود قد تعلقوا بالهيكل الذي أسسه سليمان كبيتٍ لدينهم، وتحيُّز كليهما قد قيَّد الله قابل الكل وغير المحدود في قمة تلٍ أو قنطرة مبنية. الله غير مرئي، غير مُدرَك، لا حد له؛ الرب قال إن الساعة قد أتت حينما يجب أن يُسجَد لله لا على جبل ولا في هيكل. فإن الروح لا يُمكن أن يُحبَس أو يُقَيَّد؛ إنه كلي الوجود في المكان والزمان، وموجود تحت كل الظروف في ملئه. لذا فقد قال إن الساجدين الحقيقيين هم الذين يسجدون بالروح والحق.

---

[٦٠] (يو ٤: ١٩، ٢٠)

[٦١] (يو ٤: ٢١، ٢٢)

وهؤلاء الذين ينبغي أن يسجدوا لله الروح، بالروح يجب أن تكون لهم الوسيلة والغاية لتوقيرهم؛ فإن كل واحدةٍ من الاثنتين تبقى في علاقة مختلفة مع الساجد. الكلمات (التي تقول) اَللهُ رُوحٌ، لا تغير حقيقة أن الروح القدس له اسم خاص به، وأنه العطية التي لنا. المرأة التي قَصَرت الرب في تلٍ أو هيكلٍ قد أُخبِرت أن الله يحوي كل الأشياء وأنه ذاتي الاكتفاء؛ أن غير المرئي وغير المُدرَك، ينبغي أن يُسجَد له بطريقةٍ غير مرئية وغير مُدرَكة. لقد ظهرت العطية الممنوحة وموضع التبجيل بشكلٍ واضحٍ حينما علَّم المسيح أن الله، لكونه روحًا، ينبغي أن يُسجَد له بالروح، وأظهَر أيَّة حُرية وأيَّة معرفة، وأي مدى لانهائي للعبادة، يوجد في هذا السجود لله، الروح، بالروح.

٣٢- إن كلام الرسول له نفس المغزى: وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ[٦٢]. لقد ميَّز، لجعْل هذا المعنى واضحًا، بين الروح، الذي يوجد، والذي له الروح، المالك والمِلك، 'هو' و 'الذي له' هما شيآن مختلفان في المعنى. وهكذا حينما يقول: اَللهُ رُوحٌ، فإنه يُظهِر عدم محدودية الله؛ حينما أضاف: حَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ، فهُنَاكَ حُرِّيَّةٌ، فهو يشير إلى مَن يَخُص الله؛ فإنه روح الرب، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ، فهُنَاكَ حُرِّيَّةٌ. إن الرسول لم يصنَع التصريح بأية رغبة في جدالٍ خاص، لكن لأجل الوضوح. فإن الروح القدس هو واحد في كل مكان، ينير عقل كل رؤساء الآباء والأنبياء وكل

---

[٦٢] (٢ كو ٣: ١٧)

جماعة الناموس، يُلهِم يوحنا حتى في رحم أمه، وقد مُنِح في الوقت المناسب للرسل وبقية المؤمنين، حتى يمكنهم أن يدركوا الحق الذي مُنِح لهم.

الروح القدس هو رباط الاتحاد ومصدر النور

٣٣- دعنا نسمع من كلمات ربنا ما هو عمل الروح القدس داخلنا. إنه يقول: إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ[٦٣]. لأنه خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي[٦٤]. وأيضًا: وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ، لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ[٦٥]. هُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ[٦٦]. هذه الكلمات قد قيلت لتُظهِر العدد الوافر الذي سيدخل ملكوت السماء؛ إنها تحتوي على تأكيد رضا المُعطي، وشَكل وشروط الموهبة. إنهم يقولون كيف، لأن عقولنا الضعيفة لا يمكنها أن تُدرِك الآب أو الابن، لأن إيماننا الذي وَجد أن تجسد الله صعب الإيمان به سوف يستنير بعطية الروح القدس، رباط الاتحاد، ومصدر النور.

---

[٦٣] (يو ١٦: ١٢)

[٦٤] (يو ١٦: ٧)

[٦٥] (يو ١٤: ١٦، ١٧)

[٦٦] (يو ١٤: ١٣، ١٤)

شهادة الرسول بولس عن الروح القدس

٣٤- الخطوة التالية على نحو طبيعي هي الإصغاء إلى رواية الرسول عن قدرات ووظائف هذه الموهبة. إنه يقول: لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ. إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: يَا أَبَا الآبُ[٦٧]؛ وأيضًا: لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِرُوحِ اللهِ يَقُولُ: «يَسُوعُ أَنَاثِيمَا». وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ، يَسُوعُ رَبٌّ، إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ[٦٨]؛ ويضيف: فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ. وَأَنْوَاعُ خِدَمٍ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدٌ. وَأَنْوَاعُ أَعْمَال مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ، الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. وَلكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ. فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ، وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ، وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ، وَلآخَرَ تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ، وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ، وَلآخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ. وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ[٦٩]. هنا لدينا تصريح عن هدف ونتائج الموهبة؛ ولا يمكنني أن أتصور أي شيء يمكن أن يبقى، بعد هذا التعريف الواضح جدًا عن مصدره، وعمله وقدراته.

---

[٦٧] (رو ٨: ١٤، ١٥)

[٦٨] (١ كو ١٢: ٣)

[٦٩] (١ كو ١٢: ٤ - ١١)

٣٥- دعنا إذًا نستخدم هذه المعونة العظيمة، ونتطلع إلى خبرة شخصية عن هذه الموهبة الأكثر ضرورية. فإن الرسول يقول، في كلماتٍ قد استشهدتُ بها بالفعل: وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ، بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ، لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ[٧٠]. إننا نأخذه إذًا، لكي نعرف. إن قدرات الجسد الإنساني، لو أُنكِرَت ممارستها، فسوف تضطجع ساكنةً. العين بدون الضوء، طبيعيًا كان أم صناعيًا، لا يمكنها أن تحقق وظيفتها؛ الأذن سوف تكون جاهلةً بدورها إن لم يُسمَع صوت أو ضجيج؛ فتحات الأنف سوف تكون غير مدرِكة للغرض منها إن لم ينتشر عبير رائحةٍ ما. ليس أن القدرة سوف تُفقَد، لأنها لم تُستَدعى أبدًا للاستخدام، بل لأنه لن يكون هناك أي اختبارٍ لوجودها. هكذا أيضًا، نفس الإنسان، لو لم تكن حيازتها لعطية الروح بالإيمان، فسوف تحصل على القدرة الفطرية على إدراك الله، لكنها سوف تُحرَم من نور المعرفة. تلك العطية، التي هي بالمسيح، هي واحدة، قد قُدِّمَت يومًا ما، وقُدِّمَت كاملةً للكل؛ غير مُحرَّمة على أحدٍ، ومُعطاةً للكل حسب مقدار رغبته في الأخذ؛ مقاديرها الوفيرة تكون أوفَر كلما كانت الرغبة في اكتسابها أكثر جِدِّيةً. هذه العطية هي معنا حتى نهاية العالم، عزاء انتظارنا، عهد الرجاء الذي سوف يكون لنا، عن طريق الفضائل التي يمنحها، نور عقولنا، شمس نفوسنا. هذا الروح القدس يجب أن نطلبه وأن نلتمسه، ثم نبقى ثابتين بواسطة الإيمان والطاعة لوصايا الله.

---

[٧٠] (١ كو ٢: ١٢)

الكتاب الثالث

فكرة الاحتواء المتبادل صعبة على العقل البشري

١- إن كلمات الرب: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، تُشوِّش الكثير من العقول، وهذا أمر طبيعي لأن قدرات العقل البشري لا يمكنها إمداد تلك العقول بأي معنى يمكن أن يُدرَك بالعقل. مِن المستحيل أن يكون شيءٌ ما داخل وخارج شيء آخر في نفس الوقت، أو أن تلك الشخصيات[#] يمكن أن تحتوي بعضها البعض تبادليًا*، كي يمكن للواحد أن يُغَلِّف الآخر باستمرار، ويكون أيضًا مُغَلَّفًا باستمرار من الآخر، الذي يُغلِّفه بدوره - بما أنه قَد تم تقنين فكرة أن الشخصيات التي نتعامل معها، رغم عدم استقلال كلٍ منها في الوجود، إلا أنها تحتفظ بوجودها وحالتها الخاصين. هذه مشكلة لا يمكن لعقل إنسانٍ أن يحلها أبدًا، ولا يمكن أبدًا لبحث الإنسان أن يجد تشابهًا جزئيًا لتلك الحالة التي للوجود الإلهي. لكن غير المفهوم للإنسان

[#] أي الأقانيم.

* رغم أن فكرة الاحتواء المتبادَل كانت موجودة بشدة عند القديسين أثناسيوس (*De decr.*, 26)، وإبيفانيوس (*Anc.*, 10)، وإرينيئوس (*Adv. haer.*, 3.6.2, vol. 2, p. 22f)، وديونيسيوس السكندري (*ap.*)، وهيلاري (*De Trin.*, 3.4; 4.10.)، إلا أنه مما لا شك فيه أن أول من استخدم المصطلح نفسه 'περιχώρησις' بما يحمله من معنى لاهوتي، كان هو ق. غريغوريوس النزينزي (*Or.*, 18. 42; 22. 4; *Ep.*, 101. 6). راجع: *الإيمان بالثالوث*، توماس ف. تورانس، ترجمة د. عماد موريس. القاهرة: دار بناريون، طبعة ثانية نوفمبر ٢٠١٠، صـ ٢٨٢.{م}

مفهوم عند الله. أنا لا أريد أن أقول إن حقيقة أن هذا التأكيد قد فعله الله تجعله في التو مفهومًا لنا. يجب علينا أن نفهم بأنفسنا، ونصل لمعرفة معنى قوله: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ. لكن هذا سوف يعتمد على نجاحنا في التمسك بحقيقة أن البرهان القائم على أساس الحقائق الإلهية يمكنه أن يُرسِّخ استنتاجاته، بالرغم من أنها تبدو مناقضةً لقوانين الكون.

٢- فلأجل حل تلك المشكلة العويصة بأسهل ما يمكن، يجب أولاً أن نُخضِع المعرفة التي تُقدِّمها الأسفار المقدسة عن الآب والابن، حتى يمكننا هكذا أن نتكلم بدقةٍ أكبر، مثلما نتعامل مع الأمور المعروفة والمعتادة. إن أزلية الآب - كما استنتجنا بعد مناقشةٍ كاملةٍ في الكتاب الأخير - تتجاوز المكان والزمان والشكل وكل أنماط الفكر البشري. إنه خارج وضمن كل الأشياء، هو يحوي كل الأشياء ولا يمكن أن يحويه شيءٌ، غير قابل للتغيير بالزيادة أو بالنقصان، غير مرئيٍ، غير مُدرَك، تام، كامل، أبدي، لا يستمد شيئًا مما له من آخر؛ ومع ذلك، رغم ضرورة الاستمداد منه، إلا أنه مازال كاملاً وذاتي الاكتفاء.

تنازل الابن بالتجسد كان لأجل ضعفنا

٣- لذا، فإن غير المولود، قد وَلَد ابنًا قبل الزمن من ذاته؛ ليس من أي مادةٍ كانت موجودةً قبلاً، لأن كل الأشياء هي بالابن؛ ليس من لا شيء لأن الابن هو من ذات الآب؛ ليس عن طريق المخاض، لأنه لا يوجد في الله تغيير ولا باطل؛ ليس كجزءٍ من نفسه قد قُطِع أو أُزيل أو امتد، لأن الله بلا

ألم ولا جسد، فإن ما هو محسوس ومجسَّم هو فقط ما يمكن معاملته بهذه الطريقة. ومثلما يقول الرسول إن في المسيح: يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا. لقد وَلَد الابن الوحيد من جوهره الخاص غير المولود، مانحًا لاهوته الكامل في تلك الولادة من خلال المحبة والقدرة، بشكلٍ غير مُدرَك، يفوق الوصف، قبل الزمن والعالمين. وهكذا فهو المولود الوحيد، الكامل، الابن الأزلي من غير المولود، الكامل، الآب الأزلي. لكن تلك الخصائص التي له نتيجة للجسد الذي أخذه، هي ثمرة رضاه عن خلاصنا. لأن ابن الله، لكونه غير مرئيٍ وبغير جسدٍ وغير مُدرَك، قد أخذ على عاتقه هذا المقدار من المادة والدونية بمقدار ما هو مطلوب لأجل إدخاله داخل مجال فهمنا، وإدراكنا الحسي، وتأمُّلنا. لقد كان هذا تنازلاً لضَعفنا أكثر من كونه تنازلاً عن صفاته الحقيقية الخاصة.

هو الابن الكامل للآب الكامل

٤- إذًا فهو الابن الكامل للآب الكامل. المولود الابن الوحيد لله غير المولود، الذي قد أخذ الكل ممن يملك الكل، لكونه إلهًا من إله، روحًا من روح، نورًا من نور، يقول بجرأةٍ: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ. فلأن الآب روح، هكذا الابن روح؛ كما أن الآب هو إله، هكذا الابن إله؛ كما أن الآب هو نور، هكذا الابن هو نور. من ثَم فإن الخواص التي في الآب هي مصدر ما وُهِب للابن؛ إنه بالضبط ابن كامل لمَن هو آب كامل؛ لم يتم استيراده من الخارج، لأن قبل الابن لم يكن هناك شيء؛ ليس من لا شيء، لأن الابن

هو من الله؛ ليس ابنًا جزئيًا، لأن ملء اللاهوت هو في الابن؛ ليس ابنًا في نواحٍ معينةٍ، بل في الكل؛ ابن بحسب مشيئة مَن له القدرة، بطريقةٍ هو وحده الذي يعلمها. ما في الآب هو أيضًا في الابن؛ ما في غير المولود هو أيضًا في المولود الوحيد. الواحد من الآخر، وكلاهما في وحدةٍ؛ ليسا اثنين قد جُعلا واحدًا، بل واحد في الآخر، لأن ما في كليهما هو نفسه. الآب في الابن، لأن الابن منه؛ الابن في الآب، لأن الآب هو مصدره الفريد؛ المولود الوحيد هو في غير المولود، لأنه المولود الوحيد من غير المولود. هكذا تبادليًا كل منهما هو في الآخر*، فكما أن الكل كامل في الآب غير المولود، هكذا الكل كامل في الابن المولود الوحيد. هذه هي الوحدة الموجودة في الابن والآب، هذه هي القدرة، هذه هي المحبة؛ رجاءنا، إيماننا، حقَّنا، وطريقنا، وحياتنا ليست للتشكيك في قدرات الآب أو للتقليل من أهمية الابن، بل لتبجيل سِر وعظمة ميلاده؛ لجعل الآب غير المولود فوق كل منافسة، ولاعتبار الابن المولود الوحيد مساوٍ له في الأزلية والقدرة، للاعتراف بأن الله الابن هو من الله (الآب).

عُرس قانا الجليل

٥- مثل هذه القدرات هي في الله؛ القدرات التي لا يمكن لطُرُق عقلنا أن تفهمها، بل ما يقتنع به إيماننا، بالبرهان الأكيد لعمله. سوف نجد مراحل

* فكرة الاحتواء المتبادَل.{م}

هذا العمل في العالم الجسدي مثلما في الروحي، إظهاره يأخذ، ليس هيئة تشابه جزئي ربما يوضِّح الولادة، بل (هيئة) عملٍ مدهِشٍ مُدرَكٍ رغم ذلك.

في يوم عُرس قانا الجليل قد صار الماء خمرًا. أيوجد لدينا ما نقوله، أو توجد معانٍ نتحقق منها عن ما هي الطُرق التي سبَّبت التغيير الذي به اختفت (خاصية) عدم الطعم الخاصة بالماء، واستُبدِلت بالنكهة الكاملة للخمر؟ إنه لم يكن مزجًا بل خَلقًا، ولم يكن خلقًا من البداية**، بل تحوُّلاً. لم يكن الأمر أن سائلاً أضعف قد نتج من امتزاجٍ بعنصر أقوى، بل شيء موجود يفنى، وشيء جديد يأتي إلى الوجود. العريس كان قلقًا، الأسرة مشوشة، انسجام وليمة الزواج عُرِّض للخطر. طُلب من يسوع المساعدة. لم ينهض أو يشغل نفسه؛ لقد أتم العمل بدون جهدٍ. الماء قد صُبَّ في الأواني، الخمر قد زيد في الكؤوس. كان برهان وعي مَن يَصُب يتعارض مع النادل. مَن يصبُّون يتوقعون ماءً؛ مَن يُخرِجون (الماء المتحول إلى خمرٍ من الأجران) يعتقدون أنه لا بُد وأن يكون ما قد صُب (في الأجران) هو خمر. لا يمكن للوقت أن يقدم تقريرًا عن وجود أية زيادة أو نقصان للصفة في السائل. طريقة العمل حيَّرت البصر والفهم، لكن قدرة الله ظاهرة في النتيجة التي تحققت.

** أي ليس خلقًا من العدم، لكن من شيءٍ آخر قد تحول إلى جوهرٍ جديدٍ.{م}

الخمس خبزات والسمكتين

٦- في مسألة الخمس خبزات قد أثارت حيرتنا معجزةً مِن نفس النوع. بزيادتها قد نجا من الجوع خمسة آلاف رجل وعددًا لا يحصى من النساء والأطفال، لكن الطريقة لا يمكن لقدرات ملاحظتنا أن تُعرِّفها. خمس خبزات قد قُدِّمَت وكُسِرَت، وبينما كان الرسل يقسمونها إلى سلسلة متوالية من الحصص المخلوقة جديدًا، لم يمكنهم أن يُخبروا كيف مرَّت من خلال أيديهم. رغم أن الرغيف الذي يقسمونه لا ينمو ولا حتى بشكل قليل، إلا أن أياديهم استمرت مليئةً من القطَع. سرعة العملية قد حيَّرَت النظر، إذ تتبع بعينيك يدًا مملوءةً أجزاء، وفي غضون ذلك ترى أن محتويات اليد الأخرى لم تقِلّ، وكومة القِطَع تنمو طوال الوقت. الذين يقطعون مشغولون بمهمتهم، وملتهمو الطعام متمعنون في العمل؛ الجياع قد شبعوا، والكِسَر تملأ اثنتي عشرة قفة. النظر أو العقل لا يمكنهما اكتشاف أسلوب المعجزة الرائعة. ما لم يكن موجودًا قد خُلِق؛ ما نراه يتجاوز فهمنا. ملاذنا الوحيد هو الإيمان بالقدرة الكلية لله.

٧- لا توجد خدعةٌ في هذه المعجزات الإلهية، لا يوجد زَعمٌ ماكرٌ للمسرة أو للخداع. هذه الأعمال التي لابن الله قد تمت بدون رغبة في التباهي بالنفس؛ مَن تخدمه ربوات الملائكة لا يمكن أن يخدع الإنسان أبدًا. ما الذي يمكن أن يحتاج إليه مما لنا، مَن بواسطته قد خُلِق كل ما لنا؟ هل هو قد طَلَب منا أن نسبحه نحن، المثقلين الآن بالنوم، المتخَمين الآن بالشهوة، المحمَّلين بذنب الشغب وإراقة الدماء، المترنحين الآن من المُتعة

المفرطة، وهو الذي يسبحه في السماء رؤساء الملائكة، والرئاسات، والسلطات، والقوات، بلا نوم أو انقطاع أو إثم، بصوتٍ دائمٍ لا يفتر التسبيح؟ إنهم يسبحون صورة الله غير المرئي، لأنه قد خلق كل جيشهم بنفسه، وصنع العالمين، وأسس السموات، وحدد النجوم، وثبَّت الأرض، ووضع أساسات المحيط؛ لأنه بعد وقتٍ لاحقٍ قد وُلِد (كإنسانٍ)، وغَلب الموت، وسحق أبواب الجحيم، وربح لنفسه شعبًا ليكونوا وارثيه، ورفع الجسد من الفساد إلى مجد الأبدية. إذًا لم يكن هناك شيءٌ يمكنه أن يجنيه منَّا، قد يحثه على اتخاذ روعة هذه الأعمال السرية وغير الموصوفة، كما لو كان يحتاج لتسبيحنا. لكن الله قد عرف مقدار ضلال خطية وحماقة الإنسان، وعلِم أن عدم الإيمان سوف يجرؤ ويحكم حتى على أمور الله، ولذا فقد هزم الوقاحة بعلامات قوَّته التي يجب أن توقِف (قوتنا) الأكثر وقاحة.

اعتراضات الهراطقة

٨- فإن هناك الكثير من حكماء العالم الذين حكمتهم جهالة عند الله، الذين يعارضون إعلاننا عن وجود إله من إله، حق من حق، كامل من كامل، واحد من واحد، كأننا علَّمنا بأمورٍ مستحيلةٍ. هم يعلقون إيمانهم على استنتاجٍ محددٍ قد وصلوا إليه بالمنطق:- *لا يمكن أن يولد شيءٌ من واحدٍ، فإن كل ميلادٍ يتطلب وجود أبوين*، وأيضًا: *لو أن هذا الابن قد وُلِد من واحدٍ، فإنه قد أخذ جزءًا من والده: لو هو صار جزءًا، إذًا لا يوجد أحدٌ من الاثنين كاملاً، فإن هناك شيئًا مفقودًا ممَن قد خرج منه الابن، ولا يمكن*

*أن يوجد كمال في واحدٍ يتكون من جزءٍ من الآخر. وهكذا كلاهما غير كاملٍ، فإن الوالد قد فقد كماله، والمولود لم ينله**. هذه هي حكمة العالم التي تنبأ عنها الله حتى في أيام النبي، وأدانها من خلاله في قوله: سَأُبِيدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ، وَأَرْفُضُ فَهْمَ الْفُهَمَاءِ[1]. والرسول يقول: أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْكَاتِبُ؟ أَيْنَ مُبَاحِثُ هذَا الدَّهْرِ؟ أَلَمْ يُجَهِّلِ الله حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ؟ لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ الله بِالْحِكْمَةِ، اسْتَحْسَنَ الله أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ. لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ. لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ![2].

مشيئة الآب والابن واحدة

٩- لذا فابن الله، كمسئولٍ عن الجنس البشري، قد صار إنسانًا كي يؤمن البشر به؛ كي يكون لنا شاهدًا ينطلق من أنفسنا، ومن الأمور الإلهية، ويبشرنا نحن الضعفاء والجسديون من خلال ضعف الجسد بالأمور الخاصة بالله الآب، وهكذا يتمم مشيئة الآب، تمامًا مثلما يقول: لأني قد أتيت،

---

* أي الكمال.{م}

[1] (أش ٢٩: ١٤) في السبعينية، وهو ما قد تم اقتباسه في (١كو ١: ١٩).

[2] (١كو ١: ٢٠- ٢٥)

لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي[٣]. ليس أنه هو نفسه لا يشاء، بل أنه يمكنه أن يُظهِر طاعته كنتيجة لمشيئة أبيه، لأن مشيئته الخاصة هي أن يعمل مشيئة أبيه. تلك المشيئة هي أن يكمل مشيئة الآب التي شهد عنها في هذه الكلمات: أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ (أَيْضًا)، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي[٤].

لقد أظهر كل المهمة التي عُيِّن وخُصِّص لها في كلماتٍ قصيرةٍ وقليلةٍ. ورغم أن هذه الكلمات قصيرة وقليلة، إلا أنها الحارس للإيمان الحقيقي ضد كل اقتراحٍ من مكر الشيطان. دعونا نتأمل في إيجازٍ قوة كل عبارةٍ منفصلةٍ.

كل أحداث حياة المسيح كانت لتأكيد كونه إنسانًا كاملاً

١٠- إنه يقول: أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ. إنه يقول إن الساعة، وليس اليوم ولا الوقت، قد أتت. الساعة هي جزء من اليوم. ما هي هذه الساعة التي لا بُد أن تكون؟ الساعة، التي يتكلم عنها هي بالطبع لتقوية تلاميذه في وقت آلامه:- أُنْظُرُوا، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ لِيَتَمَجَّدَ

---

[٣] (يو ٦: ٣٨)

[٤] (يو ١٧: ١- ٦)

ابْنُ الإِنْسَانِ[٥]. هذه إذًا هي الساعة التي فيها صلى لكي يتمجد من الآب، لكي هو نفسه يمجد الآب. لكن ما هو الذي يعنيه؟ هل مَن هو مزمع أن يعطي المجد ينتظر أن يأخذه؟ هل مَن هو مزمع أن يمنح الكرامة يطلب لأجل نفسه؟ هل هو في احتياج لنفس الشيء الذي هو على وشك أن يعوِّض عنه؟ هنا دعوا فلاسفة العالم، حكماء اليونان، يهاجمون طريقنا، ويلقون شباكهم القياسية كي يوقعوا حقنا في الشَرَك. دعوهم يسألون كيف؟ ومن أين؟ ولماذا؟ وحينما لا يجدون أية إجابةٍ، فلنخبرهم أن هذا بسبب أن الله اخْتَارَ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ[٦]. هذا هو السبب في أننا نفهم في حماقتنا أمورًا غير مفهومة لفلاسفة العالم. الرب قد قال: أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ؛ لقد أظهر ساعة ألمه، لأن هذه الكلمات قد قيلت في نفس اللحظة؛ ثم أضاف قائلاً: مَجِّدِ ابْنَكَ. لكن كيف كان الابن سيتمجد؟ لقد وُلِد من عذراء، ومن المهد والطفولة قد نمى إلى منزلة الرجل، ومن خلال النوم والجوع والعطش والتعب والدموع قد عاش حياة الإنسان*: لقد كان حتى هذه اللحظة على وشك البصق عليه، والجَلد، والصَلب. لكن لماذا؟

---

[٥] (يو ١٢: ٢٣)

[٦] (١ كو ١: ٢٧)

* يقول ق. أثناسيوس: «لكن هذه (الانفعالات) لم تكن من طبيعة **الكلمة**، حسب كونه **الكلمة**، بل هي في الجسد الذي تأثر بها هكذا والذي كان **الكلمة** فيه، يا أعداء المسيح واليهود غير الشاكرين! لأنه لم يقل كل هذا قبل الجسد ولكن حينما 'صار **الكلمة** جسدًا' وصار إنسانًا، حينئذ كُتب عنه إنه قال هذا، أي إنسانيًا. فالذي كُتب عنه هذا، هو الذي أقام لعازر من الأموات، وحوَّل الماء خمرًا، ووَهب النظر للمولود أعمى، وقال: 'أنا والآب واحد' (يو١٠:٣٠). إذن

إن تلك الأشياء قد عُيِّنَت لكي نثق بأن في المسيح إنسانًا كاملاً. لكن عار الصليب ليس لنا؛ نحن لم يُحكَم علينا بالجلد، ولم نتدنس بالبصق. الآب يمجد الابن؛ كيف؟ لقد سُمِّر بعد ذلك على الصليب. ثم ماذا بعد

فإن كانوا يجعلون صفاته الإنسانية سببًا ليفكروا أفكارًا حقيرةً عن ابن الله، ويعتبرونه كله إنسانًا من الأرض، وليس من السماء، ولا يعرفون من أعماله الإلهية أنه هو **الكلمة** الذي هو في الآب، ومِن ثَم يتخلون عن كفرهم الذاتي؟ لأنه قد أُعطي لهم أن يروا كيف أن الذي يعمل هذه الأعمال هو نفسه الذي أظهر جسده متألمًا بسماحه له بالبكاء والجوع، وأن يُظهر الخواص الأخرى للجسد، لأنه بينما بواسطة مثل هذه (الخواص) قد عُرف أنه قد أخذ جسدًا متألمًا رغم أنه هو الله غير المتألم، إلا أنه من هذه الأعمال قد أظهر نفسه أنه حقيقةً **كلمة** الله الذي صار فيما بعد إنسانًا وقال رغم أنكم لا تؤمنون بي حيث تروني مرتديًا جسدًا بشريًا، فآمنوا بالأعمال 'لكي تعرفوا أني أنا في الآب، والآب فيّ' (يو١٠:٣٨). ويبدو لي أن أعداء المسيح لديهم وقاحة كبيرة وتجديف عظيم لأنهم حينما يسمعون القول 'أنا والآب واحد' (يو١٠:٣٠) فإنهم يشوهون المعنى بشدة ويفصلون وحدة الآب والابن، ولكن حينما يسمعون أنه بكى، وعرف، وتألم، لا ينسبونها لجسده بل يخصونه بسببها مع الخليقة وهو الذي به خُلقت الخليقة، إذن فبأي شيء يختلف هؤلاء عن اليهود؟ لأنه كما أن اليهود جدفوا ناسبين أعمال الله إلى بعلزبول، هكذا هؤلاء أيضًا، إذ يخصون الرب الذي صنع تلك الأعمال، مع الخلائق، سوف يعانون مع أولئك (اليهود) نفس الحكم بلا رحمة. كان ينبغي على هؤلاء عندما يسمعون 'أنا والآب واحد'، أن يروا فيه وحدة الألوهية وجوهر الآب ذاته، وأيضًا عندما يسمعون أنه 'بكى' وما يماثلها، أن يقولوا إن هذه الأمور هي خاصة بالجسد، أي أن الكلمات الأولى كُتبت عنه كإله والأخرى كُتبت عنه كإنسان، لأن خصائص الجسد لا يمكن أن تصير لمن هو بلا جسد لو لم يكن قد أخذ جسدًا قابلاً للفساد والموت». القديس أثناسيوس الرسولي: *المقالة الثالثة ضد الأريوسيين، الشهادة لألوهية المسيح*، ترجمة الأستاذ مجدى وهبة صموئيل ود. نصحى عبد الشهيد. القاهرة: المركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء، نوفمبر ١٩٩٤، الفصل التاسع والعشرون. من صـ ٩٧ إلى ٩٩.{م}

ذلك؟ الشمس بدلاً من أن تغرب قد فرَّت. كيف هذا؟ إنها لم تتراجع خلف سحابة، بل هجرت مدارها المحدد، وكل عناصر العالم شعرت بنفس الصدمة من موت المسيح. النجوم في طُرقها، لكي تتجنب اشتراكها في الجريمة، هربت من مشاهدة المنظر بإطفاء ذاتها. وماذا فعلَت الأرض؟ لقد اهتزت تحت ثقل حِمل الرب المعلق على الخشبة، معترضةً بأنه من الضعف تقييد هذا الذي يموت. ومع ذلك فلن يرفض الصخر والحجر أن يعطيا إياه مكانًا للراحة بالتأكيد. نعم، لقد انشقت وتشققت، وخارت قواها. لا بُد لهم أن يعترفوا بأن القبر المنحوت في صخر لا يمكنه أن يسجن الجسد الذي ينتظر دفنه.

اعتراف قائد المئة

١١- وماذا بعد؟ قائد المئة، حارس الصليب، قد صرخ قائلاً: حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ[٧]. لقد تحررت الخليقة بتوسط ذبيحة الخطية* هذه، إذ فقدت الصخور الحقيقية صلابتها وقوَّتها. هؤلاء الذين سمروه في الصليب يعترفون بأن هذا بالحقيقة ابن الله. الحصيلة تثبت التأكيد. الرب قد قال: مَجِّدِ ابْنَكَ. لقد أكَّد بكلمة 'ابْنَكَ' أنه كان ابن الله ليس بالاسم فقط، بل بالطبيعة. كلنا أولاد الله؛ وهو ابن بطريقة أخرى. فإنه الابن الحقيقي والخاص بالله،

---

[٧] (مت ٢٧: ٥٤)

* باعتبار أن المسيح هو الذبيحة الحقيقية، وأن ذبائح العهد القديم كلها كانت رمزًا للمسيح الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب لأجل خلاص جنسنا.{م}

بالنشأة وليس بالتبني، ليس بالاسم فقط بل بالحق، مولود وليس مخلوق. هكذا، بعد أن تمجد، قد وصل هذا الاعتراف إلى الحق؛ قائد المئة اعترف بأنه الابن الحقيقي لله، حتى إنه لن يشُك مؤمن في حقيقةٍ لم يستطع خادم مضطهديه أن ينكرها.

الآب يمجد الابن والابن يمجد الآب

١٢- لكن ربما يفترض البعض أنه قد أُخلي من ذاك المجد الذي صلى لأجله، وأن انتظاره لأن يتمجد ممن هو أعظم هو دليل على احتياجه للقوة. مَن، في الحقيقة، سوف ينكر أن الآب هو الأعظم؟ إن غير المولود أعظم من المولود، الآب أعظم من الابن، المُرسِل أعظم من المُرسَل، مَن يريد أعظم مِمن يطيع*. هو نفسه سوف يكون الشاهد على نفسه: الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي. إنها الحقيقة التي يجب أن نُدرِكها، لكننا يجب أن ننتبه لئلا تُخفي عظمة الآب مجد الابن لدى أصحاب العقول الضعيفة. مثل هذا الإبهام ممنوع بسبب نفس هذا المجد الذي صلى لأجله الابن؛ فإن صلاة: أَيُّهَا الآبُ، مَجِّدِ ابْنَكَ، قد كُمِّلَت بـ 'لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ'. هكذا ليس هناك افتقارٌ للقوة لدى الابن، الذي سوف يجعل عودته لتلك القوة بمجدٍ، حينما يقَبِل هذا المجد. لكن لماذا صلى هذه الصلاة، إلا إذا كان في احتياج؟ لا يوجد مَن يُقدِّم التماسًا إلا لأجل شيءٍ يحتاجه. أم هل يمكن أن يكون الآب أيضًا في عوزٍ؟ أم هل هو

* والكلام هنا معناه أن الابن يُعظِّم أبيه لكونه أبيه وليس لكونه أقل في العظمة. أنظر التعليق على فقرة ٥٦ من الكتاب التاسع.{م}

قد وَهب مجده بتهورٍ شديد لدرجة احتياجه لأن يستردها عن طريق الابن؟ كَلَّا؛ لم يكن الواحد في احتاجٍ أبدًا، ولا احتاج الآخر لأن يسأل، ومع ذلك فكلاهما سوف يُعطي للآخر.

إذًا فالصلاة لأجل نوال المجد ولأجل استرداده ليست هي سرقة للآب ولا انتقاص مِن قدر الابن، بل إظهارًا لقوة الألوهية الواحدة الكامنة في كليهما. الابن يصلي لأجل أن يتمجد من الآب؛ الآب لا يعتبر تمجيده بالابن إذلالاً. تبادل المجد المُعطى والمأخوذ يُعلِن وحدة القوة في الآب والابن.

مهمة الابن هي إعادة الحياة الأبدية لنا

١٣- يجب علينا بعد هذا أن نتحقق من 'متى؟ ومن أين؟' يكون هذا التمجيد. أنا متأكدٌ من أن الله غير معرَّض لأي تغييرٍ؛ أبديته لا تَسمح بأي عيبٍ أو تعديلٍ، باكتسابٍ أو فقدٍ. إنها صفته المميزة له هو وحده، أن ماهيته هي نفسها منذ الأزل. ماهيته منذ الأزل يستحيل أن تتوقف بسبب طبيعته. كيف إذًا يمكنه أن يقبل المجد، الشيء الذي يملكه بالتمام، والذي لا ينقص مخزنه منه؟ لا يوجد مجد جديد يمكن أن يحصل عليه، ولا شيء قد فقده يمكنه أن يسترده. لقد وصلنا إلى توقفٍ تامٍ. لكن الإنجيلي لا يُقصِّر معنا، رغم أن عقلنا قد أفصح عن كونه عاجزًا. ولكي يخبرنا ما هي عودة المجد التي كان يجب أن يصنعها الابن للآب، يعطينا الكلمات (التي تقول): إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ

هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ.

إذًا فالآب يتمجد من خلال الابن، وبكيانه قد صار معروفًا لنا. وكان المجد هكذا، أن الابن، لكونه قد صار جسدًا، قد قبِل منه قوةً فوق كل جسدٍ، **ومُهمة إرجاع الحياة الأبدية لنا**، نحن الكائنات سريعة الزوال التي أُثقِلَت بالجسد. الحياة الأبدية بالنسبة لنا لم تكن نتيجة عملٍ قد تَم، بل قوة متأصلة؛ **لم يكن نوال مجد هذه الأبدية بخلقٍ جديدٍ، بل ببساطةٍ بمعرفة الرب**. لم يُضاف شيئًا ما إلى مجد الله؛ إنه لم يَقِلّ، وهكذا لم يكن ممكنًا أن يُملأ ثانيةً. لكنه يتمجد من خلال الابن أمام أعيننا؛ ذلك الابن (الذي نراه وكأنه) مُبعَدٌ، مشوَّهٌ، قاطنٌ في موتٍ يائسٍ وظلامٍ غير شرعيٍ؛ ممجدًا كمجد الابن، بفعالية تلك القوة التي تفوق كل جسدٍ، والتي أعطاها الآب له لكي يمنحنا الحياة الأبدية. من خلال ذاك العمل الذي للابن يتمجد الآب. لذا فحينما قبِل الابن كل شيءٍ من الآب، مجَّده الآب؛ وبالعكس، حينما خُلِقَت كل الأشياء بالابن، قد مَجَّد الآب. عودة المجد المُعطَى تكمن هنا، حتى إن كل المجد الذي للابن هو مجد الآب، لأن كل شيءٍ له هو عطية الآب. فإن مجد مَن يُنجِز مُهمةً يرتد إلى مجد مَن أعطاها؛ مجد المولود لمجد الوالد.

معرفة الابن تعطي الحياة الأبدية

١٤- لكن عَلَامَ تتوقف الحياة الأبدية؟ إن كلماته تخبرنا (بالآتي):- أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. هل يوجد هنا أي شكٍ أو صعوبةٍ، أو أي تناقضٍ؟ إن الحياة هي معرفة الإله الحقيقي؛ لكن المعرفة المجردة به لا تعطي الحياة. فما الذي أضافه إذًا؟ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. في (جملة) أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، الابن يقدم الاحترام الذي يليق بأبيه؛ بإضافة: وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ، قد أرفق نفسه بالألوهية الحقيقية. المؤمن في اعترافه (بالإيمان) لا يرسم خطًا بين الاثنين، فإن رجاءه في الحياة يرتكز على الاثنين، وفي الواقع، الإله الحقيقي لا يمكن فصله عمَّن اسمه يتبعه في قانون الإيمان. لذا فحينما نقرأ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ، فإن هذه المصطلحات للمُرسِل والمُرسَل ليس المقصود منها - تحت أي شكلٍ من أشكال الاختلاف أو التمييز - أن تنقل اختلافًا بين الألوهية الحقيقية للآب والابن، بل أن تكون مرشدةً للاعتراف المُخلِص بهما كوالد ومولود.

كيف مجَّد الآب الابن على الأرض؟

١٥- وهكذا يمجد الابن الآب بشكلٍ كاملٍ ونهائيٍ في الكلمات التالية: أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. كل تمجيد الآب هو من الابن، لأن كل تمجيدٍ يُمنَح للابن هو تمجيد للآب، لأن كل ما أكمله هو ما أراده الآب. ابن الله قد وُلِد كإنسانٍ؛ لكن قوة الله (تظهر) في

الميلاد البتولي. ابن الله قد شوهد كإنسانٍ؛ لكن الله حاضرٌ في أعماله البشرية. ابن الله سُمِّر على الصليب؛ لكن على الصليب قد قهر الرب موت الإنسان. المسيح ابن الله يموت، لكن كل جسدٍ قد خُلِق حيًا في المسيح. ابن الله في الجحيم، لكن الإنسان يُعاد إلى النعيم. كما نسبح المسيح على هذه الأشياء التي هي أعماله، هكذا سوف يكون التسبيح الذي نقدمه لمَن منه ألوهية المسيح. تلك هي طُرُق تمجيد الآب للابن على الأرض؛ وفي المقابِل يُظهِر الابن ذاك الذي هو منه، بأعمال القوة، لجهالة الأمم وحماقة العالم. هذا التبادل للمجد، المُعطَى والمأخوذ، لا يتضمن أية زيادة للألوهية، بل يعني تسبيحات مَن عاشوا يجهلون الله لأجل المعرفة الممنوحة. عجبًا، ما هو الذي لا يملكه الآب، الذي منه كل الأشياء، بغنى؟ ما الذي كان ينقص الابن، الذي فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا بسرور؟ إن الآب يتمجد على الأرض لأن العمل الذي أمر به قد تم.

تلك الصلاة كانت لأجل أن يقبل الجسد المجد الأزلي

١٦- دعونا نرى أيضًا ما هو هذا المجد الذي ينتظر الابن استقباله من الآب، وساعتها سوف يكمل شرحنا. التتمة هي: أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ، مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ.

إذًا فالآب يتمجد بعمل الابن، وبهذا يُدرَك كإله، كآب لله الابن الوحيد، الذي من أجل خلاصنا شاء أن يولَد ابنه كإنسانٍ، حتى لو من عذراء؛ هذا الابن الذي كل حياته، التي كمُلَت في الألم، كانت متلائمةً مع تواضع الميلاد البتولي. هكذا، بسبب أن ابن الله، كلي الكمال والمولود منذ الأزل في ملء اللاهوت، قد صار الآن إنسانًا بالتجسد وكان مستعدًا لموته، فهو يصلي لكي يتمجد مع الله، في نفس الوقت الذي كان فيه يمجد أباه على الأرض، إذ في تلك اللحظة كانت تتمجد قوى الله في الجسد أمام أعين العالم التي لم تعرفه. لكن ما هو هذا المجد الذي مع الآب، والذي ينظر إليه؟ إنه بالتأكيد ما كان له معه قبل كون العالم. إن له ملء اللاهوت الذي مازال له لكونه ابن الله. لكن مَن كان ابن الله قد صار ابن الإنسان أيضًا، فإن: الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا. إنه لم يفقد كيانه السابق، بل قد صار ما لم يكنه قبلاً؛ إنه لم يتنازل عن مقامه الخاص، ومع ذلك فقد أخذ الذي لنا*؛ إنه يصلي لكي تُرفَع الطبيعة التي اتخذها إلى المجد الذي لم يتخلَ عنه. لذا، بما أن الابن هو **الكلمة**، و**الكلمة** قد صار جسدًا، وكان في البدء عند الله، و**الكلمة** كان ابنًا قبل تأسيس العالم، إذا **فهذا الابن، الذي تجسد الآن، قد صلى لكي يكون الجسد عند الآب مثلما كان الابن. لقد صلى لكي يقبل الجسد، المولود تحت الزمن، إشراق المجد الأزلي، ولكي يُبتَلَع فساد الجسد، ويتغير إلى قوة الله ونقاوة الروح.** إنها صلاته إلى الله، اعتراف الابن بالآب،

* مثلما نقول في ثيئوطوكية يوم الجمعة: 'هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له'.{م}

توسل الجسد الذي به سوف يراه الكل يوم الدينونة، المطعون والحامل لعلامات الصليب؛ الجسد الذي به قد أُنبئ عن مجده فوق الجبل، الذي به صعد إلى السماء وجلس عن يمين الله، الذي رآه به بولس (الرسول)، وقدم له ق. اسطفانوس السجود.

اسم الله مُعلَن منذ البدء للخليقة كلها

١٧- وهكذا قد أُظهِر اسم 'الآب' للبشر؛ (هنا) يظهر السؤال، ما هو هذا الاسم الذي يخص الآب؟ في الواقع، لم يكن اسم الله مجهولاً أبدًا. لقد سمعه موسى من العليقة، وسفر التكوين أذاعه في بداية قصة الخليقة، والناموس أعلن عنه والأنبياء مجدوه، وتاريخ العالم جعل الجنس البشري معتادًا عليه؛ الوثنيون بالذات قد عبدوه تحت ستار الكذب. لم يُترَك البشر أبدًا في جهلٍ باسم الله. ومع ذلك فهم كانوا في الحقيقة، في جهلٍ. فإنه لا يوجد إنسان يعرف الله إن لم يعترف به كآب، أبٌ للابن المولود الوحيد، ويعترف أيضًا بالابن، ابنًا ليس بشركة أو امتداد أو تسلسل، بل مولود منه، كابن للآب، بشكل يفوق الوصف ولا يمكن إدراكه، ويحتفظ بملء ذاك اللاهوت الذي منه وبه قد وُلِد كإله حقيقي وغير محدود وكامل. هذا هو ما يعنيه مِلْءِ اللاَّهُوتِ. لو فُقِد أي من تلك الأشياء، فلن يكون هناك هذا الملء الذي سُر أن يوجد فيه. هذه هي رسالة الابن، ظهوره للناس في جهلهم. الآب يتمجد من خلال الابن حينما يدرك الناس أنه آبٌ لابنٍ إلهيٍ أيضًا.

رغم وضوح أعمال الله إلا أننا لا يمكننا إدراكها

١٨- لقد أراد الابن أن يؤكد لنا حقيقة ميلاده الإلهي، لذا فقد وَظَّف أعماله لكي تخدِم كتوضيحٍ، كي يمكننا أن نتعلم درس الميلاد فائق الوصف، من القوة فائقة الوصف، الظاهرة في الأعمال التي تفوق القوة. على سبيل المثال، حينما تحول الماء إلى خمرٍ، وأشبعت الخمسة أرغفة خمسة آلاف رجلٍ، إلى جانب النساء والأطفال، وامتلأت اثنتا عشرة قفةٍ بالكِسَر، فنحن نرى حقيقةً رغم أننا لا يمكننا أن نفهمها؛ عملٌ قد تم، رغم أنه يحير عقلنا؛ لا يمكن متابعته، رغم أن النتيجة واضحة.

من الحماقة أن نتطفل بروح الانتقاد، حينما تكون المسألة التي نتحقق منها مثل هذه، حتى إننا لا يمكننا أن نفحصها بدقةٍ كي نبلغ قرارها. فبالرغم من أن الآب يفوق الوصف لأنه غير مولودٍ، إلا أن الابن أيضًا يفوق الوصف لأنه المولود الوحيد، فإن المولود هو صورة غير المولود. والآن لكي نُكوِّن فكرتنا العامة عن صورةٍ ما، ينبغي لنا أن نستخدم حواسنا ولغتنا؛ ويجب أن يكون تكويننا لفكرتنا عمَّا تُقدِّمه الصورة بنفس الطريقة. لكن في هذه الحالة، نحن الذين يمكن لقدراتنا فقط أن تتعامل مع الأشياء المرئية والملموسة، نجهد أنفسنا وراء ما هو غير مرئي، ونكافح لأجل فهم غير المحسوس. ومع ذلك فنحن لا نخجل من أنفسنا، ولا نلوم أنفسنا على عدم التوقير، حينما نشُك وننتقد أسرار وقدرات الله. كيف هو الابن؟ ومن أين هو؟ وما الذي فقده الآب بولادته له؟ مِن أي جزءٍ من الآب قد وُلِد؟

هكذا نسأل؛ ومع ذلك فطوال الوقت يواجهنا برهان الأعمال التي حدثت لتؤكد لنا أن عمل الله غير محدود بقدرتنا على فهم طُرقه.

كما أن العذراء لم تنقص شيئًا حينما ولدت المسيح، هكذا أيضًا الآب لم يفقد شيئًا بولادة الابن

١٩- أنتم تسألون كيف كانت الطريقة التي وُلِد بها الابن، كما يُعلِّمنا الروح؟ سوف أضع أمامكم سؤالاً عن أمورٍ مادية. أنا لا أسأل عن طريقة ولادته من عذراء؛ أنا فقط أسأل إن كان جسدها، في طريق إحضار جسده إلى الاستعداد للولادة، قد عانى من أية خسارةٍ. يقينًا هي لم تحبل به بالطريقة المعتادة، أو تخجل جراء الجماع البشري، لكي تلده؛ ومع ذلك فقد ولدته، كاملاً في جسده البشري، بدون أن تفقد كمالها الخاص. التقوى الثابتة تتطلب وجوب أن ننظر إلى الشيء المستطاع عند الله، الذي نراه قد صار مستطاعًا بواسطة قدرته في حالة إنسان[٨].

[٨] هذا الجدال هو ضد الاعتراض بأن الله لا بُد أنه قد عانى من النقصان لو أن المسيح ابنه. لو أن الله أبوه والمصدر الوحيد لوجوده، فلا بُد ان يكون المسيح قد جاء للوجود بالانفصال عن الآب؛ أي أن الآب لا بُد أن يكون قد عانى من الانتقاص وفقدان كماله. الجواب هو أن المرأة - العذراء، التي كانت هي الوالد الوحيد للمسيح (لأن المسيح ليس له والدان) - لم تعانِ من نقصان كمالها الجسدي بصيرورتها أم.

دخول المسيح القائم من الأبواب المغلقة

٣٠- أما أنتم، أيًا كُنتم، يا مَن تبحث عمَّا هو خفي، وبكل خطورةٍ تُكوِّنون رأيًا عن أسرار وقدرات الله، أنا أطلب منكم النصيحة، وأترجاكم أن تنيروني، أنا المؤمن غير البارع والبسيط بكل ما يقوله الله، في مثل هذا الحدث الذي أنا مزمع أن أذكره. إنني أنصت إلى كلام الرب، وبما أني أؤمن بما هو مدوَّن، فأنا متأكدٌ من أنه بعد قيامته قد عرَّض نفسه بالجسد بشكلٍ متكررٍ لمرأى الجموع غير المؤمنة. على أية حالٍ، فقد فعل كذلك مع توما الذي اعترض بأنه لن يؤمن ما لم يلمس جروحه. كلماته هي: إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لاَ أُومِنْ[٩]. لقد تنازل الرب إلى مستوى فهمنا الضعيف، ولكي يُقنِع شكوك العقول غير المؤمنة قد صنع معجزة بقوَّته غير المنظورة. فهل يمكنكم، أيها الناقدون لطُرق السماء، أن تفسِّروا عمله؟ لقد كان التلاميذ في حجرةٍ مغلقة، وتقابلوا وأقاموا اجتماعهم في السر منذ آلام الرب. الرب يقدم نفسه لكي يقوِّي إيمان توما بمواجهة تحديه؛ لقد أعطاه جسده كي يلمسه، وجروحه كي يجسها. في الواقع، إن مَن يُعتَرَف بأنه قد احتمل جروحًا، لا بُد أنه قد احتاج أن يُقدِّم الجسد الذي قُبِلَت فيه هذه الجروح. إنني أتسأل: مِن أية نقطةٍ في جدران ذاك البيت المغلق قد دخل الرب جسديًا؟ لقد سجَّل الرسول الأحداث بإحكامٍ دقيقٍ: جَاءَ يَسُوعُ وَالأَبْوَابُ مُغَلَّقَةٌ،

---

[٩] (يو ٢٠: ٢٥)

وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ[١٠]. هل هو اخترق من خلال الطوب والملاط، أم من خلال الخشب القوي، المواد التي طبيعتها بالذات تعيق التقدم؟ لأنه هناك قد وقف بحضورٍ جسديٍ؛ لم تكن هناك أية شبهة للخداع. دعوا أعين عقلكم تتبع طريقه عند دخوله؛ دعوا رؤيتكم العقلية ترافقه عند مروره من خلال هذا المنزل المغلق. لا توجد أية ثغرة في الجدران، لا يوجد بابٌ قد فُتِح؛ انظروا الآن، إنه ذاك الذي لا يمكن لقُدرَته أن يقاومها أي حاجزٍ يقف في المنتصف. أنتم تنقدون أمورًا غير مرئيةٍ، لذا فأنا أسألكم أن تشرحوا حدثًا مرئيًا. كل شيءٍ يبقى ثابتًا كما كان؛ لا يوجد جسد قادر على دَس نفسه من خلال فواصل الخشب والحجر. جسد الرب لا ينثر نفسه، لكي يجتمع ثانيةً بعد اختفاءٍ؛ والآن من أين جاء مَن يقف في المنتصف؟ لن تقوى أحاسيسكم وكلماتكم على تفسير هذا؛ الحقيقة مؤكدة، لكنها تكمن وراء منطقة التفسير البشري. لو أن فكرتنا عن الميلاد الإلهي كذبٌ، فاثبِتوا إذًا أن هذه الفكرة عن دخول الرب هي خيال. لو افترضنا أن حدثًا ما لم يحدث، لأننا لا يمكننا أن نكتشف كيف حدث، فنحن نجعل حدود فهمنا داخل حدود الواقع. لكن حقيقة البرهان تُثبِت خطأ تكذيبنا. لقد وقف الرب في بيت مغلق وسط التلاميذ؛ الرب قد وُلِد من الآب. لا تنكروا أنه وقف، لأن حصافتكم السقيمة لا يمكنها أن تتحقق من كيفية حضوره هناك؛ اتركوا عدم الإيمان بالله المولود الوحيد والابن الكامل لله غير المولود

---

[١٠] (يو ٢٠: ٢٦)

والآب الكامل، الذي هو مبني فقط على قدرة العقل واللغة على فهم المعجزة الفائقة التي لتلك الولادة.

جحود الإنسان على الله

٢١- بل والأكثر من ذلك أن كل قانون الطبيعة سوف يؤيدنا في مواجهة عدم تقوى الشك في أعمال وقدرات الله. لكن عدم إيماننا يطعن حتى في الحقيقة الواضحة؛ نحن نكافح في حقدنا لدرجة أننا نسلب من الله عرشه. إن أمكننا، فسوف نتسلق بقوة الجسد إلى السماء، وندفع الطُرق المنظَّمة للشمس والنجوم نحو الفوضى، ونُفسِد نظام انحسار وتدفُّق الفيضانات، ونُكبِح الأنهار عند منابعها أو نجعل مياهها تتدفق إلى الوراء، ونزعزِع أساسات العالم، نتيجة عدم توقيرنا لعمل الله الأبوي، وغضبنا الشديد على هذا العمل. جيدٌ أن حدودنا الجسدية تقيدنا داخل قيود أكثر تواضعًا. يقينًا لا يوجد كتمان للأذى الذي سنسببه إن أمكننا. نحن من ناحيةٍ أحرارٌ، (لكننا) كذلك بغطرسةٍ مجدِّفةٍ نُشوِّه الحقيقة ونوجِّه أسلحتنا نحو كلام الله.

عطية المخلِّص هي معرفة الآب:

٢٢- الابن قد قال: أَيُّهَا الآبُ، أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ. ما الداعي إذًا للشجب أو الغضب هنا؟ هل أنتم تنكرون الآب؟ لماذا؟ لقد كان الهدف الأساسي للابن هو أن يجعلنا قادرين على معرفة الآب. لكنكم في الحقيقة تنكرونه حينما تقولون، بحسب كلامكم، إن الابن لم يولَد منه. ومع ذلك

لماذا يجب أن يكون له لقب ابن إن كان، مثل الآخرين، مخلوقًا بحسب إرادة الله؟ ينبغي أن أشعر بالرعب من (فكرة) أن الله هو خالق المسيح مثلما هو مؤسس الكون؛ كما لو كان اختبارًا للقدرة الجديرة به أن يكون صانعًا لمَن خلق رؤساء الملائكة والملائكة، ما يُرى وما لا يُرى، السماء الأرض وكل الخليقة التي حولنا. لكن العمل الذي جاء الرب ليعمله لم يكن لكي يجعلكم قادرين على إدراك القُدرة الكلية لله كخالقٍ لكل الأشياء، بل ليجعلكم قادرين على معرفته كأب لذلك الابن الذي يخاطبكم. توجد في السماء قوى أخرى، قوى عظيمة وأبدية، لكن لا يوجد سوى ابن مولود وحيد، والفرق بينه وبينهم ليس مجرد درجة العظمة، بل أنهم كلهم قد خُلقوا به. بما أنه هو الابن الحقيقي والوحيد، فدعونا لا نجعله ابنًا غير شرعي بتأكيدنا أنه لم يُخلَق من شيء. أنتم تسمعون هذا الاسم 'ابن'، فآمِنوا أنه هو الابن. أنتم تسمع هذا الاسم 'آب'، فثبِّتوا في عقلك أنه الآب. لماذا تحيطون تلك الأسماء بالشك والضغينة والعداء؟ إن أمور الله مجهَّزة بأسماء تعطي إشارة حقيقية عن الحقائق؛ لماذا تُقحِمون معنىً استبداديًا على معناها الواضح؟ الآب والابن منطوقٌ بهما، فلا تشُكُّوا في أن الكلام يُقصَد به ما يقولاه. نهاية وهدف استعلان الابن هو أنكم يجب أن تعرفوا الآب. لِما تُبطِلون تعب الأنبياء، تجسد **الكلمة**، مخاض العذراء، تأثير المعجزات، صليب المسيح؟ لقد بُذِل كل هذا من أجلكم، الكل قد قُدِّم لأجلكم، لكي من خلاله يُعلَن لكم كلاً من الآب والابن. وأنتم تستبدلون الحقيقة بنظرية لفعل استبدادي، عن الخلق أو التبني. حوِّلوا أفكاركم للصراع، والنزاع الذي

قام به المسيح*. لقد صوَّره هكذا: أَيُّهَا الآبُ، أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ. هو لم يقُل 'أنت قد خَلقت خالق كل السموات'، أو 'أنت قد صنعت صانع الأرض كلها'. إنه يقول: أَيُّهَا الآبُ، أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ. اقبَلوا عطية مخلصكم التي هي المعرفة. تأكدوا من أن هناك أبًا يلد، وابنًا قد وُلِد؛ وُلِد في حقيقة طبيعته من الآب، الذي هو (كائنٌ). تذكروا أن الإعلان ليس هو عن الآب المُعلَن كإله، بل عن الإله المُعلَن كآب.

وحدة الجوهر وتمايز الأقانيم

٢٣- أنتم تسمعون قوله: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ[١١]. لماذا تمزقون وتنزعون الابن بقوةٍ عن الآب؟ إنهما وحدةٌ، وجودٌ مُطلَقٌ كل ما له هو في شركةٍ كاملةٍ مع الوجود المُطلَق، الذي هو منه. حينما تسمعون الابن يقول: وأَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، فلتكيِّفوا رؤيتكم للحقائق على وجود شخصين*؛ اقبلوا التصريح الذي قدَّمه الوالد والمولود بخصوص نفسيهما. آمنوا أنهما واحدٌ، مثلما هما أيضًا والد ومولود. لماذا تنكرون الطبيعة المشترَكة؟ لماذا تطعَنون في اللاهوت الحقيقي؟ أنتم تسمعون ثانيةً: الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِي الآبِ[١٢]. لقد أعلنَت أعمال الابن حقيقة هذا القول عن الآب والابن. إن معرفتنا لا يمكنها أن تُغَلِّف

---

* أي صلاته بلجاجة في بستان جثسيماني.{م}

[١١] (يو ١٠: ٣٠)

* أي أقنومين.{م}

[١٢] (يو ١٠: ٣٨)

جسدًا في جسدٍ، أو تسكُب واحدًا في الآخر، مثل الماء في الخمر؛ لكننا نعترف بأن في كليهما يوجد تساوٍ في قوة وكمال اللاهوت. فإن الابن قد قبِل كل شيءٍ من الآب؛ إنه صورة الله، ورسم جوهره. إن جُملة 'رَسْمِ جَوْهَرِهِ'[#] تُميِّز بين المسيح ومَن هو منه، لكن لأجل ترسيخ وجودهما المتمايز فقط، وليس لأجل التعليم بوجود اختلاف في الطبيعة؛ ومعنى أن الآب في الابن والابن في الآب هو أن هناك الملء الكامل للاهوت في كليهما. الآب لا يضعف بوجود الابن، ولا الابن شذرة مبتورة من الآب. الصورة تتضمن أصلها؛ فالتشابه هو مصطلح نسبي. على العموم، لا يوجد شيء يمكنه أن يكون مثل الله إلا إذا كان مصدره هو؛ التشابه الكامل يمكن أن ينعكس فقط مما يمثِّله؛ الشَبَه الدقيق يمنع تظاهر أي عنصر بالاختلاف. لا تُشوِّشوا هذا التشابه؛ لا تصنعوا تفريقًا مادام الحق لا يُظهِر اختلافًا، فإن مَن قال:

[#] (عب ١: ٣) وهذه الآية من الآيات الهامة جدًا التي استند عليها الآباء في دفاعهم عن ألوهية الابن المتجسد، على سبيل المثال قد وردت في *'حوار حول الثالوث'* للقديس كيرلس الكبير، ترجمة د. جوزيف موريس. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الجزء الأول، ط٢ صـ ٤٢؛ ج٢، ط٢، صـ ١٥؛ ج٣، ط١، صـ ٧. وفي سياق رده على الذين يخلطون بين صفتي 'الخلق' و 'الولادة' في الطبيعة الإلهية البسيطة، استخدم ق. كيرلس هذه الآية وتساءَل قائلاً: "كيف يمكن أن نعتقد أن الابن هو رسم المجد الذي لا يُعَبَّر عنه، وبهاء جوهر الله الآب، إن لم يكن يمتلك امتياز كونه مولودًا، أو إن كانت ولادته مجرد كلمات جوفاء أو إن كان مختلفًا في طبيعته عن الآب، وبذلك يُحسَب ضمن المخلوقات؟ وفي هذه الحالة ما الذي يمنعنا من أن نحسب الآب أيضًا ضمن باقي المخلوقات، ونضطر نتيجة لذلك أت نعتبر الآب مثل باقي الكائنات التي تخضع للتغيير مادام صورته ورسم جوهره خاضعًا أيضًا للتغيير". المرجع السابق ج١، ط٢، صـ ١٠٦.{م}

نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا[١٣]، قد أظهر بهذه الكلمة 'شَبَهِنَا' وجود كيانات، كلٌّ مثل الآخر. لا تلمسوا، لا تمسكوا، لا تُفسِدوا. تمسكوا جيدًا بالأسماء التي تُعلِّم الحق؛ تمسكوا جيدًا بتصريح الابن عن نفسه. أنا لن أضطركم لتملُّق الابن بتسابيح من إبداعكم، بل تكفيكم الكلمة المكتوبة.

لا يمكن للمخلوق أن يفهم الخالق

٢٤- مرة أخرى، يجب ألا نثق ثقةً عمياء في العقل البشري بأن نتخيل أن لنا معرفةً بدوافع فكرنا، أو أن المشكلة الجوهرية سوف تُحَل بمجرد أن نكوِّن نظريةً متناسقةً وثابتةً. العقول المحدودة لا يمكنها أن تفهم غير المحدود؛ الكيان الذي في وجوده يتبع آخر لا يمكنه أن يبلغ إلى المعرفة الكاملة سواء بخالقه أو بنفسه، لأن إدراكه لنفسه يتلون حسب ظروفه، وتوضع القيود التي لا تسمح بتجاوز قدرته على الفهم. فعاليته ليست من ذاتها، بل بسبب الخالق، والكيان الذي يتبع الخالق ليس له امتلاك كامل لقدراته، لأن مصدره خارجًا عنه. لذا من الغباء أن يقول هذا الكيان، بحكم عنيد، أن له معرفةً تامةً بأي أمرٍ؛ قدراته لها حدود لا يمكنه أن يُعدِّلها، ولو قيل بشكلٍ وهميٍ فقط إن قيوده الضئيلة لها حدود مشترَكة مع عدم المحدودية، فحينئذٍ يمكنه أن يفتخر افتخارًا فارغًا بامتلاكه للحكمة. لأنه عاجزٌ عن الحكمة، فمعرفته تكون محدودةً بمدى قدرته على الفهم،

---

[١٣] (تك ١: ٢٦)

ويشترك في ضعف وجوده التابع. لذا فادعاء طبيعة محدودة، تتبجح بأنها تملك الحكمة التي تنبثق فقط من معرفة غير محدودة، يستحق احتقار وسخرية الرسول، الذي وصف تلك الحكمة بالحماقة. فهو يقول: لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يُرْسِلْنِي لأُعَمِّدَ بَلْ لأُبَشِّرَ (بالإنجيل)، لاَ بِحِكْمَةِ كَلاَمٍ لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ. فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «سَأُبِيدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ، وَأَرْفُضُ فَهْمَ الْفُهَمَاءِ». أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْكَاتِبُ؟ أَيْنَ مُبَاحِثُ هذَا الدَّهْرِ؟ أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ؟ لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ، اسْتَحْسَنَ اللهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ. لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ. لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ![14]. وهكذا فكل عدم إيمان هو حماقة، لأنه يعتبر مثل هذه الحكمة هي القدرة الخاصة المحدودة على الفهم التي يمكنه أن يصل إليها، ويقيس عدم المحدودية بهذا المقياس التافه، مستنتجًا أن ما لا يمكنه أن يفهمه لا بُد وأن يكون أمرًا مستحيلاً. إن عدم الإيمان هو نتيجة عدم قدرة المشارك في الجدال. هؤلاء أناس متأكدون من أن الحدث لم يحدث، لأنهم قرروا أنه لا يمكن أن يحدث.

---

[14] (١ كو ١٧- ٢٥)

حكمة البشر غير حكمة الله

٢٥- لذا فالرسول، المعتاد على الافتراض الضيق لفكر الإنسان بأن ما لا يعرفه هو ليس حقيقةً، يقول إنه لا يتكلم بحكمة الكلام لئلا تصبح كرازته باطلة. ولكي ينقذ نفسه من أن يُعتَبَر كمن يُبشِّر بالجهالة، يضيف أن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة. لقد عرف أن غير المؤمنين يتمسكون بأن المعرفة الحقيقية فقط هي التي كوَّنت حكمتهم الخاصة، وأنه، بما أن حكمتهم عالِمة فقط بالأمور التي تكمُن داخل أفقهم الضيق، إذًا **فالحكمة** الأخرى، التي هي فقط إلهية وكاملة، قد بَدَت حماقةً بالنسبة لهم. وهكذا فإن جهالتهم في الحقيقة تكمن في ذاك التخيل الضعيف الذي أساءوا به فهم الحكمة. لذا فهذه الأشياء بالذات التي للهالكين جهالة هي قوة الله للمُخَلَّصين؛ فإن المُخلَّصين لا يستخدمون أبدًا قدراتهم غير الكافية كمقياس، بل ينسبون الأعمال الإلهية للقدرة الكلية لله. الله يرفض حكمة الحكماء وفهم الفهماء بهذه الطريقة، فلمجرد أنهم يدركون جهالتهم الخاصة، يُمنح الخلاص لهؤلاء المؤمنين. غير المؤمنين يعلنون رأي الجهالة في كل شيء يقع فوق مدى إدراكهم، بينما المؤمنون يتركون لقدرة وعظمة الله اختيار الأسرار التي بها يُمنَح الخلاص. لا توجد جهالة في أمور الله؛ الجهالة تكمن في تلك الحكمة البشرية التي تطلب من الله، كشرط للإيمان، الآيات والحكمة. إنها جهالة اليهود التي تطلب آيات؛ لديهم بعض المعرفة باسم الله من خلال المعرفة الشخصية الطويلة بالناموس، لكن جريمة الصليب تُقاومهم. جهالة اليونانيين تطلب حكمةً؛ بحماقة الأمم وفلسفة

الناس يلتمسون سبب رفع الله على الصليب. ولأن تلك الأشياء، باعتبار ضَعف قدراتنا العقلية، قد أُخفيت في سرٍ، فإن هذه الجهالة التي لليهود واليونانيين تتحول إلى عدم إيمان؛ إنهم يشجبون، كأمرٍ غير أهلٍ للإيمان المعقول، حقائق لا تَقدر عقولهم فطريًا أن تدركها. لكن، لأن حكمة العالم كانت حمقاء هكذا - فإنها لم تعرف الله قبلاً من خلال حكمة الله، لدرجة أن إشراق الكون، والنظام الرائع الذي خَطَّطه لأجل صَنعة يديه، لم يُعلِّماها أي احترامٍ لخالقها - سُر الله أن يُخلِّص مَن يؤمنون بجهالة الكرازة، أي من خلال الإيمان بالصليب ليصنع حياةً أبديةً لكثيرٍ من البشر؛ كي تحزى ثقة الحكمة البشرية، ويوجد الخلاص في الشيء الذي ظَن العالم أن الحماقة توجد فيه. فإن المسيح، الذي هو للأمم جهالة، ولليهود إثم، هو قوة الله **وحكمة** الله؛ لأن ما يبدو ضعيفًا وأحمقًا للفهم البشري في أمور الله يتجاوز بحكمةٍ وقدرةٍ حقيقيتين أفكار وقدرات الأرض.

٢٦- وبناءً عليه فإن عمل الله يجب ألا يُفحَص بالقدرات البشرية؛ الخالق يجب ألا يُحكَم عليه بمَن هم عمل يديه. يجب أن نكسو أنفسنا بالجهالة كي يمكننا أن ننال الحكمة؛ ليس في جهالة الاستنتاجات المحفوفة بالمخاطر، بل في جهالة بإحساس متواضع بضعفنا الشخصي، حتى يمكن لبرهان قوة الله أن يُعلِّمنا الحقائق التي لا يمكن لجدالات الفلسفة الأرضية أن تصل إليه. فإننا حينما نكون مدركين تمامًا لجهالتنا الشخصية الكاملة، وشاعرين بعجز وفقر عقلنا، فحينئذٍ بمشورات **الحكمة** الإلهية سوف نُدخَل في عضوية حكمة الله؛ غير واضعين قيود للعظمة والقدرة

اللانهائية، ولا رابطين رب الطبيعة بقوانين الطبيعة، إذ بالتأكيد، بالنسبة لنا، الإيمان الحقيقي الوحيد بالله هو ذاك الذي يكون فيه هو الخالق والشاهد في نفس الوقت.

الكتاب الرابع

تفنيد بقية الأكاذيب

١- أعتقد أن الكتب القديمة التي كُتبَت عن هذا البحث، في وقتٍ سابقٍ*، تحتوي على برهانٍ لا يُقهَر لحقيقة أننا نُعلِن ونتمسك بالإيمان بالآب والابن والروح القدس، الذي علَّم به الإنجيليون والرسل، وبأننا لا نشترك مع الهراطقة في الفكر، طالما أنهم ينكرون ألوهية ربنا يسوع المسيح بشكلٍ تام، وغير منطقي، ومتهور. ومع ذلك فقد شعرْتُ بأنني مقيَّدٌ بأن أجعل بعض النقاط المتبقية متضمَّنة في هذا الكتاب والكتب التي تليه، لكي نجعل ثقتنا في الإيمان أكثر يقينًا بعرض كل واحدةٍ من أكاذيبهم وتجاديفهم. وفقًا لذلك، سوف نسأل أولاً عن ما هي أخطار تعليمهم، والمخاطر المتضمَّنة في عدم التوقير هذا؛ ثم، ما هي المعتقدات الأساسية التي يتمسكون بها، وما هي الجدالات التي يقدمونها ضد الإيمان الرسولي الذي نتمسك به، وبأية حيلةٍ لغوية يخدعون مستمعيهم؛ وأخيرًا، بأية طريقةٍ للتعليق ينزعون عن كلمات الكتاب المقدس أسلحة قوَّتها ومعناها.

توظيف اللغة لتوضيح أمور الله لا يليق بعظمة الله، لكننا مضطرون

٢- إننا نعي جيدًا أن كلام الناس والتشابه الجزئي للطبيعة الإنسانية لا يمكن أن يعطونا بصيرةً نافذةً على أمور الله. ما يفوق الوصف لا يمكنه أن

* وهو ما يؤكد أن الثلاثة كتب الأولى قد كُتبَت بشكل مستقل. راجع المقدمة.{م}

يخضع لقيود وحدود التعريف؛ ما هو روحي يتميز عن كل صنف أو مثال للأمور الجسدية. ومع ذلك، فبما أن موضوعنا هو عن ما يخص الطبائع السماوية، فيجب أن نوظِّف الطبائع المعتادة والكلام المعتاد كوسيلة نُعبِّر بها عن ما يفهمه عقلنا؛ لا شك في أنها وسيلة لا تليق بعظمة الله، لكننا مضطرون لها بسبب ضَعف فكرنا، والذي يمكنه فقط أن يستخدم ظروفنا وكلماتنا لينقل للآخرين ملاحظاتنا واستنتاجاتنا. هذه الحقيقة قد تأكدَت بالفعل في الكتاب الأول[1]، لكنها الآن مكررةً لكي - في أي تشابهٍ جزئي من المسائل البشرية التي نقدمها - لا يُزعَم أننا نفكر في الله كالطبائع المتجسدة المشابهة، أو نقارن الكيانات الروحية بأنفسنا الحساسة، بل بالحري تُعتَبَر تقديمًا للمظهر الخارجي للأمور المرئية كمفتاح للوصول إلى المعنى الخفي للأمور غير المرئية.

ادعاءات الهراطقة

٣- فإن الهراطقة يقولون: *إن المسيح ليس من الله، أي أن الابن ليس مولودًا من الآب، وأنه إله ليس بالطبيعة بل بالتعيين؛ بكلامٍ آخر، أنه قد قَبِل تبَنّ يكمن في إعطاء الاسم، كابن لله بالمعنى الذي به يكون كثيرون أبناءً لله؛ من جديد، لكون عظمة المسيح دليلاً على سخاء الله واسع الانتشار، فهو يكون إلهًا بالطريقة التي بها توجد آلهة أُخرى.*

---

[1] فقرة ١٩.

بالرغم من أنهم يسلِّمون بأن في تبنيه وتسميته كإله يوجد حب أكثر قوةً من الحالات الأخرى التي قد ظهرت، *إلا أن تبنيه كان أولاً من حيث الوقت، وهو الأعظم من باقي الأبناء المتبنين، والأول في الرتبة بين المخلوقات، بسبب الفخامة الأعظم التي رافقت خلقته.* البعض أضاف إنه، كنوع من الاعتراف بالقدرة الكلية لله، *قد خُلِق على مثال الله، وأنه، مثل بقية المخلوقات، قد رُفع إلى صوة الخالق الأبدي، ودُعي بكلمةٍ لأن ينبثق من عدم الوجود إلى الوجود بقوة الله، الذي يمكنه أن يُشَكِّل شبيهًا لنفسه مِن لا شيء.*

ثلاثة ادعاءات كاذبة بخصوص عقيدة الهوموأوسيون

٤- علاوة على ذلك، فقد أساءوا استخدام معرفتهم للحقيقة التاريخية التي علَّم بها أساقفة الجيل السابق، بأن الآب والابن من جوهر واحد، لكي يفسدوا تلك الحقيقة بذريعتهم الماكرة بأن هذه عقيدة هرطوقية. إنهم يقولون إن هذا المصطلح 'من جوهر واحد'، وفي اليونانية (ὁμοούσιον / *هوموأوسيون*)، استُخدِمَ ليعني ويعبِّر عن أن الآب هو مثل الابن؛ *أي أن الآب قدَّم نفسه من عدم المحدودية إلى العذراء، واتخذ جسدًا منها، وأعطى نفسه لقب ابن في الجسد الذي أخذه.* هذه هي كذبتهم الأولى بخصوص '*هوموأوسيون*'. كذبتهم التالية هي أن هذه الكلمة '*هوموأوسيون*' *تتضمن أن الآب والابن يتشاركان في شيءٍ سابقٍ عنهما ومتمايزٍ عن كليهما، وأن جوهرًا تخيليًا محددًا، أو (οὐσία / أوسيا) سابقًا لكل مادة كانت، قد وُجِد قبلاً*

وقُسِّم ووُزِّع بالكامل بين الاثنين؛ مما يُثبِت، كما يقولون، أن كلاً منهما هو من طبيعة سابقة الوجود عنه هو نفسه، وكلاً منهما متطابق في المادة مع الآخر. وبالتالي فهم يُقِرُّون بإدانة الاعتراف بمساواة الجوهر على أساس أن هذا المصطلح لا يميز بين الآب والابن، ويجعل الآب لاحقًا في الوقت لتلك المادة التي كان مشترِكًا فيها مع الابن*. وقد اخترعوا هذا الاعتراض الثالث على كلمة مساواة الجوهر، بأن معناها، كما يشرحونه، هو *أن الابن يستمد مصدره من قِسمٍ من جوهر الآب، كما لو أن شيئًا قد اقتُطِع إلى اثنين وهو كان الجزء المقطوع*. وبالتالي فمعنى 'جوهر واحد'، كما يقولون، هو أن الجزء المقطوع من الكل يستمر في المشاركة في الطبيعة التي منها قد قُطِع.

لكن الله، لكونه غير قابل للألم، لا يمكن أن ينقسم، لأنه لو كان يجب أن يخضع للتصغير بالانقسام، فهو معرَّض للتغيير، وسوف يصير غير كاملٍ لو أن جوهره الكامل قد تركه، لكي يُقيم في الجزء المقطوع.

ادعاء أن الابن لم يكن موجودًا قبلاً لأنه وُلِد

٥- إنهم يظنون أيضًا أن لديهم دحضًا مختصَرًا للأنبياء، وبالمثل الإنجيليين والرسل، في تأكيدهم على أن الابن قد وُلِد في الزمن. إنهم يُعلِنون أننا غير منطقيين في قولنا إن الابن قد وُجِد منذ الأزل؛ فبما أنهم يرفضون إمكانية أزليته، فهم مدفوعون للإيمان بأنه قد وُلِد في مرحلة من الزمن. فلو

* أي أن هناك جوهرًا إلهيًا قد انقسم إلى الآب والابن، وبالتالي فهذا الجوهر سابق في الوجود عن كليهما.{م}

أنه لم يكن دائمًا موجودًا، إذا فقد كان هناك وقتٌ لم يكن فيه موجودًا؛ ولو كان هناك وقتٌ لم يكن فيه موجودًا، إذًا فالزمن كان سابقًا. ذاك الذي لم يكن له وجود دائم قد بدأ وجوده داخل الزمن، أما الذي لا يحده وقت، فهو بالضرورة أزلي. السبب الذي يقدمونه لرفضهم لأزلية الابن هو أن وجوده الدائم يتعارض مع الإيمان بميلاده؛ كما لو كنَّا باعترافنا بأنه موجود بشكلٍ أزلي، نجعل ولادته مستحيلةً.

إيمان الكنيسة بخصوص أزلية ميلاد الابن

٦- يا لها من مخاوف غبية وملحدة! يا له من قلقٍ عديم التقوى على أمور الله! المعنى الذي يتظاهرون بأنهم يكشفونه في كلمة *هوموأوسيون*، وفي التأكيد على أزلية الابن، ممقوت ومرفوض ومشجوب من الكنيسة. إنها تعترف بإله منه كل الأشياء؛ إنها تعترف بربنا الواحد يسوع المسيح، الذي به كل الأشياء؛ الواحد الذي منه، الواحد الذي به (كل الأشياء)؛ الواحد الذي هو مصدر الكل، الواحد الذي هو الفاعل الذي به قد خُلِق الكُل. إنها تُدرِك العظمة التي ليس لها بداية في الواحد الذي به كل الأشياء، وتدرِك وجود قدرة مساوية لمصدره في الواحد الذي به كل شيء؛ فإن كليهما فائقان معًا في عمل الخلق وفي حُكم الأشياء المخلوقة. كما أنها في الروح تدرِك الله كروح، غير قابل للألم والانقسام، فإنها قد تعلَّمَت من الرب أن الروح ليس له لحم ولا عظام[٢]؛ إنه تحذيرٌ لإنقاذها من افتراض أن الله، الذي هو روحٌ،

---

[٢] (لو ١٤: ٣٩)

يمكن أن يُثقَّل بمعاناة وخسارة جسدية. إنها تعترف بإلهٍ واحد، مولود منذ الأزل، وتدرِك أيضًا ابنًا واحدًا مولودًا وحيدًا لله. إنها تعترف بالآب الأزلي الذي بلا بداية، وتعترف أيضًا بأن بداية الابن هي منذ الأزل. ليس أنه ليست له بداية*، بل أنه ابن الآب الذي ليست له بداية؛ ليس أنه مولود من ذاته، بل أنه مولود مِن غير المولود منذ الأزل؛ وُلِد منذ الأزل، متقبلاً ولادته من أزلية الآب. هكذا فإن إيماننا خالي من تخمين الانحراف الهرطوقي؛ الأمر معبَّر عنه في مصطلحات ثابتة ومُعلنة، رغم أنه حتى الآن لا يوجد دفاع مُقنِع قد نُشِر عن اعترافنا. أنا لازلت - لئلا يتردد أي شكٍ حول المعنى الذي فيه قد استخدم الآباء كلمة 'مساواة الجوهر' وحول اعترافنا بأزلية الابن - أُسجل الإثباتات التي بها يمكننا أن نتأكد من أن الابن يبقى إلى الأبد في ذاك الجوهر الذي من خلاله قد وُلِد من الآب، وأن ولادته لابنه لم تقلِّل من إمكانية ذاك الجوهر الذي به كان الآب دائمًا؛ وأن الرجال الأتقياء، المُلهَمين بتعليم الله، حينما قالوا إن الابن واحد في الجوهر (ὁμοούσιος / *هوموأوسيوس*) مع الآب لم يشيروا إلى أي من تلك الأخطاء أو العيوب التي ذَكَرتها[٣]. إن غايتي كانت لأجل إبطال الفكرة الغامضة عن أن هذا الجوهر

---

* وهو هنا لا يُنكر أزلية الابن، لكنه يعتبر أن أصل الوجود كله هو الآب، وهذا بسبب تأثره بفكر الآباء الكبادوك، بعكس المدرسة السكندرية التي ترى أن جوهر الألوهية هو أصل الوجود. وسوف يأتي الكلام عن هذا الموضوع بأكثر تفصيل في تعليق على الفقرة ١٣ من الكتاب السادس.{م}

[٣] في الفقرة الرابعة.

'الأوسيا'، وهذا التأكيد على أنه واحد مع الآب في الجوهر، هو إنكار لميلاد الابن المولود الوحيد.

٧- لكي نُثبِت لأنفسنا ضرورة هاتين العبارتين، المختارتين والمستخدمتين كأفضل وقاية ضد الخليط الهرطوقي الموجود في وقتنا هذا، أعتقد أنه من الأفضل الرد على المعتَقَد الخاطئ العنيد الذي لهراطقة أيامنا هذه، ودحض تعليمهم المختال والمُهلِك، بشهادة الإنجيليين والرسل. إنهم يتملقون أنفسهم حتى يمكنهم أن يذوِّدوا بإثبات لكل افتراضاتهم؛ لقد استشهدوا ببعض الفقرات من الكتابات المقدسة؛ فقرات قد أُسيء تفسيرها بفظاظةٍ شديدةٍ، إذ هي لا توقِع في الشَرَك سوى الجاهل، عن طريق المظهر الخارجي للحقيقة، الذي به قد أخفى مكرهم المنحرف تفسيراتهم.

الآيات التي يعتمد عليها الهراطقة لإثبات ألوهية الآب فقط

٨- فإنهم قد حاولوا، بتمجيد ألوهية الآب فقط، أن يجردوا الابن من ألوهيته، مبررين عملهم بأنه مكتوبٌ: اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُكَ رَبٌّ وَاحِدٌ*، وأن الرب يكرر هذا في رده على معلم الناموس الذي سأله ما هي الوصية العُظمى في الناموس: اسْمَعْ، يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُكَ رَبٌّ وَاحِدٌ[٤].

---

* (تث ٦: ٤) مع ملاحظة أنه ذكرها 'إلهك'، بعكس الأصل العبري واليونانية السبعينية، ونصوص الفولجاتا اللاتينية والقبطي البحيري والصعيدي والسرياني، التي تذكرها 'إلهنا'، لكنه سيعود ويذكرها 'إلهنا' في الكتاب التاسع فقرة ٢٤.{م}

[٤] (مر ١٢: ٢٩)

يقولون أيضًا إن بولس يُصرِّح (قائلاً): لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ[٥]. وعلاوة على ذلك، فهم يصممون على أن الله وحده هو الحكيم، لكي لا يتركوا أية حكمة للابن، معتمدين على كلمات الرسول: وَلِلْقَادِرِ أَنْ يُثَبِّتَكُمْ الْآنَ، حَسَبَ إِنْجِيلِي وَالْكِرَازَةِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، حَسَبَ إِعْلاَنِ السِّرِّ الَّذِي كَانَ مَكْتُومًا فِي الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَلكِنْ ظَهَرَ الآنَ، وَأُعْلِمَ بِهِ جَمِيعُ الأُمَمِ بِالْكُتُبِ النَّبَوِيَّةِ حَسَبَ أَمْرِ الإِلهِ الأَزَلِيِّ، لإِطَاعَةِ الإِيمَانِ، للهِ الْحَكِيمِ وَحْدَهُ، بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِ[٦]. هم يجادلون أيضًا بأنه هو وحده الحقيقي، فإن إشعياء يقول: سَوفَ يُبَارِكُونَكَ، أَيُّهَا الْإِلَهُ الْحَقِيقِيّ[٧]، والرب نفسه قد قبل الشهادة في الإنجيل قائلاً: وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ، أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ[٨]. مرة أخرى يُجادلون بأنه هو وحده الصالح، لكي لا يتركوا أي صلاحٍ للابن، لأنه قال: لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ الله[٩]، وأنه هو وحده له القدرة، لأن بولس قد قال: الَّذِي سَيُبَيِّنُهُ لَنَا فِي أَوْقَاتِهِ، الْمُبَارَكُ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ، مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ[١٠]. وأيضًا هم يثبتون لأنفسهم بشكلٍ مؤكَّدٍ أنه لا يوجد

---

[٥] (١ تي ٢: ٥)

[٦] (رو ١٦: ٢٥- ٢٧)

[٧] (إش ٦٥: ١٦) سبعينية

[٨] (يو ١٧: ٣)

[٩] (مر ١٠: ١٨)

[١٠] (١ تي ٦: ١٥)

تغيير في الآب ولا دوران، لأنه قد قال عن طريق النبي: أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُم، وَأَنَا لاَ أَتَغَيَّرُ[11]، والرسول يعقوب (قد قال): الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ[12]؛ من المؤكد أيضًا أنه الديان العادل، فإنه مكتوبٌ: اللهُ قَاضٍ عَادِلٌ، قَوِيٌّ وَصَبُورٌ[13]؛ فهو يهتم بالجميع، لأن الرب قد قال، متكلمًا عن الطيور: وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقوِّتها[14]، وأيضًا: أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ إِرَادَةِ أَبِيكُمْ؛ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ[15]. هم يقولون إن الآب قد عرف كل الأشياء قبلاً، مثلما تقول سوسنة المباركة: أَيُّهَا الإِلَهُ الأَزَلِيُّ، الَّذِي قَدْ عَلِمَ الأَسْرَارَ، وَعَرِفَ كُلَّ الْأُمُورِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ[16]؛ وإنه غير المدرك، كما هو مكتوب: السَّمَاوَاتُ كُرْسِيِّي، وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ. أَيّ بَيْتٍ تَبْنُونَ لِي؟ وَأَيْنَ مَكَانُ رَاحَتِي؟ وَكُلُّ هذِهِ صَنَعَتْهَا يَدِي، وَكُلُّ هذِهِ هِيَ لِي[17]، وهو يحوي كل الأشياء، كما شهد بولس: لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ[18]، ويقول المرتل: أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا

---

[11] (مل ٣: ٦) سبعينية

[12] (يع ١: ١٧)

[13] (مز ٧: ١٢) سبعينية، و (٧: ١١) في البيروتية.

[14] (مت ٦: ٢٦)

[15] (مت ١٠: ٢٩، ٣٠)

[16] قصة سوسنة (دا ١٣: ٤٢)

[17] (إش ١٠: ٦٦: ١، ٢)

[18] (أع ١٧: ٢٨)

أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ[١٩]؛ وإنه بلا جسدٍ، لأنه مكتوبٌ: اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا[٢٠]؛ وإنه خالد وغير مرئيٍ، كما يقول ق. بولس: الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ[٢١]، ويقول الإنجيلي: اَللهَ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ[٢٢]؛ وإنه وحده يبقى إلى الأبد غير مولودٍ، فإنه قد كُتِب: أَهْيَهِ (أي أنا أكون) الَّذِي أَهْيَهْ. وَقَالَ: هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ[٢٣]، وكَتَب إرميا يقول: أَيُّهَا اَلرَّبُ، أَنْتَ السَّيِّدُ[٢٤].

٩- فهل يمكن أن يفشل أحد في ملاحظة أن هذه التصريحات ممتلئةٌ خداعًا ومغالطةً؟ لقد تشوشت القضايا وجُمِعَت النصوص بمكر، ودُمِغَ جهد الماكرين والخُرق بحقدٍ وحماقةٍ، بشكلٍ يتعذَّر محوه. على سبيل المثال، من بين غايات إيمانهم قد أدخلوا هذا، أنهم يعترفون بأن الآب فقط هو غير المولود؛ كما لو أن أي أحدٍ من جهتنا قد افترَض أن الذي وَلد مَن به كان كل شيء،

---

[١٩] بيروتية (١٣٩: ٧- ١٠) وسبعينية (١٣٨: ٧- ١٠)

[٢٠] (يو ٤: ٢٤)

[٢١] (١ تي ٦: ١٦)

[٢٢] (يو ١: ١٨)

[٢٣] (خر ٣: ١٤)

[٢٤] (إر ١: ٦) سبعينية.

قد استمد وجوده من مصدر خارجي. الحقيقة الواضحة أن اسم 'آب' يحمل في ذاته سبب وجود ابنه. هذا الاسم 'آب' لا يقدِّم أي تلميحٍ إلى أن مَن يَلِد هو نفسه قد انحدر (مولودًا) من آخر، بينما هو* يخبرنا بوضوحٍ عن مصدر ولادة الابن. دعونا إذًا نترك للآب خاصيته الخاصة به وغير المُشارك فيها، معترفين أن فيه تكمُن القوى الأزلية للقدرة الكلية بدون ابتداءٍ. لا يمكن لأحد أن يشُك في أن السبب - الموجود في اعترافهم بالله الآب - وراء بعض الخصائص التي يُسهَب فيها على نحو مميز وغير قابل للتحويل على أنها تخصه، هو أن يكون مالكًا لها بشكلٍ منفردٍ. فإنهم حينما يقولون إنه وحده الحقيقي، وحده العادل، وحده القدير، وحده الخالد، فإنهم يلوِّحون بهذه الكلمة 'وحده' كعائق لقطع الابن من شركته في هذه الخصائص. ذاك الذي هو وحده، كما يقولون، ليس له شريك في خصائصه. لكن لو افترضنا أن هذه الخصائص تكمُن في الآب فقط، وليس في الابن أيضًا، فينبغي إذًا أن نؤمن بأن الله الابن ليست له حقيقة ولا حكمة؛ *أي أنه كيان جسدي يتركب من عناصر مرئية ومادية، غير مُدَعَّمة وضعيفة وخالية من الخلود*؛ فإننا بهذا نُبعده عن كل تلك الخصائص التي نعتبر أن الآب هو مالكها المنفرد.

---

* أي ذاك الاسم.{م}

عظمة الابن هي مجد الآب

١٠- أيًا كان، فنحن الذين نعتزم مناقشة تلك العظمة الكاملة واللاهوت الأكمل الذي يتعلق بابن الله المولود الوحيد، لا نشعر بالخوف من أن يتخيل قُراؤنا أن نطاق التعبير الموجز في الكلام عن الابن هو انتقاص من قدر مجد الله الآب، كما لو أن كل تمجيد خاص بالابن قد انفصل عنه أولاً. فعلى العكس، **عظمة الابن هي مجد الآب**؛ المصدر يجب أن يكون مجيدًا، فهو الذي منه قد أتى مَن يستحق هذا المجد. الابن ليس له شيء سوى بفضل ولادته؛ الآب يشترك في كل تكريم يأتي لأنه والد. وهكذا فإن الاقتراح بأننا نقلل من كرامة الآب يجب أن يصمت، **لأن كل المجد المتأصل في الابن، كما سوف نتعلَّم، سوف ينعكس ثانيةً، إلى زيادة مجد مَن وَلد ابنًا بهذه العظمة.**

فحص قانون إيمان الهراطقة

١١- والآن لكوننا قد كشفنا خطتهم في التقليل من الابن تحت ذريعة تعظيم الآب، فالخطوة التالية هي الاستماع إلى المُصطلحات الدقيقة التي بها قد عبَّروا عن إيمانهم الشخصي بخصوص الابن. فبما أننا يجب أن نُجيب بتسلسل عن كل واحدةٍ مِن ادعاءاتهم، ونُظهِر ببرهان الكتاب المقدس عدم تقوى تعاليمهم، فيجب أن نُضيف، إلى ما يقولونه عن الآب، القرارات التي قد وضعوها بخصوص الابن، أنه بمقارنة اعترافهم بالآب مع اعترافهم بالابن يمكننا أن نتبع ترتيبًا منتظمًا في حلنا للمسائل التي يُظهرونها. لقد أقرُّوا كما حكموا بأن الابن ليس ناشئًا عن أية مادة سابقة الوجود، فبه كل

الأشياء قد خُلِقَت؛ ولا حتى مولود من الله، لأنه لا يمكن عزل أي شيء عن الله؛ *بل أنه قد صُنِع مما لم يكن موجودًا، أي أنه مخلوق مثالي خلقه الله، رغم كونه مختلفًا عن بقية مخلوقاته.* هم يجادلون بأنه مخلوقٌ، لأنه مكتوبٌ: اَلرَّبُّ خَلَقَنِي أُوْلَى طُرُقِهِ[٢٥]؛ *هو العمل المثالي ليد الله، رغم كونه مختلفًا عن بقية أعماله*، ويبرهنون، مثلما في النقطة الأولى، بما كتب بولس للعبرانيين: صَائِرًا أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ[٢٦]، وأيضًا: مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ، شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لاَحِظُوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ، حَالَ كَوْنِهِ أَمِينًا لِلَّذِي أَقَامَهُ[٢٧]. فإن سبب انتقاصهم من قدر قدرة وعظمة وألوهية الابن التي يعتمدون عليها بشكلٍ رئيسٍ هو كلماته الخاصة: الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي[٢٨]. لكنهم يسلمون بأنه ليس واحدًا من القطيع العادي لمخلوقاته، بدليل: كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ. وهكذا هم يُعبِّرون عن كل تعاليمهم التجديفية في هذه الكلمات التالية: –

١٢- *"نحن نعترف بإله واحد، الذي هو الوحيد غير المخلوق، الوحيد الأزلي، الوحيد غير المبتدئ، الوحيد الحقيقي، الوحيد الذي يملك الخلود، الوحيد الصالح، القدير، الخالق، الآمر والمُدبِّر لكل الأشياء، غير المتغير وغير*

---

[٢٥] (أم ٨: ٢٢). راجع المقصود بـ 'خلقني' في التعليق على الفقرة ٣٥ من الكتاب الأول صـ ٢١٤.{م}

[٢٦] (عب ١: ٤)

[٢٧] (عب ٣: ١)

[٢٨] (يو ١٤: ٢٨)

المتبدل، العادل والصالح، إله الناموس والأنبياء والعهد الجديد. نؤمن أن هذا الإله قد ولد الابن المولود الوحيد قبل كل العالمين، الذي به قد خَلَق العالم وكل الأشياء؛ فهو قد ولده ليس بتشابهٍ، بل بحقٍ، تبعًا لإرادته الخاصة، لذا فهو غير متغير وغير متبدل، أفضل مخلوقات الله لكن ليس كواحد من مخلوقاته، عمل يديه، لكن ليس كباقي أعماله؛ ليس كما أكد فالنتينوس، أن الابن هو تطور للآب؛ ولا مثلما أعلن ماني Manichaeus أن الابن جزءٌ مساوٍ للآب في الجوهر؛ ولا مثل سابيليوس، الذي صنع اثنين من واحد، ابنًا وآبًا في نفس الوقت؛ ولا مثل هيراكاس Hieracas، نور من نور، أو مصباح له شعلتان؛ ولا كأنه كان سابقًا في كيانٍ وبعد ذلك وُلِد أو خُلِق من جديد ليكون ابنًا، العقيدة التي أدنتها أنت نفسك كثيرًا، أيها الأب[٢٩] المبارك، علانيةً في الكنيسة وفي اجتماع الإخوة. لكننا، كما أثبتنا، نؤمن أنه قد خُلِق بإرادة الله قبل الأزمنة والعالمين، وحياته ووجوده هما من الآب، الذي أعطاه أن يشاركه كماله المجيد. فإنه حينما أعطاه الآب ميراث كل الأشياء، لم يُجرِّد ذاته بذلك من الخصائص التي هي له بدون بدءٍ، مَن هو مصدر كل الأشياء.

١٣- لذا فهناك ثلاثة أشخاصٍ، آب وابن وروح قدس. الله، من جهته، هو علة كل الأشياء، غير مبتدي تمامًا ومنفصل عن الكل؛ بينما الابن، الناتج من الآب خارج (حدود) الزمن، والمخلوق والمُعَيَّن قبل العالمين، لم

---

[٢٩] بابا الاسكندرية.

يوجد قبل أن يولد، بل، لكونه وُلِد خارج الزمن قبل العالمين، قد جاء للوجود كابنٍ وحيدٍ للآب الوحيد. فإنه ليس أزليًا ولا شريكًا في الأزلية، ولا شريكًا في عدم الخِلقة مع الآب، ولا له وجودٌ متوازٍ مع الآب، مثلما يقول البعض، الذين[٣٠] *يفترضون وجود أصلين غير مولودين. لذا فهو قبل الابن أيضًا، مثلما قد تعلمنا بالفعل منك في عظتك العامة**. *إذًا فطالما أن كيانه هو من الله، وكماله المجيد، وحياته، وهو مؤتمَن على كل الأشياء، لأجل هذا السبب الله هو مصدره، وله حُكمٌ عليه، لكونه إلهه، بما أنه سابقًا له. ومثل هذه العبارات: مِنْهُ، ومِنَ الْبَطْنِ، وخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ، لو فُهِمَت بمعنى أن الآب يمد جزءًا، وكما لو كان توسيعًا لذلك الجوهر الواحد، إذًا فالآب سوف يكون من طبيعة مركبة وقابلة للانفصال ومتغيرة ومادية، بحسب هذا الكلام؛ وهكذا، بقدر ما تذهب كلماتهم، الله غير المادي سوف يتعرض لخواص المادة*[٣١]*."*

١٤- هذا هو خطؤهم، هذا هو تعليمهم المُهلِك. ولكي يدعموا هذا يستعيرون كلمات الكتاب المقدس، محرفين معناها ومستخدمين جهالة

---

[٣٠] بحذف 'بالحري بشكلٍ ما'.

* وهذا محض افتراء.{م}

[٣١] تلك الرسالة من أريوس إلى البابا الكسندروس السكندري قد تَرجمها نيومان بشكلٍ قوي في كتاب: *الأريوسيون في القرن الرابع*، الفصل الثاني فقرة ٥، رغم وجود اختلافات لها بعض الأهمية بين نسخة ق. هيلاري اللاتينية والنسخة اليونانية في كتاب ق. أثناسيوس، عن *المجامع*، فقرة ١٦، والذي قد أُخِذَت منه ترجمة نيومان.

البشر كفرصتهم للحصول على اعتمادٍ لأكاذيبهم. ومع ذلك فمن غير ريبٍ، بنفس كلمات الله هذه، يجب أن نصل إلى فهم أمور الله. فإن ضعف البشر لا يمكنه بأي قدرة خاصة أن يبلغ معرفة الأمور السماوية؛ القدرات التي تتعامل مع الأمور الجسدية لا يمكنها أن تكوِّن أية فكرة عامة عن العالم غير المرئي. لا جوهرنا الجسدي المخلوق، ولا العقل المُعطى من الله لأجل غايات الحياة العادية، يمكنهما أن يتحققا من طبيعة وعمل الله، ولا أن يُعلِنا عنه. حواسنا لا يمكنها أن تسمو إلى مستوى المعرفة السماوية، وقدراتنا على الفهم تنقصها القدرة على استيعاب هذه القدرة غير المحدودة. يجب أن نؤمن بكلمة الله عن نفسه، ونَقبَل باتضاعٍ مثل هذه البصيرة النافذة كما تلطَّف بمنحها. يجب أن نختار بين رفض شهادته، كما يفعل الوثنيون، والإيمان به كما هو، وهذا يكون بالطريقة الوحيدة الممكنة، بالتفكير فيه بالوِجهة التي يقدِّم بها نفسه لنا. لذا دعوا الحكم الشخصي يتوقف؛ دعوا العقل البشري يمتنع عن عبور عوائق قد وُضِعَت بشكلٍ إلهيٍ. بهذه الروح نحن نتجنب كل التأكيدات التجديفية والطائشة بخصوص الله، ونخترق إلى جوهر الرسالة الحقيقية للوحي. كل نقطة في تحقيقنا سوف تؤخَذ بعين الاعتبار في ضوء وصية مَن هو موضوعنا؛ لن يكون هناك تشكيل لسلسلة من العبارات المعزولة التي قرينة كلامها محظورة، لتخدع وتعطي معلومات خاطئة للمستمع غير الخبير. معنى الكلام يجب أن يُشرَح بتفاصيل، ليست تفاصيلَ مدفوعةً للامتثال للكلمات. نحن، بقدرٍ ما، سوف نعالج موضوعنا بشكلٍ كاملٍ، وسنقرر كلاً من الظروف التي قيلت فيها

الكلمات، والفحوى الحقيقي للكلمات. كل نقطة سوف تؤخذ بعين الاعتبار بتسلسلٍ منظَّمٍ.

إعلان الله عن نفسه لإسرائيل أنه واحد بسبب عبادتهم لآلهة كثيرة

١٥- نقطة بدايتهم هي هذه؛ هم يقولون، نحن نعترف بإله واحد وحيد، لأن موسى يقول، اِسْمَعْ، يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلَهُكَ رَبٌّ وَاحِدٌ. لكن هل هذه حقيقة قد تجرأ أحدٌ أن يشُك فيها؟ أو هل عُرِف عن أي مؤمنٍ أنه يعترف بشيءٍ آخرٍ سوى أن هناك إلهًا واحدًا منه كل الأشياء، سلطانًا واحدًا لم يولد، وأنه هو تلك القدرة غير المبتدئة؟ ومع ذلك فهذه الحقيقة عن وحدة الله لا تقدم أية فرصة لإنكار ألوهية ابنه. فإن موسى، أو بالحري الله من خلال موسى، أعلنها كأول وصية لأولئك الناس، المخلِصين للأوثان ولعبادة الآلهة الخيالية سواء في مصر أو في الصحراء، أنهم يجب أن يؤمنوا بإله واحد. لقد كانت هناك حقيقة ومنطق في الوصية، فإن الله، الذي منه كل الأشياء، هو واحدٌ. لكن دعنا نرى إن كان موسى هذا لم يعترف بأن مَن منه كل الأشياء هو أيضًا إله. الله لم يُسلَب، هو مازال الله، حتى لو شاركه ابنه الألوهية. فإن المسألة هي أنه إله من إله، واحد من واحد، إله واحد لأن الله (الابن) منه. وبالعكس الابن ليس إله أقل لأن الله الآب هو واحد، فإنه ابن الله المولود الوحيد؛ ليس غير مولودٍ منذ الأزل، لكي يجرِّد الآب من تفرده، ولا حتى مختلفًا عن الله، لأنه مولودٌ منه. لا يجب أن نشُك في أنه إله بفضل ذاك الميلاد من الله، الذي يكشف لنا نحن المؤمنين بأن الله واحدٌ؛ ومع ذلك

فدعونا نرى إن كان موسى، الذي أعلَن لإسرائيل (أن): الرَّبُّ إِلَهُكَ رَبٌّ وَاحِدٌ، قد أَعلن أيضًا ألوهية الابن. ولكي نحقق اعترافنا بألوهية ربنا يسوع المسيح يجب أن نوظف برهان نفس هذه الشهادة التي يعتمد عليها الهراطقة في الاعتراف بإله واحد فقط، الذي يتخيلون أنه يحوي إنكارًا لألوهية الابن.

سفر التكوين خير شاهد على أن الخليقة خلقها الآب بالابن

١٦- لذا، فبما أن كلام الرسول: إِلهٌ وَاحِدٌ الآبُ، الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ. وَرَبَّنا الوَاحِد يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ[٣٢]، هو نتيجة اعترافٍ دقيقٍ وكامل بخصوص الله، فدعونا نرى ما وَجَب أن يقوله موسى عن بداية العالم. كلامه هو: وَقَالَ الله: لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ. وَكَانَ كَذلِكَ، فَعَمِلَ الله الْجَلَدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ[٣٣]. هنا إذًا، لديكم الإله الذي منه، والإله الذي به. لو أنكرتم هذا، فيجب أن تُخبرونا بواسطة مَن قد تم عمل الله في الخلق، أو تشيروا إلى تفسيركم للطاعة الموجودة لدى أشياء لم تُخلَق بعد، والتي، حينما قال الله: لِيَكُنْ جَلَدٌ، قد فَرضت على الجَلد أن يثَبِّت نفسه. مثل هذه الاقتراحات غير منسجمة مع المعنى الواضح للكتاب المقدس. فإن كل

---

[٣٢] (١ كو ٨: ٦)

[٣٣] (تك ١: ٦، ٧)

الأشياء، كما يقول النبي[٣٤]، قد خُلقَت من لا شيءٍ؛ لم تكن تحوُّلاً لأشياءٍ موجودةٍ، بل الخلقة إلى صورة كاملة لِما ليس موجودًا.

ولكي تعرفوا بواسطة مَن؟ اسمعوا الإنجيلي يقول: كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ. إن كنتم تسألون مَن هو هذا، فإن نفس الإنجيلي سوف يقول لكم: فِي الْبَدْءِ كَانَ **الْكَلِمَةُ**، وَ**الْكَلِمَةُ** كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ **الْكَلِمَةُ** الله. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ[٣٥]. لو أنكم مهتمون بأن تخالفوا الرأي (القائل) إن الآب هو مَن قال: لِيَكُنْ جَلَدٌ، فسوف يجيبك النبي: لَقَدْ قَالَ، فَكَانَتْ؛ أَمَرَ، فَخُلِقَتْ[٣٦]. الكلمات المُدوَّنة: لِيَكُنْ جَلَدٌ، توحي لنا بأن الآب قد تكلَّم. لكننا يجب أن ندرك شخص الفاعل، بأن الله قد فعل هذا الشيء، في الكلمات التالية: وَكَانَ كَذلِكَ. لَقَدْ قَالَ، فَكَانَتْ؛ لم يقل الكتاب إنه أراد، وفعلها. لَقَدْ أَمَرَ، فَخُلِقَتْ؛ أنتم تلاحظون أنه لا يقول إنهم قد جاءوا إلى الوجود، لأنها كانت مسرته. في هذه الحالة لن يكون هناك دور لوسيط بين الله والعالم الذي كان ينتظر خلقته. الله، الذي منه كل الأشياء، يعطي الأمر بالخلق الذي ينفذه الإله الذي به كل الأشياء. تحت نفس الاسم نحن نعترف بمَن أعطى وبمَن أتم الأمر. لو تجرأتم وأنكرتم أن (تعبير) 'خَلَق الله' قد قيل عن الابن، فكيف تشرحون: كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ؟ أو كلمات الرسول: رَبُّنا الوَاحِدُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ؟ أو: لَقَدْ قَالَ، فَكَانَتْ؟ لو

---

[٣٤] (٢ مك ٧: ٢٨)

[٣٥] (يو ١: ١- ٣)

[٣٦] (مز ١٤٨: ٥)

نجحت هذه الكلمات الموحَى بها في إقناع عقلكم العنيد، فسوف تتوقفون عن اعتبار هذه الكلمات: اِسْمَعْ، يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلَهُكَ رَبٌّ وَاحِدٌ، رفض لألوهية ابن الله، لأن مَن قالها منذ التأسيس الأول للعالم قد أعلن أن ابنه أيضًا هو الله. لكن دعونا نرى أية فائدة يمكننا أن نحصل عليه من هذا التمييز بين الإله الذي أمر والإله الذي نفَّذ. فبالرغم من أنه كريهٌ حتى بالنسبة لعقلنا الطبيعي، افتراض أن هناك شخصًا واحدًا مفردًا ومعزولاً هو المقصود، في الكلمات (التي تقول): لَقَدْ أَمَرَ، فَخُلِقَتْ، إلا أننا، لأجل اجتناب كل الشكوك، يجب أن نقدم الأحداث التي تبعت خلقة العالم.

نَعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا

١٧- حينما كَمُل العالم وخُلقَ ساكنه، كانت الكلمات التي قيلت عنه هي: لِنَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا[٣٧]. أنا أسألكم، هل تعتقدون أن الله قال تلك الكلمات لنفسه؟ أليس هو واضح أنه لم يكن يخاطب نفسه بل آخر؟ لو أجبتم بأنه كان وحيدًا، فسوف يدحض إجابتكم بفمه، إذ يقول: لِنَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا. لقد تكلم الله معنا بواسطة واضع الناموس بالطريقة المُدرَكة بعقلنا؛ أي جعلنا مطَّلعين على عمله بواسطة اللغة، القدرة التي قد سُر أن يهبها لنا. هناك بالتأكيد إشارة إلى ابن الله، الذي به خُلِقَت كل الأشياء، في الكلمات (التي تقول): وَقَالَ الله: لِيَكُنْ جَلَدٌ. وفي جملة: فَعَمِلَ الله الْجَلَدَ، التي تبعتها؛ لكن لئلا نظن أن كلمات الله هذه

---

[٣٧] (تك ١: ٢٦)

قد تبددت أو خلت من معناها، مفترضين أنه قد أصدر لنفسه أمر الخلق، وأطاع نفسه،- إذ ما هي الفكرة المقصودة من إعطاء الله أمر شفهي لنفسه سوى فكرة وجود إلهٍ منفردٍ، حينما لم يكن هناك شيء ضروري عدا عمل إرادته؟ - صَمَّم أن يمنحنا تأكيدًا أكثر كمالاً على أن تلك الكلمات تشير إلى وجود آخر معه. حينما قال: لِنَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فإن إشارته لوجود شريك تُدمِّر نظرية عُزلته. إن الكيان المعزول لا يمكن أن يكون شريكًا لنفسه؛ وأيضًا، قوله: 'لِنَعْمَلُ' لا ينسجم مع العُزلة، بينما 'ضمير الملكية للمتكلم في صيغة الجمع (نا)' *our* لا يمكن أن يُستَخدَم سوى في المرافقة. كلتا الكلمتين 'نحن' و 'نا' لا تنسجمان مع فكرة وجود إلهٍ منفردٍ يتكلم عن نفسه، وبالمثل هي غير منسجمة مع الخطاب الموجَّه لغريبٍ ليس له شيء مشترَك مع المتكلم. لو فسرتم الفقرة لتعني أنه منعزل، فأنا أسألكم إن كنتم تعتقدون أنه كان يتكلم مع نفسه؟ لو كُنتم لا تفهمون أنه كان يتكلم مع نفسه، فكيف تفترضون أنه كان منعزلاً؟ لو كان منعزلاً، فلا بُد أننا سنجده موصوفًا كمنعزلٍ؛ لو كانت له شركةٌ، فسنجده موصوفًا كغير منعزلٍ. 'أنا' *I* و 'صيغة الملكية للمتكلم المفرد' *mine* هما المناسبتان لوصف الأول؛ أما الأخير فيستدل عليه بـ 'نحن' و 'نا'.

١٨- وهكذا، حينما نقرأ: لِنَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فإن تلك الكلمتين 'نحن' و 'نا' تُظهِران أنه ليس هناك إله واحد معزول، ولا حتى إله واحد في شخصين متباينين؛ واعترافنا يجب أن يُحاط بإطار متجانس مع الحقيقة الثانية مثلما أيضًا مع الأولى. فإن تعبير 'صُورَتِنَا' - وليس

'صورتينا' - يثبت أن هناك طبيعةً واحدةً مملوكةً لكليهما. لكن الجدال باستخدام الكلمات هو برهان غير كامل، إلا إذا كانت نتيجتها مُثبَتة ببرهان الحقائق؛ وتبعًا لذلك مكتوب: فَخَلَقَ الله الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ[٣٨]. أنا أتساءل، إن كانت الكلمات التي قالها هي مناجاة إله منعزل لنفسه، فأي معنى سوف نحدده لهذا التصريح الأخير؟ فإني أرى فيه تلميحًا مثلثًا، للخالق، وللمخلوق، وللصورة. الكيان المخلوق هو الإنسان؛ الله خلقه، وخلقه على صورة الله*. لو كان سفر التكوين يتكلم عن إله منعزل، لوجب أن يكون (المكتوب) 'وخلقه على صورته الخاصة'. لكن بما أن الكتاب كان يتنبأ عن سِر الإنجيل، فإنه لا يتكلم عن إلهين، بل عن الله (الآب) والله (الابن)، لأنه يتكلم عن إنسان خُلِق بواسطة الله في صورة الله. وهكذا نجد أن الله (الآب) شكَّل الإنسان على صورة ومثال مشترَك معه ومع الله (الابن)؛ فإن التنويه عن المنفِّذ يمنعنا من افتراض أنه كان منعزلاً؛

---

[٣٨] (تك ١: ٢٧)

* يقول ق. أثناسيوس: "ولأنه رأى عدم قدرة الإنسان أن يبقى دائمًا على الحالة التي خُلق فيها، أعطاه نعمة إضافية، فلم يكتف بخلق البشر مثل باقي الكائنات غير العاقلة على الأرض، بل خلقهم على صورته وأعطاهم شركةً في قوة كلمته حتى يستطيعوا بطريقة ما، ولهم بعض مِن ظل (الكلمة) وقد صاروا عقلاء، أن يبقوا في سعادة ويحيوا الحياة الحقيقية، حياة القديسين في الفردوس". القديس أثناسيوس الرسولي: *تجسد الكلمة*، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الطبعة الثالثة، نوفمبر ٢٠٠٤م. الفصل الثالث فقرة ٣.{م}

والعمل المعمول على نفس الصورة والمثال[#]، يؤكد أنه لا يوجد اختلاف في النوع بين ألوهية الواحد والآخر.

١٩- قد يبدو مضيعة للوقت تقديم جدالاتٍ إضافية، فإن الحقيقة الخاصة بالله لا تتقوى بالتكرار، والتصريح الواحد يكفي لترسيخها. ومع ذلك فمن الجيد لنا معرفة كل ما يُظهِر الموضوع، فبالرغم من أننا غير مسئولين عن كلام الكتاب المقدس، إلَّا أننا يجب أن نقدم تقريرًا عن المعنى الذي حددناه له. واحدة من الوصايا العديدة التي أعطاها الله لنوح هي: سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ. لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ[٣٩]. هنا مرة أخرى يوجد التمييز بين المثال، والخليقة، والخالق. الله يقدم شهادة عن أنه خَلق الإنسان على صورة الله. حينما كان على وشك خلق الإنسان، فلأنه كان يتكلم عن نفسه، ومع ذلك لم يكن يتكلم مع نفسه،

[#] الحقيقة أن معظم الآباء قد أجمعوا على أن الابن هو صورة الآب والإنسان مخلوق على تلك الصورة، وبالتالي فالإنسان هو 'صورة الصورة' كما يدعوه كليمنضس السكندري (*Exhortation to the Greeks* 10. LCL 215.) وماريوس فيكتورينوس Marius Victorinus، رغم أن ماريوس يقول إن الآب والابن صورة واحدة (*Against Arius* 1a.20. FC 69:117.)، بينما يقول برودنتيوس Prudentius إن المتكلم هنا، في قوله 'صورتنا كشبهنا' هم الثالوث، وبالتالي فالإنسان مخلوق على صورة الثالوث وليست صورة الآب (*Poems,* FC 52:15.). لكن من الواضح أن ق. هيلاري قد فهم الآية بما معناه أن الإنسان مخلوق على صورة الآب والابن، ويرى أن ذلك يؤكد مساواتهما، بعكس فكر ق. أثناسيوس والآباء الكبادوك.{م}

[٣٩] (تك ٩: ٦)

قال الله: عَلَى صُورَتِنَا؛ وأيضًا، بعد أن خُلِق الإنسان قال: خَلَقَ الله الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. لو قال مخاطبًا نفسه: 'قد خَلقتُ الإنسان على صورتي'، فلن يكون هناك عدم دقة لغوية، فلقد أظهر أن الأشخاص (الأقانيم) هم واحد في الطبيعة بقوله: لِنَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا. لكن لكي يزيل كل الشكوك بأكثر دقة حول مسألة إن كان الله كيانًا منعزلاً أو لم يكن، فحينما خلق الإنسان، خلقه كما أُخبرنا: عَلَى صُورَةِ اللهِ.

التمايز بين الأقانيم واضح في عملية خلق الإنسان

٢٠- إن كنتم لازلتم تريدون تأكيد أن الله الآب في عُزلته قال تلك الكلمات لنفسه، فيمكنني أن أذهب معكم بمقدار ما تسمح الإمكانية، أنه ربما يكون قد تكلم في عزلةٍ مع نفسه كما لو كان يتحادث مع رفيق، وأنه من المعقول أن يكون قد أراد أن تكون جملة 'أنا قد خلقت الإنسان على صورة الله' معادِلةً لـ 'أنا قد خلقت الإنسان على صورتي'. لكن اعترافكم الشخصي عن الإيمان سوف يرد عليكم. فإنكم قد اعترفتم بأن كل الأشياء هي من الآب، لكن الكل بالابن؛ وجملة 'لِنَعْمَلُ الإِنْسَانَ'، تُظهر أن أصل كل الأشياء هو مَن تكلم هكذا، بينما 'عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ' تشير بوضوحٍ إلى مَن بواسطته قد تم العمل.

أقنوم الحكمة

٢١- وعلاوة على ذلك، لأجل جعل كل خداع ذاتي غير شرعي، فإن تلك **الحكمة**، التي قد اعترفتم بأنها هي المسيح، سوف تواجهكم بتلك الكلمات: لَمَّا أَثْبَتَ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ تَحْتَ السَّمَاءِ. لَمَّا شَدَّدَ أُسُسَ الأَرْضِ. كُنْتُ عِنْدَهُ وَاضِعَةً إِيَّاهَا بِنِظَامٍ. كُنْتُ أنا، مَوضِعُ فَرَحِهِ*. عَلاَوَة عَلَى ذَلِكَ، كُنْتُ فَرِحَةً كُلَّ يَوْمٍ قُدَّامَهُ، طَوَالَ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مُبْتَهِجًا بِالْعَالَمِ الَّذِي صَنَعَهُ، وَبِبَنِي آدَمَ[٤٠].

لقد زالت كل صعوبةٍ، إذ لا بُد أن الخطأ نفسه يميز الحقيقة. هناك **حكمة** مع الله، مولودة قبل العالمين؛ وليست فقط موجودةً معه، بل هي كانت 'عِنْدَهُ وَاضِعَةً إِيَّاهَا بِنِظَامٍ تُنظِّم'. لاحظوا هذا التنظيم، أو الترتيب. الآب، بأوامره، هو العلة؛ الابن، بتنفيذه للأمور المأمور بها، ينظِّم. التمييز بين الأشخاص يتم تحديده بالعمل المحدَّد لكلٍ منهم. حينما تقول (**الحكمة**):

---

* وعن هذه الآية يقول ق. أثناسيوس: «والآب يفرح بالابن، وبهذا الفرح عينه يبتهج الابن بالآب قائلاً: "كنت أنا موضع فرحه، وكنت أفرح كل يوم قدامه" وهذا يبرهن مرة أخرى أن الابن هو من ذات جوهر الآب وليس غريبًا عنه. فهو إذن لم يوجد من أجلنا كما يدعي الكافرون، وهو ليس من العدم، لأن الله لم يتخذ لنفسه موضوعاً للفرح من خارجه، بل من الواضح أن هذه الكلمات هي عن ذاك الذى هو خاص به ومماثل له. فمتى إذن لم يكن الآب يفرح؟ لأنه إن كان يفرح دائماً إذن فلابد أن ذلك الذى كان يفرح به كان موجوداً دائماً. فبماذا يفرح الآب إلا بأن يرى نفسه في صورته التي هي كلمته؟». القديس أثناسيوس الرسولي: *المقالة الثانية ضد الأريوسيين*؛ مرجع سابق، الفصل الثاني والعشرين، فقرة ٢٨.{م}

[٤٠] (أم ٨: ٢٨- ٣١) مع ملاحظة أنه قد أغفل جزءًا من الفقرة.{م}

لِنَعْمَلُ، تتعين هوية الخليقة بكلمة الوصية؛ لكن حينما كُتِب: أَنَا كُنْتُ عِنْدَهُ وَاضِعَةً إِيَّاهَا بِنِظَامٍ، يُظهر أن الله لم يقُم بالعمل في عُزلةٍ. فإنه كان يبتهج قبله، مَن، كما يخبرنا، قد ابتهج بالمقابل؛ عَلَاوَة عَلَى ذَلِكَ، كُنْتُ فَرِحَةً كُلَّ يَوْمٍ قُدَّامَهُ، طَوَالَ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مُبْتَهِجًا بِالْعَالَمِ الَّذِي صَنَعَهُ، وَبِبَنِي آدَمَ. **الحكمة** قد أعلمتنا بسبب بهجتها. لقد فرحَت بسبب بهجة الآب، الذي فرح باكتمال العالم وببني آدم. فإنه مكتوبٌ: وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. لقد ابتهجَت لأن الله مسرور جدًا بعمله، الذي خُلِق من خلالها، بأمره. إنها تعترف بأن بهجتها تَنتُج عن ابتهاج الآب بالعالم المكتمِل[#] وببني آدم؛ ببني آدم لأنه في آدم الإنسان الواحد بدأ كل الجنس البشري طريقه. هكذا ما حدث في خلقة العالم ليس هو مجرد مناجاة آب منعزل لنفسه؛ **حكمته** هي شريكته في العمل، وهي تبتهج معه حينما تنتهي مهمتهما المشتركة.

تصريح موسى عن أن الله واحد ليس معناه إنكاره للاهوت الابن

٢٢- إنني أُدرِك أن الشرح الكامل لتلك الكلمات يتضمن النقاش حول مشاكل عديدة وخطيرة. لن أتهرب منها، بل سأُرجئها في الوقت الحالي، مُدَّخرًا التفكير فيها لمراحل متأخرة من الاستعلام. أما الآن فسوف أُكَرِّس

[#] يقول ق. أثناسيوس: "لأنه ابتهج ليس لأن الفرح أضيف إليه، بل أيضًا لأنه رأى الأعمال صائرةً حسب صورته، ولهذا يكون فرح الله هو بسبب صورته". *المقالة الثانية ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، الفصل الثاني والعشرين، فقرة ٨٢.{م}

نفسي للفقرة الخاصة بإيمان المجدفين، أو بالحري غير المؤمنين، الذين يؤكدون أن موسى يعلن عُزلة الله. نحن لا ننسى أن التوكيد صحيح، أي أن هناك إلهًا واحدًا، الذي منه كل الأشياء؛ لكننا لا ننسى أن هذه الحقيقة ليست عُذرًا لإنكار لاهوت الابن، بما أن موسى طوال سياق كتاباته يُشير بوضوحٍ إلى وجود الله (الآب) والله (الابن). يجب أن نفحص كيف كانت قصة اختيار الله، وطريقة تقديم الناموس، تُعلِنان عن مساواة جوهر الله (الآب) مع الله (الابن).

ملاك المشورة العظمى

٢٣- بعد أن تكلم الله كثيرًا مع ابراهيم تحركت سارة للحنق على هاجر، غيرانةً من كونها عاقرًا، وهي السيدة، بينما خادمتها قد حبلت بولدٍ. ثم، حينما مَضَت هاجر عن بصرها، تكلم الروح بخصوصها قائلاً هكذا: فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: ارْجِعِي إِلَى مَوْلاَتِكِ، وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا. وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ. وأيضًا: فَدَعَتِ اسْمَ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعَهَا، أَنْتَ الله، الَّذِي رَآنِي[٤١]. إنه ملاك الله الذي تكلّم، وتكلم عن أمورٍ بعيدة فوق قدرات الرسول، فإن هذا هو المعنى من الكلمة. هو يقول: تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ.

إن القدرة على إكثار عدد الشعوب يقع خارج خدمة ملاكٍ، لكن ماذا يقول الكتاب المقدس عمَّن يُدعى ملاك الله، رغم كونه كلامًا يخُص الله

---

[٤١] (تك ١٦: ٩، ١٠، ١٣)

وحده؟ فَدَعَتِ اسْمَ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعَهَا، أَنْتَ الله، الَّذِي رَآنِي. أولاً هو ملاك الله؛ ثم هو الرب، لأنها قد 'دَعَتِ اسْمَ الرَّبِّ'؛ ثم، ثالثًا، هو الله، لأنها قالت: أَنْتَ الله، الَّذِي رَآنِي. ذاك الذي هو ملاك الله هو أيضًا رب وإله*. ابن الله أيضًا هو، بحسب النبي: مَلَاكُ الْمَشُورَةِ الْعُظْمَى[٤٢]. فلكي نميز بوضوحٍ بين الأشخاص، دُعي هو ملاك الله؛ ذاك الذي هو إله من إله هو أيضًا ملاك الله، لكنه لُقِّب أيضًا بالرب والإله، إذ أن له الكرامة التي يستحقها.

٢٤- في هذه الفقرة، الله الواحد هو أولاً ملاك الله، ثم، على التوالي، الرب والإله. لكن بالنسبة لإبراهيم هو الله فقط. فإنه حينما حدث التمييز في البداية بين الأشخاص - كحصنٍ ضد ضلال كون الله كيانًا منفردًا - أمكن حينئذ نُطق اسمه الحقيقي والتام بشكلٍ آمنٍ. ولذا قد كُتِب: فَقَالَ الله لِإِبْرَاهِيمَ: بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ؛ وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا، وَلِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا لِإِسْمَاعِيلُ، أَنْظُرْ، فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ، وَقَدْ بَارَكْتُهُ، وَسَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً[٤٣]. فهل من الممكن أن يُشك في أن مَن قد دُعي قَبلاً ملاك الله، قد قيل عنه هُنا في التتمة إنه الله؟ في كِلا المثالين هو يتكلم عن إسماعيل؛ في كليهما هو نفس الشخص الذي سوف يُكثره. ولكي يُنقذنا من افتراض أن

---

* أحيانًا حينما يُذكَر ملاك الله في العهد القديم كان ذلك يعني إحدى ظهورات الابن.{م}

[٤٢] (إش ٩: ٦) سبعينية. وعنها قد أخذت الترجمة القبطية، واستخدمتها الكنيسة في تسبحتها (ثيئوطوكية يوم الاثنين) وليتورجيتها (قسمة صوم الميلاد).{م}

[٤٣] (تك ١٧: ١٩، ٢٠)

هذا المتكلم كان مختلفًا عمن خاطب هاجر، يشهد الكلام الإلهي بوضوحٍ عن التطابق قائلاً: وَقَدْ بارَكْتُهُ، وَسَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. لقد تكررت البركة الموعود بها في حادثةٍ سابقةٍ، فإن هاجر قد تمت مخاطبتها بالفعل؛ لقد وُعِد بأن يتم الإكثار في يومٍ مُقبِلٍ، فإن هذه هي أولى كلمات الله لإبراهيم؛ لقد تكلم ملاك الله مع هاجر. وهكذا فإن الله وملاك الله هما واحدٌ؛ مَن هو ملاك الله هو أيضًا الإله ابن الله. لقد دُعي الملاك لأنه: مَلَاكُ الْمَشُورَةِ الْعُظْمَى؛ لكن فيما بعد قد قيل عنه إنه الله، لئلا نفترض أن مَن هو الله هو مجرد ملاكٍ. دعونا الآن نكرر الحقائق بالتسلسل. ملاك الرب قد تكلم مع هاجر؛ تكلم أيضًا مع إبراهيم كإله، إذا فهناك متكلم واحد قد خاطب كليهما. البركة قد أُعطيَت لإسماعيل، والوعد بأنه سوف ينمو ليكون أمةً عظيمةً.

إبراهيم عرف الرب من وسط الثلاثة الذين ظهروا له

٢٥- في مثالٍ آخر يُظهِر الكتاب المقدس من خلال إبراهيم أن الذي تكلم هو الله. إنه يتلقى وعدًا آخر بابن، اسحاق. بعدئذ ظهر له ثلاثة رجال. إبراهيم، رغم أنه قد رأى ثلاثة، قد سجد لواحدٍ، واعترف به ربًا. ثلاثة كانوا يقفون أمامه، يقول الكتاب، لكنه قد عرف جيدًا مَن هو الذي كان يجب أن يسجد له ويعترف له. لم يوجد شيء في المظهر الخارجي يميز بينهم، لكن بعين الإيمان، ورؤية النفس، قد عرف ربه. ثم يُكمل

الكتاب: فَقَالَ: إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ هَذَا الْوَقْتِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ[٤٤]؛ وبعدئذ قال الرب له: هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ[٤٥]؛ وأيضًا: وَقَالَ الرَّبُّ: إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ[٤٦]. ثم بعد محادثةٍ طويلةٍ، والتي لن نذكرها لأجل الاختصار، قال إبراهيم، المتوجع بسبب الدمار الذي ينتظر الأبرياء مثلما ينتظر المذنبين أيضًا: حَاشَا لَكَ. أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ يُنَفِّذُ هَذَا الْحُكْمَ؟ فَقَالَ الرَّبُّ: إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ[٤٧]. بعد ذلك، حينما انتهى تحذير لوط، أخي إبراهيم، يقول الكتاب: فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ[٤٨]، وبعد فترةٍ: وَافْتَقَدَ الرَّبُّ سَارَةَ كَمَا قَالَ، وَفَعَلَ الرَّبُّ لِسَارَةَ كَمَا تَكَلَّمَ. فَحَبِلَتْ سَارَةُ وَوَلَدَتْ لإِبْرَاهِيمَ ابْنًا فِي شَيْخُوخَتِهِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَكَلَّمَ اللهُ عَنْهُ[٤٩]. وبعدئذٍ، حينما مضت الخادمة مع ابنها من بيت إبراهيم، وكانت فزعة من أن يموت الولد في البرية من العطش، يقول الكتاب نفسه: فَسَمِعَ اللهُ صَوْتَ الْغُلاَمِ، وَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا مَا لَكِ يَا هَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ

---

[٤٤] (تك ١٨: ١٠)

[٤٥] (تك ١٧: ١٧)

[٤٦] (تك ١٧: ٢٠)

[٤٧] (تك ١٧: ٢٥، ٢٦)

[٤٨] (تك ١٩: ٢٤)

[٤٩] (تك ٢١: ١، ٢)

اللهَ قَدْ سَمِعَ لِصَوْتِ الْغُلاَمِ حَيْثُ هُوَ. قُومِي احْمِلِي الْغُلاَمَ، وَشُدِّي يَدَكِ بِهِ، لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً[٥].

ملاك الله الذي خاطب إبراهيم وهاجر كان ظهورًا للابن

٢٦- أي كفرٍ أعمى هذا، أي غباء قلبٍ غير مؤمنٍ هذا، أي عدم تقوى عنيدٍ هذا، الذي يبقى في جهلٍ بكل هذا، أو يعرف ومع ذلك يتجاهل هذا! يقينًا هو مكتوب لأجل هذا الغرض بالذات، أن الخطأ أو النسيان لن يمكنهما منع إدراك الحقيقة. لو كان مستحيلاً - كما سوف نُثبِت - الفرار من معرفة الحقائق، إذًا فلن يكون إنكارهم أقل من التجديف. هذا التدوين يبدأ مع حديث الملاك مع هاجر، ووعده بأن يُكثر نسل اسماعيل إلى أمة عظيمة وبإعطائه نسل لا يُعَد. لقد أنصتَت، وباعترافها أعلنَت أنه ربٌّ وإله. تبدأ القصة بظهوره كملاك الله؛ وفي نهايتها يقف مُعتَرَفًا به كالله نفسه. وهكذا، فإن الذي ينفِّذ خدمة إظهار ملاك المشورة العظمى كملاك الله، هو نفسه الله في الاسم والطبيعة. الاسم يتوافق مع الطبيعة؛ الطبيعة لا تكذب في جعل نفسها مطابقةً للاسم. مرة أخرى، يتكلم الله مع إبراهيم عن نفس المسألة؛ لقد أُخبِر بأن اسماعيل قد قبِل البركة بالفعل، وسوف يزداد إلى أن يصبح أمةً، إذ يقول الله: قَدْ بارَكْتَهُ. هذا ليس تحولاً عن الشخص المُشار إليه قبلاً؛ إنه يُظهِر أنه هو مَن أعطى البركة بالفعل. الكتاب كان ثابتًا بوضوحٍ طوال الوقت في تقدُّمه من السر إلى الإعلان

---

[٥] (تك ٢١: ١٧، ١٨)

الواضح؛ لقد بدأ بملاك الله، وواصل إظهار أنه كان الله نفسه الذي قد تكلَّم في نفس القضية.

مثلما ظهر الله الابن لإبراهيم في زي ملاك هكذا ظهر له في زي رجل

٢٧- طريقة القَص الإلهي يُصاحبها تطور متدرج للتعليم. في الفقرة التي ناقشناها يتكلم الله مع إبراهيم، ويعِد بأن سارة سوف تلد ابنًا. بعدئذ يقف ثلاثة رجال أمامه؛ يسجد هو لواحد ويعترف به كرَبٍّ. بعد هذا السجود والاعتراف من قِبل إبراهيم، يعِد واحدٌ (منهم) بأنه سوف يعود في المستقبل في نفس الموسم، وبأن سارة سوف يكون لها ولدها. هذا الواحد قد رآه إبراهيم مرة أخرى في زي رجلٍ، وحيَّاه بنفس الوعد. التغيير كان في الاسم فقط؛ اعتراف إبراهيم في كل حالة هو نفسه. لقد كان رجلاً قد رآه، ومع ذلك فقد سجد له إبراهيم كرَبٍّ؛ لا شك في أنه شاهَد التجسد الآتي بشكلٍ سريٍ. إن إيمانًا بهذه القوة لم يكن ليخفق في إدراكه؛ الرب يقول في الإنجيل: أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ[٥١]. ولإكمال القصة، يعده الرجل الذي قد رآه بأنه سوف يعود في نفس الموسم. لاحِظوا تحقيق الوعد، متذكرين في نفس الوقت أن مَن وعد كان رجلاً. ما الذي يقوله الكتاب؟ وَافْتَقَدَ الرَّبُّ سَارَةَ. لذا فهذا الرجل هو الرب، الذي يحقق وعده الشخصي. ما الذي يتبع ذلك؟ وَفَعَلَ الرَّبُّ لِسَارَةَ كَمَا تَكَلَّمَ. القصة تَدعو كلماته كلمات رجلٍ، وتربطها بأن سارة قد زارها الرب، وتُعلِن أن النتيجة

---

[٥١] (يو ٨: ٥٦)

كانت عمل الرب. أنتم متأكدون من أن المتكلم كان رجلاً، لأن إبراهيم لم يسمعه فقط، بل وقد رآه. هل سيقِل يقينكم بأنه كان الله، حينما يعترف نفس الكتاب المقدس، الذي قد دعاه رجلاً، بأنه الله؟ فإن كلماته هي: فَحَبِلَتْ سَارَةُ وَوَلَدَتْ لإِبْرَاهِيمَ ابْنًا فِي شَيْخُوخَتِهِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَكَلَّمَ الله عَنْهُ. لكنه كان الرجل الذي قد وعد بأنه سوف يأتي. إن لم يكن ذاك الذي قد جاء هو في الحقيقة إله ورب، (لقلت لكم) آمِنوا بأنه لم يكن سوى رجل. أُربُطوا الأحداث. لقد كان، بشكلٍ مُعتَرَف به، الرجل الذي وعد بأنه سوف يأتي وبأن سارة سوف تحبل وتلد ابنًا. والآن اقبلوا التعليم، واعترفوا بالإيمان؛ لقد كان الرب الإله هو الذي أتى قائلاً إنها سوف تحبل وتلد. الرجل قد وَعد بقوة الله؛ بنفس القوة حقق الله الوعد. وهكذا أظهر الله نفسه سواء بالقول أو بالفعل. ثم، غادر اثنان من الثلاثة رجال الذين رآهم إبراهيم؛ الذي بقي بجواره هو رب وإله. وليس فقط رب وإله، بل وديان أيضًا، لأن إبراهيم قد وقف أمام الرب وقال: حَاشَا لَكَ أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ؟ حَاشَا لَكَ. أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ يُنَفِّذُ هَذَا الْحُكْمَ؟[٥٢]. وهكذا يرشدنا إبراهيم بكل كلامه إلى ذاك الإيمان، الذي قد تبرر به*؛ لقد ميَّز الرب من بين ثلاثة، وسجد له وحده، واعترف بأنه رب وديان.

---

[٥٢] قارن (تك ١٨: ٢٥)

* (رو ٤: ٣)؛ (غل ٣: ٦)؛ (يع ٢: ٢٣)

الاثنان الآخران اللذان ذهبا للوط كانا ملاكين

٢٨- ولكي لا تسقطوا في خطأ افتراض أن هذا الاعتراف بالواحد كان تقديمَ كرامةٍ للثلاثة الذين رآهم إبراهيم مترافقين، لاحظوا كلام لوط حينما رأى الاثنين اللذين قد غادرا: فَلَمَّا رَآهُمَا لُوطٌ قَامَ لاسْتِقْبَالِهِمَا، وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. وَقَالَ: يَا سَيِّدَيَّ، مِيلاَ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا[٥٣]. هنا صيغة المُثنَّى 'يَا سَيِّدَيَّ' تُظهِر أن هذا لم يكن سوى منظر ملائكةٍ؛ أما في الحالة الأخرى فإن أب الآباء بالإيمان يقدم الكرامة لواحدٍ فقط. وهكذا فإن الرواية المقدسة تُظهر بوضوحٍ أن اثنين من الثلاثة كانا مجرد ملائكةٍ؛ لقد أظهرَت لاحقًا الواحد كربٍ وإلهٍ بالكلمات: فَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ، قَائِلَةً، هَلْ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟ هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي الْمِيعَادِ أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ هَذَا الْوَقْتُ، وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ[٥٤]. الكتاب دقيقٌ وثابت المبدأ؛ نحن لن نجد أي تشويشٍ بين استخدام صيغة المثنى وبين الإله والرب الواحد، ولن نجد تكريمًا إلهيًا مُقدَّمًا للملائكة. لا شك في أن لوط قد دعاهما 'سَيِّدَيَّ'، بينما يدعوهما الكتاب ملائكةً. الأمر الأول هو توقيرٌ بشريٌ، والآخر حقيقةٌ كتابيةٌ.

---

[٥٣] (تك ١٩: ١، ٢)

[٥٤] (تك ١٨: ١٣، ١٤)

الرب الذي أمطر، والذي من عنده المطر، هما الآب والابن

٢٩- والآن هم يوقعون على سدوم وعمورة انتقام الدينونة العادلة. ما الذي يمكننا أن نتعلمه من هذا لأجل أهداف تحقيقنا؟ أَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ*؛ الكتاب لا يصنع تفريقًا، باختلاف الاسم، بين طبيعتيهما، بل يميز بين نفسيهما. فإننا نقرأ في الإنجيل، الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ[٥٥]. بهذا يكون ما أعطاه الرب، قد قبله الرب من الرب.

قول الرب ليعقوب في الحلم يحمل تمييزًا للأقانيم

٣٠- والآن لديكم دليل عن الله الذي يدين كرَب ورَب، لذا فاعلَموا أن هناك نفس الملكية المشتركة للاسم في حالة الله (الآب) والله (الابن). يعقوب، حينما هرب خوفًا من أخيه، رأى في حلمه سُلَّمًا يرتكز على الأرض ويصل إلى السماء، وملائكة الله صاعدون ونازلون عليه، والرب القائم عليه هو مَن أعطاه كل البركات التي قد منحها لإبراهيم واسحق. بعد وقتٍ متأخر تكلم الله معه هكذا: ثُمَّ قَالَ الله لِيَعْقُوبَ: قُمِ اصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ، وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلهِ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ[٥٦]. الله (الآب) يطلب الكرامة لله (الابن)، ويجعل الأمر

---

* الرب الذي أمطر، والذي من عنده المطر، هما الآب والابن.{م}

[٥٥] (يو ٥: ٢٢)

[٥٦] (تك ٣٥: ١)

واضحًا في أن ذاك المطلب هو نيابةً عن آخر أكثر من أن يكون المطلب لنفسه. إنه حريصٌ في كلماته: الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ، لكي لا يحدث أي خلطٍ للأشخاص (الأقانيم). الله هو المتكلم، والله هو مَن يتكلم عنه. عظمتهما مؤكَّدة باتحاد كليهما في اسمهما الحقيقي 'الله'، بينما توضِّح الكلمات صراحةً وجودهما المتعدد*.

هناك العديد من ظهورات الابن في العهد القديم

٣١- هناك آراءٌ أخرى تخطر ببالي يجب أن تؤخذ في الحسبان بمعالجة كاملة للموضوع. لكن نوع الدفاع يجب أن يكيف نفسه على نوع الهجوم، وأنا سوف أُرجئ مناقشة تلك الأسئلة البارزة للكتاب القادم. في الوقت الحالي، فيما يتعلق بالله (الآب) الذي يطلب الكرامة لله (الابن)، يكفي بالنسبة لي الإشارة إلى أن ملاك الله الذي تكلم مع هاجر، كان إلهًا وربًا حينما تكلَّم عن نفس الأمر مع إبراهيم. فإن الرجل الذي تكلَّم مع إبراهيم كان أيضًا إلهًا وربًا، بينما الملاكان، اللذان شوهدا مع الرب واللذان أُرسِلا إلى لوط، قد وصفهما النبي بالملائكة، وليس أكثر. وليس لإبراهيم فقط قد ظهر الله في شكل إنسانٍ؛ لقد ظهر كرجلٍ ليعقوب أيضًا. ولم يظهر فقط، بل، كما يُقال لنا، قد تصارع؛ ولم يتصارع فقط، بل قد غُلِب من خصمه. لن يسعفني الوقت ولا الموضوع بأن أناقش في ترتيبي المعنى

* أي أنهما اثنان.{م}

النموذجي للمصارعة. لقد كان الله بالتأكيد هو مَن صارع، لأن يعقوب غلب الله، ورأى إسرائيل الله.

العُليقة

٣٢- والآن دعونا نسأل إن كان هناك موضع آخر قد اكتُشِف فيه أن ملاك الله هو الله نفسه غير مسألة هاجر. لقد اكتُشف هذا، ووُجد أنه ليس فقط الله، بل إله إبراهيم واسحق ويعقوب. إن ملاك الرب قد ظهر لموسى من وسط العليقة؛ والآن، لمَن تظن أن يكون الصوت الذي نفترض أنه قد سُمِع؟ هل هو صوت مَن شوهد، أم صوت آخرٍ؟ لا يوجد مكان للمخادعة. إن كلمات الكتاب واضحة: وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ؛ وأيضًا: نَادَاهُ الرَّبُّ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: مُوسَى، مُوسَى، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ الرَّبُّ، لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى هُهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ. ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ»[٥٧]. فالذي ظهر في العليقة يتكلم من العليقة، إذ أن مكان الرؤية والصوت هو واحدٌ. الذي يتكلم ليس آخر غير مَن قد شوهد. ذاك الذي كان ملاك الله حينما نظرَته العين، هو الرب حينما سمعته الأُذن، والرب المسموع صوته قد أُدرِك أنه إله إبراهيم، واسحق، ويعقوب. حينما لُقِّب بملاك الله، ظهرت حقيقة أنه ليس مستقلاً بذاته، وليس كيانًا منعزلاً، إذ هو ملاك الله. حينما عُيِّن رب وإله، قد قَبِل اللقب الكامل اللائق

---

[٥٧] (خر ٣: ٢، ٤- ٦)

بطبيعته واسمه. إذًا فالرب الإله موجود لديكم في الملاك الذي ظهر من وسط العليقة.

٣٣- أكمِلوا دراستكم للشهادة التي حملها موسى؛ لاحظوا كيف تمسَّك بإتقان بكل فرصة لإظهار الرب والإله. سوف تلاحظون عبارة: اِسْمَعْ، يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلَهُكَ رَبٌّ وَاحِدٌ[٥٨]. لاحظوا أيضًا كلمات النشيد الإلهي الذي له: اُنْظُرُوا، اُنْظُرُوا، أَنَا الرَّبُ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي[٥٩]. بينما كان الله يتكلم من خلال القصيدة، قد أنهى بقوله: تَهَلَّلِي مَعَهُ أَيَّتُهَا السَّمَوَات، وَلْيُمَجِّدَهُ كُلُّ أَبْنَاءِ الله. تَهَلَّلُوا أَيُّهَا الأُمَمُ، مَعْ شَعْبِهِ، وَلْتُكْرِمْهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ الله[٦٠]. إن ملائكة الله تمجد الله، وهو يقول: أَنَا الرَّبُ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. فإنه هو الله الابن الوحيد، ولقب 'الابن الوحيد' يَستثني أيَّة شركةٍ في تلك الصفة، مثلما يُنكر لقب 'غير المبتدئ' أن يكون في ذاك الاعتبار أي شخصٍ يتشارك في صفة الآب غير المبتدئ. الابن هو واحدٌ من واحدٍ. لا يوجد أحدٌ غير مبتدئ سوى الإله غير المبتدئ، وهكذا بالمثل لا يوجد ابن وحيد سوى الإله الابن الوحيد. كل منهما ينفرد بصفته، لكونهما الواحد غير المُبتدئ والواحد الابن الوحيد. وهكذا هما الاثنان إله واحد، فإنه لا يوجد أي اختلاف في طبيعة اللاهوت الأزلي بين الواحد، والواحد الذي هو ابنه. لذا ينبغي أن يسجد له أبناء الله وتمجده ملائكة الله. الإكرام والتبجيل

---

[٥٨] (تث ٦: ٤)

[٥٩] (تث ٣٢: ٣٩)

[٦٠] (تث ٣٢: ٤٣)

مطلوب تقديمهما لله من أبناء الله وملائكة الله. لاحظوا مَن هو الذي سينال هذا التكريم، وبواسطة مَن ينبغي أن يُعطى. إنه الله، وهم أبناء وملائكة الله. ولكي لا تتخيلوا أن الكرامة غير مطلوبة لله الذي يشاركنا الطبيعة[٦١]، بل أن موسى يفكر هنا في التوقير اللائق بالله الآب،- رغم أنه في الواقع، يجب أن يكرَّم الآب في ابن الله - افحَصوا كلمات البركة الممنوحة من الله ليوسف، في نهاية نفس السفر. تلك البركات هي: فَلْتَأْتِ الْأُمُورُ الْمُرْضِيَّةُ لِمَنْ ظَهَرَ فِي الْعُلَّيْقَةِ عَلَى رَأْسِ وَعَلَى قِمَّةِ يُوسُفَ[٦٢]. وهكذا يجب أن يُسجَد لله من أبناء الله؛ لكنه الإله الذي هو نفسه ابن الله. الله يجب أن يُبَجَّل من ملائكة الله؛ لكنه الإله الذي هو نفسه ملاك الله. فإن الله قد ظهر من العليقة كملاك الله، والصلاة الخاصة بيوسف هي لكي تحل عليه تلك البركات كما يرضيه. هو الله رغم ما قيل لأنه ملاك الله؛ وهو ملاك الله رغم ما قيل لأنه الله. الإشارة واضحة عن الأشخاص الإلهية؛ الخط مرسوم بشكل محدد بين غير المولود والمولود. إظهار أسرار السماء مُسلَّم به، ونحن ربما لم نتعلم أن نحلم بالله كمَن يسكن في انعزال، حينما يسجد ملائكة وأبناء الله لمَن هو ملاك الله وابنه* (في نفس الوقت).

---

[٦١] أي بناسوته.

[٦٢] (تث ٣٣: ١٦)

* أي أن ذاك الذي لُقِّب بملاك الله في ظهوره، هو ابن الله.{م}

شهادات أخرى عن الابن من الأنبياء

٣٤- لندع ذلك يؤخذ كأنه ردُّنا من أسفار موسى، أو بالحري كرد موسى نفسه. الهراطقة يتخيلون أنهم يمكنهم أن يستخدموا تأكيد وحدانية الله في دحض ألوهية ابن الله. إنهم يجدفون في استخفافهم بالإنذار الواضح في تلك الشهادات الخاصة، فإنه حينما اعترف بأن الله واحد لم يفشل أبدًا في أن يُعلِّم بلاهوت الابن. أما خطوتنا التالية فيجب أن تكون لتقديم الكلام المتنوع للأنبياء بخصوص نفس الابن.

٣٥- أنتم تعلمون الكلمات: اِسْمَعْ، يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلَهُكَ رَبٌّ وَاحِدٌ؛ هل تعرفون ذلك على نحو قويم! لكنني أريد أن أفهم معناها عندما تفسرونها. لقد قيل في المزامير: الله، إِلهُكَ، قَدْ مَسَحَكَ[٦٣]. فلتجعلوا عقل القارئ يفهم الفرق بين الماسح والممسوح؛ مَيِّزوا بين 'الضمير المخاطب' you و 'ضمير الملكية' your: وَضِّحوا لمَن وعن مَن تُقال الكلمات. فإن هذا الاعتراف المحدَّد هو ملخص الفقرة السابقة، والذي يجري هكذا: كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، ولذا فهو يكمل قائلاً: مِنْ أَجْلِ ذلِكَ، الله، إِلهُكَ، قَدْ مَسَحَكَ. هكذا إله الملكوت الأبدي، لمكافئة محبته للبر وبغضه للإثم، قد مُسِح بواسطة إلهه. فهل يوجد اختلاف ولو قليل، أو توجد فجوة كبيرة بالنسبة لعقلنا، بين تلك الأسماء؟ كلا؛ التمييز بين الأشخاص يُشار إليه بـ

---

[٦٣] (مز ٤٤: ٨) سبعينية، (٤٥: ٧) بيروتية.

'الضمير المخاطب' و 'ضمير الملكية'، لكن لا شيء يوحي باختلاف الطبيعة. ضمير الملكية يشير إلى الخالق، وضمير المخاطَب يشير إلى ابن الخالق. فإنه إلٰه من إلٰه، كما توضح تلك الكلمات نفسها التي قالها النبي: اللهُ، إِلٰهُكَ، قَدْ مَسَحَكَ. وكلماته تحمل الشهادة بأنه ليس هناك إلٰه سابق للإله غير المبتدئ: أَنْتُمْ شُهُودِي، وَأَنَا شَاهِدٌ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَخَادِمِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا بِي وَتَفْهَمُوا أَنِّي أَنَا هُوَ، وقَبْلِي لَمْ يَكُنْ إِلٰهٌ، وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ[٦٤]. هكذا فإن عظمة مَن ليست له بداية مُعلَنة، ومجد المولود مِن غير المبتدئ مُصان، إذ قيل: اللهُ، إِلٰهُكَ، قَدْ مَسَحَكَ. هذا التعبير 'إلٰهك' يُعلِن عن ولادته، وفي نفس الوقت لا يتعارض مع طبيعته[٦٥]؛ إِلٰهُكَ تعني أن الابن قد وُلد منه ليشاركه الألوهية. لكن حقيقة أن الآب هو الله لا تعوق كون الابن إلٰهًا أيضًا، إذ أن: اللهُ، إِلٰهُكَ، قَدْ مَسَحَكَ. لقد تم التنويه عن كلٍ من الآب والابن، إذ أن اللقب الواحد لله يؤمِّن أنهما واحدٌ في الصفة والعظمة.

٣٦- لكن لئلا تؤخذ تلك الكلمات: أَنَا هُوَ، وقَبْلِي لَمْ يَكُنْ إِلٰهٌ، وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ، كافتراضٍ تجديفي لإثبات أن الابن ليس الله - إذ لا يأتي أي إلٰهٍ آخر بعد الله الذي لا يسبقه إلٰه - ينبغي أن تُدرَس تلك الفقرة. الله هو أفضل مفسر لنفسه، لكن خادمه المختار يشترك معه ليؤكد لنا أنه لا يوجد إلٰه قبله، ولن يكون بعده. شهادته الخاصة عن نفسه، هي بالتأكيد كافية، لكنه قد أضاف شهادة الخادم الذي قد اختاره. وبهذا فلدينا الشهادة الموحدة

---

[٦٤] (إش ٤٣: ١٠)

[٦٥] طبيعته البشرية أيضًا. قارن بما سيجيئ بالفقرة التالية، والكتاب التاسع فقرة ١٨.

للاثنين، أنه لم يكن هناك إله قبله؛ نحن نَقبل هذه الحقيقة، لأن كل الأشياء هي منه. لدينا شهادتيهما أيضًا بأنه لن يكون هناك بعده؛ لكنهما لا ينكران أن الله قد وُلد منه قبلاً. لقد كان الخادم بالفعل متكلمًا هكذا، وحاملاً الشهادة للآب، إذ قد وُلِد الخادم من ذلك السبط الذي منه ينشأ مختار الله. لقد عرض أيضًا نفس الحقيقة في الأناجيل: هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي[٦٦]. هذا هو المعنى إذًا في قول الرب: قَبْلِي لَمْ يَكُنْ إِلهٌ، وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ. إنه يُظهر عدم محدودية عظمته الأزلية وغير المتغيرة بهذا التأكيد على أنه لا يوجد قبله أو بعده إله. لكنه يمنح خادمه شركة في حمل الشهادة وامتلاك اسم الله.

فَأَرْحَمُهُمْ وَأُخَلِّصُهُمْ بِالرَّبِّ إِلهِهِمْ

٣٧- الحقيقة واضحة من كلماته، فإنه يقول لهوشع النبي: إِنِّي لاَ أَعُودُ أَرْحَمُ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ أَيْضًا، بَلْ أَكُونُ عَدِوَّهُم بِالتَّمَامِ. وَأَمَّا بَنُو يَهُوذَا فَأَرْحَمُهُمْ وَأُخَلِّصُهُمْ بِالرَّبِّ إِلهِهِمْ[٦٧]. هنا الله الآب يُعطي اسم إله، بدون أي غموضٍ، للابن، الذي فيه أيضًا قد اختارنا قبل عصورٍ لا تُعَد. هو يقول: إِلهِهِمْ، لأنه بينما الآب غير المبتدئ هو مستقل عن الكل، إلا أنه قد أعطانا ميراثًا لابنه. بنفس الطريقة نقرأ: اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ[٦٨]. لا أحد يمكنه أن

---

[٦٦] (مت ١٢: ١٨)

[٦٧] (هو ١: ٦، ٧)

[٦٨] (مز ٢: ٨)

يكون إلهًا لمَن منه كل الأشياء[٦٩]، فإنه أبدي وليس له بداية؛ لكن الابن له إله*، الذي منه قد وُلِد، كأبٍ له. ومع ذلك فبالنسبة لنا الآب إله والابن إله؛ الآب يُظهر لنا أن الابن إلهنا، والابن يُعلِّمنا أن الآب إله لنا. النقطة التي يجب أن نتذكرها هي أن في هذه الفقرة الآب يُعطي الابن اسم الله، وهو اللقب الخاص بعظمته غير المبتدئة. لكنني قد علَّقت بما فيه الكفاية على تلك الكلمات التي لهوشع.

لِأَنَّ فِيكِ اللهَ وَلَيْسَ إِلهٌ آخَرُ مَعَكَ

٣٨- وأيضًا كم هو واضحٌ إعلان الله الآب عن ربنا من خلال إشعياء! فهو يقول: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ، قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، وَجَابِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ: اِسْأَلُونِي مِنْ جِهَةِ بَنِيكُم وَبَنَاتِكُم وَمِنْ جِهَةِ عَمَلِ يَدِي أَوْصُونِي! أَنَا صَنَعْتُ الأَرْضَ وَخَلَقْتُ الإِنْسَانَ عَلَيْهَا، أَنَا قَد أَمَرْتُ كُلَّ النُّجُومِ، أَنَا قَدْ أَنْهَضْتُ مَلِكًا بِعَدْلٍ، وَكُلَّ طُرُقِهِ مُسْتَقِيمَةٌ. هُوَ يَبْنِي مَدِينَتِي، وَيُطْلِقُ سَبْيِ شَعْبِي، لاَ بِثَمَنٍ وَلاَ بِهَدِيَّةٍ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. مِصْرَ سَتَتْعَب وَتِجَارَةُ كُوشٍ وَالسَّبَئِيُّونَ. ذَوُو الْقَامَةِ إِلَيْكِ يَعْبُرُونَ وَلَكِ يَكُونُونَ عَبِيدًا، وخَلْفَكِ يَمْشُونَ بِالْقُيُودِ، وَلَكِ يَسْجُدُونَ وإِلَيْكِ يَتَضَرَّعُونَ، لِأَنَّ فِيكِ اللهَ وَلَيْسَ إِلهٌ آخَرُ مَعَكَ. فَإِنَّكَ أَنْتَ هُوَ اللهُ، وَلَمْ نَعْلَمْ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ الْمُخَلِّصَ. كُلُّ مُقَاوِمِيهِ

---

[٦٩] حيث لا يمكننا أن نقول للآب 'الرب إلهك'.

* من جهة ناسوته طبعًا.{م}

سَوفَ يَخْزَونَ وَيَخْجَلُونَ كُلُّهُمْ، وَسَوفَ يَمْضوْنَ جَمِيعًا بِارْتِباكٍ[٧٠]. فهل هناك أية فُرصة للمقاومة، أو عُذر للجهل؟ إذا استمر التجديف، ألا يكون استمراره على هذا النحو تحديًا وقحًا؟ الله الذي منه كل الأشياء، الذي صنع الكل بأمره، يؤكد أنه هو خالق الكون، فلو لم يكن قد قال، لما خُلِق شيءٌ. هو يؤكد أنه قد أقام ملكًا عادلاً، الذي يبني لنفسه، أي لله، مدينة، ويرد المسبيين من شعبه، بلا ثمن أو هدية، فإننا قد خلَصنا كلنا مجانًا. ثم يخبرنا كيف بعد تعب مصر، وبعد تجارة الإثيوبيين والسبئيين، سوف يعبر إليه الرجال ذوو القامة. كيف سنفهم هذه الأتعاب في مصر، وهذه التجارة التي للإثيوبيين والسبئيين؟ دعونا نتذكر كيف سجد مجوس الشرق وقدموا الإجلال للرب؛ دعونا نُقدِّر تعب تلك الرحلة الطويلة إلى بيت لحم يهوذا. في الرحلة المُنهِكة لأمراء المجوس نرى أتعاب مصر التي يُلمِّح إليها النبي. **فحينما نقَّذ المجوس، في طريقهم الزائف الدنيوي، تلك المهمة التي عُيِّنَت لهم بقوة الله، كان كل العالم الوثني يقدِّم في شخصهم أعمق مهابة يمكن أن يقدمها سجوده***. ونفس هؤلاء المجوس قد قدموا هدايا من ذهب ولبان ومُر مِن تجارة الإثيوبيين والسبئيين؛ وهو أمر سبق وتنبأ به نبي آخر، إذ قال: أَمَامَهُ يَجْثُو الْإِثْيوبِيِّونَ، وَأَعْدَاؤُهُ يَلْحَسُونَ التُّرَابَ. مُلُوكُ تَرْشِيشَ يُرْسِلُونَ تَقْدِمَات. مُلُوكُ الْعَرَبِ وَسَبَأ يُقَدِّمُونَ هَدَايَا، وَيَنْبَغِي أَنْ تُقَدَّمُ لَهُ مِنْ ذَهَبِ

---

[٧٠] (إش ٤٥: ١١- ١٦)

* تأمل رائع.{م}

الْعَرَبِيَّةِ[٧١]. إن المجوس ونسلهم يمثِّلون تعب مصر وتجارة الإثيوبيين والسبئيين؛ المجوس العابدون يمثلون العالم الوثني، ويقدمون أفضل هدايا الأمم للرب الذي يوقرونه.

الرجال ذوو القامة هم الرسل

٣٩- وبالنسبة للرجال ذوي القامة الذين سيعبرون إليه ويتبعونه بقيودٍ، فنحن نعرف بالتأكيد مَن يكونون. الأناجيل سوف تخبركم بأن ق. بطرس، حينما أراد أن يتبع الرب، قد أُعِدَّ. اقرأوا الرسائل، فستروا أن ق. بولس، عبد المسيح، يتباهى بقيوده. دعونا نرى إن كان 'أسير يسوع المسيح' يعمل في تعليمه وفق النبوات التي نطق بها الله بخصوص الله ابنه. لقد قال الله: سَيَتَضَرَّعُونَ، لِأَنَّ فِيكِ الله. لاحظوا الآن وتأملوا تلك الكلمات التي للرسول: الله كَانَ فِي الْمَسِيحِ، مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ[٧٢]. ثم تُكمِل النبوة: وَلَيْسَ إِلهٌ آخَرُ مَعَكَ. ثم بسرعة يُقارِن الرسول هذا مع: هُنَاكَ رَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ[٧٣]. من الواضح أنه لا يمكن أن يكون هناك أحد غيره، لأنه واحدٌ. أما التصريح النبوي الثالث فهو: أَنْتَ هُوَ الله، وَلَمْ نَعْلَمْ. لكن ق. بولس، الذي كان يومًا مضطهِد الكنيسة، يقول: وَلَهُمُ الآبَاءُ،

---

[٧١] (مز ٧١: ٩، ١٠) بيروتية، (٧٢) سبعينية.

[٧٢] (٢ كو ٥: ١٩)

[٧٣] (١ كو ٨: ٦)

وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ، الَّذي هو إله عَلَى الْكُلِّ[٧٤]. هذه هي رسالة هؤلاء الرجال الذين يمشون بقيود؛ في الواقع، سوف يكونون رجالاً لهم قامة، وسوف يجلسون على اثني عشر كرسيًا ليدينوا اسرائيل، وسيتبعون ربهم، كشهود له في التعليم وفي الاستشهاد.

الله (الابن) في الله (الآب)، لأنه منه

٤٠- وبهذا يكون الله (الآب) في الله (الابن)، والله (الابن) الكائن في الله (الآب)*. لكن كيف تكون (جملة): لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ مَعَكَ صحيحةً، إن كان الله كائنًا فيه؟ أنتم مهرطقون! أنتم توظفون تلك الكلمات: لَيْسَ إِلهٌ مَعِي، لتدعيم اعترافكم بآب منعزل؛ أيّ معنىً ترونه في الإعلان المهيب الذي أعلنه الله الآب: لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ مَعَكَ، إن كان تفسيركم لجملة 'لَيْسَ إِلهٌ مَعِي' هو انكار لألوهية الابن؟ في هذه الحالة، لمن قد قال الله: لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ مَعَكَ؟ لا يمكنك أن تقترحوا أن هذا الكيان المنعزل قد قال هذا لنفسه. لقد كان هذا القول: لِأَنَّ فِيكِ الله، للملك الذي قد دعاه الرب، بفم الرجال ذوي القامة الذين سجدوا وتضرعوا. إن تلك الحقائق لا تنسجم مع الانعزال. 'فِيكِ' تتضمن وجود واحدٍ موجودٍ، كما يمكنني أن أقول، في نطاق صوت المتحدث. الجملة الكاملة 'لِأَنَّ فِيكِ الله' لا تُعلن عن وجود إله وحيد،

---

[٧٤] (رو ٩: ٥)

* مثلما نقول في قسمة الميلاد: "الكائن في حضنه الأبوي كل حين، أتى وحل في الحشى البتولي".{م}

بل عن إله كائن في مَن هو كائن. إن الكلام يميز بين الكائن ومَن يكون فيه، لكنه تمييز للشخص[#] فقط وليس للصفة. الله فيه، ومَن فيه الله هو الله. إن كينونة الله لا يمكن أن تكون داخل طبيعة غريبة ومغايرة لنفسه. إنه كائن في مَن هو له، ومولود منه. **الله (الابن) في الله (الآب)، لأنه منه.** فَإِنَّكَ أَنْتَ هُوَ الله، وَلَمْ نَعْلَمْ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ الْمُخَلِّصَ.

خطة الكتاب التالي

٤١- سوف أخصص كتابي التالي لدحض إنكاركم لكون الله (الابن) في الله (الآب)؛ فإن النبي يُكمل (قائلاً): كُلُّ مُقَاوِمِيهِ سَوفَ يَخْزَون وَيَخْجَلُون كُلُّهُمْ، وَسَوفَ يَمْضوْن جَمِيعًا بِارْتِباكٍ. هذه هي جملة الله، التي قد أقرَّت عدم إيمانكم. أنتم تضعون أنفسكم في تعارض مع المسيح، وصوت الآب قد رُفِع بتوبيخ مهيب لأجله؛ فإن الذي تُنكرون ألوهيته هو الله. وأنتم تنكرون هذا تحت ذريعة توقير الله، لأنكم تقولون: لَيْسَ إِلهٌ مَعِي. استسلِموا للخزي والارتباك، فإن الإله غير المبتدئ ليس له احتياج للكرامة التي تُقَدِّمونها؛ هو لم يطلب أبدًا العظمة المنعزلة التي تنسبونها إليه. هو يتبرأ من تفسيركم الفضولي الذي يحرِّف كلماته: لَيْسَ إِلهٌ مَعِي، إلى إنكار للاهوت الابن الذي ولده من ذاته. ولكي يُبطل غرضكم من تدمير ألوهية الابن بتخصيص الألوهية بشكل خاص لنفسه، فهو يتوج أمجاد الابن الوحيد بنَسب اللاهوت المُطلق (له):- لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ مَعَكَ. فلماذا تصنعون تمييزًا

[#] أي للأقانيم وليس للتمييز بين الألوهية وعدم الألوهية.{م}

بين المتساويين بدقة؟ لماذا تفصلون المتكافئين تمامًا؟ الميزة الخصوصية لابن الله هو أنه لا يوجد إله بجواره؛ الميزة الخصوصية لله الآب هو أنه لا يوجد إله منفصل عنه. استخدِموا كلامه عن نفسه؛ اعترفوا به بمصطلحاته الشخصية، وتضرَّعوا إليه كملك: لِأَنَّ فِيكِ اللهَ وَلَيْسَ إِلهٌ آخَرُ مَعَكَ. فَإِنَّكَ أَنْتَ هُوَ اللهُ، وَلَمْ نَعْلَمْ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ الْمُخَلِّصَ.

إن الاعتراف المصاغ في كلمات موقَّرة جدًا يخلو من وصمة الوقاحة، إذ أن مصطلحاته يمكنها ألَّا تثير أي تناقض. فوق كل هذا، يجب أن نتذكر أن رفضها معناه العار والخزي. أطيلوا التفكير في إله تلك الكلمات؛ استخدِموها في اعترافكم به، واهربوا بهذا من الخزي المُنذَر به. فإنكم إن أنكرتم ألوهية ابن الله، فلن تزيدوا مجد الله بتوقيره في عظمة منعزلة؛ سوف تكونون مستخفين بالآب برفض توقير الابن. اعترفوا بالإله غير المبتدئ بإيمان ومهابة، وبأنه لا يوجد إله معه؛ اعلنوا لأجل الله الابن الوحيد أنه لا يوجد إله منفصل عنه.

القدرات الخاصة بالابن الوحيد

٤٢- وكما أصغيتم الآن إلى موسى وإشعياء، هكذا اصغوا الآن إلى إرميا الذي يغرس في الذهن نفس الحقيقة مثلهم: هَذَا هُوَ إِلَهُنَا، وَلَنْ يَكُونَ لَهُ شَبِيهٌ، الَّذِي وَجَدَ طَرِيقَ الْمَعْرِفَةِ، وَجَعَلَهُ لِيَعْقُوبَ عَبْدِهِ وَلِإِسْرَائِيلَ حَبِيبِهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَرَاءَى عَلَى الْأَرْضِ وَسَكَنَ بَيْنَ الْبَشَرِ[٧٥]. فإنه قد قال قبلاً: وَهُوَ

[٧٥] (باروخ ٣: ٣٥- ٣٧)

إِنْسَانٌ، وَمَنْ يَعْرِفُهُ[٧٦]؟ وبهذا لديكم إله يُرى على الأرض ويسكن بين الناس. أما الآن فأنا أسألكم، أي معنىً ترونه في: اَللهَ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ[٧٧]، حينما أعلن إرميا أن الله يُرى على الأرض ويسكن بين الناس؟ إن الآب الذي اعترف بنفسه لا يمكن أن يُرى إلا بالابن، لذا فمَن هو إذًا هذا الذي قد رُؤي وسكن بين الناس؟ لا بُد أنه إلهنا، لأنه هو الله المرئي في هيئة بشرية، الذي يمكن للناس أن يتعاملوا معه. فَكِّروا جَدِّيًا في كلام النبي: لَنْ يَكُونَ لَهُ شَبيهٌ. لو سألتم كيف يكون هذا، فاصغوا إلى باقي الجملة: اِسْمَعْ، يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلَهُكَ رَبٌّ وَاحِدٌ، لئلا تُجَرَّبوا بإنكار اشتراك الآب في الاعتراف. إن الفقرة الكاملة هي: وَلَنْ يَكُونَ لَهُ شَبيهٌ، الَّذي وَجَدَ طَريقَ الْمَعْرِفَةِ، وَجَعَلَهُ لِيَعْقُوبَ عَبْدِهِ وَلِإِسْرَائِيلَ حَبيبِهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَرَاءَى عَلَى الْأَرْضِ وَسَكَنَ بَينَ الْبَشَرِ. فإنه هناك وسيط واحد بين الله والناس، الذي هو إله وإنسان أيضًا؛ وسيط في إعطاء الناموس وفي اتخاذ جسدنا. لذا لا يوجد آخر يشبهه، فإنه واحدٌ، مولود من الله إلى الله، وهو الذي به كل الأشياء قد خُلِقَت في السماء والأرض، والذي به قد خُلقَت الأزمنة والعالمين في النهاية، وكل الأشياء الموجودة تدين في وجودها لعمله. هو الذي أرشد إبراهيم، وتكلم مع موسى، والذي يشهد لإسرائيل، والذي يقيم في الأنبياء، والذي وُلِد من العذراء ومن الروح القدس، والذي يُسمِّر في صليب آلامه القوات التي هي خصومنا، والذي

---

[٧٦] (إر ١٧: ٩) سبعينية.

[٧٧] (يو ١: ١٨)

يقتل الموت في الجحيم، والذي يقوي سلامة رجائنا بقيامته، والذي يهدم فساد الجسد البشري بمجد جسده. لذا لا يمكن أن يشبهه أحد. فإن تلك هي القوى الخاصة بالله الابن الوحيد؛ هو فقط الذي وُلِد من الله، المالك السعيد لهذا الامتياز العظيم. لا يمكن أن يشبهه إله آخر، فإنه إله من إله، غير مولودٍ من أي كيانٍ غريب. لا يوجد شيء جديد أو غريب أو حديث مخلوق فيه. حينما يسمع إسرائيل أن إلهه واحد، وأنه لا يوجد إله ثانٍ يشبهه، وأن الناس يمكن أن يعتبروا الإله الذي هو ابن الله إلهًا، فإن الوحي يقصد أن الله الآب والله الابن هما معًا واحد، ليس بوحدة الشخص بل بوحدة الكيان الحقيقي* (الجوهر). فإن النبي يمنعنا من أن نشابهه بمعبود آخر، لأن الله الابن هو الله.

* راجع المقدمة صـ ١٣٥.{م}

الكتاب الخامس

الفخ الذي ينصبه لنا الهراطقة

١- إن جوابنا، في الكتاب السابق، على تعاليم الهراطقة المجنونة والمجدفة قد قادنا بأعين مفتوحة إلى الصعوبة التي يتعرض فيها قُراؤنا لنفس الخطر، سواء قد دحضنا معارضينا، أو امتنعنا. فإنه بينما كان غير المؤمنين، بعدم توقير يتجاوز الحدود، يقحمون علينا وحدانية الله - تلك الوحدانية التي لا يمكن أن ينكرها الإيمان التقي والمنطقي - وقعَت النفس الشكاكة في المأزق، حتى أصبح هناك خوف من التجديف، سواء أكَّدَت أو أَنكرَت الافتراض. بالنسبة لمنطق الإنسان، قد يبدو سخيفًا وغير منطقي القول بأنه من الممكن أن يكون تأكيد نفس التعليم عدم تقوى، وإنكاره عدم تقوى، لأن ما ذِكره إلهي لا بُد أن يكون التشكيك فيه إلحادًا؛ لو أن دحض تصريحٍ يخدم غرضًا جيدًا، فقد يبدو جنونًا أن نحلم بأن الخير قد يأتي من تدعيمه*. لكن المنطق البشري أمام مقاصد الله يصبح مغالطةً، وحينما يحاول التغلب على صعوبات حكمة السماء يصير حماقةً؛ أفكاره مقيده بحدوده، فلسفته مقصورة على ضعف العقل الطبيعي. لا بُد أن يكون غبيًا في عيني نفسه قبل أن يكون حكيمًا لدى الله؛ أي أنه يجب أن يكتشف فقر إمكانياته ويسعى وراء **الحكمة** الإلهية. لا بُد أن يكون

* أي أن الرد على الهرطقة قد يوقعنا في هرطقة، إذ أن أمور الله لا يمكن للعقل البشري أن يحدّها.{م}

حكيمًا، ليس بمقياس الفلسفة البشرية، بل بالمقياس الذي يتدرج نحو الله، قبل أن يمكنه أن يدخل إلى حكمته، وتنفتح عيناه على جهالة العالم.

لقد احتال الهراطقة بمكر لأجل أن تكون تلك الجهالة، التي يُظَن أنها حكمة، هي محركهم. هم يوظفون الاعتراف بإله واحد، ولأجله يلجأون إلى شهادة الناموس والأناجيل في الكلمات (التالية): اِسْمَعْ، يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلَهُكَ رَبٌّ وَاحِدٌ[1]. إنهم يدركون جيدًا المخاطر المتضَمنة، سواء واجه تأكيدهم اعتراضًا أو تم تجاهله في هدوءٍ؛ فلو حدث أي منهما، فسوف يرون الفرصة ملائمةً لتعزيز هرطقتهم. لو أن الحق المقدس، المدفوع بقصد تجديفي، قد قوبل بالصمت، فإن هذا الصمت يُتَرجَم على أنه موافقة؛ كاعتراف بأنه بما أن الله واحد، إذًا فابنه ليس إلهًا، والله يبقى في انفراد أبدي. من ناحية أخرى، لو أن الهرطقة المتضَمنة في جدالهم الوقح قد قوبِلَت باعتراض، فهذا التعارض يوسَم كانحراف عن الإيمان الانجيلي الحقيقي، الذي يقرِّر بمصطلحات دقيقة وحدانية الله، أو يُلقون طُعمًا في فم العدو بأنه قد سقط في الهرطقة المضادة، التي لا تسمح إلا بوجود شخص واحد للآب والابن[2]. هذه هي الخدعة المميتة المخفية في مظهر البراءة الساحرة، التي قد زوَّرتها حكمة العالم، والتي هي جهالة عند الله، لتخدعنا في الفقرة الأولى لإيمانهم، ذاك الذي لا يمكننا أن نعترف به أو ننكره بدون خطر التجديف. إننا نسير بين أخطار من الناحيتين؛ وحدانية الله قد تدفعنا نحو إنكار

---

[1] (تث ٦: ٤)؛ (مر ١٢: ٢٩).

[2] هرطقة سابيليوس..

ألوهية ابنه، أو، لو اعترفنا بأن الآب هو الله والابن هو الله، قد نُقاد نحو هرطقة تفسير وحدانية الآب والابن بطريقة سابيليوس. وهكذا فإن نصيحتهم بالإصرار على الإله الواحد إما أن تمنع الشخص (الأقنوم) الثاني من الدخول في الألوهية، أو تدمر الوحدانية بالاعتراف به كإله ثانٍ، أو أيضًا تجعل الوحدانية إسميةً فقط. لأن الوحدانية، كتبرير لعملهم، تستبعد الثاني؛ ووجود ثانٍ هو هدم للوحدانية؛ واثنين لا يمكن أن يكونا واحدًا.

كيف نتجنب الوقوع بين خطأ كون الله أقنومًا واحدًا، وتعدد الآلهة

٢- لكننا نحن الذين وصلنا إلى حكمة الله هذه، التي هي جهالة للعالم؛ نحن الذين نعتزم أن نفضح خيانة تعليمهم الملتوي، بالاعتراف السليم والإيمان بالرب إيمانًا مخلّصًا؛ قد وضعنا خطة شروعنا في الحصول على أرضية مواتية لإظهار الحق بدون أن نوقع أنفسنا في شَرَك أخطار الإصرار الهرطوقي. إننا نتجنب بحرصٍ كِلا التطرفين؛ غير منكرين أن الله واحد، ومع ذلك مفصلين بوضوحٍ، ببرهان مَن أعطانا الناموس الذي يُعلِن وحدانية الله، حقيقة أن هناك إلهًا من إله. إننا نُعَلِّم بأن الله واحد بدون أي خلطٍ للاثنين، ولا نمزقه إلى قِطَع بالكرازة بتعدد الآلهة، ولا حتى نُقر بتمييزٍ فقط في الاسم. لكننا نقدمه كإله من إله، مؤجلين في الوقت الحالي مسألة الوحدانية الإلهية إلى مناقشة لاحقة أكثر كمالاً. فإن الأناجيل تخبرنا أن موسى قد عَلَّم الحقيقة حينما أعلَن أن الله واحد؛ وموسى بإعلانه عن إله واحد يؤكد درس الأناجيل، الذي يخبر عن شخصين (أقنومين) إلهيين.

وهكذا نحن لا نناقض مَراجعنا، بل نبني تعليمنا على أساسها، مبرهنين أن البوح لإسرائيل بوحدانية الله لا يعطي أي إقرار برفض ألوهية ابن الله؛ بما أن مرجعنا في تأكيد أن هناك إلهًا واحدًا هو مرجعنا أيضًا في الاعتراف بألوهية ابنه.

٣- وهكذا فإننا في ترتيب بحثنا سوف نتبع عن كَثب نوع الاعتراضات البارزة. بما أن البند التالي من بنود اعترافهم التجديفي والمضلل هو: *نحن نعترف بإله حقيقي واحد*[٣]، فسوف أخصص كل الكتاب الثاني[٤] لمسألة إن كان ابن الله إلهًا حقيقيًا. من الواضح أن الهراطقة قد ابتدعوا بمكر هذا الترتيب في التسمية الأولى لإله واحد، ثم لإله حقيقي واحد، لأجل فصل الابن عن اسم وطبيعة الله. فإن الفكر حينما يفترض بنفسه أن الحق متأصل في الإله الواحد، فسوف يتقَيَّد فيه بالتمام*. لذا، بما أنه واضح فوق مستوى الشك أن موسى، حينما أعلن وحدانية الله، قد قصد في ذلك أن يؤكد ألوهية الابن، فدعونا نعود للفقرات الرئيسة التي يَصلنا فيها تعليمه، ونتحقق إن كان يريدنا أن نؤمن بأن الابن، الذي هو الله، هو إله حقيقي كما علَّمنا. من الواضح أن الحق، أو الصدق، بخصوص شيء هو أمر يخص طبيعته

---

[٣] من بداية قانون الإيمان الأريوسي، الكتاب الرابع، الفقرة ١٢.

[٤] الثلاثة الكتب الأولى تعتبر تمهيدًا. الدحض المباشر يبدأ مع الكتاب الرابع، الذي يُعتبَر الكتاب الأول.

* أي أن البند الأول سوف يترك في العقل انطباعًا لأن هذا هو الإله الواحد، وبالتالي فما سوف يُذكَر بعد ذلك هو شيء إضافي مستقل عن تلك الحقيقة.{م}

وقدراته. على سبيل المثال، القمح الحقيقي هو ذاك الذي ينضج مع الشوك الخشن المحيط به، المُنقَّى من القش والمطحون إلى دقيق، المركَّب في رغيف والمتَّخَذ كطعام، والذي يُقدِّم طبيعة واستخدامات الخبز. وهكذا فإن القدرات الطبيعية هي برهان الحقيقة. دعونا نرى بهذا الاختبار إن كان مَن دعاه موسى إلهًا، هو إله حقيقي. سوف نؤجل حاليًا مقالتنا بخصوص هذا الإله الواحد، الذي هو أيضًا إله حقيقي، لئلا، إذا فشلْتُ في الحال في قبول تحديهم وأيَّدْتُ فكرة الإله الواحد الحقيقي في شخصَي الآب والابن، تحزن النفوس التواقة والمتلهفة، بفعل الشكوك الخطيرة.

الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ

٤- وبما أننا نَقبل، كأرضية مشتركة، حقيقة أن الله يعترف بابنه كإله، فالآن أنا أسألكم: كيف يمكن أن تدحض خليقة العالم تأكيدنا بأن الابن هو إله حقيقي؟ لا شك أن كل شيء هو بالابن، إذ يقول الرسول في كلماته: الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ[٥]. لو أن كل شيء به، ولا يوجد شيء بطريقة أخرى إلا به، فما الذي ينقصه من عناصر الألوهية الحقيقية، ذاك الذي يملك طبيعة وقوة الله؟ لديه في تدبيره قدرات الطبيعة الإلهية، حتى يمكنه أن يُحضِر للوجود ما هو غير موجود ويخلق بحسب رضاه، إذ قيل: رَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ[٦].

---

[٥] (كو ١: ١٦)

[٦] أي أن حريته في العمل مُثبَتة برضاه عن النتيجة.

الآب أَمر بخلق الكون والابن تمم كلمة الخلق

٥- حينما يقول الناموس: لِيَكُنْ جَلَدٌ، ثم يضيف: فَعَمِلَ الله الْجَلَدَ، فإن هذا لا يقدم أي تمييز آخر سوى لوجود شخص. إنه لا يكشف عن أي اختلاف في القوة أو الطبيعة، ولا يصنع اختلافًا في الاسم. إنه يُظهر أولاً، تحت اسم الله، فِكر الذي تكلَّم، ثم عمل الذي خَلَق. لغة الراوي لا تقول شيئًا لتجريده من الطبيعة والقوة الإلهية؛ بل هي بالحري لا تُحصي ألوهيته الحقيقية بشكلٍ تام. القُدرة على منح التأثير لكلمة الخَلْق تتعلق فقط بتلك الطبيعة التي كلامها هو نفسه إتمام الفعل. كيف إذًا لا يكون الخالق إلهًا حقيقيًا، إن كان مَن يأمر إلهًا حقيقيًا؟ لو أن الكلمة التي قيلت إلهيةً، فسيكون الفعل الذي تم هو أيضًا إلهيًا. الله تكلم، والله خلق؛ لو كان مَن تكلم إلهًا حقيقيًا، فمَن خَلق هو أيضًا إله حقيقي؛ إلا إذا كان في الواقع، حينما أُظهِر وجود لاهوت حقيقي في كلام الواحد، قد أُعلِن غيابه في فعل الآخر. بهذا نرى في ابن الله الطبيعة الإلهية الحقيقية. هو الله، وهو الخالق؛ هو ابن الله، كُلي القدرة. ليس فقط أنه يقدر أن يفعل أي شيء يريده - لأن الإرادة هي دائمًا رفيقة القدرة - لكنه يمكنه أن يفعل أيضًا كل ما يؤمَر به. القدرة المُطلقة هي تلك التي يمكن لمالكها أن ينجز بها كلمات المتكلم التي يمكنه أن يُعبِّر عنها أيًّا كانت، كمَن ينفِّذ. حينما تتحد القدرة غير المحدودة للتعبير مع القدرة غير المحدودة للتنفيذ، فحينئذ تلك القدرة الخالقة، المتناسبة مع الكلمة الآمرة، تملك الطبيعة الحقيقية لله. وهكذا فإن ابن الله ليس إلهًا مزيفًا، ولا إلهًا بالتبني، ولا إلهًا بمَنح الاسم، بل إلهًا

حقيقيًا. لا شيء يمكن الحصول عليه من تصريح المجادلات التي بها يتم معارضة الألوهية الحقيقية. امتلاكه لاسم وطبيعة الله هو إثبات مُقنِع. فإن الذي خُلقَت به كل الأشياء هو الله. إن خلق العالم يخبرني بالكثير جدًا عنه. إنه إله له نفس اسم الله؛ إله حق مساوٍ لإله حق في القدرة. إن قدرة الله ظاهرة لنا في كلمة الخالق، وقدرة الله معلَنة أيضًا في فعل الخالق. والآن ثانيةً، أنا أسأل بأي حقٍ تُنكرون، في اعترافكم بالآب والابن، الطبيعة الإلهية الحقيقية لمَن اسمه يُظهِر قدرته، ومَن قدرته تُثبِت أحقيته في الاسم.

٦- إن قارئي لا بُد أن يضع نصب عينيه أنني صامت عن الاعتراضات الحالية بدون تغافل، وبلا ارتياب في قضيتي. فإن هذا النَص المُستَشهَد به باستمرار: الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي، والفقرات المشابهة له، مألوفة تمامًا بالنسبة لي، وتفسيري لها جاهز، وهو ما يجعلها شاهدة للطبيعة الإلهية الحقيقية للابن. لكن ما يخدم هدفي إلى أبعد حد هو التمسك بالرد على أمر الهجوم، وهو ما قد يتبعه جهدنا التقي على نحو مُحكَم مع تطور مكيدتهم غير التقية، وحينما نراهم ينحرفون نحو هرطقة كافرة سوف نزيل أثر الخطأ في التو. لأجل هذا الهدف سوف نؤجل شهادة الإنجيليين والرسل إلى نهاية عملنا، ونشتبك بمعركة مع المجدفين في الوقت الحالي على أساس الناموس والأنبياء، مُسكِتين جدالهم الملتوي، المؤسَّس على سوء التفسير والخداع، بنفس النصوص التي بها يكافحون لكي يضللونا. إن الطريقة السليمة لإظهار الحق هي الكشف عن المظهر المخادع للاعتراضات التي قد برزت ضده؛ وخزي المخادع يكون كاملاً لو أن كذبته الخاصة قد تحولت إلى

دليل على الحقيقة. في الواقع، الخبرة العامة للجنس البشري قد تعلَّمَت أن الزيف والحقيقة متعارضان، ولا يمكن التوفيق بينهما أو جعْلهما مترابطين؛ إذ أن طبيعتهما تعتبر من بين تلك النقائض المتعارضة جوهريًا، ولا يمكنهما أن يجتمعا أو يتفقا.

نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا

٧- إن كانت هذه هي القضية، فدعوني أسأل، كيف يمكن التمييز في قوله: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، بين إله حقيقي وآخر مزيف؟ إن الكلمات تُعبِّر عن معنى محدد، والمعنى هو حصيلة فكر، والفكر يبدأ في الحركة بواسطة الحقيقة. دعونا نتبع الكلمات بالعودة إلى معناها، ونتعلم الفكرة من المعنى، ومن الفكرة نحصل على الحقيقة الضمنية. وبخصوص مَن قيل له: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، أريد أن أعرف ما هو الشيء غير الحقيقي فيه، بالنسبة لمَن يتكلم معه، لأنه بلا شكٍ تلك الكلمات تعبِّر عن شعور وفكر المتكلم. إنه يكشف بوضوحٍ في قوله 'نَعْمَلُ'، عن واحد ليس مختلفًا معه هو نفسه، وليس كيانًا غريبًا أو ضعيفًا، بل واحد له قدرة على فعل شيء يتكلم عنه هو. إذ أن كلماته تؤكد لنا أن هذا هو المعنى الذي يجب أن نفهم أنه قد قيل.

٨- لكي يؤكد لنا ما هو أكثر كمالاً بخصوص الألوهية الحقيقية المُعلَنة في طبيعة وعمل الابن، فإنه، ذاك الذي عبَّر عن قصده في الكلمات التي اقتبستُها أنا، قد أضاف كذلك أن فِكرَه، النابع من طبيعته، كان متفقًا مع

الحقيقة حينما قال: عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا. فكيف يُدعى إلهًا بالكذب، مَن يقول له الإله الحقيقي: عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا؟ إن صيغة المُتكلم للجمع لا تتوافق مع الانعزال، ولا مع الاختلاف سواء في الغاية أو في الطبيعة. الإنسان مخلوق، بما تحمله الكلمة من معنى، على صورتهما المشتركة. إذًا لا يمكن أن يوجد شيء مشترَكًا بين الحق والكذب. الله (الآب) المتكلم، يتكلم مع الله (الابن)؛ الإنسان خُلِق على صورة الآب والابن#. الاثنان واحد في الاسم وواحد في الطبيعة. هناك فقط صورة واحدة قد خُلِق عليها الإنسان. لم يحِن الوقت بالنسبة لي لكي أناقش هذه المسألة، لكنني سوف أشرح فيما بعد ما هي صورة الله الآب والله الابن التي خُلِق عليها الإنسان. في الوقت الحالي سوف نواصل التساؤل حول إن كان مَن قال عنه الإله الحقيقي: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، إلهًا حقيقيًا؟ فرِّقوا، إن كُنتم تستطيعون، بين العناصر الحقيقية وغير الحقيقية في الصورة المشترَكة بينهما؛ افصِلوا في جنونكم الهرطوقي ما لا يمكن فصله. فإن الاثنين هما واحد، الذي على صورته الواحدة ومثاله الواحد صار الإنسان نسخةً واحدةً منه.

عَلَى صُورَةِ اللهِ

٩- لكن دعونا الآن نُكمل قراءتنا لهذا السفر، لنُظهِر كيف أن ثبات الحقيقة لا يتأثر بتلك الاعتراضات الكاذبة. الكلمات التالية هي: فَخَلَقَ الله الإِنْسَانَ؛ عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. هناك صورة مشتركة؛ الله خَلَق الإنسان على

راجع التعليق على فقرة ١٨ من الكتاب الرابع.{م}

صورة الله[#]. والآن أنا أسأل مَن يُنكر أن ابن الله هو إله حقيقي: على أية صورة لله يقترح أن الله خلق الإنسان؟ لا بُد أن يتذكر دائمًا أن كل الأشياء هي بالابن، ولا ينبغي للمكر الهرطوقي - لأجل أغراضه الخاصة - أن يُحَرِّف هذه العبارة إلى فِعل من جانب الآب. لذا، لو أن الإنسان قد خُلِق بالله الابن على صورة الله الآب[±]، فإنه مخلوق أيضًا على صورة الابن*؛ فإن الكُل** يُسَلِّم

[#] وعن هذا يقول ق. كليمنضس السكندري إن الإنسان هو صورة الصورة، أي أن الإنسان ليس هو الصورة بل هو مخلوق على مثال الصورة، الذي هو المسيح، صورة الآب.

EXHORTATION TO THE GREEKS 10, Loeb Classical Library. Cambridge, Mass.: Harvard University Press; London: Heinemann, 1912, p. 215.

ويقول ق. أثناسيوس: "لأنهم هم أيضًا خُلِقوا على مثال تلك الصورة (وليس هم الصورة أيضًا)... ولهذا أتى **كلمة** الله بذاته كي يستطيع - وهو صورة الآب - أن يجدد خلقة الإنسان، على مثال الصورة". *تجسد الكلمة*، مرجع سابق، فصل ١٣ فقرة ٧.{م}

[±] راجع التعليق على فقرة ١٨ من الكتاب الرابع. وفي اعتقادي أن فكرته تلك نابعة من رغبته في تأكيد مساواة الابن للآب، إذ إنه يفهم الآية على أنها حوار بين الآب والابن حول رغبة الآب في أن يكون الإنسان على صورتهما (بحسب كلامه)، وليس كما فهمها الآباء على أن رغبة الثالوث كانت أن يُخلَق الإنسان على صورة الله (أي الابن) الذي خبَّر عن الله، كما يقول يوحنا الحبيب.{م}

* يقول ق. أثناسيوس: "ولأنه صالح في ذاته، فقد جعل لهم نصيبًا في صورته الذاتي (الذى هو) ربنا يسوع المسيح، وخلقهم على صورته ومثاله، حتى إنهم - بسبب تلك النعمة - عندما يرون تلك الصورة، أي **كلمة** الآب، يمكنهم عن طريقه أن يصلوا إلى معرفة الآب، وإذ يعرفون خالقهم فإنهم يحيون حياة حقيقية سعيدة مغبوطة": *تجسد الكلمة*، مرجع سابق، الفصل الحادي عشر، فقرة ٣.{م}

** من وجهة نظره طبعًا.{م}

بأن الكلمات (التي تقول)، عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، قد قيلت للابن. وهكذا فإن ألوهيته الحقيقية قد تأكدَت بوضوحٍ بالكلمات الإلهية مثلما قد أُعلِنَت في الفعل الإلهي؛ لذا فإن هذا هو الإله الذي شَكَّل الإنسان على صورة الله، والذي أظهر نفسه كإله حقيقي. فإن امتلاكه المشترَك للصورة الإلهية يُثبت أنه إله حقيقي، بينما عمله في الخَلق يُظهِر أنه الله الابن.

١٠- يا لها من حماقةٍ هائجة للنفوس الخليعة! يا لها من وقاحة عمياء للتجديف الطائش! أنتم تسمعون 'صُورَتِنَا'، فلماذا تقترحون أن أحدهما إله حقيقي والآخر ليس حقيقيًا؟ لماذا تميزون بين إله بالطبيعة وآخر بالاسم؟ لماذا تدمرون الإيمان تحت ذريعة الدفاع عن الإيمان؟ لماذا تكافحون لأجل إفساد إظهار الإله الواحد، الإله الحقيقي الواحد، وإلى إنكار أن الله واحد وحقيقي؟ أنا لن أقيِّد سعيكم الجنوني بالكلام الواضح للإنجيليين والأنبياء، الذي لا يظهر فيه الآب والابن كشخصٍ واحدٍ، بل كواحدٍ في الطبيعة، وكل منهما إله حقيقي. أما الآن فسوف يبطل الناموس بمفرده سعيكم. هل تكلم الناموس أبدًا عن إله حقيقي واحد، وآخر غير حقيقي؟ هل تكلم الناموس أبدًا عن كليهما، سوى بلقب الله، والذي هو التعبير الحقيقي عن طبيعتهما؟ إنه يتكلم عن شخصين (أقنومين) إلهيين؛ وهو يتكلم أيضًا عن الله كواحد. كلَّا، بل هو يفعل أكثر من وصفهما هكذا. إنه يعلنهما كشخصين إلهيين حقيقيين، بالبرهان الأكيد عن صورتهما المشتركة. هو يبدأ بالكلام عنهما أولاً باسمهما الواضح، الله؛ ثم ينسب الألوهية الحقيقية

لهما بشكلٍ مشترَك. فإنه حينما خُلق الإنسان، صنعة يديهما، على صورة كليهما#، فإن المنطق السليم يفرض الاستنتاج بأن كليهما إله حقيقي.

لقب ملاك الله، الخاص بظهورات الابن، يخُص مهمته وليس طبيعته

١١- أما الآن فدعونا نطوف مرة أخرى في رحلة دراستنا بالدروس التي دُرِّسَت في ناموس الله المقدس. ملاك الله يتكلم مع هاجر؛ وهذا الملاك نفسه هو الله. لكن ربما كونه ملاك الله يعني أنه ليس إلهًا حقيقيًا! فإن هذا اللقب يبدو أنه يُظهِر طبيعة أقل، إذ حينما يشير الاسم إلى اختلاف في النوع، يُعتَقَد بأن المساواة الحقيقية يجب أن تكون غائبةً. الكتاب الأخير قد كشف بالفعل كون هذا اعتراضًا أجوفًا؛ لقب ملاك يخبرنا بمهمته، وليس بطبيعته. يوجد لديَّ برهان نبوي على هذا التفسير، ألا وهو: الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ أَرْوَاحًا، وَخُدَّامَهُ نَارًا مُلْتَهِبَةً[٧]. هذه النار الملتهبة هي خدامه؛ هذه الأرواح التي تأتي هي ملائكته. إن هذه التشبيهات تُظهر طبيعة وقدرة رُسله his messengers، أو ملائكته، وخدامه. هذا الروح هو ملاك، تلك النار الملتهبة هي خادم لله. طبيعتهم تكيفهم لوظيفة رسول أو خادم. هكذا فإن الناموس، أو بالحري الله من خلال الناموس، الذي يريد أن يُظهِر الله الابن كشخص، يدعوه ملاكًا، الذي هو مُرسَل من الله، رغم كونه يحمل نفس الاسم مع الآب. لقب 'رسول' يُثبت أن له مهمةً خاصةً به، وأن طبيعته

راجع التعليق على فقرة ٩.{م}

[٧] (مز ١٠٤: ٤) بيروتية و(١٠٣) سبعينية.

يُبرهَن على كونها بالحقيقة إلهيةً حينما يُدعى إلهًا. لكن هذا التسلسل، أولاً ملاك، ثم إله، هو ترتيبٌ للإعلان، وليس ترتيبًا داخل طبيعته. فإننا نعترف بهما كآب وابن بالمعنى الأدق، إلى حد أن المولود الابن الوحيد، استنادًا إلى ولادته، يملك اللاهوت الحقيقي من الآب غير المولود. هذا الإظهار لهما كمُرسِل ومُرسَل ليس سوى تعبير عن الآب والابن؛ ليس تعارضًا للطبيعة اللاهوتية الحقيقية للابن، ولا إلغاءً لامتلاكه للّاهوت لكونه مولودًا. إن أحدًا لن يشُك في أن الابن بولادته يشترك بالطبيعة في طبيعة والده، إذ أن الوحدة غير منقسمة تؤكد أنهما واحد، لأن الواحد هو من الواحد.

١٢- إن إيماني يتَّقِد بالغيرة المتحمسة، إذ أن عبء الصمت غير محتَمَل، وأفكاري تطلب نُطقًا بشكلٍ مُلِح. لقد حِدت بالفعل في الكتاب السابق عن الطريقة المطلوبة لبرهاني. أنا كنت أشجب هذا المعنى التجديفي الذي يتكلم به الهراطقة عن الإله الواحد، وأشرح العبارات التي فيها تكلم موسى عن الله (الآب) والله (الابن). لقد استعجلت بتهورٍ، رغم أني مُخلِص وغيور على المعنى الحقيقي الذي فيه نتمسك بوحدانية الله. والآن أعود مرة أخرى، مستغرقًا في السعي وراء سؤالٍ آخر، وأسمح لنفسي بالتحول عن الطريق، إذ بينما كُنت منهمكًا في اللاهوت الحقيقي للابن، فإن غيرة نفسي قد جعلتني مُستعجلاً قبل الوقت في الاعتراف بالإله الحقيقي كآب وابن. لكن إيماننا الشخصي لا بُد أن ينتظر مكانه المناسب في البحث. لذا فإن هذا التصريح التمهيدي عنه قد قُدِّم كوقاية للقارئ، لكنني سوف أشرحه بالتفصيل في ما بعد، إلى أن تبطُل مكيدة المخالف.

قدرات الملاك في قصة مباركة إسماعيل تُثبِت أنه ليس مجرد ملاك

١٣- استكمالاً للمناقشة، فإن هذا اللقب الخاص بالمهمة لا يكشف عن وجود اختلافٍ في الطبيعة، إذ أن ملاك الله هو الله. لا بُد مِن اختبار لاهوته الحقيقي، وإن كانت كلماته وأفعاله هي كلمات وأفعال الله أو لا. إنه ينمي إسماعيل إلى أمه عظيمة، ويَعِد بأن شعوبًا كثيرةً سوف تحمل اسمه. فأخبِروني، هل هذا من ضمن قدرات الملاك؟ إن لم يكن، وكانت هذه قدرة الله، فلماذا تنكرون اللاهوت الحقيقي على مَن له القدرة الحقيقية لله، بحسب اعترافكم الشخصي؟ إذًا فهو يملك القدرات الحقيقية والكاملة للطبيعة الإلهية. الإله الحقيقي، في كل النماذج التي أظهر نفسه بها لخلاص العالم، هو إله حقيقي، ولن يكون غير ذلك أبدًا.

لا يوجد شيء اسمه 'إله غير حقيقي'

١٤- أولاً، ما هو معنى تلك المصطلحات، 'إله حقيقي' و 'إله غير حقيقي'؟ لو قال أحد لي 'هذه نار، ولكنها ليست نارًا حقيقية؛ هذا ماء، لكنه ليس ماءً حقيقيًا'، فلن يمكنني الحصول على معنى يُدرَك بالعقل لكلامه. أي اختلاف في النوع يمكن أن يوجد بين نموذج حقيقي ونموذج آخر حقيقي من نفس الطبيعة؟ لو أن هناك نارًا، فلا بُد أن تكون نارًا حقيقيةً. وباستمرار طبيعتها كما هي لا يمكنها أن تفقد تلك الصفة التي للنار الحقيقية. جرِّدوا الماء من طبيعته المائية، فسوف تهدمون بهذا كونه ماءً حقيقيًا؛ دعوه يظل ماءً، وسوف يظل بشكلٍ محتوم ماءً حقيقيًا. الطريقة

الوحيدة التي بها يمكن لشيء أن يفقد طبيعته هي أن يفقد وجوده؛ لو استمر في الوجود فلا بُد أن يظل حقًا هو نفسه. لو أن ابن الله هو الله، إذًا فهو إله حقيقي؛ لو لم يكن إلهًا حقيقيًا، إذًا فهو لا يمكن أن يكون إلهًا بأية طريقة ممكنة على الإطلاق. لو لم تكن له الطبيعة (الإلهية)، إذًا فليس له الأحقية في الاسم؛ على العكس، لو أن الاسم الذي يدل على الطبيعة هو اسمه بالأحقية المتأصلة، إذًا لا يمكن أن يكون خاليًا من تلك الطبيعة في معناها الأدق.

إيمان إبراهيم يدين الهراطقة

١٥- لكن ربما يُجادَل بأنه، حينما دُعي ملاك الله إلهًا، قد قبل الاسم كامتياز، من خلال التبني، وبهذا تُنسَب له ألوهية إسمية وليست حقيقية. فلو أن طبيعته الإلهية لم تظهر بشكلٍ كافي حينما لُقِّب بملاك الله، فانظروا إذًا إن كان قد أظهر لاهوته تحت اسم طبيعة أقل من الطبيعة الملائكية#، أم لا؟ فإن هناك رجلاً قد تكلم مع إبراهيم، وإبراهيم سجد له كإله. إن كان إبراهيم قد اعترَف به كإله، وأنتم تنكرونه، فيا لكم من مغيظين أيها الهراطقة. أي رجاء لكم بتجديفكم، في البركات الموعودة لإبراهيم؟ إنه أب للأمم، لكن ليس لكم؛ لا يمكنكم أن تولدوا من جديد، وتنالوا البركات التي أُعطيَت لإيمانه، وتلتحقوا بأسرة نسله. أنتم لم تُقاموا من الحجارة لتصيروا أبناء إبراهيم. أنتم أولاد الأفاعي، أعداء مؤمنيه. أنتم لستم

"وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ" (عب ١: ٧).{م}

إسرائيل الله، ورثاء إبراهيم المبَرَّر بالإيمان؛ فإنكم قد أنكرتم الله، بينما إبراهيم قد تبرر ومُسِح ليكون أبًا للأمم من خلال ذاك الإيمان الذي به قد عبَد الله الذي آمَن بكلمته. إذًا فالله هو الذي عبده هؤلاء البطاركة المباركون والمؤمنون. لاحِظوا كيف بالحقيقة هو الله، الذي كل الأشياء ممكنة لديه، بحسب كلامه. هل يوجد أحدٌ لا يستحيل عليه شيءٌ سوى الله وحده؟ فالذي كل شيء مستطاع عنده، أتَنقصه الألوهية الحقيقية؟

الرَّبُّ أَمْطَرَ (كِبْرِيتًا وَنَارًا) مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ

١٦- أخبِروني أيضًا، مَن هو هذا الإله الذي قَلَب سدوم وعمورة؟ فإن الرَّبَّ أَمْطَرَ (عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا) مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ[٨]؛ ألم يكن هذا هو الرب الحقيقي من الرب الحقيقي؟ ألديكم أي بديل لهذا الرب، والرب؟ أو أي معنى آخر للمصطلحات، فيما عدا أن شخص (أقنوم) كلٍ من الرب، والرب، مميَّزٌ؟ تذكَّروا أن مَن اعترفتم بأنه 'الوحيد الحقيقي'، قد اعترفتم به أيضًا أنه 'هو وحده الديان العادل'[٩]. لاحظوا الآن أن الرب الذي أمطر من عند الرب، ولم يقتل البار مع الأثيم، ويحكم الأرض كلها، هو رب وديان عادل أيضًا، ويُمطر أيضًا من الرب. في مقابل هذا كله أنا أسألكم: مَن منهما تصفونه بأنه هو وحده الديان العادل؟ الرب يُمطر من

---

[٨] (تك ١٩: ٢٤)

[٩] كما قيل في قانون الإيمان الهرطوقي، الكتاب الرابع، الفقرة الثانية عشر. والتعبير الأخير لم يُقتَبَس بدقةٍ.

عند الرب؛ أنتم لن تنكِروا أن مَن يُمطر من عند الرب هو الديان العادل، لأن إبراهيم، أبا الأمم - لكن ليس الأمم غير المؤمنة - يتكلم هكذا: حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ يُنَفِّذُ هَذَا الْحُكْمَ[١٠]. إذًا فهذا الإله، الديان العادل، هو أيضًا الإله الحقيقي بشكلٍ واضحٍ. يا لتجديفكم! إن كذبكم يدحض كلامكم. حتى الآن أنا لم أقدِّم شهادة الأناجيل بخصوص الله الديان، إذ أن الناموس قد أخبرني أنه الديان. لا بُد لكم أن تجرِّدوا الابن من دينونته قَبل أن تجردوه من ألوهيته الحقيقية. لقد اعترفتم بوقارٍ بأن الديان العادل وحده هو أيضًا الإله الحقيقي وحده؛ تصريحكم الخاص يُلزِمكم بالتسليم بأن الديان العادل هو أيضًا إله حقيقي. هذا الديان هو الرب، الذي كل شيء ممكن له، الواعد بالبركات الأبدية، ديان البار والأثيم. هو إله إبراهيم، الذي سجد له. لكن لكونكم حمقى ومجدفين، فسوف تبتدع رغبة لسانكم الوقحة أية فكرة مغلوطة، طالما نويتم إثبات أنه ليس إلهًا حقيقيًا.

ظهورات الابن كانت نبوات عن تجسده في ملء الزمان

١٧- حاشا له أن تكون إعلاناته الذاتية الرحيمة والسِرِّية غير منسجمة مع طبيعته السماوية الحقيقية؛ وقديسوه المؤمنون لا يفشلون أبدًا في إدراك الهيئة التي قد اتخذها لكي يمكن للإيمان أن يراه. نماذج الناموس سبقت

---

[١٠] (تك ١٨: ٢٥)

أن أظهرت أسرار الإنجيل؛ لقد مكنَّت رئيس الآباء من أن يرى ويؤمن بأن الرسول سوف يُحدِّق النظر ويذيع فيما بعد. فبما أن الناموس هو ظل الأمور العتيدة، فإن الظل الذي شوهِد كان إطارًا حقيقيًا للواقع الذي يتنبأ عنه. الله قد شوهِد وأومِن به وسُجِد له كإنسانٍ؛ في الوقت المناسب قد وُلِد، مثلما قد شوهد أيضًا. لقد كان الاعتياد على الظهور البشري، الذي اتخذه لكي يمكن للناس أن يروه، ضروريًا لإعدادهم للوقت الذي فيه يجب أن يولَد كإنسان، بالحقيقة المطلقة. ثم أخذ الظل مادةً، والشبيه صار حقيقةً، والخيال حياةً. لكن الله بقي غير متغيرٍ، سواء قد رُؤي في الظهور، أو وُلد في الحقيقة بالطبيعة الإنسانية. الشبه كان كاملاً بين ذاته بعد مولده، وبينه هو نفسه حينما شوهد بالرؤية. لأنه وُلِد، فبالتالي قد ظهر؛ لأنه ظهر، فبالتالي قد وُلِد. لكن بما أن الوقت لم يحِن بعد لنا لكي نقارن رواية الإنجيل بتلك التي للنبي موسى، فدعونا نتابع طريقنا المختار من خلال صفحات الناموس. بعدئذ سوف نثبت من الأناجيل أن مَن وُلِد كإنسانٍ كان هو ابن الله الحقيقي؛ في الوقت الحالي، نحن نُظهِر من الناموس أن ابن الله، الذي ظهر لرؤساء الآباء في شكل بشري، كان إلهًا حقيقيًا. فحينما ظهر شخص لإبراهيم كإنسانٍ، قد سُجِد له كإله وأُعلِن عنه كديان؛ وحينما أمطر الرب من عند الرب، فبلا شك أن الناموس يُخبرنا أن الرب قد أمطر من عند الرب لكي يُظهِر لنا الآب والابن. أم يمكننا للحظة أن نفترض أن رئيس الآباء حينما سجد للابن كإله، بمعرفة كاملة، كان غير مُبصرٍ لحقيقة أن مَن سجد له كان إلهًا حقيقيًا.

خزي المسيح هو قوة الله، وأن جهالة الإيمان هي حكمة الله

١٨- لكن من الصعب على المجدفين أن يدركوا الإيمان الحقيقي. قدرتهم على التقوى لم تتسع أبدًا بالإيمان، وهي ضيقة جدًا كي تهتدي إلى الحق. من ثَم فإن النفس غير المؤمنة لا يمكنها أن تُدرِك العمل العظيم الذي عمله الله بكونه وُلِد كإنسانٍ ليُكمِل خلاص الجنس البشري؛ إنها تفشل في رؤية قدرة الله في عمل خلاصها. هم يفكرون في مخاض الوضع، وضعف الرضيع، ونمو الطفولة، وبلوغ النُضج، وفي الألم الجسدي وفي الصليب الذي تنتهي به، وفي الموت على الصليب؛ وكل هذا يُخفي ألوهيته الحقيقية عن أعينهم. ومع ذلك فقد أوجَد كل تلك القدرات لنفسه، كإضافات لطبيعته؛ القدرات التي لم تكن في طبيعته الإلهية الحقيقية. وهكذا قد اكتسبها بدون أن يفقد ألوهيته الحقيقية، ولم يتوقف عن كونه إلهًا حينما صار إنسانًا* - أي حينما صار الإله الأبدي إنسانًا في ملء الزمان. هم لا يمكنهم أن يروا ممارسته لقدرته الإلهية الحقيقية في صيرورته ما لم يكنه قبلاً، رغم أنه لم يتوقف أبدًا عن كونه بطبيعته السابقة. ومع ذلك لم يكن هناك قبول لطبيعتنا الضعيفة، ما لم يكن ذلك بقوة الطبيعة الخاصة كلية القدرة، لذاك الذي أثناء بقاءه كما هو، قد صار ما لم يكُنه قبلاً. يا لجهل الهرطقة، يا لحكمة العالم الحمقاء التي لا يمكنها أن ترى أن خزي المسيح هو قوة الله، وأن جهالة الإيمان هي حكمة الله! لذا فالمسيح في عينيكم ليس إلهًا، لأن

* "لم يزل إلهًا أتى وصار ابن بشر، لكنه هو الإله الحقيقي، أتى وخلصنا" (ثيؤطوكية الخميس).{م}

ذاك الذي جاء منذ الأزل، قد وُلِد، ولأن غير المتغير قد نما على مر الأعوام، وغير المتألم قد تألم، والحي قد مات، والميت يعيش؛ لأن كل قصته تتعارض مع الطريقة المعتادة للطبيعة! ألا يُقال بكل تلك البساطة إنه كان كلي القدرة، لكونه إلهًا؟ لكنني حتى الآن لم أقلب صفحاتِك بعد، أيتها الأناجيل المقدسة والجليلة، لأُثبت من خلالها أن المسيح يسوع هو الله، وسط تلك التغييرات والآلام. فإن الناموس هو السَلَف للأناجيل، والناموس يجب أن يُعَلِّمنا أن المسيح، حينما كسا نفسه بالضعف، لم يفقد ألوهيته. نماذج الناموس هي ثقتنا المُقنِعة في أسرار إيمان الإنجيل.

صراع يعقوب لم يكن مع إنسان

١٩- كن معي الآن بروحك المؤمنة، يا أب الآباء يعقوب، القديس والمبارك، لمصارعة الهمسهسة السامة لأفعى عدم الإيمان. تغلَّب مرة أخرى في مصارعتك مع الرجل، وأطلب بركته مرة أخرى بإلحاح، لأنك قويت عليه. لماذا تتوسل لأجل ما يمكن أن تطلبه من خصمك الأضعف؟ ذراعك القوي قد غَلبت مَن التمسْت بركته. إن انتصارك الجسدي يتباين بشكل واسع مع تواضع نفسك، وأعمالك (تتباين) مع أفكارك. إن مَن اعتبرته ضعيفًا في امساكك الشديد به هو إنسان؛ لكن هذا الرجل هو إله حقيقي في عينيك، وليس إلهًا بالاسم فقط، بل بالطبيعة. إنها ليست بركة إله بالتبني تلك التي طلبتها، بل بركة الإله الحقيقي. لقد جاهدت مع رجل؛ لكنك قد رأيت الله وجهًا لوجه. ما قد رأيته بالعين الجسدية هو بعيد بشكل مختلف

عما نظرْته بعين الإيمان. لقد اعتقدت أنه رجل ضعيف؛ لكن نفسك قد خَلُصَت لأنها رأت الله فيه. حينما صارعت كنت يعقوب؛ أنت الآن إسرائيل، من خلال الإيمان بالبركة التي طلبْتها. تبعًا للجسد، فإن الرجل أضعف منك، نتيجة تألمه بالجسد؛ لكنك يمكنك أن تُدرِك الله في هذا الجسد الضعيف، بحسب علامة مباركته بالروح. شهادة العين لا تُعَكِّر إيمانك؛ ضعفه لا يضللك إلى إهمال بركته. رغم أنه إنسان، إلا أن إنسانيته ليست عائقًا لكونه إلهًا، وألوهيته ليست عائقًا لكونه إلهًا حقيقيًا؛ فلكونه إلهًا، لا بُد أن يكون حقيقًا بالتأكيد.

سُلَّم يعقوب

٢٠- لايزال الناموس في تقدمه يتبع تسلسل سِر الإنجيل، الذي هو ظِل له؛ نماذجه هي تنبؤ بالإيمان عن الحقائق التي علَّمها الرسل. لقد رأى يعقوب المبارك الله في رؤية حلمه؛ هذا كان إعلانًا عن سر، وليس إعلانًا جسديًا. لقد أُظهِر له هناك نزول الملائكة على السلم، وصعودهم للسماء، ووقوف الله فوق السلم؛ والرؤية، كما فُسِّرَت، أنبأت بأن حلمه سوف يصبح يومًا ما حقيقةً مُعلَنةً. كلمات رئيس الآباء: مَا هذَا إِلاَّ بَيْتُ اللهِ، وَهذَا بَابُ السَّمَاءِ، تُظهِر لنا منظر رؤيته؛ ثم، بعد رواية طويلة بخصوص ما فعله، تُكمل القصة هكذا: ثُمَّ قَالَ اللهُ لِيَعْقُوبَ: قُمِ، اصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ، وَاصْنَعْ هُنَاكَ ذَبِيحَةً للهِ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو[١١].

[١١] (تك ٣٥: ١)

لو أن إيمان الإنجيل حصل على معلوماته عن الله الآب من خلال الله الابن، وإن كان يمكن فقط أن يُفهم الله من خلال الله، فإظهروا لنا إذًا كيف لا يكون إلهًا حقيقًا، ذاك الذي يطلب التبجيل لله، والذي يقف فوق السلم السماوي. أي اختلاف للطبيعة يفصل الاثنين، حينما يحمل كلاهما الاسم الواحد الذي يدل على الطبيعة الواحدة؟ إن مَن رؤي هو الله؛ مَن تكلَّم عن الله الذي رؤي هو أيضًا الله. الله لا يمكن أن يُدرَك سوى بالله؛ في نفس الوقت أيضًا لا يقبل الله سجودًا مِنا سوى بالله. لم يكن ممكنًا أن نفهم أن الواحد يجب أن يُبَجَّل، ما لم يُعَلِّمنا التبجيل له؛ لم يكن ممكنًا لنا أن نعرف أن الواحد هو إله، ما لم نَعلم ألوهية الآخر. إن إظهار الأسرار يتولى طريقه المحَدَّد، إذ أننا نتعلم مبادئ عبادة الله من الله. وحينما يجمع اسمٌ واحدٌ، الذي يُعلِن عن طبيعة واحدة، بين الآب والابن، فكيف للابن إذًا أن يهبط تحت مستواه الذاتي ليكون شيئًا آخر سوى أن يكون إلهًا حقيقيًا؟

ظهور الابن في العليقة، وعند إعطاء موسى لوحي الشريعة

٢١- لا يمكن لحكم البشر أن ينظر في دعوى قضيته ضد الله. طبيعتنا لا يمكنها أن ترفع نفسها بقواها الخاصة إلى التأمل في الأمور السماوية. يجب أن نتعلم من الله كيف نفكر في الله؛ ليس لدينا مصدر للمعرفة سواه هو نفسه. ربما تكونوا مدرَّبين بنفس حرصكم على التدرب بالفلسفة الدنيوية؛ ربما قد عِشتم حياة البر. كل هذا سوف يُسهِم في اقتناعكم العقلي، لكنه لن يساعدكم على معرفة الله. موسى قد تم تبنيه

كابن للملكة، وتأدَّب بكل حكمة المصريين؛ علاوة على ذلك، فقد انتقم لخطأ العبراني بقتل المصري بسبب ولاءه لجنسه، ورغم ذلك لم يَعلَم الإله الذي بارك آباءه. فإنه حينما ترك مصر بسبب الخوف من اكتشاف فِعلته، وكان يعيش كراعٍ في أرض مديان، رأى نارًا في العليقة، والعليقة لم تحترق. ثم حدث أن سمع صوت الله، وسأل عن اسمه، وعرف طبيعته. في كل هذا لم يستطع أن يعرف شيئًا سوى من الله نفسه. ونحن، بنفس الطريقة، يجب أن نُقَيِّد أنفسنا، في أي شيء نقوله عن الله، داخل المصطلحات التي تكلم فيها مع فهمنا بخصوصه هو نفسه.

٢٢- إن ملاك الله هو الذي ظهر في نار العليقة؛ والذي تكلم من العليقة وسط النار هو الله. لقد أُظهِر كملاك؛ تلك هي مهمته وليست طبيعته. الاسم الذي يُعَبِّر عن طبيعته قد قُدِّم لكم كإله؛ لأن ملاك الله هو الله. لكنه ربما ليس إلهًا حقيقيًا! هل إله إبراهيم، ثم إله اسحق، وإله يعقوب، ليس إلهًا حقيقًا؟ إن الملاك الذي يتكلم من العليقة هو إلههم إلى الأبد. إن الإله الكامل هو مَن تكلم مع موسى، لئلا تلمِّحوا بأن الاسم هو اسمه فقط بالتبني. تلك هي كلماته: فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: أَكُونُ الَّذِي أَكُونُ. وَقَالَ: هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: الَّذِي يَكُونُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ[١٢]. لقد بدأت محادثة الله كحديث ملاكٍ، لكي يُظهِر سِر خلاص الإنسان في الابن. ثم يَظهر كإله إبراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب، لكي نَعلم الاسم الذي له بالطبيعة. أخيرًا

---

[١٢] (خر ٣: ١٤).

هو الإله 'الذي يكون' الذي يرسل موسى لإسرائيل، لكي يكون لنا ثقة كاملة في أنه الله بالمعنى المطلق.

٢٣- أية تخيلاتٍ أخرى يمكن أن تخترعها حماقة التجديف عديم الفائدة الذي يجدف به المجانين؟ ألا زلتم تُصِرون على زرعكم للزوان ليلاً، المقدَّر له أن يُحرَق، بين القمح النقي، حينما تتعارض معرفة كل رؤساء الآباء معكم؟ بل بالأكثر، لو آمنتم بموسى، فسوف تؤمنون أيضًا بالإله، ابن الله؛ إلا إذا كنتم ربما تنكرون أن موسى كان يتكلم عنه. لو كنتم تعتزمون إنكار ذلك، فيجب أن تصغوا لكلمات الله: لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي، لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي[١٣]. بالتأكيد موسى سوف يدحض فكركم بكل كتاب الناموس المُعَيَّن بواسطة الملائكة، الذي تلقاه بيد الوسيط*. تَحَقَّقوا إن كان مَن أعطى الناموس ليس إلهًا حقيقيًا؛ فإن الوسيط كان هو المُعطي. أوَلم تكن قيادة موسى للشعب إلى الجبل لأجل ملاقاة الله؟ أولَم يكن مَن نزل إلى الجبل إلهًا؟ أم كان، ربما، بالخيال أو بالتبني فقط، وليس بحق الطبيعة، أن مَن فعل كل هذا قد حمل اسم الله؟ لاحِظوا دوي الأبواق، ووميض المشاعل، وسحُب الدخان، كما لو كان خارجًا من أتون، متدفقًا فوق الجبل، ورُعب العجز المرتبك من جانب الرجل الذي في حضرة الله، واعتراف الشعب، حينما توسلوا لموسى لكي يكون هو الناطق باسمهم، لأنهم سوف يموتون عند سماع صوت الله. ألا ترون أنه إله حقيقي،

---

[١٣] (يو ٥: ٤٦)

* (غل ٣: ١٩، ٢٠).{م}

حينما ملأ الفزع إسرائيل بالخوف من الموت من مجرد أن يتكلم ؟ مَن صوته لا يمكن أن يُحتَمَل بالضعف البشري؟ أهو ليس إلهًا في نظركم، لأنه خاطبكم من خلال القدرات الضعيفة لإنسان، كي يمكنكم أن تسمعوا، وتحيوا؟ لقد دخل موسى الجبل، وفي أربعين يومًا وليلةً قد نال معرفة أسرار السماء، ونظَّمها كلها تبعًا لرؤية الحق الذي أُعلِن له هناك. من خلال التعامل مع الله، الذي تكلَّم معه، قد قَبِل الإشراق المنعَكِس لذاك المجد الذي لا يمكن لأحد أن يتفرس فيه. وجهه القابل للفساد قد تغيرت هيئته إلى مماثلة النور غير المقترَب إليه، الذي لذاك الذي كان يوجد معه. عن هذا الإله يشهد، عن هذا الإله يتكلم؛ هو يدعو ملائكة الله كي تأتي وتسجد له وسط ابتهاج الأمم، ويصلي لأجل أن تحل البركة التي ترضيه على رأس يوسف. في مواجهة مثل هذا الدليل، هل يجرؤ أي إنسانٍ أن يقول إنه ليس له سوى اسم إله، وينكر ألوهيته الحقيقية؟

اسم الله يدل على طبيعته، والعكس

٢٤- أنا أؤمن أن هذه المناقشة الطويلة قد أظهرت بشكل واضح حقيقة أنه لم يُقَدَّم أي جدالٍ سليمٍ بغرض التمييز بين مَن هو إله حقيقي، ومن ليس حقيقيًا، في تلك الفقرات التي تكلم فيها الناموس عن الله (الآب) والله (الابن)، عن رب ورب*. لقد أثبَتُّ أن تلك المصطلحات غير منسجمة مع الاختلاف بينهما في الاسم أو الطبيعة، وأننا يمكننا أن نستخدم الاسم

* وكذلك قال المرتل "قال الرب لربي" (مز ١١٠: ١) بيروتية، (١٠٩) سبعينية.{م}

كاختبارٍ للطبيعة، والطبيعة كمفتاحٍ للاسم. وهكذا فقد أظهَرتُ أن الصفة والقوة والخصائص والاسم، الخاصة بالله، (كلها) متأصلة فيمَن قد دعاه الناموس إلهًا. لقد أظهرْتُ أيضًا أن الناموس، كاشفًا بالتدريج سِر الإنجيل، يُظهِر الابن كشخصٍ بالإعلان عن الله كمن يطيع كلام الله، في خَلق العالم، وكمَن يصنع في تكوين الإنسان تلك التي هي الصورة المشتَركة لله (الآب) والله (الابن) [#]؛ وأيضًا، في دينونة رجال سدوم كان الرب ديانًا من عند الرب؛ حتى إن ملاك الله هو الله، سواء في إعطاء البركات أو إقامة أسرار الناموس. هكذا، بتدعيم الاعتراف الخلاصي بالله بكونه مُعلنًا إلى الأبد في شخصي الآب والابن، قد أظهرنا كيف يُعَلِّم الناموس عن اللاهوت الحقيقي باستخدام الاسم الدقيق لله؛ فإنه، بينما ينُص الناموس صراحةً على أنهما اثنان، إلا أنه لا يُلقي أدنى شك بخصوص الألوهية الحقيقية لكليهما.

٢٥- والآن قد حان الوقت لكي نضع وقفةً لهذه الحيلة الماكرة التي للهرطقة، التي بها يُحرفون تعاليم الناموس التقية والإلهية إلى تدعيم لتضليلهم المُلحِد. هم يستهلون رفضهم لابن الله بالآتي: اِسْمَعْ، يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلَهُكَ رَبٌّ وَاحِدٌ؛ ثم - لأن تجديفهم سوف يُدحَض بتطابق الاسم طالما أن الناموس يتكلم عن شخصين (أقنومين) إلهيين - يستشهدون بمَرجِع الكلام النبوي: سَوفَ يُبَارِكُونَكَ، أَيُّهَا الْإِلَهُ الْحَقِيقِيّ، ليُثبِتوا أن الاسم لا يُستَخدَم بالمعنى الحقيقي. هم يجادلون بأن تلك الكلمات تُعَلِّم بأن الله واحد،

[#] راجع التعليق على فقرة ٩.{م}

وأن الإله، ابن الله، له اسمه فقط وليس طبيعته. لذا فنحن يجب أن نستنتج أن الإله الحقيقي هو شخص واحد فقط. لكنكم ربما تتخيلون، أيها السُذَّج، أننا سوف نعارض النصوص (التي اقتبستموها)، وبذا نُنكِر أن هناك إلهًا واحدًا حقيقيًا. يقينًا نحن لا نعارضها بالشكل الذي تتخيلونه. إيماننا يعترف بصحتها، عقلنا يقبلها، كلماتنا تؤكدها. نحن نعترف بإله واحد، وبأنه إله حقيقي. لا توجد خطورة باعترافنا باسم الله، الذي يُعلِن أن في طبيعة الابن هناك الإله الحقيقي الواحد. تعلَّموا معنى كلماتكم، اعترفوا بالإله الواحد الحقيقي، ومن ثَم سوف تكونوا قادرين على الاعتراف بالله الواحد والحقيقي. إن كلمات إيماننا هي التي تحولوها أنتم إلى أداة لتجديفكم، محتفظين بالصوت ومحرِّفين المعنى. أنتم مُفسِدون للحقيقة، متنكرون في زيٍ أحمقٍ لحكمةٍ تخيلية، تحت غطاء الولاء للحق. أنتم تعترفون بأن الله واحد وحقيقي، بهدف إنكار الحقيقة التي تعترفون بها. لغتكم بعيدة تمامًا لعدم تقواها الشديد، وبالحق لكذبها الشديد. وعظكم عن إله واحد حقيقي يؤدي إلى إنكاره، فإنكم تُنكرون أن الابن إله حقيقي، رغم أنكم تُسَلِّمون بأنه إله، لكنه إله بالاسم فقط، وليس بالطبيعة. لو أن ميلاده يكون بالاسم، وليس بالطبيعة، فأنتم مُبرَّرون إذًا في إنكاركم لأحقيته الحقيقية في الاسم؛ لكن لو أنه وُلِد بالحقيقة كإله، فكيف إذًا يمكن أن يفشل في أن يكون إلهًا حقيقيًا استنادًا إلى ميلاده؟ اِنكِروا الحقيقة فيمكنكم أن تنكروا النتيجة؛ لو أنكم سلَّمتم بالحقيقة، فكيف يكون هو شيئًا آخر سوى نفسه؟ لا يمكن لكيان أن يغيِّر طبيعته

الجوهرية الذاتية. سوف أتكلم قريبًا عن ميلاده؛ في غضون ذلك سوف أدحض كذبكم التجديفي بخصوص طبيعته الإلهية الحقيقية بما قاله الأنبياء. لكنني سوف أكون حريصًا في تأكيدنا على الإله الواحد الحقيقي، ألَّا أتغاضى عن بدعة سابيليوس بأن الآب شخص واحد مع الابن، ولا عن تلك التي تشوه سمعة الألوهية الحقيقية للابن، والتي تستنبط تلك الألوهية خارج وحدانية الإله الواحد الحقيقي.

تحريف الآيات بحسب هوى الهراطقة، أو نتيجة للجهل بها

٢٦- لا يمكن للتجديف أن يمتزج بالحكمة، إذ حيثما تغيب مخافة الله، التي هي أصل الحكمة*، لا يوجد أي بصيص من الذكاء. المثال على هذا يُرى في اقتباس الهراطقة من كلمات النبي: وسَوفَ يُبَارِكُونَكَ، أَيُّهَا الْإِلَهُ الْحَقِيقِيّ، كدليل ضد ألوهية الابن. أولاً، نحن نرى هنا الحماقة، التي تؤدي إلى الكُفر، إما نتيجة لسوء الفهم أو، بحجب الجزء الأول من النبوة- في حالة أنها قد فُهِمَت. إننا نرى هذا في استيفاءهم المخادع لتلك الكلمة الضئيلة، التي لا يمكن إيجادها في الكتاب نفسه. هذا الإجراء غبي مثلما هو مُضلِّل، بما أنه لا أحد يثق بهم لدرجة أن يقبل قراءتها بدون الإشارة إلى تأييد النص النبوي. فإن ذاك النَص لا يقول هكذا: *سَوفَ يُبَارِكُونَكَ، (أنت) أَيُّهَا الْإِلَهُ الْحَقِيقِيّ*، بل هكذا: سَوفَ يُبَارِكُونَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيّ[١٤]. الاختلاف بين

---

* (أم ١: ٧)

[١٤] (إش ٦٥: ١٦)

(أنت) أَيُّهَا الإِلَهُ الْحَقِيقِيّ، وبين 'الْإِلَهُ الْحَقِيقِيّ' ليس ضئيلاً. لو احتُفِظ بـ (أنت)، فإن ضمير الشخص الثاني يتضمن أن الآخر يُخاطَب؛ لو حُذِفَت (أنت)، فسيكون 'الْإِلَهُ الْحَقِيقِيّ'، المفعول به في الجملة، هو المتكلِّم.

٢٧- لكي نؤكد أن تفسيرنا للفقرة كامل ومحدد، سوف أَقتبس الكلام كاملاً:- لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هُوَذَا عَبِيدِي سَيَأْكُلُونَ، وَأَنْتُمْ تَجُوعُونَ. هُوَذَا عَبِيدِي سَيَشْرَبُونَ، وَأَنْتُمْ تَعْطَشُونَ. هُوَذَا عَبِيدِي سَيَفْرَحُونَ بِالسُّرُورِ، وَأَنْتُمْ تَصْرُخُونَ مِنْ كآبَةِ الْقَلْبِ، وَمِنِ انْكِسَارِ الرُّوحِ تُوَلْوِلُونَ. فَإِنَّكُم سَوْفَ تُخْلِفُونَ اسْمَكُمْ اِبْتِهَاجًا لِمُخْتَارِيَّ، لَكِنَّ الرَّبَّ سَيُمِيتُكُم. أَمَّا عَبِيدِي فَسَوْفَ يُسَمُّون اسْمًا جَدِيدًا، الَّذِي يَتَبَارَكُ عَلَى الأَرْضِ؛ وسوف يُبَارِكُون الْإِلَهَ الْحَقِيقِيّ، وَالَّذِينَ يَحْلِفُونَ عَلَى الأَرْضِ يَحْلِفُونَ بِالإِلهِ الْحَقِّ[١٥]. هناك دائمًا سببٌ حقيقي لأي انحرافٍ عن طُرُق التعبير المعتادة، لكن الشيء الجديد يصير أيضًا فرصةً لسوء التفسير. السؤال هنا هو، لماذا، حينما قيلت نبوات مبكرة كثيرة بخصوص الله واسم 'الله' وحده وبدون لقبٍ، تلك التي كانت كافيةً حتى الآن للدلالة على العظمة والطبيعة الإلهية، وجب أن يتنبأ روح النبوة الآن من خلال إشعياء بأن 'الإله الحقيقي' كان يجب أن يبارَك، وأن الناس يجب أن يقسموا على الأرض بالإله 'الحقيقي'. أولاً، يجب علينا أن نتذكر أن تلك الخطبة قد قيلت بخصوص أوقات آتية. والآن أنا أتساءل، ألم يكن هو في عقل اليهود، إلهًا حقيقيًا، ذاك الذي اعتاد الناس بعدئذ أن يباركوه،

---

[١٥] (إش ٦٥: ١٣- ١٦)

والذي به قد حلفوا؟ اليهود، غير المدركين للمعنى الأصلي لأسرارهم، والذين يجهلون الله الابن لذلك، قد عبدوا الله ببساطة كإله، وليس كآب[١٦]؛ فإنهم، لو كانوا قد عبدوه كآب، لكانوا قد عبدوا الابن أيضًا. لذا، فقد كان إلهًا، ذاك الذي قد باركوه والذي قد حلفوا به. لكن النبي يشهد بأن الذي يجب أن يُبارَك بعدئذ هو إله حقيقي؛ داعيًا إياه 'إلهًا حقيقيًا'، لأن سِر تجسده كان ليعمي عيون البعض عن ألوهيته الحقيقية. حينما كان الكذب مهيَّأً للانتشار في كل اتجاه، كان من الضروري أن تُعلَن الحقيقة صراحةً. والآن دعونا نستعرض عبارات تلك الفقرة، واحدة فواحدة.

اسم إسرائيل سوف يُطلَق على مختاري الله

٢٨- لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هُوَذَا عَبِيدِي سَيَأْكُلُونَ، وَأَنْتُمْ تَجُوعُونَ. هُوَذَا عَبِيدِي سَيَشْرَبُونَ، وَأَنْتُمْ تَعْطَشُونَ. لاحظوا أن عبارةً واحدةً تحتوي على صيغتين للفعل، بغرض أن تُعَلِّم الحقيقة الخاصة بزمنين مختلفين؛ عَبِيدِي سَيَأْكُلُونَ. التقوى الحالية تكافأ بجائزة مستقبلية، وبالمثل الكُفر الحالي سوف يخضع لعقوبة العطش والجوع المستقبلي. ثم يضيف: هُوَذَا عَبِيدِي سَيَفْرَحُونَ بِالسُّرُورِ، وَأَنْتُمْ تَصْرُخُونَ مِنْ كآبَةِ الْقَلْبِ، وَمِنِ انْكِسَارِ الرُّوحِ تُوَلْوِلُونَ. هنا أيضًا، مثلما في السابق، هناك إظهار للمستقبل والحاضر. هؤلاء الذين يخدمون الآن سوف يفرحون بالسرور، بينما مَن لا يعبُدون سوف يبقون في الصراخ والولولة بكآبة القلب وانكسار الروح. ثم

---

[١٦] قارن الكتاب الثالث، الفقرة ١٧.

يُكمِل: فَإِنَّكُم سَوْفَ تُخْلِفُونَ اسْمَكُمْ اِبْتِهَاجًا لِمُخْتَارِيَّ، لَكِنَّ الرَّبُّ سَيُمِيتُكُم. تلك الكلمات، التي تتعامل مع زمن المستقبل، موجَّهة لإسرائيل الجسدانيين، الذين وُبِّخوا بسخرية بالتنبؤ عن تنازلهم عن اسمهم لمختاري الله. ما هو هذا الاسم؟ إسرائيل بالتأكيد؛ فإن النبوة قد وُجِّهَت لإسرائيل؟ والآن أنا أسأل، مَن هم إسرائيل اليوم؟ الرسول يقدم الإجابة: الذين بالروح، وليسوا بالحرف، هؤلاء الذين يسيرون في ناموس المسيح، هم إسرائيل الله[١٧].

لقب 'مسيحي' هو البركة السماوية الممنوحة لنا على الأرض

٢٩- علاوة على ذلك، يجب أن نستنتج لماذا تُبِعَت الكلمات المقتبَسة قبلاً: لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ، بـ: لَكِنَّ الرَّبَّ سَيُمِيتُكُم، وكذلك معنى الجملة التالية: لَكِنَّ عَبِيدِي سَوْفَ يُسَمُّون اسْمًا جَدِيدًا، الَّذِي يَتَبَارَكُ عَلَى الأَرْضِ. لا يمكن أن يوجد أي شكٍ في أن كلاً من (جملتي): لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ، وبعدئذ: لَكِنَّ الرَّبَّ سَيُمِيتُكُم، تُثبتان أن الرب هو الذي تكلَّم، واعتزَم أن يميتهم، ومَن قَصَد أن يكافئ عبيده بالاسم الجديد، ومَن عُرف جيدًا بأنه قد تكلَّم من خلال الأنبياء وكان الديان للأبرار والأشرار. وهكذا باقي هذا الإظهار لسر الإنجيل يزيل كل شك بخصوص الرب كمتكلم وكقادر على الإفناء. إنه يكمِل: لَكِنَّ عَبِيدِي سَوْفَ يُسَمُّون اسْمًا جَدِيدًا، الَّذِي يَتَبَارَكُ عَلَى الأَرْضِ. هنا كل شيء هو في المستقبل. ما هو إذًا هذا الاسم الجديد للديانة؛ الاسم الذي سوف يَتبارَك على الأرض؟ لو كانت

---

[١٧] قارن (رو ٢: ٢٩)

هناك في أي وقتٍ في العصور الماضية مبارَكةٌ لاسم 'مسيحي'، إذًا فهو ليس اسمًا جديدًا. لكن لو أن هذا الاسم المقدس الذي لتكريسنا لله هو اسم جديد، إذًا فهذا العنوان الجديد 'مسيحي'، الممنوح لإيماننا، هو تلك البركة السماوية التي هي مكافأتنا على الأرض.

٣٠- والآن تأتي تلك الكلمات بتناغم كامل مع يقيننا الداخلي بإيماننا. يقول: وسوف يُبَارِكُون الْإِلَهَ الْحَقِيقِيّ، وَالَّذِينَ يَحْلِفُونَ عَلَى الأَرْضِ يَحْلِفُونَ بِالإِلهِ الْحَقِّ. وبالتأكيد هؤلاء الذين قبلوا الاسم الجديد في عبادة الله سوف يباركون الله؛ وكذلك الإله الذي به سوف يحلفون هو الإله الحقيقي. ما هو الشك الموجود بخصوص مَن يكون هذا الإله الحقيقي، الذي به سوف يحلف الناس والذي سيباركونه، والذي به سيُعطى اسمًا جديدًا ومبارَكًا للذين يعبدونه؟ من جهتي، في مقابل تحريف الهرطقة التجديفي للحقائق، يوجد لديَّ الإثبات الواضح والمحدد لإيمان الكنيسة؛ الشهادة للاسم الجديد الذي قد أعطيته، أيها المسيح، وللَّقب المبارَك الذي منحته مكافأةً للعبادة المُخْلِصة. إنه يؤكد أنك إله حقيقي. كل فمٍ، أيها المسيح، لأولئك الذين يؤمنون، يُخبِر بأنك الله. إيمان كل المؤمنين يؤكد أنك الله. الاعترافات، والتصريحات، تؤكد روحيًا أنك إله حقيقي.

٣١- وهكذا فإن هذه الفقرة من النبوة، المتَّخَذة مع سياق كلامها الكامل، تصِف بوضوح أن الله هو الذي نعبده لأجل الاسم الجديد، والذي به يتبارك الاسم الجديد على الأرض معًا. إنها تُخبرنا بمَن هو الذي يتبارك كإله حقيقي، والذي يُقسَم به كإله حقيقي. وهذا هو اعتراف الإيمان الذي صُنِع، في ملء

الزمان، بواسطة الكنيسة بتكريس مُخلِص للمسيح ربها. يمكننا أن نرى كيف تتطابق كلمات النبوة بالضبط مع الحق، بامتناعها عن إقحام هذا الضمير على الشخص (الأقنوم) الثاني. فإن كانت الكلمات هكذا: *(أنت) أَيُّهَا الْإِلَهُ الْحَقِيقِيّ*، إذًا فهي ربما تفسَّر على أنها قيلت عن آخَر. 'الْإِلَهُ الْحَقِيقِيّ' لا يمكن أن تشير إلا إلى المتكلم. الفقرة، المأخوذة وحدها، تُظهِر لمَن تُشير؛ الكلمات السابقة، المأخوذة بالاتصال بها، تُعلِن مَن يكون المتكلم الذي يؤكد على هذا الاعتراف بالله. إنها هذه: ظَهَرْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي، وَوُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي. قُلْتُ: هأَنَذَا، لأُمَّةٍ لَمْ تُسَمَّ بِاسْمِي. بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ غَيْرَ مُؤْمِنٍ وَمُخَالِفٍ[18]. هل يمكن أن تتضح المحاولة المضلِّلة لكتمان الحقيقة بشكلٍ أكثر من هذا؟ هل يمكن أن يكون المتكلم ظاهرًا بشكلٍ أكثر وضوحًا كإله حقيقي، أكثر من هنا؟ إنني أتساءل، مَن يكون ذاك الذي ظهر للذين لم يسألوا عنه، والذي وُجد من الذين لم يطلبونه؟ أي شعبٍ هذا الذي لم يُسَمَّى باسمه سابقًا؟ مَن هو هذا الذي بسط يديه طوال النهار إلى شعبٍ غير مؤمنٍ ومخالفٍ؟ قارِنوا تلك الكلمات مع النشيد الإلهي المقدس في سفر التثنية[19]، الذي فيه حَرك الله غير المؤمنين، في غضبه من الذين هم ليسوا آلهةً، للغيرة ضد هؤلاء الذين ليسوا شعبًا والذين هم أمة غبية. قرِّروا بأنفسكم، مَن هو هذا الذي جعل نفسه ظاهرًا

---

[18] (إش ٦٥: ١، ٢)

[19] (تث ٣٢: ٢١) "هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلهًا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ .فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ".

لأولئك الذين لم يعرفوه؛ مَن هو الذي أصبح مِلك الغرباء، رغم أن له شعبًا واحدًا؛ مَن هو هذا الذي بسط يديه إلى شعبٍ غير مؤمنٍ ومخالفٍ، مُسمرًا في الصليب كتاب الحُكم السابق ضدنا[٢٠]. فإن نفس الروح الموجود في النبي الذي ندرس كلامه، يتقدم هكذا في طريق تلك النبوة الواحدة، المتصلة في جدال والمستمرة في الكلام: أَمَّا عَبِيدِي فسَوْفَ يُسَمُّون اسْمًا جَدِيدًا، الَّذِي يَتَبَارَكُ عَلَى الأَرْضِ؛ وسوف يُبَارِكُون الْإِلَهَ الْحَقِيقِيّ، وَالَّذِينَ يَحْلِفُونَ عَلَى الأَرْضِ يَحْلِفُونَ بِالإِلهِ الْحَقِّ.

بولس الرسول يؤيد قول إشعياء

٣٢- لو أن الهرطقة، في حماقتها وشرها، تحاول أن تجذب العقول البسيطة وغير المتعلمة بعيدًا عن الإيمان الحقيقي بأن تلك الكلمات قد قيلت بالإشارة إلى الله الابن، بالتظاهر بأنها كلام الله الآب عن نفسه، فسوف تسمعون الحُكم المقرر للكذب بواسطة رسول ومعلم الأمم. إنه يفسر كل تلك النبوات كإشارات لآلام الرب ولأزمنة إيمان الإنجيل، حينما يوبخ كفر إسرائيل، الذين لن يُدركوا أن الرب يأتي في الجسد. يقول (بولس الرسول): لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ. فَكَيْفَ يَدْعُونَ بِمَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلاَ كَارِزٍ؟ وَكَيْفَ يَكْرِزُونَ إِنْ لَمْ يُرْسَلُوا؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ، مَا أَجْمَلَ أَقْدَامَ الْمُبَشِّرِينَ بِالسَّلاَمِ، الْمُبَشِّرِينَ بِالْخَيْرَاتِ. لكِنْ لَيْسَ الْجَمِيعُ قَدْ أَطَاعُوا الإِنْجِيلَ، لأَنَّ

---

[٢٠] قارن (كو ٢: ١٤)

إِشَعْيَاءَ يَقُولُ، يَا رَبُّ مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟ إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِالْكَلِمَةِ. لكِنَّنِي أَقُولُ: أَلَعَلَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا؟ بَلَى، إِلَى جَمِيعِ الأَرْضِ خَرَجَ صَوْتُهُمْ، وَإِلَى أَقَاصِي الْمَسْكُونَةِ أَقْوَالُهُمْ. لكِنِّي أَقُولُ: أَلَعَلَّ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَعْلَمْ؟ أَوَّلاً مُوسَى يَقُولُ: أَنَا أُغِيرُكُمْ بِمَا لَيْسَ أُمَّةً. بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُكُمْ. ثُمَّ إِشَعْيَاءُ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولُ: وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي، وَصِرْتُ ظَاهِرًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي. أَمَّا مِنْ جِهَةِ إِسْرَائِيلَ فَمَاذَا يَقُولُ؟ طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ لَا يُصْغِي[٢١].

مَن أنت يا مَن ارتقيت عاليًا خلال السموات المتعاقبة، غير عارفٍ إن كُنت في الجسد أم خارج الجسد، ولم تستطع أن تصِف بإخلاصٍ أكثر من كلام النبي؟ مَن أنت يا مَن سمِعتَ، ولم تستطع أن تُخبِر بالأسرار فائقة الوصف التي لأمور السماء السِرية، وأذعتَ بأعظم ثقةٍ المعرفة الممنوحة لك من الله لأجل الرؤية؟ مَن أنت يا مَن قُدِّر لك أن تشارك في آلام الرب على الصليب، واختُطِفتَ إلى الفردوس واكتسبت تعليمًا من أسفار الله قد أفرز إناءً مختارًا؟ لو وُجد هذا الرجل، فهل كان يجهل أن تلك هي أعمال وكلمات الإله الحقيقي، المُعلَن لنا بواسطة رسوله الحقيقي والمختار، وأننا يمكننا أن نعترف بأنه مُبدعها؟

٣٣- لكن من الممكن أن يُجادَل بأن الرسول لم يوحَى إليه بروح النبوة حينما اقتبس تلك الكلمات النبوية؛ أي أنه كان فقط يفسِّر بعشوائيةٍ

---

[٢١] (رو ١٠: ١٣- ٢١)

كلمات رجلٍ آخر، وبأنه بلا شك، على الرغم من أن كل ما يقوله الرسول عن نفسه قد أتاه برؤية من المسيح، إلا أن معرفته بكلام إشعياء مستمدةً من الكتاب. دعوني أجيب بأن في بداية الكلام الذي قيل فيه إن عبيد الله الحقيقي سوف يباركونه ويحلفون به، نقرأ هذا التوقير الذي يقوله النبي: مُنْذُ الأَزَلِ لَمْ نَسْمَعْ، وَلَمْ تَرَ أَعْيُنَنَا إِلهًا غَيْرَكَ، وَأَعْمَالَكَ الَّتِي سَوفَ تَصْنَعُهَا لِمَنْ يَنْتَظِرُونَ رَحْمَتِكَ[٢٢]. إشعياء يقول إنه لم يرَ أي إله غيره. لأنه رأى بالفعل مجد الله، فقد سبق وأنبأ بِسِر مَن اتخذ جسدًا من العذراء. ولو أنكم، في هرطقتكم، لا تعلمون أن مَن رآه النبي في ذلك المجد كان هو الله الابن الوحيد، فاسمعوا الإنجيلي يقول: قَالَ إِشَعْيَاءُ هذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ[٢٣]. الرسول، والإنجيلي، والنبي، يشتركون في إسكات اعتراضاتكم. إشعياء رأى الله؛ بالرغم من أنه قد كُتِب: اَللهَ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ[٢٤]، إلا أن مَن رآه النبي كان هو الله. لقد أحدق النظر في المجد الإلهي، وامتلأ الرجال بالحسد من تلك الكرامة الممنوحة لعظمته النبوية. لقد كان ذلك هو السبب وراء تنفيذ حكم الموت عليه.

---

[٢٢] (إش ٦٤: ٤)

[٢٣] (يو ١٢: ٤١)

[٢٤] (يو ١: ١٨)

الله الآب لا يُرى، لكن ابنه قد خبَّر

٣٤- هكذا المولود الابن الوحيد، الذي في حضن الآب، قد أخبرنا عن الله الذي لم يره أحد. إمَّا أن تدحضوا حقيقة أن الابن قد أعلمنا هكذا، وإلَّا فآمِنوا بمَن رؤي، مَن ظهر لمَن لم يعرفوه، وصار إلهًا للأمم الذين لم يسألوا عنه وبسَط يديه لشعب مخالف. آمِنوا أيضًا بهذا الذي يخُصّه، أن مَن يخدمونه يُسمون باسم جديد، وأن على الأرض يباركه الناس ويحلفون به كإله حقيقي. النبوة تُخبِر، الإنجيل يؤكد، الرسول يوضِّح، الكنيسة تعترف، بأن مَن رؤي هو إله حقيقي؛ لكن لا يوجد أحد يتجرأ ويقول إن الله الآب قد رؤي. ومع ذلك فإن جنون الهرطقة قد وصل لذلك المدى، حتى إنهم بينما هم يتظاهرون بأنهم يدركون تلك الحقيقة، فإنهم ينكرونها بالفعل. إنهم ينكرونها بواسطة الحيلة العصرية والكافرة بالتملص من الحقيقة، والتي في نفس الحين تزعُم أنها تتمسك بالحقيقة بشكلٍ مدروسٍ. فبينما هم يعترفون بإله واحد، الحقيقي وحده والبار وحده، والحكيم وحده، وغير المتغير وحده، وغير المائت وحده، والقدير وحده، إلا أنهم يُلحِقون به ابنًا مختلفًا في الجوهر، وغير مولود من الله لكي يكون إلهًا، بل متبنًّى بالخلق لكي يكون ابنًا؛ له اسم إله، لكن ليس بالطبيعة، بل كلقبٍ يناله بالتبني؛ وهكذا فإنهم يجردون الابن بشكلٍ محتومٍ من كل تلك الخصائص التي ينسبونها للآب في عظمته الوحيدة.

الابن ليس إلهًا ثانيًا

٣٥- إن عقل الهرطقة المشوَّه غير قادر على معرفة الإله الواحد الحقيقي ولا الاعتراف به؛ الإيمان السليم والعقل الضروري لمثل هذا الاعتراف غير متعارض مع عدم الإيمان. يجب أن نعترف بالآب والابن قبل أن نُدرِك أن الله واحد وحقيقي. حينما عرفنا أسرار خلاص الإنسان، التي كمُلَت فينا من خلال قوة التجديد إلى الحياة في الآب والابن، فحينئذ أمكننا أن نأمل في اختراق أسرار الناموس والأنبياء. إن الجهل الكافر بتعليم الإنجيليين والرسل لا يمكن أن يُشكِّل فكرة عن الإله الحقيقي الواحد. من تعليم الإنجيليين والرسل سوف نقدم التعليم السليم بخصوصه، باتفاقٍ مضبوط مع إيمان المؤمنين الحقيقيين. سوف نقدمه بالطريقة التي سوف يُعرَف بها الابن الوحيد، الذي هو من جوهر الآب، على أنه غير مرئي وغير منقسم في الطبيعة، لكن ليس في الشخص (الأقنوم). سوف نعلِن أن الله واحد، أن الله هو من طبيعة الله. لكننا أيضًا سوف نُرسِّخ هذا التعليم الذي للاتحاد الكامل الذي في الله من خلال كلام الأنبياء، ونجعله أساس بناء الإنجيل، مبرهنين على أن هناك إلهًا واحدًا، بطبيعة واحدة لاهوتية، بحقيقة أن الله الابن الوحيد لم يصَنَّف أبدًا منفردًا كإله ثانٍ. في كل مكانٍ في هذا الكتاب الخاص ببحثنا قد اتبعنا نفس الطريقة التي اتبعناها في السابق له؛ نفس الطُرق التي أثبتت هناك أن الابن هو الله، قد أثبتت هنا أنه إله حقيقي. أنا أثق بأن تفسيرنا لكل فقرة كان مقنعًا جدًا حتى إننا قد أظهرناه الآن كإلهٍ بنفس الفعالية التي برهنَّا بها ألوهيته سابقًا. المتبقي من الكتاب سوف

يُكَرَّس لإثبات أن مَن يُعتَرَف بأنه إله حقيقي، لا يجب أن يُعتَبَر كإلهٍ ثانٍ. إن دحضنا لفكرة وجود إله ثانٍ سوف يرسِّخ الوحدة أيضًا؛ وهذه الحقيقة سوف يُكشَف عن كونها غير منسجمة مع الوجود الذاتي للابن، بالرغم من أنها تُبقي على وحدة طبيعة الشخصين (الأقنومين) الإلهيين.

٣٦- إن الطريقة الصحيحة لسؤالنا تتطلب وجوب ابتداءنا بمَن من خلاله قد أعلن نفسه أولاً للعالم، أي، بموسى، الذي بفمه قد أعلَن الله الابن الوحيد نفسه هكذا: أُنْظُرُوا، أُنْظُرُوا أَنَا الله، وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي[٢٥]. كون تلك الهرطقة الكافرة لا تَعزو تلك الكلمات لله، الآب غير المولود، هو واضح بمعنى الفقرة وبدليل الرسول الذي علَّمنا - كما قد قلنا بالفعل[٢٦] - أن نفهم هذه المحادثة كلها كما قالها الله الابن الوحيد. لقد أشار الرسول أيضًا إلى أن الكلمات (التي تقول): تَهَلَّلُوا أَيُّهَا الأُمَمُ، مَعَ شَعْبِهِ[٢٧]، تشير إلى للابن، وبتأييد آخر يقتبس الآتي: سَيَكُونُ أَصْلٌ مِنْ يَسَّى، وَالْقَائِمُ لِيَسُودَ عَلَى الأُمَمِ، فِيهِ سَتَكُونُ ثِقَةُ الأُمَمِ[٢٨]. وهكذا موسى بقوله: تَهَلَّلُوا أَيُّهَا الأُمَمُ مَعَ شَعْبِهِ، يشير إلى مَن قال: لَيْسَ إِلهٌ مَعِي؛ والرسول يُرجِع نفس الكلمات لربنا يسوع المسيح، الإله الابن الوحيد، الذي في قيامته كملك من أصل يسى، بحسب الجسد، يكون رجاء الأمم. ولذلك ينبغي لنا الآن أن نتأمل في معنى تلك

---

[٢٥] (تث ٣٢: ٣٩)

[٢٦] الكتاب الرابع، فقرة ٣٣.

[٢٧] (تث ٣٢: ٤٣) (رو ١٥: ١٠)

[٢٨] (إش ١١: ١٠) (رو ١٥: ١٢)

الكلمات، كي يمكننا نحن، الذين نَعلَم أنها قيلت بواسطته، أن نتحقق بأي معنىً قالها.

إله من إله

٣٧- ذلك التعليم الثابت والكامل، الذي يُشكل إيماننا، هو الاعتراف بمَن هو إله من إله وبالله (الابن) الذي هو في الله (الآب)، ليس بعملية جسدية بل بقوة إلهية، بدون أي نقل من طبيعة إلى طبيعة، بل من خلال العمل السري والقدير للطبيعة الواحدة؛ إله من إله، ليس بالانقسام أو بالامتداد أو الفيض، بل بفعالية كيان يلد كيانًا واحدًا معه. يجب أن تَقبل الحقائق معالجةً أكثر كمالاً في الكتاب التالي، والذي يجب أن يُكَرَّس لشرح تعليم الإنجيليين والرسل. أما في الوقت الحالي، فيجب أن نُبقي على تأكيدنا وإيماننا بواسطة الناموس والأنبياء. الطبيعة التي وُلِد الله بها هي بالضرورة نفس تلك التي لمصدره. هو لا يمكنه أن يأتي للوجود كآخَر غير الله، بما أن مصدره ليس آخر سوى الله. طبيعته هي نفسها، ليس بمعنى أن الوالد أيضًا قد وُلد - لأن غير المولود حينئذٍ، لكونه قد وُلِد، لن يكون هو نفسه - بل أن جوهر المولود يكمن في جوهر الوالد، الذي هو مصدره الوحيد. وهكذا فإن مصدره هو من الواحد بدون أي سبب خارجي، ووجوده يشارك في الوحدة؛ لا يوجد عنصر غريب فيه، لأن حياته هي من الحي؛ لا توجد صفة غائبة، لأن الحي قد وَلده كشريك له في كل صفاته الحية. من ثَم فإن الله غير المادي وغير المتغير، في ولادته للابن، طبقًا لطبيعته الخاصة، يلد إلهًا غير

مادي وغير متغير؛ وهذه الولادة الكاملة لإله غير مادي وغير متغير تتضمن، كما نرى، عدم انتقاصٍ من جوهر الوالد في ضوء إظهار لوجود إله من إله. وهكذا فإن الله الابن الوحيد يشهد من خلال موسى التقي: أُنْظُرُوا، أُنْظُرُوا أَنَا الله، وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. فإنه لا توجد طبيعة إلهية ثانية، ولذا لا يمكن أن يكون هناك إله معه، لأنه الله، ومع ذلك فإن اللاهوت حالٌ فيه أيضًا بقدرات طبيعته. وبسبب أنه الله، والله (الآب) فيه، لا يوجد إله معه؛ فإن الله، الذي لا يوجد مصدر للألوهة سواه، فيه، وبالتالي لا يوجد فيه فقط وجوده الخاص، بل (وأيضًا) مصدر وجوده.

٣٨- هذا الإيمان الخلاصي الذي نُعلنه يستند على روح النبوة، المتكلم بصوتٍ واحدٍ من خلال أفواهٍ كثيرةٍ، ولم يحمل أبدًا، طوال عصورٍ طويلةٍ ومتغيرةٍ، شهادة غير حقيقية عن حقائق الوحي. على سبيل المثال، الكلمات التي قد قيلت، كما أُخبِرنا بواسطة موسى، بواسطة (وحي) الله الابن الوحيد، مُثبَتة لأجل تعليمنا الأفضل بالروح النبوية، متكلمةً هذه المرة من خلال هؤلاء الرجال ذوي القامة: لِأَنَّ فِيكِ الله وَلَيْسَ إِلهٌ آخَرُ مَعَكَ. فَإِنَّكَ أَنْتَ هُوَ الله، وَلَمْ نَعْلَمْ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ الْمُخَلِّصَ. دعوا الهرطقة تسخر من نفسها بأقصى جهدها من اليأس والغضب الشديد من هذا التوضيح للاسم والطبيعة المرتبطان بغير انقسامٍ، وتُمزِّق وحدة كاملة في اللقب والطبيعة إلى اثنين، لو أمكن لمقاومتها الغاضبة أن تفعل. الله (الابن) هو في الله

(الآب)* ومعه لا يوجد إله. دعوا الهرطقة، لو أمكنها، تَفصل الله (الابن) عن الله (الآب) الذي هو فيه، وتصنِّف أعضاء تلك الوحدة السرية، كلٌّ بحسب طبيعته. فإنه حينما يقول 'فِيكِ الله'، فهو يُعلِّم بأن الطبيعة الحقيقية لله الآب موجودة في الله الابن؛ فإننا يجب أن نفهم أن الذي فيه هو الله 'الَّذِي يَكُونُ'[٢٩]. وحينما يضيف (قائلاً)، وَلَيْسَ إِلهٌ آخَرُ مَعَكَ، فإنه يُظهر أنه لا يوجد إله خارجًا عنه، لأن الله هو في ذاته. والتأكيد الثالث: أَنْتَ هُوَ الله وَلَمْ نَعْلَمْ، يُعلِن لأجل تعليمنا ما يجب أن يكون اعتراف النفس المكرسة والمؤمنة. حينما تَعَلَّمَت (النفس المؤمنة) أسرار الميلاد الإلهي، واسم عمانوئيل الذي أعلنَته الملائكة ليوسف، وجب عليها أن تُعلن: فَإِنَّكَ أَنْتَ هُوَ الله، وَلَمْ نَعْلَمْ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ الْمُخَلِّصَ. لا بُد لها أن تدرك وجود الطبيعة الإلهية فيه، طالما أن الله (الآب) في الله (الابن)، وعدم وجود أي إله آخر غير الحقيقي. فإن وهم وجود إله آخر، من أي نوعٍ كان، لا بُد أن يستسلم، لكونه هو الله والله فيه. هذه هي رسالة النبي إشعياء؛ فهو يحمل الشهادة للَّاهوت غير المنفصل وغير المنقسم للآب والابن.

شهادة إرميا النبي عن تجسد الله الابن

٣٩- إرميا أيضًا، النبي الموحى له بالمِثل، قد علَّم بأن الله الابن الوحيد هو من طبيعة واحدة مع تلك التي لله الآب. كلماته هي: هَذَا هُوَ إِلَهُنَا، وَلَا

---

* "أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ" (يو ١٤: ١٠)

[٢٩] (خر ٣: ١٤)

يُوجَدُ مِثْلُهُ آخَرُ، هُوَ وَجَدَ طَرِيقَ الْمَعْرِفَةِ، وَجَعَلَهُ لِيَعْقُوبَ عَبْدِهِ، وَلِإِسْرَائِيلَ حَبِيبِهِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ تَرَاءَى عَلَى الْأَرْضِ وَسَكَنَ بَيْنَ الْبَشَرِ[٣٠]. لماذا تحاولون تحويل ابن الله إلى إله ثانٍ؟ تعلَّموا أن تُقِروا وتعترفوا بالإله الواحد الحقيقي. لا يوجد إله ثانٍ يماثل المسيح، وبالتالي يدَّعي أنه الله. إنه إله من إله بالطبيعة والميلاد، لأن مصدر ألوهيته هو الله. وأيضًا، هو ليس إلهًا ثانيًا، لأنه لا يوجد آخر يشبهه؛ الحقيقة التي فيه ليست شيئًا آخر غير حقيقة الله. لماذا، بإخلاصٍ مزعومٍ لوحدة الله، تربطون بين الحق والكذب، الزائف والحقيقي، المساوي وغير المساوي؟ الآب هو الله والابن هو الله. الله (الابن) هو في الله (الآب)؛ معه لا يوجد إله، ولا يوجد آخر يشبهه كي يكون إلهًا. لو وَجب أن تُدرِكوا الوحدة في هذين الاثنين، بدلاً من كون الله مفردًا، فسوف تشتركون في إيمان الكنيسة، التي تعترف بالآب في الابن. لكن لو صمَّمتم، بجهلٍ بالسر السماوي، على أن الله واحد لكي تُقحِموا التعليم بانعزاله، فأنتم إذًا أغراب عن معرفة الله، لأنكم تُنكرون أن الله (الابن) في الله (الآب).

---

[٣٠] (باروخ ٣: ٣٦- ٣٨)

الكتاب السادس

صعوبة السباحة ضد التيار

١- رغم معرفتي الكاملة بمخاطر وآلام هذا الزمان، إلا أنني قد تجرأت بأن أهاجم تلك الهرطقة المتوحشة والكافرة، التي تؤكد أن ابن الله مخلوق. لقد أصيب عدد وافر من الكنائس، تقريبًا في كل مقاطعة في الإمبراطورية الرومانية، بوباء ذاك التعليم المميت؛ إنه إثم، قد غُرس في الذهن بإصرار، مدعيًا بالكذب أنه الحقيقة، وقد صار راسخًا في عقولٍ تتخيل عبثًا أنها مُخلِصة للإيمان. أنا أعلم كَم هو صعب أن تتقدم الإرادة نحو ارتدادٍ تام، حينما يكون الحماس لأجل الخطأ نتيجة لكثرة العدد، والاتفاق العام*. لا يمكن الاقتراب من حشدٍ تم تضليله بدون صعوبة وخطر. فحينما تشرد الجماهير، فإنها حتى لو علِمَت أنها في الطريق الخاطئ، إلا أنها سوف تخجل من الرجوع. إنها تدَّعي مراعاة جموعها، ولها ثقة في أن تَحكُم بأن جهالتها سوف تُعتبر حكمة. إنها تفترض أن حجمها هو دليل على صحة آراءها؛ وهكذا فإن الكذب الذي وَجد اعتمادًا عامًا، قد جزم بوقاحةٍ بأنه قد ثبَّت حقيقتها.

---

* إذ أن البسطاء يقتنعون بما يجمع عليه الأغلبية.{م}

الدفاع عن الإيمان هو واجب الأسقف نحو الكنيسة

٢- من جهتي، لم يكن فقط ما يمليه علي التزامي نحو الرعية، وواجب الوعظ بالإنجيل باجتهاد - إذ أن هذا هو واجبي نحو الكنيسة كأسقف - هو الذي دفعني. لقد زادت لهفتي للكتابة مع الأعداد المتزايدة المُعرَّضة للخطر، والمفتونة بتلك النظرية الهرطوقية. هناك إمكانية قوية للفرح، في فكرة خلاص الجموع لو أمكنهم أن يعرفوا أسرار الإيمان الصحيح بالله، ويقلعوا عن النظريات التجديفية التي لجهالة البشر، ويهجروا الهراطقة، ويسلِّموا أنفسهم لله؛ لو نبذوا الإغراء الذي يوقع به الصياد فريسته، وحلَّقوا عاليًا في حرية وأمان، متَّبعين المسيح كقائد، والأنبياء كمعلمين، والرسل كمرشدين، وقابلين الإيمان الكامل والخلاص الأكيد بالاعتراف بالآب والابن. وهكذا سوف يمكنهم أن يصمموا على تكريم الآب، من خلال التكريم المقدَّم للابن، بطاعة كلمات الرب: مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ[١].

المسيح سوف يُنكِر من ينكرونه

٣- إن عدوى الشر القاتل قد انتشرت حديثًا بين البشر، الذين خرابهم قد وَزَّع تدميرًا وموتًا في كل جهة. إن الدمار المفاجئ للمُدن المصابة، بمَن بها من الناس، بزلزلة للأرض، والمجزرة المُريعة للحروب المتكررة، والفَناء

---

[١] (يو ٥: ٢٣)

المنتشر للوباء الذي لا يقاوَم، لم تُحدِث أبدًا مثل هذا الأذى القاتل الذي لتزايد تلك الهرطقة في كل أنحاء العالم. فإن الله، الذي له يحيا كل الموتى*، يُهلك فقط هؤلاء المهلكين لأنفسهم. إن ديان الكل، الذي برحمته العظيمة سوف يخفف العقاب المخصص لأخطاء الجهل، لن يحاكم هؤلاء الذين ينكرونه، بل سينكرهم[٢].

تفنيد قانون الإيمان الهرطوقي

٤- فإن تلك الهرطقة المجنونة تُنكِر سِر الإيمان الحقيقي عن طريق التصريحات المستعارة من اعترافنا، والتي توظِّفها لأهدافها الخاصة الكافرة. إن اعتراف معتقدهم الخاطئ، والذي قد اقتبسته بالفعل في كتابٍ أسبق، يبدأ هكذا: "*نحن نعترف بإله واحد، الذي هو الوحيد غير المخلوق، الوحيد الأزلي، الوحيد غير المبتدئ، الوحيد الحقيقي، الوحيد الذي يملك الخلود، الوحيد الصالح، القدير وحده*". وهكذا فإنهم يستعرضون الكلمات الافتتاحية لاعترافنا الخاص، والذي يقول: "إله واحد، الذي هو الوحيد غير المخلوق والوحيد غير المبتدئ"، كي يمكن لهذا المظهر الخارجي للحقيقة أن يصير مناسبًا كمقدمة لإضافاتهم التجديفية. فإنه، بعد العديد من الكلمات التي فيها عُبِّر بالتساوي عن تقوى غير مُخلصة للابن، يكمل اعترافهم:

---

* "كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ، وَلكِنْ أَحْيَاءً لِلهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا". {م}

[٢] قارن (مت ١٠: ٣٣)

"أفضل مخلوقات الله، لكن ليس كواحد من مخلوقاته؛ عمل يديه، لكن ليس كباقي أعماله". مرة أخرى، بعد فاصل انتثرت فيه التصريحات الحقيقية أحيانًا لكي تستر هدف زعمهم غير التقي، إذ أنهم، في محاولتهم المغالِطة أن يُثبتوا أنه جاء للوجود من العدم، يضيفون: *"هو، المخلوق والمُعَيَّن قبل العالمين، لم يوجَد قبل أن يولَد"*. وأخيرًا، بالرغم من أن كل نقطة من تعليمهم الكاذب عن أنه يجب ألا يُعتَبَر كابن ولا إله، قد حُرِسَت على نحو منيع من الانقضاض عليها، إلا أنهم يكملون: *"ومثل هذه العبارات، مِنْهُ، ومِنَ الْبَطْنِ، وخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ، لو فُهِمَت بمعنى أن الآب يمد جزءًا، وكما لو كان توسيعًا لذلك الجوهر الواحد، إذًا فالآب سوف يكون من طبيعة مركبة وقابلة للانفصال ومتغيرة ومادية، بحسبهم؛ وهكذا، بقدر ما تذهب كلماتهم، سوف يتعرض الله غير المادي لخواص المادة"*.

لكن، بما أننا الآن على وشك تغطية الخلفية كلها مرة أخرى، موظِّفين هذه المرة لغة الأناجيل كسلاحنا ضد هذه الهرطقة الأكثر كفرًا، فقد بدا من الأفضل أن نكرر هنا، في الكتاب السادس، الوثيقة الهرطوقية كلها، رغم أننا قد قدَّمنا بالفعل نسخةً كاملةً منها في الرابع[٣]، لكي يمكن لخصومنا أن يطَّلعوا عليها ثانيةً، ويقارنوها، نقطة بنقطة، مع ردنا، وبهذا يُجبرون على إدراك الحقيقة، بواسطة التعليم الواضح للإنجيليين والرسل - أيًا كان المعارضون والمولعون بالجدل. الاعتراف الهرطوقي هو كالتالي:-

---

[٣] وبعض النسخ كتبتها 'الأول'. قارن ما جاء في الكتاب الخامس، الفقرة الثالثة.

٥- "نحن نعترف بإله واحد، الذي هو الوحيد غير المخلوق، الوحيد الأزلي، الوحيد غير المبتدئ، الوحيد الذي يملك الخلود، الوحيد الصالح، القدير، الخالق، الآمر والمُدبِّر لكل الأشياء، غير المتغير وغير المتبدل، العادل والصالح، (الإله) الذي للناموس والأنبياء والعهد الجديد. نؤمن أن هذا الإله قد ولد الابن المولود الوحيد قبل كل العالمين، الذي به قد خَلَق العالم وكل الأشياء؛ فهو قد ولده ليس بتشابه، بل بحقٍ، تبعًا لإرادته الخاصة، لذا فهو غير متغير وغير متبدل، أفضل مخلوقات الله لكن ليس كواحد من مخلوقاته، عمل يديه، لكن ليس كباقي أعماله؛ ليس كما أكد فالنتينوس، أن الابن هو تطور للآب؛ ولا مثلما أعلن ماني أن الابن، جزء مساوي للآب في الجوهر؛ ولا مثل سابيليوس، الذي صنع اثنين من واحد، ابن وآب في نفس الوقت؛ ولا مثل هيراكاس، نور من نور، أو مصباح له شعلتان؛ ولا كأنه كان سابقًا في كيانٍ وبعد ذلك وُلِد أو خُلِق من جديد ليكون ابنًا، العقيدة التي أدنتها أنت نفسك كثيرًا، أيها الأب المبارك، علانيةً في الكنيسة وفي اجتماع الإخوة. لكننا، كما أثبتنا، نؤمن أنه قد خُلِق بإرادة الله قبل الأزمنة والعالمين، وحياته ووجوده هما من الآب، الذي أعطاه أن يشاركه كماله المجيد. فإنه حينما أعطاه الآب ميراث كل الأشياء، لم يُجرِّد ذاته بذلك من الخصائص التي هي له بدون بدءٍ، مَن هو مصدر كل الأشياء.

٦- لذا فهناك ثلاثة أشخاصٍ، آب وابن وروح قدس. الله، من جهته، هو علة كل الأشياء، غير مبتدي تمامًا ومنفصل عن الكل؛ بينما الابن، الناتج من الآب خارج (حدود) الزمن، والمخلوق والمُعَيَّن قبل العالمين، لم يوجد

قبل أن يولد، بل، لكونه وُلِد خارج الزمن قبل العالمين، قد جاء للوجود كابنٍ وحيدٍ للآب الوحيد. فإنه ليس أزليًا ولا شريكًا في الأزلية، ولا شريكًا في عدم الخِلقة مع الآب، ولا له وجودٌ متوازٍ مع الآب، مثلما يقول البعض، الذين يفترضون وجود أصلين غير مولودين. لذا فهو قبل الابن أيضًا، مثلما قد تعلمنا بالفعل منك في عظتك العامة. إذًا فطالما أن كيانه هو من الله، وكماله المجيد، وحياته، وهو مؤتمن على كل الأشياء، لأجل هذا السبب الله هو مصدره، وله حُكمٌ عليه، لكونه إلهه، بما أنه سابقًا له. ومثل هذه العبارات، مِنْهُ، ومِنَ الْبَطْنِ، وخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ، لو فُهِمَت بمعنى أن الآب يمد جزءًا، وكما لو كان توسيعًا لذلك الجوهر الواحد، إذًا فالآب سوف يكون من طبيعة مركبة وقابلة للانفصال ومتغيرة ومادية، بحسبهم؛ وهكذا، بقدر ما تذهب كلماتهم، الله غير المادي سوف يتعرض لخواص المادة[٤]."

٧- مَن هو الذي سوف يفشل في أن يرى هنا الالتواءات القذرة لطريق الأفعى: الأفعى الملتفة، بالقوى المتركزة على الزنبرك، والتي تخبئ بين طياتها السلاح المميت الذي لأنيابها السامة؟ نحن في الوقت الحالي سوف نمددها ونفحصها، ونكشف سم تلك الرأس المخفية. فإن خطتهم هي أولاً التأثير ببعض التصريحات السليمة، ثم نفخ سم هرطقتهم. هم يكلموننا بشكل جميل، لكي يؤذونا سرًا. ومع ذلك، وسط كل مجاهرتهم الخادعة بإيمانهم، إلا

[٤] الفرق بين هذا الاعتراف وبين السابق ذكره في الكتاب الرابع هو اغفال جملة 'الحقيقي وحده' في البداية.

أنني لا أسمع في أي مكان أنهم قد لقبوا ابن الله بلقب الله، ولم أسمع أبدًا بنسب البنوة إلى الابن. هم يقولون الكثير عن امتلاكه لاسم الابن، لكن لا شيء عن امتلاكه للطبيعة. إن هذا قد مُنع من المشهد، كي يبدو أن ليس له أي حق حتى في الاسم. هم يقدمون عرضًا لفضح الهرطقات الأخرى لإخفاء حقيقة أنهم هم أنفسهم هراطقة. إنهم يؤكدون بعنف أن هناك واحدًا فقط، إلهًا واحدًا حقيقيًا، حتى يمكنهم في النهاية أن يجردوا ابن الله من لاهوته الحقيقي والذاتي.

السُم المُحلَّى

٨- ولذلك، بالرغم من أنني في الكتابين الأخيرين قد أثبتُّ من تعليم الناموس والأنبياء أن الآب والابن، الإله الحق والإله الحق، الله الآب الحقيقي والله الابن الحقيقي، يجب أن يُعتَرَف بهما كإله واحد حقيقي، بوحدانية الطبيعة وليس بالخلط بين الأشخاص (الأقانيم)، إلا أنني يجب أيضًا أن أقدِّم تعليم الإنجيليين والرسل، لأجل التقديم الكامل للإيمان. يجب علي أن أُظهِر من تعليمهم أن الإله الحقيقي، ابن الله، ليس من طبيعة مختلفة وغريبة عن التي للآب، لكنه يمتلك نفس الألوهية، بينما له وجود مميز من خلال ولادة حقيقية. وبالتأكيد، لا يمكنني الاعتقاد بأن أية نفس توجد بتلك الحماقة حتى تتخيل أننا لا يمكننا أن نفهم إعلانات الله عن ذاته، بالرغم من أننا نَعلمها؛ فإنهم، رغم أنهم يمكنهم فهمها، إلا أنهم لا يريدون أن يفهموا، أو أنهم يحلمون بأن المنطق البشري يمكنه أن يخترع تحسيناتٍ

لها. لكن قبل أن أبدأ في مناقشة الحقائق المحوية في تلك الأسرار الخلاصية، فيجب أولاً أن أذلل الكبرياء الذي به يوبِّخ هؤلاء الهراطقة أسماء هرطقاتٍ أخرى. سوف أُظهِر للنور ذلك القناع الماكر الذي لعدم تقواهم. سوف أُظهر أن تلك المعاني ذاتها التي فيها يخفون كون تعليمهم مميتًا، سوف تكشف بالحري عن ضلالهم، وأنها إعلان واضح يكشف عن الصفة الحقيقية لذلك السُم المُحلَّى.

في إنكار الأريوسية لهرطقة فالنتينوس حجةً لإنكار ألوهية الابن

٩- على سبيل المثال، هؤلاء الهراطقة لديهم هذا التعليم، أن ابن الله ليس من الآب؛ أي أن الله (الابن) لم يولد من الله (الآب)، وأنه ليس مِن طبيعة الله ولا هو فيها. لأجل هذا الهدف قد امتنعوا عن إضافة 'الآب'، حينما شهدوا على نحو مقدس لـ 'إله واحد، حقيقي وحده'. ثم، لكي يهربوا من الاعتراف بألوهية واحدة حقيقية للآب والابن بإنكار الولادة الحقيقية، فإنهم يكملون: 'ليس كما أكد فالنتينوس، أن الابن هو تطور للآب'. وهكذا هم يفكرون في سبك تكذيب لولادة الله (الابن) من الله (الآب) بتسميته 'تطوُّر'، كما لو كان شكل للهرطقة الفالنتينية. فإن فالنتينوس كان مبتدعًا للتخيلات المخالفة والغبية. فبجانب الإله الرئيس، قد اخترع أُسرةً كاملةً للآلهة والقوى غير المحصاة المدعوة 'أيونات' *æons، وعلَّم بأن ربنا

* الأيون في الفلسفة اليونانية هو قوة توجد خارج الزمن مستمدة من الإله الأسمى.
Soanes, C., & Stevenson, A. (2004). *Concise Oxford English dictionary* (11th ed.). Oxford: Oxford University Press.

يسوع المسيح كان تطورًا قُدِّم بشكلٍ سريٍ بفعل إرادي سري. إيمان الكنيسة، إيمان الإنجيليين والرسل، لا يَعلم شيئًا عن هذا التطور التخيلي، المنبثق من عقل حالم متهور وأحمق. إنه لا يعلم شيئًا عن 'العمق' و 'الصمت' والأيونات الثلاثين التي لفالنتينوس. إنه لا يعلم شيئًا سوى أن هناك إلهًا واحدًا، الآب، الذي منه كل الأشياء، ويسوع المسيح الواحد، ربنا، الذي به كل الأشياء، الذي هو الإله المولود من الإله. لكن قد خطر ببالهم أنه، في ولادته كإله من إله، لم يسحب شيئًا من لاهوت مصدره، لكنه وُلِد كإله؛ أي أنه قد صار إلهًا ليس ببداية جديدة لإله بل بالولادة من الإله الموجود؛ وأن كل ولادة تَظهر، بمقدار ما يمكن لقدرات الإنسان أن تَحكُم، أنها تطور، لكي يمكن اعتبار تلك الولادة تطور. وتلك الاعتبارات قد

وقد كان فالنتينوس ينادي بأن العالم الروحي pleroma (أي الملء) يتضمن ثلاثين أيونًا منبثقين من الأساس الرئيس للوجود، الذين يشكلون سلسلة متتالية من الأزواج syzygies. وأن هذا العالم المرئي مدين بأصله لسقوط الحكمة، آخر تلك الأيونات؛ هذا السقوط موصوف بشكل مختلف، لكنه يؤدي إلى نشوء ذريتها، الذي هو الخالق Demiurge، المتعارف على أنه إله العهد القديم. والفداء جاء بواسطة أيون آخر، وهو المسيح، الذي اتحد بالإنسان يسوع (سواء عند الحَبَل به أو عند معموديته) لكي يقدم للبشرية المعرفة الخلاصية gnosis بمصدرها الحقيقي ومصيرها. وهذه المعرفة قد أعطيَت فقط للروحانيين، أي الفالنتينيين، الذين سوف يعودون 'للملء' بواسطتها؛ وأما المسيحيون الأخرون، الموصوفون كـ 'نفسانيين' (١ كو ٢: ١٤)، فيمكنهم الحصول على شكل من الخلاص بالإيمان والأعمال الصالحة، لكن هذا سوف يكون في مملكة أخرى أقل من 'الملء'. وأما باقي البشر فهم جسدانيون، ومُقدَّر لهم الهلاك الأبدي.{م}

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983, p. 1676.

حثتهم على صُنع هجوم على هرطقة التطور الفالنتينية كوسيلة لتدمير الإيمان بالولادة الحقيقية للابن. فإن خبرة الحياة العامة تقود الحكمة العالمية نحو افتراض أنه لا يوجد اختلاف كبير بين الولادة والتطور. عقل الإنسان، الكليل وبطيء الفهم للأمور الإلهية، يحتاج لأن يتم تذكيره باستمرار بالمبدأ، الذي صرَّحتُ به أكثر من مرة[٥]، بأن التشابه الجزئي المرسوم بواسطة الخبرة البشرية لا يمكن تطبيقه بشكل كامل على أسرار القوى الإلهية؛ وأن قيمتها الوحيدة هي أن تلك المقارنة مع الأشياء المادية تمنح الروح فكرةً عن الأمور السماوية التي قد يمكننا أن نرتفع إليها، كسُلَّم للطبيعة، لإدراك عظمة الله. لكن ولادة الله لا يجب أن تُحكَم بمثل هذا التطور الذي يحدث في الولادات البشرية. حينما يولد الواحد من الواحد، ويولَد الإله من الإله، فإن ظروف الولادة البشرية تُمكِّننا فقط من فهم الحقيقة؛ لكن ميلادًا يستلزم جِماعًا وحَبَلاً ووقتًا ومخاضًا لا يمكن أن يقدم لنا أية معلومة عن الطريقة الإلهية. حينما نُخبَر بأن الله (الابن) قد وُلد من الله (الآب)، فيجب أن نقبل ولادته كحقيقة، ونرضى بذلك. أيًا كان، فإننا سوف نتحدث عن حقيقة الميلاد الإلهي في المكان المناسب، كما وضحها الأناجيل والرسل. مهمتنا الحالية هي عرض تلك الحيلة التي للمكر الهرطوقي، وهذا الهجوم على الميلاد الحقيقي للمسيح، المخفي تحت هيئة الهجوم على ما يُدعى 'التطور'.

---

[٥] الكتاب الأول فقرة ١٠، والرابع فقرة ٢.

١٠- ثم، باستئناف نفس الانقضاض المخادع على الإيمان، يُكمل اعترافهم هكذا: "*ولا مثلما أعلن ماني أن الابن جزءٌ مساوٍ للآب في الجوهر*". لقد أنكروا بالفعل أنه تطور، لكي يهربوا من الاعتراف بميلاده، وأما الآن فإنهم يقدمون التعليم بأن الابن هو جزء من الجوهر الإلهي، ناسبين إياه لماني، وينكرونه، لكي يفسد الإيمان بولادة الله (الابن) من الله (الآب). فإن ماني، العدو الشديد للناموس والأنبياء، المقاتل المتحمس لقضية الشيطان والعابد الأعمى للشمس، قد علَّم بأن الذي كان في رحم العذراء كان جزءًا من الجوهر الإلهي الواحد، وأننا بالابن يجب أن نفهم جزءًا محددًا من جوهر الله، الذي اقتُطِع، وجَعل ظهوره في الجسد. وهكذا فإنهم يستغلون هذه الهرطقة، بأن في ميلاد الابن كان هناك انقسامٌ للجوهر الواحد، ويستخدمونها كوسيلة للتملُّص من التعليم بميلاد الابن الوحيد، والاسم ذاته الذي لوِحدة الجوهر. إنهم ينكرون أي ميلاد، لأن التكلم عن ميلاد ناتج من انقسام الجوهر الواحد هو تجديفٌ محض! وكل أشكال الميلاد مُدانة بنفس إدانة الفكرة المانوية عن الميلاد بالقَطع. وأيضًا، هم يُبطِلون وحدة الجوهر، شكلاً وموضوعًا، لأن الهراطقة يتمسكون بأن الوحدة قابلة للقسمة؛ وينكرون أن الابن هو إله من إله، برفض تصديق أنه يملك بالحقيقة الطبيعة الإلهية. لماذا تتظاهر تلك الهرطقة المجنونة بتوقيرٍ زائفٍ، وبقلقٍ لا معنى له؟ إيمان الكنيسة يدين ماني، كما يقول هؤلاء المجانين جلَّابو الشر، لأنها لا تعرف أي شيء عن أن الابن جزء. إنها تعرفه كإله كامل من إله كامل، وكواحد من واحد، غير منفصل، بل مولود. إنها متأكدة

من أن ولادة الله لا تتضمن افتقار الوالد ولا نقص المولود. لو كان هذا هو تخيل الكنيسة الخاص، فوبِّخوها على الأعمال الحمقاء لحكمة تدَّعيها بشكلٍ خاطئ؛ لكن لو أنها تعلَّمتها من ربها، فاعترِفوا بأن المولود يعرف طريقة ميلاده. لقد تعلَّمَت من الله الابن الوحيد تلك الحقائق، أن الآب والابن واحد، وأن في الابن يحل ملء اللاهوت. ولذا فهي تشمئز من نَسب جزء من الجوهر الواحد للابن؛ وبسبب أنها تَعلم أنه وُلِد بالحقيقة من الله، فإنها تعبد الابن كمالِكٍ له الحق في اللاهوت الحقيقي. أما الآن فدعونا نؤجل إجابتنا الكاملة عن تلك الادعاءات المتعددة، ونستعجل بقية اتهاماتهم.

إدانتهم لسابيليوس هدفها إنكار ولادة الأقنوم الثاني

١١- هاك ما يتبع: *"ولا مثل سابيليوس، الذي صنع اثنين من واحد، ابنًا وآبًا في نفس الوقت"*. سابيليوس يتمسك بهذا بجهل عنيد بوحي الإنجيليين والرسل. لكن ما نراه هنا ليس مهرطقًا واحدًا يتهم الآخر بصدق. إن الرغبة في عدم ترك أية نقطة للاتحاد بين الآب والابن هي التي تحثهم على لوم سابيليوس على تقسيمه لشخصٍ غير قابل للانقسام؛ ذلك الانقسام الذي لا ينتج عنه ميلاد شخص ثاني، بل يقطع الشخص الواحد إلى جزئين، واحد منهما يدخل رحم العذراء. لكننا نعترف بميلادٍ، إذ أننا نرفض هذا الاعتراف بشخصين في واحدٍ، ونتمسك في نفس الوقت بالوحدة الإلهية، ونتمسك بأن تعبير 'إله من إله' يعني وحدة الطبيعة لهذا الكيان. مَن صار إلهًا بفضل الولادة الحقيقية من الله، لا يمكنه أن يكتسب وجوده من

مصدر آخر سوى المصدر الإلهي. وبما أنه وجوده مستمر (بولادته) من الله (الآب) منذ الأزل، فلا بُد أن يبقى إلهًا إلى الأبد؛ ولهذا السبب هما الاثنان واحد، لأن ذاك الذي هو إله من إله، ليس له سوى الطبيعة الإلهية، وليس له سوى المصدر الإلهي. أما عن سبب إدانة ذلك المزج السابيلي لشخصين إلى واحد، هو أنهم يريدون أن يسلبوا الكنيسة إيمانها الصحيح بوجود شخصين (أقنومين) في إله واحد*. لكنني الآن يجب أن أفحص الأمثلة الباقية للمكر الفاسد، كي أُنقِذ نفسي من سُمعة القاضي الميال لنقد المحققين المخلصين، والذي يحركه بالحري دافع الكره بدلاً من المخافة الصادقة. سوف أُظهر، بالمصطلحات التي ينتهي إليها اعترافهم، ما هي النتيجة المحتومة لهذا الاستنتاج المميت الذي اخترعوه بمكر.

ما نقصده من تعبير 'نور من نور' ليس هو نفس ما قصده هيراكاس

١٢- الفقرة التالية هي: *"ولا مثل هيراكاس، نور من نور، أو مصباح له شعلتان؛ ولا كأنه كان سابقًا في كيانٍ، وبعد ذلك وُلِد، أو خُلِق من جديد، ليكون ابنًا"*. هيراكاس يرفض ولادة الابن الوحيد، وبعدم وعي كامل بمعنى إعلانات الإنجيل، يتكلم عن شعلتين من مصباح واحد. هذا الزوج المتماثل

* ليس معنى ذلك أن ق. هيلاري يلغي الأقنوم الثالث، الذي هو الروح القدس، لكنه هنا يتكلم عن ما يخص إثبات ألوهية الابن، والحديث هنا ليس عن ألوهية الروح القدس، كما أنه حتى ذلك الوقت لم تكن زوبعة إنكار ألوهية الروح القدس قد ظهرت بعد، وبالتالي فهو يركز حديثه على ما يخص الابن.{م}

من الشعلات، المُغَذَّى بتزويد زيت محوي في تجويف واحد، هو إظهاره لجوهر الآب والابن. كما لو أن الجوهر كان شيئًا ما انفصل من أحد الأشخاص، مثل الزيت في المصباح، الذي هو مميز عن الشعلتين، رغم أنهما يعتمدان عليه لأجل وجودهما؛ أو مثل الفتيلة، التي هي من مادة واحدة في كل مكان وتحترق في كلتا النهايتين، التي هي مميزَة عن الشعلتين، رغم أنها تمدهما وتربطهما ببعضهما. كل هذا هو مجرد تضليل لجهالة الإنسان، التي وثقت بنفسها، وليس بالله، من جهة المعرفة. لكن الإيمان الصحيح يؤكد أن الله مولود من الله، مثل ولادة النور من النور، الذي يتدفق بنفسه بدون نقصان ذاتي، معطيًا ما له، وممتلكًا مع ذلك ما قد أعطاه. إنه يؤكد أنه بميلاده كان ما هو عليه، فإنه مثلما كان هكذا وُلِد؛ أي أن ميلاده كان منحة الحياة الحقيقية، منحة لم تقلِّل أبدًا من المخزن الذي أُخِذَت منه؛ وأن كليهما واحدٌ، فإن مَن وُلد منه هو مثله، والذي وُلِد ليس له مصدر آخر ولا طبيعة أخرى، فإنه نور من نور. لقد كان لأجل سحب إيمان الناس بعيدًا عن التعليم الصحيح، أن يُلقَى هذا الفانوس أو المصباح الذي لهيراكاس كطُعم في أفواه أولئك الذين يعترفون بنور من نور. لأن الجُملة قد استُخدمت بمعنىً هرطوقي، وأُدينَت، سواء الآن أو في السابق، فهم يريدون أن يقنعونا بأنه لا يوجد معنى صحيح يمكن أن توظَّف له. دعوا الهرطقة حالاً تُقلِع عن هذه المخاوف غير المبَرَّرة، وتمتنع عن ادعاء كونها حارسةً لإيمان الكنيسة بدافع الاشتهار بالغيرة على نحو كاذب. فإننا لا نسمح بشيء جسدي، ولا بشيء بدون حياة، أن يكون له مكان بين صفات الله. الإله هو إله كامل. فيه

القدرة، والحياة، والنور، والقداسة، والروح. تلك الطبيعة لا تحتوي على عناصر باهتة مادية؛ ولكونها ثابتة، لا يمكن أن يوجد بها أشياء متنافرة. الله، لأنه إله، هو غير متغيرٍ؛ والإله غير المتغير قد وَلد الله (الابن). رباط اتحادهما ليس مثل الذي للشعلتين، ولا مثل فتيلتين لمصباح واحد، أو شيء خارج عنهما. ميلاد الابن المولود الوحيد من الله ليس مَدًّا في فراغ، بل ولادة؛ ليس امتدادًا للنور[٦]، بل نور من نور. فإن الوحدة بين النور والنور هي وحدة للطبيعة، وليست استمرارًا متواصلاً.

لا يمكن لأي ابن أن يوجد بدون أب

١٣- فيا لهذا المكر الهرطوقي الموجود في الآتي: "*ولا كأنه كان سابقًا في كيانٍ وبعد ذلك وُلِد أو خُلِق من جديد، ليكون ابنًا*". الله، بما أنه وُلد من الله، فهو بالتأكيد لم يولد من لا شيء، ولا من أشياءٍ غير موجودةٍ. ميلاده كان ميلادَ مَن له طبيعة الحياة الأبدية. ومع ذلك، بالرغم من أنه الله، إلا أنه ليس مطابقًا (في الأقنوم) لله (الآب) ذاتي الوجود، فإن الله (الابن) مولود من الله (الآب) ذاتي الوجود، وهو يشترك في طبيعة مصدره، بميلاده. إذا كنا نتكلم كلمات من أنفسنا، فسيصبح كل هذا مجرد عدم توقير؛ لكن لو كان الله نفسه، كما سوف نُثبت، قد علَّمنا كيف نتكلم، إذًا فالضرورة موضوعة علينا كي نعترف بالميلاد الإلهي بالطريقة الموحى بها من الله. فإن وحدة الطبيعة هذه التي في الآب والابن، وهذا السر فائق الوصف الذي

[٦] أي خط أضواء.

للميلاد الحي، هما اللذان يكافح جنون الهرطقة لأجل أن يبعدهما عن الإيمان، حينما يقول: *"ولا كأنه كان سابقًا في كيانٍ وبعد ذلك وُلِد أو خُلِق من جديد، ليكون ابنًا"*. والآن مَن هو الأحمق بما فيه الكفاية، الذي يفترض أن الآب قد توقف عن أن يكون نفسه، وأن نفس الشخص الذي وُجِد قبلاً قد وُلِد فيما بعد، أو خُلِق من جديد، لكي يكون الابن؟ (أو) أن الله اختفى، وأن اختفاءه قد أُتبِع بنشوء في الولادة، حينما يكون في الحقيقة هذا الميلاد دليلاً على الوجود المستمر لوالده؟ ومَن هو هذا المخبول الذي يفترض أن ابنًا يمكن أن يأتي للوجود بطريقة أخرى غير الولادة؟ مَن هو هذا الذي بلا عقل، الذي يقول إن ولادة الله قد أنتجت أي شيء آخر غير الإله المولود؟ نعم، إن الله (الآب) الدائم لم يولد، لكن الله (الابن) قد وُلِد من الإله الدائم؛ الطبيعة الممنوحة في تلك الولادة كانت هي نفس طبيعة الوالد. والله بميلاده، ذلك الميلاد الذي كان من الله (الآب) إلى الله (الابن)، لم يَقبل أشياءً مخلوقةً حديثًا، بل أشياءً كانت وستظل موجودةً دائمًا في الله، لأن ميلاده كان ميلادًا حقيقيًا. وهكذا فإن الإله أزلي الوجود لم يولَد؛ ومع ذلك فالله (الابن) قد وُلِد، وصار موجودًا*، مِن الله (الآب) حاملاً خواص الله. وهكذا فإننا نرى، على طول هذه المقدمة الطويلة، كيف أدَّت الهرطقة بغدرٍ إلى هذا التعليم الأكثر تجديفًا. ولكون هدفها هو إنكار الله الابن الوحيد، فإنها تبدأ بما يوهِم بأنه دفاعًا عن الحق، لكي تستمر في التأكيد على أن المسيح

* من جهة طبيعة وجوده هو بالطبع أزلي من ذاته، أما من جهة نمط الوجود، فإن أزليته نابعة من أزليه مصدره، أي الآب. ولمعرفة المزيد، انظر التعليق على فقرة ٢٥ من الكتاب الثاني عشر.{م}

مولودٌ، ليس من الله بل من العدم، وأن ميلاده هو نتيجة الخطة الإلهية للخلق من العدم.

الآب، لأنه آب، فهو غير مولود

١٤- ثم، بعد فاصل قد وُضِع لكي يُعدَّنا إلى ما هو آتٍ، تُوجِّه لنا هرطقتهم هذا الانقضاض: *"بينما الابن، الناتج من الآب خارج (حدود) الزمن، والمخلوق والمُعَيَّن قبل العالمين، لم يوجد قبل أن يولد"*. هذه (الجملة) *'لم يوجد قبل أن يولد'* هي شكل من أشكال الكلام الذي تخدع به الهرطقة نفسها بأنها تحصل على نتيجتين. (من ناحية) هي تدعيم لتجديفها، و (من ناحية أخرى) ستارة لنفسها لو اتُّهِمَ تعليمها. هي تدعيم لتجديفها، لأنه لو لم يوجد قبل أن يولد، فإنه لا يمكنه أن يكون من طبيعة واحدة مع مصدره الأزلي. إن كانت قدراته هي تلك التي تبعت ولادته فقط، فلا بُد أن ولادته كانت من العدم. ولو أُدين هذا التصريح، فسوف تقال إجابة جاهزة، لوقاية تلك الهرطقة. سوف يُقال إن 'الكائن' لم يولَد؛ إن كان موجودًا بالفعل، فهو لا يمكنه بأية حال أن يأتي للوجود بالعبور من خلال عملية الولادة، لأن المعنى الحقيقي للولادة هو الدخول إلى الوجود الخاص بكيانٍ مولود. يا لحماقتكم وتجديفكم! مَن هو هذا الذي يتخيل ولادة مَن هو غير مولود وأزلي؟ كيف نعتقد أن الإله، 'الكائن'[٧]، مولود، حينما يتضمن كونه مولودًا عملية ولادة؟ إن ما تسعون لدحضه هو ميلاد الله الابن الوحيد من الله أبيه، وغايتكم

---

[٧] (خر ٣: ١٤)

هي أن تهربوا من الاعتراف بتلك الحقيقة بقولكم: *"لم يوجد قبل أن يولد"*؛ ومن الاعتراف بأن الله، الذي وُلِد منه ابن الله، قد وُجِد بشكلٍ أزلي؛ وأن الله الابن موجود بالولادة من طبيعته الثابتة. إذًا، فإن كان الابن مولودًا من الله، فيجب أن تعترفوا بأن ولادته هي ولادة من تلك الطبيعة الدائمة، وأنها ليست ولادة لله (الآب) ذاتي الوجود، بل ولادة الله (الابن) من الله (الآب) ذاتي الوجود.

الصعوبة ليست في الرد على الهرطقة، بل في إقناع الغافلين

١٥- لكن الحماسة العنيفة لتلك الهرطقة هائلةٌ، لدرجة أنها لا يمكنها أن تكبح نفسها عن الثورة الغاضبة. وبالمطابقة مع تأكيدها على أن الابن لم يوجد قبل أن يولد، ولأجل إثبات أن الابن قد وُلِد من العدم، أي أنه لم يولد من الله الآب لكي يكون الله الابن بولادة حقيقية وكاملة، فإنها تُنهي اعترافها بتلويحها المجدِّف بمنتهى الغضب وأشد الحقد (بهذه الفقرة): *" ومثل هذه العبارات، مِنْهُ، ومِنَ الْبَطْنِ، وخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ، لو فُهِمَت بمعنى أن الآب يمد جزءًا، وكما لو كان توسيعًا لذلك الجوهر الواحد، إذًا فالآب سوف يكون من طبيعة مركبة وقابلة للانفصال ومتغيرة ومادية، بحسبها؛ وهكذا، بقدر ما تذهب كلماتهم، سوف يتعرض الله غير المادي لخواص المادة"*. لا بُد أن الدفاع عن الإيمان الحقيقي ضد أكاذيب الهرطقة سيكون مهمةً مرهِقةً وصعبةً، لو كنا مضطرين لمتابعة تقدم الفكر بمقدار غوصهم في أعماق الإلحاد. لكن لحسن الحظ، فإن سطحية فكرهم

هي التي أدت إلى لهفتهم على التجديف. ولهذا السبب، بينما دحض الجهالة سهل، إلا أنه من الصعب تصحيح مسار الغافلين، لأنهم لن يأخذوا الاستنتاجات الصحيحة بعين الاعتبار، ولن يقبلوها حينما تُقَدَّم من آخر. ومع ذلك فأنا أثق بأن أولئك المكبلين بالخطأ، بجهل تقي وليس بجهالة مقصودة نتجت عن غرور بالذات، سوف يرحبون بالتصحيح. فإن إظهارنا للحق سوف يقدم دليلاً مقنعًا على أن الهرطقة ليست سوى جهالة.

خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ

١٦- لقد قلتم في جنونكم، وما زلتم ترددون اليوم، جاهلين بأن حكمتكم هي تحدٍ لله: *"مثل هذه العبارات، مِنْهُ، ومِنَ الْبَطْنِ، وخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ"*. والآن أنا أسألكم، هل تلك العبارات هي كلمات الله، أم لا؟ بالتأكيد هي كلماته؛ وبما أن الله قالها عن نفسه، فنحن مقيدون بأن نَقبلها بالضبط مثلما قيلت. إما بخصوص العبارات نفسها، ونفاذ معنى كل منها بالتفصيل، فسوف أتكلم في المكان المناسب. في الوقت الحالي سوف أطرح فقط هذا السؤال أمام ذكاء كل قارئ؛ حينما نرى (عبارة) 'مِنْ نَفْسِهِ'، فهل نعتبرها مثل 'من شخصٍ آخر'، أو 'من لا شيء'، أم سنقبلها على أنها الحقيقة؟ إنها ليست 'من شخصٍ آخر'، لأنها 'مِنْ نَفْسِهِ'؛ أي أن ألوهيته ليس لها مصدر آخر سوى الله. إنها ليست 'من لا شيء'، لأنها 'مِنْ نَفْسِهِ'؛ إنها إعلان عن الطبيعة التي منها تكون ولادته. إنها ليست 'نَفْسِهِ'، بل 'مِنْ نَفْسِهِ'، وهذا تصريح عن أنهما متصلان كآب وابن. ثم، حينما أُعلِن

تعبير 'مِنَ الْبَطْنِ'، وأُشير بوضوح إلى حقيقة ميلاده بمصطلحات قد اقتُبِسَت من وظائف جسدية، فهل سنؤمن بسهولة أنه وُلِد من العدم. إن إشارة الله إلى ولادة الابن بقوله: مِنَ الْبَطْنِ قَبْلَ كَوكَبِ الصُّبْحِ وَلَدْتُكَ*، ليس معناها أن له أعضاء جسدية. إنه يستخدم لغة تساعدنا على فهم أن ابنه المولود الوحيد قد وُلِد بطريقة تفوق الوصف، من ألوهيته الحقيقية. غايته هي تنمية إمكانيات الناس لمعرفة الإيمان، بتغطية الحقائق الإلهية بكلمات تصويرية لظروف البشر. وهكذا، حينما يقول، مِنَ الْبَطْنِ، فإنه يُعلِّمنا أن ابنه الوحيد، بالطريقة الإلهية، قد وُلِد ولم يأت للوجود عن طريق الخلق من العدم. وفي النهاية، حينما قال الابن: خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ، فهل هناك شك في إن كان لاهوته قد استُمِد من الآب أم لا؟ لقد خرج من الآب؛ أي كانت له ولادة؛ والآب، وليس آخر، قد أعطاه هذه الولادة. هو يشهد أن الذي أعلَن أنه قد أتى منه، هو مصدر وجوده**. على العموم، فإن برهان وتفسير كل هذا سوف يُقدَّم فيما بعد.

تعديل كلام الكتاب إهانة لله

١٧- لكن في غضون هذا، دعونا نرى ما هو أساس ثقة هؤلاء الرجال التي بها يمنعوننا عن قبول كلام الله الحقيقي عن نفسه، رغم كون الكلام

---

* (مز ١٠٩: ٣) سبعينية، (١١٠: ٣) بيروتية، ويلاحَظ هنا دقة الترجمة القبطية التي تُرجِمَت عن السبعينية.{م}

** انظر التعليق على فقرة ٢٥ من الكتاب الثاني عشر.{م}

محلاً للثقة، وهم لا ينكرونه. ما هي الإهانة المحزنة التي يمكن أن توجهها الجهالة البشرية للوحي الإلهي، أكثر من إدانته، وتصحيحه؟ فحتى الشك والنقد لن يرضيهم. ما هو الأمر المحزن أكثر من هذا التفنيد الدنس لطبيعة وقوة الله؟ فهل هناك ما هو محزن أكثر من وقاحة القول بأنه لو أن الابن من الله، إذًا فالله متغير وجسدي، بما أنه قد امتد أو طوَّر جزءًا من نفسه ليكون ابنه؟ مِن أين جاءكم هذا القلق على ثبات طبيعة الله؟! نحن نعترف بالميلاد، نحن نعلن الابن الوحيد، فإنه هكذا قد علَّمنا الله. أما أنتم، فلكي تُبعدوا الولادة والابن الوحيد عن إيمان الكنيسة، تواجهون إيانا بإله غير متغير، غير قابِل بطبيعته للامتداد أو التطور. يمكنني أن أقدم برهانًا بأمثلةٍ موجودة حتى في الطبائع التي تتعلق بهذا العالم، لكي أدحض هذا الضلال الحقير، بأن كل ميلاد يجب أن يكون امتدادًا. ويمكنني أن أُنقذكم من الخطأ بأن الكيان يمكنه أن يأتي إلى الوجود فقط بكُلفة الخسارة للوالد، فإن هناك أمثلةً لحياة منقولة، بدون اتصال جسدي، من مخلوق حي واحد إلى آخر. لكن حينما يكون الله قد تكلَّم، فسيكون التعامل مع الدلائل نوع من عدم تقوى. وحينما تكون عبادتنا اعترافًا بأنه هو الوحيد الذي يمكنه أن يعطينا حياة، سيكون أكثر جنونًا إنكار قدرته على منحنا الإيمان. فإن أتت الحياة من خلاله فقط، ألا يجب أن يكون هو خالق الإيمان الذي هو شرط تلك الحياة؟ وإذا تمسكنا بشهادةٍ غير جديرة بالثقة بخصوصه، فكيف يمكننا أن نثق بالحياة التي هي عطيته؟

ادِّعاء أنه ابن بالتبني وليس بالطبيعة

١٨- فيا أكثر الهراطقة كُفرًا، أنتم تنسبون ميلاد الابن لفعل خلقٍ إرادي؛ أنتم تقولون إنه ليس مولودًا من الله، بل إنه قد خُلِق وجاء للوجود باختيار الخالق، وتدَّعون أن وحدة اللاهوت، لن تسمح له بأن يكون إلهًا؛ *إذ بما أن الله يبقى واحدًا، لا يمكن للابن أن يحتفظ في الحالة التي وُلد إليها بطبيعته الأصلية*. أنتم تقولون إنه قد وُهِب، من خلال الخَلق، جوهرًا مختلفًا عن الجوهر الإلهي، بالرغم من أنه، لكونه بطريقة ما الابن الوحيد، أعلى من مخلوقات وأعمال الله الأخرى. أنتم تقولون إنه قد رُفع، وإنه بدوره يمكنه أن يُنجز المهمة الموكلة له برفع العالم المخلوق، *لكن ولادته لم تمنحه الطبيعة اللاهوتية*. لقد وُلِد، بحسب كلامكم، بالطريقة التي بها أتى إلى الوجود من العدم. أنتم تدعونه ابنًا، ليس بسبب أنه وُلِد من الله، لكن بسبب أنه قد خُلِق بواسطة الله. فإنكم تذكرون أن الله قد اعتبر حتى الناس القديسين مستحقين لهذا اللقب، وتعتبرون أنه منسوب للابن بالضبط بنفس الطريقة التي قيلت بها تلك الكلمات: أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ[٨]؛ *أي أنه يحمل الاسم من خلال تنازل المعطي، وليس بحق الطبيعة* nature. هكذا، في نظركم، هو ابن بالتبني، إله بعطية اللقب، ابن وحيد بالامتياز، بِكر في الموعد، ومخلوق بكل الطُرق، وليس إلهًا على الإطلاق. فإنكم

---

[٨] (مز ٨١: ٦) سبعينية، (٨٢: ٦) بيروتية.

تتمسكون بأن نشأته لم تكن ولادة من الله، بالمعنى الطبيعي، بل بداية حياة لكيان حقيقي substance مخلوق.

مناجاة رائعة للآب

١٩- والآن، أيها الإله القدير، ينبغي أولاً أن أصلي لك لكي تغفر لي نقمتي الزائدة، وتسمح لي بأن أخاطبك؛ ثم تمنحني، أنا التراب والرماد، حريةً في الكلام في هذه المناقشة، رغم كوني مقيَّدًا بتكريسٍ مخلِص لك. لقد كان هناك وقتٌ لم أكن فيه أنا الحقير؛ قبل أن تبدأ حياتي ووعيي وشخصيتي في الوجود. أنا مدين بحياتي لرحمتك؛ وأنا لا أشُك في أنك، في صلاحك، قد أعطيتني ميلادي لأجل خيري، فإنك أنت، يا مَن لا تحتاج إلي، لم تجعل أبدًا بداية حياتي بداية الشر. وبعدئذ، حينما نفخت فيَّ نَسمة الحياة، ومنحتني قوة الفكر، قد أرشدتني إلى معرفة ذاتك، بالكُتب المعطاة لنا بواسطة خدامك موسى والأنبياء. منهم أنا تعلمت ما أظهرتَه، أننا لا يجب أن نعبدك كإله منعزل. فإن صفحاتهم قد علَّمَتني عن الله، أنه ليس مختلفًا عنك في الطبيعة بل واحدًا معك في وحدة سِرية للجوهر. أنا تعلمت أنك في الله (الابن) وهو فيك، بلا اختلاط ولا امتزاج، بل بطبيعتك ذاتها، بما أن اللاهوت الذي هو ذاتك، كائن فيمَن هو منك. لكن التعليم الصحيح عن الميلاد الكامل قد أظهَر أنك أنت، أيها الكائن، وأنت يا من هو كائن فيك، لستما شخصًا (أقنومًا) واحدًا، حتى إنك كائن فيمَن هو منك. فإن أصوات الإنجيليين والرسل تعيد الدرس، والكلمات ذاتها الخارجة من الفم المقدس

لابنك الوحيد مُسجلَّة، تخبر كيف أن ابنك، الإله الابن الوحيد منك أيها الإله غير المولود، قد وُلِد من العذراء كإنسان ليحقق سِر خلاصي، وكيف كُنت فيه، بفضل ميلاده الحقيقي من ذاتك، وهو فيك، بسبب الطبيعة المعطاة في ميلاده الدائم منك.

لا يُعقَل أن يكون كل هؤلاء الأنبياء والرسل قد أساءوا الفهم

٢٠- ما هو مستنقع الخطأ هذا الذي أنزلتني فيه*؟ فإنني قد تعلمت كل هذا وأتيت لكي أؤمن به؛ هذا الإيمان راسخ جدًا في عقلي حتى إنني ليس لي القوة ولا الرغبة في تغييره. لماذا هذه المخادعة لرجل غير سعيد، وهذا الفقر لفقير بائس في الجسد والنفس، بتضليله بأكاذيب عن ذاته؟! بعد أن انشق البحر الأحمر، قد خدعني اللمعان على وجه موسى النازل من الجبل! لقد حدَّق، بمحضرك، في كل أسرار السماء، وأنا أؤمن بكلامه، المُملَى منك، عن نفسه. وداود، الرجل الذي وُجِد حسب قلبك، قد خدعني خدعة مدمرة! وسليمان، الذي اعتُقد أنه مستحق لعطية الحكمة الإلهية! وإشعياء الذي رأى رب الصباؤوت وتنبأ! وإرميا المكرَّس من البطن قبل أن يُصوَّر، لكي يكون نبيًا لشعوب تُقلَع وتُغرَس**! وحزقيال الشاهد على سِر القيامة!

---

* يستنكر ق. هيلاري ادعاءات الهراطقة، لكن بأسلوب السخرية، وكأن الله قد خدعه، وكذلك الأنبياء والرسل.{م}

** (إر ١: ١٠).{م}

ودانيال الرجل المحبوب، الذي كانت له معرفة الأوقات! وكل العُصبة المقدسة للأنبياء!

حتى متَّى أيضًا، المختار لكي يعلن السر الكامل للإنجيل، الذي كان أولاً جابي ضرائب، ثم صار رسولاً! ويوحنا الصَديق الحميم للرب، والمستحق بسبب ذلك أن يُظهِر أعمق أسرار السماء! وسمعان (بطرس) المبارَك، الذي بعد اعترافه بالسر قد عُيِّن لكي يكون حجر أساس الكنيسة، واستلم مفاتيح ملكوت السموات هو وَكُل رفقائه الذين تكلموا بالروح القدس! وبولس الإناء المختار، المتحول من مضطهِد إلى رسول، الذي نزل تحت البحر[٩] العميق، كإنسان حي، وصعد إلى السماء الثالثة، والذي كان في الفردوس قبل استشهاده، وشهادته كانت القربان الأمثل للإيمان المستقيم! لقد خدعوني كلهم.

طبيعة الميلاد الذي يفوق الوصف هي سِر بين الآب والابن الوحيد

٢١- هؤلاء هم الرجال الذين علَّموني التعاليم التي أتمسك بها، وأنا مستغرق بعمق شديد في تعليمهم حتى إنه لا يوجد أي ترياق يمكن أن يُطلِقني من تأثيرهم. سامحني أيها الإله القدير، على ضعفي في أن أتغير، واستعدادي لأن أموت في هذا الإيمان. هؤلاء الناشرون للتجديف، إذ أنهم يبدون هكذا بالنسبة لي، هم نِتاج تلك الأوقات الأخيرة، والأكثر حداثة بالنسبة لنفعي. الوقت قد تأخر جدًا بالنسبة لهم كي يصححوا الإيمان الذي

[٩] قارن (٢كو ١١: ٢٥).

قبلته منك. قبل أن أسمع حتى بأسمائهم، قد وضعْتُ ثقتي فيك، وقبلْتُ تجديدًا* منك وصرت مِلكك، كما أنا الآن. أنا أعلم أنك كلي القدرة؛ أنا لا أتطلع إلى وجوب أن تُظهِر لي سِر ذاك الميلاد الذي يفوق الوصف، والذي هو سِر بينك وبين ابنك الوحيد. لا يوجد شيء مستحيل معك، وأنا لا أشُك بأنك في ولادة ابنك قد مارست كل قدرتك الكلية الكاملة. إن الشك في هذا هو إنكار لكونك كلي القدرة. فإن ولادتي الخاصة تعلِّمني أنك صالح**، ولذا فأنا متأكد من أنك في ولادة ابنك الوحيد لم تحسده على عطية صالحة. أنا أؤمن أن كل ما هو لك هو له، وكل ما هو له هو لك. إن خَلْق العالم هو برهان كافٍ بالنسبة لي على أنك حكيم؛ وأنا واثق من أن **حكمتك**، الذي هو مثلك، لا بُد أنه قد وُلِدَ من ذاتك. وأنت، بحقٍ تام، إله واحد في عيني؛ أنا لن أؤمن أبدًا أن في ذاك، الذي هو إله منك، يوجد احتمال لوجود شيء ليس لك. حاكمني فيه، لو وُجد فيَّ إثم، لكوني قد وثقت جيدًا في الناموس والأنبياء والرسل، من خلال ابنك.

---

* يقصد المعمودية.{م}

** يقول ق. أثناسيوس: "الله صالح بل هو بالأحرى مصدر الصلاح. والصالح لا يمكن أن يبخل بأي شيء وهو لا يحسد أحدًا حتى على الوجود. ولذلك خلق كل الأشياء من العدم بكلمته يسوع المسيح ربنا، وبنوع خاص تحنن على جنس البشر". *تجسد الكلمة*، مرجع سابق، الفصل الثالث فقرة ٣.{م}

الابن يملك نفس الطبيعة الإلهية التي لأبيه

٢٢- لكن هذا الحديث المتطرف يجب أن يتوقف؛ البلاغة في عرض حماقة الهرطقة يجب أن تُفسح المجال لترتيب الجدالات الشاقة. لذا، فأنا أثق أن هؤلاء الذين سيخلُصون، سوف يثبِّتون وجوههم نحو الإيمان الحقيقي الذي لُقِّن بواسطة الإنجيليين والرسل، ويعترفون بالابن الحقيقي لله، الذي هو ليس بالتبني بل بالطبيعة. فإن خطة جوابنا يجب أن تكون تلك التي تُثبِت أولاً أنه ابن الله، والذي يملك نفس الطبيعة الإلهية لأبيه. فإن الهدف الرئيس للهرطقة، والذي نَدرسه، هو إنكار أن ربنا يسوع المسيح هو إله حقيقي، وأنه بالحقيقة ابن الله. دلائل كثيرة تؤكد لنا أن ربنا يسوع المسيح هو بالحقيقة ابن الله، والمُعلَن عن كونه الإله الابن الوحيد. أبوه يشهد لذلك، وهو نفسه يؤكده، والرُسل يُعلنونه، والمؤمنون يؤمنون به، والشياطين يعترفون به، واليهود ينكرونه، والوثنيون عند آلامه يعترفون بذلك. اسم الله مُعطى له بحق المِلكية المطلقة، وليس لكونه مسموحًا له أن يشترك في استخدام اللقب مع الآخرين. كل أعمال وكلمات المسيح تتجاوز قدرة هؤلاء الذين يحملون لقب أبناء؛ الدرس الأول بين كل ذاك، والبارز بالأكثر في حياته، هو أنه ابن الله، وأنه لا يحمل اسم ابن كلقب مشترَك مع رِفقة عريضة من الأصدقاء.

فرق كبير بين بنوتنا لله وبنوة الابن الوحيد لله

٢٣- أنا لن أُضعِف الدليل على هذه الحقيقة بمزج كلماتٍ من ذاتي. دعونا نسمع الآب، حينما أُكملَت معمودية يسوع المسيح، وهو يقول كالعادة عن ابنه الوحيد: هذَا هُوَ ابْني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ[١٠]، لكي ينقذنا من أن نَضِل نحو الفشل في الاعتراف به كابنٍ بسبب جسده المرئي. فهل الحقيقة التي أعلنت هنا باهتة؟ هل التصريح قد تم بأساليب غامضة؟ الوعد بأن تلد العذراء من الروح القدس، والذي قُدِّم بواسطة الملاك، ونجمة إرشاد المجوس، والتبجيل المقدَّم له في مهده، والعظمة المشهود لها من المعمدان عمّن تنازل لأن يُعَمَّد؛ كل هذه اعتُبِرَت شهادة غير كافية عن مجده! الآب نفسه يتكلم من السماء، وكلماته هي: هذَا هُوَ ابْني. ما المقصود من هذا الدليل عن الضمائر، وليس عن الألقاب؟ قد تُلحَق الألقاب بالأسماء أيضًا، وأما الضمائر فهي دليل أكيد على الأشخاص التي تشير إليها. لدينا هنا في 'هذَا' و 'ابْني'، الدلائل الأكثر وضوحًا. لاحظوا المعنى الحقيقي والهدف من الكلام. لقد قرأتم: وَلَدْتُ بَنِينَ وَرَبَّيْتُهُم[١١]؛ لكنها ليست 'أبنائي'، فإنه قد وَلد بنفسه هؤلاء البنون من شعب ميراثه، بفصلهم عن الأمم. ولكيلا نفترض أن اسم 'اِبْنٍ' قد أُعطي كلقب إضافي لله الابن الوحيد، للدلالة على اشتراكه بالتبني في بعض الإرث المشترَك، سنجد أن طبيعته الحقيقية مُعبَّر عنها

---

[١٠] (مت ٣: ١٧)

[١١] (إش ١: ٢)

بالضمير الذي يعطي المعنى اليقيني للملكية. سوف أسمح لكم بترجمة كلمة 'اِبْنٍ'، إن كنتم تنوون، كدلالة على أن المسيح واحد في العدد، إلا إن أمكنكم أن تقدموا مثالاً يُقال فيه عن آخر غير هذا العدد: هذَا هُوَ ابْني. من ناحية أخرى، إن كانت جملة 'هذَا هُوَ ابْني'، تحمل دلالته الخصوصية، فلماذا تتهمون الآب بصُنع ادِّعاءٍ لا أساس له، حينما يؤكد ملكيته؟ حينما يقول: هذَا هُوَ ابْني، ألا يمكننا إعادة صياغة قصده هكذا: «لقد أَعطى لآخرين لقب أولاد، لكنه هو نفسه ابني الذاتي؛ لقد أعطيت الاسم لجمهور بالتبني[#]، لكن هذا الابن هو خاصتي بالذات. لا تبحثون عن آخر، لئلا تفقدوا إيمانكم بأنه هو. بالإيماء وبالصوت، بـ 'هذا' وبـ 'ابني'، أنا أُعلِنه

[#] يعلق ق. أثناسيوس على التبني قائلاً: «إن هؤلاء أبناء ليس بحسب الطبيعة بل بحسب التبني. ثم يقول 'وُلِدوا' لأن هؤلاء قد حصلوا على لقب ابن بالكامل، ولكن الشعب كما يقول النبي تمرد على الذى فعل معه 'الخير'. فهذه هي محبة الله للبشر أنه بالنسبة لأولئك الذين صنعهم قد صار لهم أبًا أيضًا بعد ذلك بحسب النعمة. وقد صار لهم أبًا - كما قال الرسول - عندما حصل الناس المخلوقون على 'روح ابنه فى قلوبهم صارخًا: أبانا أيها الآب'. فهؤلاء هم الذين قبلوا **الكلمة** ونالوا منه سلطانًا أن يصيروا أولاد الله. لأنه لم يكن في إمكانهم - حيث إنهم مخلوقات بالطبيعة - أن يصيروا أبناءً بأية طريقة أخرى إلا بأن يتقبلوا روح الابن الحق بالطبيعة. لذا فلكي يحدث هذا قد 'صار **الكلمة** جسدًا' لكى يجعل الانسان قادرًا على تقبُّل الألوهية، ويمكن أن نتعلم هذه الفكرة أيضًا من ملاخي النبي الذى قال: 'ألم يخلقكم إله واحد؟ أليس لكم أب واحد'. وهنا أيضًا وضع أولاً 'خلق' وثانياً لفظ 'أب' لكى يثبت هو أيضًا أننا كنا منذ البدء مخلوقات بحسب الطبيعة وأن الله هو خالقنا بواسطة **الكلمة** وبعد ذلك جعلنا أبناء، وهكذا صار الله الخالق هو أبونا أيضًا». *المقالة الثانية ضد الأريوسيين*. مرجع سابق، الفصل الحادي والعشرون، فقرة ٥٩.{م}

لكم»؟. والآن ما هو العُذر المعقول الذي يتبقى لنقص الإيمان؟ هذا، وليس أقل من هذا، هو ما أعلنه صوت الآب. لقد أراد ألا نُترَك في جهلٍ بطبيعة مَن جاء ليعتمد، لكي يُكمل كل بر؛ لكي يمكننا أن نعترف بواسطة صوت الله بأن مَن رؤي كإنسان، **لكي يكمل سِر خلاصنا**، هو ابن الله.

شهادة الآب للابن

٢٤- ولأن حياة المؤمنين كانت مُتضمَّنة في الاعتراف بهذا الإيمان - فإنه لا توجد طريق أخرى للحياة الأبدية سوى بالثقة في أن يسوع المسيح، الإله الابن الوحيد، هو ابن الله - فإن الرُسل قد سمعوا مرة أخرى الصوت من السماء يكرر نفس الرسالة، لكي يُقوي هذا الإيمان المعطي للحياة، بالنقيض لما هو مميت. حينما كان يقف الرب - المتسربل بالإشراق - فوق الجبل مع موسى وإيليا، وأعمدة الكنيسة الثلاثة المختارين كشهود لحقيقة الرؤيا والصوت، تكلم الآب هكذا من السماء: هذَا هُوَ ابْني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا[١٢]. لم يكن المجد الذي رأوه برهانًا كافيًا على عظمته، فأُعلن لهم الصوت القائل: هذَا هُوَ ابْني. لم يستطع الرُسل أن يواجهوا مجد الله، إذ أن الأعين المائتة تُصبح معتمةً في حضوره. ثقة بطرس ويعقوب ويوحنا قد خانتهم، وقد انبطحوا في خوفٍ. لكن هذا الإعلان المهيب، الذي قيل بمعرفة الآب، قد جاء لأجل نجدتهم؛ لقد أُظهر أنه الابن الذاتي الحقيقي لأبيه. وما يفوق ويعلو على شهادة كلٍ من 'هذا' و 'ابني' على بنوته

[١٢] (مت ١٧: ٥)

الحقيقية، قَوله لتلك الكلمات: لَهُ اسْمَعُوا. هذه هي شهادة الآب من السماء، للتصديق على الشهادة التي حملها الابن على الأرض؛ فإننا قد أُمرنا بأن نسمع له. رغم أن هذا الاعتراف الذي من الآب بالابن يزيل كل الشكوك، إلا أننا مأمورون أيضًا أن نَقبل إعلان الابن عن ذاته. حينما يأمرنا صوت الآب أن نُظهِر طاعتنا بسماعِه، فنحن مأمورون بأن نضع ثقتنا المُطلقة في كلمات الابن. هكذا، بما أن الآب قد أَعلن لنا في هذه الرسالة عن إرادته بأن نسمع للابن، فدعونا نسمع ما قد أخبرنا به الابن عن نفسه.

التعبيرات الخاصة بخضوع الابن تخص تجسده

٢٥- لا يمكنني تصور وجود إنسان خالٍ هكذا من المنطق المعتاد، حتى إنه لا يدرِك أن اعترافات الابن بالخضوع الذي به قد أُخضِع، في كل واحد من الأناجيل، كان بسبب تجسده. على سبيل المثال، في كلماته التي كررها مِرارًا: أَيُّهَا الآبُ، مَجِّدْنِي[١٣]؛ و: تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ[١٤]؛ الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي[١٥]؛ وبأكثر قوة: اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ (لِلْغَايَةِ)[١٦]؛ وحتى هذه: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ وهناك آيات أخرى كثيرة سوف أتكلم عنها في الوقت المناسب. لا يمكنني تصوُّر أنه يستمر في مواجهة تلك التعبيرات الثابتة

---

[١٣] (يو ١٧: ٥)، قارن أيضًا (يو ١٣: ٣٢؛ ١٦: ١٤؛ ١٧: ١)

[١٤] (مت ٢٦: ٤٦)

[١٥] (يو ١٤: ٢٨)

[١٦] (يو ١٢: ٢٧)، وتعبير 'للغاية' لم يُذكَر في نَص الإنجيل اليوناني أو القبطي أو الفولجاتا.{م}

بخصوص خضوعه، متهمًا إياه بالوقاحة بسبب أنه دعا الله أباه، مثلما حينما يقول: كُلُّ غَرْسٍ لَمْ يَغْرِسْهُ أَبِي السَّمَاوِيُّ يُقْلَعُ[١٧]، أو: لَقَدْ جَعَلْتُمْ بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ[١٨]. لا يمكنني تصور وجود أحدٍ بهذا الغباء، حتى إنه يعتبر تأكيده، الذي تم بشكلٍ متجانسٍ، عن كون الله هو أبوه، ليس حقيقةً بسيطةً مقرَّرةً بصدق ناتج عن معرفة أكيدة، بل ادعاءً وقحًا وبلا أساس. لا يمكننا أن نشجب هذا الخضوع المثبَت بشكلٍ متجانس كمطالبة متغطرسة بحقوق شخص آخر، (ونعتبره) وَضع يد على ما ليس له، واستيلاءً على قدرات لا يمكن أن يسيطر عليها سوى الله. ولا يمكننا أن نتهمه بما يمكن أن يشبه الوقاحة في قوله عن الله إنه أبوه، حينما دعا نفسه بالابن، كما في: لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ[١٩]؛ وفي: أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ؟[٢٠]

لو كنا نسمح فقط ليسوع المسيح بلقب ابن بالتبني، فما الذي نفعله، لأننا نتهمه كذلك بتقديم ادِّعاء لا أساس له حينما يدعو الله أباه؟ إن صوت الآب من السماء يقول: 'لَهُ اسْمَعُوا'. أنا أسمعه يقول: أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ[٢١]؛

---

[١٧] (مت ١٥: ١٣)

[١٨] (يو ٢: ١٦)

[١٩] (يو ٣: ١٧)

[٢٠] (يو ٩: ٣٥)

[٢١] (يو ١١: ٤١)

و: أَتَقُولُونَ لِي: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ إِنِّي ابْنُ اللهِ؟" إن لم يمكنني أن أؤمن بتلك الأسماء، وأفترض أنها تعني ما تؤكده، فكيف يمكنني أن أثق وأفهم؟ لا يوجد تلميح مُعطَى عن المعنى البديل. الآب يشهد من السماء: هذَا هُوَ ابْنِي؛ الابن من جهته يتكلم عن 'بَيْتَ أَبِي'، و 'أَبِي'. إن الاعتراف بهذا الاسم يمنح الخلاص، حينما يُطلَب الإيمان في السؤال: أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ؟ إن ضمير الملكية (في قوله 'أَبِي') يشير إلى أن الاسم الذي يتبع يخُص المتكلم. والآن أنا أسأل، بأي حق، أيها الهراطقة، تفترضون الأمر بطريقة أخرى؟ أنتم تناقضون كلمة الآب، وتأكيد الابن؛ أنتم تُفرغون اللغة من معناها، وتحرِّفون كلمات الله إلى معنى لا يمكن أن تحمله. سوف تنالون وحدكم جزاء تلك الهرطقة المُخزية، بادعائكم أن الله قد كذِب فيما يخص نفسه.

القدرات الإلهية التي نسبها الابن لنفسه تشهد له

٢٦- وهكذا، بالرغم من أنه لا يوجد شيء يمكن أن يجعلهم مُدرَكين بالعقل، سوى الإيمان الصادق بأن تلك الأسماء لها مغزى حقيقي - فإننا حينما نقرأ 'هذَا هُوَ ابْنِي' و 'أَبِي'، نجد أن الكلمات تشير في الحقيقة إلى أنها قد قيلت من شخص لشخص - ومع ذلك، لئلا يُفتَرَض أن الابن والآب هما لقبان، الواحد بالتبني فحَسْب، والآخر له وقاره فحسب، دعونا نرى ما هي الصفات التي ألحقها الابن نفسه، باسمه كابن. هو يقول: كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ

" (يو ١٠: ٣٦)

وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ[٣]. هل الكلمات التي نتكلم عنها، 'هذَا هُوَ ابْني'، و 'أَبِي'، منسجمة مع: لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ، أم لا؟ فإن معرفة الابن من خلال الآب، ومعرفة الآب من خلال الابن، ممكنتان فقط بشهادتهما المتبادلة. إننا نسمع الاسم من السماء، ونسمع أيضًا كلمات الابن. ليس لدينا عُذر في عدم معرفة الابن، ولا في عدم معرفة الآب. كل الأشياء مدفوعة إليه، وبقوله 'كل' لا يوجد استثناء. إن كانت لهم نفس القدرة متساوية، وقد اشتركوا في المعرفة المتبادلة المخفية عنا، وإن كانت تلك الأسماء التي للآب والابن تُعبِّر عن العلاقة بينهما، فأنا أسأل إذًا، أليسا هما حقيقيين مثلما أن اسميهما حقيقيان، ولهما نفس القدرة الكلية، ومحجوبين في نفس السر غير المخترَق؟ لا يمكن أن يخدعنا الله بكلامه، فإن أبوة الآب وبنوة الابن حقيقتان بسيطتان. فتعلَّموا الآن كيف تحمل الوقائع الحقائق التي تُظهرها تلك الأسماء.

أعمال الابن تَشهد له

٢٧- الابن يتكلم هكذا: لأَنَّ الأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ لأُكَمِّلَهَا، هذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي، وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي[٤]. الله الابن الوحيد يُثبِت بنوته بجاذبية ليست فقط للاسم، بل للقوة؛ العمل الذي يعمله هو دليل على أنه أُرسِل بواسطة

---

[٣] (مت ١١: ٢٧)

[٤] (يو ٥: ٣٦، ٣٧)

الآب. إنني أتساءل، ما هي الحقيقة التي تُثبتها تلك الأعمال؟ (الحقيقة هي) أنه قد أُرسِل. فإن كونه قد أُرسِل يُستخدم كإثبات لطاعته طاعة ابنٍ، ولسُلطان أبيه: فإن الأعمال التي يعملها لم يمكنها بأية حالٍ أن تتم بأي أحدٍ آخر سوى مَن أُرسل بواسطة الآب. ومع ذلك فإن الدليل على أعماله قد فشل في أن يُقنِع غير المؤمنين بأن الآب قد أرسله. فإنه يُكمِل: وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ[٢٥]. ما هي تلك الشهادة التي كانت بخصوصه؟ قلِّبوا صفحات الأناجيل واستعرضوا محتوياتها. اقرأوا لنا برهانًا آخر من البراهين التي قدمها الآب إلى جوار تلك التي قد قرأناها بالفعل: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ، و: أَنْتَ هوَ اِبْنِي. إن يوحنا الذي سمع تلك الكلمات لم يحتاج إليها، لأنه علِم الحقيقة بالفعل. لقد تكلم الآب لأجل تعليمنا. لكن هذا ليس الكل، فإن يوحنا قد شُرِّف في البرية بهذا الوحي، والرسل لم يُحرَموا من نفس التأكُّد. لقد جاءهم بنفس الكمات ذاتها، لكن بإضافة لم ينلها يوحنا، فقد كان نبيًا من البطن، ولم يكن يحتاج لوصية 'لَهُ اسْمَعُوا'. نعم؛ أنا سوف أسمعه، ولن أسمع لأحد سواه هو ورُسله، الذين سمعوا لأجل تعليمي. وحتى لو لم تحتوي الكتب على أية شهادة إضافية يحملها الآب عن الابن سوى أنه ابنه، فأنا لدي الدليل يؤكد تلك الحقيقة، ألا وهو أعمال أبيه التي يعملها. ما هو هذا الافتراء الجديد بأن اسمه هو نعمة بالتبني، وألوهيته أكذوبة، وألقابه

---

[٢٥] (يو ٥: ٣٧)

ادعاءات؟ لدينا شهادة الآب لبنوته، وشهادة الابن لمساواته الذاتية مع الآب بأعمالٍ مماثلة لأعماله. لماذا هذا العَمى عن امتلاكه الواضح للبنوة الحقيقية التي يؤكدها ويُظهِرها. إن حمل المسيح لاسم 'ابن' ليس تفضلاً وتنازلاً من الله الآب، إذ لم يربح اللقب بالقداسة، مثلما ربحه الكثيرون باحتمال الصعوبات في اعترافهم بالإيمان*، لأن تلك البنوة ليست حقًا مُكتَسَبًا، بل يمنحها الله بتفضُّلٍ يليق بذاته. لكن ذاك المُشار إليه بـ 'هَذَا'، و 'اِبْنِي'، و 'لَهُ اسْمَعُوا'، مختلف في نوع بنوته عن الآخرين. إنها البنوة الصحيحة والحقيقية والأصيلة.

لأنه خرج من عند الآب فهو يعرف الآب، وأما المخلوقات فلا تعرفه

٢٨- بالتأكيد لم ينسب الابن لنفسه لقبًا أقل مما أعطاه له أبوه. إن كلمات الآب: هذَا هُوَ ابْني، تُظهر طبيعته؛ وتلك التي تتبع: لَهُ اسْمَعُوا، هي دعوة لنا كي نسمع للسر والإيمان الذي جاء ليحضره لنا من السماء؛ كي نتعلم أن اعترافنا يجب أن يكون طبقًا لتعليمه، لو أردنا أن نخلُص. وبطريقة مماثلة يُعلِّمنا الابن نفسه، بكلماته الشخصية، أنه وُلِد بالحقيقة وأتى بالحقيقة:- لَسْتُم تَعْرِفُونَنِي وَلَا تَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا، وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ، بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ، الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. أَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ لأَنِّي مِنْهُ،

* يقصد الشهداء والمعترفين.{م}

وَهُوَ أَرْسَلَنِي*. إن الابن يؤكد لنا دائمًا أنه لا أحد يعرف الآب، والسبب في قوله إنه لا أحد يعرفه غيره، هو أنه من الآب. والآن، هل كونه منه هو نتيجة لفِعل خَلقٍ، أم لميلاد أصيل؟ لو كان فِعل خَلقٍ، فستصبح إذًا كل المخلوقات من الله. لكن كيف إذًا لا يعرف أحدٌ منهم الآب، حينما يقول الابن إن السبب في أن لديه هذه المعرفة هي أنه منه؟ لو كان مخلوقًا، وليس مولودًا، فسوف نلاحظ فيه شَبَهًا مع كائنات أخرى من الله. بما أن الكل، تبعًا لهذا الافتراض، من الله، فلماذا هو ليس جاهلاً بالآب مثل الباقين؟ لكن لو أن هذه المعرفة بالآب خاصة بذاك الذي هو من الآب، ألا يجب أن يكون هذا الحدث أيضًا = أنه من الآب - خاصًا به؟ أي، ألا يجب أن يكون هو الابن الحقيقي المولود من طبيعة الله؟ فإن السبب في أنه وحده يعرف الله هو أنه وحده من الآب. أنتم تلاحظون إذًا وجود معرفة، خاصة بنفسه، تَنتج من ميلادٍ خاصٍ به أيضًا. أنتم تعترفون بأنه من الآب، ليس بفعل قدرة إبداعية، بل من خلال ميلاد حقيقي؛ وأن هذا هو السبب في أنه هو وحده يعرف الآب، الذي هو غير معروف لكل الكائنات الأخرى التي منه.

---

* (يو ٧: ٢٨، ٢٩) والحقيقة أني بحثت في كل الترجمات القديمة المتاحة، بما فيها الفولجاتا اللاتينية التي استخدمها في معظم اقتباساته النصية، ولم أجد ما يدل على أن السيد المسيح قد استخدم صيغة النفي. والأرجح أنه قد يكون أخطأ في سرده لمحتوى الآية، وخلط بينها وبين ما جاء في (يو ٨: ١٩)، "لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلاَ أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا". أو قد يكون قد اقتبسها من ترجمة لاتينية أخرى كانت مستخدَمة في بلاد الغال، لكنني شخصيًا أرجِّح السبب الأول.{م}

٢٩- لكنه يُضيف للتو: لأَنِّي مِنْهُ، وَهُوَ أَرْسَلَنِي، ليمنع الهرطقة من الافتراض المشوِّه بأن موعد خروجه من الآب هو موعد مجيئه. إن إظهار الإنجيل للسر يتقدم بتسلسلٍ مَنطقي، فهو أولاً مولود، ثم مُرسَل. وبالمثل أيضًا في التوضيح السابق قد أُخبِرنا عن جهلنا، أولاً بمَن هو، ثم بمن أين أتى. فإن جملتي 'لأَنِّي مِنْهُ' و 'هُوَ أَرْسَلَنِي' تحتويان على تصريحين منفصلين، مثلما أيضًا قوله: لَسْتُمُ تَعْرِفُونَنِي وَلَا تَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا.

كل إنسان مولود في الجسد، لكن، ألسنا نشعر كلنا عامةً أن الله هو مصدر وجودنا؟ كيف إذًا يمكن أن يؤكد المسيح أنه هو ومصدر وجوده غير معروفين؟ فقط يمكنه أن يفعل هكذا بتحديد نَسَبه المباشر للمبدع المطلق للوجود؛ وحينما فعل هذا، أمكنه أن يُظهِر جهلهم بالله بجهلهم بحقيقة أنه ابن الله. دعوا ضحايا هذا التضليل البائس يشينون الكلمات: لَسْتُمُ تَعْرِفُونَنِي وَلَا تَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا. إنهم يجادلون بأن كل الأشياء هي من العدم، ولا يجيزون أي استثناء. إنهم حتى يتجرءون على الإساءة بتقديم الله الابن الوحيد كمولود من العدم. كيف يمكننا أن نشرح جهل المجدفين بالمسيح، وبمصدر وجوده؟ إن الحقيقة المُطلقة في أنهم، كما يقول الكتاب، لا يعرفون من أين أتى، هي إشارة إلى هذا المصدر غير المعروف الذي وُلِد منه. إن كان يمكننا أن نقول عن شيءٍ ما إنه يأتي للوجود من العدم، فنحن إذًا غير جاهلين بمصدر وجوده، إذ أننا نَعلم أنه خُلِق من العدم، وأن تلك معرفة لا لَبس فيها.

لكن هذا الذي جاء له مصدر، فإن مَن أرسله هو حق، وهو الذي لا يعرفه المجدفون. الذي كان هو الذي أرسله؛ وهم لا يعرفون أنه كان المرسِل. بهذا فإن المُرسَل هو من المرسِل، أي مِمَن لم يعرفوا أنه مصدره. إن السبب في أنهم لا يعرفون مَن هو المسيح، هو أنهم لا يعرفون مِمَن هو. لا يمكن لمَن يُنكِر أنه وُلِد أن يعترف بالابن؛ لا يمكن لمن كوَّن رأيه بأنه من العدم أن يفهم أنه وُلِد. وبالتأكيد فإنه بعيدٌ عن أن يكون مخلوقًا من العدم، حتى إن الهراطقة لا يمكنهم أن يقولوا مِن أين هو.

الفرق بين 'خرجت من عند الآب' و 'أتيت'

٣٠- إن مَن يَفصلون الاسم الإلهي عن الطبيعة الإلهية هم جهلة بمعنى الكلمة؛ وليسوا فقط جهلة، بل وراضون بأن يكونوا جهلة. لكن دعهم يُنصتون إلى التوبيخ الذي يوجهه الابن لغير المؤمنين بسبب افتقارهم لهذه المعرفة، حينما قال اليهود إن الله أبوهم: لَوْ كَانَ اللهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَتَيْتُ. لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي[٢٦]. لا توجد هنا مَلامة يوجهها ابن الله للإيمان المُخلِص لهؤلاء الذين يعترفون بأنه إله حقيقي، وابن الله، إلى جانب ادعاءهم الشخصي بأنهم أبناء الله. ما يلوم عليه هو غطرسة اليهود في جرأتهم على ادعاء أن الله هو أبوهم، بينما هم في نفس الوقت لا يحبون الابن: لَوْ كَانَ اللهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ. كل مَن لهم الله أبًا بالإيمان، لهم هذا من خلال نفس

[٢٦] (يو ٨: ٤٢)

الإيمان الذي فيه نعترف بأن يسوع المسيح هو ابن الله. لكن ما هو الإيمان في أن تعترف بأنه الابن بالمعنى الذي يشمل كل شركة القديسين؛ أي بأن تقول، كحقيقة، إنه واحد من أبناء الله؟ أليست البقية كلها، الكائنات المخلوقة الضعيفة - رغم كونها هكذا - أبناءً بهذا المعنى؟ ما الذي يتضمنه سمو الإيمان، الذي اِعترف بأن يسوع المسيح هو ابن الله، إن كان، كواحد من جمهور الأبناء، له اسم ابن فقط، وليس بالطبيعة؟ هذا الكُفر ليس فيه حبٌّ للمسيح. إن هؤلاء الذين يحرفون الحق بادعاء أن الله أبوهم يسخرون من الإيمان. إن كان هو أباهم، لكانوا قد أحبوا المسيح لأنه قد خرج من عند الآب. والآن يجب عليَّ أن أسأل عن معنى هذا الخروج من الله. إن خروجه مختلفٌ بشكلٍ واضحٍ عن مجيئه، لأن كليهما قد ذُكر جنبًا إلى جنب في هذه الفقرة: خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَتَيْتُ. ولكي يشرح المعنى المنفصل لـ: خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ، و: أَتَيْتُ، فإنه يضيف مباشرةً: لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي. هو يخبرنا بأنه ليس هو مصدر وجوده الذاتي في تلك الكلمات: لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي. هو يخبرنا فيها بأنه قد جاء ثانيةً من عند الله[٢٧]، وقد أُرسِل بواسطته. لكن حينما يخبرنا بأن مَن يدعون الله أباهم يجب أن يحبوه لأنه قد خرج من عند الآب، فإنه يجعل ميلاده سبب حبهم. 'الخروج' يرجع بذاكرتنا إلى الميلاد غير الجسدي، لأننا يجب أن نحصل على الحق في الادعاء بإخلاص أن الله أبونا، بمحبة المسيح الذي وُلِد منه. وحينما يقول الابن:

---

[٢٧] أي في التجسد.

اَلَّذِي يُبْغِضُنِي يُبْغِضُ أَبِي أَيْضًا[٢٨]، فإن 'أَبِي' هي تأكيد لوجود علاقة بالآب لا يشترك فيها أحدٌ. من ناحية أخرى، فإنه يدين الإنسان الذي يدَّعي أن الله أبوه، ولا يُحب الابن، لأجل استخدامه تحريف خاطئ لحقيقة اسم الآب؛ بما أن مَن يبغض الابن لا بُد أنه يبغض الآب أيضًا، ولا يمكن أن يُكرَّس أحدٌ للآب سوى هؤلاء الذين يحبون الابن. إن السبب الواحد والوحيد الذي يقدمه لأجل محبة الابن هو أنه من الآب. لذا فإن الابن هو من الآب، ليس بمجيئه، بل بولادته[٢٩]؛ ومحبة الآب ممكنةٌ فقط لمَن يؤمنون بأن الابن هو منه.

٣١- إن كلمات الرب تشهد لهذا: لَسْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا أَسْأَلُ الآبَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لأَنَّ الآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ، لأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي، وَآمَنْتُمْ أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجْتُ. وَقَدْ أَتَيْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ إِلَى الْعَالَمِ[٣٠]. الإيمان الكامل فيما يتعلق بالابن، والذي يَقبَل ويُحب حقيقة أنه خرج من عند الآب، يمكنه الوصول إلى الآب بدون وسيط. الاعتراف بأن الابن قد وُلِد وأُرسِل من عند الآب يُكافأ بمحبة الآب وبأنه سوف يسمعه مباشرة. بالتالي فإن رواية مولده ومجيئه لا بُد أن تؤخَذ بالمعنى الأكثر دقةً وحرفيةً. إن قوله: مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجْتُ، يخبرنا بأن طبيعته هي بالضبط ما قد أُعطيَت له بميلاده؛ فأي كيان سوى الله (الابن) يمكنه أن يخرج من الله (الآب)، أي يمكنه أن

---

[٢٨] (يو ١٥: ٢٣)

[٢٩] الولادة *Nativitas* المذكورة هنا تعني كالمعتاد عند ق. هيلاري الولادة الأزلية.

[٣٠] (يو ١٦: ٢٨)

يوجد بالولادة منه؟ ثم يُكمِل، وَقَدْ أَتَيْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ إِلَى الْعَالَمِ. ولكي يجعلنا متأكدين من أن خروجه من عند الآب يعني الولادة من الآب، فإنه يُخبرنا بأنه أتى من عند الآب إلى هذا العالم. التصريح الأخير يشير إلى تجسده، والسابق يشير إلى طبيعته. وأيضًا، تسجيله لحقيقة خروجه من عند الله أولاً، ثم مجيئه من الآب، يمنعنا من مطابقة الخروج مع المجيء. المجيء من عند الآب، والخروج من الله، ليسا مترادفين؛ يمكن أن تُعاد صياغتهما كـ 'ولادة' و 'حضور'، وهما مختلفان في المعنى كهاتين. أن يكون قد خرج من الله بالولادة الجوهرية شيءٌ، وأن يكون قد أتى من عند الآب إلى هذا العالم لكي يُكمل أسرار خلاصنا هو شيءٌ آخر.

شهادة الرسل للابن

٣٢- يبدو لي أن هذا هو المكان الأكثر ملائمةً، كما قد رتبته في عقلي، لكي أقدم ثالث[٣١] دليل في نظام دفاعنا، ألا وهو إثبات أن الرُسل قد آمنوا بأن ربنا يسوع المسيح هو ابن الله، ليس فقط بالاسم بل بالطبيعة، وليس بالتبني بل بالولادة. صحيح أن هناك العديد من كلمات الله الابن الوحيد المهمة بخصوص نفسه لم تُذكر، والتي أُعلِنَت فيها حقيقة الميلاد الإلهي بشكلٍ واضحٍ جدًا، لكي تُسكِت أي همسٍ من الاعتراض، إلا أنني سوف أُرجئ بقية أقواله إلى مراحل متأخرة من بحثنا، لأنه ليس من الحكمة إرهاق

[٣١] أولاً، شهادة الآب التي قُدِّمت في الفقرات من ٢٣- ٢٧؛ ثانيًا، شهادة الابن من ٢٨- ٣١؛ ثالثًا، شهادة الرسل من ٣٢- ٤٦.

عقل القارئ بتراكم الأدلة، والإثباتات الوافرة التي قد قُدِّمَت بالفعل عن صِدق ولادته. فإننا قد رتبنا طريقة جدالنا هكذا، لكي بعد سماع شهادة الآب وإعلان الابن عن نفسه، نهتدي للحق من خلال إيمان الرسل، كي نعترف بابن الله المولود الحقيقي كما ينبغي. لا بُد أن نرى إن كان يمكنهم أن يجدوا في كلمات الرب: مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجْتُ، أي معنىً آخر غير أن ميلاده هو ميلاد للطبيعة الإلهية.

٣٣- بعد الكثير من الكلام الخفي الذي قيل في حكايات رمزية بواسطة مَن عرفوا بالفعل أنه المسيح الذي سبق وتنبأ عنه موسى والأنبياء، والذي اعترف به ناثنائيل كابن الله وملك إسرائيل، والذي وَبَّخ هو نفسه فيلبس بسبب سؤاله عن الآب، لكونه لم يَفهَم أن الآب فيه وهو في الآب، رغم الأعمال التي عملها. إذ أنهم بعد أن علَّمهم كثيرًا بالفعل أنه قد أُرسِل من الآب، استمروا غير معترفين به حتى سمعوه يؤكد أنه قد خرج من الله، في الكلمات التي تبعت مباشرةً في الإنجيل: قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ، هُوَذَا الآنَ تَتَكَلَّمُ عَلاَنِيَةً وَلَسْتَ تَقُولُ أَيَّ مَثَلٍ. لِذَا نَحْنُ الآنَ مُتَأَكِّدُونَ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ. بِهذَا نُؤْمِنُ أَنَّكَ مِنَ اللهِ خَرَجْتَ[٣٢]. ما هو المدهش هكذا في هذا الشكل من الكلمات: مِنَ اللهِ خَرَجْتَ، الذي قد استخدمه؟ هل رأيتم أيها الرجال القديسون والمبارَكون، الذين لأجل مكافأة إيمانكم قد قبلتم مفاتيح ملكوت السموات وسلطان الحل والربط في

[٣٢] (يو ١٦: ٢٩، ٣٠)

السماء والأرض، أعمالاً عظيمةً هكذا، وإلهيةً بالحقيقة هكذا، قد صُنعَت بواسطة ربنا يسوع المسيح ابن الله؛ وهل أنتم ما زلتم تُقرِّون بأنكم لم تبلغوا معرفة الحقيقة حتى أُخبركم أولاً أنه قد خرج من الله؟ ومع ذلك فأنتم قد رأيتم في العُرس ماءً قد تحول إلى خمر العُرس؛ طبيعة تتحول إلى طبيعة أخرى، سواء كان بالتغيير، أو بالتطور، أو بالخَلق. أياديكم قد كَسرت الخمسة أرغفة في وجبة قُدِّمت لهذا الجمع العظيم، وحينما شبع الجميع وجدتم أن السلال الاثنتي عشر كانت ضروريةً لاحتواء كِسَر الخبز؛ إذ أن كمية قليلة من شيء، في عملية تخفيف الجوع، قد تكاثرت إلى كمية كبيرة من شيء من نفس الطبيعة. لقد رأيتم الأيادي اليابسة تستعيد ليونتها، وألسن الرجال البكماء تَنفَك إلى كلام، وأقدام العُرج تصبح سريعةً في الجري، وأعين العميان توهَب الرؤية، والحياة تُعاد للموتى. لعازر، الذي قد أنتن بالفعل، قد قام على قدميه بكلمةٍ. لقد تم استدعاءه من القبر فخرج فورًا، بدون أي فاصلٍ بين الكلمة وتحقيقها. لقد كان واقفًا أمامكم، رجلٌ حيٌ، بينما لا يزال الهواء يحمل رائحة الموت إلى فتحات أنوفكم. لن أتكلم أكثر من ذلك عن ممارسات أُخرى لقوَّته، وقدراته الإلهية. فهل فهمتم مَن هو هذا الذي أُرسِل من السماء، بالرغم من كل هذا، فقط لأنكم سمعتموه يقول، مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجْتُ؟ هل كانت هذه هي أول مرة قيلت لكم الحقيقة فيها بدون أمثال؟ أكانت أول مرة أظهَرَت لكم فيها قُدرات طبيعته أنه قد خرج من الله؟ أينم قوله هذا عن جهله بمعرفته الكونية، رغم فحصه الصامت لرغباتكم الإرادية، وعدم حاجته لأن يسألكم عن

أي شيء؟ إن كل هذه الأمور، التي عُملَت بقوة وطبيعة الله، هي دليل على أنه لا بُد أن يكون قد خرَج من عند الله.

إدراك الرسل لمعنى 'خرجت من عند الآب'

٣٤- لم يفهم الرُسل الأطهار قوله إنه قد خَرَج من الله، بمعنى أنه قد أُرسِل. فإنهم قد سمعوه دائمًا يعترف، في محادثاته المبكرة، بأنه قد أُرسِل؛ لكن ما يسمعونه الآن هو التصريح الواضح بأنه قد خرج من عند الله. هذا يفتح أعينهم لكي يفهموا من خلال أعماله طبيعته الإلهية. حقيقة أنه قد خرج من عند الآب قد جعلت لاهوته الحقيقي واضحًا لهم، ولذا فهم يقولون: اَلآنَ نَحْنُ مُتَأَكِّدُونَ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ. بِهذَا نُؤْمِنُ أَنَّكَ مِنَ اللهِ خَرَجْتَ. إن السبب وراء إيمانهم بأنه قد خرج من عند الله هو أنه يمكنه، وقد حدث، أن يقوم بأعمال الله. ثقتهم الكاملة في طبيعته الإلهية هي نتيجة لمعرفتهم، لا لأنه يأتي من عند الله، بل لأنه قد خرج من عند الله. بالتالي نحن نجد أن هذه الحقيقة، التي سُمِعَت الآن لأول مرة، هي التي تُثبِّت إيمانهم. الرب قد قدَّم تصريحين؛ 'مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجْتُ' و 'قَدْ أَتَيْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ إِلَى الْعَالَمِ'. لقد سمعوا واحدًا منها كثيرًا، (ألا وهو): قَدْ أَتَيْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ إِلَى الْعَالَمِ، وهذا لم يدهشهم بأي شكل. لكن ردهم قد أعلن أنهم الآن يؤمنون ويفهمون الآخر، الذي هو: مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجْتُ. إن إجابتهم: بِهذَا نُؤْمِنُ أَنَّكَ مِنَ اللهِ خَرَجْتَ، هي استجابة له*، وله

* أي للتصريح.{م}

فقط؛ إنهم لا يقولون 'وأنك آتٍ من الآب إلى العالم'. إن التصريح الأول مقبول كتوضيح للإيمان، أما الآخر فقد أُهمِل في صمتٍ#. لقد انتُزع منهم الاعتراف نتيجةً لتقديمه المفاجئ للحقيقة الجديدة، التي أَقنعت عقلهم وأجبرتهم على المجاهرة بيقينهم. لقد عَلِموا بالفعل أنه لكونه إله، يمكنه أن يفعل أي شيء؛ لكن مولده، الذي علل تلك القدرة الكلية، لم يُعلَن عنه. لقد علموا أنه قد أُرسِل من عند الله، لكنهم لم يعلموا أنه قد خرج من عند الله. والآن هم يعترفون بأنه قد تكلم معهم بدون مثَلٍ، مدركين بهذا الكلام ميلاده الكامل فائق الوصف.

خروجه من الآب ليس معناه ولادة جوهر جديد

٣٥- فإن الله (الابن) لم يولد من الله (الآب) عن طريق الوسيلة المعتادة لولادة إنسان؛ هذه ليست حالة كيانٍ يصدر عن آخر بجهد القوى الطبيعية. تلك الولادة نقية وكاملة وبلا عيب؛ في الواقع، ينبغي أن ندعوه بالحري خروجًا أكثر من كونه ميلادًا. لأنه واحدٌ من واحدٍ، ليس بالانقسام، أو الانسحاب، أو التقليل، أو التدفق، أو الامتداد، أو التغيير، بل ولادة طبيعة حية من طبيعة حية. إنه إله يخرج من إله، ليس مخلوقًا اُختير لكي يحمل اسم الله. وجوده لم يتَّخذ بدايته من العدم، بل خرج من الأزلي؛ وهذا الخروج قد سُمي ولادة بشكل صحيح، رغم أنه سيكون من الخطأ أن يُدعى بداية. فإن

أي أن اهتمامهم كان بتصريحه عن خروجه الأزلي من الآب، لأن تصريحه الآخر عن إرسال الآب له كان معروفًا بالنسبة لهم.{م}

خروج الإله من الإله هو أمر مختلف بالكامل عن مجيء جوهر جديد إلى الوجود. وبالرغم من أن إدراكنا لتلك الحقيقة، التي تفوق الوصف، لا يمكن أن تحدِّده الكلمات، إلا أن تعليم الابن، كما أعلن لنا أنه خرج من عند الله، ينقل لنا يقين الإيمان المؤكَّد.

الصخرة التي بُنيَت عليها الكنيسة هي الاعتراف بأن المسيح ابن الله

٣٦- الإيمان بأن ابن الله هو ابن بالاسم فقط، وليس بالطبيعة، ليس هو إيمان الأناجيل والرسل. لو أن هذا هو مجرد لقب، والتبني هو دعواه الوحيدة، ولو لم يكن هو الابن بفضل خروجه من الله، فدعوني أسأل، من أين جاء اعتراف المبارك سمعان ابن يونا: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ[٣٣]؟ هل بسبب أنه اشترك مع كل البشرية في القُدرة على أن يكون مولودًا كواحدٍ من أبناء الله من خلال سِر التجديد؟ لو أن المسيح هو ابن الله فقط بتلك الطريقة الشرفية، فما هو الإعلان الذي أُعلِن لبطرس، ليس من لحم ودم، بل من الآب الذي في السماء؟ أي تطويبٍ يمكن أن يستحقه لإعلانٍ قابلٍ للتطبيق بشكل عام؟ ما هو الفخر اللائق به لأجل التصريح بحقيقة معروفة عامةً؟ لو أنه ابن بالتبني، ففي أي شيء يكمُن تطويب اعتراف بطرس، الذي قدَّم إجلالاً للابن، الذي لم يكن له في هذه الحالة أي لقب أفضل من أي عضو في جماعة القديسين؟ إن إيمان الرسول يخترق إلى منطقة قريبة من الفكر البشري. لقد سمع كثيرًا بلا شك: مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي،

---

[٣٣] (مت ١٦: ١٦)

وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي[٣٤]. مِن ثَم فهو يَعلم جيدًا أن المسيح قد أُرسِل؛ لقد سمع مَن علِم جيدًا أنه قد أُرسل، يُعلِن قائلاً: كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ[٣٥]. ما هي إذًا تلك الحقيقة، التي يُعلنها الآب لبطرس، والتي لاقت الثناء كاعتراف مبارَك؟ لا يمكن أن يكون اسما الآب والابن غريبين عنه؛ لقد سمعهما كثيرًا. ومع ذلك فإنه يتكلم كلمات لم يستنبطها لسان إنسان أبدًا من قبل: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ. فبالرغم من أن المسيح، أثناء سكناه في الجسد، قد اعترف بأنه هو نفسه ابن الله، إلا أن إيمان الرسول الآن قد أدرك لأول مرة وجود الطبيعة الإلهية فيه. لقد مُدح بطرس (الرسول) ليس فقط لأجل إجلاله التعبدي، بل لأجل إدراكه للحقيقة الغامضة؛ لأجل اعترافه ليس بالمسيح فقط، بل بالمسيح ابن الله. كان يكفي فقط أن يقول بشكل واضح لأجل إظهار التوقير: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ، وليس أكثر. لكنه سوف يكون اعترافًا أجوَفًا، لو أن بطرس قد ناداه فقط كمسيح، بدون الاعتراف به كابن الله. وهكذا فإن كلماته: أَنْتَ هُوَ[٣٦]، تعلن أن ما هو مؤكَّد عنه هو حقيقة تامة وصحيحة بخصوص طبيعته. ثم أن قول الآب: هذَا هُوَ ابْنِي، قد أوحى لبطرس (الرسول) بأنه لا بُد أن يعترف

---

[٣٤] (مت ١٠: ٤٠)

[٣٥] (مت ١١: ٢٧)

[٣٦] لقد اعتبرها ق. هيلاري تلميحًا لعبارة 'أنا هو' التي قالها الرب لموسى حينما سأله موسى عن اسمه في (خر ٣: ١٤).

(قائلاً): أَنْتَ هُوَ ابْنُ اللهِ، لأن في عبارة 'هذَا هُوَ'، الإله المُعلِن يشير إليه (إلى الابن)، والرد: أَنْتَ هُوَ، هو ترحيب المؤمن بالحقيقة. **هذه هي صخرة الاعتراف التي بُنيت عليها الكنيسة***. لكن القدرات المميِّزة للحم والدم لا يمكنها أن تبلغ إلى إدراك الحقيقة والاعتراف بها. إنه سرٌ مُعلَنٌ إلهيًا، أننا لا ينبغي أن نسمي المسيح ابن الله، بل أن نؤمن بهذا. أكان هذا فقط الاسم الإلهي؛ ألم تكن بالحري الطبيعة الإلهية هي التي أُعلِنت لبطرس؟ إن كان هو الاسم، فإنه قد سمعه كثيرًا من الرب، مُعلنًا عن نفسه أنه ابن الله. إذًا فأي تكريم يستحقه في إعلانه عن الاسم؟ كلا، لم يكن الاسم بل الطبيعة، لأن الاسم قد أُعلِن عنه بشكلٍ متكررٍ.

٣٧- هذا الإيمان هو أساس الكنيسة؛ من خلال هذا الإيمان أبواب الجحيم لن تقوى عليها. هذا هو الإيمان الذي يملك مفاتيح ملكوت السموات. كل ما يُحَل أو يُربَط بهذا الإيمان على الأرض سوف يُحَل أو يُربَط في السماء. هذه هي هبة الآب المعلَنة، لأننا لا يجب أن نؤمن بمسيح زائف، مخلوق من العدم، بل بأنه ابن الله الذي يملك الطبيعة الإلهية بالحقيقة. أي جنون تجديفي وجهالة حقيرة هذه، تلك التي لن تنتبه للشيخوخة والإيمان المبجَّل لذاك الشهيد المبارك، بطرس (الرسول) نفسه، الذي لأجله قُدِّمَت الصلاة للآب لأجل ألا يسقُط في تجربة؛ الذي كرر مرتين إعلان المحبة المطلوبة منه لله، وحَزن لكونه قد اختُبِر بتجديد السؤال للمرة الثالثة، كما

* وهو ما يؤكد أن الصخرة التي كان يعنيها المسيح كانت هي هذا الاعتراف الإيماني، وليس المقصود بها شخص بطرس.{م}

لو كان حُبًا مشكوكًا فيه أو مترددًا. ثم، بعد أن طهَّرته المحاولة الثالثة من نقائصه، قد نال مكافأةً بسماع تفويض الرب في جملة 'ارْعَ غَنَمِي' المكرَّرة للمرة الثالثة. (بطرس الرسول) الذي حينما كان كل الرسل صامتين، قد اعترف وحده بابن الله بإعلان الآب، وربح مجدًا أسمى يفوق ما يصل إليه الضَعف البشري باعترافه بإيمانه المُبهِج! فما هي الاستنتاجات التي دُفعت إلينا بدراسة كلماته؟

لقد اعترف بأن المسيح هو ابن الله؛ لكنك أنت، أيها الأسقف الكاذب* الذي للرسولية الجديدة، تُقحم علينا فكرتك الجديدة بأن المسيح مخلوق، قد خُلق من العدم. أي تحريفٍ هذا الذي يحرف الكلمات المجيدة؟ فإن السبب الحقيقي وراء تطويبه هو أنه اعترف بابن الله. هذا هو إعلان الآب، هذا هو أساس الكنيسة، هذا هو ضمان استمرارها. إذًا فقد نالت (الكنيسة) مفاتيح ملكوت السموات، الدينونة في السموات والدينونة على الأرض. فمن خلال الإعلان تَعلَّم ق. بطرس السر المكتوم منذ الأزل، وأعلن الإيمان، وأذاع الطبيعة الإلهية، واعترف بابن الله. مَن يُنكِر كل هذه الحقيقة ويعترف بأن المسيح مخلوق، يجب أولاً أن يُنكر رسولية ق. بطرس، وإيمانه، وطوباويته، وأسقفيته، وشهادته؛ فإن ق. بطرس قد ربح تلك الأمجاد بالاعتراف به.

٣٨- فهل تعتقدون، أيها الهراطقة البائسون الذين لهذه الأيام، أن ق. بطرس كان سيصبح هو الأكثر تطويبًا الآن، لو قال: *"أنت المسيح، مخلوق*

---

* أريوس.{م}

الله الكامل، عمل يديه، رغم تفوقك على كل أعماله الأخرى. بدايتك كانت من لا شيء، ومن خلال صلاح الله، الذي هو صالح وحده، قد أُعطي لك اسم ابن بالتبني، بالرغم من أنك بالحقيقة لم تولَد منه؟". في اعتقادكم، أية إجابة قد أُعطيَت لكلمات مثل هذه، حينما وُبِّخ ق. بطرس نفسه بسبب رده عند إعلان الآلام: حَاشَاكَ يَا رَبُّ، لاَ يَكُونُ هذَا، بقوله: اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ، أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي؟[٣٧] ومع ذلك، يمكن لبطرس أن يبرر جهله البشري بالتبرير الجزئي لخطأه، لأنه حتى تلك اللحظة لم يكن الآب قد أعلن كُل سِر الآلام؛ إلا أن تلك الإدانة الصارمة قد افتقدَت مجرد الخلل في الإيمان. فأخبِروني الآن، لماذا لم يُعلِن الآب لبطرس اعترافكم الصحيح، الذي هو إيمانكم بمخلوقٍ متبنًّى؟

من الجائز أن يكون الله قد أنكر عليه معرفة الحقيقة، إذ قد أراد أن يُرجئها إلى مرحلة متأخرة، ويبقيها كشيء جديد لوُعَّاظكم!* نعم؛ ربما يمكنكم تغيير الإيمان، لو تغيَّرت مفاتيح السموات. يمكنكم أن تغيروا الإيمان، لو أن هناك تغييرًا في تلك الكنيسة التي لن تقوى عليها أبواب الجحيم. يمكنكم أن تغيروا الإيمان، لو وَجدتم رسولية جديدة، تربط وتحل في السماء ما قد ربطَته وحلَّته على الأرض. يمكنكم أن تغيروا الإيمان، لو أن مسيحًا آخر ابنًا لله، غير المسيح الحقيقي، سوف يُبشَّر به. لكن لو أن ذلك الإيمان الذي يعترف بالمسيح كابن الله، وهذا الإيمان فقط، قد نال في

---

[٣٧] (مت ١٦: ٢٢، ٢٣)

* صيغة تهكمية تعبر عن سخرية ق. هيلاري من ضلال الهرطقة.{م}

شخص ق. بطرس كل التطويب المتجمع، إذًا فبحُكم الظروف، فإن ذلك الإيمان الذي يُعلن أنه مخلوق مصنوع من العدم لا يمسك مفاتيح الكنيسة، وهو غريب عن الإيمان والقوة الرسولية. إنه ليس إيمان الكنيسة، ولا المسيح.

الابن الوحيد

٣٩- لذا دعونا نقتبس كل مثالٍ قدَّم فيه أي رسول تصريحًا عن الإيمان. كلهم، حينما يعترفون بابن الله، لا يعترفون به كابن بالاسم وبالتبني، بل كابن يحمل الطبيعة الإلهية. هم لا يُنزلونه أبدًا إلى رتبة مخلوق، بل يعزون له عظمة الميلاد الحقيقي من الله. دعوا يوحنا (الرسول) يتكلم معنا، الذي انتظِر بالفعل مجيء الرب، وتُرِك وعُيِّن لمصير مخفي بقصد الله، فإنه لم يُخبَر بأنه سوف يموت، بل بأنه سوف يبقى. دعوه يتكلم معنا بصوته المألوف:- اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ {عَدَا}* اَلابْن الْوَحِيد الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ[٣٨]. لقد بدا له أن اسم ابنٍ لم يُفصِّل بوضوحٍ كافٍ ألوهيته الحقيقية، إلا إذا قَدَّم دعمًا خارجيًا للعظمة الخاصة بالمسيح بالكشف عن الفرق بينه وبين كل الآخرين. إذًا فهو لا يدعوه فقط بالابن، بل يضيف الاسم المميِّز الآخر، الابن الوحيد، وهكذا

---

* وكلمة 'عدا' رغم أنها مفهومة ضمن سياق الكلام، إلا أنها غير موجودة في نُسَخ الأناجيل اليونانية، ولا في الترجمات القديمة والحديثة.{م}

[٣٨] (يو ١: ١٨)

يَنزع آخِر دُعامة لذلك التبني التخيلي. فإن حقيقة أنه الابن الوحيد هي إثباتٌ إيجابيٌ لِحقِّه في اسم ابن.

الله الذي أحب العالم، لم يبذل ابنًا متبنًّى، بل ابنه الذاتي

٤٠- سوف أرجئ التأمل في هذه الكلمات: الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ، لموضع مناسب. أما تحقيقي الحالي فهو عن معنى 'الابن الوحيد'، وما قد يُطالبنا به هذا المعنى. أولاً، دعونا نرى إن كانت الكلمة تعني مخلوقًا مثاليًا لله، كما تؤكدون أنتم؛ وهل تعبير 'الابن الوحيد' يعادل 'المثالي'، و 'ابن' مرادف لـ 'مخلوق'. لكن ق. يوحنا وصف الابن المولود الوحيد كإله، وليس كمخلوق مثالي. إن كلماته: الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ، تُظهر أنه قد أَحبط مسبقًا تلك المعاني التجديفية؛ وهو في الواقع قد سمع سيده يقول: لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ[٣٩]. الله، الذي أحب العالم، بذل ابنه الوحيد كعلامة واضحة لحُبه. لو أن برهان حُبه هو هذا، أنه مَنح المخلوقات مخلوقًا، ووَضع كيانًا عالميًا لأجل العالم، ومَنح شخصًا قد رُفع من العدم لأجل افتداء أشياءٍ قد رُفعَت بالمِثل من العدم، فإن تلك التضحية الرخيصة والتافهة هي تأكيد فقير على معروفه معنا. فإن العطايا النفيسة هي دليل على العطف، وعِظَم التنازل هو دليل عِظَم المحبة. الله، الذي أحب العالم، لم يبذل ابنًا متبنًّى، بل ابنه الذاتي، ابنه الوحيد. هنا يوجد اهتمام شخصي، وبنوة حقيقية،

[٣٩] (يو ٣: ١٦)

وصِدق؛ ليس خَلقًا، أو تبَنٍّ، أو تظاهرًا. هنا يوجد إثبات حُبِّه وعطفه، أنه بذل ابنه الذاتي، ابنه الوحيد.

الاعتراف بالابن يمنحنا الخلاص

٤١- لن ألتجئ الآن إلى أي من الألقاب الأخرى المعطاة للابن، إذ لن يضرنا التأجيل لئلا يحدث ارتباك بسبب وفرة الاختيارات. أما جدالي الحالي فهو أن النتيجة الناجحة تتضمن وجود سبب كافٍ، إذ أن الفكرة الرئيسة الواضحة والمُقنعة يجب أن تُشكِّل أساس كل عمل فعال. وبهذا فإن الإنجيلي كان مضطرًا لإعلان فكرته الرئيسة بالكتابة. دعونا نرى ما هي النتيجة التي يعترف بها:- وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ، ابْنُ اللهِ[٤٠]. إن السبب الوحيد الذي يؤكده في كتابة إنجيله هو أن يؤمن الكل بأن يسوع هو المسيح، ابن الله. لو أن الإيمان بأنه المسيح كافٍ لأجل الخلاص، فلماذا أضاف ابْنُ اللهِ؟ لكن لو لم يكن الإيمان الحقيقي شيئًا أقل من الإيمان بأن المسيح ليس مجرد مسيح، بل المسيح ابن الله، إذًا بالتأكيد اسم 'ابن' ليس مرتبطًا بالمسيح كمُلحَقٍ عُرفيٍ يتناسب مع التبني، لكونه أساسيًا لأجل الخلاص. لو أن الخلاص إذًا مُتضَمَّن في الاعتراف بالاسم، ألا يجب أن يُعبِّر الاسم عن الحقيقة؟ لو أن الاسم يعبِّر عن الحقيقة، فبأي مُستند يمكن أن يُدعَى مخلوق؟ إن ما يمنحنا الخلاص ليس الاعتراف بالمخلوق، بل الاعتراف بالابن.

---

[٤٠] (يو ٢٠: ٣١)

٤٢- لذا فإن الإيمان بأن يسوع المسيح ابن الله هو الخلاص الحقيقي، وهو الخدمة المقبولة للإيمان الصادق. **فإننا ليس لنا حب داخلنا نحو الله الآب سوى من خلال الإيمان بالابن.** دعونا نسمعه يتكلم معنا في كلمات الرسالة:- كُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ[٤١]. أنا أسأل، ما هو معنى الولادة منه؟ هل تعني، ربما، الخِلقة بواسطته؟ هل الإنجيلي يكذب في قوله إنه وُلِد من الله، بينما الهرطوقي يُعَلِّم بأكثر صحةً أنه قد خُلِق؟ دعونا كلنا نسمع الوصف الصحيح لمعلم الهرطقة هذا! لقد كُتب: هذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي يُنْكِرُ الآبَ وَالابْنَ[٤٢]. ماذا ستفعلون الآن يا ناصري المخلوق، المستحضِرين لمسيح جديد من لا شيء؟ اسمعوا اللقب الذي ينتظركم، إن كنتم تُصرون على تأكيدكم. أم هل تعتقدون أنكم ربما يمكنكم أن تستمروا في وصف الآب والابن كخالق ومخلوق، ومع ذلك بغموض لغوي ماكر تهربون من تمييزكم كأضداد للمسيح؟ لو أن اعترافكم يتقبل وجود آب بالمعنى الصحيح، وابن بالمعنى الصحيح، إذًا فأنا مشوِّه للسُمعة، أهاجمكم بعنفٍ بلقبٍ شائنٍ لا تستحقونه. لكن لو كانت كل صفات المسيح في اعترافكم زائفةً وإسميةً وليست له، فتعلَّموا إذًا من الرسول ما هو الوصف الصحيح لإيمان مثل إيمانكم؛ واسمعوا ما هو الإيمان الصحيح الذي يؤمن بالابن. الكلمات التي تتبع هي هذه:- كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ

---

[٤١] (١يو ٥: ١)

[٤٢] (١يو ٢: ٢٢)

الابْنَ لَيْسَ لَهُ الآبُ أَيْضًا، وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالابْنِ فَلَهُ الآبُ أَيْضًا[٤٣]. مَن ينكر الابن محروم من الآب؛ مَن يعترف بالابن وله الابن له الآب أيضًا. أي مجالٍ هنا لأسماء التبني؟ ألا تخبرنا كل كلمة هنا عن الطبيعة الإلهية؟ تعلَّموا كيف توجد تلك الطبيعة بشكل كامل.

وَنَكُونُ فِي ابْنِهِ الْحَقِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ

٤٣- يقول ق. يوحنا الآتي:- وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللهِ قَدْ جَاءَ، (وَتَجَسَّدَ لِأَجْلِنَا، وَتَأَلَّمَ، وَقَامَ ثَانِيَةً مِنَ الأَمْوَاتِ وَاقْتَنَانَا لِنَفْسِهِ،) وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ الَّذِي هوَ إِيَّاه، وَنَكُونُ فِي ابْنِهِ الْحَقِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. إِنَّهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ (وَقِيَامَتُنَا)[٤٤]. لقد أُدينت الحكمة بنهاية شريرة، وخَلَت من روح الله، وقُدِّر لها أن تقتني روحًا وإسمًا ضد المسيح، وعَميت عن حقيقة أن ابن الله جاء لكي يحقق سِر خلاصنا، وصارت بهذا العمى غير مستحقة لأن تدرك نور تلك المعرفة الممتازة! *فإن تلك الحكمة تؤكد أن يسوع المسيح ليس ابنًا حقيقيًا لله، بل مخلوقه، الذي يحمل الاسم الإلهي بالتبني*. في أي وحي شرير لمعرفة خفية قد كُشف السر؟ لِبحث مَن نحن مدينون بهذا الكشف العظيم الحالي؟ هل اتكأتم أنتم في حضن الرب؟ هل أنتم مَن قد أَظهَر لهم السر في

---

[٤٣] (١يو ٢: ٢٢)

[٤٤] (١يو ٥: ٢٠)، وهذا الاستيفاء الطويل، الذي يشبه قانون إيمان، قد وُجِد مرتين في أماكن أخرى (في مخطوطة Toletanus وتلك التي تدعىSpeculum of Augustine)، ورغم أنه من أصل يوناني، إلا أننا لم نجده أبدًا بتلك اللغة.

علاقة الحب الفائقة؟ أكنتم أنتم مَن تبعتموه وحدكم إلى أقدام الصليب؟ وأثناء وصيته لكم بأن تستلموا مريم كأمكم، هل علَّمكم هذا السر، كرمز لحبه الخاص لكم؟ أم هل ركضتم نحو القبر، ووصلتم إليه عاجلاً حتى قبل ق. بطرس، وبهذا قد جنيتم تلك المعرفة هناك؟ أم هل كان بين حشود الملائكة، والأسفار المختومة التي لا يستطيع أحد أن يفُك ختومها، وتأثيرات متنوعة لعلامات السماء، وترانيم غير معروفة للجوقات الأبدية، أن الحمَل، مُعلمكم، قد أعلن لكم هذا التعليم الإلهي، أن الآب ليس آبًا، والابن ليس ابنًا، ولا الطبيعة طبيعة، ولا الحق حق؟! أنتم تحوِّلون كل هذه إلى أكاذيب. إن الرسول (يوحنا)، بهذه المعرفة الفائقة التي مُنحَت له، يتكلم عن ابن الله الحقيقي، أما أنتم فتؤكدون خِلقته، وتُعلنون تبنيه، وتنكرون مولده. فلأن ابن الله الحقيقي هو حياتنا الأبدية وقيامتنا، هكذا لا توجد حياة أبدية ولا قيامة لمن لا يعتبره حقيقيًا. هذا هو الدرس الملقَّن من يوحنا، تلميذ الرب المحبوب.

كل رسائل بولس الرسول يبدأها بالاعتراف بالابن

٤٤- والمضطهِد، الذي تحول ليكون رسولاً وإناءً مختارًا، يُلقي نفس الرسالة عينها. فهل يوجد حديث لم يَفترض فيه مسبقًا الاعتراف بالابن؟ هل توجد رسالة لا يبدأها بالاعتراف بتلك الحقيقة السرية؟ حينما يقول: قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ[٤٥]، و: الله أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ[٤٦]،

---

[٤٥] (رو ٥: ١٠)

وأيضًا: أَمِينٌ هُوَ الله، الَّذِي بِهِ دُعِيتُمْ إِلَى شَرِكَةِ ابْنِهِ[٤٧]، فهل تُرك أي مَنفَذٍ لتحريف هرطوقي للحقائق؟ إننا نقرأ تعبيرات مثل 'ابْنُهُ' و 'ابْنُ الله'، لكن لا نجد شيئًا قد قيل عن تبنيه، أو عن مخلوق الله. الاسم يُعبِّر عن الطبيعة، فهو ابن الله، ولذا فالبنوة حقيقية. اعتراف الرسول (بولس) يؤكد صِدق العلاقة. لا يمكنني أن أرى تحديدًا للطبيعة الإلهية للابن بشكلٍ أكثر كمالاً. هذا الإناء المختار لم يعلن بصوت ضعيف أو متردد أن المسيح هو ابن الآب، كما نؤمن. معلم الأمم، رسول المسيح، لم يترك لنا أي شكٍ، ولا أية فرصةٍ للخطأ في تقديمه للتعليم. هو واضح تمامًا في موضوع الأولاد الذين هم بالتبني؛ عن هؤلاء الذين بالإيمان يبلغون لأن يكونوا هكذا ويُسَمُّوا هكذا، بقوله: لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ. إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ، أَبَا، أَيُّهَا الآبُ[٤٨]. هذا هو الاسم الممنوح لنا، نحن الذين نؤمن، من خلال سِر التجديد، إذ أن اعترافنا بالإيمان يُكسبنا هذا التبني. فإن عملنا المعمول بالطاعة لروح الله يعطينا لقب أبناء الله. أَبَا، أَيُّهَا الآبُ، هي الصرخة التي نرفعها، وليست التعبير عن طبيعتنا الأساسية. فإن تلك الطبيعة الجوهرية التي لنا غير متعلقة بهذا التعبير الجليل. أن يخاطب الله كآب شيء، وأن يكون أبًا لابنه شيء أخر.

---

[٤٦] (رو ٨: ٣)

[٤٧] (١كو ١: ٩)

[٤٨] (رو ٨: ١٤، ١٥)

اَلَّذِي لَمْ يَبْخَلْ بِابْنِهِ الذَّاتِيِّ

٤٥- أما الآن فدعونا نتعلم ما هو هذا الإيمان الذي يتعلق بابن الله، الذي يتمسك به الرسول (بولس). فبالرغم من أنه لا يوجد حديث واحد من بين الكثير مما وجهه بخصوص تعليم الكنيسة، يَذكر فيه الآب دون أن يقدم اعترافًا بالابن، إلا أنه، لكي يعرض حقيقة العلاقة التي ينقلها الاسم مع الوضوح الأقصى الذي تَقدر عليه لغة الإنسان، يتكلم هكذا:- فَمَاذَا إِذًا؟ إِنْ كَانَ الله مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟ اَلَّذِي لَمْ يَبْخَلْ بِابْنِهِ الذَّاتِيِّ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا[٤٩]. هل يمكن أن يكون الابن، بأية إمكانية باقية، هو لقب مُعطى من خلال التبني، حينما يُدعى بوضوح 'الابن الذاتي' لله؟ فإن الرسول، مُريدًا أن يعلن حُب الله لنا، يستخدم نوعًا من المقارنة، لكي يمَكِّننا من أن نُقدِّر مقدار عظمة هذا الحب، حينما يقول إن مَن لم يبخل به الله كان هو ابنه. إنه يقترح فكرة أن هذا لم يكُن تضحيةً بابنٍ متبنًّى، لأجل هؤلاء الذين اعتزم أن يتبناهم، (أو) بمخلوق لأجل مخلوقات، بل بابنه لأجل غرباء، ابنه الذاتي لأجل مَن أراد أن يعطيهم شركةً في اسم أبناء. ابحثوا جيدًا في الأهمية الكاملة للمُصطلح، كي تفهموا مدى الحب. تأملوا معنى 'الذاتي'؛ لاحظوا صِدق البنوة التي تتضمنها الكلمة. فإن الرسول الآن يصفه كالابن الذاتي لله؛ لقد تكلم قبلاً مرارًا عنه كابن لله، أو ابن الله. وبالرغم من أن الكثير من المخطوطات، بسبب الحاجة إلى الإدراك مِن قِبَل المترجمين، تقرأ في هذه

---

[٤٩] (رو ٨: ٣١، ٣٢).

الفقرة (كلمة) 'ابنه'، بدلاً من 'ابنه الذاتي'*، إلا أن الأصل اليوناني، اللغة التي كتب بها الرسول، قد وصفته بشكل أدق كـ 'ابنه الذاتي'، وليس 'ابنه'[٥]. وبالرغم من أن القارئ العَرَضي قد لا يميز وجود اختلاف كبير بين 'ابنه الذاتي' و 'ابنه'، إلا أن الرسول، الذي في كل تصريحاته الأخرى قد تكلم عن 'ابنه'، الذي هو في اليونانية (هكذا) τὸν ἑαυτοῦ υἱόν، يستخدم في هذه الفقرة (تلك) الكلمات ὅς γε τοῦ **ἰδίου** υἱοῦ οὐκ ἐφείσατο، أي: اَلَّذِي لَمْ يَبْخَلْ بِابْنِهِ الذَّاتِيِّ، كاشفًا بوضوح وعلى نحو مؤكَّد طبيعته الإلهية الحقيقية. لقد أوضح قبلاً أن من خلال روح التبني هناك أبناءً كثيرين، أما الآن فهدفه هو الإشارة إلى الابن الذاتي لله، الله الابن الوحيد.

أريوس هو ضد المسيح

٤٦- هذا ليس خطأً عامًا ومحتومًا؛ هؤلاء الذين ينكرون الابن لا يمكنهم أن ينسبوا الخطأ لجهلهم، لأن الجهل بالحقيقة التي ينكرونها مستحيل. إنهم يصِفون ابن الله كمخلوق قد جاء للوجود من لا شيء. لو أن

---

* هذه الجملة قد ذُكرت في الأصل اليوناني τοῦ ἰδίου υἱοῦ، وفي القبطي الصعيدي ⲉⲡⲉϥϣⲏⲣⲓ ⲛⲓⲙⲓⲛ ⲛⲙⲟϥ، وفي البحيري ⲉⲡⲉϥϣⲏⲣⲉ ⲙⲙⲓⲛ ⲙⲙⲟϥ، وفي الإنجليزية his own son، وفي الطبعة اليسوعية 'ابنه نفسه' وكلها تحمل معنى الابن الذاتي أو الشخصي أو الخاص، في حين أن الطبعة البيروتية قد أغفلته.{م}

[٥] ومع ذلك، فإن تعبير 'الخاص' *proprius* مميِّز بشكل عام لكل المخطوطات اللاتينية القديمة، ولا يزال موجودًا. هذه الفقرة مهمة لأنها تدل على حرية ناسخي المخطوطات. يبدو أن ق. هيلاري يثق تمامًا أن الكل سوف يُعدِّل النص الذي ينسخ منه بسبب تحفُّظه.

الآب لم يؤكد هذا أبدًا، ولا الابن أثبته، ولا الرسل أعلنوا عنه، إذًا فإن الجرأة التي تحث زعمهم لم تتولد من الجهل، بل من الكُره للمسيح. حينما يقول الآب عن ابنه: هذَا هُوَ[٥١]، والابن (يقول) عن نفسه: الَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ[٥٢]، وحينما يعترف ق. بطرس (قائلاً): أَنْتَ هوَ[٥٣]، ويؤكد لنا ق. يوحنا: هذَا هُوَ الإِلهُ الْحَقُّ[٥٤]، وق. بولس لا يَمَل أبدًا من إعلان أنه الابن الذاتي لله، فلا يمكنني أن أفهم أي حافز لهذا الإنكار سوى الكراهية. إن ذريعة الحاجة إلى اعتياد الموضوع لا يمكن أن تُثار بتبرير جزئي لخطأهم. إنه اقتراح ذاك الشرير*، الذي نطق الآن من خلال هؤلاء الأنبياء والمبشرين بمجيئه؛ هو سوف ينطق بها بنفسه بعدئذ حينما يأتي كضد للمسيح. إنه يستخدم هذا المحرك الجديد للانقضاض لكي يزعزع اعترافنا الخلاصي بالإيمان. هدفه الأول هو اقتلاع الثقة الأكيدة من قلوبنا بخصوص الطبيعة الإلهية للابن؛ ثم يملأ عقولنا بفكرة تبني المسيح، ولا يترك أي مجال لدعاويه الأخرى. فإن هؤلاء الذين يتمسكون بأن المسيح ليس سوى مخلوق، لا بُد أنهم يعتبرون المسيح كضد المسيح، بما أن المخلوق لا يمكن أن يكون الابن الذاتي لله، ولذا لا بُد أنه يكذب في تسمية نفسه ابن الله. مِن ثَم أيضًا

---

[٥١] (مت ٣: ١٧)، وهي تلميح أيضًا لما جاء في (خر ٣: ١٤).

[٥٢] (يو ٩: ٣٧)

[٥٣] (مت ١٦: ١٦)

[٥٤] (يو ٥: ٢٠)

* أريوس.{م}

هؤلاء الذين ينكرون أن المسيح هو ابن الله لا بُد أنه يوجد لمسيحهم ضد للمسيح.

اعتراف مرثا هو الحياة الأبدية

٤٧- ما هو الأمل الذي يسعى وراءه شغفكم عديم الفائدة هذا؟ ما هو ضمان خلاصكم الذي يشجعكم بفسق لسانٍ مجدفٍ لتَذْكُروا أن المسيح مخلوق، وليس ابنًا؟ لقد كانت مهمتكم أن تعرفوا هذا السر من الأناجيل، وأن تتمسكوا جيدًا بالمعرفة. فإنه بالرغم من أن الرب يمكنه أن يعمل كل شيء، إلا أنه مع ذلك قرر أن كل واحد يصلي لأجل معونته الفعلية يجب أن ينالها باعتراف حقيقي بنفسه. ليس، في الواقع، أن اعتراف المتضرِّع قد يزيد من قوة ذاك الذي هو قوة الله؛ بل أن الربح كان هو مكافئة الإيمان. وبالتالي، حينما سأل مرثا التي كانت تتضرع إليه لأجل لعازر، إن كانت تؤمن بأن الذين آمنوا به لن يموتوا إلى الأبد، عَبَّر ردها عن إيمان روحها:- نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، الآتِي إِلَى الْعَالَمِ[٥٥]. هذا الاعتراف هو الحياة الأبدية؛ هذا الإيمان له الخلود. مرثا، المُصلية لأجل حياة أخيها، قد سُئِلَت إن كانت تؤمن بهذا. لقد آمنت بذلك. ما هي الحياة التي ينتظرها الرافض، ومِمَن يرجو أن ينالها، حينما يكون هذا الإيمان، وهذا فقط، هو الحياة الأبدية؟ فإنه عظيم سِر هذا الإيمان، ومثالية ومطوَّبة ثمرة هذا الاعتراف.

---

[٥٥] (يو ١١: ٢٧)

أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ؟

٤٨- لقد أعطى الرب البصر لرجل أعمى منذ ولادته؛ رب الطبيعة قد أزال عيب الطبيعة. لأن هذا الرجل الأعمى قد وُلِد لمجد الله، لكي يُستعلَن عمل الله في عمل المسيح، لم ينتظر الرب إثبات الرجل لإيمانه بالاعتراف به. لكن رغم أنه لم يَعلم في نفس الوقت مَن كان هذا الذي منح هذه النعمة العظيمة التي للرؤية بالعين، إلا أنه بعدئذ قد ربح معرفة الإيمان. لم يكن تبديد عماه هو ما أربحه الحياة الأبدية. وهكذا، حينما شُفي الرجل بالفعل وكابد الطرد من المجمع، سأله الرب هذا السؤال: أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ[٥٦]؟ هذا كان لأجل إنقاذه من فكرة الخسارة، بالاستبعاد من المجمع، باليقين بأن الاعتراف بالإيمان الحقيقي قد أعاد له الخلود. حينما أجاب الرجل، الذي لم تستنر عيناه بعد، (قائلاً): مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لأُومِنَ بِهِ[٥٧]؟ كان رَد الرب: قَدْ رَأَيْتَهُ، وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ. فإنه أراد أن يزيل جهل الرجل الذي قد استرد بصره، والذي قد اغتنى الآن بمعرفة مثل هذا الإيمان المجيد. هل طلب الرب من ذلك الرجل، كما من الآخرين الذين تضرعوا إليه أن يشفيهم، اعترافًا بالإيمان كثمن للشفاء؟ بالتأكيد لا. فإن الرجل الأعمى قد أمكنه بالفعل أن يرى حينما تمت مخاطبته هكذا. الرب سأل السؤال كي يتلقى الرد: أُومِنُ يَا سَيِّدُ[٥٨]. الإيمان الذي قيل في هذا الرد لم يكن لنوال

---

[٥٦] (يو ٩: ٣٥)

[٥٧] (يو ٩: ٣٦)

[٥٨] (يو ٩: ٣٨)

البصر، بل للحياة. والآن دعونا نفحص بحرص قوة الكلمات. الرب يسأل الرجل: أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ؟ بالتأكيد لو أن الاعتراف البسيط بالمسيح، الذي يترك طبيعته مبهمة، كان تعبيرًا كاملاً عن الإيمان، لكانت مصطلحات السؤال هكذا: 'هل تؤمن بالمسيح؟'. لكن في الأيام القادمة كل الهراطقة تقريبًا سوف يستعرضون هذا الاسم، معترفين بالمسيح وفي نفس الوقت منكرين أنه الابن؛ ولذ فهو يطلب، كشرط للإيمان، ضرورة إيماننا بما يخُص ذاته، أي، ببنوته الإلهية. ما هي فائدة الإيمان بابن الله، إن كان هو إيمانًا بمخلوق، حينما يَطلب منا الإيمان بالمسيح، ليس المخلوق، بل الابن، ابن الله.

حتى الشياطين تعترف به

٤٩- هل فشل الشيطان في أن يفهم المعنى الكامل لاسم الابن هذا؟ سوف نُقيِّم الهراطقة باستحقاقهم الحقيقي بأن نقدم الرد عليهم من فم الشياطين، وليس فقط من تعاليم الرسل. إنهم يصرخون، ويصرخون دائمًا: مَا لِي وَلَكَ، يَا يَسُوعُ، ابْنَ اللهِ الْعَلِيِّ[٥٩]؟ لقد انتزع الحق هذا الاعتراف منهم ضد إرادتهم؛ طاعتهم على مضد هي شهادة لقوة الطبيعة الإلهية التي بداخله. حينما يهربون من الأجساد التي قد سيطروا عليها طويلاً، فإن القوة هي التي تقهرهم، إذ أن الاعتراف بطبيعته هو عمل توقيري. هذه الإجراءات تُظهر أن المسيح ابن الله، سواء في القوة أو في الاسم. فهل سمعتم

[٥٩] (لو ٨: ٢٨)

وسط كل هذه الصرخات الشيطانية المعترفة به، أن المسيح قد لُقِّب في مرة بالمخلوق، أو سمعتم في مرة عن تنازُل الله بتبنيه؟

إنكار الهراطقة للابن أسوأ من إنكار اليهود

٥٠- إن كنتم لن تتعلموا مَن هو المسيح من هؤلاء الذين يعرفونه، فتعلَّموه على الأقل من هؤلاء الذين لا يعرفونه. هكذا فإن اعترافهم، الذي أُجبَروا عليه، سوف يوبخ تجديفكم. إن اليهود لم يعترفوا بالمسيح، الآتي في الجسد، رغم أنهم قد عرفوا أن المسيح الحقيقي يجب أن يكون ابن الله. وهكذا، حينما كانوا يوظفون شهودَ زورٍ، بدون كلمة حق واحدة في شهادتهم ضده، سأله كاهنهم: أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ[٦٠]؟ هم لم يعرفوا أن فيه قد تحقق السر؛ لقد عرفوا أن الطبيعة الإلهية كانت شرط تحقيقه*. هم لم يسألوا إن كان المسيح هو ابن الله؛ لقد سألوا إن كان هو المسيح، ابن الله. لقد أخطأوا بخصوص شخص المسيح، وليس بخصوص بنوته. هم لم يشُكُّوا في أن المسيح هو ابن الله؛ وهكذا، فقد سألوا دون أن ينكروا أن المسيح هو ابن الله. ماذا إذًا عن إيمانكم، الذي يقودكم حتى لإنكار أنهم في عماهم، قد اعترفوا؟ المعرفة الكاملة هي هذه، أن تكون متيقنًا من أن المسيح، ابن الله، الذي كان موجودًا قبل العالمين، قد وُلِد أيضًا من العذراء. حتى هم، الذين لا يعلمون شيئًا عن ولادته من مريم، يعرفون أنه ابن الله. لاحظوا

---

[٦٠] (مر ١٤: ٦١)

* أي السر.

اشتراككم في خُبث اليهود الذي ورَّطكم به إنكاركم للبنوة الإلهية! فإنهم قد سجلوا سبب دينونتهم:- وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللهِ[٦١]. أليست هي نفس التهمة التي توجهونها له تجديفيًا، بأنه يدعو نفسه الابن، بينما تُعلنونه أنتم مخلوقًا؟ هو يعترف بأنه هو الابن، وهم يُعلنونه مذنبًا للموت؛ أنتم أيضًا تنكرون أنه ابن الله. أي تهمة توجهونها له؟ لديكم نفس الاشمئزاز من ادعائه مثلما كان لليهود. أنتم تتفقون مع حُكمهم، ومن ثَم فأنا أريد أن أعرف إن كنتم سوف تتشاجرون بخصوص القضية. إن استياءكم، في إنكار أنه ابن الله، هو بالضبط مثل استيائهم، رغم أن ذنبهم أقل، لأنهم أخطأوا بجهل. هم لم يعرفوا أن المسيح وُلِد من مريم، ومع ذلك فهم لم يشُكُّوا أبدًا في أن المسيح لا بُد أن يكون ابن الله. أنتم واعون تمامًا بحقيقة أن المسيح وُلِد من مريم، ومع ذلك فأنتم تحرِّمون عليه اسم ابن الله. لو آمنوا، فسوف ينتظرهم خلاصًا غير مُعرَّض للخطر، بسبب جهلهم السابق. أما أنتم، فكل مداخل الأمان مغلقة أمامكم، لأنكم تُصرون على إنكار حقيقة واضحة لكم. فإنكم لستم جاهلين بأنه ابن الله؛ أنتم تَعلمون جيدًا أنكم تسمحون له بالاسم كلقب للتبني، وتدَّعون أنه مخلوق قد تزين مثل الآخرين بالحق في أن يدعو نفسه ابنًا. أنتم تسرقون منه الطبيعة الإلهية بكل ما استطعتم؛ لو أمكنكم، لسلبتموه

[٦١] (يو ١٩: ٧)

الاسم الإلهي كذلك. لكن لأنكم لا يمكنكم، لذا فأنتم تَفصلون الاسم عن الطبيعة، إذ تدعونه ابنًا، لكنه ليس ابنًا حقيقيًا لله.

اعتراف الرسل به وسط البحر الهائج

٥١- إن اعتراف الرسل، الذين لأجلهم عاد الريح الهائج والبحر المضطرب إلى الهدوء بكلمة منه، هو فرصة لكم. ربما كُنتم ستعترفون، مثلما فعلوا، بأنه ابن الله الحقيقي؛ ربما كنتم ستستعيرون كلماتهم نفسها: بِالْحَقِيقَةِ هَذَا هوَ ابْنُ اللهِ*. لكن روح الجنون الشرير يقودكم لكي يحطم حياتكم، إذ أن عقلكم متحير وغارق، مثل المحيط المُعَذَّب بضراوة العاصفة.

شهادة قائد المئة بأنه ابن الله

٥٢- لو شهادة البحارة هذه تبدو غير حاسمة لكم لأنهم كانوا رُسلاً - رغم أنها بالنسبة لي لها ثقل عظيم لنفس السبب، حتى ولو أدهشتني قليلاً - فاقبَلوا ذلك التأييد المقدَّم من الأمم بأي قَدرٍ. اسمعوا كيف أن جندي الكتيبة الرومانية، واحد من الحراس الصارمين الموجودين حول الصليب، قد خضع أمام الإيمان. قائد المئة يرى الأعمال القديرة لقوة المسيح؛ وهذه

* (مت ١٤: ٣٣)، مع ملاحظة أنه قد غيَّر صيغة المخاطَب الموجودة في النص الأصلي، إلى صيغة الغائب.{م}

هي شهادته: حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ[٦٢]. فبعد أن سلم المسيح الروح، قد أجبرته الحقيقة المتمثلة في حجاب الهيكل الذي تمزق، والأرض التي اهتزت، والصخور التي تشققت، والقبور التي تفتحت، والموتى الذين قاموا. هذا كان اعتراف شخص غير مؤمن. الأعمال التي عُمِلَت أقنعته أن طبيعة المسيح كانت كلية القدرة؛ لقد دعاه بابن الله، متأكدًا من ألوهيته الحقيقية. كم كان الإثبات قويًا، كم كان اقتناع الرجل قويًا، حتى إن قوة الحق قد قهرت إرادته، فحتى هذا الذي سَمَّر المسيح في الصليب قد اقتيد للاعتراف بأنه رب المجد الأبدي، ابن الله بالحقيقة.

---

[٦٢] (مت ٢٧: ٥٤)

الكتاب السابع

أربع حيل يستخدمها الهراطقة لخداع البسطاء

١- هذا هو الكتاب السابع مِن مقالتنا ضد التطرف الجامح للهرطقة الحديثة. بالنسبة لترتيبه يجب أن يتبع أسلافه، لكن بحسب أهميته كشرح لأسرار الإيمان الصحيح، فهو يتقدم ويتفوق عليهم كلهم. أنا أعي جيدًا كم هو صعب وشديد العلو، الطريق إلى التعليم الإنجيلي الذي نتسلق إياه. إن المخاوف المُثارة بشعور قدرتي الخاصة تسحبني للوراء، لكن دفء الإيمان يشجعني؛ هجمات الهرطقة تثير حنقي، وأخطار الجهلة تثير شفقتي. أنا أخشى الكلام، ومع ذلك لا يمكنني أن أسكت. هناك فزع مضاعَف يُخضِع روحي؛ قد يكون هذا الكلام، أو قد يكون ذاك الصمت، هو ما يجعلني مُذنبًا إذا ما هجرت الحقيقة. فإن تلك الهرطقة الماكرة قد أحاطت نفسها من كل جهة بحِيلٍ مدهشةٍ من المكر الفاسد. أول حيلة هي التظاهر بالإخلاص، ثم بعدها اختيار اللغة بحرص لكي تداعب شكوك المستمع النزيه، وأيضًا تكيفات آراءهم مع الفلسفة الدنيوية، ثم أخيرًا تحوُّل اهتمامهم عن إظهار الحقيقة بتوضيح زائف للطُرق الإلهية. إن إثباتهم الزائد عن اللزوم لوحدانية الله هو محاكاةٌ مخادِعةٌ للإيمان، وتأكيدهم أن المسيح هو ابن الله هو لعب بالألفاظ لأجل تضليل مستمعيهم. فإن قولهم إنه لم يكن موجودًا قبل أن يولَد هو دعوة لتدعيم فلاسفة العالم. واعترافهم بأن الله غير مادي وغير متغير يقود إلى إنكار ولادة الله من الله، بإظهار المنطق

الوهمي. هم يحاولون قلب جدالنا ضدنا، كي ما يصير إيمان الكنيسة أداةً لتدمير نفسها. لقد احتالوا لكي يورطونا في الموضع المُربِك لخطر مماثل، سواء تفاهَمنا معهم أو امتنعنا. فإنهم يستخدمون حقيقة أننا نسمح لبعض ادعاءاتهم بأن تمُر بلا تحدٍ كأنه برهان على صحة ما نُعارضه*.

كون الله واحدًا لا يعني أنه أقنوم واحد

٢- لقد ذكرنا في الكتب السابقة مجمل ذلك البيان التجديفي[١]، كي يفحصه القارئ ويلاحظ كيف أنه حُرِّك في كل جهة لأجل هدف واحد، ألا وهو نشر الإيمان بأن ربنا يسوع المسيح ليس إلهًا، ولا ابن الله. مؤلِّف هذا البيان يجادل بأنه يجوز له (أي للمسيح) استخدام إسميّ 'إله' و 'ابن' بفضل التبني المؤكد، رغم أنه ليست له الألوهة ولا البنوة بالطبيعة. هم يستخدمون الحقيقة، الصحيحة في حد ذاتها، في أن الله غير متغير وغير مادي، كجدال ضد ولادة الابن منه. هم يعطون قيمةً لحقيقة أن الله الآب واحدٌ، كمجرد سلاحٍ ضد إيماننا بألوهية المسيح؛ مبررين بأنه لا يمكن للعقل أن يُدرك أن الطبيعة غير المادية تلِد أخرى، وأن إيماننا بإله واحد غير منسجم مع الاعتراف بإله من إله. لكن كُتبنا المبكرة قد دحضت وهزمت هذا الجدال الذي لهم بالتجائها للناموس والأنبياء. لقد اتَّبعنا طريقة هجومهم في دفاعنا

---

* بما معناه أن صمتنا بخصوص بعض الأمور الصحيحة في كلامهم قد يعني أننا نوافق على كل الكلام.

[١] The *Epistola Arii ad Alexandrum*. أُنظر الكتاب الرابع فقرة ١٢، والسادس فقرة ٥.

خطوة بخطوة، إذ قد شَرحنا قبلاً (معنى) إله من إله، وفي نفس الوقت اعترفنا بإله واحد حقيقي، وأظهرنا أن عرضنا للإيمان لا يُخفِق في الوصول إلى الحقيقة، سواء بقوله إن الإله الواحد الحقيقي شخص واحد، أو بإيمانه بوجود إله آخر. **فإننا لا نعترف بإله منعزل، ولا حتى بإلهين**، وبهذا نحن نتمسك بالطريق المستقيم الذي للحق، لا بإنكار أن الله واحد، ولا بذِكر أنه وحيد. **كل شخص (أقنوم) إلهي هو في الوحدة، ومع ذلك فلا يوجد شخص هو الإله الواحد.** ثم، لكون هدفنا هو إظهار حقيقة هذا السر التي لا تقبل دحضًا ببرهان الإنجيليين والرسل، فإن مهمتنا الأولى كانت لجعل قُرَّائنا مطلعين على الطبيعة، الموجودة بالحقيقة والمولودة بالحقيقة، التي لابن الله؛ لأجل إظهار أن مصدره هو الله (الآب)، وأنه لم يُخلَق من العدم، بل هو الابن، المولود من الله. هذه حقيقة قد أبعدَتها الأدلة التي قُدِّمَت في الكتاب السابق عن أي شك. فقد أُبكم التأكيد على أنه يحمل لقب ابن بفضل التبني، إذ أنه يبقى إلى الأبد ابنًا حقيقيًا بولادة حقيقية. أما مُهمتنا الحالية فهي أن نُثبِت من الأناجيل أنه إله حقيقي أيضًا، لأنه ابن حقيقي. فلو لم يكن ابنًا حقيقيًا فلن يمكنه أن يكون إلهًا حقيقيًا، ولن يكون إلهًا حقيقيًا إن لم يكن ابنًا حقيقيًا.

خطر التطرف في مواجهة هرطقة بهرطقة أخرى

٣- لا يوجد شيءٌ يزعج طبيعتنا البشرية أكثر من الإحساس بالخطر الوشيك. لو أصابتنا كوارث غير معلومة أو غير متوقعة، فقد نحتاج إلى

الشفقة، لأننا كنا بلا هَم من جهتها، ولم يحزننا قلقنا منها. لكن مَن يمتلئ عقله باحتمالات المشاكل يعاني بالفعل من العذاب في خوفه. فإنني أغامر الآن بالإبحار، لكنني لست بحَّار لم يألف غرق السفن، بل مسافرٌ يَعلَم بالخبرة كيف يكمُن قُطَّاع الطريق في الغابات، ومكتشفٌ يدرك خطر العقارب والقردة والباساليق[٢] الموجودة في صحاري أفريقيا. وبسبب معرفتي وخوفي من الخطر الحالي لا أنعم بالراحة ولو للحظة. كل هرطوقي يترقب، ملاحظًا كل كلمة تخرج من فمي، وكل رحلة جدالي مُعرَّضة للكمائن والأشراك والفخاخ. أنا لا أشكو من الطريق، ولا من صعوبته أو شدة انحداره، بل أتبع خُطى الرُسُل، ولا أختار طريقي الخاص. مشكلتي هي الخطر الدائم والفزع المستمر من التجول ناحية كمينٍ ما، أو التعثر في حفرةٍ ما، أو الوقوع في شَركٍ ما. إن غرضي هو الإعلان عن وحدانية الله، بطريقة الناموس والأنبياء والرُسل. لكن من ناحية، سابيليوس يَتوق بلُطفٍ قاسٍ للترحيب بي، بقوة تلك الوحدة (التي يؤمن بها)، ولا بتلاعي في الخراب الذي

---

[٢] قارن، Lucan. IX. 695 ff.، والمقصود هنا الزواحف السامة، وهذا الاسم متخَّذ من اسم أفعى خرافية. جدير بالذِكر أن العلامة ترتليان قد استخدم نفس الاسم في وصف امرأة مبتدعة اسمها 'كوينتيلَّا' (Quintilla) من قرطاج، قد أضلَّت الكثيرين بتعاليمها عن أن الغسل الجسدي بالمياه لا يمكن أن يُطهِّر النفس ويهب الخلاص - قاصدة هدم المعمودية - فتصدى لها العلامة ترتليان بمقالة عن المعمودية. راجع: *نصوص مختارة من كتابات العلَّامة ترتليان*، ترجمة راهب من دير أنبا أنطونيوس. البحر الأحمر: دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس، الطبعة الأولى، ديسمبر ٢٠١٤، صـ ١٥٦. وهو ما يعني أن هذا الاسم كان معروفًا لدى الناطقين باللاتينية.{م}

تسبب فيه. لو قاومته، وأنكرت أن الله واحدٌ، بالمعنى السابيلي، فسوف تتلقاني بدعةٌ جديدة تدَّعي أنني أُعلِّم بوجود إلهين. كذلك لو شرعْتُ في أن أخبر كيف وُلِد ابن الله من مريم، فإن فوتينوس[#] Photinus، إبيون[*] هذه الأيام، سوف يسعى لتحريف تأكيد تلك الحقيقة إلى إثبات لكذبته. لا يوجد احتياجٌ لأن أذكر أية هرطقة أخرى، عدا واحدة، والتي يَعلَم كل العالم أنه معتنقيها مُبعَدون مِن الكنيسة. لقد شُجِبَت كثيرًا، ورُفضَت كثيرًا، ومع ذلك فهي لا تزال تفترس أعضاءنا الحيوية. لقد أبرزت غلاطية[٣] مجموعةً كبيرةً من الكَفرة الذين يؤكدون وحدانية الله (بشكل خاطئ)،

[#] راجع التعليق في المقدمة صـ ٤٧.

[*] الإبيونيون، أي 'الفقراء' (**אֶבְיוֹנִים**)، هم طائفة من المسيحيين المتهودين ازدهرت في القرون الأولى للمسيحية في منطقة شرق الأردن في الغالب، وهم يعتقدون بأن المسيح كان ابن يوسف ومريم، وأنه قد استنار بالروح القدس الذي ظهر في شكل حمامة عند معموديته، كما أنهم يُغالون في تعظيم التزامات ناموس موسى. يُقال إنهم قد رفضوا رسائل بولس الرسول واستخدموا إنجيلاً واحدًا. وقد شكَّلوا مجتمعًا فقيرًا، وتبنّوا العديد من الوسائل النسكية في الحياة.{م}

The Oxford Dictionary of the Christian Church, Third Edition, 1997, p.523.

[٣] والمقصود هنا هو مارسيلُّوس أسقف أنقرة. كان أرثوذكسي الفكر لإيمانه بمساواة الابن للآب في الجوهر، لكنه قد أدين فيما بعد لاعتقاده بأن الابن والروح القدس قد انبثقا ككيانين مستقلين لأجل غرض الخلق والفداء، ثم بعد تحقيق عمل الفداء سوف يعودان ثانيةً إلى وحدة اللاهوت. وجملة 'الذي ليس لمُلكه انقضاء' التي وُضِعَت في قانون الإيمان كانت لدحض هذا التعليم.{م}

Cf. *The Oxford Dictionary Of The Christian Church*, Second Edition. 1983, p. 1033.

والإسكندرية* قد نثرت تعليمها بوجود إلهين على نطاق واسع، في كل العالم تقريبًا، رغم إنكارها لذلك. بانونيا[٤] Pannonia قد أيدت تعليمها المُهلِك بأن الميلاد الوحيد للمسيح كان من العذراء. والكنيسة، المتحيرة بسبب هؤلاء المؤمنين المتنافسين، هي في خطر الانقياد من قِبل حقيقة إلى رفض حقيقة أخرى. إنها تُجبَر على تعاليم تؤدي إلى أهداف كافرة، وبحسب رد فعلها سوف يثبُت الإيمان أو يُهزم. على سبيل المثال، نحن المؤمنون الحقيقيون لا يمكننا أن نؤكد أن الله واحدٌ إذا كنا نعني أنه وحيدٌ؛ فإن الإيمان بإله وحيد يُنكر ألوهية الابن. لكن من ناحية أخرى، لو أكدنا - كما يمكننا بالحقيقة - أن الابن هو الله، فنحن في خطر من إنكار حقيقة أن الله واحدٌ، كما يتخيلون بحماقتهم. نحن في خطر من الجهتين؛ قد نُنكِر الوحدة أو نؤكد فكرة الفردية. لكنه خطر لا يخيف 'جُهَّالَ الْعَالَمِ'[٥]. إن خصومنا عميان عن حقيقة أن تأكيده على أنه ليس وحيدًا ينسجم مع الوحدة؛ أي أنه رغم كونه واحدًا إلا أنه ليس مفردًا.

---

* والمقصود هنا هو أريوس، الذي ادَّعى أن هناك إلهًا واحدًا، رغم أن تعليمه يؤدي إلى الاستنتاج الحتمي بأن هناك إلهين، وأن الابن إله أقل من الآب.{م}

[٤] والمقصود هنا هو فوتينوس.

[٥] (١كو ١: ٢٧) 'بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ.'

ظهور الهرطقات يثبِّت الإيمان بالرد عليها

٤- لكنني أثق بأن الكنيسة، بنور تعليمها، سوف تُنير حكمة العالم الفارغة، حتى إن (تلك الحكمة) برغم عدم قبولها سِر الإيمان، إلا أنها سوف تدرِك أننا في صراعنا مع الهراطقة، نقدم ذاك السر وليس هم. فإن قوة الحق عظيمة، ليس فقط لأن شهادته كافية، بل لأنه كلما هوجِمَ بعنفٍ كلما صار أكثر وضوحًا، إذ أن الصدمات اليومية التي يتلقاها تُزيد ثباته المتأصل. إن الصفة المميِّزة الخاصة بالكنيسة هي أنها حينما تُقاوَم تكون منتصرةً، وحينما تُهاجَم بمناقشة تُثبت نفسها أنها على حق، وحينما تُخذَل من مؤيديها تَملك الميدان. إن رغبتها هي أن يظل كل الناس بجوارها وفي حضنها؛ لو توقف الأمر عليها، فلن يصبح أحدٌ غير مستحِق للبقاء تحت حماية تلك الأم الجليلة، ولن يُطرَد أحدٌ أو يكابِد الرحيل عن مأواها الهادئ. لكن حينما يهجرها الهراطقة أو تفصلهم هي، فإن الخسارة التي تتحملها، في أنها لا يمكنها إنقاذهم، تُعوَّض بأمانٍ متزايدٍ بأنها وحدها التي يمكنها تقديم السعادة. هذه حقيقة تُعلَن بالأكثر بسبب الحماسة الغاضبة للهرطقات المنافِسة. الكنيسة، التي أسَّسها الرب ونظَّمها برُسله، هي واحدة على الإطلاق؛ لكن الحماقة المسعورة للطوائف المتعارضة قد فصلتهم عنها. من الواضح أن تلك الخلافات بخصوص الإيمان تَنتُج عن عقل مشوَّه، يُحرِّف كلمات الكتاب المقدس إلى مطابقةٍ لرأيها، بدلاً من ضبط ذلك الرأي مع كلمات الكتاب المقدس. وهكذا، وسط صِدام الأخطاء المتبادلة المدمرة، ظهرت مواقف الكنيسة، ليس فقط بتعليمها الخاص، بل بتعاليم منافسيها.

كلهم مصطَفُّون ضدها، لكن الحقيقة المطلقة في كونها تقف بمفردها ووحدها هي إجابتها الكافية على ضلالاتهم الكافرة*. الهراطقة يحشدون أنفسهم ضدها، وكل منهم يمكنه أن يهزم كل (الهراطقة) الآخرين، لكن لا يمكن لأحد أن يحقق انتصارًا لنفسه. الانتصار الوحيد هو النصر الذي تُحققه الكنيسة ضدهم كلهم. بمعنى آخر، كل هرطقة تَستخدم ضد خصمها سلاحًا محَطِّمًا بالفعل، بإدانة الكنيسة. لا توجد نقطة اتحاد بينهم، وحصيلة صراعاتهم الداخلية هي تثبيت الإيمان.

الرد على بدعة سابيليوس

٥- سابيليوس يُبطِل ميلاد الابن، ثم يبشِّر بوحدانية الله؛ لكنه لا يشُك في أن الطبيعة القوية، التي عمِلَت في المسيح الإنسان، كانت طبيعة الله. لقد أغمض عينيه عن سِر البنوة المُعلَن؛ الأعمال التي عُمِلَت تبدو مدهشةً جدًا له حتى إنه لا يمكنه أن يصدق أن مَن قام بها يمكنه أن يخضع لميلاد حقيقي. حينما يسمع الكلمات (القائلة): مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا[٦]، فإنه يقفز للاستنتاج المجدف عن الهوية غير المنقسمة وغير المتَمَيِّزة للطبيعة في الآب والابن، لأنه فَشَل في أن يرى أن إعلان الولادة هو الطريقة التي أُعلنت لنا بها وحدانية طبيعتهما. فإن حقيقة أن الآب مرئيٌّ في الابن هي

---

* مثلما وقف ق. أثناسيوس وحده ضد العالم، لأنه كان صوت الكنيسة الحقيقي ضد الهرطقة التي أوشكت أن تُهلك العالم المسيحي بأكمله.{م}

[٦] (يو ١٤: ٩)

إثباتٌ لألوهية الابن، وليست دحضًا لولادته. وهكذا فإن معرفتنا بكلٍ منهما مشروطة بمعرفتنا للآخر، فإنه لا يوجد اختلاف في الطبيعة بينهما. وبما أنهما واحد من هذه الناحية، فإن فحصنا الموقِّر لخاصية كليهما سوف تمنحنا نفاذ بصيرة حقيقي إلى طبيعة كليهما. من المؤكد أن مَن كان في هيئة الله، يجب في إعلانه عن نفسه أن يقدم نفسه لنا بالمظهر المضبوط لهيئة الله[٧]. مرة أخرى، هذا الضلال المنحرف والمخبول يستمد تشجيعًا آخر من الكلمات: أَنَا وَالْآبُ (نكون ἐσμεν) وَاحِدٌ[٨]. من خلال حقيقة الاتحاد في نفس الطبيعة قد استنتجوا - بعدم تقوى - وجود خلط للأشخاص، إذ أن تفسيرهم بأن الكلمات تدل على قوة مفردة، يتعارض مع فحوى العبارة. فإن: أَنَا وَالْآبُ (نكون) وَاحِدٌ، لا تدل على إله منعزل. فإن استخدام حرف العطف 'و' يُظهِر بوضوح أن هناك دلالةً على وجود أكثر من شخص واحد؛ و 'نكون'* تتطلب تعدد الفواعل. علاوة على ذلك، فإن كلمة 'واحد' لا تتعارض مع الولادة. هي تعني أن الشخصين لهما نفس الطبيعة المشتركة. إن كلمة 'واحد' لا تنسجم مع الاختلاف، و 'نكون' لا تنسجم مع التطابق.

---

[٧] قارن (في ٢: ٦)

[٨] (يو ١٠: ٣٠)

* فعل الكينونة ἐσμεν. وهو لا يظهر في اللغة العربية.{م}

هرطقة أريوس ترُد على هرطقة سابيليوس، والنتيجة في صالح الكنيسة

٦- ضعوا الهرطقة الحديثة[٩] في نفس صف ضلال سابيليوس المتطرف. دعوهم يحسنِّون وضع قضيتهم قدر الإمكان. الهراطقة الجدد سوف يقدمون جملة: الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي[١٠]، فإنهم سوف يحاولون أن يبرهنوا دونية طبيعته بتأكيده أن الآب أعظم، بإهمالهم لسر الميلاد الإلهي، وسر إخلاء الله لنفسه وتجسده. هم سوف يرُدون على سابيليوس بأن المسيح ابنٌ، طالما أمكن أن يكون ابنًا أدنى من الآب، ويحتاج استعادة مجده، ويخشى أن يموت، وقد مات بالفعل. سوف يورد سابيليوس أعماله[#] في رده، لكي يبرهن على طبيعته الإلهية؛ وبينما تلك الهرطقة الجديدة، لأجل الهرب من الاعتراف ببنوة المسيح الحقيقية، سوف تتفق معه تمامًا في أن الله واحد، فإن سابيليوس سوف يجزم على نحو مؤكد نفس بند الإيمان، بمعنى أنه لا يوجد ابن. إن أحد الجانبين يركز كل جهده على عمل الابن، أما الآخر فيجادل بأن الله ظاهر في هذا العمل. الواحد سوف يقدم الفردية، والآخر يُنكر التطابق. سابيليوس سيدافع عن موقفه قائلاً:-

«الأعمال التي عُمِلَت لا يمكن أن تكون قد تمت بأية طبيعة أخرى سوى الإلهية. الخطايا قد غُفِرَت، المرضى قد شُفوا، العُرج ركضوا، العميان رأوا، الموتى عاشوا. الله وحده له القوة على ذلك. إن الكلمات التي تقول: أَنَا

---

[٩] أي الأريوسية.

[١٠] (يو ١٤: ٢٨)

[#] أي أعمال المسيح.

وَالْآبُ (نكون) وَاحِدٌ، قد قيلت فقط من المعرفة الذاتية؛ لا يمكن لطبيعة خارج الآب أن تكون قد قالتها. لماذا إذًا تقترحون وجود كيان حقيقي آخر substance، وتُلِحون علي لكي أعتقد في إله ثانٍ؟ هذه الأعمال هي خاصة بالله؛ الإله الواحد قد صنعها».

أما خصومه الذين تحركهم الكراهية، الحاقدون بالمثل على الإيمان، فسوف يجادلون بأن الابن ليس من نفس جوهر الله الآب، قائلين:-

«أنت جاهل بسر خلاصنا. يجب أن تؤمن بابنٍ من خلاله قد خُلِق العالم، وبواسطته قد شُكِّل الإنسان، مَن أعطى الناموس بواسطة الملائكة، مَن وُلِد من مريم، مَن أُرسِل بواسطة الآب، مَن صُلِب ومات ودُفِن، وقام ثانيةً من الأموات وهو عن يمين الآب، الذي هو ديان الأحياء والأموات. إليه يجب أن نرتفع ثانيةً، ويجب أن نعترف به، ونستحق مكاننا في ملكوته».

إن كلا الطرفين المعاديين للكنيسة يحارب معركة الكنيسة. سابيليوس يُظهِر المسيح كإله بشهادة الطبيعة الإلهية الظاهرة في أعماله، أما أعداء سابيليوس فيعترفون بأن المسيح هو ابن الله، ببرهان الإيمان المُعلَن.

تخبُّط الهراطقة يصب في مصلحة الكنيسة

٧- إن إيماننا سوف ينتصر انتصارًا مجيدًا سواء انتصر الإيبيون - أي فوتينوس - اليوم أو هُزم! فإنه يؤنب سابيليوس على إنكاره أن ابن الله إنسانٌ، لكنه سيتعرض بدوره لملامات المتعصبين الأريوسيين بسبب فشله في رؤية أن هذا الإنسان هو ابن الله. إنه يدعو الأناجيل لمعونته ضد سابيليوس

لكي تبرهن على أنه ولد من مريم، لكن أريوس سيجرده من تلك المعونة بإثبات أن الأناجيل تقدم المسيح على أنه أكثر بكثير من مجرد ابنٍ لمريم. سابيليوس ينكر أن هناك ابنًا لله، فوتينوس يرفع ضده إنسانًا إلى رتبة ابنٍ. فوتينوس لن يسمع شيئًا عن أنه قد وُلِد قبل العالمين؛ أما أريوس فسيقاومه بإنكار أن الميلاد الوحيد لابن الله كان هو ميلاده البشري. دعوهم يهزمون بعضهم البعض بما تحوية قلوبهم، فإن كل انتصار يكسبه كل منهم يقابَل بهزيمة. خصومنا الحاليون مهزومون في مسألة الطبيعة الإلهية للابن؛ سابيليوس في مسألة الوجود المُعلَن للابن؛ فوتينوس مُدان بالجهل أو بالكذب أيضًا في إنكاره لميلاد الابن قبل الدهور. في نفس الوقت، فإن الكنيسة، التي إيمانها مبني على تعليم الإنجيليين والرسل، تتمسك بشدة، ضد سابيليوس، بتأكيدها أن الابن موجود؛ وضد أريوس، بأنه الله بالطبيعة؛ وضد فوتينوس، بأنه قد خَلق الكون. وهي الأكثر اقتناعًا بإيمانها، حتى إنهم لا يمكنهم أن يتحدوا لمعارضته. إن سابيليوس يشير إلى أعمال المسيح في إثبات ألوهية ذاك الذي شكَّلها، رغم أنه لا يعرف أن الابن كان مبدعها. والأريوسيون يُسلِّمون بأنه ابن الله، رغم أنهم لا يعترفون بأن الطبيعة الحقيقية لله حالَّةٌ فيه. فوتينوس يحافظ على إنسانيته، رغم أنه في ذِكره إياه ينسى أن المسيح قد وُلِد كإله قبل الدهور.

وهكذا، في تأكيداتهم المتعددة وإنكاراتهم، هناك نقاط تكون فيها كل هرطقة على حق في الدفاع أو الهجوم، أما إيماننا فيظهر للنور نتيجة صراعاتهم.

٨- لقد شعرت بأنني لا بُد أن أوفر وقتًا ولو قليلاً لكي أشير إلى هذا. لم يكن هذا رغبةً في الإسهاب، بل لأنه مفيد كتحذير. أولاً، أنا أريد إظهار الشخصيات الغامضة والمشوَّشة التي تتبجح بالهرطقات، والتي يؤول عداؤها المتبادل، كما قد رأينا، إلى فائدتنا. ثانيةً، في صراعي ضد التعاليم الهرطوقية للهرطقة الحديثة؛ أي، في مهمتي بخصوص إعلان أن الله الآب والله الابن لهما نفس الطبيعة الإلهية - بتعبير آخر، أن الآب والابن واحد في الاسم، وواحد في الطبيعة، وواحد في جوهر الألوهية الذي يمتلكونه - أردت أن أقي نفسي من أية تهمة قد تُوجَّه ضدي، سواء بالدفاع عن إلهين أو عن إله واحد وحيد ومنفرد. فإنني لم أُظهِر وجود خلط بين شخص (أقنوم) الله الآب و (أقنوم) الله الابن، كما قد قدمتهما؛ ولا أظهرت وجود أي اختلافٍ بين ألوهية الواحد والآخر، حينما أظهرت طبيعتهما المشترَكة. الكتاب السابق قد دحض بما فيه الكفاية هؤلاء الذين ينكرون وجود الله الابن بميلاد حقيقي من الله، بشهادة الأناجيل. أما مهمتي الحالية فهي إظهار أن الذي هو في حقيقة طبيعته ابن الله، هو أيضًا في حقيقة طبيعته إله. لكن هذا الإثبات لا يجب أن ينحل إلى تأكيد مميت لإله مفرد، أو إله آخر. ينبغي أن يُظهر الله كواحد لكنه ليس وحيدًا؛ لكن هذا الإثبات، في اهتمامه بتجنب خطأ جعله وحيدًا، لا يجب أن يقع في خطأ إنكار وحدانيته.

اسمه، ميلاده، طبيعته، قوّته، تأكيده الشخصي، كلها إثباتات لألوهيته

٩- هكذا فإننا لدينا كل تلك التأكيدات المتعددة عن ألوهية الرب يسوع المسيح؛ اسمه، ميلاده، طبيعته، قوّته، تأكيده الشخصي. من جهة الاسم، أنا أعتقد أنه لا يمكن أن يوجد شك. إنه مكتوب: فِي الْبَدْءِ كَانَ **الْكَلِمَةُ**، وَ**الْكَلِمَةُ** كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ **الْكَلِمَةُ** اللهَ[١١]. أي سببٍ يمكن أن يوجد للظن بأنه ليس ما يدل عليه اسمه؟ أفلا يصِف هذا الاسم طبيعته بوضوح؟ لو حدث تعارُض مع تصريح، فلا بُد أن يكون هذا لسببٍ ما. أنا أتساءل، أي سبب يوجد في هذه الحالة لأجل إنكار أنه الله؟ الاسم قد أُعطِي له، بوضوح وبدون شك، وغير مشروط بأية إضافة غير مناسِبة قد ترفع الشك. إننا نقرأ أن **الكلمة** الذي صار جسدًا، لم يكن آخر سوى الله. لا توجد هنا أية إمكانية لتخمين أنه قد قَبِل هذا الاسم كامتيازٍ، أو أخذه على عاتقه، بما معناه أنه يمتلك ألوهية شرفية ليست له بالطبيعة.

المواضع الكتابية التي سُمي فيها البشر آلهة

١٠- لاحظوا الأمثلة الأخرى المُسَجَّلة التي مُنِح فيها هذا الاسم كتفضل أو قد اتُّخِذ. لقد قيل لموسى: أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ[١٢]. ألا تُفَسِّر هذه الإضافة - فِرْعَوْنَ - (هذا) اللقب؟ هل منح الله لموسى الطبيعة الإلهية؟ ألم يجعل موسى بالحري إلهًا أمام مرأى فرعون، الذي كان على وشك الإصابة

---

[١١] (يو ١: ١)

[١٢] (خر ٧: ١)

بالرعب حينما ابتلعت أفعى موسى الأفاعي السحرية وعادت عصا، وحينما أرجع الحشرات السامة التي كان قد دعاها، وحينما أوقف البَرَد بنفس القوة التي بها قد استدعاه، وجعل الجراد يغادر بنفس القدرة التي أحضرته، وحينما رأى السحرة أصبع الله في العجائب التي صنعها؟ هذا هو المعنى الذي فيه عُيِّن موسى ليكون إلهًا لفرعون؛ لقد خاف وتضرع، ضَرب وشَفى. **أن تُعَيَّن كإله شيء، وأن تكون إلهًا هو شيء آخر.** لقد جُعل إلهًا لفرعون؛ لم يكن له نفس الطبيعة والاسم اللذان لله. كما أني أتذكر مثالاً آخر للاسم الذي أُعطي كلقب؛ الذي كُتِب فيه: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ[١٣]. لكن هذا هو منح الامتياز بشكلٍ واضح. عبارة 'أَنَا قُلْتُ' تُثبِت أنه ليس تعريفًا بل مجرد وصفٍ مِن أحدٍ قد اختار أن يتكلم هكذا. إنه تعريف يعطينا معرفة الشيء المُحدَّد، لأن الوصف يعتمد على إرادة المتكلم. حينما يمنح المتكلم لقبًا بشكل مُعلَن، فإن هذا اللقب يكون مصدره فقط كلمات المتكلم، وليس الشيء نفسه. اللقب ليس هو الاسم الذي يُعَبِّر عن طبيعته ونوعه.

الابن هو كلمة وحكمة وقوة الله

١١- أما بالنسبة لهذه الحالة* فإن **الكلمة** هو الله بالحق المُطلَق؛ جوهر essence اللاهوت يوجد في **الكلمة**، والجوهر مُعَبَّر عنه في اسم **الكلمة**. فإن اسم **الكلمة** متأصل في ابن الله كنتيجة لميلاده السري، مثلما أيضًا أسماء

---

[١٣] (مز ٨١: ٦) سبعينية، (٨٢: ٦) بيروتية.

* أي بالنسبة لقولنا إن الابن إله.{م}

الحكمة والقوة. تلك الأسماء، مع طبيعته التي له بالولادة الحقيقية، كلها تخُص ابن الله؛ ومع ذلك، فبما أنها صفات طبيعة الله، إذًا فهي مازالت متأصلةً فيه بلا نقص، رغم أنها قد أُعطيت منه لابنه. فإن السر الذي نبشر به، كما قد قُلنا كثيرًا أيضًا، هو عن ابنٍ لا يملك وجوده بالانقسام، بل بالميلاد. إنه ليس جزءًا مقطوعًا، أي غير كامل، بل ابن مولود، ولذا فهو كاملٌ؛ فإن الميلاد لا يتضمن أي نُقصان للوالد، إذ أن له كمال الابن المولود. بالتالي فإن ألقاب تلك الصفات[١٤] تنطبق على الله الابن الوحيد، فإنه حينما جاء للوجود بالميلاد كانت هي صفات كماله؛ وهذا بالرغم من أنها لم تهجر الآب، الذي هي موجودة فيه منذ الأزل، بطبيعته غير المتغيرة. على سبيل المثال، **الكلمة** هو الله الابن الوحيد، ومع ذلك فالآب غير المولود هو ليس أبدًا بدون **كلمته**. ليس أن طبيعة الابن هي تلك التي لصوت منطوق. إنه إله من إله، أبدي من خلال ولادة حقيقية؛ الابن الخاص بالله، المولود من الآب، غير المميَّز عنه في الطبيعة، ولذا فهو غير منقسم. هذا هو الدرس الذي ينبغي أن نتعلمه من لقبه '**الكلمة**'. وبنفس الطريقة المسيح هو **حكمة وقوة** الله؛ ليس كما اعتُبِر كثيرًا[١٥] على أنه الفعالية الجوهرية لقدرة أو فكر الآب، بل أن طبيعته، التي تملك من خلال الولادة وجودًا واقعيًا حقيقيًا، مُشار إليها بتلك الأسماء التي لقوة جوهرة. فإن الشيء، الذي له بالولادة وجوده الخاص، لا يمكن أن يُعتَبَر خاصية، لأن الخاصية متأصلة بالضرورة في كيانٍ ما ولا

---

[١٤] **الكلمة، والحكمة، والقوة.**

[١٥] بواسطة السابيليين.

يمكن أن يكون لها وجود مستقل. لكن، لأجل إنقاذنا من استنتاج أن الابن غريب عن الطبيعة الإلهية التي لأبيه، أعلن هو نفسه لنا أنه الابن الوحيد من الإله الأزلي أبيه، الإله المولود إلى وجود حقيقي خاص به، تحت تلك الخصائص، التي لم يعاني بسببها الآب - مصدر وجوده - من أي نقصان. وهكذا فإنه، لكونه إلهًا، ليس هو آخر سوى إلٰه. فإنني حينما سمعت قوله: وَكَانَ **الْكَلِمَةُ** الله، لم أدرك فقط أن الابن قد دُعي إلهًا، بل قد أوحت لي بأنه الله. في تلك الأمثلة السابقة، حينما دُعي موسى إلهًا ولُقِّب الآخرين بالآلهة، كانت هناك مجرد إضافة لاسمٍ كنوع من الألقاب. لكن في جملة 'وَكَانَ **الْكَلِمَةُ** الله' تُقَرَّر حقيقة جوهرية صلبة. هذا اللفظ 'كان' لا يشير إلى لقب عَرَضي، بل إلى حقيقة أزلية، وصفة دائمة من صفات وجوده، وخاصية جوهرية تخص طبيعته.

إيمان توما بألوهية الابن

١٢- والآن دعونا نرى إن كان اعتراف توما الرسول، حينما صرخ: رَبِّي وَإِلَهِي، يتوافق مع تأكيد ذاك الإنجيلي. سوف نرى أنه يتكلم عن ذاك الذي اعترف به كإله، قائلاً 'إِلَهِي'. لقد كان توما مُلِمًا بلا شك بتلك الكلمات الخاصة بالرب: اسْمَعْ، يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلَهُكَ رَبٌّ وَاحِدٌ. كيف إذًا أصبح إيمان الرسول واضحًا جدًا بأن الاعتراف بالمسيح كإله أمر أساسي، حينما تكون الحياة مشروطةً بالاعتراف بالوحدة الإلهية؟ السبب هو أن سِر الإيمان الكامل قد صار مرئيًا للرسول، في ضوء القيامة. لقد سمع كثيرًا مثل

تلك الكلمات: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، و: كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي، و: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ[16]، لذا فيمكنه الآن أن يعترف بأن اسم الله يُعَبِّر عن طبيعة المسيح، بدون أي خطر على الإيمان. وبدون أن يكسر إيمانه بالإله الواحد، الآب، يمكنه الآن أن يؤمن بابن الله كإله، بما أنه قد آمن بأن كل شيء محوي في طبيعة الابن هو بالحقيقة من نفس طبيعة الآب. لن يحتاج بعد ذلك أن يخاف من اعتبار اعترافه هذا إعلان عن إله ثاني، وخيانة لوحدانية الطبيعة الإلهية؛ فإن مَن هو موجود بالولادة الكاملة لا يمكن أن يكون إلهًا ثانيًا. بهذا فإن اعتراف توما بربه وإلهه كان بمعرفة كاملة بسر الإنجيل. لم يكن لقبًا شرفيًا، بل كان اعترافًا بالطبيعة (الإلهية). لقد آمن بأن المسيح إلهًا بحسب الجوهر والقدرة. والرب بدوره يُظهِر أن هذا التوقير لم يكن مجرد تعبير عن التبجيل، بل عن الإيمان، بقوله: لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا[17]. فإن توما قد رأى قبل أن يؤمن. لكنكم تسألون، ما هو هذا الذي آمن به توما؟ هذا كان بلا شك ما قد عبَّر عنه في كلماته: رَبِّي وَإِلَهِي. لا توجد طبيعة غير طبيعة الله يمكنها أن تقوم بقدرتها الخاصة من الموت إلى الحياة. فإن تلك الحقيقة، أن المسيح هو الله، هي التي اعترف بها توما بثقة الإيمان. فهل نتوهم نحن بأن اسمه 'الله' ليس حقيقةً واقعيةً، حينما أُعلِن هذا الاسم بإيمانٍ أُسِس على برهان أكيد؟ من المؤكد أن الابن المُخلِص لأبيه، الذي لم يعمل مشيئته الخاصة بل مشيئة مَن أرسله، الذي لم يَطلب

---

[16] (يو ١٠: ٣٠، ١٦: ١٥، ١٤: ١١)

[17] (يو ٢٠: ٢٩)

مجده الخاص بل تَجد مَن خرج منه، كان ليرفض العبادة المتضمَّنة في هذا الاسم، لو كان يهدم تلك الوحدة الإلهية التي كانت هي الفكرة الرئيسة لتعليمه. لكنه مع ذلك يُثبِت هذا التأكيد للحقيقة السرية، الذي أقره الرسول بإيمان؛ لقد قبِل الاسم الذي يخص طبيعة الآب كشيء يخصه. بل هو يُطوِّب هؤلاء الذين قد آمنوا بأنه الله، بثقتهم في القيامة، رغم أنهم لم يروه وهو قائم من الأموات.

لأن الاسم يُعبِّر عن الطبيعة، وكلاهما له اسم الله، فهما من نفس الجوهر

١٣- وهكذا فإن الاسم الذي يُعبِّر عن طبيعته يُثبِت حقيقة اعترافنا بالإيمان. فإن الاسم، الذي يدُل على أية شيء مستقل، يشير أيضًا إلى أي شيء آخر من نفس النوع؛ وفي هذه الحالة، لا يوجد شيآن بل شيء واحد، من نوع واحد. إن ابن الله هو الله؛ هذه هي الحقيقة المُعَبَّر عنها في اسمه. هذا الاسم الواحد لا يتضمن وجود إلهين؛ فإن الاسم الواحد 'الله' هو اسم الطبيعة الواحدة غير المنقسمة. وبما أن الآب هو الله والابن هو الله، وهذا الاسم المميِّز للطبيعة الإلهية متأصل في كلٍ منهما، لذا فإن الاثنين واحد. فإن الابن، رغم أنه يوجد من خلال الميلاد من الطبيعة الإلهية، إلا أنه يحتفظ بالوحدانية في اسمه؛ وهذا الميلاد الذي للابن لا يُجبِر المؤمنين المُخلِصين على الاعتراف بإلهين، بما أن اعترافنا يُعلِن أن الآب والابن واحدٌ، سواء في الطبيعة أو في الاسم. وهكذا فإن ابن الله له الاسم الإلهي كنتيجة لميلاده. الخطوة الثانية الآن في إثباتنا هي إظهار أنه الله بفضل ميلاده. إنني لازلت

مضطرًا لتقديم برهان الرسل بأن الاسم الإلهي يُستخدَم مِن قِبله بمعنى دقيق؛ لكنني في الوقت الحالي أعتزم الاستمرار في استعلامي عن أسلوب الأناجيل.

الطبيعة نفسها تعلِّمنا أن المولود له نفس طبيعة الوالد

١٤- والآن أنا أسأل أولاً، ما هو العنصر الجديد، المدمر لألوهيته، الذي يمكن أن يُنقَل بالولادة إلى طبيعة الابن؟ المَنطق العالمي لا يقبل الافتراض بأن الكيان يمكن أن يصير بعملية الولادة مختلفًا في الطبيعة عن الكيان الذي نشأَت عنه الولادة - بالرغم من أننا نعترف بإمكانية وجود ذُرية تشترك في طبيعة والدين مختلفين في النوع، لكنها تكون مختلفةً عن كلٍ منهما*. تلك الحقيقة مألوفة في حالة البهائم، سواء الأليفة أو البرِّية. لكن حتى في هذه الحالة لا يوجد شيء جديد حقيقي؛ الصفات الجديدة توجد بالفعل، مختفيةً في الطبيعتين الأبويتين المختلفتين، وهي تنشأ فقط بالارتباط. إن ولادة ذريتهما المشترَكة ليست هي السبب في اختلاف الذرية عن الأبوين، فالاختلاف هو منحة منهما بها تنوعات متعددة، تُقبَل وتتحد في إطارٍ واحد. فإن كانت هذه هي الحالة حتى بالنسبة إلى إرسال واستقبال الاختلافات الجسدية، ألا يكون نوعًا من الجنون التأكيد على أن ولادة الله الابن الوحيد كانت ولادة من الله لطبيعة أدنى من نفسه؟ فإن الولادة هي

* مثل البغل الذي هو ناتج زواج حصان وحمار، لكنه يختلف عن كليهما.{م}

وظيفة الطبيعة الحقيقية لإرسال الحياة؛ وبدون وجود وعمل الطبيعة الحقيقية لا يمكن أن تحدث أية ولادة.

إن الهدف من كل هذا الهياج والانفعال هو إثبات أنه لم تكن هناك أية ولادة، بل خَلق، لابن الله؛ أن الطبيعة الإلهية ليست مصدره وأنه لا يمتلك الطبيعة في وجوده الشخصي، بل يكتسب من العدم طبيعةً مختلفةً في النوع عن الطبيعة الإلهية. إنهم غاضبون لأنه يقول: اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ[١٨]. فإنه، بما أن الله روح، فمن الواضح أن الذي وُلِد منه لا يمكن أن يوجد فيه شيء غريب أو مختلف عن ذاك الروح الذي ولِد منه. هكذا فإن ولادة الله تُعَيِّنه إلهًا كاملاً. **ولهذا السبب أيضًا من الواضح أننا لا يجب أن نقول إنه ابتدأ في الوجود، لكن فقط إنه قد وُلِد.** فإن هناك اختلافًا بين الابتداء والولادة. الشيء الذي يبدأ في الوجود إما أنه يأتي للوجود من لا شيء، أو يتطور من حالة إلى أخرى، متوقفًا عما كان سابقًا؛ هكذا، على سبيل المثال، الذهب قد تشكَّل من الأرض، والمواد الصلبة تنصهر إلى سوائل، والبرد يتحول إلى دفء، والأبيض إلى أحمر*، والماء يستولد مخلوقاتٍ متحركةً#، والأشياء الميتة تتحول إلى حية. بالمقارنة

---

[١٨] (يو ٣: ٦)

* قد يكون قصده تحول الماء إلى دم في إحدى الضربات العشر، أو تحول الماء إلى خمر في العرس. أو تحول بعض الثمرات إلى اللون الأحمر عندما تنضج، مثل الطماطم مثلاً.{م}

«وَقَالَ الله: لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ... فَخَلَقَ الله التَّنَانِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَّابَةِ التِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا».(تك ١: ٢٠، ٢١).{م}

مع كل هذه، فإن ابن الله لم يبتدئ من العدم ليكون إلهًا، لكنه وُلِد كإله؛ ولا كان له وجودٌ من نوع آخر قبل الوجود الإلهي. وهكذا فإن الذي وُلِد كي يكون إلهًا لم يكن له ابتداءٌ لألوهيته، ولا حدث تطور لها. هذه الولادة احتفظت له بتلك الطبيعة التي منها قد جاء للوجود، وهكذا فإن ابن الله، في وجوده الواضح، هو من طبيعة الله، وليس شيئًا آخر.

المساواة لا يمكن أن توجد في الاختلاف، ولا في الانفراد

١٥- وأيضًا أي شخصٍ في شكٍ من جهة هذا الأمر يمكنه أن يحصل من اليهود على معرفةٍ دقيقةٍ بطبيعة المسيح؛ أو بالحري يتعلم من الإنجيل أنه قد وُلِد بالحقيقة، إذ كُتِب: فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ الله أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللهِ[١٩]. هذه الفقرة لا تُشبه معظم الفقرات الأخرى في أنها لا تقدم لنا الكلمات التي قالها اليهود، بل تقدم لنا توضيح الرسول لحافز رغبتهم في قتل الرب. إننا نرى أنه لا توجد ذريعة لسوء الفهم يمكن أن تُبرِّر خُبث هؤلاء المجدفين؛ فإننا لدينا برهان الرسول على أن الطبيعة الحقيقية للمسيح كانت مُعلَنةً بالكامل لهم. لقد أمكنهم أن يقولوا عن ميلاده: قَالَ إِنَّ الله أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللهِ. ألم تكن ولادته بوضوحٍ ولادة طبيعة من طبيعة، حينما أَعلن مساواة طبيعته بقوله عن الله، بالاسم، إنه أبوه؟ من الواضح الآن أن المساواة متضمَّنة في غياب الاختلاف بين هذين المتساويين. أليس واضحًا أيضًا أن

---

[١٩] (يوه: ١٨)

نتيجة الولادة يجب أن تكون طبيعةً لا يوجد بها اختلاف بين الابن والآب؟ وهذا هو المصدر الوحيد الممكن للمساواة الحقيقية، إذ أن الولادة يمكنها فقط أن تُحضِر للوجود طبيعةً تتساوى مع مصدرها. لكننا أيضًا لا يمكننا أكثر من ذلك أن نتمسك بأن هناك مساواةً حينما يكون هناك مزجٌ، مثلما لا يمكننا ذلك أيضًا حينما يكون هناك اختلافٌ. وبهذا فإن المساواة، مثلما في الصورة[٢]، تتعارض مع الفردية ومع الاختلاف؛ فإن المساواة لا يمكن أن توجد في الاختلاف، ولا في الانفراد.

مَن لا يُكرِم الابن لا يُكرِم الآب

١٦- والآن، بالرغم من أننا قد وجدنا أن كل ما كُتب، كما نفهمه، منسجمًا مع استنتاجات المنطق المعتاد، والاثنان يتفقان على أن المساواة تتعارض سواء مع الاختلاف أو مع الانفراد، إلا أننا يجب أن نطلب دعمًا حديثًا لكفاحنا من الكلام الفعلي لربنا، إذ بهذا يمكننا فقط أن نتحقق من فسق التفسير المستبد الذي به يمكن لمنتهكي الإيمان الوقحين أن يجرؤوا على إثارة الاعتراضات التافهة على إعلان الرب الشخصي المهيب عن نفسه. لقد كان رده على اليهود هكذا:- لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ؛ لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ. لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الابْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ، وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هذِهِ، لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِيهِم، كَذلِكَ الابْنُ أَيْضًا

---

[٢] قارن بما جاء في (عب ١: ٣) عن وصف علاقة الابن بالآب بأنه 'صورة جوهره'.

يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ. لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ، لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ[٢١]. إن سياق جدالنا، كما رسمته في عقلي، يتطلب معالجة كل نقطة مستقلة في المناقشة بمفردها؛ أي، بما أننا قد تعلمنا أن ربنا يسوع المسيح، ابن الله، هو إله بالاسم، وبالميلاد، وبالطبيعة، وبالقدرة، وبالإعلان الذاتي، فإن شرحنا للإيمان يجب أن يؤسس كل نقطة متعاقبة في ذلك الترتيب. لكن ميلاده هو عائق لمثل هذه المعالجة للمسألة؛ فإن التأمل فيه يتضمن التأمل في اسمه وطبيعته وقدرته وإعلانه عن ذاته. إن ميلاده يشتمل على كل هذه، وهي تخصه بواقع أنه مولود. وهكذا فإن جدالنا بخصوص ميلاده قد اتخذ هذا الطريق حتى إنه مستحيل لنا أن نُرجئ تلك المسائل الأخرى في دورها إلى مناقشة منفصلة.

وحدة إرادتهما تُثبِت وحدة طبيعتهما

١٧- إن السبب الرئيس وراء رغبة اليهود في قتل الرب كان هذا، أنه في دعوته لله كأبيه، قد جعل نفسه مساويًا لله؛ ولذا فقد وضع إجابته، التي فيها قد وبَّخ انفعالهم الشرير، إلى شكل شرح للسر الكامل لإيماننا. فإنه قبل ذلك مباشرةً، حينما شفى المشلول وحكموا عليه بأنه كان مستحقًا للموت لكسر السبت، قال: أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ[٢٢]. إن غيرتهم قد

---

[٢١] (يو ٥: ١٩- ٢٣)

[٢٢] (يو ٥: ١٧)

اشتعلت لأقصى درجة برفعه لنفسه إلى مستوى الله الذي كان متضمنًا في هذا الاستخدام لاسم الآب. والآن هو يريد تأكيد ميلاده وإظهار قوة طبيعته، ولذا فهو يقول: أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. تلك الكلمات الافتتاحية لإجابته كانت مقصودة لأجل هذه الغيرة الشريرة لليهود، التي عجلتهم حتى على الرغبة في قتله. إن قوله: أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ، له علاقة بتُهمة كسر السبت. لقد أراد منهم أن يفهموا أن ممارسته قد بررها السلطان الإلهي؛ وقد علَّمهم بنفس الكلمات أن عمله لا بُد أن يُعتبَر كعمل الآب، الذي كان يعمل فيه كل ما قد صنعه. وأيضًا كان قوله لتلك الكلمات لأجل تلطيف الغيرة التي أيقظها كلامه عن الله بأنه أبيه. الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لقد كان قوله، إن الابن لا يقدر أن يعمل شيئًا إلا ما ينظر الآب يعمله، هو خوفًا من أن مساواته لنفسه مع الله، لامتلاكه اسم وطبيعة ابن الله، قد يحوِّل إيمان البشر عن حقيقة أنه قد وُلِد. ثم بعد ذلك، في إثباته للتوافق الخلاصي للحقائق في اعترافنا بالآب والابن، يَعرِض تلك الطبيعة التي هي له بالولادة؛ الطبيعة التي لا تستمد قوَّتها في العمل من نوالها للقوة لأجل عمل صنائع مخصوصة، بل من المعرفة. إنه يُظهر أن تلك المعرفة ليست ممنوحة بتأدية الآب لأي عمل جسدي، كنموذج، كي يمكن للابن أن يُقلِّد ما قد فعله الآب قبلاً؛ بل أنه، بفعل الطبيعة الإلهية، قد بلغ مُشاركة وجود الطبيعة الإلهية، أو، بقول آخر، قد وُلِد كابن من الآب. لقد أخبرهم أنه، بسبب أن قوة وطبيعة الله قد وُجِدتا فيه على نحو مقصود،

قد كان مستحيلاً له عمل أي شيء لم ينظر الآب فاعله؛ أي، بما أنه الله الابن الوحيد يمكنه أن يعمل أعماله بقوة الآب، إذًا فحريته في العمل تتطابق في مداها مع معرفته بقدرات طبيعة الله الآب. إنها طبيعة غير منفصلة عن نفسه، وهو يقتنيها بشكل شرعي لأنه مولود. فإن الله لا يَرى بشكل جسدي، بل يملك بطبيعته الرؤية كاملة القدرة.

١٨- الكلمات التالية هي هذه، لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ - الآب - فَهذَا أَيضًا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ. تلك الكلمة 'كذلك' قد أُضيفت لكي تشير إلى ولادته؛ 'مهما' و 'أيضًا' تجعل من المستحيل وجود أي عمل يخصه مختلفًا عن أعمال الآب، أو خارجًا عنها. لأجل هذا فإن مَن كانت لطبيعته القدرة على عمل نفس الأشياء كلها التي للآب، موجود في نفس الطبيعة مع الآب. لكن حينما نقرأ، بالمقارنة مع هذا، أن نفس تلك الأشياء كلها يعملها الابن 'كذلك'، فإن حقيقة أن الأعمال تشبه أعمال آخر تنقض الافتراض بأن مَن يعملها يعمل بمفرده. لذا فإن نفس الأشياء التي يعملها الآب تُعمَل كلها كذلك مِن قِبل الابن. لدينا هنا إثبات واضح لولادته الحقيقية، وفي نفس الوقت شهادة مقنِعة عن سِر إيماننا، الذي، بتأسيسه على وحدة طبيعة الله، يَعترف بأن في الآب والابن تكمُن ألوهية غير منقسمة. فإن الابن يعمل نفس الأشياء مثل الآب، ويعملها بطريقة مماثلة، إذ بينما يعمل بنفس الطريقة فإنه يعمل نفس الأشياء. هناك حقيقتان مجتمعتان في مسألة واحدة؛ كون أعماله معمولةً بنفس الطريقة يثبت ولادته، وكونها نفس الأعمال يبرهن على طبيعته.

معرفة الابن بالمستقبل معرفة كاملة

١٩- لأجل هذا فإن الإعلان المتدرج الموجود في رد الرب ينتمي للتصريح المتدرج عن الحق الموجود في اعتراف الكنيسة بالإيمان. لا أحد فيهما يقسِّم الطبيعة، وكلاهما يؤكد الولادة. فإن كلمات المسيح التالية هي: لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الابْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ، وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هذِهِ، لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِيهِم، كَذلِكَ الابْنُ أَيْضًا يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ. هل يمكن أن يوجد أي افتراض آخر في هذا الإعلان عن طريقة عمل الله، عدا الذي يغرس في الذهن الميلاد الحقيقي - أي الإيمان بابنٍ كائنٍ ومولود من الإله الكائن، الذي هو أبيه؟ إن التفسير الوحيد الآخر هو أن الله الابن الوحيد كان يجهل احتياجه للوسيلة المنقولة في هذا الزعم؛ لكن التجديف الطائش للاقتراح يجعل هذا البديل مستحيلاً. فإن العارف كل شيء لا يحتاج للتعليم، لأنه يعرف، ولأنه متعلِّم. وتِبعًا لذلك، بعد قوله: الآبَ يُحِبُّ الابْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ، قد أخبرنا بأن كل هذا الزعم هو لتوصيتنا بالإيمان؛ أي لكي نؤمن بالآب والابن، إذ أن هذا التصريح عن أن الآب يُظهِر كل ما يعمل للابن، ينقذنا من الانخداع بأن معرفة الابن ليست كاملة. لهذا الغرض استمر يقول: وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هذِهِ، لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِيهِم، كَذلِكَ الابْنُ أَيْضًا يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ. هنا نرى أن الابن له المعرفة الكاملة بالأعمال المستقبلية التي سوف يُظهرها الآب له بعدئذ. هو يعرف أنه سوف تُعلَن له مثل أبيه كيفية إعطاء الحياة للموتى. فإنه يقول إن الآب سوف يُظهِر للابن

أشياءً سوف يتعجبون منها، ثم يخرهم في التو بما هي تلك الأشياء:- لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِيهِم، كَذلِكَ الابْنُ أَيْضًا يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ. القوة متساوية بسبب أن الطبيعة هي نفسها. إن إظهار الأعمال هو مساعدة لإيماننا، وليس لعدم معرفته. إنها لا تنقل للابن أية معرفة بأشياء غير معروفة، بل تمنحنا الثقة في الإعلان عن ولادته، بجعلنا متأكدين أن الآب قد أظهر له كل الأعمال التي يمكنه هو نفسه أن يعملها. لقد أُختيرت المصطلحات المستخدمة في هذه المحادثة بتأنٍ شديد، لئلا يوحي أي غموض لغوي بوجود اختلاف في الطبيعة بين الاثنين. المسيح يقول إن أعمال الآب قد أُظهِرت له، بدلاً من أن يقول إن طبيعة قوية قد أُعطيت له كي تُمكِّنه من القيام بها. بهذا فإنه يريد أن يعلِن لنا أن هذا الإظهار كان جزءًا جوهريًا من عملية ولادته، بما أنه، في وقت واحد مع الولادة، قد وُهِبت له بمحبة الآب المعرفة بالأعمال التي أراد الآب أن يعملها. وأيضًا لكي يخلصنا من أن ننقاد، بتوضيح هذا الإعلان، لافتراض أن طبيعة الابن عديمة المعرفة ومختلفة بالتالي عن طبيعة الآب، فإنه يوضِّح لنا أنه يعرف بالفعل الأشياء التي ستُعلَن له. إنه بعيدٌ بالفعل عن الاحتياج لسُلطة سابقة كي يمكنه العمل، إذ أنه يُعطي الحياة لمن يريد. فإن الإرادة تتضمن وجود طبيعة حرة، تبقى لها القدرة على الاختيار بممارسة القدرة الكلية.

التمييز الوحيد بين الآب والابن هو أن الابن مولود

٣٠- وبعدئذ، خشية أن يبدو مَنح الحياة لمن يريد ليس من ضمن قُدرة مَن قد وُلِد بالحقيقة، بل هو مجرد امتياز مُنِح له من القدرة الكلية غير المولودة، استعجل في إضافة: لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ. إن التصريح بأن كل الدينونة مُعطاة يخبرنا بكلٍ من ميلاده وبنوته؛ فإن الطبيعة التي هي واحدة تمامًا مع طبيعة الآب هي التي يمكنها فقط أن تملك كل شيء؛ وكل ما للابن قد أُعطي له (من الآب). لكن كل الدينونة قد أُعطيَت له، لأنه يُحيي مَن يشاء. الآن لا يمكننا أن نفترض أن الدينونة لم تعُد للآب، رغم أنه لا يمارسها؛ فإن القُدرة الكُلية للابن على الدينونة تنشأ من قدرة الآب، وهي عطية منه. لا يوجد كتمانٌ للسبب وراء إعطاء الدينونة للابن، فإن الكلمات التالية هي: بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ، لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ. فهل مازال هناك عذر للشك، أو للإنكار عديم التقوى؟ إن السبب وراء عطية الدينونة هو أن ينال الابن إكرامًا مساويًا لما يُعطى للآب؛ وبهذا فإن مَن لا يكرم الابن هو مذنب في عدم إكرامه للآب أيضًا. كيف، بعد هذا الإثبات، يمكننا أن نتخيل أن الطبيعة المعطاة له بالولادة مختلفةٌ عن التي للآب، حينما يكون مساويًا للآب في العمل، والقدرة، والكرامة، والعقاب الموقَّع على المخالفين؟ وهكذا فإن كل الرد الإلهي ليس سوى كشف لسر ولادته. **والتمييز الوحيد الصحيح أو**

الممكن عمله بين الآب والابن هو أن الأخير قد وُلِد؛ ومع ذلك فهو مولود بالطريقة التي بها يكون واحدًا مع الآب.

كونه يعمل أعمال الآب يؤكد طبيعته الإلهية

٢١- لأجل هذا يعمل الآب حتى الآن والابن يعمل. لديكم في الآب والابن الاسمان اللذان يُعبِّران عن طبيعتهما في علاقتهما ببعضهما البعض. لاحظوا أيضًا أن التي تعمل هنا هي الطبيعة الإلهية، والتي من خلالها يعمل الله. فتذكَّروا - لئلا تسقُطوا في خطأ تصوُّر وجود وصف لفعالية طبيعتين غير متماثلتين هنا - كيف قيل عن الرجل الأعمى: لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ. يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي[٢٣]. أنتم ترون أن في حالته هذه، العمل المعمول بواسطة الابن هو عمل الآب؛ وعمل الابن هو عمل الآب. الباقي من المقالة، والذي سوف نأخذه بعين الاعتبار، يتعامل أيضًا مع الأعمال؛ لكن دفاعي في الوقت الحالي يتعلق بتخصيص العمل كله لهما، ويشير إلى أنهما واحد في طريقتهما في العمل، بما أن الابن يعمل العمل الذي يعمله الآب حتى الآن.

إن الإقرار الموجود في تلك الحقيقة عن أن الآب يعمل معه في كل ما يعمل - بفضل ميلاده الإلهي - سوف يُخلِّصنا من افتراض أن رب السبت كان يعمل خطأً بالعمل في السبت. وبنوَّته غير متأثرة، إذ لا يوجد تشويش بين لاهوته ولاهوت الآب، ولا يوجد إنكار لها؛ ألوهيته غير متأثرة، لأن

---

[٢٣] (يو ٩: ٣، ٤)

طبيعته الإلهية غير ملموسة. وحدتهما غير متأثرة، فإنه لا يوجد اختلاف ظاهر يفصلهما؛ ووحدتهما لا توحي لنا بما يعارض وجودهما الواضح. اِعترِفوا أولاً ببنوة الابن، إذ قيل: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. هنا ولادته مُعلَنة هنا لسبب واحد، ألا وهو أنه لا يعمل شيئًا من نفسه حتى يراه معمولاً. لا يمكن أن يكون غير مولود، لأنه لا يمكنه أن يعمل شيئًا من نفسه؛ هو لا يبدأ في العمل حده، لذا فلا بُد أنه قد وُلِد. لكن حقيقة أنه يمكنه أن يرى أعمال الآب تُثبِت أنه كانت له معرفة صاحب الألوهية العارف بطبيعته. ثم لاحِظوا اقتناءه لتلك الطبيعة الإلهية (في قوله): لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ. والآن بما أننا قد رأيناه ممنوحًا تلك القدرات التي لتلك الطبيعة، فلاحِظوا كيف أن هذه النتائج في وحدةٍ، وكيف أن طبيعةً واحدةً تقطُن في الاثنين، إذ قيل: لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. وبعدئذ، لئلا يربككم انعكاس تلك الوحدة ويضلكم بفكرة وجود إله منفرد ومكتفي بذاته، فكِّروا جديًّا في سِر الإيمان المُعلَن في تلك الكلمات: مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ. قد تعمل بدعة الهرطقة ومكرها أسوأ ما لديهما، لكن موقفنا منيع. هو ابن، لأنه لا يمكنه أن يعمل شيئًا من ذاته؛ هو إله، لأن مهما يعمل الآب يعمله هو؛ هما الاثنان واحد، لأنه مساوٍ للآب في الكرامة ويعمل نفس الأعمال ذاتها؛ هو ليس الآب، لأنه مُرسَل. فيا لعظم غِنى الحق الموجود في هذا التعليم الواحد عن الولادة! إنه يتضمن اسمه، وطبيعته، وقوَّته، وإعلانه عن ذاته؛ فإن كل شيء يأخذه بميلاده لا بُد أن يوجد في تلك

الطبيعة التي منها نشأت ولادته. لا يوجد عنصر مقدَّم من أي مادة داخل طبيعته مختلفًا في النوع عما لمصدره، لأن الطبيعة التي تولَد من طبيعة واحدة فقط لا بُد أن تكون واحدةً بالتمام مع تلك الطبيعة التي لوالدها. الوحدة التي لا تحتوي على أية عناصر متعارضة، هي واحدة في النوع مع نفسها؛ الوحدة الناشئة من خلال الولادة لا يمكن أن تكون منفردةً؛ لأن الانفراد لا يمكن أن يكون له سوى مالك واحد، بينما الوحدة الناشئة من خلال الولادة تتضمن وجود وحدة بين اثنين.

أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ

٢٢- علاوة على ذلك، دعوا كلماته الإلهية الشخصية تشهد لنفسه. فإنه يقول: خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي؛ وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ[٢٤]. أي نعاسٍ يمكن أن يجعل فهمنا بليدًا تمامًا حتى نجعل تصريحًا دقيقًا مثل هذا مُبهمًا لنا في لحظة؟ أية سفسطة متغطرسة تلك التي يمكنها أن تمارس المزاح مع القابلية البشرية للتعليم، إذ تُقنِع هؤلاء الذين تعلَّموا من تلك الكلمات معرفة الله، ألا يعترفوا بالله في ذاك الذي قد أُعلِنَت ألوهيته لهم هنا؟ ينبغي للهرطقة أيضًا أن تقدم الأناجيل الأخرى لكي تدعم تعليمها؛ أو بطريقة أخرى، لو كانت أناجيلنا الموجودة هي الوثائق الوحيدة التي تُعلِّم عن

---

[٢٤] (يو ١٠: ٢٧- ٣٠)

الله، فلماذا لا يؤمنون بالدروس المُدرَّسة؟ لو كانت هي المصدر الوحيد للمعرفة، فلماذا لا نكتسب الإيمان منها، مثلما نكتسب المعرفة؟ حتى الآن نحن نجد أنهم متمسكون بإيمانهم تحديًا لمعرفتهم؛ ومن ثَم فهو إيمان غير متأصلٍ في المعرفة، بل في الإثم؛ إيمان به عدم توقيرٍ وقِح، بدلاً من التوقير المتواضع أمام مهابة الحقيقة المعروفة. الله الابن الوحيد، كما قد رأينا، العارف بطبيعته تمامًا، يُعلِن سِر ميلاده بالدقة القصوى للغة. إنه يُعلِنه رغم كونه يفوق الوصف، بتلك الطريقة التي يمكننا بها أن نؤمن ونعترف به*؛ كي يمكننا أن نفهم أن له طبيعة الله وأنه واحد مع الآب، وواحد معه بمعنى أن الله ليس وحيدًا ولا أن الابن هو الاسم الآخر للآب، بل أنه الابن بالحق المطلق. فإنه أولاً يؤكد لنا قدرات طبيعته الإلهية، قائلاً عن خرافه: وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. إن هذا الاعتراف بالمقدرة الحُرة التي لا يمكن مقاومتها هو كلام القوة المُدرِكة، التي لن تسمح لأحد بخطف خرافه من يده. لكن الأكثر من هذا؛ ليس فقط أن له طبيعة الله، بل أنه سوف يجعلنا نعرف أن تلك الطبيعة هي طبيعته بالولادة من الله، ومن ثَم فهو يضيف: أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ. إنه لا يخفي أي سِر عن ميلاده من الآب، فإنه يتكلم عما قبلَه من الآب الذي هو أعظم من الكل. فإن الذي قبلها، قد قبلها عند ولادته، وليس بعد ولادته، ومع ذلك فقد أتت إليه من آخر، لأنه قد قبلها[٢٥]. لكن مَن يقبل تلك العطية من

* أي بالسر.{م}

[٢٥] إذ إنه مولود.

آخر، يمنعنا من افتراض أنه هو نفسه مختلف في النوع عن ذاك الآخر، وأنه لا يوجد بنفس طبيعة مَن أعطى العطية، بقوله: لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَهَا مِنْ يَدِ أَبِي. لا أحد يمكنه أن يخطفها من يده، لأنه قد قبِل من أبيه الذي هو أعظم من كل شيء. ما الذي يعنيه إذًا هذا التأكيد المتناقض على أن أحدًا لا يقدر أن يخطفها من يد أبيه؟ إن يد الابن هي التي قبلتها من الآب، ويد الآب هي التي أعطتها للابن؛ بأي معنىً قيل إن ما لا يمكن خطفه من يد الابن لا يمكن خطفه من يد الآب؟ اسمعوا، إن كنتم تريدون أن تعرفوا: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ. يد الابن هي يد الآب. فإن الطبيعة الإلهية لا تفسد ولا تتوقف عن كونها بالمثل في عبور الولادة؛ ولا حتى هذا التماثل عائق لإيماننا بالولادة، لأن في تلك الولادة لا يوجد عنصر غريب قد قُبِل في طبيعته. وهو هنا يتكلم عن يد الابن، التي هي يد الآب، حتى يمكنكم بالتشبيه المادي أن تكتشفوا قوة الطبيعة الإلهية الموجودة في كليهما؛ فإن طبيعة وقوة الآب هي في الابن. ثم أخيرًا قيلت تلك الكلمات: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، كي يمكنكم في تلك الحقيقة الغامضة التي للولادة أن تروا وحدة طبيعة الله الحقيقية وغير الممكن تمييزها. لقد قيلت لكي يمكننا أن نرى في تلك الوحدة عدم وجود أي اختلاف أو انفراد؛ فإنهما اثنان، ومع ذلك لم تأت للوجود أية طبيعة ثانية من خلال تلك الولادة والميلاد الحقيقي*.

* ولادة الآب للابن، وميلاد الابن من الآب.{م}

كما أراد اليهود رجمه كإنسان هكذا يفعل الهراطقة معه كإله

٢٣- لا زِلت أرى نفس الرغبة في تلك الأنفس التي قد جُنَّت، رغم أن فرصتهم في تحقيقها خاسرة. قلوبهم القاسية لا زالت تتعلق باشتياق إلى أذى لا يمكنهم أن يأملوا أكثر من ذلك في إرضاءه. الرب في عرشه في السماء، وضغينة الهرطقة الغاضبة لا يمكنها جَرِّه إلى الصليب مثلما فعل اليهود. لكن روح الكُفر هي نفسها رغم أنها تأخذ الآن هيئة رفض ألوهيته. إنهم يطلبون تحدِّي كلماته، رغم أنهم لا يمكنهم إنكار أنه قد قالها. إنهم يُنفِّسون ضغينتهم بالتجديف، وعوضًا عن الحجارة يُمطرون الإفساد. لو أمكنهم لأنزلوه من عرشه لكي يُصلَب ثانيةً. حينما أثار تعليم المسيح الجديد حنق اليهود، نقرأ: فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَجَابَهُمْ (يَسُوعُ): أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ الآبِ؛ بِسَبَبِ أَيِّ عَمَل مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟ أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَل حَسَنٍ، بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ؛ فَإِنَّكَ، وَأَنْتَ إِنْسَانٌ، تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا[٢٦]. إنني أدعوكم، أيها الهراطقة، أن تعترفوا هنا بصنائعكم وكلماتكم الخاصة. تأكدوا أنكم شركائهم، فإنكم قد جعلتم كُفرهم نموذجكم. لقد كان بسبب تلك الكلمات: أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ، أن اليهود تناولوا حجارة. إن تهيجهم المُلحد على إظهار ذلك السر الخلاصي عجَّلهم حتى على محاولة القتل. لا يوجد أحد يمكنكم رجمه؛ لكن هل معصيتكم بإنكاره أقل من معصيتهم؟ الرغبة

---

[٢٦] (يو ١٠: ٣١- ٣٣)

واحدة، رغم أنها مُبطَلة بسبب عرشه الذي في السماء. كَلَّا، بل أنتم عديمو التقوى أكثر من اليهود. هم رفعوا حجارتهم على الجسد، وأنتم ترفعون حجارتكم على الروح؛ هم رفعوا حجارتهم، كما كانوا يظنون، على إنسان، وأنتم ترفعونها على الله؛ هم رفعوا حجارتهم على مَن يقيم على الأرض مؤقتًا، وأنتم ترفعونها على مَن يجلس على عرش العظمة؛ هم يرفعونها على مَن لا يعرفونه، وأنتم ترفعونها على مَن تعترفون به؛ هم يرفعونها على المسيح القابل للموت، وأنتم ترفعونها على ديان الجنس البشري. اليهود يقولون 'أَنْتَ إِنْسَانٌ'، أما أنتم فتقولون *'أَنْتَ مَخْلُوقٌ'*. أنتم وهم تشتركون في الصراخ: تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا، بنفس غطرسة التجديف. أنتم تُنكرون أنه إله مولود من إله؛ أنتم تنكرون أنه الابن بميلاد حقيقي؛ أنتم تنكرون أن كلماته: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، تتضمن التأكيد على نفس الطبيعة عند كليهما. أنتم تُقدِّمون لنا إلهًا جديدًا، غريبًا، أجنبيًا، عوضًا عنه بشكلٍ زائفٍ؛ أنتم تجعلونه إلهًا من نوع آخر غير الآب، أو بطريقة أخرى لا تجعلونه إلهًا على الإطلاق، وكأنه غير موجود بالولادة من الله.

أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ

٢٤- إن السر المحوي في تلك الكلمات: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، يثير غضبكم الشديد. اليهود قد أجابوا: إِنَّكَ، وَأَنْتَ إِنْسَانٌ، تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا، وتجديفكم مثل تجديفهم:- 'إنك، وأنت مخلوقٌ، تجعل نفسك إلهًا'. أنتم تقولون في الواقع: *'أنت لست ابنًا بالميلاد، أنت لست إلهًا بالحقيقة؛ أنت مخلوق، تفوق*

باقي المخلوقات. لكنك لم تولد لتكون إلهًا، فإننا نرفض الإيمان بأن الإله غير الجسدي قد وَلد طبيعتك. أنت والآب لستما واحدًا. بل أكثر من هذا، أنت لست الابن، أنت لست مثل الله، أنت لست الله'. لقد كان للرب ردًا على اليهود؛ ردًا يلائم حالة تجديفكم أكثر حتى من ملائمته لتجديفهم:- أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي النَّامُوسِ، أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَأَنَا، الَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لِي إِنَّنِي قَدْ جَدَّفْتُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللهِ؟ إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ الأَبِ فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي؛ لكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ[٢٧]. لقد أجبره هجومهم التجديفي أن يرد هكذا. التهمة كانت أنه، وهو إنسان، يجعل نفسه إلهًا. إثباتهم لهذا الادعاء كان هو تصريحه الشخصي: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ. لذا فقد جعل عمله إثباتًا لأن الطبيعة الإلهية، التي له بالولادة، تمنحه الحق في تأكيد أنه والآب واحد. إنه يبدأ بعرض السُخف والإهانة الموجودتين في تلك التهمة، بأنه يجعل نفسه إلهًا، رغم كونه إنسانًا. لقد منح الناموس اللقب للأناس القديسين، إذ أن كلمة الله، التي لا يمكن الاعتراض عليها، قد أجازت الاستخدام العام للاسم. أيّ تجديف إذًا يمكن أن يوجد في اتخاذ لقب ابن الله مِن قِبَل مَن قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم؟ إن ما سجَّله **كلمة** الله بثباتٍ قد أكَّد منح اللقب لمَن عيَّنهم

---

[٢٧] (يو ١٠: ٣٤- ٣٨)

الناموس. لذا فهناك نهاية لتُهمة أنه، وهو إنسان، يجعل نفسه إلهًا، حينما يعطي الناموس اسم 'آلهة' لمن يُعترَف بهم كبشر. إن كان أناس آخرون قد استخدموا هذا الاسم بدون تجديف، فلا يمكن أن يكون هناك تجديف بشكل واضح في استخدامه بواسطة الإنسان الذي قد قدسه الآب - ولاحِظوا هنا أنه طوال تلك المناقشة يدعو نفسه إنسانًا، لأن ابن الله هو أيضًا ابن الإنسان – بما أنه يفوق الباقين، الذين هم رغم ذلك غير متهَمين بالاستهانة لتلقيب أنفسهم بلقب آلهة. هو يفوقهم لكونه قد قُدِّس لكي يكون ابنًا، كما يقول المغبوط بولس، الذي أعلمنا بهذا التقديس: الَّذِي سَبَقَ فَوَعَدَ بِهِ بِأَنْبِيَائِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ، عَنِ ابْنِهِ، الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ، وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ، مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ[٢٨]. هكذا فإن تُهمة التجديف من جهته، بجعله نفسه إلهًا، تَسقط أرضًا. فإن **كلمة** الله قد مَنح هذا الاسم لأناس كثيرين؛ والذي تقدَّس وأُرسِل من الآب، لم يفعل أكثر من إعلان نفسه كابن الله.

قوله 'أنا والآب واحد' يثبت أنه ابن الله بالاسم والطبيعة والولادة

٣٥- أعتقد أنه لا توجد إمكانية للشك في أن 'أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ' قد قيلت بخصوص طبيعته التي له بالولادة. اليهود قد وبخوه لأنه بهذه الكلمات يجعل نفسه إلهًا، وهو إنسان. طريقة رده تُثبت أنه في (قوله): أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، يثبت نفسه أنه ابن الله، أولاً بالاسم، ثم بالطبيعة، وأخيرًا بالولادة.

---

[٢٨] (رو ١: ٢- ٤)

فإن 'أَنَا' و 'الْآبُ' هما اسمَان لكيانين جوهريين، أما 'وَاحِدٌ' فهي توضيح لطبيعتهما، إذ من الضروري أن تكون هي نفسها في كليهما. وبينما يمنعنا تعبير 'نكون * are' من مزجهما معًا - إذ أن قوله 'نكون وَاحِدًا' يمنع الامتزاج - إلا أنه يُعلِّم أن وحدة الاثنين هي نتيجة للولادة. الآن كل تلك الحقيقة قد استُنبِطت من هذا الاسم، 'ابن الله'، الذي استعمله في وصف نفسه لكونه قد تقدس من الآب؛ اسمًا قد أُثبت حقه فيه بتأكيده: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ. فإن الولادة لا يمكنها منح أية طبيعة للمولود سوى تلك التي للوالد الذي منه قد وُلِد هذا المولود.

أعماله تُظهره

٣٦- مرة أخرى، الله الابن الوحيد قد لخَّص لنا بكلماته سِر الإيمان المُعلَن بالكامل. فإنه حينما قدَّم رده على تهمة أنه، وهو إنسان، يجعل نفسه إلهًا، قرر إعلان كلماته: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، كنتيجة واضحة وضرورية. لذا فقد تابع قوله:- تَقُولُونَ إِنَّنِي قَدْ جَدَّفْتُ، لأَنِّي قُلْتُ، إِنِّي ابْنُ اللهِ. إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ الأَبِ فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي؛ لكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِي الآبِ. ألا زالت الهرطقة، بعد كل هذا، ترتكب انتهاكًا مقصودًا بيأس مُدرَك، إذ تُصِر على طريقها! إن التأكيد على الكفر هو وقاحة متعمدة. الذين يعملونها يفتخرون بجهالة وإيمانهم مائت، لأن معارضة هذا القول ليست جهلاً، بل

* فعل الكينونة ἐσμεν. وهو لا يظهر في اللغة العربية.{م}

جنونًا. فقد قال الرب: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، وسر ولادته، الذي قد أظهره، هو وحدانية طبيعة الآب والابن. كذلك، حينما اتُّهِم بادعاء الطبيعة الإلهية، قد برر قوله هذا بتقديم سببٍ:- إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ الآبِ فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي. نحن لن نؤمن بتأكيده أنه ابن الله، إلا إذا عمل أعمال أبيه. مِن ثَم فنحن نرى أن ميلاده لم يُقدِّم له طبيعة جديدة أو غريبة، لأن قيامه بأعمال الآب هو السبب وراء ضرورة إيماننا بأنه الابن. أي مكانٍ هنا للتبني، أو للتوقف عن استخدام الاسم، أو لإنكار أنه قد وُلِد من طبيعة الله، حينما يكون الدليل على أنه ابن الله هو أنه يعمل الأعمال التي تتعلق بطبيعة الآب؟ لا يوجد مخلوق مساوٍ أو مشابهٌ لله، لا توجد طبيعة خارجة عن طبيعته يمكن مقارنة قدرتها به؛ الابن فقط، المولود منه، هو الذي يمكننا أن نشابهه ونساويه به بدون تجديف. لا يوجد شيء خارج عنه يمكن أن يقارَن بالله بدون إهانة عظمته المهيبة. لو أمكن اكتشاف أي كيانٍ غير مولود من الله نفسه، يشابهه أو يساويه في القدرة، إذًا فسوف يخسر الله تفوقه، بقبوله لوجود شريك يشاركه العرش؛ لن يستمر الله واحدًا، لأن هناك ثانٍ قد ظهر، ولا يمكن تمييزه عنه. من ناحية أخرى، لا توجد إهانة في جعل ابنه الحقيقي مساويًا له. فإنه حينئذ سيكون مَن هو مثله هو خاصته؛ ذاك المشابه له هو نفسه مولود منه؛ القوة التي يمكنها أن تعمل أعماله الخاصة ليست خارجة عنه. بل أكثر من هذا، كونه قد وَلد كلي القدرة هو رفعٌ حقيقي لمجده، ومع ذلك فهو لم يقطع تلك الطبيعة كلية القدرة من نفسه. الابن يقوم بأعمال الآب، وعلى هذا الأساس يطلب منا الإيمان بأنه ابن الله.

هذا ليس ادعاءً بفعل الغطرسة المجردة؛ فإنه يبنيه على أساس أعماله، ويدعونا لفحصها. وهو يشهد بأن تلك الأعمال ليست له، بل لأبيه. هو لم يجعل أفكارنا تتحير من برهان ميلاده بعظمة الأعمال. ولأن اليهود لم يدركوا سِر الجسد الذي قد اتخذه - الناسوت المولود من العذراء - ويعترفوا بابن الله، فقد استعان بأعماله لإثبات أحقيته في الاسم، بقوله: لكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُهَا، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ. أولاً، هو لم يكن ليجعلهم يؤمنون بأنه ابن الله، إلا ببرهان أعمال الله التي يعملها. فإن كان يعمل الأعمال، فهو يطالبهم بأن يؤمنوا بالأعمال، حتى لو بدا (لهم) أنه غير مستحق بتواضعه الجسدي لأن يحمل الاسم الإلهي. لماذا يجب أن يعوق سِر الولادة الجسدية إدراكنا لولادته كإله، حينما يتمم ذاك، المولود بطريقة إلهية، كل مهمة إلهية بواسطة ذلك الناسوت الذي اتخذه؟ لو لم نؤمن بالإنسان، لأجل الأعمال، حينما يخبرنا بأنه ابن الله، فدعونا نؤمن بالأعمال حينما تُعمَل تلك الأعمال، التي هي بلا شك أعمال الله، بشكل واضح بواسطة ابن الله. فإن ابن الله يملُك بفضل ولادته كل شيء يخص الله؛ ولذا فإن أعمال الابن هي أعمال الآب لأن ولادته لم تُبعده عن تلك الطبيعة التي هي مصدره والتي من خلالها يبقى، ولأن لديه في نفسه تلك الطبيعة التي هي مصدر وجوده الأزلي.

حياة الابن من ذاته ومن الآب

٢٧- وهكذا فإن الابن، الذي يعمل أعمال الله ويطلب منا، لو لم نؤمن به، أن نؤمن على الأقل بأعماله، كان لا بُد أن يخبرنا بما هو القصد من ضرورة إيماننا بالأعمال، لذا فقد أخبرنا بهذا في الكلمات التالية: لكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. إنها نفس الحقيقة الموجودة في: أَنَا اِبْنُ الله، و: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ. هذه هي الطبيعة التي له بالولادة؛ هذا هو سِر الإيمان المخلِّص، أننا لا يجب أن نقسِّم الوحدة، ولا أن نفصِل الطبيعة عن الولادة، بل يجب أن نعترف بأن الإله الحي قد وُلِد بالحقيقة من الإله الحي. الله، الذي هو الحياة، ليس كيانًا نشأ من أجزاء متنوعة وميتة؛ إنه قوة غير مركبة من عناصر غير فعالة؛ نور غير ممزوج بأي ظلال من الظلام؛ روح لا يمكن أن يتجانس مع أية أشياء متنافرة. كل ما فيه واحد؛ مَن هو **روح هو نور وقوة وحياة**، مَن هو **حياة هو نور وقوة وروح**. مَن يقول: لأَنِّي أَنَا (الرَّبُّ)، لاَ أَتَغَيَّرُ[٢٩]، لا يمكن أن يعاني من التغير في التفصيل ولا التحول في النوع. فإن تلك الخصائص التي ذكرتها غير متصلة بأجزاء مُلحَقة به، بل تتقابل وتتحد كليةً وبشكلٍ تام في كل كيان الإله الحي. إنه الإله الحي، القوة الأزلية للطبيعة الإلهية الحية؛ والذي يولَد منه، تبعًا للحقيقة السرية التي يعلنها، لا يمكن إلا أن يكون

---

[٢٩] (ملا ٣: ٦)

حيًا. فإنه حينما قال: كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ[٣٠]، قد علَّم بأن له الحياة في نفسه من خلال الآب الحي. وعلاوة على ذلك، حينما قال: لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ[٣١]، قد شهد بأن الحياة، إلى أكمل حد، قد أخذها من الإله الحي. والآن بما أن الابن الحي قد وُلِد من الآب الحي، إذًا فتلك الولادة قد حدثت بدون أن تأتي طبيعة جديدة إلى الوجود. لا يوجد شيء جديد يأتي إلى الوجود حينما يولَد الحي من الحي؛ فإن الحياة لم تُلتمَس من غير الموجود كي تنال الولادة؛ والحياة، التي تنال ولادتها من الحياة، لا بُد أن تحتاج لأن تحيا دائمًا فيمن يحيا وله حياة الحي في نفسه، بسبب وحدة الطبيعة وبسبب الحدث السري لتلك الولادة الكاملة وفائقة الوصف.

الولادة البشرية تُقدِّم تشابهًا جزئيًا للولادة الإلهية

٢٨- أنا أتذكر أنني، في بداية الكلام[٣٢]، قد قدمتُ تحذيرًا بأن التشابهات الجزئية البشرية لا تتوافق بشكل كامل مع نظيراتها الإلهية، ومع ذلك فإن فهمنا يقبل استنارةً حقيقيةً، حتى لو كانت غير كاملة، بمقارنة الأمور الإلهية بالنماذج المرئية. وإني الآن ألجأ إلى الخبرة البشرية في مسألة الولادة، إن كان مصدر وجود أطفالهم لا يبقى داخل الوالدين. فبالرغم من أن

---

[٣٠] (يو ٦: ٥٧)

[٣١] (يو ٥: ٢٦)

[٣٢] الكتاب الأول فقرة ١٩، والرابع فقرة ٢، والسادس فقرة ٩.

العناصر غير الحية وعديمة القيمة*، التي بدأت بها الحياة، قد مرت من أب لآخر، إلا أن هؤلاء يحتفظون بقواهم الطبيعية الخصوصية. لقد أحضروا للوجود طبيعةً واحدةً مع طبيعتهم، لذا فإن الوالد مرتبط بوجود المولود؛ والمولود ينال الولادة من خلال القوة المنقولة من الوالد دون فقدان، إذ أنها تبقى في هذا الوالد. ربما يكفي هذا كإقرار لِما يحدث في الولادة البشرية. لكنه غير ملائم بمقارنته بالولادة الكاملة لله الابن الوحيد، فإن الطبيعة البشرية مولودة في ضعف ومن اتحاد طبيعتين غير متشابهتين**، وتبقى على قيد الحياة باتحاد عناصر بلا حياة. مرة أخرى، الطبيعة البشرية لا تدخل مرة واحدة إلى ممارسة حياتها المحددة، ولا تحيا تلك الحياة بشكل تام، لكونها دائمًا مُثقَلة بالعديد من الأعضاء التي تَفسد وتُطرَح فاقدة للحس. أما الحياة الإلهية الموجودة في الله فتُعاش بالمعنى الكامل، لأن الله حياة، ومن الحياة لا يمكن أن يولد شيء غير حي حقًا. إن ولادته ليست بطريقة الفيض بل تنتج من عمل للقدرة. هكذا، بما أن حياة الله كاملة في قوَّتها، وبما أن المولود منه هو كامل في القوة، إذًا فالله لديه القوة على فعل الولادة لكن ليس بمعاناة التغيير. طبيعته قابلة لأن تخرج منها طبيعة أخرى لكن ليس للنقص، لأنه يستمر في ذاك الابن الذي قد أعطاه في الولادة طبيعةً مثل التي له، وغير منفصلة عنه، ويشاركه الحياة. والابن، الحي المولود من الحي، هو غير منفصل عن الطبيعة التي ولدَته بسبب حادثة ولادته.

---

* قد يكون قصده التراب الذي خُلق منه الإنسان، أو السائل المنوي.{م}

** أعتقد أنه يقصد الجسد والنفس.{م}

النار مثال ضعيف لولادة الابن من الآب

٢٩- التشابه الآخر الذي قد ينير لنا معنى ما نؤمن به هو النار، إذ تحتوي في نفسها على النار وتوجد في النار. النار تتضمن لمعان النور، والحرارة التي هي طبيعتها الأساسية، وخاصية الإتلاف باهتياج التقلب المضطرِب للَّهب. ومع ذلك فهي طوال الوقت نار، وفي كل تلك المظاهر لا توجد سوى طبيعة واحدة. لكنها مثال ضعيف لأنها تعتمد لأجل وجودها على المادة القابلة للاشتعال، وتهلك مع المادة التي قد عاشت عليها. المقارنة بالنار تعطينا، بمقياسٍ ما، نفاذ البصيرة إلى داخل طبيعة الله غير المقارَنة؛ إنها تساعدنا على أن نؤمن بخواص الله التي نجد أنها موجودة إلى حدٍ ما في عنصر أرضي. دعوني أسأل إذًا، هل هناك أي انقسامٍ أو انفصالٍ في النار التي تنشأ من نار؟ حينما تُشعَل شعلة من أخرى، فهل الطبيعة الأصلية تُقطَع منها الطبيعة الناشئة، حتى إنها لا تبقى فيها؟ أليست هي بالحري تابعةً للشعلة الثانية وتسكن فيها بنوع من الزيادة، كما لو كانت بالولادة؟ فإنه لا يوجد جزء قد قُطع من طبيعة الشعلة الأخرى، ومع ذلك هناك نور من نور. أليست الشعلة الأولى تحيا على الثانية، وتدين بوجودها للأولى، رغم أن هذا ليس بالانقسام؟ أليست الثانية لازالت تُقيم في الأولى، التي لم تُقطَع منها؛ التي منها قد خرجَت، محتفظةً بوحدتها مع المادة التي تنتمي إليها طبيعتها؟ أليس الاثنان واحدًا، حينما يكون مستحيلاً بشكل طبيعي physically اشتقاق نور من نور بالانقسام، ومستحيلاً منطقيًا التمييز بينهما في الطبيعة.

٣٠- كما قلت قبلاً، فإن تلك التوضيحات يجب فقط أن تُستَخدَم كمساعدات لفهم الإيمان، وليست كمقاييس لمقارنة العظمة الإلهية. طريقتنا هي استخدام الأمثلة المادية كمفتاح لغير المرئية. التوقير والعقل يبرران لنا استخدام تلك المساعدة، التي نجد أنها مُستَخدَمة في شهادة الله عن نفسه، بينما نحن ما زلنا لا نطمح لإيجاد ما يُطابق طبيعة الله. لكن عقول المؤمنين البسطاء قد أُحرِنَت بالاعتراض الهرطوقي المجنون بأنه من الخطأ قبول تعليم بخصوص الله يحتاج إلى معونة التشبيهات المادية، لكي تُصبِح مُدرَكة بالعقل. ولذا، بالمطابقة مع تلك الكلمة التي لربنا، والتي قد اقتبسناها بالفعل:- اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ[٣٣]، فقد اعتبرناها ملائمةً، بما أن الله روح، لكي تُعطي لتلك المقارنات مكانًا محددًا في جدالنا. بهذا العمل سوف نَدفع عن الله تهمة أنه قد خدعنا باستخدام تلك التشابهات؛ مُظهرين، كما قد فعلنا، أن تلك التوضيحات من طبيعة مخلوقاته تمكِّننا من فهم القصد من إعلان الله لنا عن ذاته

هما إله واحد وليسا أقنومًا واحدًا

٣١- نحن نرى كيف أن الابن الحي من الآب الحي، الذي هو إله من إله، يُعلن وحدانية الطبيعة الإلهية، وأنها نفس الشيء بشكلٍ راسخ، ويعلن سِر ولادته في تلك الكلمات: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ. ولأن غرورهم الظاهري يُنشئ تحاملاً ضده، فقد جعل الأمر أكثر وضوحًا حتى أنه تكلم وهو مُدرِك تمامًا

---

[٣٣] (يو ٣: ٦)

لألوهيته قائلاً: تَقُولُونَ إِنَّني قَدْ جَدَّفْتُ، لأَنِّي قُلْتُ، إِنِّي ابْنُ اللهِ؛ وبهذا قد أظهر أن مماثلة طبيعته لطبيعة الله كانت نتيجة للولادة من الله. وبعدئذ، لكي يحسِم إيمانهم بميلاده بتأكيدٍ إيجابيٍ، ولكي يحميهم في نفس الوقت من تخيُّل أن الولادة تتضمن اختلاف الطبيعة، فقد توَّج كلامه بتلك الكلمات: آمِنُوا بِالأَعْمَالِ، أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. فهل كشفَت ولادته، كما قد أُعلِن هنا، عن أن ألوهيته ليست له بالطبيعة، وليست له بالأحقية؟ إن كلاً منهما في الآخر، إذ أن ولادة الابن هي من الآب فقط، فلم تُرفَع طبيعة غريبة أو غير متساوية إلى الألوهة واستمرت كإله. إله من إله، دائم إلى الأبد، لا يدين بألوهيته لآخر سوى الله.

اِجلبوا إلهين إلى إيمان الكنيسة، لو كنتم ترون أن هذه فرصتكم! افصلوا الابن عن الآب قدر إمكانكم، وتمسكوا بهذا مع اعترافكم بالولادة! لكن ما زال الآب في الابن، والابن في الآب، وهذا ليس بأي تبادل للانبثاق، بل بالميلاد الكامل للطبيعة الحية. هكذا لا يمكنكم أن تضيفوا الابن إلى الآب، وتحسبوهما إلهين، فإن كليهما إله واحد. لا يمكنكم مزجهما معًا، فإن كليهما ليسا شخصًا (أقنومًا) واحدًا. وهكذا فإن الإيمان الرسولي يرفض وجود إلهين، إذ أنه لا يعرف شيئًا عن أبوين أو ابنين. في اعترافه بالآب هو يعترف بالابن، ويؤمن بالابن بإيمانه بالآب. فإن اسم الآب يتضمن اسم الابن، لأنه لا يمكن أن يكون هناك أبٌ بدون أن يكون له ابنٌ. الدليل على وجود الابن هو إثبات لوجود أب، لأن الابن لا يمكن أن يوجد سوى من أب. حينما نعترف بأن الله واحد فإننا ننكر أنه

مفرد؛ لأن الابن كامل مع الآب، ووجود الابن هو بسبب الآب. لكن الولادة لا تصنع أي تغيير في الطبيعة الإلهية؛ تلك الطبيعة هي نفسها سواء في الآب أو في الابن. والتعبير الصحيح بالنسبة لنا عن تلك الوحدة الطبيعية هي الاعتراف بأنهما، لكونهما اثنين بالميلاد والولادة، إله واحد، وليسا شخصًا واحدًا.

الاحتواء المتبادَل

٣٢- سوف نترك الوعظ لذاك الذي يمكنه أن يبشر بإله واحد بدون أن يعترف بالوحدة؛ فإن ذاك الذي يمكنه إنكار أن هناك شخصين، كلاً منهما يقيم في الآخر بقوة طبيعتهما وسر الولادة المعطاة والمقبولة، سوف يُعلِن أن الله مفرد. هذا الرجل سوف يُقر بطبيعة مختلفة لكل من الاثنين، إذ أنه يجهل الحقيقة المُعلَنة بخصوص وحدانية الآب والابن. دعوا الهراطقة يُلَطِّخون هذا التسجيل لإعلان الابن عن ذاته: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؛ حينئذ، وليس قبل ذلك الحين، سوف يؤكدون أن هناك إلهين، أو إله واحد في عُزلةٍ. لا توجد أية إشارة عن وجود أكثر من طبيعة واحدة في ما قد قيل لنا عن امتلاكهما للطبيعة الإلهية الواحدة. حقيقة خروج إله من إله لا تضرب الله في اثنين، لأن الولادة تقضي على افتراض وجود إله وحيد. وأيضًا **هما يُكونان وحدة، لأنهما معتمدان على بعضهما*** interdependent ؛ وكونهما معتمدين على بعضهما هو أمر مُثبَت بكونهما واحدًا من اثنين. فإن

* راجع فكرة الوجود المتبادَل صـ ١٣٤، ١٣٩.{م}

الواحد، في ولادته للواحد، لم يمنحه أي شيء لم يكن يخصه؛ والواحد، في كونه مولودًا، قد قبِل من الواحد فقط ما يخُص واحدًا. هكذا فإن الإيمان الرسولي، في إعلانه عن الآب، سوف يُعلنه كإله واحد، وفي الاعتراف بالابن سوف يَعترف به كإله واحد؛ حيث الطبيعة الإلهية نفسها توجد في كليهما، وبسبب كون الآب إلهًا والابن إلهًا، والاسم الواحد لله يُعبِّر عن طبيعة كليهما، فإن مصطلح 'إله واحد' يشير إلى الاثنين. إله من إله، أو إله (حال) في إله**، لا تعني أن هناك إلهين، فإن الله يبقى واحدًا من واحد إلى الأبد بالطبيعة الإلهية الواحدة والاسم الإلهي الواحد؛ ولا يتضاءل الله إلى شخص مفرد، لأن واحدًا وواحدًا# لا يمكن أن يكونا في انفرادٍ.

هو الطريق والحق والحياة

٣٣- إن الرب لم يترك التعليم الواضح في ذلك السر العظيم في شك أو غموض، ولم يتركنا نضل طريقنا في شك غامض. انصِتوا إليه حينما يعلن المعرفة الكاملة بهذا الإيمان لرسله:- أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ؛ لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي. لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا؛ وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ. قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ: يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ، وَكَفَانَا. قَالَ لَهُ

** "لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ"، وأيضًا: "أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ" المذكورتين في الفقرة التالية.{م}

"لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ، الآبُ، الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ فِيهِ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ". (١كو ٨: ٦). كما أننا نقول في القداس "واحد هو الآب كلي القداسة، واحد هو الابن كلي القداسة، واحد هو الروح القدس".{م}

يَسُوعُ: أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ؟! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ أَيضًا، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ أَعْمَالَه. صَدِّقُونِي، أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؛ وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا[٣٤]. إن ذاك الذي هو الطريق، لا يمكن أن يقودنا إلى الطُرق الجانبية أو الرُقَع غير المطروقة، مترامية الأطراف؛ هذا الذي هو الحق لا يخدعنا بأكاذيب؛ هذا الذي هو الحياة لا يقودنا إلى الضلالات التي هي الموت. هو نفسه قد اختار تلك الأسماء* الفاتنة لكي يشير إلى الطُرق التي قد حددها لخلاصنا**. كطريق، هو سيقودنا إلى الحق؛ والحق سوف يثبتنا في الحياة. ولذا فمن المهم لنا أن نعرف ما هو الأسلوب السري الذي يعلنه للوصول إلى تلك الحياة. إن الطريق إلى الآب هو من خلال الابن، إذ قيل: لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي. والآن لا بُد أن نسأل إن كان هذا بطريق الطاعة لتعليمه، أم بالإيمان بألوهيته. فإنه من الممكن أن يتصور أحد أن طريقنا إلى الآب هو بالالتصاق بتعليم الابن# أكثر من

---

[٣٤] (يو ١٤: ٦- ١١)

* التي هي الطريق والحق والحياة.{م}

** راجع قطعة 'تجسد وتأنس' الموجودة في القداس الباسيلي. والملاحظ هنا أن اللفظ قد ذُكِر 'طُرُق' بصيغة الجمع، وليس 'طريقًا' كما يقول البعض. حيث يقول القداس 'وعلَّمنا طُرُق الخلاص' ⲟⲩⲟⲉ ⲁϥⲧⲥⲁⲃⲟⲛ ⲉⲃⲟⲗⲛⲓⲙⲱⲓⲧ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲟⲩⲥⲁⲓ في القبطية، وفي اليونانية ὑπέδειξεν ἡμῖν ὁδοὺς σωτηρίας.{م}

إذ قد يُظَن أن طاعته هي طريق الخلاص، وليس الإيمان بأنه ابن الله الحقيقي.{م}

الإيمان بأن ألوهية الآب تقطن في الابن. لذا، دعونا نبحث في الموضع القادم عن المعنى الحقيقي للتعليم المقدم لنا هنا. فإننا سوف نتقدم إلى اقتناء الإيمان، ليس بالالتصاق برأي قد صُوِّر مقدمًا، بل بدراسة قوة الكلمات.

مَن يعرف الابن يعرف الآب أيضًا

٣٤- ثم يقول بعد هذا الذي ذكرناه للتو: لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. إن الإنسان، يسوع المسيح، هو الذي ينظرونه. كيف تكون معرفته هي معرفة الآب؟ فإن الرسل يرونه يلبس مظهر تلك الطبيعة الإنسانية التي تخصه؛ لكن الله ليس مُثقَلاً بجسد ولحم، ولا يدركه بوضوح كل مَن يقطنون جسدنا الضعيف اللحمي. الجواب قد قدمه الرب، الذي يؤكد أن تحت الجسد اللحمي، الذي قد اتخذه بسرٍ، تقطن طبيعة أبيه فيه. لقد رتب الحقائق بترتيبها المناسب هكذا:- لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا؛ وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ. إنه يميز بين زمن الرؤية وزمن المعرفة. فهو يقول إنه من الآن فصاعدًا سوف يعرفون ذاك الذي قد رأوه بالفعل، وسوف يقتنون كذلك، منذ ذلك الحين، معرفة تلك الطبيعة التي قد حدَّقوا فيها فترة طويلة.

أرنا الآب وكفانا

٣٥- لكن المعنى الجديد لتلك الكلمات يُقلِق فيلبس الرسول. إنسانًا أمام أعينهم؛ هذا الإنسان يجاهر بأنه هو نفسه ابن الله، ويصرِّح بأنهم

حينما يعرفونه فسوف يعرفون الآب. هو يخبرهم بأنهم قد رأوا الآب، ولأنهم قد رأوه فسوف يعرفونه بعدئذ. تلك الحقيقة واسعة جدًا على فهم البشرية الضعيف؛ إيمانهم يضعف في وجود تلك التناقضات. المسيح يقول إن الآب قد رؤي بالفعل وسوف يُعرَف الآن؛ وهذه، رغم أنها رؤية، هي معرفة. هو يقول إنه لو عُرف الابن، فقد عُرف الآب أيضًا؛ وهذا رغم أن الابن قد نقل المعرفة بنفسه من خلال المعاني الجسدية للرؤية والصوت، بينما طبيعة الآب، التي هي مختلفة تمامًا عن تلك التي للإنسان المرئي الذي يعرفونه، لم يكن ممكنًا أن تُعرَف من معرفتهم بطبيعة ذاك الذي قد رأوه. لقد حمل أيضًا الشهادة دائمًا عن أن الآب لم يره أحدٌ. وهكذا فإن فيلبس، بدالة وثقة كرسول، قد قال بدون تفكير: يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ، وَكَفَانَا. لم يكن يعبث بالإيمان، بل لم يكُن الأمر مجرد خطأ ناتج عن جهل. فإن الرب قد قال إن الآب قد رؤي بالفعل ومن الآن فصاعدًا يجب أن يُعرَف؛ لكن الرسول لم يفهم أنه قد رؤي. وهكذا فهو لم ينكر أن الآب قد رؤي، لكنه طلب أن يراه. هو لم يسأل أن يُكشَف النقاب عن الآب لنظره الجسدي، بل أن يمكنه الحصول على إظهار ينير له ما يخُص الآب الذي قد رؤي. فإنه قد رأى الابن بمظهر الإنسان، لكنه لا يمكنه أن يفهم كيف أمكنه بذلك أن يرى الآب. إن إضافة تعبير 'وَكَفَانَا' إلى تضرعه 'يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ' يُظهر صراحةً أن رؤية الآب التي رغب فيها كانت روحيةً وليست جسديةً. هو لم يرفض الإيمان بكلمات الرب، بل طلب تلك الاستنارة لعقله التي تُمكِّنه من الإيمان؛ فإن حقيقة أن الرب قد تكلم كانت برهانًا حاسمًا للرسول على

أن الإيمان كان هو واجبه. الاعتبار الذي حرَّكه لكي يطلب إظهار الآب، كان أن الابن قد قال إنه قد رؤي، ويجب أن يُعرف لأنه قد رؤي. لم يكن هناك أي افتراض مسبق في ذاك التضرع على أن الذي قد رؤي بالفعل يجب أن يُعلَن الآن.

أعمال الله ظاهرة، لكن العيب فينا

٣٦- لذا فقد جاوب الرب فيلبس هكذا:- أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ؟ إنه يوبخ الرسول على المعرفة الناقصة به؛ فإنه قبلاً قد قال إنه حينما عُرِف هو، فإن الآب قد عُرف أيضًا. لكن ما هو معنى هذه الشكوى من أنهم لم يعرفوه لمدة طويلة؟ إنه يعني هذا، أنهم لو كانوا قد عرفوه، لكانوا أدركوا فيه الألوهية التي تخص طبيعة أبيه. فإن أعماله كانت هي الأعمال الخاصة بالله. لقد مشى على الأمواج، وأمر الرياح بشكل واضح، رغم أنه لم يُخبِر أحدٌ كيف، وحوَّل الماء إلى خمر، وضاعَف عدد الأرغفة، وجعل الشياطين يهربون، وشفى الأمراض، وعوَّض الأطراف المصابة وأصلح عيوب الطبيعة، وغَفَر الآثام، وأعاد الحياة للموتى. لقد فعل كل هذا وهو لابسٌ للجسد اللحمي؛ وقد أرفق بالأعمال التأكيد على أنه كان ابن الله. مِن ثَم فقد تعجب بالفعل من عدم إدراكهم لعمل طبيعة الله في ولادته البشرية السرية وحياته، وأنه قد قام بتلك الأعمال من خلال الناسوت الذي قد اتخذه.

الابن هو الصورة الحية للإله الحي

٣٧- ولذا فقد لامهم الرب على أنهم لم يعرفوه، رغم أنه كان يعمل تلك الأعمال لمدة طويلة، وأجاب تضرعهم لكي يريهم الآب بقوله: اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ أَيضًا. إنه لم يكن يتكلم عن إعلان جسدي، أي عن إدراك حسي بعين الجسد، بل عن إدراك بتلك العين التي قد تكلم عنها فيما مضى:- أَمَا تَقُولُونَ: إِنَّهُ يَكُونُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ ثُمَّ يَأْتِي الْحَصَادُ؟ هَا أَنَا أَقُولُ لَكُمُ: ارْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَانْظُرُوا الْحُقُولَ إِنَّهَا قَدِ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ[٣٥]. إن فصل السَنة، والحقول البيضاء للحصاد، هي إشارات ضمنية متعارضة على حد سواء مع الإمكانية الأرضية والمرئية. لقد كان يدعوهم لرفع أعين أذهانهم للتأمل في نعيم الحصاد الأخير. هذا ما كان يفعله في كلماته الحالية: اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ أَيضًا. لم يكن الجسد المادي، الذي قد قبله بالولادة من العذراء، هو الذي قد أعلن لهم صورة ومثال الله؛ لم يكن المظهر البشري الذي قد لبسه معونةً للرؤية الروحية للإله غير المادي. لكن الله قد أُدرِك في المسيح، مثلما قد أُدرِك أن المسيح هو الابن بدليل قدرات طبيعته الإلهية؛ وإدراك الله الابن ينتج عنه إدراك الله الآب. فإن الابن بهذا المعنى هو الصورة، أي أنه واحد في الجوهر مع الآب، ومع ذلك فهو يشير إلى أن الآب هو مصدره.

---

[٣٥] (يو ٤: ٣٥)

إن الصوَر الأخرى، المصنوعة من معادن أو ألوان أو مواد بفنون متنوعة، تنسخ مظهر الأغراض التي تُصوِّرها. ومع ذلك فهل يمكن للنُسَخ غير الحية أن توضَع في نفس مستوى أصولها الحية؟ أتوضَع التماثيل المطلية أو المنحوتة أو المسبوكة في نفس مستوى الطبيعة التي تقلدها؟ **لكن الابن ليس صورة الآب على نفس تلك الشاكلة؛ إنه الصورة الحية للإله الحي.** الابن المولود من الآب له طبيعة لا تختلف بأية طريقة عن طبيعته؛ ولأن طبيعته ليست مختلفةً، فهو يملك قوة تلك الطبيعة التي هي من نفس طبيعته. حقيقة أنه هو الصورة تُثبِت أن الله الآب هو مصدر ولادة الابن الوحيد، الذي هو نفسه مُعلَن على أنه المثال والصورة للإله غير المرئي. ومن ثَم فإن المثال، المرتبط بالاتحاد بالطبيعة الإلهية، هو له دائمًا، لأن قدرات تلك الطبيعة هي له إلى الأبد.

٣٨- هذا هو معنى تلك الفقرة: أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ؟! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ أَيضًا، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ فقط **كلمة** الله هو الذي يجعلنا نحن البشر قادرين أن نفكر في الأمور الإلهية في بحثنا هذا. إن كل الأمور الأخرى التي تخص الألوهية خفية وصعبة، خطيرة ومُبهَمة. لو اعتزم أي إنسان أن يُعبِّر عما هو معروف بكلمات أخرى غير تلك التي قدمها الله، فهو حتمًا سيكشف عن جهله الخاص، أو سيترك عقول قُرائه في ارتباكٍ تام. إن الرب، حينما طُلِب منه أن يُظهِر الآب، قد قال: اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ أَيضًا. مَن يُغَيِّر هذه هو ضد المسيح، والذي ينكره هو يهودي، والذي

يجهله هو أمي. لو وجدنا أنفسنا في صعوبة، فدعونا نضع العيب على طريقة تفكيرنا؛ لو بدا إعلان الله متضمَّن في غموض، فدعونا نفترض أن احتياجنا للإيمان هو السبب. تلك الكلمات تقرِّر بدقة أن الله ليس مفردًا، وعلاوة على ذلك أنه لا توجد اختلافات داخل الطبيعة الإلهية. فإن الآب مرئيٌ في الابن؛ تلك هي الحقيقية، وليس أنه كان كيانًا وحيدًا، ولا حتى إنه كان غير مساوٍ للابن. إن الآب مرئيٌ من خلال الابن؛ وهذا السر الذي يكشفه الابن هو أنهما إلٰه واحد، لكنهما ليسا شخصًا واحدًا. هل هناك معنى آخر يمكنكم أن تُلصقوه بقول الرب: اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ أَيضًا؟ هذه ليست قضية تطابُق؛ استخدام أداة الربط 'أيضًا' يُظهِر أن الآب قد ذُكر بالاسم بالإضافة إلى الابن. تعبير 'الآبَ أَيضًا' يتناقض مع فكرة الشخص المنعزل والمفرد. لا يوجد استنتاج ممكن سوى أن الآب قد صار مرئيًا من خلال الابن، لأنهما واحد ومتماثلان في الطبيعة. ولكي لا يُترَك إيماننا من هذه الناحية في شكٍ، يواصل الرب كلامه قائلاً: فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟ إن الآب قد رؤي في الابن، فكيف إذًا يجهل الناس الآب؟ أي احتياجٍ له لأن يُعلَن؟

٣٩- كما أن وحدة الوالد والمولود، المُعلَنة في التماثُل والوحدانية الحقيقية للطبيعة، تُثبِت أن الآب قد شوهِد بطبيعته الحقيقة. وهذا قد أُظهِر بكلمات الرب التالية: أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ لا توجد كلمات أخرى سوى تلك التي استخدمها الابن، يمكن أن تُقَرَّر فيها حقيقة أن الآب والابن، لكونهما متماثلين في الطبيعة، هما غير قابلين

للانفصال. الابن، الذي هو الطريق والحق والحياة، لا يخدعنا بتحول زائف للأسماء والمظاهِر، حينما قد لقَّب نفسه بابن الله رغم لبسه للناسوت. هو لا يخفي حقيقة أنه الله الآب بشكلٍ زائفٍ[٣٦]؛ هو ليس شخصًا[٣٧] مفردًا يخفي ملامحه تحت قناع، حتى يمكننا أن نتخيل أن هناك اثنين موجودين. هو ليس كيانًا منعزلاً، يتخذ الآن وضع ابنه الخاص، ثم مرة أخرى يدعو نفسه الآب، مزخرِفًا طبيعة واحدة غير متغيرة بأسماء متغيرة. إن الصِدق الواضح للكلمات بعيد جدًا عن هذا. الآب هو الآب، والابن هو الابن. لكن تلك الأسماء، والحقائق التي تُقدِّمها، لا تحتوي على أية فكرة جديدة عن الطبيعة الإلهية، لا شيء متناقض، ولا شيء غريب. فإن الطبيعة الإلهية، لكونها صادقةً مع نفسها، تستمر في كونها نفسها؛ أي أن ما هو من الله هو الله. الولادة الإلهية لا تعني نقصان أو اختلاف الألوهية، فإن الابن مولود إلى طبيعة، وموجود في طبيعة، ضمن الطبيعة الإلهية ومماثلة لها، والآب لم يبحث عن أي عنصر غريب كي يمتزج بطبيعة ابنه المولود الوحيد، بل منحه كل شيء يخصه، وهذا بدون نقصان المانح. وهكذا فإن الابن ليس خاليًا من الطبيعة الإلهية، لأنه، لكونه الله، فهو من الله وليس من آخر؛ وهو ليس مختلفًا عن الله، بل هو في الواقع ليس شيئًا آخر غير الله، فإن ذاك المولود من الله هو الابن، والابن فقط؛ فإن الطبيعة الإلهية لم تُؤخَذ منها ألوهيتها في

---

[٣٦] كما في بدعة سابيليوس.

[٣٧] أول مرة تُذكَر هنا *Personalis*؛ لكن *Persona* قد وُجِدت في الكتاب الثالث الفقرة ٢٣؛ الكتاب الخامس الفقرة ٢٦.

مسألة قبوله للولادة كابن. هكذا فإن الآب هو في الابن، والابن في الآب، الله (الآب) في الله (الابن). وهذا ليس باتحاد نوعين متجانسين من الوجود، رغم اختلافهما، ولا بقوة اندماج مادة أكثر اتساعًا تُمارَس على مادة أقل - فإن خصائص المادة تجعل من المستحيل على الأشياء التي تتضمن أشياءً أخرى أن تكون متضمَّنةً فيها أيضًا - بل بولادة طبيعة حية من طبيعة حية. الكيان الحقيقي* substance يَبقى كما هو، فإن الولادة لا تُتلِف الطبيعة الإلهية؛ الله لم يولَد من الله لكي يكون شيئًا آخر سوى الله. هنا لا توجد أية فكرة جديدة، ولا إقصاء، ولا انقسام. الإيمان بأن الآب والابن إلهان هو خطية؛ تأكيد أن الآب والابن هما إله واحد منعزل هو تدنيس للمقدسات؛ إنكار الوحدة المتضمَّنة في تماثل الطبيعة، لإله من إله، هو تجديف.

الآب يعمل بالابن، لكن الابن أيضًا يعمل أعمال أبيه

٤٠- ولكي لا يَعتبر هؤلاء، الذين إيمانهم يعمل وفق الإنجيل، هذا السر كشيء غامض ومبهَم، قدَّمه الرب بهذا الترتيب:- أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ أَعْمَالَه. بأي كلماتٍ أخرى أمكن، أو يمكن، أن تُعلَن ملكية الطبيعة الإلهية للآب والابن، بارتباط كامل مع أهمية ميلاد الابن؟ حينما يقول: الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ

* أي الجوهر. انظر المقدمة صـ ١٣٥.{م}

مِنْ نَفْسِي، فهو لا يطمس وجوده الشخصي، ولا ينكر بنوته، ولا يُخفي وجود طبيعة أبيه الإلهية في ذاته. حينما يتكلم من نفسه - وكلامه هكذا مُثبَت بضمير 'أنا' - فإنه يتكلم كمَن هو باقٍ في الكيان الحقيقي الإلهي Divine substance؛ وحينما لا يتكلم من نفسه، فهذا يشهد لولادته كإله من الله أبيه. هو لا يمكن فصله عن الآب، ولا يمكن تمييزه في وحدة الطبيعة عنه؛ فإنه يتكلم، رغم أنه لا يتكلم من نفسه. الذي يتكلم، رغم أنه لا يتكلم من نفسه، يوجد بالضرورة لأنه يتكلم؛ وبما أنه لا يتكلم من نفسه، إذًا فهو يُعلِن أن كلامه ليس له. فإنه قد أضاف: لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ أَعْمَالَه. كون الآب يحل في الابن يثبت أن الآب ليس منفردًا ولا وحيدًا؛ كون الآب يعمل من خلال الابن يُثبت أن الابن ليس غريبًا ولا أجنبيًا. لا يمكن أن يوجد شخص (أقنوم) واحد فقط، فإنه لا يتكلم من نفسه؛ وبالعكس، هما لا يمكن أن يكونا منفصلين ومنقسمين حينما يتكلم الواحد من خلال صوت الآخر. تلك الكلمات هي إعلان لسر وحدتهما. وكذلك هما الاثنان ليسا واحدًا مختلفًا عن الآخر، بالنظر إلى أن كليهما في الآخر بطبيعتهما المتأصلة؛ وهما واحد، لأن الذي لا يتكلم من نفسه، يتكلم رغم ذلك. وبعدئذ، بعد أن علَّم بأن الآب قد تكلَّم وعمل به، رسخ الابن هذه الوحدة كقانون لإيماننا:- لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ أَعْمَالَه. صَدِّقُونِي، أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؛ وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا. الآب يعمل بالابن؛ لكن الابن أيضًا يعمل أعمال أبيه.

وجود المسيح ليس معناه سوى الوجود في الله

٤١- وهكذا، لئلا نعتقد ونقول إن الآب يعمل في الابن من خلال طاقته الخاصة كلية القدرة، وليس من خلال اقتناء الابن للطبيعة الإلهية بحق مولده، يقول المسيح: صَدِّقُونِي، أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ. ما معنى 'صدقوني'؟ من الواضح أنها تشير إلى ما سبق:- أَرِنَا الآبَ. إيمانهم - أي الإيمان الذي طلب وجوب إظهار الآب - مُثبَت بذلك الأمر بالإيمان. إنه لم يكتف بقوله: اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ أَيضًا، بل يتقدم إلى ما هو أبعد، ويوسع معرفتنا، لكي يمكننا تأمل وجود الآب في الابن، متذكرين في نفس الوقت أن الابن في الآب. هكذا هو يمكنه أن ينقذنا من خطأ تخيُّل الانبثاق المتبادَل من الواحد للآخر، بالتعليم عن وحدتهما في الطبيعة الواحدة من خلال الولادة والميلاد*. إن الرب يطالبنا بأن نصدقه، لئلا يهتز تمسكنا بالإيمان بتنازله إلى اتخاذ ناسوت. لو بدا أن لحمه، وجسده، وآلامه تجعل ألوهيته مشكوكًا فيها، فدعونا على الأقل نؤمن، ببرهان الأعمال، أن الله (الآب) في الله (الابن) والله (الابن) من الله (الآب)، وأنهما واحدٌ. فإن كلاً منهما في الآخر بقوة طبيعتهما. الآب لا يخسر شيئًا يخصه لكون هذا الشيء في الابن، والابن يَقبل بنوته الكاملة من الآب. الطبائع الجسدية لا تُخلَق على نمط أنها تحوي بعضها بشكلٍ متبادلٍ، أو تملك الوحدة الكاملة لطبيعة واحدة دائمة. في حالتها يكون مستحيلاً أن يوجد ابن مولود وحيد بشكل أبدي، لا

* ولادة الآب للابن، وميلاد الابن من الآب.{م}

يمكن فصله عن طبيعة أبيه الإلهية الحقيقية. مع ذلك فإن **هذه هي الصفة المميزة الخاصة بالله الابن الوحيد، هذا هو الإيمان المعلَن في سِر ولادته الحقيقية، هذا هو عمل قوة الروح، ألا وهو أن الوجود، والوجود في الله، هما نفس الشيء بالنسبة للمسيح**؛ وأن هذا الوجود في الله ليس وجودًا لشيء واحد داخل آخر، كجسد داخل جسد آخر، بل أن حياة ووجود المسيح كائنان داخل الإله الموجود؛ ورغم وجوده داخله، إلا أنه لايزال له وجوده الخاص. فإن كلاً منهما يوجد بالطريقة التي بها لا يوجد أحدهما خارجًا عن الآخر، بما أنهما اثنان من خلال الولادة والميلاد، ولذا توجد طبيعة واحدة إلهية فقط. هذا هو معنى الكلمات: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، و: اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ أَيْضًا، و: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيّ. إنهم يخبروننا بأن الابن المولود ليس مختلفًا أو أدنى من الآب. لذا فإن اقتناءه للطبيعة الإلهية بحق الولادة كابن لله، وكونه ليس شيئًا آخر غير الله، هما الحقيقتان الساميتان اللتان استُعلنتا في الإعلان السري عن الألوهية الواحدة في الآب والابن. وهكذا فإن التعليم عن ولادة الابن الوحيد لا يمكن اتهامه بالإيمان بوجود إلهين ditheism، لأن ابن الله، في كونه مولودًا في الألوهية، قد أَعلن في ذاته طبيعة الله أبيه.

الكتاب الثامن

الأسقف قدوة ومُعلِّم للتعليم الصحيح

١- في عرضه لأسلوب تعيين أسقف، وتعاليمه عن تحديد نمط جديد تمامًا من العضوية الكنسية، علَّمنا بولس الرسول المبارَك الخُلاصة الإجمالية لكل الفضائل المُكمَّلة فيه بالكلمات التالية: مُلاَزِمًا لِلْكَلِمَةِ الَّتِي بِحَسَبِ تَعْلِيمِ الإِيمَانِ، لِكَيْ يَكُونَ قَادِرًا أَنْ يَعِظَ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ وَيُوَبِّخَ الْمُنَاقِضِينَ. فَإِنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ مُتَمَرِّدِينَ غَشَّاشِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ[1]. فإنه بهذه الطريقة يشير إلى أن أساسيات الحفاظ على النظام والسلوكيات الأخلاقية مفيدة فقط للخدمة الكهنوتية الجيدة، لو كانت الصفات الضرورية لمعرفة كيفية التعليم والحفاظ على الإيمان موجودة في نفس الوقت، لأن الرجل لا يصير مباشرةً كاهنًا[2] جيدًا ونافعًا بحياته البريئة فقط أو معرفته للوعظ فقط. فإن الكاهن البريء ينفع نفسه فقط إلا إذا تعلَّم أيضًا؛ بينما المتعلم ليس له شيء يُدعِّم تعليمه ما لم يكن بريئًا. إن كلمات الرسول لا تناسب فقط الإنسان لأجل حياته في هذا العالم بالتعاليم الأخلاقية عن الصدق والاستقامة، ولا هي من ناحية أخرى تُعلِّم بتعليم مختبرٍ لمجرد كاتب في المجمع لأجل شرح الناموس؛ **لكن الرسول يدرب قائدًا للكنيسة، قد تكمَّل بالإتمام الكامل للفضائل العظمى، حتى تتزين**

---

[1] (تي ١: ٩، ١٠).

[2] المقصود أسقفًا.

حياته بتعليمه، وتعليمه بحياته. وفقًا لهذا قد زود تيطس، الشخص الذي قد خاطبه بكلماته، بنصيحة لأجل الممارسة الكاملة للتقوى، قائلاً هكذا: مُقَدِّمًا نَفْسَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ قُدْوَةً لِلأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، مُعَلِّمًا بوَقَارٍ كَلاَمًا صَحِيحًا غَيْرَ مَلُومٍ، لِكَيْ يُخْزَى الْمُضَادُّ، إِذْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ شَائِنٌ أَو رَدِيءٌ يَقُولُهُ عَنَّا[٣]. إن مُعلِّم الأمم هذا، المعلم المختار للكنيسة، نتيجةً لوعيه بالمسيح الذي تكلَّم وسكن فيه، قد عَلِم جيدًا أن عدوى الكلام الفاسد سوف تنتشر باتساعٍ، وأن فساد التعليم المُهلِك سوف يثور باهتياج ضد النمط السليم للكلام المخلِّص، وأن نفْخ سم عقائده الشريرة الخاصة في أعماق النفْس سوف يزحف بثباتٍ لكي يؤذي. إنه يقول عن هؤلاء الذين يُفسدون صحة العقل إذ يغزونه في خلسة بعدوى خفية: الَّذِينَ كَلِمَتُهُمْ تَرْعَى كَآفَةٍ مُهْلِكَةٍ[٤]. لأجل هذا أراد أن يكون للأسقف تعليم الكلام السليم، ووعي جيد بالإيمان، وخبرة في الوعظ لمقاومة المخالفين الأشرار والكاذبين والمتطرفين. فإن هناك الكثيرين الذين يتظاهرون بالإيمان، لكنهم غير خاضعين للإيمان، بل بالحري يُعِدُّون لأنفسهم إيمانًا أكثر من قبول ما قد أُعطي، منتفخين بأفكار التفاهة البشرية، عارفين الأمور التي يريدون أن يعرفوها وغير عازمين على معرفة الأشياء الحقيقية؛ إذ في بعض الأحيان تكون معرفة ما لا نحبه علامةً للحكمة الحقيقية. أيًا كان، فإن هذه الحكمة الإرادية تُتبَع بوعظ غبي، إذ من المؤكد أن ما يتم تعلُّمه بحُمقٍ

---

[٣] (تي ٢: ٧، ٨).

[٤] (٢تي ٢: ١٧).

يُكرَز به بشكل أحمق بالضرورة. علاوة على ذلك، فإن الوعظ الأحمق لهؤلاء الذين يسمعون هو شر عظيم، فإنهم يُضَلَّلون إلى آراء غبية بغرور الحكمة، ولذا وصَفهم الرسول بهذا: فَإِنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ مُتَمَرِّدِينَ غَشَّاشِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ[٥]. مِن ثَم يجب أن نرفع صوتنا ضد الشر المتكبر والكبرياء المتبجح والتبجُّح المغوِي - نعم، يجب أن نتكلم ضد تلك الأمور بسلامة تعليمنا، وحقيقة إيماننا، وإخلاص وعظنا، لكي يمكننا أن نحظى بنقاء الحق وحقيقة التعليم السليم.

ليس هناك إلهان، كما أن الله ليس مفردًا

٢- إن سبب ذكري توًا لهذا الكلام الذي قاله الرسول هو أن الرجال، أصحاب العقول الملتوية والإثباتات المزيفة، الخالين من الرجاء والحقودين في الكلام، يفرضون عليَّ ضرورة التنديد بهم، لأنهم تحت مظهر الدين يغرسون التعاليم المميتة، والأفكار المُعدية والرغبات الفاسدة في العقول البسيطة لسامعيهم. هم يفعلون هذا بكلامٍ يتجاهل المعنى الحقيقي للتعليم الرسولي، كي لا يكون الآب آبًا، ولا الابن ابنًا، ولا الإيمان إيمانًا. فلأجل مقاومة كذبهم الشديد، قد وسَّعنا دائرة إجابتنا حتى الآن، إذ بعد أن أثبتنا من الناموس أن الله (الآب) والله (الابن) متمايزان، وأن الإله الحق في الإله الحق، قد أظهرنا بعدئذ من تعليم الإنجيليين والرسل الميلاد التام والحقيقي لله الابن الوحيد؛ وأخيرًا، قد أشرنا في الطريقة المناسبة لجدالنا إلى أن ابن

---

[٥] (تي ١: ١٠)

الله هو إله حق، ومن نفس طبيعة الآب، **كي لا يعترف إيمان الكنيسة بأن الله مُفردٌ ولا بأن هناك إلهين.** أما الآن فلدينا هدفان من دحض كلامهم العقيم، أولاً أننا يمكننا أن نُعلِّم بما هو مقدس وكامل وسليم، وألا يتوه بحثنا داخل أية طُرق جانبية وملتوية، ويشق طريقه بصعوبة داخل الأنفاق المخادعة والمنعطفة، بل يبحث بالحري عن الحق قبل أن يُعلنه. أما هدفنا الثاني فهو أننا لكي نُقنِع الكل يجب أن نُظهِر حماقة وسُخف تلك الجدالات المخادعة التي لآرائهم العقيمة والمضلِّلة التي يكيفونها كي تُظهِر الحقيقة المُغوية بشكل منطقي في الظاهر. لأننا لن نكتفي بإظهار ما هي الأمور الجيدة، ما لم تُفهَم أنها جيدة بشكل مطلَق بدحضنا لمعارضاتهم.

براهين ماكرة

٣- لكن بما أن طبيعة ومسعى الصالحين والحكماء أن يُهيئوا أنفسهم بالتمام لتأمين حقيقة وفرصة وجود رجاء نفيس، لئلا يُخذِل استعدادهم ما يبحثون عنه. لذا بطريقة مماثلة، يجعل هؤلاء الممتلئون بجنون النوبة الهرطوقية همهم الرئيس هو العمل بكل مكرهم عديم التقوى ضد حقيقة الإيمان التقي، لكي ما يمكنهم أن يُرسِّخوا تجديفهم الخاص ضد هؤلاء الأتقياء، كي يمكنهم أن يتجاوزوا رجاء حياتنا في يأسهم الخاص، ويمكنهم أن يصرفوا اهتمامًا أكبر بالكذب أكثر مما نصرفه على تعليمنا. لكنهم أمام الإثباتات التقية لإيماننا قد دبروا جيدًا اعتراضات إيمانهم الخاطئ عديم التقوى، مثل السؤال أولاً عن إن كُنا نؤمن بإله واحد، ثم، إن كان المسيح

أيضًا هو الله، وأخيرًا، إن كان الآب أعظم من الابن، لكي حينما يسمعوننا نعترف بأن الله واحد يستخدمون ردَّنا لإظهار أن المسيح لا يمكن أن يكون هو الله. فإنهم لا يسألون إن كان الابن هو الله، بل كل ما يريدونه في أسئلتهم عن المسيح هو إثبات أنه ليس ابنًا، كي بإيقاع الناس في شَرَك الإيمان البسيط يمكنهم من خلال الإيمان بإله واحد أن يحولوهم عن الإيمان بالمسيح كإله، على أساس أن الله لن يظل واحدًا لو اعتُرِف بالمسيح أيضًا كإله.

فإنهم بقدرٍ من الذكاء النابع من الحكمة العالمية يجادلون قائلين: *لو أن الله واحد، فإن الآخر الذي سوف يُظهَر لن يكون هو الله؟ ولو كان هناك إله آخر فلن يظل واحدًا، لأن الطبيعة لا تسمح بوجود واحد فقط حينما يكون هناك آخر، ولا بأنه حينما يكون هناك واحد فقط يجب أن يكون هناك آخر.* ثم، بعدما يُضلون بمكر شديد هؤلاء المستعدين للإيمان والإنصات لتلك المناقشة الماكرة، يضعون حينئذ هذا الافتراض - كما لو كانوا يمكنهم الآن أن يرسخوه بطريقة أسهل - أن المسيح هو إله بالاسم بدلاً من أن يكون إلهًا بالطبيعة، لأن هذا الاسم العام فيه لا يمكنه أن يُفسِد أبدًا هذا الإيمان الواحد الحقيقي في إله واحد، ويجادلون قائلين: *إنه بهذا يكون الآب أعظم من الابن، لأن الطبائع مختلفة، حيث لا يوجد سوى إله واحد، والآب أعظم بسبب الخاصية الأساسية لطبيعته، وأن الآخر يُدعى فقط ابنًا بينما هو في الحقيقة مخلوق يوجد بإرادة الآب، لأنه أقل من الآب؛ وأيضًا أنه ليس إلهًا، لأن الله لكونه واحدًا لا يُسمح بوجود إله آخر، لأن هذا*

الأقل يجب أن يكون بالضرورة من طبيعة غريبة عن تلك التي للشخص الأعظم.

كم هم أغبياء في محاولاتهم وضع قانون لله، حينما يذكرون أنه *لا يمكن أن تكون قد حدثت ولادة من كيان مفرد، لأن في كل مكان في الكون تظهر الولادة من اتحاد اثنين؛ وأيضًا أن الإله غير المتغير لا يمكن أن يمنح من نفسه ولادةً لواحد مولود، لأن ذاك غير المتغير غير قابل للإضافة، ولا يمكن لطبيعة الكيان المنعزل والمفرد أن تحوي في نفسها خاصية التوالد.*

وحدة الله لا تتعارض مع تمايز الأقانيم

٤- أما نحن، فبوصولنا بالتعليم الروحي إلى إيمان الإنجيليين والرسل، وباتباع رجاء السعادة الأبدية باعترافنا بالآب والابن، وبإثباتنا من الناموس سِر الله (الآب) والله (الابن)، بدون تخطي حدود إيماننا بإله واحد، أو الإخفاق في إعلان أن المسيح هو الله، قد كيفنا طريقة الرد لتكون من الأناجيل، حتى إننا نُعلِن الميلاد الحقيقي لله الابن الوحيد من الله الآب، لأنه بهذا كان إلهًا حقًا وليس غريبًا عن طبيعة الإله الحق الواحد، وبهذا لا يمكن إنكار ألوهيته ولا يمكن أن يوصَف هو نفسه كإله ثانٍ، لأنه رغم كونه إلهًا بالميلاد، إلا أن الطبيعة الموجودة بداخله، والتي بها يكون هناك إله من إله، لم تفصله كإله آخر. وبالرغم من أن عقلنا البشري يقودنا إلى هذا الاستنتاج، أن الأسماء المختلفة من نفس نوع الطبيعة لا يمكن أن تجتمع

معًا في الطبيعة نفسها، وأنهم ليسوا واحدًا، رغم عدم اختلاف جوهر كلٍ منهم في النوع*؛ إلا أنه يبدو أمرًا جيدًا أن نُثبِت هذا من الأقوال المعبرة التي قالها ربنا، الذي قد أظهر بشكلٍ متكرر أن الإله الذي نؤمن به وننتظره واحدٌ، حينما أعلن وأثبت ألوهيته الذاتية، قائلاً: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، و: لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا، و: صَدِّقُونِي، أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا[٦]. لقد أشار إلى ولادته الذاتية في اسم 'الآب'، وأعلن أن معرفة الآب تكون في المعرفة به هو نفسه. إنه يجاهر بوحدانية الطبيعة، حينما يكون مَن يرونه يرون الآب. هو يشهد أنه غير منفصل عن الآب، حينما يكون في الآب ويكون الآب فيه. إنه يملك ثقة المعرفة الذاتية حينما يطلب ضمانًا لكلماته من أعمال قوَّته. وهكذا في ذاك الإيمان الأقدس بالولادة الكاملة يَبطُل كل خطأ، سواء بوجود إلهين أو بوجود إله منفرد، لأن اللذَين هم واحد في الجوهر ليسا شخصًا واحدًا، والذي ليس هو شخصًا واحدًا مع 'الذي يكون**'، هو أيضًا لا يختلف عنه، إذ أن الاثنين واحد.

---

* مثل البشر، لكلٍ منهم اسم خاص، وكلهم من جوهر واحد 'الإنسانية'، لكنهم ليسوا شخصًا واحدًا.{م}

[٦] (يو ١٤: ٦- ١١)

** "الَّذِي يَكُونُ قَدْ أَرْسَلَنِي لَكُمْ" (خر ٣: ١٤).{م}

ادعاء أن وحدة الآب والابن هي وحدة في الإرادة وليست في الطبيعة

٥- أما الآن، بالرغم من أن الهراطقة لا يمكنهم إنكار تلك الأمور لأنها قد أُقِرَّت وفُهِمَت بوضوح، إلا أنهم مع ذلك يحرفونها بالأكاذيب الأكثر حمقًا وشرًا لكي ينكروها بعد ذلك. فإنهم بكلمات المسيح: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، يحاولون الإشارة إلى اتفاقٍ مجرد بالإجماع، بأنه ربما يكون لديهما اتحاد للإرادة وليس للطبيعة، أي أنهما يمكن أن يكونا واحدًا ليس بأساس الوجود، بل بتطابق الإرادة. وهم يضعون لتدعيم قضيتهم العبارة التي وردت في أعمال الرسل: وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ[٧]، لأجل إثبات أن اختلاف النفوس والقلوب يمكن أن يتحد إلى قلب واحد ونفس واحدة من خلال التطابق المجرد للإرادة. أو يقتبسون أيضًا تلك الكلمات التي قيلت للكورنثيين: وَالْآنَ الْغَارِسُ وَالسَّاقِي هُمَا وَاحِدٌ[٨]، لكي يُظهِروا أن اتحادهما هو اتحاد للإرادة، بما أنهما واحد في عملهما لأجل خلاصنا، وفي إعلان السر الواحد. أو يقتبسون أيضًا صلاة ربنا لأجل خلاص الشعوب الذين يجب أن يؤمنوا به: وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا (وَاحِدًا) فِينَا[٩]، لكي يُظهِروا أنه مثلما أن البشر لا يمكن أن يُقال إنهم ينصهرون في الله أو

---

[٧] (أع ٤: ٣٢)

[٨] (١كو ٣: ٨)

[٩] (يو ١٧: ٢٠، ٢١)

يندمجون هم أنفسهم في الكتلة التي لا يمكن تمييزها، هكذا لا بُد أن ظهور هذا التماثل ناتج عن اتحاد الإرادة، حينما يقوم الكل بالأعمال التي تبهج الله، ويتحد الواحد مع الآخر في الانسجام المتناغم لأفكارهم؛ وهكذا ليست الطبيعة هي التي تجعلهما واحدًا، بل الإرادة.

لأن الله هو الحكمة، فمن يعرفه يعرف الحكمة

٦- من الواضح أن الذي لا يعرف الله لا يعرف الحكمة. وبما أن المسيح هو **الحكمة** فلا بُد أن ذاك الذي لا يعرف المسيح أو يكرهه، بعيد عن الحكمة. كما يفعل مثلاً الذين يعتبرون أن رب المجد، وملك الكون، الله الابن الوحيد، مخلوقًا لله وليس ابنه. وفي إضافتهم لتلك الأكاذيب الغبية قد أظهروا مهارة حمقاء في الدفاع عن كذبهم. فحتى لو تجاهلوا قليلاً الصفة الجوهرية للاتحاد الموجود في الله الآب والله الابن، إلا أن نفس تلك العبارات التي يقدمونها يمكن أن تُدحَض.

الرد على فكرة اتحاد الإرادة

٧- فهل كان هؤلاء الذين كانوا واحدًا بالنفس والقلب، واحدًا من خلال الإيمان بالله؟ نعم، بالتأكيد، من خلال الإيمان، فإنه من خلال هذا (الإيمان) كان نفس وقلب الكل واحدًا. أنا أسأل ثانيةً، هل الإيمان واحد أم هل هناك إيمان ثانٍ؟ بلا شك هو واحد، وهذا على مسئولية الرسول نفسه، الذي أعلن إيمانًا واحدًا تامًا برب واحد، ومعموديةً واحدةً، ورجاءً واحدًا،

وإلهًا واحدًا[١٠]. لو كان إذًا من خلال الإيمان، أي من خلال طبيعة الإيمان الواحد، أن الكل واحد، فكيف لا تفهمون الاتحاد الطبيعي في حالة هؤلاء الذين هم واحد من خلال طبيعة الإيمان الواحد؟ **فإن الكل قد وُلدوا ثانيةً للتبرير، والخلود، ومعرفة الله، وللإيمان الذي للرجاء.** ولو أن تلك الأشياء لا يمكن أن تختلف في نفسها لأن هناك رجاءً واحدًا وإلهًا واحدًا، مثلما أيضا هناك رب واحد ومعمودية واحدة للتجديد؛ لو أن تلك الأشياء واحدة بالاتفاق وليس بالطبيعة، فحينئذ يمكنكم أن تنسبوا اتحادًا للإرادة لهؤلاء الذين قد وُلِدوا ثانيةً إليها أيضًا. على أية حال، لو أنهم قد وُلدوا ثانيةً إلى طبيعة الحياة والأبدية الواحدة، إذًا، فطالما أن نفسهم وقلبهم واحد، فإن اتحاد الإرادة يفشل في تفسير حالة هؤلاء الذين هم واحد بالتجديد إلى نفس الطبيعة.

٨- هذه ليست تخمينات شخصيةً نقدمها، كما أننا لا نجمع بالزيف أيًا من تلك الأشياء بغرض خداع آذان مستمعينا بتحريف معنى الكلمات؛ لكننا بتمسُّكنا جيدًا بشكل التعليم السليم نعرف ونعظ بالأمور الصحيحة. فإن الرسول يُظهِر أن تلك الوحدة التي للمؤمنين تَبرُز من طبيعة الأسرار المقدسة* حينما يكتب للغلاطيين: لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ. لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ

---

[١٠] قارن (أف ٤: ٤، ٥)

* سر التجديد (المعمودية) وسر التثبيت (الميرون).{م}

وَأُنْثَى؛ لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"[1]. كون هؤلاء واحدًا وسط التنوعات الهائلة للعِرق، والوضع، والجنس، هل هو من اتفاق للإرادة أم من وحدة السر المقدس، بما أن هؤلاء لهم معمودية واحدة وكلهم قد لبسوا مسيحًا واحدًا؟ فما هو النفع الذي سوف يقدمه اتفاق العقول هنا حينما يكونون واحدًا لكونهم قد لبسوا مسيحًا واحدًا من خلال طبيعة المعمودية الواحدة؟

٩- وكذلك بما أن مَن غرس ومَن سقى هما واحدٌ، أليسا هما واحدًا إذًا لأنهما يُشكِّلان خدمة معمودية تجديد واحدة، إذ هما نفسهما قد وُلِدا ثانيةً في معمودية واحدة؟ أليسا هما واحدًا في الواحد*؟ لذا فهؤلاء الذين هم واحد من خلال نفس الشيء هم واحد أيضًا بالطبيعة، وليس فقط بالإرادة، طالما هم أنفسهم قد صاروا نفس الشيء وهم خدام لنفس الشيء ونفس القوة.

تناقض الهراطقة يُثبت جهلهم

١٠- أما الآن فإن تناقض الحمقى يُستَخدَم دائمًا لإثبات حماقتهم، لأنه بالنسبة للنقائص التي يخترعونها ضد الحق بوسائل الفهم غير الحكيم والملتوي - بينما يبقى الحق غير مهتز وثابت - لا بُد أن تُعتبَر الأشياء المضادة لها كاذبةً وحمقاءَ بالضرورة. فإن الهراطقة يحاولون خداع الآخرين بالكلمات: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ، كي لا يُعتَرف فيها بالوحدانية وبجوهر الألوهية المماثل، بل

---

[1] (أف ٣: ٢٧، ٢٨)

* أي المسيح يسوع.{م}

بأنها فقط تُبرز الوحدانية الناتجة عن الحب المتبادَل واتفاق الإرادة. لكنني أقول إن هؤلاء الهراطقة قد جلبوا مثالاً للوحدة، كما أوضحنا سابقًا، حتى من كلام ربنا: لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا"[١٢].

إن كل إنسان خارج وعود الإنجيل هو خارج الإيمان بها، وبخطيئة الفهم الشرير قد فقد كل الرجاء المطلق. فإن عدم معرفتكم بما تؤمنون به لا يستحق أعذارًا كثيرةً بل يستحق المكافأة، إذ أن أعظم ما يقدمه الإيمان هو الرجاء فيما لا تعرفونه*. لكن جنون الشر المبتدع هو ألَّا تؤمِن بالأشياء المفهومة، أو أن تُفسد المعنى الذي به يؤمن الإنسان.

وحدة الآب والابن، ووحدتنا معهما

١١- لكن بالرغم من أن شر الإنسان يمكنه أن يحرِّف قواه العقلية، إلا أن الكلمات تحتفظ بمعناها. ربنا يصلي لأبيه كي يكون هؤلاء الذين سوف يؤمنون به واحدًا، وكما أنه في الآب والآب فيه، هكذا يكون الكل واحدًا فيهما. لماذا تجلبون هنا تطابقًا للعقل، ووحدة للنفس والقلب من خلال اتفاق الإرادة؟ لو كانت الإرادة هي التي جعلتهما واحدًا، لقال الرب: *أيها الآب، كما أننا واحد في الإرادة، ليكونوا هم أيضًا واحدًا في الإرادة، كي نكون كلنا واحدًا من خلال الاتفاق*! أم هل يمكن أن يجهل '**الكلمة**' معنى

---

[١٢] (يو ١٧: ٢١)

* "أَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى" (عب ١١: ١).{م}

الكلمات؟ أو لا يعرف 'الحق' كيف يقول الحق؟ أو يشرد 'الحكمة' بكلام أحمق؟ وهل يَحِدُّ الضعف 'القوة'، لدرجة أنه لم يستطع أن يتكلم بما أراد أن يُفهَم؟ لقد تكلم بالحق وبأسرار إيمان الإنجيل الصادقة بشكل واضح. ولم يتكلم فقط كي يمكننا أن ندرك، بل وعلَّم أيضًا كي يمكننا أن نؤمن، قائلاً: لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا. لأجل هؤلاء أولاً قد قيلت الصلاة: لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا. ثم يُقدِّم تعزيز الوحدة بنمط الوحدة، حينما يقول: كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، **كي يكون الكل واحدًا في الآب والابن من خلال نمط تلك الوحدة، كما أن الآب في الابن والابن في الآب.**

مجد الابن يُحضِر كل المؤمنين إلى وحدة مجد الآب

١٢- لكن لأنه صحيح بالنسبة للآب وحده والابن أنهم يجب أن يكونا واحدًا بالطبيعة لأن الله (الابن) هو من الله (الآب)، والابن الوحيد من غير المولود لا يمكن أن يوجد في طبيعة أخرى غير تلك التي من مصدره؛ لذا فإن الذي وُلِد يجب أن يوجد بجوهر* ميلاده، والمولود يجب ألا يملك أية ألوهية أخرى أو مختلفة عن تلك التي قد وُلِد منها؛ فإن ربنا لم يترك لنا أي شك في إيماننا بتأكيده طوال المحادثة كلها عما ينتج عن طبيعة تلك الوحدة الكاملة. فإن الكلمات التالية هي تلك: لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ

* وقد ذكرها 'الكيان الحقيقي' substance.{م}

أَرْسَلْتَنِي[١٣]. وهكذا يؤمن العالم أن الابن قد أُرسِل بواسطة الآب لأجل أن يكون كل مَن يؤمن به واحدًا في الآب والابن. ثم يخبرنا في الحال عن كيف سيكونون هكذا (بقوله): وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي[١٤]. أما الآن فأنا أسأل إن كان المجد والإرادة شيئًا واحدًا، لأن الإرادة هي انفعال عقلي، بينما المجد هو تزيين أو زخرفة للطبيعة. لذا فإن ما أعطاه الابن لكل مَن سيؤمنون به هو المجد المأخوذ من الآب، وليس الإرادة بالتأكيد. لو كانت تلك هي المُعطاة، إذًا فلن تكون هناك مكافأة للإيمان، لأن افتقارنا للإرادة يفرض علينا الإيمان أيضًا. ومع ذلك فقد أظهر ما سينتج عن قبول المجد المُعطَى: لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ[١٥]. إذًا قد مُنح هذا المجد المُعطى لأجل هذا الهدف، كي يكون الكل واحدًا. لذا فالكل واحد الآن في المجد، لأن المجد المُعطَى ليس سوى ما قد قُبِل؛ أم تُرَى قد أُعطي لسبب آخر سوى أن يكون الكل واحدًا؟ وبما أن الكل واحد من خلال المجد المُعطَى للابن، وبالابن قد مُنِح للمؤمنين، فأنا أسأل كيف يمكن أن يكون للابن مجد مختلف عن الذي للآب، بما أن مجد الابن يُحضِر كل المؤمنين إلى وحدة مجد الآب؟ **والآن ربما يكون كلام الرجاء البشري في هذه الحالة مفرطًا إلى حدٍ ما، ومع ذلك فلن يكون متعارضًا مع الإيمان؛ فبالرغم من أن الرجاء في هذا يحمل جرأةً زائدةً، إلا أن عدم الإيمان به هو**

---

[١٣] (يو ١٧: ٢١)

[١٤] (يو ١٧: ٢٢)

[١٥] (يو ١٧: ٢٢)

إثم، فإن مصدر رجائنا وإيماننا واحد. نحن سوف نعالج تلك المسألة بأكثر وضوح وبمساحة أكبر في موضعها المناسب، لكن في غضون ذلك من السهل أن نرى من خلال جدالنا الحالي أن رجاءنا هذا ليس فارغًا ولا وقحًا. لذا فمن خلال المجد المقبول والمُعطَى يكون الكل واحدًا. أنا أتمسك بالإيمان وأعترف بسبب الوحدة، لكنني ما زلت لا أفهم كيف يصير الكل واحدًا بالمجد المُعطَى.

اتحادنا بالمسيح في الإفخارستيا اتحاد حقيقي وليس اتحادًا للإرادة

١٣- أما الآن، فلم يترك ربنا عقول أتباعه المؤمنين في شكٍ، بل قد شرح الطريقة التي تعمل بها طبيعته، قائلاً: لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ[١٦]. الآن أنا أسأل هؤلاء الذين يتكلمون عن وحدة الإرادة بين الآب والابن، هل المسيح فينا اليوم من خلال حقيقة الطبيعة أم من خلال اتفاق الإرادة؟ **فلو أن الكلمة بالحقيقة قد صار جسدًا، ونحن بالحقيقة نأخذ الكلمة الذي صار جسدًا كطعام من الرب#، أفلسنا مقيدين بالإيمان بأنه يقيم فينا حقيقيًا، ذاك الذي بولادته كإنسان قد اتخذ طبيعة جسدنا الآن بعدم انفصال عن نفسه، ووحَّد طبيعة**

---

[١٦] (يو ١٧: ٢٢، ٢٣)

وهو هنا يربط سر التجسد بسر الافخارستيا، مما يؤكد إيمان الآباء الأولين بأن ما نتناوله كجسد المسيح هو جسده الذي تجسد به، وليس مجرد رمز أو ذكرى.{م}

جسده الخاص بطبيعة الألوهية الأزلية في السر المقدس* الذي فيه قد اتصل جسده بنا؟ فهكذا نحن الكل واحد، لأن الآب في المسيح والمسيح فينا. مَن سينكر إذًا أن الآب في المسيح بالحقيقة لا بُد أن ينكر أولاً أنه هو نفسه في المسيح بالحقيقة، أو أن المسيح فيه، لأن الآب في المسيح والمسيح فينا يجعلانا واحدًا فيهما. من ثَم، لو أن المسيح قد اتخذ لنفسه بالفعل جسدنا، والإنسان الذي وُلِد من العذراء كان بالفعل هو المسيح، ونحن بالفعل نَقبَل جسده في سرٍ - {ولأجل هذا السبب سوف نكون واحدًا، لأن الآب فيه وهو فينا} - فكيف يمكن التأكيد على وجود اتحاد للإرادة، بالنظر إلى أن الصفة الخاصة بالطبيعة المقبولة من خلال السر المقدس هي سِر الوحدة الكاملة؟[١٧]

نحن فيه وهو فينا بالإفخارستيا

١٤- الكلمات التي نتكلم فيها عن أمور الله لا بُد ألا تُستَخدَم فيما بعد بمعنى إنساني أو عالمي، ولا يجب أن تُحرَّف الكلمات السماوية الصحيحة إلى مفاهيم غريبة وعديمة التقوى لتعليم عنيف وجامح. دعونا نقرأ ما قد كُتِب، دعونا نفهم ما نقرأه، ثم نحقق مطالب الإيمان الكامل. بالنسبة لِما نقوله بخصوص حقيقة طبيعة المسيح التي فينا، فإن لم نكن قد تعلمنا

---

* قارن (١ تي ٣: ١٦) "وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ".{م}

[١٧] لو أننا في السر المقدس نملك شركة حقيقية مع الآب والابن، فإن اتحاد الآب والابن الذي على أساسه تقوم الشركة لا بُد أن يكون حقيقيًا أيضًا، وليس مجرد اتفاق للإرادة.

بواسطته، فسوف تكون كلماتنا حمقاءً وعديمة التقوى. فإنه هو نفسه يقول: لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَق. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ[١٨]. لا يوجد مجال للشك في حقيقة الجسد والدم. فإنهما الآن جسد حقيقي ودم حقيقي من خلال تصريح الرب نفسه وإيماننا الخاص. وهذان حينما يؤكلان ويُشربان، يجعلانا في المسيح والمسيح فينا. أليس هذا حقيقيًا؟ ومع ذلك فهؤلاء الذين يُثبتون أن يسوع المسيح ليس إلهًا بالحقيقة يُرَحبون بأن يجدوا هذا كذبًا. **لذا فهو نفسه فينا من خلال الجسد ونحن فيه، بينما نحن وهو في الله.**

الابن في الآب بطبيعته الإلهية، ونحن فيه من خلال ولادته بالجسد

١٥- أما عن كيفية كوننا فيه من خلال سِر الجسد والدم الممنوح لنا، فيشهد هو نفسه قائلاً: بَعْدَ قَلِيل لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. لأَنَّنِي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ أَيْضًا. لأَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ[١٩]. لو أردنا الإشارة إلى وحدة مجردة للإرادة، فلماذا عرَض هو نوعًا من التعاقب والتسلسل في إكمال الوحدة، إلا إذا جعلنا نؤمن أنه فينا بواسطة سِر الأسرار المقدسة mystery of the sacraments، بما أنه كان في الآب من خلال طبيعة الألوهية، ونحن بالمقابل فيه من خلال ولادته في الجسد؟ وهكذا يمكن التعليم عن اتحاد كامل من خلال وسيط، حينما نَثبُت في

---

[١٨] (يو ٦: ٥٥، ٥٦)

[١٩] (يو ١٤: ١٩، ٢٠) مع إغفاله لجملة 'فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ'.{م}

ذاك الذي قد ثبت في الآب، وكما يَثبُت في الآب يثبُت فينا أيضًا؛ وهكذا يمكننا أن نصل إلى اتحاد مع الآب، بما أننا نثبت بالحقيقة أيضًا في ذاك الذي يَثبت طبيعيًا في الآب بالميلاد، بينما هو نفسه يَثبُت بالحقيقة فينا أيضًا.

١٦- من ناحية أخرى، قد شهد هو نفسه عن كيف يكون اتحاده بالحقيقة فينا بهذه الطريقة: مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ، إذ لن يسكن فيه أحد سوى الذي يسكن فيه بنفسه، **لأن الجسد الوحيد الذي قد أخذه لنفسه هو جسد هؤلاء الذين أخذوا جسده.** لقد علَّم بالفعل قبلاً عن سِر تلك الوحدة الكاملة، قائلاً: كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ، فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي[٢٠]. **لذا فهو يحيا بالآب، وكما أنه يحيا بالآب هكذا نحن نحيا بجسده.** فإن كل مقارنة تُختار لكي تُشكِّل فهمنا، لكي يمكننا أن ندرك الموضوع الذي نعالجه بفضل التشابه الموضوع أمامنا. **هذا هو سبب حياتنا أننا لدينا المسيح يحيا في طبائعنا البشرية الجسدية بالجسد، وسوف نحيا به كما أنه يحيا بالآب.** فلو كنا إذًا نحيا به بالطبيعة بحسب الجسد، أي قد تناولنا طبيعة جسده، ألا ينبغي أن يكون لديه الآب في نفسه طبيعيًا بحسب الروح، بما أنه هو نفسه يحيا بالآب؟ وهو يحيا بالآب لأن ولادته لم تَغرس فيه طبيعة غريبة ومختلفة، وطالما أن وجوده الحقيقي هو

[٢٠] (يو ٦: ٥٧)

منه، فهو إذًا لا يزال غير منفصلٍ عنه بأي عائق يمنع مماثلة الطبيعة، لأن الآب فيه هو نفسه بواسطة الولادة بقُدرة الطبيعة.

١٧- لقد أسهبت بخصوص تلك الحقائق لأن الهراطقة يدافعون بالكذب عن أن الاتحاد بين الآب والابن هو اتحاد للإرادة فقط، ويستخدمون مثال اتحادنا الشخصي بالله، كما لو كنا اتحدنا بالابن وبالآب من خلال الابن بالطاعة المجردة والإرادة التقية، ولم نَنَل شيئًا من الاتحاد الحقيقي به من خلال سِر الجسد والدم؛ بالرغم من أننا ينبغي أن نُبشِّر بسِر الوحدة الحقيقية لأجل مجد الابن الذي قد مُنِح لنا من خلال سُكنى الابن فينا بمقتضى الجسد، حتى إننا متحدون فيه بلا انفصال.

١٨- لذا فقد جعلنا ردنا على حماقة خصومنا العنيفين لمجرد إثبات فراغ أكاذيبهم، وبالتالي منعِهم من تضليل الغافلين بخطأ تصريحاتهم العقيمة والغبية. لكن إيمان الإنجيل لا يتطلب ردنا بالضرورة. لقد صلى الرب لأجلنا كي نتحد بالله، بينما يحفظ الله اتحاده الخاص ويَثبُت فيه. إن كونهما واحدًا ليس من خلال أية وظيفة سرية يقوم بها الله، بل من خلال ولادة طبيعة، لأن الله لا يفقد شيئًا بولادته من ذاته. إنهما واحد، لأن الأشياء غير المسلوبة من يده غير مسلوبة من يد الآب[٢١]، لأنه حينما يُعرَف فحينئذ يُعرَف الآب، وحينما يُرى فحينئذ يُرى الآب، وما يقوله هو قول الآب الكائن فيه، لأن الآب يعمل في أعماله، لأنه في الآب والآب فيه[٢٢]. هذا لا ينشأ عن

---

[٢١] (يو ١٠: ٢٨، ٢٩)

[٢٢] (يو ١٤: ٧، ٩، ١٠، ١٢)

خَلقٍ بل عن ولادة؛ هذا لا يحدث بالإرادة بل بالقدرة؛ لا يمثل اتفاق للعقل بل للطبيعة؛ لأن الخلق والولادة ليسا نفس الشيء، وهما شيء آخر غير الإرادة والإمكانية، كما أن التوافق والسُكنى ليسا نفس الشيء.

شهادة الابن عن الوحدة التي بينه وبين الآب

١٩- وهكذا نحن لا ننكر الاتفاق بين الآب والابن، فإن الهراطقة قد اعتادوا على التصريح بهذا الكذب، أن كوننا لا نقبل الاتفاق وَحده كرباط الوحدة، هو إعلان عن أنهما مختلفان في الرأي. لكن دعوهم يسمعون كيف لا نُنكر ذلك الاتفاق. إن الآب والابن واحد في الطبيعة والكرامة والقوة، والطبيعة الواحدة لا يمكن أن تريد أشياءً متعارضةً. علاوة على ذلك، دعوهم ينصتون إلى شهادة الابن فيما يتعلق بوحدة الطبيعة بينه هو نفسه وبين الآب، فإنه يقول: وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي[٢٣]. إن المعزي سوف يأتي والابن سوف يرسله من الآب، وهو روح الحق الذي ينبثق من الآب. دعوا كل أتباع الهراطقة يُظهِرون أشد قوى ذكائهم؛ دعوهم الآن يبحثون عن الأكاذيب التي يمكن أن يُخبروا بها غير المتعلمين، ويعلنون ما هو الذي سيرسله الابن من الآب. إن ذاك الذي يُرسل يُعلِن قوَّته فيما يُرسِل. لكن بالنسبة لذاك الذي سيرسله من الآب، هل نعتبره مُعطى أم مُرسَل أم مولود؟ إن قوله إنه سوف يُرسِل من الآب لا بُد أنه يتضمن واحدة

[٢٣] (يو ١٥: ٢٦)

أو أكثر من طُرُق الإرسال تلك. وهو سوف يُرسِل من الآب روح الحق، ذاك الذي ينبثق من الآب؛ لذا فهو لا يمكن أن يكون المتسلِّم، لأنه قد ظَهر أنه المُرسِل. يبقى فقط أن نتأكد من اقتناعنا بالقصد، سواء كنا نؤمن بانبثاق كيان موجود بالشركة، أو بخروج كيانٍ مولودٍ.

انبثاق الروح من الآب شيء، وإرسال الابن للروح شيء آخر

٢٠- سوف أمتنع في الوقت الحالي عن إظهار فِسق تأملهم، فإن بعضًا منهم يتمسك بأن الروح المعزي إما يأتي من الآب أو من الابن. إن ربنا لم يترك هذا في شكٍ، فإنه بعد تلك الكلمات نفسها يتكلم هكذا: إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ[٢٤]. وفقًا لذلك فإنه يأخذ من الابن، ذاك الذي أُرسِلَ من قِبَله والذي ينبثق من الآب. الآن أنا أسأل إن كان الاستقبال من الابن والانبثاق من الآب هو نفس الشيء*. لكن مع إيماننا بأن هناك اختلافًا بين الأخذ

---

[٢٤] (يو ١٦: ١٢- ١٥)

* وهو هنا يفرق بين الإرسالية الزمنية للروح القدس من قِبَل الابن، والانبثاق الأزلي للروح القدس من الآب، مما يؤكد أن فكرة الكاثوليك عن انبثاق الروح القدس من الآب والابن لم يذكرها حتى الآباء اللاتين الأوائل المعتبرين.{م}

من الابن والانبثاق من الآب، إلا أن الأخذ من الابن والأخذ من الآب هما نفس الشيء. فإن ربنا نفسه يقول: لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. إن ما سوف يأخذه - سواء كان قوةً أم امتيازًا أم تعليمًا - قد قال الابن إنه بالتأكيد قد أُخذ منه، وهو يشير كذلك إلى أن هذا الشيء نفسه قد أُخِذ من الآب بالتأكيد. فإنه حينما يقول إن كل ما للآب هو له، ولأجل هذا يُعلِن أنه لا بُد أنه قد أُخذ مما له، فهو بهذا يُعَلِّم أيضًا بأن ما قد أُخِذ من الآب هو مأخوذ منه هو نفسه أيضًا، لأن كل شيء للآب هو له. تلك الوحدة لا تعترف بأي اختلاف، ولا تصنع فرقًا بين اللذَين أُخِذَت منهما، فإن المُعطى بالآب يوصَف بأنه مُعطى بالابن. فهل هذا هو مجرد اتحاد للإرادة أيضًا؟ كل ما للآب هو للابن، وكل ما للابن هو للآب. هو نفسه يقول: وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي[٢٥]. لم يحِن وقت إظهار لماذا قد تكلم هكذا قائلاً: لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي؛ فإن هذا يشير إلى وقت لاحِق، حينما يُعلَن أنه سوف يأخذ. أما الآن، فهو يقول على أية حالٍ إنه سوف يأخذ من ذاته، لأن كل الأشياء التي كانت للآب كانت له. إن كنتم تستطيعون فصل الوحدة الطبيعية فافصلوها، وقدِّموا بدلاً من ذلك عدم التساوي الضروري (بالنسبة لكم)، والذي يمكن أن يكون الابن من خلاله غير موجود في وحدة الطبيعة. **فإن روح الحق ينبثق من الآب ويُرسَل من الآب بالابن.** كل ما هو للآب هو للابن؛ ولأجل هذا كل ما

---

[٢٥] (يو ١٦: ١٥)

سيأخذه مَن يقبَل سيأخذه من الابن، لأن كل ما للآب هو للابن. إن الطبيعة من كل جهة تحتفظ بقانونها، ولأن كليهما واحد فإن تلك الألوهية نفسها يُستَدَل على وجودها في كليهما من خلال الولادة والميلاد، بما أن الابن يؤكد أن ما سوف يأخذه روح الحق من الآب سوف يُعطَى بواسطته هو نفسه. لذا فإن مشاكسة الهراطقة يجب ألا تُمنَح رخصة حرة للمعتقدات الأثيمة، برفضهم الاعتراف بأن قول الرب هذا - أنه بسبب أن كل ما للآب هو له، لذا فإن روح الحق سوف يأخذ منه - يشير بالتأكيد إلى وحدة الطبيعة.

الروح القدس هو روح الآب والابن

٢١- دعونا نستمع إلى الإناء المختار ومعلم الأمم (ق. بولس)، حينما مدح بالفعل إيمان أهل رومية لأجل فهمهم للحق. فإنه لما أراد أن يُعَلِّم عن وحدة طبيعة الآب والابن، قال هكذا: وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَاكِنًا فِيكُمْ بِالْفِعْلِ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ. لَكِنْ إِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ، فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِالْفِعْلِ بِسَبَبِ الْخَطِيَّةِ، وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَاةٌ بِسَبَبِ الْبِرِّ. وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ[٢٦]. لو سكن روح الله فينا سنكون روحانيين. لكن روح الله هذا هو روح المسيح أيضًا، وبالرغم من أن روح المسيح فينا، إلا أن روح الذي أقام المسيح من الأموات

[٢٦] (رو ٨: ٩-١١)

هو أيضًا فينا، وذاك الذي أقام المسيح من الأموات سوف يُحيي أجسادنا المائتة أيضًا بسبب روحه الذي يسكن فينا. نحن نحيا إذًا بسبب روح المسيح الساكن فينا، من خلال مَن أقام المسيح من الأموات. وبما أن روح مَن أقام المسيح من الأموات يسكن فينا، كما أن روح المسيح فينا، إذًا فالروح الذي فينا لا يمكن أن يكون إلا روح الله. اِفصلوا إذًا، أيها الهراطقة، روح المسيح عن روح الله، وروح المسيح القائم من الأموات عن روح الله الذي يقيم المسيح من الأموات؛ حينما يكون روح المسيح الساكن فينا هو روح الله، وحينما يكون روح المسيح الذي أُقيم من الأموات هو أيضًا روح الله الذي يقيم المسيح من الأموات.

الروح القدس هو من نفس طبيعة الله وليس مجرد خاصية لله

٢٢- والآن أنا أسأل إن كُنتم تظنون أن (تعبير) روح الله يدل على وجود طبيعة، أم على خاصية تخُص طبيعة؟ فإن الطبيعة لا تتطابق مع شيء يخصها، مثلما لا يتطابق الإنسان مع ما يخص الإنسان، ولا تتطابق النار مع ما يخُص النار نفسها، وبنفس الطريقة الله ليس هو نفس ما يخص الله.

لا ينبغي التفكير في الله بطريقة جسدانية لأنه روح

٢٣- فإنني على دراية بأن ابن الله مُعلَن تحت لقب 'روح الله' لكي يمكننا أن نفهم حضور الآب فيه، وأن مصطلَح 'روح الله' يمكن أن يوظَّف للدلالة عليهما، وأن هذا ظاهر ليس فقط استنادًا على الأنبياء، بل

وعلى الإنجيليين أيضًا، حينما قيل: رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي[٢٧]. وأيضًا: هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ[٢٨]. وحينما يشهد الرب نفسه عن نفسه: وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ[٢٩]. يبدو أن العبارات بلا شك تدل على كلٍ من الآب أو الابن، وفي نفس الوقت تُعلِن عن قوة طبيعة معينة.

مدلولات تعبير 'روح الله'

٢٤- فإنني أظن أن تعبير 'روح الله' كان مستخدَمًا فيما يتعلق بكلٍ منهما، لئلا نؤمن أن الابن كان حاضرًا في الآب أو الآب في الابن بطريقة جسدية فحسب، أي، لئلا يُعتقَد أن الله يبقى في موضع معين ولا يوجد في أي مكان آخر بمعزل عن نفسه. لأن الإنسان أو أي كائن آخر، حينما يكون في مكانٍ ما، لا يمكنه أن يكون في مكان آخر، لأن ما هو في مكانٍ يكون مقيدًا بالمكان الذي هو فيه؛ طبيعته لا تسمح له بأن يكون في كل مكان حينما يوجد في موضعٍ ما. لكن الله هو قوة حية، له طاقة غير محدودة، موجود في كل مكان ولا يغيب عن مكان، ويُظهِر ذاته بالكلية من خلال ما له*، ويُعبِّر عن أن ما له ليس سوى ذاته، حتى حيثما يكون (ما له) يُفهَم أنه

---

[٢٧] (لو ٤: ١٨)

[٢٨] (مت ١٢: ١٨)

[٢٩] (مت ١٢: ٢٨)

* أي القوة والطاقة.{م}

هو ذاته. والآن لا يجب أن نظن بطريقة جسدانية أنه حينما يكون في مكانٍ ما يتوقف عن كونه في كل مكان، لأنه بواسطة أموره يظل موجودًا في كل الأماكن، لأن الأمور التي له ليست سوى ذاته. والآن تلك الأشياء قد قيلت لكي تجعلنا نفهم ما هو المقصود بـ 'طبيعة'.

٢٥- أما الآن فأنا أعتقد أنه يجب أن يُفهَم بوضوح أن الله الآب يُشار إليه بتعبير 'روح الله'، لأن ربنا يسوع المسيح قد أَعلَن أن روح الرب كان عليه لأنه مَسَحَه وأرسله لكي يكرز بالإنجيل. ففيه قد أُعلِنت قوة طبيعة الآب، بإظهار أن الابن يشاركه طبيعته حتى حينما وُلِد بالجسد من خلال سِر تلك المسحة الروحية، حيث بعد الولادة التي صُدِّق عليها في معموديته، سُمِع ذلك التلميح عن بنوته المتأصلة كصوت يشهد من السماء: أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ*. فلا يجب أن يُفهم من هذا أنه كان كمَن يعتمد على نفسه أو يأتي من السماء من نفسه، أو يمنح نفسه لقب ابن، بل كل هذا الشرح كان لأجل إيماننا، لكي يمكننا من خلال سِر الولادة الكاملة والحقيقية أن نعترف بأن وحدة الطبيعة تسكن في الابن، الذي صار إنسانًا أيضًا. وهكذا وَجدنا أن هناك إشارةً إلى الآب في 'روح الله'؛ لكننا نفهم أن الابن يُشار إليه

---

* (مز ٢: ٧) بيروتية (٢: ٨) سبعينية، قارن (مت ٣: ١٧) و(لو ٣: ٢٢)، مع ملاحظة أن الجملة الأخيرة "أنا اليوم ولدتك" لم تُذكر في الأناجيل، لكن إعلان الآب هنا هو إظهار للنبوة التي قيلت في سفر المزامير. ومع ذلك فهناك أحد الأدلة على وجودها. أُنظر العهد الجديد طبعة Tischendorf NT (8th Ed), 1869-1872. (TIS)، وهي الطبعة الخاصة بالعالم الذي اكتشف المخطوطة السينائية في دير سانت كاترين.{م}

بنفس الطريقة، حينما يقول: لكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ. أي أنه يُظهِر بوضوح أنه بقوة طبيعته يُخرج الشياطين، التي لا يمكن أن تخرج بدون روح الله. كما أن تعبير 'روح الله' يدل أيضًا على الروح المعزي، وهذا ليس فقط بشهادة الأنبياء بل وأيضًا الرُسل، حينما يُقال: بَلْ هذَا مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ، يَقُولُ اللهُ: وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوهُمْ وَبَنَاتُهُمْ**. ونحن نَعلم أن كل تلك النبوة قد تحققت في حالة الرسل، حينما تكلموا كلهم بألسنة الأمم بعد إرسال الروح القدس.

روح الحق الذي ينبثق من الآب، هو مُرسَل بالابن ويأخذ من الابن

٢٦- والآن قد قدمنا تلك الأشياء بهذه الطريقة للضرورة، كي تظل مخادعة الهراطقة تحت مراقبة حدود وقيود حق الإنجيل في أي اتجاه تذهب إليه. فإن المسيح يسكن فينا، وحيثما يسكن المسيح يسكن الله. وحينما يسكن فينا روح المسيح، فإن تلك السُكنى لا تعني أن هناك روحًا أخرى تسكن فينا سوى روح الله. لكن لو فُهِم أن المسيح يسكن فينا من خلال الروح القدس، فلا بُد أن نعترف الآن بأن روح الله هذا هو أيضًا روح المسيح. وبما أن الطبيعة تسكن فينا سكنىً حقيقيًا، فلا بُد أن نعتبر طبيعة الابن مطابقة لتلك التي للآب، بما أن الروح القدس الذي هو روح المسيح

** (أع ٢: ١٦، ١٧) مع ملاحظة عدم ذِكره لاسم يوئيل النبي، وتغيير صيغة المخاطَب في 'بنوكم' إلى صيغة الغائب.{م}

وروح الله قد ثبُت أنه كيان لطبيعة واحدة. لذا فأنا أسأل الآن، كيف يُخفِق كلاهما في أن يكونا طبيعةً واحدةً؟ **إن روح الحق الذي ينبثق من الآب، هو مُرسَل بالابن ويأخذ من الابن***. لكن كل ما للآب هو للابن، ولهذا السبب فإن مَن يأخذ منه هو روح الله، وهو في نفس الوقت روح المسيح. الروح هو كيان طبيعة الابن، لكن نفس الكيان هو من طبيعة الآب. إنه روح الذي أقام المسيح من الأموات؛ لكن هذا ليس سوى روح المسيح الذي قد أُقيم أيضًا. لو أمكن إظهار أن روح الله ليس هو روح المسيح أيضًا، فحينئذ لا بُد أن تختلف طبيعة المسيح وطبيعة الله من ناحيةٍ ما، كي لا تكونان نفس الطبيعة.

بما أن روحهما واحد إذًا فهما واحد

٢٧- لكنكم، أيها الهراطقة، عندما تَهْذون بهياج شديد وتُساقون من قِبَل روح تعليمكم المميت، يوسقنا الرسول ويقيدنا، مرسخًا لنا المسيح كأساس الإيمان، مدركًا جيدًا أيضًا لقول ربنا: إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً[٣٠]. فهو بهذه (الآية) يشهد أنه بينما يسكن روح المسيح فينا يسكن روح الله فينا، وأن روح الذي أُقيم من الأموات لا يختلف عن روح مَن أقامه من الأموات. فإنهما يأتيان ويسكنان فينا؛ وأنا أسأل إن كانا سوف يأتيان كغريبين يترافقان معًا ويصنعان

---

* أجمل ما يمكن أن يُقال عن فكرة الاحتواء المتبادَل.{م}

[٣٠] (يو ١٤: ٢٣)

منزلهما، أم في وحدة الطبيعة؟ كَلَّا، فإن مُعلم الأمم يؤكد أنهما ليسا روحين - روح الله وروح المسيح - هذين اللذين يوجدان في الذين يؤمنون، بل روح المسيح الذي هو أيضًا روح الله. هذا ليس سُكنىً مشترَكًا، بل سُكنىً واحدًا؛ ومع ذلك فهو سُكنى سري مشترَك، فليست القضية هي أن هناك روحين يسكنان، ولا أن واحدًا يسكن بشكل مختلف عن الآخر. فإن روح الله فينا وكذلك روح المسيح فينا، وحينما يكون روح المسيح فينا يكون أيضًا روح الله. وهكذا بما أن الذي لله هو الذي للمسيح أيضًا، والذي للمسيح هو أيضًا لله، لذا فلا يمكن للمسيح أن يكون شيئًا مختلفًا عن الله. لذا فإن المسيح هو الله، روح واحد مع الله.

شهادة الروح للمسيح

٢٨- الآن يؤكد الرسول على أن تلك الكلمات الموجودة في الإنجيل: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ[٣١]، تتضمن وحدة الطبيعة وليس كيانًا منفردًا منعزلاً، حيث يكتب للكورنثيين: لِذلِكَ أُعَرِّفُكُمْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ بِرُوحِ اللهِ يَقُولُ: يَسُوعُ أَنَاثِيمَا[٣٢]. هل تفهمون الآن، أيها الهراطقة، بأي روح تدعون المسيح مخلوقًا؟ فبما أن الذين عبدوا المخلوق أكثر من الخالق هم تحت اللعنة*، فاعلموا ما يصيبكم بسبب تأكيدكم أن المسيح مخلوقٌ، بما أنكم تعرفون تمام

---

[٣١] (يو ١٠: ٣٠)

[٣٢] (١ كو ١٢: ٣)

* قارن (رو ١: ٢٥)

المعرفة أن عبادة المخلوق ملعونة. ولاحظوا ما بعدها: وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: يَسُوعُ رَبٌّ، إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ[٣٣]. أتدرِكون ما تفتقروا إليه، حينما تُنكرون على المسيح ما يخصه؟ إن كنتم تتمسكون بأن المسيح رب بواسطة طبيعته الإلهية، فلديكم الروح القدس. لكن إن كان هو ربًا فقط باسم مُتبَنًّى، فأنتم تفتقرون إلى الروح القدس، ويحركم روح الشر؛ لأنه لا يمكن أن يدعو أحد المسيح ربًا، إلا بالروح القدس. لكنكم حينما تقولون إنه مخلوق وليس إلهًا، رغم تلقيبكم إياه بالرب، فأنتم ما زلتم تنكرون أنه الرب. فبالنسبة لكم، هو رب من النوع العادي، عوضًا عن أن يكون بالطبيعة. والآن تعلَّموا طبيعته من ق. بولس.

مواهب الروح الواحد

٢٩- فإن الرسول يستمر قائلاً: فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ؛ وَأَنْوَاعُ خِدَمٍ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدٌ؛ وَأَنْوَاعُ أَعْمَال مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ، الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. وَلكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ[٣٤]. في تلك الفقرة التي أمامنا نلاحظ وجود تصريح رباعي: ١- في تنوع المواهب هناك نفس الروح. ٢- في تنوع الخِدَم هناك نفس الرب. ٣- في تنوع الأعمال هناك نفس الإله. ٤- في مَنح ما هو للمنفعة هناك إظهار للروح. ولكي يمكن إدراك مَنح ما هو للمنفعة في إظهار الروح، يُكمِل

---

[٣٣] (١ كو ١٢: ٣)

[٣٤] (١ كو ١٢: ٤- ٧)

قائلاً: فَإِنَّهُ بِالْفِعْلِ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ؛ وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ؛ وَلآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ؛ وَلآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ؛ وَلآخَرَ عَمَلُ مُعْجِزَاتٍ؛ وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ؛ وَلآخَرَ تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ؛ وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ؛ وَلآخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ[٣٥].

٣٠- وفي الواقع، ما قد دعوناه بالتصريح الرابع، الذي هو إظهار الروح في مَنح ما هو نافع، له معنىً واضح. فإن الرسول (بولس) قد عدَّد المواهب النافعة التي من خلالها قد حدث هذا الإظهار للروح. الآن في تلك الأنشطة المتنوعة تُقَدَّم تلك الموهبة، في إشارة غير معرضة للشك، عمَّا قد تكلم عنه ربنا للرسل، حينما علَّمهم قائلاً: لاَ تَبْرَحُوا أُورُشَلِيمَ، بَلْ اِنْتَظِرُوا مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي، لأَنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْفِعْلِ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، اَلَّذِي سَوْفَ تَقْبَلُونَهُ لَيْسَ بَعْدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ[٣٦]. وأيضًا: لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ، وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ، وَالسَّامِرَةِ، وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ[٣٧]. إنه يدعوهم لانتظار موعد الآب الذي قد سمعوا عنه من شفتيه. يمكننا الثقة بأننا هنا[٣٨] لدينا إشارة إلى نفس موعد الآب. مِن ثَم يتم إظهار الروح بتلك الأعمال المعجزية. فإن موهبة الروح تَظهر، حيثما تتكلم

---

[٣٥] (١ كو ١٢: ٨- ١٠)

[٣٦] (أع ١: ٤، ٥)

[٣٧] (أع ١: ٨)

[٣٨] والمقصود ما جاء في (١ كو ١٢: ٨).

الحكمة وتُسمَع كلمات **الحياة**، وحيثما توجد المعرفة التي تأتي من الفهم الإلهي العميق، لئلا نفشل في معرفة مصدر حياتنا بجهلنا بالله، كما لو كنا مثل البهائم؛ أو بالإيمان بالله، لئلا بعدم الإيمان بإنجيل الله نوجد خارج إنجيله؛ أو بموهبة الشفاء، كي نشهد بشفاء الأمراض لعظمة مَن وهب تلك الأمور؛ أو بعمل المعجزات، كي يُفهَم أن ما نفعله هو قوة الله؛ أو بالنبوة، كي من خلال فهمنا للتعليم نُعرَف بأننا متعلمون من الله؛ أو بتمييز الأرواح، كي لا نكون غير قادرين على تقرير إن كان أحد يتكلم بروح مقدسة أم بروح منحرفة؛ أو بأنواع ألسنة، كي يمكن أن يُمنح التكلم بالألسنة كإشارة لموهبة الروح القدس؛ أو بترجمة الألسنة، كي لا يُعَرَّض إيمان هؤلاء الذين يسمعون للخطر، من خلال الجهل، بما أن مترجم اللسان يشرح اللسان لهؤلاء الجاهلين به. هكذا في كل تلك الأشياء الموزَّعة على كل واحد للمنفعة يكون هناك أيضًا إظهار للروح، وتكون موهبة الروح ظاهرةً من خلال تلك المميزات المدهشة الممنوحة لكل واحد.

التمييز بين الآب والابن في جملتَي 'الرب واحد'، و 'الله واحد'

٣١- أما الآن، ففي إظهاره لسر تلك الأسرار السماوية الأكثر صعوبةً على الفهم البشري، قد حفظ لنا بولس الرسول المبارَك لفظًا واضحًا وتحذيرًا حريصًا مُعبَّر عنه بالكلمات، لكي يُظهِر أن تلك المواهب المتنوعة تُعطى من خلال الروح وبالروح {لأن المنح من خلال الروح وبالروح ليسا نفس الشيء}، لأن مَنح الموهبة الممارَسة بالروح يُعطى من خلال الروح. لكنه

يلخص تلك التنوعات للمواهب هكذا: وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ كَمَا يَشَاءُ[٣٩]. لذا الآن، أنا أسأل، أي روح يعمل تلك الأشياء، مقسمًا لكل واحدٍ بحسب ما يريد؟ أهو الذي به أم الذي فيه يوجد هذا التوزيع للمواهب؟[٤٠] لكن لو تجرأ أحد بأن يقول إن نفس الشخص هو المشار إليه، فإن الرسول سوف يدحض ذلك الرأي المعيوب جدًا، لأنه قال قبلاً: أَنْوَاعُ أَعْمَال مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الله وَاحِدٌ، الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. لذا فهناك واحد يقسم وآخر يُمنَح به التوزيع. والآن اِعلَموا أن الله هو دائمًا الذي يعمل كل تلك الأشياء، لكن بالطريقة التي بها يعملها المسيح، فإن الابن في عمله يقوم بأعمال الآب. لكن لو كنتم تعترفون بأن يسوع رب بالروح القدس، فافهَموا قوة هذه الإشارة الثلاثية في رسالة الرسول (بولس)؛ إذ في تنوع المواهب هناك نفس الروح، وفي تنوع الخِدَم هناك نفس الرب، وفي تنوع الأعمال هناك نفس الإله. وأيضًا، روح واحد يعمل كل شيء مُقَسِّمًا لكل واحد حسب مشيئته. افهَموا الفكرة إن استطعتم، أن الرب في تقسيم الخِدَم، والله في توزيع الأعمال، هو نفس الروح بعينه الذي يعمل ويقسِّم كما يريد؛ لأن في توزيع المواهب هناك روحًا واحدًا، ونفس الروح يعمل ويقسِّم.

---

[٣٩] (١ كو ١٢: ١١)

[٤٠] تفسير ق. هيلاري لتلك الفقرة ليس ثالوثيًا بشكلٍ تام. إن وجهة نظره هي أن هناك أقنومين إلهيين يعملان، الآب والابن، وكلاهما يندرج تحت الاسم المشترك 'روح'. قارن بما جاء في الكتاب الثاني فقرة ٣٠، وتفسيره التالي لما جاء في (يو ٤: ٢٤).

٣٢- لكن لو أن هذا الروح الواحد الذي للألوهية الواحدة، الواحد في كلٍ من الله والرب من خلال سِر الولادة، لا يُرضيكم، فأروني أي روحٍ يعمل ويقسِّم تلك المواهب المختلفة لنا، وبأي روحٍ يفعل هذا. لكنكم يجب ألا تُظهِروا لي شيئًا سوى ما بحسب إيماننا، لأن الرسول يُظهِر لنا مَن هو الذي ينبغي أن يُفهَم هنا، قائلاً: لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضًا[٤١]. إنه يُثبِت أن تنوع المواهب يأتي من رب واحد يسوع المسيح الذي هو جسد الكل. لأنه بعد أن جَعل الرب معروفًا في الخدمة، وجعل الله أيضًا معروفًا في الأعمال، لازال يُظهِر أن روحًا واحدًا يفعل ويقسِّم كل تلك الأشياء، مقسِّمًا تلك التنوعات التي لمواهبه الكريمة لأجل إكمال الجسد الواحد.

٣٣- إلا إذا كنا ربما نعتقد بأن الرسول لم يلتزم بمبدأ الوحدة في قوله: وَأَنْوَاعُ خِدَمٍ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدٌ؛ وَأَنْوَاعُ أَعْمَال مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ. لذا، فبسبب أنه قد نسب الخِدَم إلى الرب والأعمال إلى الله، لم يبدو أنه قد فهم وجود نفس الكيان بعينه في الخِدَم والأعمال. اعلموا كيف أن تلك الأعضاء التي تَخدِم هي أيضًا الأعضاء التي تعمل، حينما يقول: أَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ بِالفِعْلِ. فَوَضَعَ اللهُ أُنَاسًا فِي الْكَنِيسَةِ: 'أَوَّلاً رُسُلاً*'، الذين فيهم كلمة الحكمة؛ 'ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ'، الذين فيهم موهبة المعرفة؛

---

[٤١] (١ كو ١٢: ١٢)

* (١ كو ١٢: ٢٧، ٢٨)، وهو هنا يذكر جزء من الآية ويشرحه ببعض الإضافات.{م}

'ثَالِثًا مُعَلِّمِينَ'، الذين فيهم تعليم الإيمان؛ 'ثُمَّ قُوَّاتٍ'، التي بينها 'شِفَاءُ الْأَمْرَاضِ، الْقُدْرَة عَلَى الْمَعُونَةِ، والتَدَابِيرَ' بواسطة الأنبياء، ومواهب التكلم أو الترجمة 'لِأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ'. من الواضح أن هؤلاء هم وكلاء الكنيسة لخدمة وعمل مَن يتكون منهم جسد المسيح، الذين قد عيَّنهم الله. لكنكم قد تدافعون عن عدم كونهم قد وُضِعوا مِن قِبل المسيح، لأن الله هو الذي وضعهم. لكنكم ستسمعون ما يقوله الرسول نفسه: وَلكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ[٤٢]. وأيضًا، اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ. وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ؛ لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ، لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ[٤٣]. أليست إذًا مواهب الخدمة للمسيح، في حين أنها أيضًا مواهب الله؟

٣٤- لكن لو افترض عدم التقوى في نفسه أنهما ليسا في وحدة الطبيعة، بسبب قوله: رَبًّا وَاحِدًا وإلهًا وَاحِدًا، فأنا سوف أدعم ذلك التفسير أمام ما لازلتم تعتبرونها جدالاتٍ قوية. فإن نفس الرسول (بولس) يقول: لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ، الآبُ، الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ فِيهِ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ[٤٤]. وأيضًا: رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ

---

[٤٢] (أف ٤: ٧)

[٤٣] (أف ٤: ١٠- ١٢)

[٤٤] (١ كو ٨: ٦)

وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي بِالْكُلِّ وَفِي كُلِّنَا*. قد يبدو أن هذه الكلمات، 'إله واحد' و 'رب واحد'، تُنسَب فقط إلى الله وحده، أي أن صفة الألوهة تُنسَب لإله واحد، لأن خاصية الوحدانية لا تُسلِّم بوجود شريك مع آخر. إن الحصول على تلك المواهب الروحية نادر وصعب في الحقيقة، لكن إعلان الروح المُدرَك في منح تلك المواهب النافعة هو حقيقي. لقد حُدِّد هذا الترتيب لتوزيع المواهب بغرض، ألا وهو أن تكون كلمة الحكمة أولاً؛ حيث بالفعل: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ، يَسُوعُ رَبٌّ، إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ[٤٥]، لأنه لا يمكن إدراك أن المسيح رب إلا من خلال كلمة الحكمة، ثم بعدئذ ينبغي أن تأتي كلمة الفهم، كي يمكننا أن نقول ما نعرفه بفهمٍ، وأن نعرف كلمة الحكمة. أما الموهبة الثالثة فيجب أن تكون من الإيمان، لأن تلك النِعم الرئيسة والأعلى لن تكون مواهبَ نافعةً إن لم نؤمن بأنه هو الله، لكي بالمعنى الصحيح لهذا القول العظيم والنبيل الذي قاله الرسول، لا يملك أي هرطوقي كلمة الحكمة أو كلمة المعرفة أو الإيمان التقي، طالما أن الشر العنيد خالٍ من معرفة الكلمة وصدق الإيمان، لكونه غير قادر على الفهم. فإنه لا يوجد أحد يقول ما لا يفهمه، ولا يمكنه أن يؤمن بما لا يمكن أن يَنطق به، وهكذا حينما بَشَّر الرسول - المهتدي حديثًا من الناموس الذي كان فيه، والمدعو لإنجيل المسيح - بإله واحد، قد وصل إلى

---

* (أف ٤: ٥، ٦) مع ملاحظة أنه قد غير صيغة المخاطَب في آخر كلمة 'كلكم' إلى صيغة المتكلم 'كلنا'، كما قام بحذف جملة 'وفوق الكل'.{م}

[٤٥] (١ كو ١٢: ٣)

الاعتراف بإيمان كامل. ولكي لا تقدِّم بساطة التصريح الظاهري غير الحذِر أية فرصة للهراطقة لإنكار ولادة الابن من خلال التبشير بإله واحد، قدَّم الرسول إلهًا واحدًا حينما كَشف عن خاصيته الخاصة في تلك الكلمات: إِلهٌ وَاحِدٌ، الآبُ، الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ[٤٦]، لكي يمكن أيضًا أن يُعتَرَف بذاك الذي هو الله على أنه آبٌ. ثم، لكون هذا الإيمان المجرد بالله الآب الواحد لا يكفي للخلاص، قد أضاف قائلاً: وَرَبُّنَا الْوَاحِدٌ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ، مُظهرًا أن نقاوة الإيمان الخلاصي تتضمن البشارة بإله واحد ورب واحد، كي يمكننا أن نؤمن بالله الآب الواحد، والرب الواحد يسوع المسيح. فإنه يعرف تمام المعرفة كيف قال ربنا: لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ[٤٧]. لكنه في تثبيته لترتيب إيمان الكنيسة، وتأسيس إيماننا على الآب والابن، قد نطق بسِر تلك الوحدة غير المنقسمة وغير القابلة للزوبان، وذلك الإيمان، في تلك الكلمات: رَبٌّ وَاحِدٌ، وإله وَاحِدٌ.

الآب رب وإله، والابن رب وإله

٣٥- من ثَم أيها الهراطقة، الذين ليس لهم نصيبٌ في الروح الذي تكلم عن طريق الرسول، فأول كل شيء هو أن تعترفوا بجهلكم. لو وظفتم الاعتراف بإله واحد بشكل خاطئ لكي تنكروا ألوهية المسيح، على أساس أنه

---

[٤٦] (١ كو ٨: ٦)

[٤٧] (يو ٦: ٤٠)

طالما يوجد إله واحد فلا بُد من اعتباره منفرد، وأن كونه واحدًا هو صفة مميزة وخاصة بذاك الذي هو واحد، (فقولوا لي) ما هو معنى التصريح بأن يسوع المسيح رب واحد؟ فلو كانت، كما تؤكدون، حقيقة كون الآب وحده هو الله لم تترك للمسيح إمكانية كونه ربًا، فمن الضروري أيضًا، بحسب كلامكم، ألا تترك حقيقة كون المسيح ربًا واحدًا إمكانية كون الله ربًا واحدًا، نظرًا لأن الصفة الأساسية لمَن هو واحد في نظركم هي الوحدانية. فمن ثَم، لو أنكرتم أن الرب الواحد المسيح هو الله أيضًا، فلا بُد أن تنكروا أن الإله الواحد الآب هو أيضًا رب. فما هو مقدار عظمة الله إن لم يكن ربًا، وقوة الله إن لم يكن إلهًا؛ بما أنهما - العظمة أو القوة - تجعلان الإله ربًا، وتجعلان الرب إلهًا؟

الوحدة لا تعني الوجود المنفرد، بل هي وحدة في الروح

٣٦- أما الآن، ولأجل الحفاظ على المعنى الحقيقي لقول الرب: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ[٤٨]، فإن الرسول يؤكد أن كليهما واحد، مُعبرًا عن **أن وحدتهما ليست بشكل وحدانية الوجود المفرد، بل بوحدة الروح**؛ فكون هناك إله واحد الآب ورب واحد المسيح - لأن كليهما رب وإله - ليس معناه وجود إلهين أو ربين في قانون إيماننا. لذا فكلاهما واحد، لكن مع كونهما واحدًا، إلا أن كلاً منهما ليس منفردًا. لن نستطيع التعبير عن سِر الإيمان سوى بكلمات الرسول. فإن هناك إلهًا واحدًا وربًا واحدًا، وحقيقة أن هناك إلهًا واحدًا وربًا

[٤٨] (يو ١٠: ٣٠)

واحدًا تُثبِت فورًا أن هناك ربوبية في الله، وألوهية في الرب. لا يمكنكم أن تحافظوا على وحدة الأشخاص بأن تجعلوا الله مفردًا؛ ولا يمكنكم حتى أن تفصلوا الروح، لأنكم بالتالي ستُفسِدون كون الاثنين واحدًا. لا يمكنكم فصل القوة الموجودة في الإله الواحد والرب الواحد، حتى لا يكون الرب إلهًا والإله ربًا أيضًا. **فإن الرسول في نطقه بالأسماء كان حريصًا ألا يكرز بوجود إلهين أو ربين.** لذا فقد استخدم تلك الطريقة في التعليم عن الرب الواحد المسيح ليقدِّم أيضًا إلهًا واحدًا، وفي التعليم عن الله الآب الواحد لكي يقدِّم أيضًا ربًا واحدًا. فإنه يعترف بالآب وبالمسيح لكي لا يُضللنا إلى التجديف بأن الله منفردًا، مما يؤدي إلى القضاء على عقيدة ولادة الله الابن الوحيد.

الابن ليس مخلوقًا بل هو إله المخلوقات

٣٧- إن وقاحة الجنون اليائس بالاندفاع نحو مثل هذا الكلام، بسبب قول الرسول إن المسيح ربٌّ، هي السبب في اعتراف البعض بأنه رب فقط، وبأنه ليس إلهًا حقيقيًا بسبب صفة الربوبية. لكن بولس يعرف تمام المعرفة أن المسيح هو الله، فإنه يقول: وَلَهُمُ الآبَاءُ، وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهًا مُبَارَكًا[٤٩]. فإن مَن نعتبره إلهًا هنا ليس مخلوقًا، بل إله المخلوقات هو الكائن على الكل إله.

---

[٤٩] (رو ٩: ٥)

الفرق بين 'منه جميع الأشياء' و 'به جميع الأشياء'

٣٨- أما الآن، فلكون مَن هو إله على الكل هو أيضًا روحٌ غير منفصل عن الآب، اعلموا أيضًا من قول الرسول مَن هو الذي نتكلم عنه الآن. إنني أتساءل، حينما يُعتَرَف بأنه إله واحد الآب الذي منه كل الأشياء، ورب واحد يسوع المسيح الذي به كل الأشياء، فما هو الاختلاف الذي قصده بقوله إن كل الأشياء من الله وأن كل الأشياء بالمسيح؟ هل من الممكن اعتباره من طبيعة وروح منفصلين عن ذاته، ذاك الذي منه وبه كل الأشياء؟ فإن كل الأشياء قد جاءت للوجود من خلال الابن من العدم، والرسول قد نسبها لله الآب: الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وأيضًا للابن: الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ. أنا لا أجد هنا أي اختلاف، لأن نفس القدرة تُمارَس بكليهما. فإن كان هناك تصريحٌ كافٍ تمامًا عن وجود الكون، بأن الأشياء المخلوقة هي من الله، فما هي الحاجة للتصريح بأن الأشياء التي من الله هي بالمسيح، إن لم يكن 'بالمسيح' و 'من الله' هما نفس الأمر عينه؟ لكن لأنه قد نُسِب إلى كلٍ منهما أنهما رب وإله، بمعنى أن كل لقب يتعلق بكليهما، هكذا أيضًا 'به' و 'منه' يشيران إلى كليهما؛ وهذا لإظهار وحدة كليهما، وليس للتعليم بفردية الله. إن لغة الرسول لا تحتمل أية فرصة للخطأ الشرير، ولا يُعتبَر إيمانه أيضًا تصريحًا حذِرًا. لقد حمى نفسه بتلك الكلمات الخاصة الملائِمة من أن يُفهَم على أنه يقصد وجود إلهين أو إلهًا منعزلاً؛ فبينما هو يرفض وحدانية الشخص، إلا أنه لا يقسِّم وحدة الألوهية. فإن جملتي: مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، و: الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، رغم أنهما لا تفترضان وجود ألوهية منعزلة في

الاقتناء المنفرد للعظمة، إلا أنهما مازالتا تُقدمان واحدًا غير مختلف في الفعل، لأن 'مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ'، و 'بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ' تدلان بالضرورة على مصدر نفس الطبيعة المرتبطة بنفس العمل. علاوة على ذلك، فإنه يُثبت أن كلاً منهما هو من نفس الطبيعة تمامًا. فبعد الإعلان عن عُمق غنى وحكمة ومعرفة الله، وبعد تأكيد سِر أحكامه الغامضة، والمجاهَرة بجهلنا بالاستقصاء عن طُرقه، قد استخدم ممارسة الإيمان البشري، وقدَّم هذا الإجلال لعُمق أسرار السماء غير المفحوصة والغامضة:- لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَفِيهِ* كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ آمِينَ[٥]. إنه يستخدم لأجل الدلالة على الطبيعة الواحدة ما لا يمكن أن يكون سوى عمل الطبيعة الواحدة.

عظَمة بولس الرسول

٣٩- فلقد عزا إلى الله كون كل الأشياء منه، ونسَب كون كل الأشياء هي به كخاصية خاصة بالمسيح، أما الآن فالمجد لله الذي منه وبه وفيه كل الأشياء. وحيث إن روح الله هو نفسه روح المسيح، وحيث إن في خدمة الرب وفي عمل الله يوجد روح واحد يعمل ويُقسِّم، فلا يمكن أن يكونا سوى واحد، الذي خصائصه هي خصائص واحد، بما أن في الرب الواحد

---

* ذُكِرَت في اليونانية εἰς، وهي تعني 'إلى، إلى داخل، من، في، على'، لذا فقد ترجمها ق. هيلاري: 'في'، بحسب فهمه لسياق الجملة، لكن النص القبطي البحيري قد ترجمها ⲉⲃⲁⲗⲏⲧⲛ ⲉⲣⲟⲩ، والصعيدي ⲁⲩⲱ ⲉⲩⲛⲁⲕⲟⲧⲟⲩ ⲉⲣⲟⲩ أي 'إليه'، وكذلك الترجمات الإنجليزية والعربية ترجمتها 'له'.{م}

[٥] (رو ١١: ٣٦)

الابن، وفي الإله الواحد الآب، يوجد نفس الروح بعينه الذي يقسِّم بنفس الروح القدس الذي يكمل كل الأشياء. فكم هو مستحق أن يكون رسولاً حقيقيًا للمسيح، ذلك القديس الذي له معرفة الأسرار المجيدة والسماوية، المُتَّخَذ والمُختار لكي يشارك في أمور الله السرية، والمحتفِظ بصمتٍ يناسب تلك الأشياء التي لا يمكن النطق بها! فكم قيَّد كبح عناد الإنسان بإعلان تعليمه الواضح، معترفًا بالفعل بإله واحد الآب ورب واحد يسوع المسيح، كي لا يمكن لأحد أن يكرز بوجود إلهين أو بإله واحد منفرد؛ إذ قد فسَّر لنا أن مَن ليس هو شخص (أقنوم) واحد لا يتضاعف إلى إلهين، ومن ناحية أخرى مَن ليسا إلهين لا ينبغي أن يُفهم أنهما شخص (أقنوم) واحد مفرد، إذ أن إعلان أن الله آب يبرهن على الميلاد الحقيقي للمسيح.

قول ق. بولس يرد على الهراطقة أمثال سابيليوس وفوتينوس وأريوس

٤٠- فيا أفاعي الهرطقة، اِبعدي الآن ألسنتك المرتعشة والمستهجِنة، سواء كنت أنت يا سابيليوس أم أنت يا فوتينوس، أم أنت يا مَن تُعلِّم الآن بأن الله الابن الوحيد مخلوق. كل مَن ينكر الابن لا بُد أنه سوف يسمع عن الله الآب الواحد، لأنه طالما أن الأب يصير أبًا فقط بأن يكون لديه ابن، فلا بُد أن اسم 'آب' يفيد ضمنيًا وجود ابن. كذلك فليعترف كل مَن ينزع عن الابن وحدة الطبيعة المماثلة، برب واحد يسوع المسيح. لأنه إن لم يكن ربًا واحدًا من خلال وحدة الروح، فلن يُترك مجال لله الآب كي يصير

ربًا. وليَعلَم أيضًا مَن يتمسك بأن الابن قد صار ابنًا في وقتٍ ما بواسطة التجسد، أن به كل الأشياء ونحن به، وأن عدم محدوديته السرمدية كانت تخلق كل الأشياء قبل أن يكون الزمن. وفي غضون ذلك فليقرأ أيضًا أن هناك رجاءً واحدًا لدعوتنا، ومعموديةً واحدةً، وإيمانًا واحدًا؛ فلو عارَض ذاك الملعون كرازة الرسول، بسبب تقديمه تعاليم غريبة من إرادته الخاصة بعد ذلك، فلن يكون مدعوًا ولا معتمِدًا ولا مؤمنًا؛ لأن في الله الآب الواحد والرب الواحد يسوع المسيح يكمُن الإيمان الواحد الذي للرجاء الواحد والمعمودية الواحدة، ولا يمكن لتعليم غريب أن يتباهى بأن له مكانًا بين الحقائق التي تخُص الإله الواحد والرب الواحد والرجاء الواحد والمعمودية الواحدة والإيمان الواحد.

٤١- من ثَم فالإيمان الواحد هو الاعتراف بالآب في الابن والابن في الآب مِن خلال وحدة طبيعة غير منقسمة، غير مختلطة وأيضًا غير منفصلة، غير ممتزجة لكنها متساوية، غير متحدة لكن لها شركة الوجود، غير ناقصة لكنها كاملة. فإن هناك ولادةً وليس انفصالاً، هناك ابنًا وليس تَبَنٍّ؛ وهو إله وليس مخلوقًا. ليس هو إلهًا من نوع مختلف، بل الآب والابن واحد؛ فإن الطبيعة لم تتبدل بالولادة كما لو كانت غريبة عن خاصية مصدرها. لذا فإن الرسول يتمسك بالإيمان بالابن الكائن في الآب والآب الكائن في الابن، حينما يُعلِن بالنسبة له أن هناك إلهًا واحدًا الآب وربًا واحدًا المسيح، بما أن في المسيح الرب هناك الله أيضًا، وفي الله الآب هناك الرب أيضًا، والاثنان هما تلك الوحدة التي هي الله، والاثنان أيضًا هما تلك

الوحدة التي هي الرب، فإن المنطق يشير إلى أنه لا بُد أن يوجد شيء ناقص في الله إن لم يكن ربًا، وفي الرب إن لم يكن إلهًا. وبما أن كليهما واحد، وكليهما موجودان تحت الاسمين، ولا يوجد أحدهما منفصلاً عن الوحدة، إذًا فالرسول لم يذهب بعيدًا عن الكرازة بالإنجيل في تعليمه، ولا اختلف كلام المسيح حينما كان يتكلم على لسان بولس عن الكلام الذي تكلم به حينما كان يقيم في العالم بهيئة جسدية.

من يريد أن يعمل عمل الله لا بُد أن يؤمن بالابن

٤٢- فإن الرب قد قال في الأناجيل: اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ، لأَنَّ هذَا اللهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ. فَقَالُوا لَهُ: مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللهِ؟ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ، هذَا هُوَ عَمَلُ اللهِ، أَنْ تُؤْمِنُوا بِمَنْ أَرْسَلَهُ[٥١]. لقد نَطق ربنا في تقديم سِر تجسده وألوهيته أيضًا بالتعليم عن إيماننا ورجائنا بأننا يجب أن نعمل للطعام، ليس للذي يفسد بل للذي يبقى للأبد؛ أننا يجب أن نتذكر أن هذا الخبز الأبدي قد أُعطي لنا من ابن الإنسان؛ أننا يجب أن نعرف ابن الإنسان الذي ختمه الآب؛ أننا يجب أن نعرف أن هذا هو عمل الله، أن نؤمن بمَن أرسله هو. ومَن هو هذا الذي أرسله الآب؟ إنه مَن خَتَمه الآب أيضًا. ومَن هو ذاك الذي قد خَتَمه؟ في الحقيقة هو ابن الإنسان الذي يُعطي طعام الحياة الأبدية. وأيضًا مَن هم هؤلاء الذين يعطيهم؟ إنهم هؤلاء الذين سوف يعملون

---

[٥١] (يو ٦: ٢٧- ٢٩)

لأجل الطعام الذي لا يفسد. إذًا فالعمل لأجل هذا الطعام هو في نفس الوقت عمل الله، أي، الإيمان بذاك الذي قد أرسله. إن تلك الكلمات قد قيلت بواسطة ابن الإنسان. لكن كيف سيعطي ابن الإنسان خبز الحياة الأبدية؟ لماذا لا يعرف سِر خلاصه الشخصي، ذاك الذي لا يعرف أن ابن الإنسان، الذي يَمنح الطعام إلى الحياة الأبدية، قد خُتِم من الله الآب؟ مِن هنا أنا أسأل: بأي معنىً نفهَم أن ابن الإنسان قد خُتِم بواسطة الآب؟

الابن معادلاً للآب في الكرامة والقوة والطبيعة

٤٣- ينبغي لنا الآن أن ندرِك أولاً أن الله لم يتكلم لأجل نفسه بل لأجلنا، وأنه قد لَطَّف لغة كلامه قدر الإمكان ليمكن لضَعف طبيعتنا أن تُدركها وتَفهمها. فبعد تعنيفه من قِبَل اليهود لجعله نفسه معادلاً لله بالإقرار بأنه ابن الله، أجاب بأنه هو نفسه قد عمل كل الأشياء التي عملها الآب، وأنه قد أُعطي كل الدينونة من الآب، وأيضًا أنه لا بُد أن يكرَّم مثل الآب تمامًا. وفي كل تلك الأشياء التي قد سبق وأعلن نفسه بها ابنًا، قد جعل نفسه معادلاً للآب في الكرامة والقوة والطبيعة. ثم بعدئذ قال إنه كما أن للآب حياةً في نفسه، هكذا قد أعطى الابن أيضًا حياةً في نفسه، التي بها قد دَل على أنه بفضل سِر الولادة قد اقتنى وِحدة نفس الطبيعة. **فإنه حينما يقول إن لديه ما للآب، فهو يعني أن له الآب نفسه.** لذا فإن الله ليس على النمط الإنساني في الكيان المُركب، أي فيه اختلاف في النوع بين المالك والمملوك؛ لكن كل ما يكونه هو الحياة، أي أنه طبيعة كاملة، مُطلَقة، غير

محدودة، غير مُركبة من عناصر غير متشابهة، بل لها حياة واحدة تتخلل الكل. لكن بالرغم من أن تلك الحياة أُعطيَت بالطريقة التي بها قد امتُلِكَت، وحقيقة أنها قد أُعطيَت تُظهِر بوضوح ولادة المتلقي، إلا أنها مع ذلك لا تتضمن وجود اختلاف في النوع، لأن الحياة التي قد أُعطيَت كانت مثل تلك التي امتُلِكَت.

معنى قوله: الله الآب قد خَتَمه

٤٤- لذا فبعد هذه الإعلانات المتعددة والدقيقة عن وجود طبيعة الآب فيه، يستمر في قوله: لأَنَّ هذَا الله الآبُ قَدْ خَتَمَهُ. إن طبيعة الختم هي إظهار الشكل الكامل للصورة المنقوشة عليه، والطبعة المأخوذة منه تنسخه تمامًا، وبما أنه يقبل كل ما قد طُبِع، إذًا فهو يَعرض أيضًا في ذاته كل ما قد انطبع بشكلٍ كاملٍ. ومع ذلك فتلك المقارنة غير كافية لتقديم مثال للولادة الإلهية، لأن في الأختام توجد أحرف طباعة، واختلاف في الطبيعة، وفعل انطباع، بحيث تُنسَخ صورة الطبائع الأقوى على أشياء من طبيعة أكثر خضوعًا. لكن الله الابن الوحيد، الذي هو ابن الإنسان أيضًا من خلال سِر خلاصنا، قد قال إنه قد خُتِم مِن قِبَل الله، مريدًا أن يشير لنا إلى صورة طبيعة أبيه الخاصة في نفسه؛ لأن ابن الله كان على وشك مَنح طعام الحياة الأبدية، لكي بذلك نُدرك فيه القدرة على إعطاء الطعام للأبد، لكونه امتلك في ذاته كل كمال صورة أبيه، أي من الله الذي ختمه؛ كي يمكن لِما قد ختمه الله ألا

يُظهِر في نفسه سوى صورة الله الذي قد ختمه. في الواقع، إن تلك الأشياء قد قالها الرب لليهود، الذين لم يمكنهم أن يَقبلوا قوله بسبب عدم الإيمان.

٤٥- لكن المبشِّر بالإنجيل بروح المسيح، الذي قد تكلم بواسطته، يغرس فينا معرفة تلك الطبيعة الخاصة به حينما يقول: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ[٥٢]. فإن مَن خَتمه الله لا يمكن أن يكون شيئًا سوى صورة الله، وذاك الذي قد خُتِم على صورة الله لا بُد أن يحتفظ في نفسه بالصورة الكاملة لله. ولأجل هذا السبب قد علَّم الرسول بأن مَن ختمه الله هو الله الكائن في صورة الله. فإنه قال حينما أراد أن يتكلم عن سِر الجسد المتَّخَذ الذي وُلِد به: لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. إن كونه في صورة الله بفضل خِتم الله عليه معناه أنه يبقى إلهًا إلى الأبد. لكن طالما أنه كان ليأخذ صورة عبد ويصير مطيعًا حتى الموت، غير حاسب خلسةً أن يكون مساويًا لله، فقد أخلى ذاته من خلال الطاعة آخذًا صورة عبد. وهو قد أخلى ذاته من صورة الله، أي، من تلك التي كان فيها مساويًا لله - ليس أنه يعتبر مساواته لله كأي تعدٍ على حق الغير - رغم أنه كان في صورة الله ومساويًا لله ومختومًا من الله كإله.

---

[٥٢] (في ٢: ٦، ٧)

إخلاء المسيح يسوع لذاته لم يُفقِده مجد الله الآب

٤٦- هنا أنا أتساءل إن كان ذاك الذي يقيم كإله في صورة الله هو إله من نوعٍ آخر، كما نفهم في حالة الأختام، بالنظر إلى الصور التي تَختِم والأخرى التي تُختَم، بما أن القالب الصَلب الذي يختم على الرصاص، أو الجوهرة التي تختم على الشمع، يشكّلان الصورة المقطوعة فيها أو يدمغان ما تظهر عليه الصورة بوضوحٍ. لكن لو ظَن غبي أو أحمق هكذا، بأن ذاك الذي هو من ذاته، الذي خَتَمه الله، هو أي شيءٍ آخر سوى أن يكون إلهًا، وأن ذاك الذي في صورة الله هو بكل المقاييس شيء آخر غير الله بعد سِر تجسده وتأنسه، وصار كاملاً من خلال الطاعة حتى إلى موت الصليب، فسوف يسمع اعتراف ما في السماء وما على الأرض وما تحت الأرض وكل لسان، بأن يسوع في مجد الله الآب[٥٣]. لذا فلو أنه بقي في ذلك المجد، حينما صارت له هيئة العبد، فما بالكم ببقائه حينما يكون في صورة الله؟ ألا ينبغي أن يكون المسيح 'الروح' في طبيعة الله - فإن هذا هو المقصود من عبارة 'في مجد الله' - حينما يكون المسيح 'يسوع'، أي المولود كإنسان، في مجد الله الآب؟

٤٧- إن الرسول المبارَك يصون التعليم غير المتغير بإيمان الإنجيل في كل شيء. لقد أعلن الرب يسوع المسيح كإله بالطريقة التي بها لا يسقط إيمان الرسول في الاعتراف بإلهين، حيث لم يدعوه إلهًا من نوع مختلف، ولم يفصل

---

[٥٣] قارن (في ٢: ٨- ١١)

الله الابن عن الآب، كي لا يترك فرصةً للتعليم غير المقدس بوجود إله منفرد ومنعزل. إن الرسول حينما يقول: 'فِي صُورَةِ اللهِ' و 'فِي مَجْدِ اللهِ الآبِ'، فهو لا يُعلِّم بأن الواحد يختلف عن الآخر، ولا يسمح لنا بأن نفكر في كونه غير موجود. إن ذاك الذي هو في صورة الله لا ينتهي بأن يصير إلهًا آخر، ولا هو نفسه يفقد ألوهيته؛ فإنه لا يمكنه أن ينفصل عن صورة الله لأنه يوجد فيها، ولا هو نفسه، الذي هو في صورة الله، ليس إلهًا. بالضبط مثلما لا يمكن لمَن هو في مجد الله أن يكون شيئًا آخر سوى أن يكون إلهًا، وبما أنه إله في مجد الله، فهو لا يمكن أن يُعلَن كإله آخر وواحد مختلف عن الإله الحقيقي، نظرًا لأنه يملك صفة الألوهية بشكل طبيعي مِن ذاك الذي هو في مجده، بسبب حقيقة أنه في مجد الله.

الابن هو صورة الآب

٤٨- لكن لا داعي للخوف على الإيمان الواحد بسبب تنوع الكرازة بالإيمان الواحد. لقد علَّم الإنجيلي بأن ربنا قد قال: مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا[٥٤]. لكن هل بولس، مُعلِّم الأمم، قد نسى أو استبعد معنى كلام الرب، حينما قال: الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ[٥٥]؟ أنا أسأل هل كان هو الصورة المرئية لله غير المرئي، وهل كان يمكن أيضًا للإله غير المحدود أن يُقَدَّم للرؤية تحت شكل الصورة المحدودة؟ فإن الصورة لا بُد أنها تكرِّر شكل ما

---

[٥٤] (يو ١٤: ٩)

[٥٥] (١ كو ١: ١٥)

هي صورة له. على العموم، دعوا هؤلاء، الذين ينسبون للابن طبيعةً من نوع مختلف، يقررون أي نوعٍ من التشابه يريدونه للابن مع الإله غير المرئي. أهو تشابه جسدي يُعرَض للنظر، ويتحرك من مكان لمكان بمشي وحركة البشر؟ كلَّا، بل دعوهم يتذكرون أنه تبعًا للأناجيل والأنبياء فإن المسيح روح والله روح على حد سواء. لو أنهم قَيَّدوا ذلك المسيح الروح داخل نطاق الشكل والجسد، فإن ذاك المسيح المادي لن يكون صورة الله غير المرئي، ولن يستطيع النطاق المحدود تصوير ما هو غير محدود.

٤٩- لكن الرب لم يتركنا نشك في قوله: مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا، وكذلك لم يصمت الرسول عن ذِكر طبيعته:- الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ. فإن الرب قد قال: إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ الأَبِ فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي[٥٦]، مُعلِّمًا إياهم أن يروا الآب في ذاته بكونه يعمل أعمال الآب، وأنهم يمكنهم من خلال إدراك قوة طبيعته أن يفهموا طبيعة تلك القوة التي أدركوها. وهكذا يقول الرسول معلنًا أن هذا هو صورة الله: الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ؛ فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَفِيهِ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ. وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ، الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ

[٥٦] (يو ١٠: ٣٧)

يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ. لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ الْآبُ* أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ، وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ[٥٧]. لذا فهو صورة الله من خلال قوة تلك الأعمال. يقينًا إن خالق الأشياء غير المنظورة غير مُجبَر بأي ضرورة متأصلة في طبيعته أن يكون الصورة المنظورة للإله غير المنظور. ولكي لا يُعتَبَر صورة الهيئة وليس صورة الطبيعة، فقد لُقِّب بصورة الإله غير المنظور، كي يمكننا أن نفهم بممارسته للقدرات {وليست الصفات غير المنظورة} التي للطبيعة الإلهية، أن تلك الطبيعة هي فيه.

المسيح هو البكر، وبه صالَح الآب الكل

٥٠- وفقًا لهذا فهو بكر كل خليقة لأن فيه قد خُلِق الكل. ولكيلا يتجرأ أحد ويَنسب إلى آخرٍ غيره عملية خلْق الكل في ذاته، يقول: الْكُلُّ بِهِ وَفِيهِ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ. كل شيء إذًا يقوم في ذاك الذي هو قَبْل كل الأشياء، والذي فيه الكل. إذًا فهذا يَشرح بالتأكيد مصدر المخلوقات. لكنه فيما يتعلق بالتدبير الإلهي الذي به قد اتخذ جسدنا، يضيف: هُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ، الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ. لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ الْآبُ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ

---

* رغم عدم وجود هذه الكلمة في النص الأصلي لرسالة كولوسي، إلا أنها مفهومة من سياق الجملة، وهذا ما قامت به الترجمات الإنجليزية للعهد الجديد، وبالأخص ترجمة KJV، وكذلك الطبعة اليسوعية قد ذكرتها 'الله'.{م}

[٥٧] (كو ١: ١٥- ٢٠)

الْمِلْءِ، وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ. لقد حدد الرسول للأسرار الروحية تأثيرها المادي. فإن ذاك الذي هو صورة الله غير المنظور هو نفسه رأس جسده، الكنيسة، والذي هو بِكر كل خليقة هو في نفس الوقت البداءة، البكر من الأموات، كي يكون متقدمًا في كل شيء، بكونه جسدًا لأجلنا، بينما هو أيضًا صورة الله، لأن ذاك الذي هو بكر الخليقة هو في نفس الوقت بِكر الأبدية؛ كي تكون الأمور الروحية، لكونها مخلوقةً في البِكر، مدينةً ببقائها، بالرغم من أن كل ما هو بشري مَدين له أيضًا بأنه قد وُلِد ثانية للأبد في البِكر من الأموات. فإنه هو نفسه البداءة، الذي لكونه ابنًا فهو الصورة، ولكونه الصورة فهو من الله. بالإضافة إلى أنه هو بكر كل خليقة، فهو يملك في ذاته أصل الكون؛ وأيضًا هو رأس جسده، الكنيسة، والبكر من الأموات، لذا فهو المتقدم في كل شيء. ولأن فيه يقوم كل شيء، فإن فيه سُر أن يحل ملء اللاهوت، **لأن كل شيء قد تصالح به له، ذاك الذي به قد خُلِق الكل في ذاته***.

٥١- أتدركون الآن ما هي صورة الله؟ إنها تعني أن كل شيء قد خُلِق فيه به. حيث إن كل شيء مخلوق فيه، فافهَموا أن ذاك الذي هو صورته يخلق أيضًا كل شيء فيه. وبما أن كل الأشياء التي خُلِقَت فيه هي أيضًا مخلوقة به، فاعترفوا بأن طبيعة مَن له الصورة توجد في ذاك الذي هو الصورة. فإنه يَخلِق

* ويلاحَظ في تلك الفقرة استخدام العديد من حروف الجر، مثل 'فيه' و' له' و 'به'، وكلها تؤكد أن الابن هو (الكُل المُطلَق)، الذي يبدأ منه، ويرجع إليه، ويوجد فيه، وقد وُجِد به، كل شيء.{م}

بنفسه الأشياء المخلوقة فيه، مثلما أن به كل الأشياء مُصالَحة فيه. وطالما أنها مصالَحة فيه، فاعترفوا بوجود طبيعة وِحدة الآب فيه، مصالِحًا الكل لنفسه فيه. وطالما أن الكل متصالِح به، فلاحِظوا أنه يُصالِح فيه للآب كل الأشياء التي قد صالحها بنفسه. لنفس السبب يقول الرسول: لكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِالْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ؛ أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ*. قارِنوا بهذا كل سِر إيمان الإنجيل. فإن الذي يُرى حينما يُرى يسوع، الذي يعمل في أعماله، ويتكلم بكلماته، يصالِح أيضًا في مصالحته. لذا فهناك مصالَحة فيه وبه، لأن الآب الكائن فيه من خلال طبيعة مماثِلة، قد أعاد العالم لنفسه بالمصالحة به وفيه.

تصريحات المسيح عن طبيعة علاقته بالآب تؤكد ما نؤمن به

٥٢- هكذا فإن الله لم يقدم الإيمان في تصريحات مجردة وغامضة تفوق الضعف البشري. فبالرغم من أن سُلطة كلمات ربنا المجردة تجبرنا على قبولها، إلا أنه مع ذلك قد أَعلَمنا عقليًا بإعلان يوضح معناها، حتى يمكننا أن نتعلم معرفة كلماته "أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ"[٥٨]، بواسطة نفس تلك الكلمات

---

* (٢ كو٥: ١٨، ١٩). والملاحَظ هنا أنه قال "المسيح"، ولم يقل "يسوع المسيح"، وهو ما يطابق النص اليوناني الأصلي للعهد الجديد، وكذلك الفولجاتا اللاتينية التي كان يستخدمها، كما أن النص القبطي الصعيدي والبحيري يذكرانها هكذا، وحتى الترجمات العربية في الطبعة اليسوعية وكتاب الحياة والعربية المشتركة قد ذكرتها هكذا، بعكس الترجمة البيروتية التي ذكرتها "يسوع المسيح" نقلاً عن ترجمة KJV.{م}

[٥٨] (يو١٠: ٣٠)

التي كانت موضع السؤال عن الوحدة. فإنه حينما يقول إن الآب يتكلم في كلماته، ويعمل من خلال أعماله، ويدين بدينونته، ويُرى في ظهوره، ويصالِح من خلال مصالحته، ويقيم فيه، وهو بدوره يقيم في الآب، فأنا أسأل، ما هي الكلمات الأكثر ملائَمةً، التي يمكنه أن يوظفها في تعليمه كي تلائم قدرات عقلنا، فيمكننا أن نؤمن بوحدتهما، أكثر من تلك التي قد صُرِّح فيها، من خلال حقيقة الولادة ووحدة الطبيعة، بأن أي شيء فعله وقاله الابن قد قاله وفعله الآب في الابن؟

إن هذا لا يخُص طبيعة غريبة عن ذاته، أو قد أُضيفت لله بالخَلق، أو وُلِدَت للألوهية بتقسيم الله، بل هي تدُل على ألوهية مَن قد وُلِد إلهًا كاملاً بولادة كاملة، الذي لديه الثقة في تأكيد طبيعته، حتى إنه يقول: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ[٥٩]، وأيضًا: كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي[٦٠]. فلا يوجد شيء من اللاهوت ينقص ذاك الذي في عمله وكلامه وإعلانه يعمل الله ويتكلم ويُنظَر. إن هذين اللذين يرتديان مظهر الوحدة في عملهما وكلماتهما وإعلاناتهما ليسا إلهين، كما أنه هو أيضًا ليس إلهًا منفردًا، ذاك الذي في أعمال وكلمات ومَشهَد الله، هو نفسه قد عمل وتكلم ورؤي كإله. الكنيسة تفهم ذلك، لكن المَجمع (اليهودي) لا يؤمن، والفلسفة لا تَعرف، أن كونه واحدًا من واحد، كاملاً من كامل، إلهًا وابنًا، لم يجرِّد الآب من كماله بولادته، ولا فشل في أن يمتلك

---

[٥٩] (يو ١٠: ٣٨)

[٦٠] (يو ١٦: ١٥)

نفس الكمال في نفسه بحق مولده. وكل مَن هو مخدوع بتلك الجهالة التي لعدم الإيمان هو تلميذ لليهود الوثنيين على حد سواء.

فيه يحل ملء اللاهوت جسديًا

٥٣- الآن بعد أن فهمتم قول الرب حينما قال: كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي، ينبغي أن تَدرسوا تعليم وإيمان الرسول الذي قال: اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ. فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا[٦١]. مَن لا يعرف أن المسيح إله حقيقي، ولا يعترف بوجود ملء اللاهوت فيه، فهو من العالَم وله صفة تعليم الناس، وهو ضحية للفلسفة. إن عقل الإنسان يعرف فقط ما يفهمه، وقدرات إيمان العالم محدودة، بما أنها تَحكُم بحسب قوانين الأركان المادية بأن ما يمكن أن تراه أو تفعله هو وَحده المحتمَل. فإن أركان العالم قد جاءت للوجود من العدم، لكن استمرار المسيح في الوجود لم يبدأ في غير الموجود، ولا وجوده كانت له بداية أبدًا، لكنه اتَّخذ من البداية بدايةً أزليةً. إن أركان العالم إما بدون حياة، أو قد صَدرت في تلك المرحلة إلى الحياة، لكن المسيح هو الحياة، وقد وُلِد كي يكون إلهًا حيًا من الإله الحي. أركان العالم قد أُسِّسَت بواسطة الله، لكنها ليست الله؛ المسيح كإله من إله هو نفسه كل ماهية الله بالتمام. أركان العالم، بما أنها داخله، لا يمكنها ببساطة أن تتضايق من وضعها وتتوقف عن أن تكون داخله، لكن

---

[٦١] (كو ٢: ٨، ٩)

المسيح، بينما هو لديه الله داخل ذاته من خلال السر، فهو نفسه في الله. أركان الكون، التي تَلِد من ذاتها مخلوقات لها حياة مثل التي لها، تمنحها بداية الحياة بالتأكيد من خلال ممارسة وظائفها الجسدية من أجسادها الخاصة، لكنها ليست هي نفسها موجودة ككائنات حية في ما تلده، حيث إن في المسيح يوجد كل ملء اللاهوت في شكل جسدي.

الذي يحل في المسيح جسديًا ليس هو أقنوم الآب بل اللاهوت الواحد الذي للآب والابن:

٥٤- والآن أنا أسأل، لمَن ذلك اللاهوت الذي يحل ملؤه فيه؟ لو لم يكن لاهوت الآب، فأي إله آخر تُقحمونه علي أيها المبشرون المضِلون بوجود إله واحد، بحيث يكون هو الذي يحل لاهوته كاملاً في المسيح؟ لكن لو كان هو لاهوت الآب، فعرِّفوني كيف يحل هذا الملء فيه جسديًا. لو تمسكتم بأن الآب يحل في الابن جسديًا، فلن يوجد الآب في ذاته حينما يحل في الابن*. لكن من ناحية أخرى، وهذا أكثر صوابًا، لو أن اللاهوت الحال فيه بشكلٍ جسديٍ يُظهِر فيه حقيقة طبيعة الإله من الإله، طالما أن الله فيه، إذًا فإقامته ليست عن طريق الهبوط إلى مستوى أقل، ولا هي من خلال الإرادة، بل بالولادة الحقيقية والكاملة، في ملء جسدي كما هو في الحقيقة؛ وطالما أنه قد

* إن الأقنوم المتجسد هو أقنوم الابن وليس الآب، وبالتالي فالمقصود بحلول ملء اللاهوت هو الطبيعة الإلهية، بمعنى أن الحال في المسيح لاهوتًا حقيقيًا. والحقيقة أن هذا الفكر الموجود لدى ق. هيلاري يؤكد أنه كان لاهوتيًا ضليعًا.{م}

وُلِد بولادته الإلهية ليكون إلهًا في النطاق الكامل لوجوده، وطالما أنه لا يوجد اختلاف أو تباين داخل اللاهوت، سوى أنه يحل في المسيح بشكل جسدي، إذًا فكل ما يحل فيه جسديًا هو بحسب ملء اللاهوت. فلماذا تتبعون تعليم الناس؟ لماذا تلتصقون بتعليم الأكاذيب الباطلة؟ لماذا تتكلمون عن 'اتفاق' أو 'توافق للإرادة' أو 'مخلوق'؟ إن ملء اللاهوت يحل في المسيح جسديًا.

٥٥- لقد تمسك الرسول جيدًا هنا بقانون إيمانه، بالتعليم عن أن ملء اللاهوت قد حل في المسيح جسديًا؛ وهذا، لكي يمكن لتعليم الإيمان ألَّا ينحلَّ إلى برهان شرير على اتحاد أشخاص، أو جنون آثم قد ابتدأ يتحرك نحو الإيمان بوجود طبيعتين مختلفتين. فإن ملء اللاهوت الذي يحل في المسيح بشكل جسدي هو غير منعزل ولا يمكن فصله؛ فإن الملء في شكل جسدي ليس معناه وجود انقسام بينه وبين ملء الآخر الحال جسديًا، واللاهوت المقيم لا يمكن أن يُعتبَر أيضًا مكان سُكنى للاهوت آخر[#]. وهكذا فإن المسيح معيَّن كي يحل فيه ملء اللاهوت بطريقة جسدية، ولكي يُعتبَر هذا الملء واحدًا في الطبيعة مع المسيح. فلتتمسكوا بكل فرصة للاعتراض، ولتسِنُّوا أسنان ذكائكم المجدف! فلتُعيِّنوا في النهاية الكيان الخيالي الذي يحل ملء لاهوته في المسيح بشكل جسدي. إنه المسيح، وفيه يحل ملء اللاهوت بشكلٍ جسديٍ.

[#] أي ليس المقصود هو أن المسيح الإله قد حل فيه ملء لاهوت إله آخر في جسده، وإلا سيكون هناك إلهان، بل أن الحال في ناسوت المسيح هو الطبيعة الإلهية التي يملكها أقنوم الابن.{م}

٥٦- ولو كنتم تَعلمون ما هو 'الملء بشكل جسدي'، فافهموا ما هو معنى أن تتكلم في واحد يتكلم، وتُرَى في مَن هو مرئي، وأن تعمل في واحد يَعمل، وأن تكون إلهًا من إله، كاملاً من كامل، واحدًا من واحد؛ وهكذا اِعلَموا ما هو المقصود بملء الله في شكل جسدي. تذكروا أيضًا أن الرسول لم يصمت عن السؤال عن لمَن يكون هذا اللاهوت، الذي يحل بالتمام في المسيح بطريقة جسدية، فإنه يقول: لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ، مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، بَلْ حَتَّى قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ[٦٢]. لذا فإن لاهوته هو الذي يحل في المسيح بطريقة جسدية، ليس جزئيًا بل كليًا، ليس بالقِطعة بل بالامتلاء؛ وبالتالي فهو حلول يكون فيه الاثنان واحدًا، حتى إن الواحد الذي هو إله لا يختلف عن الآخر الذي هو إله؛ إن كليهما إله على حد سواء، لأن الولادة الكاملة تُقدم إلهًا كاملاً. والولادة توجد هكذا في كمالها، لأن ملء اللاهوت يحل جسديًا في الإله المولود من الإله.

[٦٢] (رو ١: ٢٠)

الكتاب التاسع*

الابن هو حقيقة الآب مثلما أنه صورته

١- في الكتاب السابق قد عالجنا موضوع الطبيعة غير الممكن تمييزها# التي لله الآب والله الابن، وأوضحنا أن عبارة "أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ"[١]، لا تُثبت وجود إله مفرد، بل تشير إلى وحدة الألوهية غير المنكسرة بولادة الابن؛ فإن الله (الابن) يمكن أن يُولَد فقط من الله (الآب)، والمولود كإله من إله ينبغي أن يكون كل ما يكونه الله. لقد استعرضنا بشكلٍ كافٍ لتوضيح قصدنا - رغم أنه ليس بشكل شامل - أقوال ربنا والرُسل، التي تُعلِّم عن طبيعة وقوة الآب والابن غير القابلتين للانفصال؛ وقد أتينا إلى فقرة من تعليم الرسول، إذ يقول: أُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ. فَإِنَّهُ فِيهِ

---

* الكتاب التاسع والعاشر في مجملهما يتكلمان عن طبيعة المسيح، وسوف نلاحظ دقة ق. هيلاري في الكلام عن طبيعة المسيح، رغم أن ذلك يسبق الصراع الخريستولوچي الذي أشعله نسطور بطريرك القسطنطينية بعقودٍ. وهذا يؤكد أن ق. كيرلس لم يكن هو أول مَن تكلم عن طبيعة المسيح الواحدة المتجسدة، بل أنه قد شرب الفكر الخريستولوچي من الآباء الذين سبقوه، كما يؤكد هذا أن فكر نسطور كان فكرًا مبتدعًا، وأنه لو كان قد قرأ أعمال آبائه الذين سبقوه، مثل ق. أثناسيوس وق. هيلاري، لما سقط في مثل تلك الهرطقة.{م}

حيث إن التمايز بين الآب والابن ليس في الطبيعة بل في الأقنوم. وهو ما يبين دقة مصطلحات ق. هيلاري اللاهوتية.{م}

[١] (يو ١٠: ٣٠)

يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا[2]. لقد أشرنا إلى أن الكلمات التي تقول هنا: فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا، تُثبِت أنه إله حقيقي وكامل من طبيعة أبيه، ولا تفصله عن الآب، ولا تطابقه معه. إننا من ناحية قد تَعلمنا أن الابن كإله مولود من إله هو في وحدة طبيعية مع الآب، بما أن الإله غير المادي قد حل فيه جسديًا؛ ومن ناحية أخرى، لو أن الله حل في المسيح، فإن هذا يُثبِت ولادة المسيح، الكيان، الذي هو حال فيه[3]. هكذا يبدو لي أننا لدينا أكثر مما قد ردت به كلمات الرب على عدم توقير هؤلاء الذين يشيرون إلى وحدة أو اتفاق في الإرادة، مثل: مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا[4]، أو: الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ[5]، أو: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ[6]، أو: كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي[7]. ولعدم تجاسرهم على إنكار الكلمات نفسها، فإن هؤلاء المعلمين الكذبة يفسدون معنى الكلمات تحت قناع التقوى. على سبيل المثال، حينما تُعلَن وحدة الطبيعة، فإن توافق الإرادة لا يمكن إنكاره فعلاً، لكنهم يثبتون مجرد وجود علاقة اتفاق

---

[2] (كو ٢: ٨، ٩)

[3] *subsistentis distincti Christi* أي 'المسيح الذي له كيان (أي أقنوم) مختلف' (كما ذكرتها النسخة البينيديكتية في الهامش). لا بُد أن نميز بين الآب والمسيح أقنوميًا؛ وبما أن التمييز الوحيد بين الآب والمسيح هو ذاك الذي بين الوالد والمولود، لذا فإن عبارة 'الله حل في المسيح' تُثبِت ميلاد المسيح من الآب.

[4] (يو ١٤: ٩)

[5] (يو ١٠: ٣٨)

[6] (يو ١٠: ٣٠)

[7] (يو ١٦: ١٥)

مُتبادَل لأجل تجنب الاتحاد الناتج عن الولادة. لكن الرسول (بولس) المبارَك، بعد العديد من التصريحات المستمرة عن الحق الأكيد، يقطع الطريق على تأكيداتهم المتهورة والدنسة بقوله: فَإِنَّهُ فِي ٱلْمَسِيحِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ ٱللَّاهُوتِ جَسَدِيًّا. فهو بالتعليم عن الحلول الجسدي للإله غير الجسدي في المسيح يُعلِن الوحدة التامة لطبيعتهما. لذا فإن هذه ليست مجرد كلمات، بل حق أكيد أن الابن لم يكن وحده، بل الآب كان حالاً فيه؛ ولم يحل فيه فقط، بل أيضًا عمل وتكلم؛ وليس فقط قد عمل وتكلم، بل وأيضًا أعلن نفسه فيه. إن قوة الابن هي قوة الآب من خلال سِر الولادة، وسُلطته هي سُلطة الآب، وطبيعته هي طبيعة الآب. الابن يملك بولادته طبيعة الآب؛ لكونه صورة الآب، فهو يَنسخ من الآب كل ما هو في الآب، **لأنه حقيقة الآب كما أنه صورته**، فإن الولادة الكاملة تُنتِج صورةً كاملةً، وحلول ملء اللاهوت فيه جسديًا يدل على حقيقة طبيعته.

الآيات التي يستخدمونها لإنكار ألوهية الابن

٢- الأمر فعلاً هكذا؛ ذاك الإله من إله لا بُد أنه يملك طبيعة مصدره، أي التي يملكها الله، والوحدة غير الممكن تمييزها التي للطبيعة الحية لا يمكن أن تنقسم بولادة طبيعة حية. ومع ذلك فإن الهراطقة، تحت غطاء الاعتراف الخلاصي بإيمان الإنجيل، يسلبون لأجل تدمير الحق؛ فإنهم يسلبون الابن وحدته الطبيعية بإخضاع الكلمات التي قيلت بمعاني ومقاصد أخرى لتفسيراتهم الخاصة. وهكذا فإنهم لأجل إنكار ابن الله،

يقتبسون مُستنَد كلماته الشخصية: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ، اللهُ[٨]. إنهم يقولون إن تلك الكلمات تُعلِن توحُّد الله؛ *تبعًا لذلك فإن أي شيء آخر يتشارك في اسم الله لا يمكن أن يقتني طبيعة الله، لأن الله واحد*. ومن تلك الكلمات التي تقول: وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ[٩]، يحاولون تثبيت نظرية أن المسيح يُدعى الله بمجرد اللقب، وليس بكونه إلهًا حقيقيًا. وأيضًا، لأجل استبعاده من الطبيعة الخاصة بالإله الحقيقي، فإنهم يقتبسون: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ[١٠]. ويستخدمون أيضًا النص القائل: الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي[١١]. وأخيرًا، حينما يكررون الكلمات: وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ[١٢]، كما لو كانت تحمل التخلي المطلق عن ادعاءه للألوهية، فهُم يتباهون بأنهم قد هزموا إيمان الكنيسة. إنهم يقولون إن الولادة لا يمكنها أن ترفع إلى درجة المساواة، تلك الطبيعة التي تُنزِل حدود الجهل مرتبتها، *وإن معرفة الله غير المحدودة وجهل الابن يعلنان عدم التساوي في الألوهية، فإن الله لا*

---

[٨] (لو ١٨: ١٩)، (مت ١٩: ١٧)، (مر ١٠: ١٨). والأصل اليوناني يحتوي على أداة التعريف ὁ، οὐδεὶς ἀγαθὸς εἰ μὴ εἷς ὁ Θεός، لكن الأريوسيين في استخدامهم للآية يستبعدون أداة التعريف، فيصبح المعنى 'إلا إله واحد'.

[٩] (يو ١٧: ٣)

[١٠] (يو ٥: ١٩)

[١١] (يو ١٤: ٢٨)

[١٢] (يو ١٠: ٣٠)

بُد ألا يكون جاهلاً بشيء، والجاهل لا يمكن مقارنته بكلي المعرفة. كل تلك العبارات لا يفهمونها على نحو منطقي، ولا يميزونها بحسب مناسباتها، ولا يدركونها في ضوء أسرار الإنجيل، ولا يفهمونها بالمعنى الدقيق للكلمات؛ وهكذا فهُم يطعنون في طبيعة المسيح الإلهية بتهور غير مهذب وأحمق، مقتبسين أقوال مستقلة منفصلة لخداع آذان غير المدرِكين، ومُبعِدين النتيجة التي توضحها أو الحوادث التي دفعت إلى قولها، رغم أن معنى الكلمات ينبغي البحث عنه في سياق الحديث قبلها أو بعدها.

الرب يسوع إله حقيقي وإنسان حقيقي

٣- سوف نقدم فيما بعد توضيحًا لتلك النصوص من كلمات الأناجيل والرسائل نفسها. لكن من الصواب أولاً تذكير أعضاء إيماننا المشترَك بأن معرفة الأزلي مقدَّمة في نفس الاعتراف الذي يقدم الحياة الأبدية[١٣]. إن مَن يجهل أن المسيح يسوع إلهًا حقيقيًا وإنسانًا حقيقيًا، لا يعرف ولا يمكنه أن يعرف حياته الخاصة. من الخطورة أن ننكر أن المسيح يسوع كان هو الله الروح، أو أنه كان لحم من جسدنا على حد سواء: فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضًا بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضًا قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ[١٤]. هكذا قيل إن **الكلمة** صار جسدًا؛ هكذا تَعَلَّمنا أن الإنسان يسوع المسيح، رب العظمة، قد

---

[١٣] (يو ١٧: ٣)

[١٤] (مت ١٠: ٣٢، ٣٣)

عُيِّن وسيطًا في شخصه لأجل خلاص الكنيسة، وبكونه في سِر الوساطة الحقيقي بين الناس والله فهو نفسه شخصًا واحدًا، إنسانًا وإلهًا. فإنه، لكونه من طبيعتين متحدتين لأجل تلك الوساطة، فهو الحقيقة الكاملة لكل طبيعة؛ وبينما هو كائن في كليهما، إلا أنه غير ناقص في كليهما؛ هو لم يفقد كونه إلهًا لأنه صار إنسانًا، ولا فشل في أن يكون إنسانًا لأنه يظل إلى الأبد إلهًا. هذا هو الإيمان الحقيقي لسعادة الإنسان، الكرازة باللاهوت والناسوت في نفس الوقت، والاعتراف **بالكلمة** والجسد، بعدم نسيان الله لكونه إنسانًا، ولا تجاهل الجسد لكونه **الكلمة**.

تنازل الله يعطينا الرجاء في الطبيعة الممجدة

٤- فإن كانت ولادة مَن يبقى إلهًا في صورة إنسان تُناقض ما تفهمه طبيعتنا، إلا أن بقاء مَن يولد في صورة إنسانٍ إلهًا يلائم طبيعة ما نرجوه، لأنه حينما تُولَد الطبيعة الأعلى إلى ما هو أقل، فهذا يضمن لنا إمكانية أن تولَد الطبيعة الأقل أيضًا إلى الأعلى**. في الواقع، وبحسب قوانين وعادات الطبيعة، فإن تحقيق ما نتوقعه أسهل من استيعاب السر الإلهي#. ففي الأشياء المولودة توجد إمكانية للطبيعة أن تزداد، لكنها لا يمكنها النقصان.

** أي أن كون الله قد تنازل وأخذ طبيعتنا الوضيعة، يمنحنا الرجاء في أن نتحد بالله بالافخارستيا، وبحلول الروح القدس في سري تجديد الطبيعة والميرون، وفي إمكانية تحوُّل طبيعتنا المادية إلى الطبيعة الممجدة في الأبدية السعيدة.{م}

أي من السهل أن نفهم كيف نتحد بالله، وهذا هو رجاؤنا، أكثر من أن نفهم كيف أخلى الابن ذاته صائرًا ابنًا للإنسان.{م}

أُنظروا الأشجار، المحاصيل، الماشية. لاحظوا الإنسان نفسه، مالِك العقل. هو دائمًا يتمدد بالنمو، ولا ينكمش بالنقصان؛ لا يفقد أبدًا ما نمت إليه ذاته. إنه بالتأكيد يفنى مع السن، أو يتوقف بالموت؛ هو يخضع للتغيير بانقضاء الزمن، أو يصل إلى النهاية المحدَّدة بقانون الحياة. ومع ذلك فليس في قدرته أن يتوقف عن كونه ما هو؛ أنا أعني أنه لا يمكنه أن يصنع ذاتًا جديدةً بالانتقاص من ذاته القديمة، أي أن يصير طفلاً ثانيةً بعدما صار عجوزًا. لذا فإن الحاجة إلى نمو دائم، والتي هي مفروضة على طبيعتنا بالقانون الطبيعي، تقودنا بدوافع جيدة نحو توقع ترقيتها إلى طبيعة أعلى، بما أن زيادتها هي تِبعًا للطبيعة، ونقصانها هو خلافًا لطبيعتها. إن الله وحده هو الذي أمكنه أن يصير شيئًا آخر غير ما كان قبلاً، ومع ذلك فهو لم يفقد كونه ما قد كان عليه دائمًا؛ هو مَن أمكنه أن يتقلص داخل حدود الرحم، والمهد، والطفولة، رغم عدم ابتعاده عن قوة الله. **هذا السِر ليس لأجل نفسه، بل لأجلنا. إن اتخاذ طبيعتنا لم يكن ترقيةً لله، بل رغبته في تنزيل نفسه هي ترقيتنا، لأنه لم يتخلَّ عن لاهوته بل وحَّد لاهوته بالطبيعة الإنسانية.**

لا يمكن نسب ما قيل عن الناسوت إلى اللاهوت أو العكس

٥- لذا فإن الله الابن الوحيد، حينما وُلِد كإنسان من العذراء، وكان بشخصه الخاص (أقنومه الذاتي) على وشك رفع البشرية إلى الألوهية في ملء الزمان، قد حافظ دائمًا على هذا الشكل من تعليم الإنجيل. أعني أنه قد علَّم

الإيمان بكونه ابن الله، وحض على التبشير به كابن الإنسان؛ **إنسان يقول ويعمل كل ما يخص الله؛ إله يقول ويعمل كل ما يخص الإنسان***. ومع ذلك فهو لم يتكلم أبدًا بدون أن يدل على ناسوته ولاهوته بالوجهة الثنائية لتلك الأقوال بالذات. رغم أنه قد أعلن وجود إله واحد الآب، إلا أنه قد أعلن كونه في طبيعة إله واحد، بحقيقة ولادته. لكنه في رتبته كابن وحالته كإنسان، قد أخضع نفسه لله الآب، لأن كل شيء مولود لا بُد أن يعود هو نفسه بالإشارة إلى مصدره، وكل جسد لا بُد أن يعترف بضعفه الذاتي أمام الله. هُنا، وفقًا لهذا، يجد الهراطقة الفرصة لخداع البسطاء والجهلة. *إنهم يشيرون بتلك الكلمات، التي قيلت بشخصيته الإنسانية، إلى ضعف طبيعته*

---

* وهذا يشبه إلى حدٍ كبير صيغة ق. كيرلس الكبير المعروفة بـ 'تبادل أو اتصال الخواص' *communicatio idiomatum*، والتي تعني أنه بعد اتحاد اللاهوت والناسوت في شخص المسيح صار هناك تبادل للصفات الإلهية والإنسانية التي تعود إلى مركز واحد وهو شخص الكلمة المتجسد. فلقد أكد بفكرة تبادل الخواص أن الطبيعتين اتحدتا بغير افتراقٍ في الشخص الواحد، ولم تتشوشا، وكلٍ منهما قد تبادل ونقل خواصه إلى الشخص الواحد الذي هو مركزهما، والذي فيه قد اتحدتا، وليس لبعضهما البعض. راجع:

"Questions on Christology of St Cyril of Alexandria", *Abba Salama* (Athens), 6 (1974), p. 222.

وتلك الفكرة قد تبناها فيما بعد ق. ساويروس الأنطاكي في فكره اللاهوتي، وهو الواضح بالأخص في رسائله إلى سرجيوس النحوي. راجع المقدمة اللاهوتية من كتاب، *الخريستولوچي (التعليم عن المسيح) بعد مجمع خلقيدونية: الرسائل بين القديس ساويروس الأنطاكي وسرجيوس النحوي*، ترجمة راهب من دير أنبا أنطونيوس. البحر الأحمر: دير القديس العظيم أنبا أنطونيوس، ديسمبر ٢٠١٥م.{م}

الإلهية؛ ولأنه كان هو نفس الشخص بعينه في كل أقواله، فإنهم يدَّعون أنه قد تكلم دائمًا عن كامل نفسه.

كلام المسيح عن نفسه يخص ثلاث مراحل*

٦- نحن لا ننكر أن كل الأقوال التي قد حُفظَت عنه، تشير إلى طبيعته. لكن إن كان يسوع المسيح إنسانًا وإلهًا - ليس بكونه إلهًا لأول مرة حينما صار إنسانًا، ولا بتوقفه آنذاك عن أن يكون إلهًا، ولا بكونه أقل من إنسان كامل وإله كامل بعد أن صار إلهًا متأنسًا - إذًا فسِر كلماته لا بُد أن يكون هو نفسه سِر طبيعته. وحينما نُفرِّق لاهوته عن ناسوته# بحسب الوقت (أي قبل ملء الزمان)، فدعونا حينئذ نفصل أيضًا لغته كإله عن لغته كإنسان؛ حينما نعترف به كإله وإنسان في نفس الوقت، فدعونا نميز في نفس الوقت بين كلماته كإله وكلماته كإنسان±؛ حينما بمقتضى طبيعته الإنسانية وألوهيته، نميز ثانيةً الوقت الذي فيه تكون طبيعته الإنسانية متألهةً+ تمامًا، فدعونا ننسب إلى ذلك الوقت* كل ما هو مُعلَن بخصوصه.

---

* قبل التجسد، وأثناء وجوده على الأرض، وبعد قيامته المجيدة.{م}

وهو هنا يتكلم عن مرحلة ما قبل التجسد.{م}

± وهو هنا يتكلم عن مرحلة التجسد.{م}

+ بحسب مفهوم ق. كيرلس الكبير وق. ساويروس الأنطاكي عن طبيعة الاتحاد في المسيح، فإن المسيح لم يَصر إنسانًا ليبقى خاضعًا لحكم الألم والموت، بل ليغلبهما، ويُعِيد ويرفع مِن قَدر الطبيعة البشرية إلى ما كانت عليه في البدء. لم يكن هذا لأجل إبطال الطبيعة البشرية، أو لطَمس هويتها، بل لجعلها كما ينبغي أن تكون عليه فِعليًا. وبحسب ق. كيرلس الكبير

كونه إلهًا قبل أن يكون إنسانًا شيء، وأن يكون إنسانًا وإلهًا شيء آخر، وأن يصبح بعد كونه إنسانًا وإلهًا، إنسانًا كاملاً# وإلهًا كاملاً، هو شيء آخر[١٥].

{راجع (PG 74, 87-89)، و Cyr. *Scholia.inc.*9 (p.221.25; 51.783E)}، فإنه حينما وحَّد الكلمة بنفسه جسدًا إنسانيًا له نفس عاقلة، وجعله خاصته. قد حدث ما يُسمَّى (μεταστοιχείωσις / ميتاستويخيوسيس)، أي أن الكلمة قد «أعاد تشكيله» transelemented it، واستخدمه لغرضه الخاص، **وهو ما معناه أن الجسد قد ظهر بالمجد الخاص بالله، وليس أنه تحوَّل إلى الطبيعة الإلهية.** والكلمة من الفعل (στοιχεῖα)، والفعل يتكون من (μετα) بمعنى التحوُّل، و(μεταστοιχειόω) بمعنى العناصر أو الأركان الأولى. وهو نفس التعبير الذي يُستعمل في صلاة تقديس الخبز والخمر عن تحوله مستيكيًا إلى جسد ودم المسيح، وفي صلوات المعمودية عن تحول الطبيعة الإنسانية التي فسدت إلى الطبيعة الجديدة التي لآدم الثاني. ونفس هذا التعبير قيل أيضًا عن الجسد المُمجَّد الذي سنقوم به للحياة الأبدية. وليس معناه هنا أبدًا أن الناسوت قد تحول إلى لاهوت، بل أن عنصر الجسد الفاسد قد تسامى إلى عنصر الجسد الممجَّد الذي (أُعيد تشكيله)، لأنه صار جسد الله باتحاده به. راجع: G. W. H. Lampe, *A Patristic Greek Lexicon*, s.v؛ والقديس كيرلس السكندري، *المسيح واحد*، ترجمة مركز دراسات الآباء طبعة يناير ١٩٨٧ صـ ١٠٠. ولمعرفة المزيد بخصوص هذا الموضوع، راجع كتاب *الخريستولوچي (التعليم عن المسيح) بعد مجمع خلقيدونية: الرسائل بين القديس ساويروس الأنطاكي وسرجيوس النحوي*، ترجمة راهب من دير أنبا أنطونيوس. البحر الأحمر: دير القديس العظيم أنبا أنطونيوس، ديسمبر ٢٠١٥م، صفحة ١٥٧- ١٥٩.{م}

* وهي مرحلة ما بعد قيامة المسيح وصيرورة الجسد جسدًا ممجدًا. {م}

وهو لا يقصد هنا أبدًا أن الطبيعة الإنسانية لم تكن كاملةً، وهذا واضح من فكره الخريستولوچي في كل الكتاب، لكنه يقصد عودة الجسد القابل للموت بسبب فساد الطبيعة إلى الصورة الأولى للجسد غير المائت الذي خُلِق به الإنسان، والذي نسميه الجسد الممجد،

لا تخلطوا إذًا الأزمنة والطبائع في سِر التدبير الإلهي، لأنه بحسب الخصائص المختلفة للطبيعتين المتحدتين فيه، لا بُد أن يتكلم عن نفسه بسر ناسوته، بطريقة معينة قبل ولادته، وبطريقة أخرى حينما لم يكن قد مات بعد، وبأخرى كأبدي.

الله أراد أن ينتصر بجسدنا كي يثأر لنا

٧- لذا، فلأجل خاطرنا تكلم يسوع المسيح، الذي احتفظ بكل تلك الخصائص، ووُلِد إنسانًا في جسدنا، مثلما نتكلم بطريقة طبيعتنا، بدون أن يخفي تلك الألوهية المتعلقة بطبيعته الخاصة. لقد مرَّ بكل ظروف طبيعتنا في ولادته، وآلامه، وموته، لكنه احتملها كلها بقدرته الخاصة[±]. لقد كان هو نفسه سبب مولده، وأراد أن يتألم بما لم يكن ممكنًا أن يتألم به، ومات رغم أنه يحيا إلى الأبد. ومع ذلك فقد فعل الله كل هذا، ليس من خلال إنسان[#]،

والذي قد قام به المسيح منتصرًا على عدو البشرية، أي الموت، حيث لم يَعُد جسد المسيح مُعرضًا للألم والموت حينئذٍ، وهو ما يعتبره ق. هيلاري الإنسان الكامل.{م}

[١٥] والمراحل الثلاث المُشار إليها في تلك الجمل الثلاث هي: ١- قبل التجسد: حيث يمكننا أن ننسب فقط إلى لاهوته الكلمات التي يستخدمها المسيح فيما يتعلق بتلك المرحلة، لأنه لم يكن إنسانًا بعد. ٢- التجسد: لا بُد أن نميز إن كان يتكلم عن نفسه كإله أم كإنسان. ٣- بعد القيامة، حينما يبقى ناسوته، لكنه يكون مُمَجَّدًا بقوة لاهوته.

[±] أي بالتدبير، حيث إن **الكلمة** المتجسد قد سمح بأن يتألم بناسوته، وليس أن لاهوته قد منع عنه الألم، وإلا صار الموضوع كله تمثيلية، ولن يمكنه حينئذ أن يُعين المجرَّبين كمَن جُرِّب بالألم والحزي.{م}

[#] أي ليس بحلول المصاحبة في إنسان، لأجل تأدية المهمة، ثم تركه ثانيةً.{م}

بل هو بنفسه قد وُلِد، وتألم بإرادته الحرة الخاصة، ومات بنفسه. لقد فعل ذلك أيضًا كإنسان، لأنه قد وُلِد بالفعل، وتألم ومات. تلك كانت هي أسرار المقاصد السرية للسماء، التي عُيِّنَت قبل إنشاء العالم. الله الابن الوحيد أراد أن يصير إنسانًا بإرادته الخاصة، والإنسان كان ينبغي أن يَثبُت في الله إلى الأبد. الله أراد أن يتألم بإرادته الخاصة، لكي لا يُثبِّت حِقد الشيطان - الذي يعمل في ضعف العجز الإنساني - فينا ناموس الخطية، لأن الله قد اتخذ ضعفنا. لقد أراد الله أن يموت بإرادته الخاصة، كي لا يمكن لقوة ما، بعدما وضع الإله غير المائت ذاته تحت ناموس الموت، أن تقف أمامه، أو تبذُل كل قوَّتها الطبيعية التي قد خلقها فيها. **هكذا فإن الله قد وُلِد لكي يأخذنا إليه، وتألم لكي يبررنا، ومات لكي يثأر لنا؛ فإن طبيعتنا الإنسانية تَثبُت للأبد فيه، وضعف عجزنا يتم توحيده بقوَّته، والقوى الروحية للإثم والشر تصير خاضعةً بانتصار جسدنا، لأن الله قد مات بالجسد.**

الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ

٨- إن هذا الرسول، الذي قد عرف هذا السر، وقَبِل معرفة الإيمان من خلال الرب نفسه، لم يكن غافلاً عن كون العالم والجنس البشري والفلسفة لا يمكنهم احتواءه، فإنه يكتب: أُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ

الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ يَسُوعَ*. فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا. وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ[١٦]. بعد الإعلان عن أن ملء اللاهوت يحل جسديًا في المسيح، يأتي مباشرةً سِر اتخاذنا له، في الكلمات: أَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ. وكما أن ملء اللاهوت فيه، هكذا قد صرنا مملوئين فيه. إن الرسول لم يقُل فقط: أَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ، بل قال: أَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ؛ فإن كل الذين تجددوا، أو سوف يتجددون، مِن خلال رجاء الإيمان بالحياة الأبدية، يُقِيمون الآن في جسد المسيح؛ وبعدئذ لن يصيروا فقط مملوئين فيه فيما بعد، بل في أنفسهم، في الوقت الذي يقول عنه الرسول: الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ[١٧]. لذا فقد صرنا الآن مملوئين فيه، أي، باتخاذه لجسده، لأن فيه يحل ملء اللاهوت جسديًا. إن رجاءنا له ثقة كبيرة فيه، وامتلاءنا فيه يُعطي السلطة الشرعية لرئاسته وسلطته على كل قوة، كما هو مكتوب: لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِهِ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ

---

* والملاحَظ هنا أنه ذكر هذه الفقرة من رسالة كولوسي في كتابه الأول فقرة ١٣ مثل الأصل اليوناني للرسالة التي تقول 'المسيح'، لكنه هنا يذكرها 'المسيح يسوع'. وربما يكون هذا لوجود فارق زمني كبير بين كتابة الكتاب الأول والتاسع، أو بسبب الارتجال وعدم مراجعة نَص الرسالة. والجدير بالملاحظة أن كل الترجمات قد ذكرتها 'المسيح' فقط، بما فيها النص القبطي البحيري، فيما عدا النص القبطي الصعيدي الذي ذكرها 'المسيح يسوع'، ⲉⲛⲓⲭⲁ ⲡⲉⲭⲣⲓⲥⲧⲟⲥ ⲓⲏⲥⲟⲩⲥ ⲁⲛ. {م}

[١٦] (كو ٢: ٨-١٠)

[١٧] (في ٣: ٢١)

يَسُوعَ هُوَ رَبٌّ فِي# مَجْدِ اللهِ الآبِ*. سوف يُعتَرَف بيسوع في مجد الله الآب، مولودًا في صورة إنسان، رغم أنه لم يعُد فيما بعد مقيمًا في ضعف جسدنا، بل في مجد الله. كل لسان سوف يَعترف بهذا. لكن بالرغم من أن كل ما في السماء والأرض سوف يحنى الركبة له، إلا أنه في هذا الموضع هو رأس كل الرئاسات والسلطات، حتى إن الكون كله سوف يحنى الركبة بخضوع، في ذلك الذي صرنا فيه كاملين، الذي من خلال ملء اللاهوت الحال فيه جسديًا، سوف يُعتَرَف به في مجد الله الآب.

المعمودية موت وقيامة معه

٩- لكن بعد الإعلان عن سِر طبيعة المسيح، واتخاذه لنا، أي ملء اللاهوت المقيم في المسيح، وبعد أن صرنا مملوئين فيه بولادته كإنسان، يُكمل الرسول تدبير خلاص الإنسان بقوله: وَبِهِ أَيْضًا خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ. مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ[١٨]. نحن مختونون ليس بختان جسدي بل بختان المسيح، أي نحن مولودون ثانيةً إلى إنسان جديد؛ فإننا لكوننا مدفونين معه في معموديته، يجب أن نموت للإنسان العتيق، لأن تجديد المعمودية له قوة القيامة. ختان

لكن الأصل في اليوناني εἰς δόξαν، أي 'لِمجد'.{م}

* (في ٢: ١٠، ١١) مع ملاحظة حذف 'يسوع' في الآية الأولى، و'المسيح' في الثانية.{م}

[١٨] (كو ٢: ١١، ١٢)

المسيح لا يعني قَطع القِلَف، بل أن نموت بالكامل معه، وبذاك الموت نحيا من الآن فصاعدًا بالكامل له. فإننا نقوم ثانيةً فيه من خلال الإيمان بالله، الذي أقامه من الأموات؛ لذا يجب أن نؤمن بالله، الذي بعمله قد أُقيم المسيح من الأموات، فإن إيماننا يقوم ثانيةً في المسيح ومعه.

إن كان الله قد أقام المسيح، والمسيح في نفس الوقت أقام نفسه، إذًا فالمسيح هو الله

١٠- ثم يَكمُل السر الكامل للناسوت المُتخَذ: وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ وَسَطِ الْطَرِيقِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ، وبِخَلْعِهِ جَسَدِه مِنْ نَفْسِهِ، قَدْ أَشْهَرَ السُّلْطَاتِ، ظَافِرًا عَلَيهِم فِي نَفْسِهِ*.[١٩] الإنسان الدنيوي لا يمكنه قبول إيمان الرسول، ولا يمكن للُغةٍ ما أن تشرح قصده سوى لغة الرسول. الله قد أقام المسيح من الأموات؛ المسيح الذي فيه قد حل ملء اللاهوت جسديًا. لكنه قد أحيانا كلنا معه أيضًا، غافرًا آثامنا، ماحيًا صك ناموس الخطية، الذي كان ضدنا من خلال الفرائض التي جُعِلَت سابقًا، رافعًا إياه من وسط الطريق، ومسمرًا إياه بالصليب، مجرِّدًا ذاته من الجسد بقانون الموت، مُشهرًا السلطات، وظافرًا عليهم في ذاته. لقد تكلمنا بالفعل عن الرئاسات وكيف

* وقد ذكرها هنا بصيغة مختلفة عن الكتاب الأول فقرة ١٣.{م}

[١٩] (كو ٢: ١٣-١٥)

قد انتصر عليهم في ذاته، وأشهر بالأعداء، والصك الذي قد محاه، والحياة التي أعطانا إياها[٢٠]. لكن مَن هو الذي يمكنه أن يفهم أو يُعبِّر عن هذا السر؟ إن عمل الله يرفع المسيح من الأموات؛ ونفس عمل الله يُحيينا معًا مع المسيح، ويغفر خطايانا، ويمحو الصك، ويسمره بالصليب؛ إنه يخلع عن ذاته الجسد، ويشهر السلطات، ويظفر عليهم في ذاته. لدينا عمل الله الذي يقيم المسيح من الأموات، ولدينا المسيح عاملاً في ذاته نفس الأمور التي يعملها الله فيه، لأن المسيح هو الذي مات، مجرِّدًا ذاته من جسده. تمسكوا إذًا بالمسيح الإنسان، المُقام من الأموات بواسطة الله، وتمسكوا بالمسيح الإله، الذي حقق خلاصنا حينما كان ينبغي أن يموت. الله يعمل في المسيح، لكن المسيح هو الذي يُجرد ذاته من جسده ويموت. المسيح هو الذي مات، والمسيح هو الذي قد عمل بقوة الله قبل موته، ومع ذلك فإن عمل الله هو الذي أقام المسيح الميت، ولم يوجد أحد آخر قد أقام المسيح من الأموات عدا المسيح نفسه، الذي عمل قبل موته، وخلع جسده كي يموت.

١١- هل فهمتم الآن أسرار إيمان الرسول؟ أتظنون أنكم تعرفون المسيح بالفعل؟ أخبِروني إذًا مَن هو ذاك الذي يُجرِّد ذاته من جسده، وما هو هذا الجسد المخلوع؟ إنني أرى فكرتين قد عبَّر عنهما الرسول، أن الجسد قد خُلِع، وأنه هو الذي يخلعه؛ ثم أسمع عن أن المسيح قد أقيم من الأموات بعمل الله. لو كان المسيح هو الذي أُقيم من الأموات، والله هو الذي يقيمه؛

---

[٢٠] راجع الكتاب الأول فقرة ١٣.

فمن فضلكم، مَن هو الذي يُجرِّد ذاته من الجسد؟ مَن الذي يقيم المسيح من الأموات ويحيينا معه؟ لو أن المسيح الميت ليس هو نفسه الجسد المخلوع، فقل لي ما هو اسم الجسد المخلوع، واشرح لي طبيعة الذي خلعه؟ إنني أجد أن المسيح الإله، الذي أُقيم من الأموات، هو نفسه الذي جرَّد ذاته من جسده، وذاك الجسد هو نفسه المسيح الذي أُقيم من الأموات؛ إذًا فأنا أراه مُشهرًا الرئاسات والسلطات، ومنتصرًا عليهم. أتفهم هذه النصرة التي في ذاته؟ أتُدرِك أن الجسد المخلوع، والذي يخلعه، ليسا مختلفين عن بعضهما؟ إنه ينتصر في ذاته، أي في ذاك الجسد الذي جرَّد ذاته منه. أترى أنه هكذا قد أَعلن ناسوته ولاهوته، وأن الموت منسوب للطبيعة الإنسانية، وإحياء الجسد منسوب لله، رغم أن الذي يموت والذي يُقيم الموتى للحياة ليسا شخصين بل شخص واحد؟ الجسد المخلوع هو المسيح الميت؛ الذي يقيم المسيح من الأموات هو نفسه المسيح الذي يجرِّد ذاته من الجسد. فلتروا طبيعته الإلهية في القدرة على القيامة مرة أخرى، ولتعترفوا في موته بتدبير ناسوته. فبالرغم من أن كل وظيفة تقوم بها طبيعتها الخاصة*، لكن يجب أن تتذكروا أن الذي مات، والقائم للحياة، كان واحدًا، يسوع المسيح.

١٢- أنا أعرف أن الرسول يشير دائمًا إلى الله الآب الذي يقيم المسيح من الأموات، لكنه ليس متناقضًا مع نفسه أو مختلفًا عن إيمان الإنجيل، فإن الرب نفسه يقول: لِهذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضًا. لَيْسَ

* ليس هذا معناه وجود طبيعتين مستقلتين في المسيح الواحد، بل معناه أن المسيح من طبيعتين كلٍ منهما لم تفقد خواصها ووظائفها، وهذا واضح من تكملة العبارة.{م}

أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا. هذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي[٢١]. ومرة أخرى حينما سؤل أن يُظهِر آيةً بخصوص نفسه، حتى يؤمنوا به، قال عن هيكل جسده: انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ[٢٢]. لقد أعلن ذاته كإله، وأن القيامة هي عمله الخاص، بقُدرته على أخذ نفسه مرة أخرى وإقامة الهيكل؛ ومع ذلك فهو يُرجِع الكل إلى سلطان وصية أبيه. هذا ليس متعارضًا مع معنى الرسول، حينما يُعلِن أن المسيح هو: قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ[٢٣]، وهكذا فهو يُرجِع كل عظمة عمله إلى مجد الآب؛ فإن كل ما يعمله المسيح، تعمله قوة وحكمة الله؛ وكل ما تعمله قوة وحكمة الله، يعمله الله بلا شك، الذي قوَّته وحكمته هو المسيح. لذا فقد أُقيم المسيح من الأموات بعمل الله؛ فإنه هو نفسه قد عمل أعمال الله الآب بطبيعة غير متمايزة عن طبيعة الله. وإيماننا بالقيامة يستند على الله الذي أقام المسيح من الأموات.

١٣- إن ذلك التعليم عن وجود نوعين من الخواص في شخص المسيح هو ما أكد عليه الرسول المبارك. فهو يشير إلى الضعف البشري في المسيح، وإلى القوة والطبيعة الإلهيتين. لذا فقد كتب للكورنثيين: لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ صُلِبَ مِنْ ضَعْفٍ، لكِنَّهُ حَيٌّ بِقُوَّةِ اللهِ[٢٤]، ناسبًا موته للضعف البشري، لكن حياته

---

[٢١] (يو ١٠: ١٧، ١٨)

[٢٢] (يو ٢: ١٩)

[٢٣] (١كو ١: ٢٠- ٢٥)

[٢٤] (٢كو ١٣: ٤)

للقوة الإلهية؛ وأيضًا لأهل رومية: لأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ عَنِ الْخَطِيَّةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَأَمَّا الْحَيَاةُ الَّتِي يَحْيَاهَا فَيَحْيَاهَا لِلّٰهِ. كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ، وَلكِنْ أَحْيَاءً لِلّٰهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ[٢٥]، ناسبًا موته للخطية، أي لجسدنا، لكن حياته لله، الذي طبيعته هي الحياة. لذا ينبغي لنا كما يقول أن نموت لجسدنا، كي نحيا لله في المسيح يسوع، الذي بعد اتخاذ جسد خطيتنا، يحيا الآن لله بالكلية، موحدًا الطبيعة التي شاركنا إياها بالخلود الإلهي.

إخلاء الصورة لا يتضمن إخلاء الطبيعة، فلقد أخلى ذاته لكنه لم يفقد ذاته:

١٤- لقد أُجبرتُ على الكلام عن هذا باختصار، لئلا أنسى أن ربنا يسوع المسيح قد عومل كشخص من طبيعتين*، لأن ذاك الذي وهو باقيًا في صورة الله، قد أخذ صورة عبد، واستمر بها مطيعًا حتى الموت. إن طاعة الموت (بالمنطق البشري) لا يوجد لديها ما تفعله مع صورة الله، مثلما أن صورة الله غير متأصلة في صورة عبد. ومع ذلك فمن خلال سِر تدبير الإنجيل فإن نفس الشخص يوجد في صورة عبد وصورة الله، رغم أن اتخاذ صورة عبد

---

[٢٥] (رو ٦: ١٠، ١١)

* وهو ما يؤكد فهم الآباء لشخص المسيح على أنه من طبيعتين، وهي الصيغة الأرثوذكسية التي استخدمها ق. كيرلس الكبير، وأصر عليها ق. ديسقورس وق. ساويروس الأنطاكي فيما بعد، والتي لازالت كنيستنا تتمسك بها حتى الآن.{م}

والثبات في صورة الله ليسا نفس الشيء؛ ولا يمكن لمَن كان باقيًا في صورة الله أن يأخذ شكل عبد دون إخلاء ذاته، لأن توحيد الصورتين سوف يكون متنافرًا. ومع ذلك فلم يكن ذاك الذي أخلى ذاته واتخذ صورة عبدٍ شخصًا آخر أو مختلفًا. إن اتخاذ أي شيء لا يمكن أن يُنسَب إلى شخص ليس موجودًا، لأن الذي يوجد هو فقط الذي يمكنه أن يتخذ. **إخلاء الصورة إذًا لا يمكن أن يتضمن إلغاء الطبيعة؛ لقد أخلى ذاته لكنه لم يفقد ذاته؛ لقد أخذ صورة جديدة، لكنه ظل كما كان.** أيضًا، سواء بالإخلاء أو بالاتخاذ، فقد كان نفس الشخص؛ لذا فهناك سِر في إخلائه لذاته، واتخاذه صورة عبد، لكنه لم ينتهِ بأن يتوقف عن الوجود في إخلائه لذاته، ويكون غير موجود حينما أخذ (صورة عبد). الإخلاء أحدث اتخاذًا لصورة عبد، لكن ليس بمنع المسيح، الذي كان في صورة الله، عن استمرار كونه المسيح، لأن عمل المسيح نفسه كان هو اتخاذ صورة عبد. وحينما أخلى ذاته كي يصير المسيح الإنسان، فبينما استمر في كونه المسيح الروح، إلا أن إخفاء هيئته في الهيئة الجسدية، واتخاذه لطبيعة أخرى بتجسده، لم يضعا نهايةً لطبيعة لاهوته الأزلي، لأنه كان نفس المسيح بعينه حينما أخفى هيئته، وحينما اتخذ طبيعتنا.

تفسير قوله: لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ الله

١٥- لقد قُمنا الآن بشرح تدبير الأسرار، التي بها قد خدع الهراطقة البعض من غير المتعلمين إلى نَسْب ما قاله المسيح وفَعَله من خلال طبيعته

الإنسانية المتخَذَة إلى نقصٍ في اللاهوت، ونسْب ما يناسب فقط صورة العبد إلى صورة الله. دعونا ننتقل بعدئذ إلى الرد على تصريحاتهم بالتفصيل. يمكننا دائمًا التمييز بين نوعين من الكلام، بما أن الإيمان الحقيقي الوحيد يكمُن في الاعتراف بيسوع المسيح **ككلمة** وجسد، أي كإله وإنسان. إن الهراطقة يعتبرون أنه من الضروري إنكار أن ربنا يسوع المسيح بفضل طبيعته كان إلهًا، لأنه قال: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ الله[٢٦]. والرد المُرضي الآن يجب أن يبقى في علاقة مباشرة مع مسألة الاستعلام، لأنه فقط في هذه الحالة سوف يقدِّم ردًا على السؤال الموضوع. سوف أسأل إذًا في المستهَل هؤلاء الذين يسيئون التفسير: "هل تظنون أن الرب قد استاء من دعوته صالحًا؟" هل هو يُفضِّل أن يُدعى سيئًا، كما تبدو الإشارة في تلك الكلمات:- لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لا يمكنني أن أتخيل وجود أحدٍ غير عاقل يَنسب له اعترافًا بالشر، لأنه هو الذي قال: تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَثَقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ[٢٧]. هو يقول إنه وديع ومتواضع، فهل يمكننا أن نؤمن بأنه كان غاضبًا لأنه قد دُعي صالحًا؟ إن الافتراضين متناقضان. الذي يشهد لصلاحه لم يكن ليتبرأ من اسم صالح. من الواضح إذًا أنه لم يكن غاضبًا لأنه دُعي صالحًا؛ فلو لم

---

[٢٦] (لو ١٨: ١٩)

[٢٧] (مت ١١: ٢٨-٣٠)

يمكننا أن نؤمن بأنه قد استاء من دعوته بالصالح، فيجب أن نسأل ما الذي قيل عنه حتى يصير مستاءً.

١٦- دعونا نرى إذًا كيف لقَّبه السائل، إلى جانب دعوته بالصالح. لقد قال: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ[٢٨]؟ مضيفًا إلى لقب الصالح لقب المعلم. لو أن المسيح لم يوبِّخ بسبب أنه قد دُعي بالصالح، فلا بُد أن ذلك كان بسبب أنه قد دُعي 'المعلم الصالح'. علاوة على أن طريقة توبيخه تُظهِر أن سبب استيائه كان عدم إيمان السائل، أكثر من لقب 'معلم' أو 'صالح'. **إن الذي سأل هو شاب يتفاخر بنفسه بسبب حفظ الناموس، لكنه لم يعرف غاية الناموس[٢٩]، الذي هو المسيح، وظن نفسه مبرَّرًا بالأعمال دون أن يدرك أن المسيح قد جاء 'إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ'[٣٠]، وإلى هؤلاء الذين يؤمنون بأن الناموس لا يمكنه أن يُخلِّص سوى من خلال الإيمان بالتبرير**[٣١]. لقد سأل رب الناموس، الله الابن الوحيد، كما لو كان معلمًا للأخلاقيات العامة وكتابات الناموس. لكن الرب قد أجاب قائلاً: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟، مشمئزًا من إظهار عدم الإيمان غير الموقر، الذي خاطبه به كمعلم للناموس. ولكي يُظهِر كيف يمكننا أن

---

[٢٨] (مت ١٩: ١٧)

[٢٩] قارن (رو ١٠: ٤)

[٣٠] (مت ١٥: ٢٤)

[٣١] قارن (رو ٨: ٣)، "لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ"، وفي (غل ٣: ١١، ١٢)، "لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللهِ.. وَلكِنَّ النَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ".

نعرف، وندعوه بالصالح، أضاف: لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ الله، غير متبرئ من لقب الصالح، لو أُعطي له كإله.

١٧- ثم، لإثبات أنه يستاء من لقب 'المعلم الصالح' بعدم الإيمان به، الذي يَظهر في مخاطبته له كإنسان، يرُد على الشاب ذي المجد الباطل، وعلى تفاخره بأنه قد أكمل الناموس: يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ. اِذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي[٣٢]. ليس هناك نفورٌ من لقب 'صالح' في الوعد بالكنز السماوي، ولا معارضة لاعتباره 'معلمًا' في عرضه لدليل الطريق نحو القداسة الكاملة. لكن هناك توبيخًا لعدم الإيمان الذي يرسم فكرةً أرضيةً عنه من التعليم بأن الصلاح يخص الله وحده. ولكي يدل على أنه صالح وإله معًا، فهو يمارس وظائف الصلاح، فاتحًا الكنوز السماوية، ومقدمًا نفسه كمُرشِدٍ إليها. كل المدح الذي قُدِّم له كإنسان قد تبرأ منه، لكنه لا يتبرأ مما يُقدَّم لله؛ ففي اللحظة التي اعترف فيها بأن الإله الواحد هو الصالح، كان كلامه وأفعاله هما كلام وأفعال قوة وصلاح وطبيعة الله الواحد.

١٨- إن كونه لم يَنفُر من لقب صالح، أو يرفض منصب معلم، بل استاء من عدم الإيمان الذي لم يدرِك فيه سوى الجسد واللحم، يمكن إثباته من اختلاف لغته، حينما اعترف به الرُسل كمعلم لهم: أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لأَنِّي أَنَا كَذلِكَ[٣٣]؛ وفي مناسبة أُخرى: لاَ تُدْعَوْا

---

[٣٢] (مر ١٠: ٢١)

[٣٣] (يو ١٣: ١٣)

مُعَلِّمِينَ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ[٣٤]. إنه يَقبل اللقب بكلمات ثناءٍ من المؤمنين الذين هو لهم معلمٌ، لكنه هنا يرفض لقب 'المعلم الصالح'، حينما لا يُعتَرَف بكونه الرب والمسيح، ويعلِن أن الله الواحد هو وحده الصالح، لكن بدون تمييز نفسه عن الله، لأنه يدعو نفسه ربًا ومسيحًا، ويقود إلى الكنوز السماوية.

شهادة المسيح نفسه عن ألوهيته

١٩- لقد ذكر الرب دائمًا تعريف إيمان الكنيسة هذا، الذي يتضمن التعليم بأن هناك إلهًا واحدًا الآب، لكن دون أن يَفصل نفسه عن سِر الإله الواحد، فإنه يعلن عن نفسه، بالطبيعة التي له بالولادة، ليس كإله آخر ولا كإله منعزل. ولأن طبيعة الإله الواحد فيه، فلا يمكن أن يكون إلهًا من نوع مختلف عنه؛ ولادته تتطلب ضرورة كون بنويته كاملةً لكونه ابنًا. لذا فلا يمكنه أن ينفصل عن الله ولا أن يندمج في الله. فإنه يتكلم بكلمات مختارة عن عمد، لكي يكون كل ما يطالب به لأجل الآب، ينسبه لنفسه أيضًا بلغة متواضعة. خذوا على سبيل المثال وصية: آمِنُوا بِاللهِ، وَآمِنُوا بِي أيضًا*. فإن كان مساويًا لله في الكرامة، فأخبِروني أرجوكم كيف يمكن

---

[٣٤] (مت ٢٣: ١٠)

* (يو ١٤: ١) والفعل πιστεύετε إما في زمن المضارع المبني للمعلوم في الصيغة الإخبارية 'تؤمنون'، أو في صيغة الأمر 'آمِنوا'، والآية في اليوناني استخدَمت نفس الفعل في الجملتين πιστεύετε εἰς τὸν Θεόν, καὶ εἰς ἐμὲ πιστεύετε، والمفهوم من سياق الكلام في الجملة الثانية أنه يستخدم فعل الأمر، أما في الأولى فالفعل يحتمل المعنيين. لذا فهمها ق.

فصله عن طبيعته؟ إنه يقول: آمِنُوا بِي أيضًا، مثلما قال: آمِنُوا بِاللهِ. ألا تشير 'بي' إلى طبيعته؟ افصلوا الطبيعتين، لكنكم يجب أيضًا أن تفصلوا العقيدتين! لو أن هذه هي الحياة، أن نؤمن بالله بدون المسيح، فجرِّدوا المسيح إذًا من اسم الله وصفاته. لكن لو أن الحياة الكاملة تُعطَى لهؤلاء الذين يؤمنون بالله، فقط حينما يؤمنون بالمسيح أيضًا، فدعوا القُراء الحذرين يتأملون في القول: آمِنُوا بِاللهِ، وَآمِنُوا بِي أيضًا، لأن تلك الكلمات التي توحِّد بين الإيمان به والإيمان بالله، توحِّد طبيعته بطبيعة الله. هو يفرض أولاً مُهمة الإيمان بالله، لكنه يضيف لها وصية أننا يجب أن نؤمن به أيضًا؛ والتي تتضمن أنه الله، بما أن هؤلاء الذين يؤمنون بالله يجب أيضًا أن يؤمنوا به. ومع ذلك فهو يستبعد الاقتراح بالوحدة التي تتعارض مع الإيمان[٣٥]، لأن حَضه لنا في 'آمِنُوا بِاللهِ، وَآمِنُوا بِي أيضًا' يمنعنا من التفكير فيه كمَن هو وحيد في عُزلة.

هيلاري بصيغة الأمر في الجملتين، رغم أن الفولجاتا ذكرت الأولى في المضارع. مما يؤكد أنه كان يقرأ العهد الجديد من نصه الأصلي اليوناني. جدير بالذكر أن النص القبطي الصعيدي ذكر الجملتين في صيغة الأمر، إذ يقول: ⲡⲓⲥⲧⲉⲩⲉ ⲉⲡⲛⲟⲩⲧⲉ ⲁⲩⲱ ⲛⲁⲃⲏⲧ ⲉϥⲏ ⲟⲩⲟⲃ، وكذلك القبطي البحيري ⲛⲧⲉⲧⲛⲡⲓⲥⲧⲉⲩⲉ ⲉⲣⲟⲓ ⲛⲁⲃⲏⲧ ⲉⲣⲟⲓ ⲁⲩⲱ. أما الترجمة البيروتية واليسوعية وترجمة KJV فقد ذكروا الأولى في المضارع: "أنتم تؤمنون بالله، فآمنوا بي".{م}

[٣٥] مثلما علَّم سابيليوس بامتداد وحدة الطبيعة إلى وحدة الشخص. هناك وحدة للطبيعة في اللاهوت، لكن هناك اتحاد بين الأقانيم.

٢٠- في الكثير من خُطبه، بل في معظمها، يقدم (المسيح) تفسير ذلك السر، ولا يَفصل نفسه أبدًا عن الوحدة الإلهية حينما يعترف بالله الآب، ولا يصف الله أبدًا بالمفرد والمنعزل حينما يضع نفسه في وحدة معه. فلا توجد مناسبة أخرى يُعلِّم فيها بوضوح شديد عن سِر وحدته وولادته أكثر من قوله: وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا، لأَنَّ الأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ لأُكَمِّلَهَا، هذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا، هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي، وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ. وَلَيْسَتْ لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ، لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ[٣٦]. كيف يمكن أن يُقال بالحقيقة إن الآب يشهد للابن، حينما لم يُسمَع صوته ولم يُرى؟ ومع ذلك فأنا أتذكر أنه قد سُمِع صوت من السماء يقول: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا[٣٧]. كيف يمكن أن يُقال إنهم لم يسمعوا صوت الله، حينما أكد الصوت نفسه الذي سمعوه إنه كان صوت الآب؟ لكن ربما لم يسمع المقيمون في أورشليم ما قد سمعه يوحنا في العُزلة في الصحراء. يجب أن نسأل إذًا: كيف شهد الآب في أورشليم؟ لم تعُد الشهادة معطاةً ليوحنا، الذي سمع الصوت من السماء، بل شهادة أعظم من التي ليوحنا. عن هذه الشهادة استمر يقول: الأَعْمَالَ الَّتِي

---

[٣٦] (يو ٥: ٣٦- ٣٨)

[٣٧] (مت ١٧: ٥)، حادثة التجلي. لكن سياق الكلام يبين أن ق. هيلاري يشير إلى الصوت الذي سُمِع عند المعمودية، (مت ٣: ١٧؛ مر ١: ١١؛ لو ٣: ٢٢)، في حين أن الثلاثة أناجيل لم تذكر أنه قال 'له اسمعوا'.

أَعْطَانِي الآبُ لأُكَمِّلَهَا، هذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا، هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي. يجب أن نَقبل مستند الشهادة، لأنه لا يوجد أحد يمكنه أن يعمل تلك الأعمال سوى الابن الذي أرسله الآب. لكن ماذا بعد؟ وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ. وَلَيْسَتْ لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ. هل هم بلا لومٍ في عدم معرفتهم لشهادة الآب، الذي لم يُسمع أو يُرى بينهم أبدًا، والذي كلماته لم تكن ثابتةً فيهم؟ لا، لأنهم لا يمكنهم التبرير بأن شهادته كانت مخفية عنهم؛ كما يقول المسيح، فإن شهادة أعماله هي شهادة الآب عنه. أعماله تشهد له أنه قد أُرسَل من الآب؛ لكن شهادة تلك الأعمال هي شهادة الآب؛ لذا، فبما أن أعمال الابن هي شهادة الآب، فمن الضروري بالتالي أن الطبيعة نفسها كانت عاملةً في المسيح، والتي بها يشهد الآب له. لذا فإن المسيح الذي يعمل الأعمال، والآب الذي يشهد من خلالها، قد أُظهِر أنهما يملكان طبيعةً واحدةً غير منقسمة نتيجة الولادة، لأن هناك دليلاً على عمل المسيح من خلال شهادة الله له.

٣٨- لذا فهم ملومون* على عدم الاعتراف بالشهادة؛ لأن أعمال المسيح هي شهادة الآب عنه. ولا يمكنهم أن يبرروا جهلهم بالشهادة على أساس أنهم لم يسمعوا صوت الشاهد، ولا رأوا هيئته، ولا ثبُت كلامه فيهم. فبعد أن قال تلك الكلمات: لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ. وَلَيْسَتْ

* أي اليهود.{م}

لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ، قد أشار مباشرةً إلى سبب عدم سماعهم للصوت، وعدم رؤيتهم للهيئة، وعدم ثبات الكلمة فيهم، رغم أن الآب قد شهد له. ومعنى قوله: لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ، أنهم لو آمنوا به، لكانوا قد سمعوا صوت الله، ورأوا هيئة الله، ولكانت كلماته فيهم، لأنه مِن خلال وحدة طبيعتهما يُسمَع ويُعلَن ويُقتنى الآب في الابن. أليس هو أيضًا المُعبِّر عن كلام الآب، لأنه قد أُرسِل من قِبله؟ هل هو يميز نفسه بأي اختلاف في الطبيعة عن الآب، حينما يقول إن الآب، الشاهد له، لم يُسمَع ولم يُرى ولم يُفهَم، لأنهم لم يؤمنوا بذاك الذي أرسله الآب؟ لذا فالإله الابن الوحيد لا يفصل نفسه عن الله حينما يعترف بالله الآب؛ لكنه يعلن بكلمة 'الآب' علاقته بالله. لقد نسب إلى نفسه الكرامة اللائقة بالله.

ضد المسيح سوف يتمجد بالاستخدام الكاذب لاسم الآب

٢٢- فإنه، في نفس هذا الحديث عينه، الذي فيه يعلن عن أن أعماله تشهد عنه أن الآب قد أرسله، ويؤكد أن الآب يشهد له أنه قد أُرسِل من قِبله، يقول: وَالْمَجْدُ الَّذِي لِلإِلهِ الْوَحِيدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ[٣٨]. أيًا كان، فإن هذا

---

[٣٨] (يو ٥: ٤٤) والنص في اليونانية "τὴν δόξαν τὴν παρὰ τοῦ μόνου Θεοῦ"، أي 'المجد الذي من الإله الوحيد'، وهو ما جاء كذلك في النص القبطي الصعيدي:
ⲡⲉⲟⲟⲩ ⲡⲉⲃⲟⲗ ⲥⲓⲧⲙ ⲡⲓⲟⲩⲁ ⲛⲟⲩⲱⲧ ⲉⲛⲧⲉⲧⲛϣⲓⲛⲉ ⲛⲥⲱⲥ ⲁⲛ.
لكن النص القبطي البحيري قد ذكره مثلما ذكره ق. هيلاري، إذ يقول:
ⲡⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲟⲩⲁⲓ ⲙ̀ⲙⲁⲧⲁⲩ ⲧⲉⲧⲉⲛⲕⲱϯ ⲛ̀ⲥⲱⲥ ⲁⲛ.

ليس تصريحًا أعزلاً لم يسبقه أي إعدادٍ للإيمان بوحدته مع الآب. اسمعوا ما يسبقه: لاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ. مَجْدًا مِنَ النَّاسِ لَسْتُ أَقْبَلُ. لكِنِّي قَدْ عَرَفْتُكُمْ أَنْ لَيْسَتْ لَكُمْ مَحَبَّةُ اللهِ فِي أَنْفُسِكُمْ. أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي. إِنْ أَتَى آخَرُ بِاسْمِهِ[٣٩] فَذلِكَ تَقْبَلُونَهُ. كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا مِن النَّاسِ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَحِيدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟[٤٠] إنه يترفع عن مجد الناس، لأن المجد يجب أن يُطلَب من الله. إن غاية غير المؤمنين هي أن يقبلوا المجد من بعضهم البعض؛ فما هو المجد الذي يمكن أن يعطيه الإنسان للإنسان؟ هو يقول إنه يَعلم أن محبة الله ليست فيهم، ويعلن أن هذا هو السبب في أنهم لا يقبلون أنه يأتي باسم أبيه. ما الذي يعنيه 'المجيء باسم أبيه' سوى 'المجيء باسم الله'؟ أليس أن محبة الله ليست فيهم لأنهم قد رفضوا مَن أتى باسم الله؟ ألا يتضمَّن هذا أن له طبيعة الله، حينما يقول: لاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ

وفي اعتقادي أن سبب اللبس هو أن حرف الجر παρὰ يأتي بمعنى 'مِن' إذا تبعه مضاف إليه، كما جاء في النص الأصلي، أما إذا تبعه مفعول به فيصبح معناه 'بـ' أو 'لـ'، وقد يكون هذا هو سبب فهم ق. هيلاري والنص القبطي البحيري للنص بهذا الشكل.{م}

[٣٩] والهاء هنا تعود على مَن أتى بالاسم. لكن في نهاية هذه الفقرة يتكلم ق. هيلاري كما لو كان المعنى 'إن أتى آخر باسمه (أي باسم الآب)'، رغم أن ما جاء في الترجمة اللاتينية '*si alius venerit in nomine suo*' غامض، أما النص الأصلي اليوناني فيقول: ἐὰν ἄλλος <u>ἐν τῷ ὀνόματι τῷ ἰδίῳ</u> ἔλθῃ' أي 'باسم نفسه'، مستبعدًا تمامًا تلك الترجمة، وهو ما أكده النص القبطي الصعيدي ⲡⲉⲥⲁⲣⲁⲛ ⲙⲙⲓⲛ ⲙⲙⲟⲥ، والبحيري **ⲡⲉⲧⲉⲫⲱⲧ**.{م}

[٤٠] (يو ٥: ٤٠- ٤٤)

لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ. اسمعوا ما قاله عن نفسه في نفس الحديث: اَلْحَقَّ، الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ[٤١]. إنه يأتي باسم الآب؛ أي أنه ليس هو نفسه الآب، ومع ذلك فله نفس الطبيعة الإلهية للآب؛ من الطبيعي بالنسبة له أن يأتي باسم الآب، لكونه ابنًا وإلهًا. إذًا فهم سوف يَقبلون آخرًا يأتي بنفس الاسم، ذاك الذي ينتظر منه الناس المجد، والذي له سوف يعطون المجد بالمقابل، رغم أنه سوف يتظاهر بأنه قد أتى باسم الآب. بهذا يُستدل بلا شك على ضد المسيح، الذي يتمجد بالاستخدام الكاذب لاسم الآب. سوف يمجدونه، وسوف يتمجدون منه؛ لكنهم لن يطلبوا مجد ذاك الذي هو الإله وحده.

مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ أَيضًا

٢٣- ليست لديهم محبة الله فيهم، كما يقول، لأنهم رفضوا إتيانه من الآب، لكنهم قبلوا آخر، الذي أتى بنفس الاسم، وقبلوا المجد من بعضهم البعض، لكنهم أهملوا مجد ذاك الذي هو الإله الحقيقي وحده. هل من الممكن الاعتقاد بأنه يفصل نفسه عن مجد الإله الوحيد، حينما يقول إن سبب عدم طلبهم مجد الإله الوحيد هو أنهم يقبلون 'ضد المسيح'، ولن يقبلوه هو نفسه؟ إن رفضه هو رفض مجد الإله الوحيد؛ أليس إذًا مجده هو مجد الإله الوحيد، لو كان التمسك بقبوله هو طلب مجد الإله الوحيد؟ هذه العظة بالذات هي شهادتنا؛ لأننا نقرأ في بدايتها: لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ

---

[٤١] (يو ٥: ٢٥)

كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ[٤٢]. إن الأشياء التي من نفس الطبيعة فقط هي المتساوية في الكرامة؛ المساواة في الكرامة تدل على أنه ليس هناك انفصال بين المُكرَّمين، فبإعلان الولادة تُطلَب المساواة في الكرامة أيضًا. وبما أن الابن يجب أن يُكرَّم كالآب، وبما أنهم لا يطلبون كرامة ذاك الذي هو الإله الوحيد، فإنه غير مُستثنَى من كرامة الإله الوحيد، لأن كرامته هي نفس كرامة الله عينها. وكما أن 'مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ أَيضًا'، هكذا مَن لا يطلب كرامة الإله الوحيد لا يطلب أيضًا كرامة المسيح. بالتالي فإن كرامة المسيح غير منفصلة عن كرامة الله. إن كلماته حينما وصلته أخبار مرض لعازر تُظهِر التطابق الكامل بين الآب والابن في الكرامة:- هذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ، بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللهِ، لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللهِ بِهِ[٤٣]. فإن لعازر يموت لأجل مجد الله، كي يتمجد ابن الله بواسطته. هل هناك أي شك في أن مجد ابن الله هو مجد الله، حينما يكون موت لعازر، الذي هو مجدٌ لله، تمجيدًا لابن الله؟ هكذا فإن المسيح مُعلَن أنه واحد في الطبيعة مع الله الآب من خلال ولادته، بما أن مرض لعازر هو لمجد الله. وفي نفس الوقت لا يوجد انتهاك لسر الإيمان، لأن ابن الله سيتمجد من خلال لعازر. ابن الله يجب أن يُعتبر إله، رغم أنه مُعتَرَف به أيضًا كابن الله؛ فإنه بتمجيد الله من خلال لعازر، يتمجد ابن الله.

---

[٤٢] (يو ٥: ٢٣)

[٤٣] (يو ١١: ٤) وهو هنا يقصد 'بلعازر'. لكن في الأصل اليوناني 'بذلك' δι' αὐτῆς.

حوار الرب يسوع مع الكاتب

٢٤- نحن ممنوعون بِسِر الطبيعة الإلهية من فصل ميلاد الابن الحي عن أبيه الحي. إن ابن الله لم يتعرض لأي تغيير في النوع يجعل حقيقة طبيعة أبيه غير ثابتة فيه. فلو بدا أنه لا يدَّعي لنفسه طبيعة الله بلفظ 'وَحدِهِ'، حينما يَعترف بالإله الواحد وحده، إلا أنه يضع نفسه في الوحدة مع طبيعة الآب، بدون هدم الإيمان بوجود إله واحد. وهكذا، حينما سأله الكاتب: ما هي الوصية الأولى في الناموس، أجاب قائلاً: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ روحَكَ*، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَتْ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ[٤٤]. هم يظنون أنه يَفصل نفسه عن طبيعة وعبادة الإله الواحد حينما يُعلِن أن الوصية الأولى هي: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ، ولا يطلب لنفسه العبادة في الوصية الثانية، لأن الناموس يدعونا لمحبة أقرباءنا، كما يدعونا للإيمان بالإله الواحد. فلا ينبغي لنا أن نتجاوز رد الكاتب: بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ الله وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمِنْ كُلِّ

---

* هذا اللفظ لم يُذكَر في أية ترجمة أخرى، بل الجميع ذكرها 'فكرك' أو 'عقلك'.{م}

[٤٤] (مر ١٢: ٢٩- ٣١). والجدير بالملاحظة أنه ذكرها هنا 'الرب إلهنا'، بعكس ما ذكره في الكتاب الرابع فقرة ٨، ١٥، 'الرب إلهك'.{م}

النَّفْسِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ[٤٥]. إجابة الكاتب تبدو أنها تتلاءم مع كلمات الرب، لأنه هو أيضًا يُعلِن المحبة الأكثر عمقًا وسريةً لله الواحد، ويُقر بمحبة القريب بالحقيقة مثل محبة النفس، ويضع محبة الله ومحبة القريب فوق كل المحرقات والذبائح. لكن دعونا نرى التالي.

المحبة الكاملة

٢٥- فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ، قَالَ لَهُ: لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ[٤٦]. ما هو معنى هذا المدح الهادئ؟ آمِن بالله الواحد، وأحِبه من كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل قلبك، وأحبب قريبك كنفسك؛ لو أن هذا هو الإيمان الذي يجعل الإنسان مثاليًا لملكوت الله، فلِما لا يكون الكاتب داخله بالفعل، بدلاً من كونه 'لَيسَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ'؟ إنه يمنح ملكوت السموات بنوعٍ آخر لأولئك الذين يكسون العراة، ويُطعمون الجياع، ويسقون العِطاش، ويزورون المرضى والمسجونين: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ[٤٧]؛ أو يكافئ المساكين بالروح: طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ[٤٨]. إن

---

[٤٥] (مر ١٢: ٣٢، ٣٣). مع ملاحظة حذفه للمحبة من كل الفهم وتغيير الترتيب عن نص الآية الأصلي.{م}

[٤٦] (مر ١٢: ٣٤).

[٤٧] (مت ٢٥: ٣٤).

[٤٨] (مت ٥: ٣).

مكسبهم كاملٌ، مِلكيتهم تامة، ميراثهم للملكوت المُعد لهم مضمون. لكن هل كان اعتراف الشاب ينقصه ما لهم؟ إن تأديته للواجب بشكل مثالي يرفع محبة القريب إلى درجة محبة النفس؛ ما الذي يحتاجه بالأكثر كي يحصل على كمال السلوك الجيد؟ أن تكون متصدقًا أحيانًا، ومستعدًا للمساعدة، ليس هو المحبة الكاملة؛ **لكن المحبة الكاملة قد أكملت كل عمل الخير، ليس بأن يتنازل الإنسان لقريبه عن أي دين فقط، بل أن يعطيه مثلما يعطي نفسه.** لكن الكاتب قد امتنع عن الكمال، لأنه لم يَعلم السر الذي قد أُكمِل. لقد قبِل بالحري مديح الرب على مجاهرته بالإيمان، وسمِع الإجابة بأنه لم يكن بعيدًا عن الملكوت، لكنه لم يُمنَح رجاء المطوَّبين. لكن طريقته، رغم جهله، كانت إيجابيةً؛ لقد وضع محبة الله قبل كل شيء، والإحسان للقريب في نفس مستوى محبة النفس. وحينما صنَّف محبة الله في مكانة أعلى من الإحسان للقريب، قد أكمل ناموس المحرقات والذبائح؛ وهذا لم يكن بعيدًا عن سِر الإنجيل.

الرب يسوع يستشهد بالناموس والأنبياء لتأكيد ألوهيته

٢٦- يمكننا أن نفهم أيضًا من كلمات ربنا نفسه، لماذا قال: لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ، بدلاً من 'سوف تكون في ملكوت السموات'. ثم بعدها:- وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدَ ذلِكَ أَنْ يَسْأَلَهُ! ثُمَّ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ: كَيْفَ يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ؟ لأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ

بِالرُّوحِ الْقُدُسِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي، حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. فَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَدْعُوهُ رَبًّا. فَمِنْ أَيْنَ هُوَ ابْنُهُ؟[٤٩]

إن الكاتب ليس بعيدًا عن ملكوت الله حينما يعترف بالله الواحد، الذي يجب أن يُحَب أكثر من الكل. لكن قوله الخاص عن الناموس هو ملامة له لكون سِر الناموس قد أفلت منه، حتى إنه لم يعرف المسيح الرب، ابن الله، وهو ما يتضمَّنه الاعتراف بالله الواحد بطبيعة ولادته. إن الاعتراف بالله الواحد بحسب الناموس قد بدا أنه لم يترك موضعًا لابن الله في سِر 'الرب الواحد'؛ لذا فهو يسأل الكاتب، كيف يمكنه أن يدعو المسيح ابن داود، حينما يدعوه داود 'ربه'، إذ أن يكون ابن رئيس آباء عظيم هو ربه أيضًا هو أمر ضد الطبيعة. إنه يدعو الكاتب، الذي ينظر إليه فقط فيما يتعلق بجسده، وولادته من مريم ابنة داود، كي يتذكر أنه بروحه رب داود وليس ابنه؛ حتى إن الكلمات: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ، لا تَفصل المسيح عن سِر الرب الواحد، لأن رئيس الآباء والنبي العظيم يدعوه ربه، كابنٍ مولودٍ من الرب قبل كوكب الصبح. إنه لا يتجاهل الناموس، أو ينسى أنه لا يوجد آخر يُعترَف به كرب، لكنه، دون انتهاك الإيمان بالناموس، يُعلِّم بأنه الرب، وبأنه له كيانه بسر الميلاد الطبيعي من جوهر الله غير الجسدي. إنه واحد، مولود من واحد، وطبيعة الرب الواحد قد جعلته بالطبيعة إلهًا.

---

[٤٩] (مر ١٢: ٣٤- ٣٧).

سِر الله الواحد

٢٧- فهل هناك مجال آخر للشك بعد ذلك؟ إن الرب نفسه، في إعلانه عن أن الوصية الأولى في الناموس هي الاعتراف بالرب الواحد ومحبته، لا يُبرهِن على ألوهيته بكلامه الخاص، بل بشهادة النبي، مشيرًا دائمًا إلى كونه ربًا لأنه ابن الله. إنه كائن في سِر الله الواحد بفضل ولادته، لأن الولادة التي تحمِل معها طبيعة الله - وهذا ما فعلته بالفعل - ليست هي الخروج من إله آخر له طبيعة مختلفة؛ ولأن الولادة حقيقية، فالآب لا يتجرد من كونه ربًا، ولا الابن المولود يكون أقل من الرب. الآب يحتفظ بسلطته، والابن يملك طبيعته. الله الآب رب واحد، لكن الرب الإله الابن الوحيد ليس منفصلاً عن الواحد، لأنه يستمد طبيعته كربٍ من الرب الواحد. هكذا يُعلِّم المسيح بالناموس أن هناك ربًا واحدًا، ويُثبت ربوبيته أيضًا بشهادة الأنبياء.

هجوم الهراطقة ينقلب ضدهم

٢٨- قد يستفيد إيمان الإنجيل بالرأي المتهور للأشرار في دفاعه عن نفسه بنفس أسلحتهم، ويقهرهم بالأسلحة المُعدة لهدمه، ويُثبت أن كلمات الروح الواحد هي تعليم الإيمان الواحد. فإن المسيح ليس آخر سوى ما كُرز به، أي الإله الحقيقي، والكائن في مجد الإله الحقيقي الواحد. فكما يعلِن عن كونه ربًا من الناموس، حتى لو بدا أنه ينكِر الحقيقة، هكذا في الإنجيل يبرهن أنه هو نفسه الإله الحقيقي، حتى لو ظهر أنه يعترف بالعكس. ولكي يهرب الهراطقة من الاعتراف بأنه الإله الحقيقي، يجيبون بأنه قال: وَهذِهِ هِيَ

الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ، أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ"[٥٠]. حينما يقول: أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، فإنهم يظنون أنه يستثني نفسه من حقيقة كونه إلهًا بالتقيُّد بالانفراد؛ *أي أن الإله الحقيقي وحده لا يمكن أن يُفهَم إلا كإله منفرد*. في الواقع، إن الإيمان الرسولي لا يسمح لنا بالإيمان بإلهين حقيقيين، فإنه لا يوجد شيء غريب عن طبيعة الله الواحد يمكن أن يوضَع على قدم المساواة مع حقيقة تلك الطبيعة؛ ولو وُجِد خارج طبيعة الإله الحقيقي وحده إله حقيقي من نوع آخر، لا يملك نفس الطبيعة معه بفضل الولادة، فسوف يكون هناك أكثر من إله واحد في حقيقة الإله الواحد.

٢٩- لكنه يُعلن بتلك الكلمات عينها عن نفسه صراحةً أنه إله حقيقي في طبيعة الإله الحقيقي وحده. ولكي نفهم هذا، دعونا نواصل إجابتنا من التصريحات التي قالها قبلاً، والتي ترتبط تمامًا بتلك الكلمات. يمكننا إذًا أن نُثبِّت الإيمان خطوة بخطوة، وندَع الثقة في حريتنا ترتكز في النهاية على ذروة جدالنا، والتي هي حقيقة ألوهية المسيح. لدينا أولاً سِر كلماته: وَمَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، و: أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ أَعْمَالَه. صَدِّقُونِي، أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؛ وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا"[٥١]. في ختام ذلك الحديث الحاشد بالأسرار العميقة، يأتي رد التلاميذ:

---

[٥٠] (يو ١٧: ٣)

[٥١] (يو ١٤: ٩- ١١)

اَلآنَ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ. لِهذَا نُؤْمِنُ أَنَّكَ مِنَ اللهِ خَرَجْتَ[٥٢]. لقد أدركوا فيه طبيعة الله بالقدرات الإلهية التي مارسها؛ فإن معرفة كل شيء وقراءة أفكار القلب تخص الابن، وليس مجرد رسول للإله. مِن ثَم فقد اعترفوا بأنه قد خرج من الله، لأن قوة الطبيعة الإلهية كانت فيه.

'خرجت من عند الآب' إشارة للميلاد منه

٣٠- الرب قد أثنى على فهمهم، ولم يُجِب بأنه قد أُرسِل مِن الله، بل أنه قد خرج مِنه، دالاً بقوله 'خرجت' على الحقيقة العظيمة التي لولادته من الإله غير الجسدي. لقد أعلن الميلاد بالفعل بنفس اللغة، حينما قال: أَنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، وَتُؤْمِنونَ أَنِّي مِنْ عِنْدِ الآبِ* خَرَجْتُ. خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ إِلَى الْعَالَمِ[٥٣]. لقد خرج من الآب إلى العالم، لأنه خرج من الله. ولكي يُظهِر أنه يشير إلى ولادته بالخروج، أضاف أنه قد خرج من الآب؛ وبما أنه قد خرج من الله، لأنه قد خرج من الآب، فإن هذا 'الخروج' الذي أُتبِع بالاعتراف

---

[٥٢] (يو ١٦: ٣٠)

* رغم أن أقدم نص للمخطوطة السينائية يذكرها 'الله'، إلا أن المخطوطة السينائية $\aleph^{2a}$، والفاتيكانية، وكل المخطوطات القبطية تذكرها 'الآب'. راجع:

Nestle, E., Nestle, E., Aland, K., Aland, B., & Universität Münster. Institut für Neutestamentliche Textforschung. (1993, c1979). *Novum Testamentum Graece*. At head of title: Nestle-Aland. (28. Aufl., rev.), 2012. Stuttgart: Deutsche Bibelstiftung. p. 358.{م}

[٥٣] (يو ١٦: ٢٧، ٢٨) بتصرف.

باسم الآب، هو ببساطة وبشكل مجرد 'الولادة'. ثم يُكمل للرسل، بعد أن فهموا سِر خروجه: أَلآنَ تُؤْمِنُونَ؟ هُوَذَا تَأْتِي سَاعَةٌ، وَقَدْ أَتَتِ الآنَ، تَتَفَرَّقُونَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَاصَّتِهِ، وَتَتْرُكُونَنِي وَحْدِي. وَأَنَا لَسْتُ وَحْدِي لأَنَّ الآبَ مَعِي[٥٤]. إنه يُظهِر أن 'الخروج' ليس انفصالاً عن الله الآب، بل ولادةً، الأمر الذي يجعل طبيعة الله الآب موجودة فيه دائمًا لكونه مولودًا، ولذا فهو يضيف أنه ليس وحده، بل الآب معه؛ هذا يكون بالقوة وبوحدة الطبيعة، لأن الآب حالٌّ فيه، متكلمًا في كلماته، وعاملاً في أعماله. أخيرًا، ولأجل إظهار الهدف من تلك المحادثة بكاملها، يضيف: قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سَلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلكِنْ تَعَزَّوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ[٥٥]. لقد قال تلك الأشياء لهم، **كي يمكنهم فيه أن يبقوا في سلام**، ولا يمزقهم الخلاف في النقاش حول الإيمان. لقد تُرِك وحيدًا، لكنه لم يكن وحده، لأنه خرج من الله، ولا زال الله حالاً فيه، الذي منه قد خرج. لذا فقد أمرهم أن ينتظروا مواعيده حينما يتضايقون في العالم، إذ بما أنه قد خرج من الله، ومازال الله فيه، فقد غلب العالم.

كل ما للآب يعطيه للابن، والروح القدس يأخذ مما للابن ويعطيه لنا

٣١- ثم أخيرًا، لكي يُعبِّر بالكلمات عن السر كاملاً، رفع عينيه للسماء، وقال: أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، إِذْ

---

[٥٤] (يو ١٦: ٣١، ٣٢)

[٥٥] (يو ١٦: ٣٣)

أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ، لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ[٥٦]. أتدعونه ضعيفًا لأنه طلب أن يتمجد؟ كان من الممكن أن يكون هذا صحيحًا لو لم يكن قد طلب أن يتمجد كي يمكنه هو نفسه أن يُمجِّد مَن هو ممجَّد به. لقد تكلمنا عن قبول وإعطاء المجد في كتاب آخر[٥٧]، فلا داعي لفحص المسألة مرة أخرى. لكننا في هذه، على الأقل، متأكدون أنه يصلي طالبًا المجد كي يمكن أن يتمجد الآب بمنحه إياه. (قد يقول البعض:) *إنه ضعيف لأنه يأخذ السلطان على كل جسد.* بالتأكيد إن قبول السلطان يمكن أن يكون علامةً على الضعف لو لم يكن قادرًا على إعطاء الحياة الأبدية لهؤلاء الذين يَقبلهم. ومع ذلك فالبعض يستخدم حقيقة القبول المجردة لإثبات دونية الطبيعة. يمكن ذلك لو لم يكن المسيح إلهًا حقيقيًا بالولادة، كما أن غير المولود هو حقيقي. لكن لو أن قبول السلطان لا يدل بشكل أكثر ولا أقل إلا على الميلاد، الذي به قد قبِل كل ما له، إذًا فتلك العطية لا تُقلِّل من رتبة المولود، لأنها تجعله إلهًا بالتمام والكمال. الله غير المولود قد وَلَد الله الابن الوحيد ولادةً كاملةً إلهيةً مقدسةً؛ إن سِر الآب إذًا هو أن يكون مصدر الولادة، لكنه ليس تقليلاً لمرتبة الابن أن يكون الصورة الكاملة لمصدره بولادة حقيقية. إن منح السلطان على كل جسد لأجل منح الحياة الأبدية لكل جسد، يشترط بالضرورة أُبوة المعطي وألوهية المتلقي؛ فإنه بالمنح يُشار إلى أن الواحد هو الآب، وبقبول

---

[٥٦] (يو ١٧: ١، ٢)

[٥٧] الكتاب الثالث فقرة ١٢.

القدرة على إعطاء الحياة الأبدية، يظل الآخر هو الله الابن. لذا فكل سلطان هو طبيعي ومتأصل بالنسبة لابن الله؛ وبالرغم من أنه مُعطى، إلا أنه لا يفصله عن مصدره، لأن المُعطَى هو خاصية مصدره، **ألا وهو القدرة على منح الحياة الأبدية، لأجل تغيير القابل للفساد إلى غير القابل للفساد.** الآب قد أعطى الكل، والابن قبِل الكل؛ كما هو واضح من كلماته، كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي[٥٨]. إنه لا يتكلم هنا عن أنواع المخلوقات، وعمليات التغيير المادي[٥٩]، لكنه يكشف لنا مجد اللاهوت المقدس والكامل، ويعلِّمنا أن كل ما هو مُعلَن عن الله هنا هو خُلاصة خصائصه، وقوَّته، وأبديته، وتدبيره، وسلطته؛ ليس أننا يجب أن نظن بأنه يملك تلك الأشياء كشيء غريب عن نفسه، بل أنه بتلك التي هي خواصه هو نفسه قد عُبِّر عنه بمصطلحات يمكن فهمها جزئيًا بطريقتنا. لذا فالابن الوحيد قد علَّم بأن له كل ما للآب، وبأن الروح القدس يجب أن يأخذ منه؛ كما يقول، كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ[٦٠]. أن يكون كل ما للآب هو له، هو أمر مُسَلَّم ومقبول؛ لكن تلك العطايا لا تجرده من لاهوته، لأنها تعطيه نفس خصائص الآب.

---

[٥٨] (يو ١٦: ١٥)

[٥٩] أي أنه لا يعني بـ 'كل ما للآب' العالَم المخلوق؛ ولا ينبغي فهم العطاء والأخذ على أنه بطريقة مادية.

[٦٠] (يو ١٦: ١٥) وهو هنا يتكلم عن الروح القدس، الذي يأخذ من الابن ما للآب ويعطيه لنا.{م}

عدم الإيمان بوحدة الآب والابن، تعني عدم نوالنا الخلاص والحياة الأبدية

٣٢- تلك هي الخطوات التي يقدِّم بها المعرفة بنفسه. إنه يُعلِّم بأنه يخرج من الآب، ويعلن أن الآب معه، ويشهد بأنه قد غَلب العالم. سوف يتمجد من الآب، وسوف يمجده؛ سوف يستخدم السلطان الذي قَبِلَه، لكي يعطي كل جسدٍ الحياة الأبدية. ثم اسمعوا بعد ذلك النقطة المتوِّجة، والتي تنهي كل السلسلة: وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ، أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ[٦١]. اسمعوا أيها الهراطقة لكي تعترفوا بالإيمان الذي يعطي الحياة الأبدية، إن كنتم لا يمكنكم أن تؤمنوا. لو أن الحياة الأبدية، كما تقولون، هي الإيمان بالإله الحقيقي الواحد وحده بدون يسوع المسيح، فافصلوا، لو استطعتم، المسيح عن الله، الابن عن الآب، الإله عن كل ما هو من الإله الحقيقي، الواحد عن الوحيد؛ لكن لو لم تكن هناك حياة أبدية في اعتراف يَفصل المسيح عن الإله الحقيقي وحده، فقولوا لي أرجوكم، **كيف يمكن أن يُفصَل المسيح عن الإله الحقيقي لأجل إيماننا، حينما لا يكون منفصلاً من أجل خلاصنا؟**

٣٣- أنا أعرف أن الحلول المُجهِدة لا تجد استحسانًا عند القارئ، لكنه قد يكون لمصلحة الإيمان لو سمحتُ لنفسي بأن أُرجئ شرح الحقيقة الكاملة لفترة، وأكافح ضد الهراطقة بتلك الكلمات التي للإنجيل. أنتم تسمعون تصريح الرب: هذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ، أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ

[٦١] (يو ١٧: ٣)

وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. قولوا لي أرجوكم، ما الذي يوحي لكم بأن المسيح ليس هو الإله الحقيقي؟ لا يوجد دليل أكثر من هذا قد أُعطي لكي يُظهِر لكم ما ينبغي أن تظنوه في المسيح. لا يوجد سوى 'يَسُوعَ الْمَسِيحَ'؛ ليس 'اِبْنُ الْإِنسَانِ' كما كان يدعو نفسه عادةً؛ ليس 'اِبْنُ اللهِ' كما صرَّح عن نفسه كثيرًا؛ ليس 'الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ'[٦٢]، كما كرر ليُخزي الكثيرين. إنه يقول: أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ، مهملاً لكل أسمائه وألقابه المعتادة، الطبيعية والمتَّخَذَة. لذا، فلو أن الاعتراف بالإله الحقيقي وحده، وبيسوع المسيح، يعطينا الحياة الأبدية، فبلا شك **اسم يسوع المسيح له هنا المعنى الكامل لاسم الله.**

٣٤- لكن ربما بقوله: وَحْدَكَ، يَفصل المسيح نفسه عن الشركة والاتحاد مع الله. لكن، ألم يُكمل مباشرةً قائلاً: وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ، بعد قوله: أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ؟ أنا أستغيث بعقل القارئ؛ ما هو اعتقادنا في المسيح، حينما نؤمَر بالإيمان بأنه أيضًا الإله الحقيقي وحده، مثله مثل الآب؟ أم ربما لا يوجد موضع لكون المسيح إلهًا، لو أن الآب هو الإله الحقيقي وحده؟ قد يكون هكذا لو أن المسيح لم يكن الرب الواحد[٦٣]، لأن هناك الإله الواحد الآب. حقيقة أن الله الآب واحد لا تلغي كون المسيح هو الرب الواحد رغم هذا؛ وبالمثل ألوهية الآب الحقيقية

---

[٦٢] (يو ٦: ٥١)

[٦٣] (١ كو ٨: ٦).

الواحدة تجعل المسيح رغم هذا إلهًا حقيقيًا؛ فإننا يمكننا فقط الحصول على الحياة الأبدية لو آمنَّا بالمسيح، مثلما نؤمن بالإله الحقيقي وحده.

٣٥- تعالوا أيها الهراطقة وأخبِروني، ما الذي يقودنا به تعليمكم السخيف كي نؤمن بالمسيح؛ المسيح الذي يُعطي الحياة الأبدية، الذي يتمجد من الآب، ويمجده؛ الذي غَلب العالم؛ المتروك (من البشر)، لكنه ليس وحده، بل الآب معه؛ الذي خرج من الله، وخرج من عند الآب؟ لقد وُلِد بتلك القدرات الإلهية؛ فماذا ستتركون له من طبيعة وحقيقة الله؟ أن نؤمن بالله الآب الحقيقي وحده، ولا نؤمن أيضًا بيسوع المسيح الذي أرسله، هو أمر بلا جدوى. لماذا تترددون؟ أخبرونا ما الذي يجب أن نعترف به في المسيح؟ أنتم تُنكرون ما قد كُتِب؛ فما هو الباقي سوى الإيمان بما لم يُكتَب؟ يا للعند المُحزِن! يا للكذب المعارِض للحقيقة! إن الإيمان والاعتراف بالله الآب الحقيقي وحده وبالمسيح، هو أمر واحد؛ أخبِروني أرجوكم، ما هو هذا الإيمان، أن نُنكِر أنه الإله الحقيقي، وأن ندعوه مخلوقًا، حينما لا يكون الإيمان بالإله الحقيقي وحده بدون المسيح ليس إيمانًا؟ لكنكم، أيها الهراطقة، ضيقو الأفق وغير قادرين على قبول الروح القدس. لقد فاتكم معنى الكلمات السماوية. اِدغوا بسُم شر الأفعى، أنتم يا مَن تنسون أن المسيح ينبغي أن يُعتَرَف به كإله حقيقي في الإيمان بالله الحقيقي وحده، لكي نحصل على الحياة الأبدية.

طبيعة الله لا توصف بالفردية ولا بالتعددية

٣٦- لكن إيمان الكنيسة، حينما يَعترف بالله الآب الحقيقي، يعترف بالمسيح أيضًا. إلا أنه لا يعترف بالمسيح الإله الحقيقي بدون الآب الإله الحقيقي وحده؛ ولا الآب الإله الحقيقي وحده بدون المسيح. إنه يعترف بالمسيح الإله الحقيقي، لأنه يعترف بالآب الإله الحقيقي وحده. من ثم فإن حقيقة أن الله الآب هو الإله الحقيقي وحده تجعل المسيح أيضًا إلهًا حقيقيًا. الله الابن الوحيد لم يحتمل أي تغيير للطبيعة بولادته الطبيعية؛ والذي وُلِد كإله من الإله الحقيقي، بحسب طبيعة مصدره الإلهية، هو بحقيقة تلك الطبيعة غير قابل للتحول عن الإله الحقيقي وحده. وبذا تتبع الطبيعة الإلهية الحقيقية نتيجتها الضرورية، حتى إن الخروج من اللاهوت الحقيقي يجب أن يكون ميلادًا حقيقيًا، والإله الواحد لا يمكنه أن يُخرِج من نفسه إلهًا من نوعٍ ثانٍ. **إن سِر الله لا يوجد في البساطة***، **ولا في التعددية**؛ لأنه لا يوجد إله آخر ينشأ عن الله بصفات طبيعته الخاصة، ولا يبقى الله كشخص مفرد، فإن الولادة الحقيقية للابن تُعلِّمنا أن نعترف به كإله. لذا فإن الإله المولود لم يَفقد خواص طبيعته؛ إنه يملك قوَّته الطبيعية، ذاك الذي يحتفظ بطبيعته بالولادة الطبيعية. اللاهوت فيه لا يتغير، أو ينحل؛ فلو أن ولادته قد جلبت معها أي عيب، فهذا سوف يُلقي الضوء على فكرة فشل الطبيعة، التي منها قد جاء إلى الوجود، في غرس خواصها في مولودها. فإن التغيير لن يقلِّل

* أي أنه ليس في الفردية.{م}

من رتبة الابن، الذي قد عبَر إلى كيان حقيقي (جوهر) substance جديد بالولادة، بل سيقلِّل من رتبة الآب، الذي كان عاجزًا عن الاحتفاظ بثبات طبيعته nature في ولادة الابن، وأنتج شيئًا خارجًا وغريبًا عن نفسه!

خروج الابن من الآب ليس تمددًا ولا تسلسلاً

٣٧- لكن، وكما قلنا كثيرًا، فإن وحدة الله الآب والله الابن لا تتوافق مع ضعف الأفكار الإنسانية؛ كما لو كان هناك تمدد، أو تسلسل، مثل ينبوع يجعل جدوله يتدفق من المنبع، أو شجرة تُدعِّم فرعها في الجذع، أو نار تعطي حرارتها للفضاء. في تلك الحالات لدينا تمدد بدون أي تمييز، فالأجزاء مربوطة ببعضها ولا توجد من نفسها، بل الحرارة في النار، والفرع في الشجرة، والجدول في الينبوع[#]. لذا فهذه الأشياء تُعتَبَر شيئًا مفردًا، إذ لا يمكن تمييز الواحد عن الآخر، فإن الشجرة والفرع هما نفس الشيء عينه، مثلما أيضًا النار والحرارة، والينبوع والجدول. لكن الإله الابن الوحيد هو الله، الذي يستمر بفضل الولادة الكاملة فائقة الوصف ابنًا حقيقيًا للإله غير المولود، مولودًا غير جسداني من طبيعة غير جسدانية، إله حي وحق من إله حي وحق، إله من طبيعة غير منفصلة عن الله. حقيقة ميلاده لا

[#] رغم أن تلك الأمثلة قد تبدو لأول وهلةٍ قريبة من طبيعة ولادة الآب للابن، إلا أنها لا تتلاءم مع وصف طبيعة الله أبدًا، إذ أن التمدد قد يعني أن هناك آب كبير قد امتد وكبر ليكون آب أكبر مثلاً، وبالتالي فهو نفسه قد امتد، ولا يوجد تمايز بينه وبين امتداده.{م}

تجعله إلهًا بطبيعة مختلفة، ولا الولادة، التي تضمن له طبيعته، تغيِّر نوع طبيعتها.

الجسد المُتَّخَذ قد نال مجد الكلمة

٣٨- لكن في تدبير تجسده، ومن خلال الطاعة التي بها قد أخلى ذاته من هيئة الله، أخذ المسيح، المولود إنسانًا، طبيعة جديدة لنفسه، **ليس بفقدان الميزة أو الطبيعة**، بل بتغيير الشكل[#]. حينما وُلِد (جسديًا) أخلى ذاته من هيئة الله وأخذ شكل عبد. لكن طبيعة الآب، والتي كان في وحدة طبيعية معها، لم تتأثر بهذا الاتخاذ للجسد[±]؛ في حين أن المسيح، رغم بقائه في ميزة طبيعته، إلا أنه من جهة الناسوت المتَّخَذ في ذلك التغيير الزمني[+] temporal، لم يُخلِ ذاته فقط من هيئة الله، بل لم يعد (من جهة الناسوت) واحدًا مع الطبيعة الإلهية في الجوهر[*]، إذ يتلخص التجسد في هذا، أن كل ما

[#] من هيئة الله إلى شكل عبد دون تغيير طبيعة الله.{م}

[±] لأن الآب لم يتجسد، بل الابن.{م}

[+] "وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ".(غل ٤: ٤).{م}

[*] وقد ذُكِرَت في النص الأصلي "الطبيعة"، وذلك لأن مفهوم الجوهر والطبيعة كان واحدًا قبل الدخول في الجدل الخريستولوجي بعد ظهور هرطقة نسطور. وقد فسر ق. هيلاري هذه العبارة بشكلٍ أوضح في الفقرة ٥١ من نفس هذا الكتاب، حيث يقول: "نحن نعترف بأن الإله الابن الوحيد، وهو باقٍ في هيئة الله قد بقي في طبيعة الله، لكننا في نفس الوقت لا نوحد جوهره وهو حاملاً لهيئة العبد بجوهر الوحدة الإلهية"، أي أن جوهر ناسوته لا يتحول إلى جوهر اللاهوت، وبالتالي فالمسيح ليس واحدًا في الجوهر مع الله من جهة الناسوت.{م}

للابن - أي ناسوته ولاهوته - قد سمَح له الآب أن يستمر في وحدة طبيعته، ولم يحتفظ فقط بقدرات الطبيعة الإلهية، بل وأيضًا بتلك الطبيعة نفسها[#]. **فإن الهدف المطلوب هو أن يتأله الناسوت**[&]. لكن الناسوت المتَّخَذ لم يكن ممكنًا له بأية طريقة أن يبقى في وحدة الله، إلا إذا وصل إلى الوحدة مع اللاهوت. لذا، فبما أن الله **الكلمة** كان في طبيعة الله، إذًا **فالكلمة** الصائر

[#] وهو هنا يؤكد على احتفاظ الابن بطبيعته اللاهوتية وعدم فقدان اتحاده بالآب، وأن المسيح ليس شخصًا حصل على القدرات الإلهية، بل إلهًا حقيقيًا.{م}

[&] وليس معنى الكلام أن جوهر الناسوت صار جوهرًا إلهيًا، لأن الجواهر لا تتحول، وإلا وقعنا في هرطقة أوطيخا، بل أنه قد صار جسدًا إلهيًا، كما قد دعاه ق. كيرلس {راجع: *De Adoratione*, 15 (PG 68: 1005 CD).} لأنه قد صار ناسوت الإله المتجسد. وعن تأله ناسوت **الكلمة** يقول ق. أثناسيوس: "لأن الجسد عندئذ كان قد قام وخلع عنه الموت وتأله"، (ق. أثناسيوس الرسولي، *المقالة الثالثة ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، صـ ٨٨). ويقول ق. ساويروس الأنطاكي في الرسالة الثانية إلى سرجيوس النحوي، مقتبسًا من قول ق. غريغوريوس النزينزي (راجع PG 36.325B-C) ومشيرًا كذلك إلى ما قاله ق. كيرلس الكبير عن تأله جسد المسيح باتحاده بأقنوم الكلمة لحظة الحبل المقدس، وصيرورته جسدًا إلهيًا لأنه قد صار جسد الله، (راجع ما قاله ق. كيرلس في: *Scholia*, ch. 9 (Pusey edn., Vol. 6), p. 516.1-14):

"في العظة على الظهور الإلهي يقول ق. غريغوريوس: «الله قد خرج مع الجسد الذي اتخذه... حيث أحدهما كان يؤلِّه والآخر يتأله». لكن تعبير "يتأله" يُفهَم ويُقال لأن الجسد قد أشرق بالمجد الخاص بالله، كما يقول الحكيم كيرلس، وليس لأنه تغير إلى طبيعة اللاهوت". راجع كتاب: *الخريستولوجي (التعليم عن المسيح) بعد مجمع خلقيدونية: الرسائل بين القديس ساويروس الأنطاكي وسرجيوس النحوي*، ترجمة راهب من دير أنبا أنطونيوس. البحر الأحمر: دير القديس العظيم أنبا أنطونيوس، ديسمبر ٢٠١٥م، صـ ٣٢٣.{م}

جسدًا سيكون بدوره أيضًا في طبيعة الله. هكذا، لو كان الجسد متحدًا بمجد **الكلمة**، فإن الإنسان يسوع المسيح قد أمكنه أن يبقى في مجد الله الآب، و**الكلمة** الصائر جسدًا يمكن أن يستمر في الوحدة مع طبيعة الآب، حتى بالنسبة لناسوته، **لأن الجسد المُتَّخَذ قد نال مجد الكلمة**. لذا ينبغي أن يعيد الآب **الكلمة** إلى وحدة (المجد) التي فيه، حتى يمكن للمولود من طبيعته أن يعود ثانيةً فيتمجد في ذاته؛ لأن التدبير الجديد سيكون قد جلب عائقًا للمجد الواحد[#]، **ولن يمكن أن تكون هناك وحدةٌ كاملةٌ، كما كانت قبلاً، لو لم يُمجِّد الآب مع ذاته الجسد الذي اتخذه الابن.**

٣٩- لأجل هذا الغرض، بعد أن هيأ بالفعل عقولهم جيدًا لفهم هذا الإيمان، أتبع الرب كلماته التي تقول: وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ، أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ، بإشارةٍ إلى الطاعة التي أُظهِرَت في تجسده: أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ[٦٤]. ثم، لكي يمكننا أن نعرف مكافأة طاعته، والهدف السِري للخطة الإلهية الكاملة، يُكمِل قائلاً: وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ

[#] بحسب الترجمة الجديدة للنَص، كما جاءت في السلسلة المسماة، *مجموعة آباء الكنيسة*

The Fathers of The Church, 25, *Saint Hilary of Poitiers, The Trinity*, translated by Stephen McKenna, C.SS.R, The Catholic University of America, 2002. p. 358.

إذ لا يمكن ظهور المجد وإخفائه في نفس الوقت، لذا فقد أخلى ذاته من المجد الإلهي، إذ قد أخفاه عن الأعين.{م}

[٦٤] (يو ١٧: ٣، ٤)

ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ[٦٥]. فهل يُنكر أي أحد أن المسيح قد بقي في طبيعة الله، أو يؤمن به بشكل منفصل ومتمايز عن الإله الحقيقي وحده؟ دعوه يخبرنا ما هو معنى تلك الصلاة: وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ. فلأي غرض ينبغي أن يمجده الآب عند ذاته؟ ما هو مدلول تلك الكلمات؟ وما الذي يتبع ذلك المدلول؟ الآب لا يقف محتاجًا للمجد، ولا هو أخلى ذاته من هيئة مجده. كيف ينبغي أن يمجد الابن عند ذاته، وبالمجد الذي كان له قبل إنشاء العالم؟ وما هو معنى 'الَّذِي كَانَ لَهُ'؟

إن المسيح لا يقول: "المجد الذي كان لي قبل إنشاء العالم، حينما كنت معك"، بل: بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ. فإن 'حينما كنت معك' تفيد معنى 'حينما سكنت بجانبك'، أما 'الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ'، فتُعلِّم عن سِر طبيعته. علاوة على ذلك، فإن تعبير 'مَجِّدْنِي أَنْتَ عِنْدَ ذَاتِكَ'، ليس مثل 'مجِّدني'. إنه لا يطلب مجرد أن يتمجد، أي أن يكون له بعض المجد الخاص بنفسه، بل يُصلي أن يتمجد من الآب عند ذاته. الآب كان يمجده عند ذاته، كي يَمكُث في الوحدة معه مثلما كان قبلاً، لأن وحدانية مجده مع الآب قد تركَته من خلال الطاعة في التجسد. وهذا يعني أن التمجيد يجب أن يُعيد تنصيبه في (مجد) تلك الطبيعة، التي كان متحدًا بها بسِر ميلاده الإلهي؛ كي يمكنه أن يتمجد من الآب عند ذاته؛ حيث يجب أن يسترِد كل ما كان له عند الآب قبلاً؛ حتى إن اتخاذ هيئة العبد ينبغي ألا يُبعِد عنه طبيعة هيئة الله، بل أن

---

[٦٥] (يو ١٧: ٥)

الله يجب أن يُمجِّد في ذاته هيئة العبد، حتى تصير هيئة الله إلى الأبد*، بما أن ذاك الذي قد ثبُت قبلاً في هيئة الله، هو الآن في هيئة عبد. وبما أن هيئة العبد يجب أن تتمجد في هيئة الله، كان ينبغي أن تتمجد في ذاك الذي في هيئته يجب أن يُكرَّم شكل هيئة العبد.

كل المجد الذي قد ناله ليس للكلمة بل لجسده

٤٠- لكن كلمات الرب تلك ليست جديدةً، أو قد أُعلنت صِحتها الآن لأول مرة في تعليم الأناجيل، فإنه قد شهد لهذا السر بالذات الذي فيه يُمجِّد الله الآب الابن عند ذاته بالابتهاج النبيل عند تحقيق رجائه، الذي به قد ابتهج في نفس اللحظة التي تَقدَّم فيها يهوذا لكي يخونه. لقد قال وهو ممتلئًا من البهجة إن هدفه كان الآن على وشك التحقيق الكامل:- الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ وَتَمَجَّدَ الله فِيهِ. إِنْ كَانَ الله قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ، فَإِنَّ الله قَدْ مَجَّدَهُ فِي ذَاتِهِ، وَقَدْ مَجَّدَهُ سَرِيعًا**. كيف يمكننا نحن الذين قد أُثقِلَت أنفسنا بأجسادٍ من طين، الذين قد تلوثَت وتلطخَت عقولنا بالوعي الكريه بالخطية،

---

* وعن هذه النقطة يقول ق. غريغوريوس النزينزي: "وإذا قال أحد إن المسيح خلع الآن جسده المقدس، وبأن ألوهته قد جُردت من جسده، وبأنه أتى أو سيأتي بدون ما اتخذه، فليُحرم هذا القائل من رؤية سَنى مجيئه، فأين يكون هذا الجسد الآن إذا لم يكن مع الذي اتخذه؟". ق. غريغوريوس اللاهوتي: *رسائل لاهوتية وفصلان من مسرحية المسيح المتألم*، تعريب الأب يوحنا الفاخوري. بيروت: منشورات المكتبة البولسية، ٢٠٠٠م، صـ ٢٠.{م}

** (يو ١٣: ٣٢) مع ملاحظة أن النَص اليوناني والترجمات القبطية واللاتينية للآية تذكر الجملتين الأخيرتين في زمن المستقبل، "سوف يمجده... ويمجده سريعًا".{م}

أن ننتفخ هكذا بأن نحكُم بادعائه الألوهية؟ كيف يمكننا أن نَشرع بأنفسنا في انتقاد طبيعته السماوية، ثائرين ضد الله بجدالاتنا غير المقدسة والمجدفة؟ الرب قد أعلن إيمان الإنجيل في الكلمات البسيطة التي يمكن أن توجد، والتي جعلَت محادثاته مناسبةً لفهمنا، كي يمكن لضعفنا أن يعتقد فيه، بدون قول أي شيءٍ غير لائق بعظمة طبيعته الخاصة. إن مدلول كلامه الصريح: الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لا يمكن الشك فيه بحسب اعتقادي؛ أي أن كل المجد الذي قد ناله ليس **للكلمة** بل لجسده؛ ليس لولادته الإلهية، بل لتدبير ناسوته المولود للعالم. هل يمكنني أن أسأل إذًا، ما هو معنى ما يليه: وَتَمَجَّدَ اللهُ فِيهِ؟ أنا أسمع أن الله ممجَّد فيه؛ لكن ما هو الذي يمكن أن يكون تِبعًا لتفسيركم أيها الهراطقة؟ لا أعرف. الله ممجَّد فيه، في ابن الإنسان، هذا هو (معنى الكلام)؛ أخبِروني إذًا، هل ابن الله هو نفسه ابن الإنسان؟ وبما أن ابن الإنسان ليس آخر غير ابن الله، بل ابن الله هو نفسه ابن الإنسان، فقولوا لي أرجوكم مَن هو الله الممجَّد في ابن الإنسان هذا، الذي هو أيضًا ابن الله؟

الله يمجِّد في ذاته، لكن الإنسان لا يتمجد من ذاته

٤١- بالتالي فإن الله يتمجد في ابن الإنسان، الذي هو أيضًا ابن الله. دعونا نرى إذًا، ما هي تلك العبارة المُضافة: إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ مَجَّدَهُ فِي ذَاتِهِ، ثم أخبِروني أرجوكم ما هو هذا السر الغامض؟ الله، في ابن الإنسان الممجَّد، يُمجِّد إلهًا مُمجَّدًا في ذاته! **مجد الله في ابن الإنسان،**

ومجد الله في مجد ابن الإنسان. الله يُمجِّد في ذاته، لكن الإنسان لا يَتمجَّد من ذاته. مرة أخرى، الإله الممجَّد في الإنسان، رغم أنه يَقبل المجد، إلا أنه هو نفسه ليس آخر غير الله. لكن بما أن في تمجيد ابن الإنسان، الله الذي يمجِّد، يمجِّد الله في ذاته، لذا فأنا أُدرك أن مجد طبيعة المسيح متَّخَذ في مجد الطبيعة (طبيعة الآب) التي تُمجِّد طبيعته. **الله لا يمجِّد ذاته، بل يمجِّد في ذاته الإله الممجَّد في الإنسان.** وتلك العبارة 'يمجِّد في ذاته'، رغم أنها ليست تمجيدًا لذاته، إلا أنها تعني أنه قد أخذ الطبيعة، التي مجَّدها، إلى مجد طبيعته الخاصة. بما أن الإله، الذي يمجِّد الله الممجَّد في الإنسان، يمجِّده في ذاته، إذًا فهو يُثبِت أن الله الذي يمجِّده موجود في ذاته، لأنه يمجِّده في ذاته. تعالوا، أيها الهراطقة، أيًا كُنتم، وقدموا الاعتراضات المعقَّدة التي لتعليمكم الملتوي؛ نظِّموها كما تشاؤون، فنحن لن نكون في خطر الالتصاق بفخاخها، رغم أنها تُقيِّد نفسها بشباكها الخاصة. ابن الإنسان يتمجد؛ الله يتمجد فيه؛ الله يمجِّد في ذاته ذاك الممجَّد في الإنسان. كون ابن الإنسان يتمجد ليس هو نفسه أن الله يتمجد في ابن الإنسان، أو أن الله يمجِّد في ذاته ذاك الذي يتمجد في الإنسان. عبِّروا بمصطلحات إيمانكم الشرير عما تعنون بكون الله ممجَّد في ابن الإنسان. **إن معناه بالتأكيد إما أن المسيح يتمجد في الجسد، أو أن الآب يتمجد في المسيح.** لو أنه المسيح، إذًا فالمسيح الممجَّد في الجسد هو الله بشكلٍ واضحٍ. لو أنه الآب، فنحن أمام سِر الوحدة وَجهًا لوجه، بما أن الآب ممجَّد في الابن. هكذا، فلو اعتقدتم بأنه هو المسيح، إذًا فأنتم تعترفون بأنه الله رغمًا عنكم؛ لو فهمتم أنها تعني الله الآب، فلن

يمكنكم إنكار طبيعة الله الآب في المسيح. يكفينا هذا بخصوص ابن الإنسان الممجَّد والله الممجَّد فيه. لكن حينما نعتبر أن الله يمجِّد في ذاته الإله الذي يتمجَّد في ابن الإنسان، فمِن أي منفَذ يهرب تعليمكم الدنس من الاعتراف بأن المسيح إله حقيقي طِبقًا لحقيقة طبيعته؟ الله يمجِّد في ذاته المسيح، الذي وُلِد إنسانًا؛ أيكون المسيح إذًا خارجًا عنه، حينما يمجِّده في ذاته؟ إنه يسترد للمسيح في ذاته المجد الذي كان له عند ذاته، والآن لأن هيئة العبد، التي اتَّخذها، هي بدورها متخَّذة في هيئة الله، إذًا فالله الممجَّد في الإنسان ممجَّد في ذاته؛ لقد كان في ذات الله قبل التدبير، الذي فيه قد أخلى ذاته، وهو الآن متحدٌ بذات الله سواء في هيئة العبد، أو في الطبيعة التي تخُص ميلاده. فإن ميلاده لا يجعله إلهًا من طبيعة جديدة وغريبة، لكنه بالولادة قد صار ابنًا حقيقيًا لآبٍ حقيقيٍ. وبعد ولادته البشرية، حينما يتمجَّد في ناسوته، يُشرق ثانيةً بمجد طبيعته الخاصة؛ الآب يمجِّده في ذاته، حينما يُتَّخَذ في مجد طبيعة أبيه، الذي قد أخلى ذاته منه في التدبير.

لا توجد حياة أبدية في الاعتراف بالله الآب بدون يسوع المسيح

٤٢- إن كلمات إيمان الرسول هي عائق ضد نجاستكم الطائشة والمسعورة، التي تمنعكم من تحويل حرية التأمل إلى فِسق، وحرية التجول إلى إثم. (لقد قيل): وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ فِي مَجْدِ اللهِ

الآبِ*. لقد مجَّده الآب في ذاته، لذا ينبغي الاعتراف بأنه في مجد الآب. ولو كان ينبغي الاعتراف به في مجد الآب، والآب قد مجَّده في ذاته، أفلا يكون له ببساطة كل ما لأبيه، لأن الآب قد مجَّده في ذاته وينبغي الاعتراف به في مجد الآب؟ إنه الآن ليس في مجد الله فقط، بل في مجد الله الآب. الآب يُمجِّده، ليس بمجد خارج عنه، بل في ذاته. الآب يمجده مع ذاته وفي ذاته بإعادته للمجد، الذي يخُص ذاته، والذي كان له معه قبلاً. لذا فهذا الاعتراف ليس منفصلاً عن المسيح حتى في خضوع ناسوته، لأنه يقول: وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ، أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ[٦٦]؛ **فإنه أولاً لا توجد حياة أبدية في الاعتراف بالله الآب بدون يسوع المسيح، وثانيًا المسيح يتمجد في الآب.** الحياة الأبدية هي بشكل دقيق، معرفة الإله الحقيقي وحده، والذي أرسله، الذي هو يسوع المسيح؛ اِنكروا أن المسيح إله حقيقي، إن كان يمكنكم الحصول على الحياة بالإيمان بالله بدونه. أما بالنسبة لحقيقة أن الله الآب هو الإله الحقيقي وحده، فلن يكون المسيح إلهًا حقيقيًا، إلا إذا كان مجد المسيح بالكامل في الله الآب الحقيقي وحده. فلو أن الآب يمجِّده في ذاته، والآب هو الإله الحقيقي وحده، إذًا فالمسيح ليس خارجًا عن الإله الحقيقي وحده، بما أن الآب، الذي هو الإله

---

* (في ٢: ١١). لكن الآية في اليونانية تقول εἰς δόξαν Θεοῦ πατρός، أي "لمجد الله الآب"، وكذلك في القبطي الصعيدي ⲚⲈⲞⲞⲨ ⲘⲠⲚⲞⲨⲦⲈ ⲠⲈⲒⲰⲦ، وفي البحيري ⲉⲧⲟⲟⲧ ⲛ̀ⲧⲡⲁ ⲫⲓⲱⲧ.{م}

[٦٦] (يو ١٧: ٣)

الحقيقي وحده، يمجِّد في ذاته المسيح المرفوع إلى مجد الله. وفي كونه ممجَّدًا في ذاته بالإله الحقيقي وحده، هو ليس غريبًا عن الإله الحقيقي وحده، لأنه ممجَّد في ذاته بالإله الحقيقي، الذي هو الإله وحده.

لماذا لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا قَدْ نَظَرَ الآبَ يَعْمَلُ؟

٤٣- لكن ربما يقدِّم الكافر الملحد للمؤمن التقي التأكيد على أننا لا يمكننا أن نستنتج بالنسبة للإله الحقيقي وجود اعتراف بالضَعف، أكثر من الموجود في: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا قَدْ نَظَرَ الآبَ يَعْمَلُ*. لو أن الغضب المزدوج[٦٧] لليهود لم يتطلب إجابةً مزدوجةً، فلن يكون حقًا عدم إمكانية الابن أن يعمل شيئًا من ذاته إلا ما قد نَظر الآب يعمله، اعترافًا بالضعف. لكن المسيح كان يجيب في نفس الجملة عن التهمة المزدوجة لليهود، الذين اتهموه بانتهاك السبت، وجعْل نفسه معادلاً لله بقوله إن الله أبوه. هل تعتقدون إذًا أنكم يمكنكم أن تسحبوا اعترافه من الجملة بتركيز الاهتمام على أسلوب إجابته؟ لقد عالجنا بالفعل تلك الفقرة في كتاب آخر[٦٨]؛ ومع ذلك فبما أن شرح الإيمان يَربح

---

* (يو ٥: ١٩) والملاحَظ استخدامه لصيغة الماضي 'قد نَظَر'، رغم أن اليوناني ذكرها في المضارع βλέπῃ، وكذلك الفولجاتا والقبطي الصعيدي. الجدير بالذكر أن القبطي البحيري ترجمها في الماضي مثلما ذكرها هو : ⲁⲛⲟⲩⲱⲛ ⲙⲙⲟⲥ ⲉⲣⲁⲩ ⲛⲁⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲛⲧⲉ ⲡⲱⲏⲣⲓ ⲉⲣ ⲛⲁⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲙⲙⲟⲩ ⲁⲛⲉⲓⲣⲉ ⲉⲧⲙⲛⲧⲥⲱⲧⲡ.{م}

[٦٧] ليس فقط لأنه قد كسر السبت، بل لأنه جعل الله أباه. (يو ٥: ١٨)

[٦٨] الكتاب السابع، فقرة ١٥.

بالتكرار ولا يخسر، فدعونا نتأمل مرةً أخرى في الكلمات، بما أن الموقف يتطلب ذلك منا.

٤٤- اسمعوا لماذا ظهرَت ضرورة الرد: وَلِهذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ عَمِلَ هذَا فِي سَبْتٍ[٦٩]. لقد كان غضبهم عليه مشتعلاً بشدة، حتى إنهم أرادوا أن يقتلوه، لأنه قام بأعماله في السبت. لكن دعونا نرى أيضًا ما قد أجاب به الرب أيضًا: أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ[٧٠]. فاخبرونا أيها الهراطقة، بما أن كل الأشياء، المرئية وغير المرئية، هي بالابن وفي الابن، فما هو عمل الآب؟ أنتم يا مَن تفوقون الأناجيل في حكمتكم، قد حصلتم بلا شك من أحد المصادر السِرية على معرفة عمل الآب، لكي تُظهروه لنا! لكن عمل الآب في الابن هو كما يقول الابن نفسه: الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ[٧١]. أتدركون معنى قوله: أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ؟ إنه يتكلم كي يمكننا أن نُدرِك فيه قدرة طبيعة الآب التي توظِّف الطبيعة التي لها تلك القدرة لكي تعمل في السبت. الآب يعمل فيه حينما يعمل هو؛ إذًا، وبلا شك، هو يعمل طوال الوقت مع عمل الآب، لذا فهو يقول: أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ، كي يمكن اعتبار ذلك العمل الحالي لكلماته وأعماله كعمل طبيعة الآب في ذاته. إن هذه العبارة: يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ، تُطابق الوقت مع لحظة الكلام، ولذا لا

---

[٦٩] (يو ٥: ١٦)

[٧٠] (يو ٥: ١٧)

[٧١] (يو ١٤: ١٠)

بُد من اعتبار أنه يشير لعمل الآب ذاته الذي كان يعمله في ذلك الحين، لأنه يتضمن عمل الآب في نفس الوقت الذي قال فيه كلماته. ولكي لا يفشل الإيمان في رجاء نوال الحياة الأبدية، بسبب حَصْرِه في معرفة الآب فقط، أضاف في الحال: وَأَنَا أَعْمَلُ؛ أي أن ما يعمله الآب حتى الآن يعمله الابن أيضًا. من ثَم فهو يشرح كل الإيمان؛ فإن العمل الذي يحدث 'الآن' يتعلق بالوقت الحالي؛ ولو أن الآب يعمل والابن يعمل، بالتالي فإن الوحدة الموجودة بينهما ليست عن طريق اندماجهما في شخص (أقنوم) مفرد[٧٢]. لكن حَنَق المستمعين قد تضاعف الآن. اسمعوا ما يلي: فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللهَ أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللهِ[٧٣]. اسمحوا لي هنا بأن أكرر أن الابن في مساواة مع طبيعة الآب، تبعًا لحُكم الإنجيلي وبما يتوافق مع الجنس البشري؛ وتلك المساواة لا يمكن أن توجَد إلا بتطابق الطبيعة. المولود لا يمكن أن يَستمِد ما لديه سوى من مصدره، والشيء المولود لا يمكن أن يكون غريبًا عما يلِده، بما أنه يَبلغ إلى كونه ما هو عليه منه هو وحده. دعونا نرى إذًا ما قد أجاب به الرب على هذا الانفجار المزدوج للغضب: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ،

---

[٧٢] فإن عمل الآب وعمل الابن يتضمن أنهما أقنومان متمايزان، ويمنعنا من افتراض وجود اتحاد بين الآب والابن يؤدي إلى اندماجهما في أقنوم واحد.

[٧٣] (يو ٥: ١٨)

لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا قَدْ نَظَرَ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ[٧٤].

٤٥- لو لم نعتبر تلك الكلمات جزءًا متمِّمًا لتصريحه، فسوف نحرِّفها بفرضنا لتفسير استبدادي كافر. لكن لو أن إجابته تتعلق بدوافع غضبهم، فسوف يُعبِّر إيماننا بشكل صحيح عما قصد هو أن يُعلِّم به، وسيُترَك انحراف الأشرار بدون ما يدعِّم تضليلهم الدنس. دعونا نرى إذًا إن كان هذا الرد مناسبًا لتهمة العمل في السبت. لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا قَدْ نَظَرَ الآبَ يَعْمَلُ. لو كان بفضل سُلطة طبيعة الآب فيه، كل ما يعمله، يعمله مع الآب فيه، والآب يعمل حتى الآن في السبت، إذًا فلا توجد ملامة على الابن، الذي يبرِّر سلطان عمل الآب. إن قوله: لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ شَيْئًا، لا يشير إلى القوة بل إلى السلطان؛ هو لا يمكنه أن يعمل شيئًا من نفسه، إلا ما قد رآه. إذًا فإن الرؤية لا تمنح القدرة على الفعل، ولذا فهو ليس ضعيفًا؛ إن كان لا يمكنه عمل شيء دون أن يراه، بل يَظهر أن سلطانه يعتمد على الرؤية. مرة أخرى فإن قوله: إِلاَّ مَا قَدْ نَظَرَ، يدل على الوعي المستمَد من الرؤية، مثلما قال للرسل: هَا أَنَا أَقُولُ لَكُمُ: ارْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَانْظُرُوا الْحُقُولَ إِنَّهَا قَدِ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ[٧٥]. إنه يعلِن أن الابْنُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا قَدْ نَظَرَ الآبَ يَعْمَلُ، بالوعي بأن طبيعة الآب حالَّة فيه، وتعمل فيه حينما يعمل، لكي يُحبِط فكرة أن رب السبت قد دنس السبت.

---

[٧٤] (يو ٥: ١٩)

[٧٥] (يو ٤: ٣٥)

وهكذا فهو يُظهِر أن كل أعماله تُستمَد من وعيه بالطبيعة التي تعمل داخله؛ حينما يَعمل في السبت، فإن الآب 'يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ' في السبت. على العموم، فهو سوف يشير إلى السبب الثاني لنقمتهم في كل ما يَلي: لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ. هل هو خطأ أن 'مَهْمَا عَمِلَ اَلْآبَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ'؟ هل ابن الله يُسلِّم بوجود اختلاف بين قوة وعمل الآب وقوَّته وعمله؟ هل هو يَنفُر من المطالبة بنفس الإجلال الذي يناسب مَن يساويه في القوة والطبيعة؟ إن كان يَنفُر، فازدروا بضعفه، وجردوه من مساواة الطبيعة مع الآب. لكنه هو نفسه يقول بعد قليل: لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ[٧٦]. أين الدونية في كونهما متساويَين في الكرامة؟ أين الضَعف حينما يعمل كلاهما بنفس القوة؟

'مَهْمَا عَمِلَ اَلْآبُ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ' تُثبِت أنه ليس ضعيفًا

٤٦- لماذا تحرِّفون الحقيقة الخاصة بسبب الرد لكي تقللوا من ألوهيته؟ لقد أجاب عن العمل يوم السبت بأنه لا يقدر أن يعمل شيئًا من نفسه، بل ما قد رأى الآب يعمل؛ إنه يصرِّح بأنه يعمل أي شيء يعمله الآب، لكي يُظهِر مساواته. إن كنتم تستطيعون دحض حقيقة أنه 'مَهْمَا عَمِلَ اَلْآبُ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ'، فأكِّدوا اتهامكم له بالضَعف بسبب إجابته بخصوص السبت. لكن لو أن كلمة 'مَهْمَا' تتضمن كل الأشياء بلا استثناء،

---

[٧٦] (يو ٥: ٢٣)

فأين الضَعف حينما لا يوجد شيء يعمله الآب لا يمكنه هو أن يعمله؟ أين دُحِض ادعائه للمساواة في أية حادثة تدل على الضعف، حينما تكون نفس الكرامة عينها مطلوبة له وللآب؟ لو كان لكليهما القوة في العمل، وكلاهما يطالب بنفس التوقير في العبادة، فلا يمكنني أن أفهم كيف يمكن أن يوجد أي خزي ناتج عن الدونية، بما أن الآب والابن يملكان نفس القدرة على العمل، والمساواة في الكرامة.

'لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ' تؤكد طبيعة العلاقة بين الآب والابن

٤٧- وبالرغم من أننا قد عالجنا تلك الفقرة كما تشرحها الحقائق نفسها، إلا أننا لكي نُثبِت أن قول الرب: الابْنُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا قَدْ نَظَرَ الآبَ يَعْمَلُ، البعيد تمامًا عن تدعيم الفكرة الشريرة عن تجريده من طبيعته، يَشهد لاقتنائه الواعي لطبيعة الآب، الذي بسلطانه يعمل في السبت، فدعونا نُظهر لهم أننا يمكننا أن نقدِّم قولاً آخر للرب مما قد يؤثِّر على المسألة: لَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي* وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ[٧٧]. هل تفهمون ما هو مُتضمَّن في تلك الكلمات: الابْنُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ

---

* وهو ما يطابِق أقدم نص يوناني، وكذلك القبطي البحيري والصعيدي، لكن بعض النصوص اليونانية الأحدث، مثل المخطوطات (K, N, Γ, Δ 700. 892.)، وكذلك بعض نُسخ القبطي البحيري، والسرياني، قد ذكَرتها 'لم يتركني الآب وحدي'، وكذلك الترجمة البيروتية وترجمة KJV، في حين أن الترجمة اليسوعية ذكرتها بدون 'الآب'.{م}

[٧٧] (يو ٨: ٢٨، ٢٩)

يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا قَدْ نَظَرَ الآبَ يَعْمَلُ؟ أو ما هو السر المحوي في قوله: لَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، و: لَمْ يَتْرُكْنِي وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ؟ إنه لا يعمل شيئًا من ذاته، لأن الآب يبقى فيه؛ هل يمكنكم التوفيق بين هذا وبين حقيقة أن الآب لا يتركه، لأنه يعمل الأشياء التي تُرضيه؟ إن تفسيركم أيها الهراطقة يُنشئ تناقضًا بين هذين التصريحين: كونه لا يعمل شيئًا من ذاته إلا إذا تعلَّمه من الآب الحال فيه؛ وأن الآب يبقى فيه، لأنه دائمًا يعمل الأشياء التي ترضيه. فلو أن حلول الآب فيه يعني أنه لا يعمل شيئًا من ذاته، فكيف أمكنه أن يستحق حلول الآب فيه، بعمله ما يُرضي الآب دائمًا. لا توجد أية ميزة لو لم يعمل من ذاته ما يعمله. بالعكس، كيف تُرضي أعمال الابن الآب، لو أن الآب نفسه، الحال في الابن، كان هو مبدعها؟ يا لعدم التقوى. أنتم في ضيق مُحزِن، لأن تقوى الإيمان المتسلِّح جيدًا قد طوَّقتكم. إما أن يكون الابن فاعلاً، أو لا يكون. لو لم يكن فاعلاً، فكيف يُرضي بأعماله؟ لو كان فاعلاً، فما هو معنى كون الأعمال التي لا يعملها من نفسه تخُصه؟ من ناحيةٍ، لا بُد أنه قد عمل الأشياء المُرضية؛ من ناحيةٍ أخرى، لا توجد أية ميزة في عملٍ يعمله المرء، ليس من ذاته.

٤٨- لكن، أيها الأعداء، تلك هي وحدة طبيعتهما، أن الأعمال المتعددة لكلٍ منهما تتضمن العمل المشترَك لكليهما، ونشاطهما المتَّصِل هو نشاط خاص بكلٍ منهما. افهموا أن الابن يعمل، والآب يعمل به. هو لا يعمل من ذاته، لأننا يجب أن نفسِّر كيف يحل الآب فيه. هو يعمل في شخصه

(أقنومه) الخاص، لأنه يعمل بنفسه ما يُرضي، بموجب ولادته كابن. إن عمله الذي ليس هو من ذاته قد يُثبِت أنه ضعيف، إلا إذا كانت القضية هكذا أنه يعمل، وما يعمله يُرضي الآب. لكنه لن يكون في وحدة الطبيعة الإلهية لو كانت الأعمال التي يعملها، والتي يُرضي بها، لا تخُصه، وكان مستحَثًا للعمل فقط من قِبل الآب الحال فيه. إذًا فالآب في حلوله فيه يُعلِّمه، والابن في عمله لا يعمل من نفسه؛ بينما، من ناحيةٍ أخرى، الابن يعمل بنفسه، رغم أنه لا يعمل من نفسه، لأن ما يعمله يُرضي. هكذا فإن وحدة طبيعتهما محفوظة في عملهما، لأن الذي يعمل لا يعمل من نفسه رغم أنه يعمل بنفسه، بينما الآخر، الذي امتنع عن العمل، لايزال عاملاً.

الآب يُعلِّم من خلال كلمات الابن، ويتكلم معنا في إعلان الابن

٤٩- اربطوا هذا بما قاله، والذي تتمسكون به بشدة لتدعيم تهمة الضَعف: كُلُّ مَا يُعْطِينِي الآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ، وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجًا. لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي[٧٨]. لكنكم ربما تقولون: *إن الابن ليست له حرية إرادة، أي أن ضَعف طبيعته يُعرِّضه للحاجة، وهو محروم من الإرادة الحُرة، وخاضع للاحتياج، حتى إنه لا يمكنه رفض هؤلاء المُعطَون له والآتون من الآب.*

لكن الرب حينما أراد إظهار سِر الوحدة، سواء بما فعله في عدم رفض هؤلاء المعطَون له، وعدم طلب عمل إرادته الخاصة عوضًا عن إرادة مَن

---

[٧٨] (يو ٦: ٣٧،٣٨)

أرسله، قد أثبت تفسيرنا بقوله: كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ مِنَ الآبِ وَيَتَعَلَّمُ يُقْبِلُ إِلَيَّ. لَيْسَ أَنَّ أَحَدًا رَأَى الآبَ إِلاَّ الَّذِي مِنَ اللهِ. هذَا قَدْ رَأَى الآبَ. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ، مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ[٧٩]، بعدما بدأ اليهود في التذمر بسبب تكراره لقوله: الَّذِي أَرْسَلَنِي. فأخبِروني الآن أولاً، أين قد سُمِع الآب وأين قد علَّم سامعيه؟ لم يرَ أحدٌ الآب إلا الذي من الله؛ فهل سَمِع أحدٌ مَن لم يَرَه أحدٌ قط؟ مَن سمع من الآب يأتي إلى الابن؛ والذي قد سَمِع تعليم الابن، قد سَمع تعليم طبيعة الآب، لأن خصائصه مُعلَنة في الابن. لذا، فحينما نسمع الابن يُعلِّم، فلا بُد أن نَفهم أننا نسمع تعليم الآب. لم ير أحدٌ الآب، ومع ذلك فمَن يأتي إلى الابن يَسمع ويتعلم من الآب أن يأتي؛ **لذا فالأمر واضح؛ إن الآب يُعلِّم من خلال كلمات الابن، ورغم أنه غير مرئي لأحد، إلا أنه يتكلم معنا في إعلان الابن، لأن الابن، بفضل ولادته الكاملة، يملك كل خواص طبيعة أبيه.** إذًا فالله الابن الوحيد راغبًا في الشهادة لسلطان الآب، ومع ذلك فهو يغرس في أذهاننا وحدته الشخصية مع طبيعة الآب، غير طاردٍ لهؤلاء الذين قد أعطاهم الآب له إلى خارج، أو عاملاً مشيئته الخاصة بدلاً من مشيئة الذي أرسله؛ ليس أنه لا يريد ما يعمله، أو أنه هو نفسه غير مسموع حينما يُعلِّم؛ بل لأجل أن يُظهِر مَن أرسله، ويُظهر نفسه كمُرسَل، تحت هيئة طبيعة واحدة غير قابلة للتمييز، فإنه يُظهِر أن كل ما يريده، ويقوله، ويعمله، هو مشيئة وأعمال الآب.

---

[٧٩] (يو ٦: ٤٥- ٤٧)

الحياة الأبدية هي السُكنى مع المسيح

٥٠- لكنه يُثبت بوفرةٍ أن مشيئته حُرةٌ بتلك الكلمات: كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِيهِم، كَذلِكَ الابْنُ أَيْضًا يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ[٨٠]. حينما يُشار إلى مساواة الآب والابن في القوة والكرامة، حينئذ تُعلَن حرية إرادة الابن؛ حينما تُظهَر وحدتهما، يُشار إلى خضوعه لإرادة الآب، لأن ما يريده الآب يعمله الابن. لكن العمل شيء أكبر مِن إطاعة إرادة؛ الأمر الأخير (أي إطاعة الإرادة) قد يتضمن احتياجًا خارجيًا، في حين أن عمل إرادة الغير يتطلب الوحدة معه، لأنه عملٌ إراديٌ. في عمله لإرادة الآب، يُعلِّم الابن أنه من خلال مساواتهما في الطبيعة تكون إرادته من نفس طبيعة إرادة الآب، لأن كل ما يعمله هو مشيئة الآب. الابن يريد ببساطةٍ كل ما يريده الآب، لأن مشيئات نفس الطبيعة لا يمكن أن تَنشق على بعضها البعض. إن إرادة الآب هي تلك المُعلَنة في: لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ أَبِي، أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ*. اسمعوا الآن إذا كانت مشيئة الابن متعارضةً مع مشيئة الآب، حينما يقول: أَيُّهَا

---

[٨٠] (يو ٥: ٢١)

* (يو ٦: ٤٠) وجميع المخطوطات القديمة للنص اليوناني والقبطي الصعيدي والبحيري والبشيتا السريانية والفولجاتا اللاتينية تذكرها 'مشيئة أبي'، وكذلك الترجمة اليسوعية، بينما ذكرتها بعض النصوص اليونانية الأحدث مثل STM، وكذلك KJV الإنجليزية، والترجمة البيروتية العربية، 'مشيئة الذي أرسلني'.{م}

الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا[٨١]. لا يوجد هنا أي شك في أن الابن يشاء؛ فبينما يريد الآب أن هؤلاء الذين يؤمنون بالابن تكون لهم حياة أبدية، فإن الابن يريد أن يكون المؤمن معه حيث يكون. **أليست الحياة الأبدية هي السُكنى مع المسيح؟** ألا يَمنح هو لمَن يؤمن به كل كمال البركة حينما يقول: لاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ[٨٢]؟ ألا توجد لديه حرية الإرادة، حينما يريد أن يمنحنا معرفة سِر الآب؟ أليست إرادته حرةً هكذا حتى إنه يمكنه أن يَمنح مَن يريد معرفته ومعرفة أبيه؟ هكذا فقد أُعلِن أن الآب والابن مالكان متصلان لطبيعةٍ مشترَكةٍ لكليهما من خلال الولادة ومن خلال الوحدة؛ لأن الابن حُر الإرادة، في حين أن ما يعمله إراديًا هو عمل إرادة الآب.

تفسير قوله: 'الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي'

٥١- مَن لم يَفهم الحقائق المُعلنة عن الإيمان، لا يمكنه بوضوح أن يَفهم أسرارها؛ فهو غريب عن رجاء الإنجيل، لأنه ليس لديه تعليم الإنجيل. لا بُد أن نعترف بأن الآب في الابن والابن في الآب، بوحدة الطبيعة، وبقوة القدرة، وهما متساويان في الكرامة كوالد ومولود. لكنكم ربما تقولون لي إن شهادة ربنا نفسه تتعارض مع هذا التصريح، فإنه يقول: الآبُ أَعْظَمُ

---

[٨١] (يو ١٧: ٢٤)

[٨٢] (مت ١١: ٢٧)

مِنِّي[٨٣]. هل هذا هو سلاح تجديفكم أيها الهراطقة؟ هل تِلك هي أسلحة جنونكم؟ هل فاتكم أن الكنيسة لا تُسلِّم بوجود اثنين غير مولودين، أو تعترف بأبوين؟ هل نسيتم تجسُّد الوسيط[+]، مع الولادة، والمهد، والطفولة، والألم، والصليب والموت اللذان تبعاه؟* حينما وُلدتم ثانيةً، ألم تعترفوا بابن الله، المولود من مريم؟ لو كان ابن الله، الذي تخُصه تلك الحقائق، يقول: الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي، فهل تجهلون أن تَجسُّد خلاصكم كان إخلاءً لهيئة الله، وأن الآب، غير المتأثر بهذا الاتخاذ لظروف البشر، قد بقي في الأبدية المقدسة لطبيعته غير الفاسدة بدون اتخاذ جسدنا؟ **نحن نعترف بأن الإله الابن الوحيد، وهو باقٍ في هيئة الله قد بقي في طبيعة الله، لكننا في نفس الوقت لا نجعل جوهره وهو حاملٌ لهيئة العبد من نفس جوهر الوحدة الإلهية**[#]. ولا نُعلِّم بأن الآب في الابن، كما لو كان قد دَخل فيه جسديًا؛ بل بأن الطبيعة التي وُلِدَت من الآب من نفس جوهره، تملُك بالطبيعة الطبيعة التي

---

[٨٣] (يو ١٤: ٢٨)

[+] (١ تي ٢: ٥). وبالتالي فإن ق. هيلاري يُفسر قول المسيح إن الآب أعظم منه من جهة مجد هيئة الله الذي أخلى ذاته منه. وهو ما يتفق مع تفاسير أغلب الآباء، مثل ديديموس الضرير: (*FRAGMENTS ON JOHN* 17, JKGK 184–85)، وق. أوغسطينوس: (*TRACTATES ON THE GOSPEL OF JOHN* 78.3, NPNF 1, 7:341–42)، وق. باسيليوس الكبير: (*AGAINST EUNOMIUS* 4, NPNF 2, 8:xxxviii; PG 29: 693–696).{م}

* أي تبعا التجسد.{م}

[#] أي لا نقول إنه قد حدث تحولاً للجوهر البشري إلى جوهر إلهي. أُنظر التعليق على الفقرة ٦ من نفس الكتاب الحالي.{م}

وَلَدَتها[٨٤]؛ وأن تلك الطبيعة، الثابتة في الطبيعة التي ولدَتها، قد اتخذت هيئة الطبيعة والضَعف البشريين. المسيح كان يملُك كل ما يخُص طبيعته، لكن هيئة الله (من جهة المجد) قد تركته، لأنه بإخلائه لذاته منها، قد اتخذ شكل العبد. فإن الطبيعة الإلهية لم تتوقف عن كونها، بل ظلت حالةً فيه، وقد أخذت على عاتقها تواضع الولادة الأرضية، وكانت تمارِس قوَّتها الخاصة في شكل التواضع الذي قد اتخذته. **لذا فإن الله (الابن)، المولود من الله (الآب)، قد وُجِد في الهيئة كعبد، لكنه لعمله كإله في معجزاته، كان في نفس الوقت إلهًا كما أَثبتت أعماله، ومع ذلك كان إنسانًا، لأنه وُجِد في شكل إنسان.**

٥٢- لذا فقد رأينا في المناقشة التي شرحناها قبلاً أنه قد شهد لوحدة طبيعته مع طبيعة الآب، إذ قال: مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا[٨٥]، و: الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ[٨٦]. هاتان العبارتان تتوافقان بالتمام، لأن الشخصين (الأقنومين) من طبيعة واحدة؛ النظر إلى الابن هو نفسه النظر إلى الآب؛ كون الواحد يُقيم في الآخر يُظهِر أنهما غير منفصلين، ولكيلا يسيئون فهمه بأن يفهموا أنهم ينظرون الآب فيه حينما ينظرون جسده، قد أضاف: صَدِّقُونِي، أَنِّي فِي

---

[٨٤] وحدة الآب والابن لا تعني أن جسد الابن قد انبثق من الآب، بل أن الابن الذي يستمد طبيعته غير المادية من الآب بالميلاد، قد اتخذ جسدًا بشريًا لأجل التجسد. هكذا فإن ق. هيلاري يُبعد عن نفسه شبهة الإيمان بتألم الآب، أو أي معنى قد يُلحِق به تهمة اتِّباع مارسيللوس، والتي قد يتهمه بها البعض من خلال كلماته.

[٨٥] (يو ١٤: ٩)

[٨٦] (يو ١٠: ٣٨)

الآبِ وَالآبَ فِيَّ؛ وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا[٨٧]. إن قوَّته كانت تتعلق بطبيعته، وعمله كان هو ممارسة تلك القوة؛ إذًا، في ممارسة تلك القوة أمكنهم أن يدرِكوا فيه الوحدة مع طبيعة الآب. وبمقدار ما ندرِك في قوة طبيعته أنه الله، فسوف نأتي لمعرفة الله الآب، الموجود في تلك الطبيعة العظيمة. إن الابن، المساوي للآب، قد أظهر بأعماله أن الآب يمكن أن يُرى فيه؛ لكي يمكننا نحن، الذين نلاحظ في الابن وجود طبيعة مثل طبيعة الآب في قوَّتها، أن نعرف أنه لا يوجد اختلاف في الطبيعة بين الآب والابن.

٥٣- لذا فإن الله الابن الوحيد، قبلما أنهى عمله في الجسد مباشرةً، وأكمل سِر اتخاذ هيئة العبد، ولكي يثبِّت إيماننا، قد تكلم هكذا: سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ الآبَ أَعْظَمُ مِنِّي[٨٨]. لقد كشف بالفعل في جزء مبكر من تلك الخُطبة عينها عن تعليم طبيعته الإلهية من كل الوجهات؛ هل يمكننا إذًا، بقوة ذاك الاعتراف، أن نَحرم الابن من تلك الوحدة، والتي يؤكدها ميلاده الحقيقي؟ أم هل هي إهانة للإله الابن الوحيد، أن يكون الإله غير المولود هو أبوه، بالنظر إلى أن ولادة الابن الوحيد من غير المولود تعطيه طبيعة الابن الوحيد؟ إنه وجوده ليس مستقلاً، ولا هو قد وُلِد من العدم، كما لو كان قبلاً غير موجود؛ لكنه، لوجوده كطبيعة حية ومن طبيعة حية، يملك قوة تلك الطبيعة، ويوضح سلطان تلك الطبيعة، بشهادته

---

[٨٧] (يو ١٤: ٦- ١١)

[٨٨] (يو ١٤: ٢٨)

عن كرامته، وبشهادته في كرامته عن الشرف المتعلق بالولادة التي قد قبلها. إنه يقدِّم للآب إجلال الطاعة لإرادة مَن أرسله، لكن طاعة الاتضاع لا تُذيب وحدة طبيعته؛ هو يصير مطيعًا حتى الموت، لكنه صار بعد الموت أعلى من كل اسم[٨٩].

٥٤- لكن لو كان كونه مِن نفس الجوهر (مع الآب) مشكوكًا فيه لأن الاسم قد أُعطي له بعد أن أخلى ذاته من هيئة الله، فحينئذ سيكون إنكار سِر التواضع الذي قد اتخذه إهانةً له. إن ولادة ناسوته قد جلبت له طبيعة جديدة، وهيئته قد تغيرت في تواضعه، باتخاذ شكل العبد، أما الآن فنواله الاسم يعيد إليه مساواة الهيئة. اسألوا أنفسكم ما هو الذي أُعطي. لو أن المنحة هي شيء يلائم الله، فإن المَنح للطبيعة التي تقبَل المنح لا يُفسِد ألوهية الطبيعة المعطية. مرة أخرى، فإن عبارة 'وَأَعْطَاهُ اسْمًا'، تتضمن سرًا في العطاء، لكن إعطاء الاسم لا يجعله اسمًا آخر. لقد أُعطي ليسوع، لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ فِي مَجْدِ اللهِ الآبِ[٩٠]. لقد أُعطيَت له الكرامة لكي يُعتَرَف به في مجد الله الآب. هل تسمعونه يقول: الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي؟ اِعرفوا أيضًا مَن قيل عنه كمكافئة لطاعته: وَأَعْطَاهُ اسْمًا

---

[٨٩] (في ٢: ٨، ٩) "وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ".

[٩٠] (في ٢: ١٠، ١١)

فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ[٩١]؛ اسمَعوا مَن قال: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ؛ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا؛ أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ. تأملوا كرامة الاعتراف المُعطى له، أن يسوع هو رب في مجد الله الآب. متى يكون الآب أعظم من الابن إذًا؟ بالتأكيد حينما أعطاه اسمًا فوق كل اسم. ومن ناحية أخرى، متى يكون الابن والآب واحدًا؟ بالتأكيد حينما يَعترف كل لسان بأن يسوع هو رب في مجد الله الآب. لو أن الآب إذًا أعظم من خلال سلطانه في العطاء، فهل يكون الابن أقل من خلال الاعتراف بالأخذ؟ المُعطي أعظم؛ لكن الآخذ ليس أقل، لأنه قد أُعطي أن يكون واحدًا مع المُعطي. لو لم يُعطَى ليسوع أن يُعتَرَف به في مجد الله الآب، فسوف يكون أقل من الآب. لكن لو أُعطي له أن يكون في ذاك المجد الذي فيه الآب، فسنرى في قوة العطاء أن المُعطي أعظم، وفي الاعتراف بالمنحة أن الاثنين واحد. لذا فإن الآب أعظم من الابن؛ هو أعظم بشكلٍ واضحٍ، ذاك الذي يعطي الآخر كل ما لكيانه هو نفسه، الذي يَمنح الابن بسر الولادة صورة طبيعته الخاصة غير المولودة، الذي ولده من ذاته إلى هيئته الخاصة، وأعاده مرة أخرى من هيئة العبد إلى هيئة الله، الذي عمله هو عمل المسيح المولود إلهًا بحسب الروح في مجد الآب، أما الآن فينبغي أن يكون يسوع المسيح الذي مات بالجسد، إلهًا في مجد الآب مرة أخرى. لذا، فحينما يقول المسيح إنه ذاهب إلى الآب، فهو يُظهِر سبب وجوب فرحهم لو كانوا يحبونه، لأن الآب أعظم منه.

---

[٩١] (في ٢: ٩)

٥٥- ثم بعد توضيح أن المحبة هي مصدر تلك الفرحة، لأن المحبة تبتهج بالاعتراف بأن يسوع في مجد الله الآب، يُعبِّر بعد ذلك عن طلبه لقبول المجد ثانيةً، في تلك الكلمات: لأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ[٩٢]. إن رئيس هذا العالم ليس له فيه شيءٌ، إذ لكونه قد وُجد في الهيئة كإنسان، قد أقام في شبه جسد الخطية، ومع ذلك فقد كان منفصلاً عن الخطية، وقد أدان الخطية في الجسد بواسطة الخطية[٩٣]. ثم، بتقديم الطاعة لوصية الآب كحافزه الوحيد، يضيف: لَكِنْ لِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنِّي أُحِبُّ الآبَ، وَكَمَا أَوْصَانِي الآبُ هكَذَا أَفْعَلُ. قُومُوا نَنْطَلِقْ مِنْ ههُنَا[٩٤]. إنه في حماسته لعمل وصية الآب، يقوم ويتعجل بإتمام سِر آلامه الجسدية. لكنه في اللحظة التالية يكشف سِر تجسده. من خلال تجسده نكون فيه، مثل الأغصان في الكرمة[٩٥]؛ ولو لم يصِر هو الكرمة، ما كان يمكننا أن نحمل ثمرًا جيدًا. إنه يحضنا على الثبات فيه من خلال الإيمان بجسده المتَّخَذ، أي، بما أن **الكلمة** قد صار جسدًا، يمكننا أن نكون في طبيعة جسده، مثلما تكون الأغصان في الكرمة. إنه يَفصِل بين هيئة عظمة الآب وخِزي الجسد المتَّخَذ بتسميته

---

[٩٢] (يو ١٤: ٣٠)

[٩٣] (رو ٨: ٣). يبدو أن قول ق. هيلاري: *de peccato peccatum... condemnans* يعني 'بواسطة الخطية'، حيث *de* في اللاتينية المستخدمة في ذلك الزمان كانت غالبًا تفيد معنى 'بواسطة'.

[٩٤] (يو ١٤: ٣١)

[٩٥] (يو ١٥: ١، ٢)

لنفسه بالكرمة، مصدر وِحدة كل الأغصان، والآب بالكرام الحريص، الذي يُقلِّم أغصانها غير النافعة والقاحلة لكي تُحرَق بالنار. فإنه يُظهِر حقيقة ولادته وسر تجسده في قوله: مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا، و: الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ أَعْمَالَه، و: صَدِّقُونِي، أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ. ثم يُكمِل خيط حديثه حتى يصل إلى القول: الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي. وبعد هذا، ولكي يُكمل معنى تلك الكلمات، يُسرع بإضافة توضيح مَن هو الكرَّام، والكرمة، والأغصان، لكي يوجه ملاحظتنا لخضوعه للخزي الجسدي. هو يقول إنه ذاهب إلى الآب بسبب أن الآب أعظم منه، وأن المحبة يجب أن تَفرح بأنه ذاهب إلى الآب، كي يمكنه قبول مجده ثانيةً من الآب، معه، وفيه، إذ أنه لن يتمجد بمجد جديد، بل بالقديم؛ ليس بكرامة غريبة، بل بالتي كانت له قبلاً عنده. فإن لم يتمجد المسيح فيه، ويبقى في مجد الله، فيمكنكم إذًا أن تحُطوا من قدر طبيعته؛ لكن لو أن المجد الذي يقبله هو إثبات ألوهيته، فاعترِفوا به كمَن يُقدِّم الدليل على أن الآب هو الأعظم.

الآب الذي يمجِّد الابن هو أعظم، والابن المُمجَّد في الآب ليس أقل

٥٦- لماذا تحرفون التجسد إلى تجديف؟ لماذا تُحولون سِر الخلاص إلى سلاح للهدم؟ الآب الذي يمجد الابن هو أعظم؛ الابن المُمجَّد في الآب ليس أقل. كيف يكون أقل حينما يكون في مجد الله الآب؟ وكيف لا يكون الآب أعظم؟ لذا فإن الآب أعظم، لأنه أب؛ لكن الابن، لأنه ابن،

ليس أقل*. بولادة الابن يتعين الآب أعظم، لكن الطبيعة التي للابن بالولادة لا تسمح له بأن يكون أقل. **الآب أعظم لأن الابن يتضرع إليه كي يقدِّم المجد للناسوت الذي اتخذه.** الابن ليس أقل، لأنه يَقبل ثانيةً مجده الذي عند الآب. هكذا فقد اكتمل في التو سِر الولادة، وتدبير التجسد. الآب، لأنه آب، وبينما هو يمجد الآن ذاك الذي هو ابن الإنسان، أعظم؛ الآب والابن واحد، إذ يُعاد الابن المولود من الآب، بعد اتخاذه لجسد أرضي، إلى مجد الآب.

٥٧- لذا فإن الولادة لا تجعل طبيعته أدنى، لأنه في هيئة الله، إذ هو مولود من الله. وبالرغم من أن المعنى المجرَّد لـ 'غير مولود' و 'مولود' يبدو متعارضًا، إلا أن المولود لا يمكن أن يُبعَد عن طبيعة غير المولود، لأنه لا يوجد آخر يمكن أن يَستمد وجوده منه. إنه لا يشترك في الواقع في العظمة الفائقة التي لعدم الولادة؛ لكنه قد قبِل من الإله غير المولود طبيعة اللاهوت. هكذا فإن الإيمان يَعترف بأزلية الله الابن الوحيد، رغم أنه لا يمكنه أن يقدِّم معنىً للولادة أو البداية بالنسبة لحالته. **طبيعته تمنعنا من أن نقول إن**

---

* والكلام هنا معناه أن الابن يُعظِّم أباه لكونه أباه وليس لكونه أقل في العظمة، وهو ما يتفق مع كلام ق. باسيليوس الكبير في *الرسالة ضد إفنوميوس*، إذ يقول: "بل افهموا أن الكلمات تُعبِّر عن الكرامة المعطاة من الابن للآب وليست تقليلاً من قيمة الابن. وينبغي أيضًا أن تُدركوا أن ما هو أعظم ليس من الضرورة أن يكون من جوهر أقل." (*NPNF* 2 8:xxxviii; PG 29:693–96). وكذلك أيضًا ق. أوغسطينوس (*Answer to Maximus* 2.14.8, PL 42:775).{م}

كيانه قد بدأ أبدًا، فإن ولادته قد حدثت قبل بدايات الزمن. لكن بينما نحن نعترف بوجوده قبل كل الدهور، إلا أننا لا نتردد في أن نُعلِن أنه قد وُلد في أزلية سرمدية، لأننا نؤمن بولادته، رغم أننا نعرف أن ليس لها بداية.

٥٨- ورغبةً في الحط من قدر طبيعته، يتمسك الهراطقة ببعض الكلمات مثل: الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي، أو: أَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ[٩٦]. إنهم يحوِّلون هذا إلى خِزي للإله الابن الوحيد لكونه لم يعرف اليوم ولا الساعة؛ *أي بالرغم من أنه الله، المولود من الله، إلا أنه ليس في كمال الطبيعة الإلهية، لأنه متَّهَم بالخضوع لحدود الجهل؛ أي أن هناك قوة خارجية أعظم منه، تظهر كأنها تتغلب على ضعفه، وتجعله أسيرًا لتلك النقيصة.* وفي غضبهم يسعى الهراطقة لإجبارنا على الإيمان بهذا التفسير التجديفي، كما لو كان هذا القول هو بحقٍ اعتراف لا مفر منه، ولا بُد أن نُقر به. الكلمات هي كلمات الرب نفسه، وأي شيء سوف يُسأل عنه سوف يصبح غير مقدَّس بشكل أكبر من تحريف تأكيده الواضح، بمحاولتنا لشرحه بشكل مخالف.

تفسير قول المسيح إن الابن لا يعرف اليوم ولا الساعة

٥٩- أولاً، قبل أن نشرح معنى هذه العبارة وسبب قولها، لا بُد أن نَفصل في هذا الأمر وفقًا للمبادئ المُتفق عليها بشكلٍ عام. هل مِن المعقول أن يكون ذاك الذي هو أصل حاضر ومستقبل كل شيء جاهلاً بشيء؟ إذا

---

[٩٦] (يو ١٠: ٣٠)

كانت كل الأشياء بالمسيح وفي المسيح - فهي به بحيث تكون كل الأشياء فيه أيضًا - أفلا يجب أن تكون تلك الأشياء، التي به وفيه، في نطاق معرفته، حينما تُدرِك تلك المعرفة ما ليس فيه ولا به بشكلٍ مألوفٍ، بفضل الطبيعة التي لا يمكن أن تكون جاهلةً[٩٧]؟ أمَّا بالنسبة لتلك التي تَستمد أصلها منه فقط، ولها فيه وحده السبب الكافي لمنزلتها الرفيعة الحالية والتطور المستقبلي لأصلها، فهل يمكن أن تكون تلك بعيدةً عن مدى إدراك طبيعة ذاك الذي بواسطته يتأثر كل ما يكون وسوف يكون، وفيه يستمر الكل؟ إن يسوع المسيح يَعلم أفكار العقل، الأفكار الدائرة في ذهنهم الآن، والتي ستدور بدافع إرادتهم في المستقبل. اسمعوا شهادة الإنجيلي: لأَنَّ يَسُوعَ مِنَ الْبَدْءِ عَلِمَ مَنْ هُمُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُهُ[٩٨]. إن طبيعته أمكنها بميزتها أن تُدرِك المستقبل المقبِل، وتتوقع استيقاظ الانفعالات التي

---

[٩٧] المسيح كان واعيًا، فقد كان عارفًا بخطايا الإنسان على سبيل المثال. وعن تأكيد علم الابن بكل شيء يتساءل ق. أثناسيوس في *المقالة الثالثة ضد الأريوسيين*: "لأنه **بالكلمة** قد خُلقت كل الأشياء والأزمنة، والليل والنهار وكل الخليقة، فهل يقال بعد ذلك إن الخالق يجهل عمله؟ ولكن بمواصلة القراءة في هذا الفصل يتضح أن ابن الله يعرف تلك الساعة وذلك اليوم، رغم أن الأريوسيين قد سقطوا بشدة في جهلهم، لأنه بينما يقول 'ولا الابن' يشرح للتلاميذ ما يحدث قبل ذلك اليوم قائلاً سيكون هذا وذاك، ثم يأتي المنتهى (انظر مت٢٤). فالذي يتكلم عما يحدث قبل ذلك اليوم، يعرف اليوم أيضًا بالتأكيد، الذى سوف يأتي بعد كل ما سبق وأخبر به؛ ولكن لو لم يكن يعرف الساعة، لما كان قد تحدث عن الأمور التي تسبقها لكونه لا يعرف متى ستكون.. هكذا فإن الرب بحديثه عما يسبق ذلك اليوم وتلك الساعة فهو يعرف بالضبط، ولا يجهل متى تأتى الساعة ويكون اليوم". مرجع سابق، صـ ٧٩.{م}

[٩٨] (يو ٦:٦٤)

مازالت هاجعةً في العقل؛ فهل تعتقدون أنها لم تَعلم ما هو بها وفيها؟ ألا يكون سيد كل ما يخص الآخرين، سيدًا لِما له؟ تذكَّروا ما كُتب عنه: الْكُلُّ مِنْ خِلَالِهِ وَفِيهِ قَدْ خُلِقَ[٩٩]؛ وأيضا: لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ، وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ[١٠٠]؛ وبما أن فيه كل الملء، والكل مخلوق به، والكل يتصالح فيه وينتظر هذا اليوم الذي للمصالحة، ألا يَعلم هو إذًا هذا اليوم، الذي ميعاده في يديه، وثابت بِسره، لأنه يوم مجيئه الذي كَتب عنه الرسول (بولس): مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ[١٠١]. لا يجهل أحد ما هو به وفيه؛ فهل يأتي المسيح وهو يجهل يوم مجيئه؟ إنه يومه هو كما يقول نفس الرسول: يَوْمَ الرَّبِّ يَجِيءُ كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ[١٠٢]؛ فهل نفترض إذًا أنه لا يَعلم بهذا اليوم؟ إن الطبائع البشرية تَعلم مسبقًا ما سوف تعمل طالما أن الأمر يعتمد عليها، والعِلم بما سوف يُعمَل يصاحِب الإرادة للعمل. فهل ذاك الذي وُلد كإله لا يعلم بما فيه وبه؟ إن الزمان به، واليوم في يده، لأن تحديد الأمور المستقبلية يتم بواسطته، وتدبير مجيئه في سلطته؛ فهل يكون فهمه ضعيف هكذا، كما لو كان إحساس طبيعته الضعيفة لا

---

[٩٩] (كو ١: ١٦)

[١٠٠] (كو ١: ١٩)

[١٠١] (كو ٣: ٤).

[١٠٢] (١ تس ٥: ٢). ويذكر ق. أثناسيوس في *الرسالة الثالثة ضد الأريوسيين* أمثلةً أخرى للآيات التي تبين معرفة الابن بكل شيء، مثل: "أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا" (يو ١٧: ١). مرجع سابق، صـ ٨٠.{م}

يخبره بما قد حدده هو نفسه؟ هل هو مثل الوحش أو البهيمة التي وهي حية لا تدرِك ما تعمل لافتقارها لقدرة البصيرة، ثم حينما تُثار فهي تندفع بدون وعي نحو شيء ما بلا هدف ولا رؤية؟

٦٠- لكن أيضًا، كيف نُصدِّق أن رب المجد، لكونه لم يكن قادرًا على معرفة يوم مجيئه الخاص، له طبيعة متناقضة وغير كاملة، لدرجة أنه أصبح مضطرًا للمجيء وهو لا يعلم عن هذا المجيء؟! هذا سوف يجعل الله أضعف من قوة الجهل، والتي أخذت منه امتياز المعرفة. من ثَم كيف نضاعف أيضًا أسباب التجديف، إذا كنا لا نَنسب للمسيح ضَعفًا فقط، بل وأيضًا نَنسب عيبًا لله الآب، بقولنا إنه حَجَب معرفة ذلك اليوم عن الله الابن الوحيد، ابن محبته، وبدافع الحسد أضنى عليه بمعرفة ما سوف يُنجزه في المستقبل؟! كيف نقول إنه سمح له بأن يَعرف يوم وساعة آلامه، لكنه مَنع عنه معرفة يوم قوَّته، وساعة مجده بين قديسيه، بل حَرَمه من معرفة اليوم الذي يتبارك فيه، مع أنه منَحه معرفةً مُسبقةً عن موته؟ إن الضمير البشري في جُبنه لا يجرؤ على التطاول بأن يظن هكذا بالله، أو يَنسب له وصمة التقلُّب البَشري، معتقدًا أن الآب يمنع شيئًا عن الابن، أو أن المولود كإله يَملُك معرفةً ناقصةً.

٦١- لكن الله لا يمكن أن يكون شيئًا آخر سوى أن يكون 'محبةً'، أو شيئًا آخر سوى أن يكون 'الآب'؛ الذي يُحب لا يحسد؛ الآب هو أب بالتمام والكمال. هذا الاسم لا يسمح بأي حَل وسط؛ لا يمكن أن يكون أحدٌ أبًا في جزءٍ، وليس أبًا في جزءٍ آخر. الأب أب فيما يتعلق بشخصيته

الكاملة؛ كل كينونته موجودة في الطفل، لأن الأبوة بالتدريج أمر مستحيل؛ ليس أن الأبوة تمتد إلى ولادة ذاتية، بل أن الأب هو أب في كل خواصه معًا للذريات المولودة منه. أمَّا مِن جهة طبيعة الأجساد البشرية التي تتكون من عناصر مختلفة ومن أجزاء متعددة، فإن الآب ينبغي أن يكون أبًا للكل، بما أن الولادة الكاملة تُسلِّم للطفل كل العناصر والأجزاء التي في الأب. بالتالي فإن الأب هو أب لكل مَن له؛ لأن الولادة تَنشأ من الأب بالكامل، وتُعيِّن الابن بالكامل. أما بالنسبة لله فلا يوجد جسد، بل جوهر بسيط؛ لا توجد أجزاء، بل كمال شامل؛ لا يوجد شيء يحتاج إلى إحياء، لأن كل شيء فيه حي. لذا فإن الله هو حي بالكامل وواحد بالتمام، لا يتكون من أجزاء، بل هو كامل في بساطته، وبما أنه آب فلا بُد أن يكون آبًا لابنه في كل ما يكونه هو نفسه، فإن الولادة الكاملة للابن تجعله آبًا كاملاً في كل ما له. فإن كان إذًا هو الآب الحقيقي للابن، فلا بُد أن يَقتني الابن كل خواص الآب. ولكن كيف يكون هكذا إن كان ينقصه شيءٌ من أبيه عند ولادته، إن كان الابن لا يملك خاصية العِلم بالمستقبل؟ القول إن هناك صفةً إلهيةً ليست له هو مثل القول بأنه لا يملكها كلها. وما هو الذي يخص الله إلا العِلم بالمستقبل، أي الرؤية التي تتضمن العالَم غير المرئي والمُقبِل، والتي تستطيع أيضا أن تَحوي الأمور التي لم تحدث بعد، ولكنها ستوجد فيما بعد؟

المسيح هو سِر الله، فكيف يجهل ما يعرفه الآب؟

٦٢- علاوة على ذلك، فإن بولس معلِّم الأمم قد سَبَق وأطلعنا على الكذب الأثيم الذي يَعتبر أن الله الابن الوحيد كان جاهلاً جزئيًا. اسمعوا قوله: مُقْتَرِنَةً فِي الْمَحَبَّةِ لِكُلِّ غِنَى يَقِينِ الْفَهْمِ، لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اللهِ، أَي الْمَسِيحِ*، الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ[١٠٣]. فإن الله، الذي هو المسيح، هو السر المُذَّخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم. ولكن الجزء شيء والكل شيء آخر، لأن الجزء لا يمكن أن يُعتبر كأنه كل ولا الكل كأنه جزء. إن كان الابن لا يَعلم اليوم فإن كنوز العِلم لن تكون فيه؛ لكنه يحوى جميع كنوز العِلم فيه، لذا فهو ليس جاهلاً باليوم. لا بُد أن نتذكر أن كنوز العِلم هذه قد أُخفيَت فيه، ولا نقول إنها ليست فيه لأنها مخفية. ولأنها في الله فهي فيه؛ ومخفية بسبب وجود سر. لكن المسيح، سِر الله، المذخر فيه كنوز العلم، ليس مَخفيًا عن عيوننا وأفهامنا. ولأنه هو نفسه السر، تعالوا نرى إن كان يجهل هذه الأمور التي لا يعرفها. إن كانت مجاهرته بالجهل في مكان آخر لا تتضمن أنه لا يَعلم، فسوف يكون من الخطأ هنا أيضًا دعوته جاهلاً، إن

---

* وهذا يطابق ما جاء في المخطوط السينائي، والذي يُعتبَر أقدم نص يوناني للرسالة. وقد ترجمتها البيروتية 'سر الله الآب والمسيح'، واليسوعية 'سر الله، أعني المسيح' وهي الأقرب لما ذكره ق. هيلاري. في حين قد ذكرتها بعض المخطوطات اليونانية الأخرى: 'سر الله والمسيح'، 'سر الله أبي المسيح'، 'سر الآب وسر المسيح'، وذُكِرَت في القبطي الصعيدي ⲡⲙⲩⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ MMYCTHPION أي 'سر الله'، وفي القبطي البحيري ⲡⲙⲛⲟⲩⲧⲉ ⲡⲙⲩⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ ⲛⲧⲉ ⲫⲛⲟⲩⲧⲉ MMNOYTE ⲛⲧⲉ ⲫⲛⲟⲩⲧⲉ ⲡⲙⲩⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ أي 'سر الله أبي المسيح'.{م}

[١٠٣] (كو ٢: ٢، ٣).

كان لا يعرف. إن جميع كنوز العلم مخفية فيه، **لذا فإن جهله هو بالأحرى تدبير وليس عدم معرفة**. وهكذا يمكننا أن نُعيِّن سببًا لجهله، دون افتراض أنه لم يكن يعرف.

عدم علمه بما يَعلمه ليس إلا تدبيرًا إلهيًا للخلاص في القول والفعل

٦٣- أينما يقول الله إنه لا يعرف، فإنه بالتأكيد يُقر بعدم معرفته، لكنه ليس تحت عيب الجهل. إن عدم معرفته ليس بسبب عجز الجهل، بل إما بسبب أن الوقت غير مناسب للكلام*، أو أن الخطة الإلهية في العمل تجعله يُحجِم عن الكلام#. هكذا يقول لإبراهيم: إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ،

---

* لكن ق. أثناسيوس له رأي آخر في مسألة عدم إفصاحه عن اليوم والساعة، إذ يقول "وأما الآن فلماذا رغم أنه كان يعرف، لم يخبر تلاميذه بوضوح في ذلك الحين؟ لا يستطيع أحد أن يفحص ما صمَت الرب عنه، لأنه مَن عرف فكر الرب؟ أو مَن صار له مشيراً؟ (رو١١:٣٤) ولماذا رغم أنه يعرف، قال 'ولا الابن' يعرف . أظن أن هذا لا يجهله أي واحد من المؤمنين: أنه قال هذا مثلما قال الأقوال الأخرى - كإنسان بسبب الجسد فهذا ليس نقصاً في **الكلمة**، بل هو من تلك الطبيعة البشرية التي تتصف بالجهل. وهذا أيضًا يمكن أن يُرى جيدًا. إن كان أحد يفحص المناسبة بإخلاص: متى ولمن تكلم المخلص هكذا؟ فهو لم يتكلم هكذا حينما خُلقت السموات بواسطته، ولا حينما كان مع الآب نفسه **الكلمة** الصانع كل الأشياء (انظر أم٨:٢٧-٣٠). وهو لم يقُل هذا أيضًا قبل ولادته كإنسان، ولكن حينما صار **الكلمة** جسدًا". *الرسالة الثالثة ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، صـ ٧٩، ٨٠.{م}

حيث لم يكن من مصلحة التلاميذ أن يعرفوا. وعن هذا يقول ق. أثناسيوس: "ومن جهة اليوم والساعة فهو لم يُرد أن يقول 'أعرف' بحسب طبيعته الإلهية و 'لا أعرف' بحسب الجسد، وذلك بسبب الجسد الذى كان يجهل، كما قُلت سابقًا، لئلا يسألوه أكثر، وعندئذ إما أن يُحزِن التلاميذ بعدم إجابته لهم، وإما أن يجيبهم بما لا يكون لمنفعتهم هم ونحن جميعًا. لأن كل ما

وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا. لِذَا فَسَوفَ أَنْزِلُ الْآنَ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الْآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ[١٠٤]. هنا نفهم أن الله لا يَعلم ما هو يعرفه رغم ذلك. إنه يَعلم أن خطيتهم قد عظمت جدًا، لكنه ينزل ثانيةً لكي يرى إن كانوا قد فعلوا بالتمام، ولكي يَعلم إن لم يكونوا قد فعلوا. إذًا فسوف نلاحظ أنه ليس جاهلاً بالشيء، رغم أنه لا يَعلمه، بل أنه يَعلم حينما يحين وقت العمل. بالتالي فإن عِلم الله ليس تحولاً من الجهل وإنما هو مجيء ملء الزمان. فهو لا يزال ينتظر أن يَعلم، لكننا لا يمكن أن نفترض أنه لا يعلم؛ لذا فإن عدم عِلمه بما يَعلمه، وعِلمه بما لا يَعلمه، ليس إلا التدبير الإلهي للخلاص في القول والفعل.

يعمله، إنما يعمله لأجلنا، حيث إن **الكلمة** صار جسدًا لأجلنا أيضًا" ويقول أيضًا: "فليس نافعًا للناس أن يعرفوا متى تكون النهاية أو متى يكون يوم النهاية، لئلا عندما يعرفون، يصيرون متهاونين في الفترة المتبقية من الزمن، وينتظرون فقط الأيام التي هي قُرب النهاية، لأنهم سيقولون إنهم ينبغي أن يهتموا بأنفسهم في ذلك الوقت فقط. لذلك أيضاً سكت (الرب) ولم يتكلم عن الوقت الذى سيموت فيه كل واحد لئلا عندما يصير الناس منتفخين بسبب المعرفة، فإنهم يهملون أنفسهم طوال الجزء الأكبر من زمانهم. إذًا **فالكلمة** قد أخفى عنا كلاً من نهاية كل الأشياء، ونهاية كل واحد منا. لأنه في الواقع، حينما يكون الوقت غير معروف، ونحن ننتظره دائمًا، فإننا كمدعوين نتقدم يومًا فيومًا، ممتدين إلى ما هو قدام وناسين ما هو وراء (أنظر فيلبي ٣:١٣)، لأن مَن هو الذى عندما يعرف يوم النهاية لا يكون متراخيًا خلال تلك الفترة، ولكن إن كان يجهل اليوم أفلا يصير مستعداً كل يوم؟". *الرسالة الثالثة ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، صـ ٨٨، ٨٩.{م}

[١٠٤] (تك ١٨: ٢٠، ٢١)

أمثلة من العهد القديم قد توحي بأن الله لا يَعلم

٦٤- فلا يمكننا إذًا أن نشك في أن عِلم الله يعتمد على السبب، وليس نتيجةً لتغيير قد حدث له؛ اعتماد الأمر على المناسبة ليس المقصود منه سبب الحصول على المعرفة، بل سبب إظهار المعرفة، كما يتضح مما قيل لإبراهيم: لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ إِلَهَكَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي[١٠٥]. فالله يَعلَم الآن، لكن العِلم الآن هو اعتراف بأنه كان يجهل الأمر قبل ذلك، ومع ذلك فإنه ليس صحيحًا أن الله لم يكن يَعلم بإيمان إبراهيم حتى الآن، فإنه مكتوب: فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا[١٠٦]. لذا فإن تلك العبارة 'الآنَ عَلِمْتُ' تُشير إلى وقت حصول إبراهيم على هذه الشهادة وليس إلى الوقت الذي بدأ الله فيه أن يَعلم. وبتقديم ابنه كمحرقة، أثبت إبراهيم الحُب الذي يكنّه لله، والله كان على عِلم بهذا عندما تكلم معه. ولذلك لا يجب أن نظُن أنه كان يجهل هذا الأمر حتى هذه اللحظة، بل يجب أن نفهم أنه كان يَعلم (بإيمان إبراهيم) في ذلك الوقت عندما تكلم معه.

---

[١٠٥] (تك ٢٢: ١٢)

[١٠٦] (رو ٤: ٣)

لقد اخترنا أمثلةً من بين النصوص العديدة في العهد القديم التي تشير إلى عِلم الله، لكي ندرك أن عدم عِلم الله بشيء لا ينتج عن عدم معرفة، بل بحسب ما تقتضي المناسبة*.

---

* وبخصوص المناسبة، قد ذكر ق. أثناسيوس موقفًا مشابهًا لم يُرِد فيه بولس الرسول الإفصاح أكثر من اللازم عما يعرفه جيدًا، حيث يقول: "يكتب الرسول في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: 'أعرف أنسانًا في المسيح قبل أربع عشرة سنة، أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم. الله أعلم' (٢كو١٢:٢). فماذا يقولون الآن؟ هل عرف الرسول ما قد حدث له في الرؤيا، رغم أنه يقول لا أعرف، أو لم يعرف؟ فإن كان لم يعرف فانتبهوا إذًا، لئلا إذ تتعودون على الخطأ تسقطون في مخالفة الفريجيين الذين يقولون إن الأنبياء وخدام الكلمة الآخرين لا يعرفون ما يفعلونه، ولا ما يكرزون به. ولكن إن كان (الرسول) يَعرف، حينما قال لا أعرف، لأنه كان قد أخذ المسيح في داخله - الذى يكشف له كل الأشياء - أفلا يكون قلب أعداء الله هؤلاء منحرفًا بالحقيقة ومدانًا من نفسه؟ لأنه في الوقت الذى يقول الرسول 'لا أعرف' يقولون هم إنه يعرف، بينما حينما يقول الرب 'لا أعرف' يقولون هم إنه لا يعرف، لأنه إن كان بسبب أن المسيح كان فيه، عَرف بولس هذا الذى قال عنه إنه لا يعرفه. أفلا (يعرف) المسيح نفسه بالأكثر، حتى وإن قال 'لا أعرف'؟ إذًا فبسبب أن الرسول قد كُشف له الرب، فإنه عرف ما رآه، لهذا يقول: 'أعرف إنسانًا في المسيح'، ولأنه يعرف الإنسان، فهو يعرف أيضًا كيف أختُطف هذا الإنسان... ومع ذلك فبولس يقول: 'لا أعرف'، لهذين السببين على الأقل كما أظن. الأول كما قال هو نفسه لئلا بسبب كثرة الإعلانات يظن أحد فيه أكثر مما يراه. والسبب الثاني هو أن مخلصنا قد قال 'لا أعرف'، فيليق به هو أيضًا أن يقول 'لا أعرف'، لئلا يَظهر أن العبد أعظم من سيده، والتلميذ أفضل من معلمه". *الرسالة الثالثة ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، صـ ٨٥- ٨٧.{م}

أمثلة من العهد الجديد

٦٥- سوف نجد في الأناجيل أمثلةً كثيرةً حيث يعَلم الرب ما لا يَعلمه. فهو لا يَعلم فاعلي الإثم، الذين يتمجدون بأعمالهم القديرة وباِسمه، إذ يقول لهم: فَحِينَئِذٍ أُقْسِمُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ. اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ*. فهو يؤكد لهم بالقَسَم إنه لا يعرفهم مع أنه يَعلم أنهم فاعلو الإثم. هو لا يعرفهم ليس لأنه لا يعرف، وإنما لأنهم غير مستحقين أن يعرفهم بسبب أعمالهم الشريرة، بل ويؤكد رفضه لهم بقَسَمٍ مقدسٍ. **هو بقوة طبيعته لا يمكن أن يكون جاهلاً، ولكنه رفض أن يعرف بسر إرادته.** وأيضًا، فإن الله غير المولود لم يَعرف العذارى الجاهلات؛ إنه يجهل اللواتي أهملن في إعداد الزيت حينما دخل حُجرة مجيئه المجيد. لقد جِئن يتوسلن إليه، أما هو فصرخ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ[١٠٧]. إن مجيئهن وتوسلهن قد أجبره أن يعترف لهن، لكن تأكيده على عدم معرفته يشير إلى إرادته، وليس لطبيعته؛ إنهن لا يستحققن أن يكنَّ معروفات لدى مَن يَعلم كل شيء. ولكي لا نَنسِب عدم معرفته إلى الضَعف، قد قال لرُسله على الفور: فَاسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ**. حينما يأمرهم بالسهر لأنهم لا

---

* (مت ٧: ٢٣) ولم أجد تعبير القسم في أي نص يوناني أو قبطي أو في الفولجاتا أو البشيتا، بل الكل قد ذكرها "أعترف" أو "أصرح".{م}

[١٠٧] (مت ٢٥: ١٢)

** (مت ٢٥: ١٣) وعن هذا يقول ق. أثناسيوس: "ولهذا السبب، فبعد أن قال "ولا الابن يعرف"، وتحدث عن جهل الناس في أيام نوح، أضاف مباشرةً قائلاً: "اسهروا إذن، لأنكم لا تعلمون

يعرفون اليوم ولا الساعة، فهو يشير إلى أنه لم يعرف العذارى لأنهن بسبب النعاس والإهمال لم يكُن لهنَّ زيتًا، فصرن غير مستحقات للدخول إلى حجرته.

٦٦- إذًا فالرب يسوع المسيح، الذي هو فَاحِصَ الْقُلُوبِ وَالْكُلَى[١٠٨]، ليس لديه ضَعف في طبيعته، لدرجة أنه لا يَعلم، فإننا قد رأينا أن حقيقة عدم معرفته تنشأ عن العِلم الكُلي لطبيعته. ومع ذلك فإن وُجِد مَن ينسبون إليه الجهل، فليحذروا لئلا يقول لهم مَن يَعلم أفكارهم: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟[١٠٩] فإن الذي يَعلم الكل، رغم عدم جهله بالأفكار والأعمال، يسأل أحيانًا عنها كما لو كان يجهلها، مثال ذلك عندما سأل المرأة التي لمست هُدب ثوبه، أو عندما سأل الرسل لماذا يتنازعون فيما بينهم، وسأل الذين

في أية ساعة يأتي ربكم" وأيضاً "في ساعة لا تعلمون يأتي ابن الإنسان" (مت ٢٤: ٤٢، ٤٤)، ولكن إذ قد صرت مثلكم من أجلكم، قلت "ولا الابن". لأنه لو كان يجهل كإله كان ينبغي أن يقول *"اسهروا إذن، لأني لا أعرف، وفى ساعة لا أعلمها"*، ولكن في الواقع ليس هذا هو ما قاله. ولكنه بقوله "لا تعلمون" و "في ساعة لا تعلمونها" أوضح بذلك أن الجهل خاص بالبشر، الذين لأجلهم أخذ جسدًا مشابهًا لأجسادهم، وصار إنسانًا وقال "ولا الابن يعرف" لأنه لا يعرف بالجسد رغم أنه يعرف **ككلمة**... وأيضًا في مثل العذارى يَظهر بوضوح أكثر مَن هم الذين كانوا يجهلون اليوم والساعة بقوله "اسهروا إذن، لأنكم لا تعرفون اليوم والساعة" (مت٢٥: ١٣). والذى قال قبل ذلك بقليل "لا أحد يعرف ولا الابن" (مت ٢٤: ٣٦) لا يقول الآن "لا أعرف" بل يقول "أنتم لا تعرفون".'' *الرسالة الثالثة ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، صـ ٨٣، ٨٤.{م}

[١٠٨] (مز ٧: ٩)

[١٠٩] (مت٩: ٤)

كانوا يبكون عند قبر لعازر. لكن جهله لم يكن جهلاً سوى في الكلمات*. ليس من المنطق أن يَعلم بموت لعازر ودَفْنه عن بُعد ولا يَعلم بمكان دَفْنه؛ أن يقرأ أفكار العقل ولا يُدرك إيمان المرأة؛ ألا يحتاج أن يسأله أحدٌ عن أي شيء[١١٠]، ويكون غير عالمٍ بالخلاف فيما بين الرسل. ولكن لأجل تدبير الخلاص، فإن الذي يَعلم بكل الأشياء يتظاهر أحيانًا بالجهل رغم أنه ليس جاهلاً. ففي حالة إبراهيم، أخفى الله عِلمه إلى حين، وبالنسبة للعذارى الجاهلات وفاعلي الإثم قد رفض أن يَعرف غير المستحقين؛ ففي سِر ابن الإنسان تُعبِّر أسئلته عن ناسوته، كما لو كان لا يعرف. لقد عَمل وِفقًا لولادته الحقيقية بالجسد في كل شيء تتعرض له طبيعتنا، ليس بصيرورته ضعيفًا بطبيعته الإلهية، بل أن الله المولود كإنسان قد اتخذ ضَعف البشر، ولكن ليس بجعله طبيعته غير القابلة للتغير طبيعةً ضعيفةً، فإن الطبيعة غير المتغيرة هي التي من خلالها قد تجسد بطريقة سرية. ذاك الذي كان إلهًا صار إنسانًا، لكنه مع صيرورته إنسانًا لم يكُف عن أن يكون إلهًا. فبينما يتصرف كمَن وُلد إنسانًا، مؤكِّدًا هذه الحقيقة، إلا أنه رغم بقائه الله **الكلمة** يستخدم كثيرًا لغة البشر -رغم أنه الله، ويتكلم كإله، إلا أنه يستخدم كثيرًا

---

* وعن هذا يقول ق. أثناسيوس: "وهكذا أيضًا في حالة لعازر فهو يسأل كإنسان بينما كان في طريقه لكي يقيمه، ويعرف مِن أين سيدعو نفس لعازر مرةً ثانيةً. وقد كان أمرًا أعظم أن يعرف أين كانت النفس أكثر من أن يعرف أين وُضع الجسد، ولكنه سأل إنسانيًا لكي يُقيمه إلهيًا". *الرسالة الثالثة ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، صـ ٨٥.{م}

[١١٠] قارن (يو ١٦: ٣٠)

المصطلحات البشرية - فلا يَعلَم تلك الأمور التي لا يجب أن يُفصح عنها في تلك اللحظة، أو التي لا تستحق اعترافه.

٦٧- يمكننا أن نفهم الآن لماذا قال إنه لا يَعلم اليوم. إن اعتقدنا أنه كان جاهلاً فعلاً، فسوف نُناقض الرسول الذي يقول: الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ. هناك عِلم مخفي فيه، ولأنه لا بُد أن يُخفى، فلا بُد أن يُقبَل أحيانا كجهلٍ، لأنه بمجرد إعلانه لن يبقى سرًا. لذا فلكي يبقى العِلم مخفيًا، فقد أظهر أنه لا يعرف. لكن إن كان لا يعرف، لكي يظل العِلم مخفيًا، فإن جهله ليس بسبب طبيعته، العالمة بكل شيء، بل هو جاهل فقط لجعله مخفيًا. فليس من الصعب إدراك سبب إخفاء معرفة اليوم. إنه يحُثنا على أن نكون في حالة استعداد على الدوام ونحن نجاهد في الإيمان، فقد مَنع عنا معرفةً معينةً، لكي تظل عقولنا ممدودةً بقلق الحيرة، وبينما هي تتعجل وتنتظر باستمرار يوم مجيئه، يمكنها أن تتطلع إليه برجاء*؛ فبالرغم من أننا نعرف أن الوقت لا بُد أن يجيء، إلا أن ذلك الجهل عينه يجعلنا حريصين ويقظين. لذلك يقول الرب: لِذلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ[١١١]. وأيضًا: طُوبَى لِذلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هكَذَا[١١٢]. لذا فإن الجهل وسيلة، ليس لغرض الخداع، وإنما لأجل التشجيع على المثابرة. أن تُنكَر عليك المعرفة التي بلا نفع لك ليس خسارةً،

---

* نفس تفسير ق. أثناسيوس. راجع التعليق على فقرة ٦٣.{م}

[١١١] (مت ٢٤: ٤٤).

[١١٢] (مت ٢٤: ٤٦).

فإن ضمان المعرفة قد يسبب إهمالاً للإيمان، الذي هو الآن مخفي، بينما حيرة التوقع تجعلنا مستعدين بشكل مستمر، مثل رب الأُسرة الذي لخوفه من الخسارة يسهر ويحرُس خوفًا من مجيء اللص، الذي يختار وقت النوم ليقوم بعمله.

٦٨- من الواضح إذًا أن عدم معرفة الله ليس جهلاً بل هو سِر؛ لأنه وفقًا لتدبير أعماله وكلماته وإعلاناته هو لا يَعلم وفي نفس الوقت يَعلم، أو يَعلم وفي نفس الوقت لا يَعلم. ولنا أن نتحقق إن كان عدم معرفة الابن بما يعرفه الآب هو بسبب عجز الابن. ربما هو يستطيع أن يعرف أفكار قلوب البشر، لأن طبيعته الأقوى يمكنها أن تلصق نفسها بالأضعف في كل حركاتها، وبقوة قدرتها، كما لو كانت تمر من خلال الطبيعة الضعيفة*. ولكن الطبيعة الضعيفة لا تقدر أن تخترق الطبيعة الأقوى؛ الطبيعة الخفيفة يمكن أن تُخترق من الثقيلة، والمخلخَلة يمكن أن تُخترق من الكثيفة، والسائلة من المصمتة، لكن الطبيعة الثقيلة لا تُخترَق من الخفيفة، ولا الكثيفة من المخلخَلة، ولا المصمتة من السائلة، لأن القوية غير مكشوفة للضعيفة، ولكن الضعيفة يمكن أن تخترقها القوية. مِن هنا

* وهو هنا يقصد الطبيعة البشرية التي يمكن لله ذي الطبيعة الروحية أن يخترق عقلها وأفكارها بسهولة، لكن لا يمكن أن يحدث العكس. "لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا" (عب ٤: ١٢، ١٣).{م}

يقول الهراطقة إن الابن لا يعرف أفكار الآب لأنه لا يقدر أن يقترب من الأقوى ويخترقه، أو يمر من خلاله، لكونه ضعيفًا.

في سِر الطبيعة غير المنفصلة يعكس الواحد صورة الآخر

٦٩- وإن تجرأ أحد ليس فقط أن يقول بتهور لسانه مثل هذا الكلام عن الإله الابن الوحيد، بل أيضا أن يفكر بمثل هذه الأفكار في قلبه الشرير، فليسمع اعتقاد الرسول في الروح القدس، من الكلمات التي كُتبَت لأهل كورنثوس: بَلْ أَعْلَنَهُ الله لَنَا نَحْنُ بالرُّوحِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ. لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ[١١٣]. فلنحتقر الأمثلة العقيمة التي للأمور المادية، ونحكُم على الله المولود من الله، الروح من الروح، بما له من قوة، وليس بالشروط الأرضية. لنحكُم عليه ليس حسب طريقة تفكيرنا، بل حسب أقواله الإلهية. فلنُصدِّق مَن قال: مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا[١١٤]. دعونا لا ننسى قوله: آمِنُوا، وَلَو حَتَّى بِالأَعْمَالِ، أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ*، وأيضًا: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ[١١٥]. إن كانت الأسماء التي تتوافق مع الحقائق تمنحنا معلومةً صحيحةً، حينما تُستَخدَم بشكلٍ عقلانيٍ، إذًا فهذا

---

[١١٣] (١كو ٢: ١٠- ١٢).

[١١٤] (يو ١٤: ٩)

* (يو ١٠: ٣٨) لكنه ذكرها هذه المرة بتصرف.{م}

[١١٥] (يو ١٠: ٣٠)

الذي يُرى في آخرٍ بعين الفهم ليس مختلفًا عن ذاك الآخر في الطبيعة؛ ليس مختلفًا في الجوهر، لأنه كائن في الآب، والآب فيه؛ ليس منفصلاً، لأن كليهما واحد. لاحظوا وحدتهما لأن طبيعتهما لا تنفصل، وافهموا سِر الطبيعة غير المنفصلة باعتبار الواحد يعكس صورة الآخر. لكن تذكروا أنه ليس صورةً تنعكس بإشراق طبيعة بعيدة عنها، وإنما هي طبيعة حية، في تطابق مع طبيعة الآب الحية، مستمَدةً بالتمام من كامل أبيه، وبما أنه الابن الوحيد، فهو يمتلك الآب في ذاته، ويبقى في الآب لأنه الله.

وحدة الإرادة تعني أيضًا وحدة المعرفة

٧٠- لا يمكن للهراطقة أن يُنكروا أن الرب قد استَخدم تلك الكلمات لإعلان سِر ميلاده، لكنهم يحاولون التهرب منها بنَسبِها إلى توافق الإرادة. إنهم لا يجعلون وحدة الله الآب والله الابن من لاهوت واحد، بل وحدة للمشيئة فقط؛ *كما لو كانت التعاليم الإلهية فقيرة في التعبير، وكأن الرب لم يقدر أن يقول، "أنا والآب واحد في المشيئة"؛ أو كما لو كانت تلك الكلمات لها نفس المعنى مثل، أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ؛ أو كأنه كان يقصد، "الذي رأى مشيئتي قد رأى مشيئة أبي أيضًا"، لكنه لعدم فصاحته، قد حاول أن يُعبِّر عن تلك الفكرة بقوله، مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا*؛ أو كما لو أن مفردات اللغة الإلهية لم تحتوي على مصطلحات عبارة: "مشيئة أبي فيَّ ومشيئتي في الآب"، بل عُبِّر عن هذه الفكرة في: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ . كل هذا يثير الشعور بالغثيان وهو هراء شرير؛ العقل العادي يدين رأي مثل تلك

الأوهام السخيفة، كأن الرب لم يمكنه أن يتكلم عما أراد، أو لم يقُل ما قال. صحيح أننا نجده بأمثال ورموز، لكنه أمرٌ مختلفٌ أن تُدعِّم كلمات أحد بتوضيحات، أو تُرضي كرامة الفاعل بمساعدته بالأمثال المكشوفة، أو أن تكيِّف لغة أحدٍ على متطلبات اللحظة. أما تلك العبارة التي بخصوص الوحدة، والتي نتكلم عنها، فلا تسمح لنا بأن نبحث عن المعنى خارج المعنى الواضح للكلمات. فإن كان الآب والابن هما واحد، بمعنى أنهما واحد في الإرادة، وإن كانت الطبائع القابلة للانفصال لا يمكن أن تكون واحدةً في الإرادة، لأن اختلاف نوعهم وطبيعتهم يؤدي بهم إلى اختلاف الإرادة والرأي، فكيف يكونون واحدًا في الإرادة، ولا يكونون واحدًا في المعرفة؟ لا يمكن أن توجد وحدة للإرادة بين الجهل والمعرفة. إن العِلم بكل شيء والجهل بكل شيء متعارضان، والمتعارضات لا يمكن أن تكون لها نفس المشيئة.

عِلم الله لا يعني معرفة ما لم يكن معروفًا لديه، بل الإعلان عنه

٧١- قد يمكننا التمسك بإثبات أن الابن يَعترف بالجهل بقوله إن الآب وحده يعرف. لكنه لو لم يكن قد قال صراحةً إن الآب وحده يعرف، فسوف تكون هناك الخطورة العُظمى على فهمنا، لأننا ربما نظن أنه هو نفسه لا يعرف. فبما أن عدم عِلمه هو بسبب تدبير العِلم المخفي، وليس بسبب طبيعة قابلة للجهل، فالآن رغم قوله إن الآب وحده يَعلم، إلا أننا لا يمكننا الاعتقاد بأنه لا يَعرف؛ كما سبق وأشرنا، **فإن عِلم الله لا يعني**

معرفة ما لم يكن معروفًا لديه، بل الإعلان عنه. حقيقة أن الآب وحده يَعلم ليست إثباتًا لأن الابن جاهل؛ هو يقول إنه لا يَعلم لكي لا يَعلم الآخرون. وسبب تأكيده أن الآب وحده يَعلم هو إثبات أنه هو نفسه أيضا يَعلم. لو قُلنا إن الله قد عَلِم بمحبة إبراهيم له، عندما لم يُخف هذه المعرفة عنه، هكذا أيضا قد قيل إن الآب يَعلم اليوم لأنه لم يُخفه عن الابن، لأن الله لا يَستمد عِلمه من إدراكٍ مفاجئٍ، وإنما يوضِّح معرفته في الوقت المناسب. وإن كان إذًا، وِفقًا للسِر الإلهي، أن الابن لا يَعرف اليوم، فذلك لكي لا يكشفه؛ من ناحية أخرى، يمكن فقط إثبات أن الآب يَعرف اليوم من حقيقة أنه قد أَعلن عن ذلك.

الله غير قابل للتغيير

٧٢- حاشا لنا أن نتخيل وجود تقلبات التغير الجسدي في الآب والابن، بحيث يتكلم الآب أحيانًا مع الابن وأحيانًا يصمت. نحن نتذكر بالفعل أن صوتًا كان يتكلم من السماء من حين إلى آخر لأجلنا، كي تُثبِت لنا كلمات الآب سِر الابن، حيث يقول الرب: لَيْسَ مِنْ أَجْلِي صَارَ هذَا الصَّوْتُ، بَلْ مِنْ أَجْلِكُمْ[١١٦]. لكن الطبيعة الإلهية لا تحتاج الوظائف المتعددة الضرورية لوظائف الإنسان، مثل حركة اللسان، وضبط الفم، والتحكم في النفَس، واهتزاز الهواء. الله كيان بسيط، ولا بُد أن نفهمه بوقار ونُعلن عنه بتقوى. لا بُد أن يُعبَد، ولا نحاول فهمه بحجج وبراهين العقل، لأن الطبيعة المحدودة

[١١٦] (يو ١٢: ٣٠)

والضعيفة لا يمكنها أن تدرِك سِر الطبيعة اللانهائية والقادرة على كل شيء بقوة فهمها. إذًا فالله لا يتغير، وكأن اللاهوت يتكوَّن من أجزاء، بحيث تتم مشيئته بَعد السكون، أو الكلام بعد الصمت، أو العمل بعد الراحة، أو أنه لا يمكنه أن يشاء دون أن يمُر من التفكير إلى الإرادة، أو أنه لا يقول شيئًا دون كسر الصمت بصوته، أو أنه لا يعمل شيئًا ما لم يتقدم للعمل. إنه لا يخضع لقوانين الطبيعة لأن الطبيعة قد استمدت قوانينها منه؛ ولا يعاني أبدًا من ضَعف أو تغيُّر حينما يعمل، لأن قوَّته بلا قيود، كما قال الرب: أَيُّهَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ*. ولذا فإنه يمكنه أن يَعمل أكثر مما يمكن للعقل البشري أن يدركه. إن الرب لم يُجرِّد ذاته من خاصية القدرة على كل شيء، فإنه يقول: مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ[١١٧]. لا يوجد شيء صعب، حينما لا يكون هناك ضَعف، لأن القوة التي لا تقدر أن تعمل هي فقط التي تعرف الاحتياج إلى الجهد. إن سبب الصعوبة هو ضَعف القوة المحرِّكة، لأن القوة التي لا حدود لقدرتها ترتفع فوق حدود العجز.

الروح القدس لا يأخذ من مخلوق ليعطينا

٧٣- لقد أكدنا هذه الحقيقة لكي لا يعتقد أحد أن الله كلَّم الابن بعد أن كان صامتًا، أو أن الابن بدأ يَعلَم بعد أن كان جاهلاً. ولكي تصل

---

* (مر ١٤: ٣٦) مع ملاحظة أنه أغفل ذكر "أبا" التي تسبق "أيها الآب"، رغم وجودها في كل مخطوطات النصوص اليونانية واللاتينية والقبطية.{م}

[١١٧] (يو ٥: ١٩)

المصطلحات إلى عقلنا، لا بُد أن تُستَخدَم بما يتناسب مع طبيعتنا؛ وبهذا نحن لا نفهم التواصل إلا بكلمة الفم، أو ندرك سوى أن المعرفة هي عكس الجهل التام. وعليه، فإن الابن لا يَعلم اليوم لأجل أنه لا يريد أن يُعلنه؛ هو يقول إن الآب وحده يَعلمه لأنه يُعلنه للابن وحده. ولكن، كما قلنا، فإن المسيح لا يَخضع لصعوبات الطبيعة مثل الجهل الذي لا بُد أن يُزال قبل أن يمكن أنه يُعلم بشيء، أو للمعرفة التي ليست له قَبل أن يبدأ الآب في الكلام عنها. الابن الوحيد قد أوضح وحدة طبيعته مع الآب عندما قال بكلمات لا لبس فيها: كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي*. إنه لا يتحدث الآن عما سيحصل عليه، لأن امتلاكك لأشياء خارجة عنك شيء، وأن تكون ذاتي الاحتواء وذاتي الوجود شيء آخر. إن الحالة الأولى تعني امتلاكه للسماوات والأرض والكون، وأما الثانية تعني أنه قادرٌ على وصف نفسه بخواصه الخاصة، التي له، ليس كأنها شيء خارجي، بل أنه شيء هو ذاته كائن به. لذا، فحينما يقول إن كل ما للآب هو له، إنما هو يشير بذلك إلى الطبيعة الإلهية، وليس إلى مشاركته في مِلكية عطايا ممنوحة. وفي صدد قوله إن الروح

---

* (يو ١٦: ١٥) يقول ق. أثناسيوس: "إن كان كل ما للآب هو للابن، ومن خصائص الآب أن يعرف اليوم، فواضح أن الابن أيضًا يعرف اليوم إذ إن له هذه الخاصية من الآب. وأيضًا إن كان الابن في الآب والآب في الابن. والآب يعرف اليوم والساعة، فواضح أن الابن لكونه في الآب ويعرف هو أيضًا اليوم والساعة، فواضح أن الابن لكونه في الآب ويعرف كل ما هو للآب، هو نفسه أيضًا يعرف اليوم والساعة. وإن كان الابن هو أيضًا صورة الآب ذاته، والآب يعرف اليوم والساعة فواضح أن الابن له هذه المماثلة أيضًا للآب في معرفة اليوم والساعة". *الرسالة الثالثة ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، صـ ٨٢.{م}

القدس سوف يأخذ منه يقول: كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي؛ أي أن الروح بينما يأخذ منه فهو يأخذ من الآب أيضًا، فإنه عندما يأخذ من الآب، فهو يأخذ منه أيضًا. الروح القدس هو روح الله، ولا يأخذ من مخلوق، بل يُعلِّمنا أنه يأخذ كل تلك المواهب لأنها كلها من الله. كل ما للآب هو للروح، لكننا لا ينبغي أن نعتقد بأن ما يأخذه من الابن لا يأخذه أيضًا من الآب، لأن كل ما للآب هو للابن أيضًا.

٧٤- إذًا فطبيعة المسيح لا تحتاج إلى حدوث تغيير، أو سؤال، أو إجابة، حتى تَكتسب عِلمًا بعد جهل، أو تسأل ممن استمر في الصمت، أو تنتظر سماع إجابته؛ لكن بسُكناها الكامل في وحدة سرية معه، فإنها تأخذ من الله كل وجودها، لأنها قد استمدت منه أصلها. وعلاوة على ذلك، فإنها قد أَخذَت كل ما خَص الوجود الكامل لله، أي عِلمه ومشيئته. ما يَعلمه الآب لا يتعلمه الابن بالسؤال والإجابة؛ ما يريده الآب لا يريده الابن بالأمر. ولأن كل ما للآب هو له، إذًا فطبيعته تملُك المشيئة والمعرفة، تمامًا مثلما يشاء الآب ويَعلم. ولأجل أن يُثبت ولادته، قد اعتاد أن يَكشف التعليم عن شخصه، مثلما حين قال: لَمْ آتِ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي[١١٨]. هو يعمل مشيئة الآب، لا مشيئته الخاصة، وهو بقوله: مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي، يقصد أباه. وكونه هو نفسه يشاء نفس الشيء مُعلَن بصريح العبارة في كلماته: أَيُّهَا الآبُ، أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ

[١١٨] (يو ٦: ٣٨) بتصرف. وهو هنا يقصد إظهار تمايز أقنومه عن أقنوم الآب بذكره لوجود مشيئتين، وليس للتفريق بينهما في المشيئة.

أَكُونُ أَنَا[١١٩]. الآب يشاء أن نكون مع المسيح، الذي فيه قد اختارنا من قَبل تأسيس العالم[١٢٠]، كما يقول الرسول (بولس)، والابن يشاء نفس الشيء، أي أن نكون معه. إن مشيئته إذًا واحدة في الطبيعة مع مشيئة الآب، ولكنه يُميِّز مشيئته عن مشيئة الآب لتوضيح حقيقة ولادته.

لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ

٧٥- ومن هنا، فإن الابن لا يجهل شيئًا مما يَعلمه الآب، وليس معنى أن الآب وحده يَعلم، أن الابن لا يَعلم. الآب والابن يَثبُتان في وحدة الطبيعة، وجهل الابن يتعلق بالخطة الإلهية للصمت، الذي هو مخفي فيه جميع كنوز الحكمة والعلم. هذا قد شهد الرب عنه بنفسه، عندما أجاب الرسل الذين سألوه عن الأزمنة: لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ[١٢١]. لقد مُنعَت عنهم المعرفة، وليس هذا فقط، بل إنه غير مسموح لهم أن يقلقوا بخصوص المعرفة، لأن ليس لهم أن يعرفوا تلك الأزمنة. مع ذلك، فهم يسألونه الآن بعد القيامة* عن الأزمنة، رغم أنه قد

---

[١١٩] (يو ١٧: ٢٤)

[١٢٠] (أف ١: ٤)

[١٢١] (أع ١: ٧)

* يقول ق. أثناسيوس "وهكذا كُتب في أعمال الرسل، أنه حينما صعد مع الملائكة، فقد صعد كإنسان ورَفع معه إلى السماء الجسد الذى لبسه، وقبل أن يرى التلاميذ هذا سألوه أيضاً متى تكون النهاية ومتى تأتى أنت؟ قال لهم بأكثر وضوح "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه". وعندئذ لم يقُل: "ولا الابن" كما سبق وقال إنسانيًا، بل قال:

قيل لهم سابقًا عندما طرحوا هذا السؤال أن حتى الابن لا يَعلم. إنهم لم يفهموا هذا الكلام بمعناه الحرفي، أن الابن لا يَعلم، لأنهم يسألونه مرة أخرى كمَن يَعلم. لقد أدركوا أن سِر عدم معرفته هو وِفق الخطة الإلهية لالتزام الصمت، وهم الآن بعد قيامته يُعيدون السؤال، معتقدين أن الوقت قد حان للكلام. والابن لم يعُد يُنكِر أنه يعرف، بل يخبرهم أنه ليس لهم أن يعرفوا، لأن الآب قد وَضع هذا الأمر في سلطانه. وإن كان الرُسل قد عزوا عدم معرفة الابن باليوم إلى الخطة الإلهية، وليس للضعف، فهل نقول نحن إن الابن إذًا لا يَعلم اليوم لأنه ليس هو الله؟ تذكَّروا، إن الله الآب قد حَدَّد هذا اليوم بسلطانه، لكي لا تصل هذه المعرفة إلى البشر، وعندما سؤل الابن قبل هذا، أجاب بأنه لا يَعلم، أما الآن فإنه لا يُنكر معرفته، بل يقول إنه ليس لهم أن يعرفوا وأن الآب لم يضع هذه الأزمنة في عِلمه، بل في سلطانه الخاص. اليوم والساعة هما ضمن كلمة 'الأزمنة'، فهل يمكن أن نظن أن الذي سيرُد المُلك لإسرائيل، لا يَعلم هو نفسه اليوم والساعة التي فيها يرُده؟ إنه يقودنا إلى إدراك دليل ميلاده في هذا الامتياز الخاص الذي للآب، ومع ذلك فهو لا يُنكر أنه يعرف؛ وبينما هو يُعلِن أن امتلاك هذه المعرفة ممنوع عنا، يؤكد أنها تخُص سِر سلطان الآب.

"ليس لكم أن تعرفوا"، لأن الجسد عندئذ كان قد قام وخلع عنه الموت وتأله، ولم يعد يليق به أن يجيب حسب الجسد عندما كان منطلقًا إلى السموات". *الرسالة الثالثة ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، صـ ٨٨.{م}

[١٢٢] وليس لنا أن نتصور أن الابن لا يَعلم لأنه قال إنه لا يَعلم اليوم ولا الساعة. لقد بكى كإنسان، ونام، وحَزَن، لكن الله ليس عُرضةً للبكاء أو المخاوف أو النوم. بحسب ضعف جسده قد أدمع، ونام، وجاع، وعطش، واكتئب، وخاف، دون أن يُفسد حقيقة طبيعة بنوته الوحيدة*؛ بالمثل أيضًا لا بُد أن ننسب لطبيعته البشرية، قوله إنه لم يَعلم اليوم ولا الساعة.

---

[١٢٢] تلك الفقرة الأخيرة غير موجودة في الكثير من المخطوطات، رغم وجودها في العديد من المراجع المهمة. إنها تقدم تفسيرًا مختلفًا عن الذي قد تبناه ق. هيلاري في نهاية هذا الكتاب (بالأخص في الفقرة ٥٩)، إذ يذكر أن المسيح قد تجنب إعلان ما يعلمه بالفعل، بقوله إنه لم يَعلم. نفس السياق هنا هو الموجود في الفقرة التي وجدها إراسموس (عالم كنسي عاش في القرنين ١٥، ١٦) ووضعها في الكتاب العاشر فقرة ٨. هذه واحدة من الإضافات التي عُمِلَت في أوقات متأخرة - رغم أنها لا تزال مبكرةً - لتصحيح أو إكمال تعليم ق. هيلاري؛ راجع الكتاب العاشر فقرة ٨، والتعليق.

* وهو ما قاله ق. أثناسيوس "كما أنه إذ صار إنسانًا فهو كان يجوع ويعطش ويتألم مع الناس، هكذا مع الناس كإنسان فهو لا يعرف، رغم أنه كإله إذ هو **كلمة** الآب **وحكمته** فهو يعرف، ولا يوجد شيء لا يعرفه". *الرسالة الثالثة ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، صـ ٨٤.{م}

الكتاب العاشر

الحق يأتي لمَن يطلبه

١- من الواضح أن كل ما قاله البشر على الدوام كان مُعرضًا للمعارضة. لأنه عندما تُعارِض الإرادة يُعارِض العقل أيضًا، فهو بنزعة الرأي المعارِض يشن الحرب، ويُنكر التأكيدات التي يعارضها. وعلى الرغم من أن كل كلمة نقولها لا تقبل جَدَلاً لو قيست بمقياس الحق، إلا أن الناس يفكرون أو يشعرون بشكل مختلف، ومع ذلك فكلمة الحق تكون عُرضةً دائمًا لمعارضات الأعداء، لأنهم يهاجمون الحق الذي لا يفهمونه أو لا يحبونه، بسبب ضلال الخطأ أو بسبب التحامل. لقد تشبَّثوا بآرائهم بعنادٍ مفرِطٍ، وحُب الجدال لا يمكن أن يُقاد بعيدًا عن الطريق الذي قد اتخذه، طالما لا تخضع الإرادة إلى العقل. إن الاستعلام عن الحقيقة يُفسِح مجالاً للبحث عن إثباتات لِما نريد أن نؤمن به، لأن الرغبة أقوى من الحق. لذا فإن النظريات التي نمزجها تبني نفسها على الأسماء أكثر من الأشياء، فيأخذ منطق الإجحاف مكان منطق الحق، ويسود المنطق الذي تضبطه الإرادة لكي تدافع عن رغباتها، وليس الذي يُحث الإرادة من خلال فهم الحق بالمنطق. من خلال عيوب تلك الروح الموالية يَظهر كل جدل بين النظريات المتعارضة. ثم تأتي المعركة العنيدة بين الحق الذي يؤكد نفسه، والإجحاف الذي يدافع عن نفسه؛ الحق يحافظ على مكانته، والإجحاف يقاوِم. لو لم تَسبق الإرادة العقل، ولو حرَّكنا فهم الحق للرغبة فيما كان حقيقيًا، بدلاً من محاولة بناء

رغباتنا كتعاليم، فيجب علينا أن نترك تعاليمنا تَفحص رغباتنا؛ لن يكون هناك أي تعارض مع الحق، لأن كل واحد سوف يبدأ بالرغبة بما كان حقيقيًا، وليس بالدفاع عن الحق الذي يبتغيه.

٢- كان الرسول على درايةٍ بخطية العِناد تلك، حينما كَتب لتيموثاوس بعد العديد من النصائح بالشهادة للإيمان والوعظ بالكلمة: لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ، فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَيَنْحَرِفُونَ إِلَى الْخُرَافَاتِ[١]. فحينما يقودهم حماسهم الشرير بعيدًا عن التعليم الصحيح، فسيجمعون لهم معلمين لخرافاتهم، أي، سيُنشِئون مخططات للتعليم تتناسب مع رغباتهم الخاصة، غير راغبين أن يتعلموا، بل يجمعوا لهم معلمين يخبرونهم بما يريدون؛ لكي يشبعوا بتعاليم شهواتهم الهائجة بواسطة هذا العدد الكبير من المعلمين الذين بحثوا عنهم وجمعوهم معًا. لكن إن لم يدرِك هؤلاء المجانين في حمقهم الكافر بأي روح يرفضون التعليم الصحيح، ويتوقون إلى التعليم الفاسد، فليسمعوا كلام نفس الرسول لنفس التلميذ تيموثاوس، عن هذا الأمر من الكلمات التي كتبها الرسول نفسه إلى تيموثاوس أيضًا قائلاً: وَلكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحًا: إِنَّهُ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحًا مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينَ، فِي رِيَاءِ أَقْوَالٍ كَاذِبَةٍ[٢]. ما هو المكسب من وراء التعليم لاكتشاف ما يتخيله أحد، وليس

---

[١] (٢تي ٤: ٣، ٤)

[٢] (١تي ٤: ١، ٢)

ما ينبغي أن يتعلمه؟ ما هي القداسة في تعليم لا نريد فيه ما ينبغي أن نتعلمه، بل نَجمع تعاليم لتحقيق رغباتنا؟ لكن هذا هو ما تُلقِّنه الأرواح المُضلة. إنها تؤكد أكاذيب الورع المُصطَنَع، فإن النفاق المُرائي يأتي دائمًا في أعقاب الارتداد عن الإيمان؛ كي على الأقل يُحتفظ بالتقوى في الكلمة التي اختفت من وعيهم. حتى إن تلك التقوى المُصطَنَعَة هي عديمة التقوى بكل طُرق أشكال الكذب، مُدنِّسة لقداسة الإيمان بمخططات التعليم الكاذب؛ فإنهم يجمعون التعاليم كيما تلائم شهواتهم، وليس بحسب إيمان الإنجيل. هم يبتهجون، برغبةٍ غير منضبطة، بأن آذانهم المُستَحَكَّة قد داعبتها حداثة كرازتهم المفضَّلة؛ لقد أبعدوا أنفسهم تمامًا عن سماع الحق، وسلَّموا أنفسهم بالكامل للخرافات؛ لكي ما يتم تطويق جدالهم بما يبدو لهم ظاهريًا أنه الحق، بواسطة عدم قدرتهم على أن يتكلموا أو يفهموا الحق.

٣- لقد وصلنا بلا شك إلى أزمنة الشر التي تنبَّأ عنها الرسول؛ ففي هذه الأيام يبحث المعلمون عَمَّن لا يكرز بالإله، بل بالمخلوق[٣]. ورجال متحمسون بالأكثر لما تشتهي أنفسهم، أكثر مما يُعلِّم به الإيمان الصحيح. إلى الآن تثيرهم آذانهم المُستَحَكَّة لسماع ما يرغبون، حتى إنهم الآن يحكمهم فقط هذا الوعظ وسط زِحام المعلمين الذين أبعدوا الإله الابن الوحيد عن قوة وطبيعة الله الآب، وجعلونا نؤمن إمَّا بأنه إله من نوعٍ ثانٍ، أو ليس إلهًا على الإطلاق؛ في كلتا الحالتين يوجد تأكيدٌ لعينٌ على عدم التقوى، سواء

[٣] وهو هنا يقصد الأريوسيين الذين يكرزون بأن يسوع مخلوقًا وليس إلهًا.

أَثبت المرء وجود إلهين مختلفين في درجة ألوهيتهما، أو أنكر ألوهية مَن اكتسب طبيعته كليةً بالولادة من الله أيضًا. تلك التعاليم تُسِر هؤلاء الذين تُبعدهم آذانهم عن سماع الحق والذين حوَّلوه إلى خُرافات، فهم لم يعودوا يحتملون سماع إيماننا الصحيح، ذلك الإيمان المُساق جملةً إلى النفي جنبًا إلى جنب مع المُنادين به.

٤- وعلى الرغم من أن كثيرين قد جَمعوا لهم معلمين حسب شهواتهم، وقاموا بالتخلُّص مِن التعليم الصحيح، إلا أن تبشير القديسين بالحق لن يتم التخلص منه. وحتى ونحن في المنفى سنتكلم من خلال هذه الكتب، وسوف تنتشر كلمة الله بلا مانع، منبهةً إيانا إلى ذلك الزمن الذي قد تنبأ به الرسول. فإنه حينما أظهر الناس أنفسهم بكونهم تواقين إلى الرسالة الصحيحة، وجَمعوا لهم معلمين حسب شهواتهم البشرية، لم يَعُد في إمكاننا الشك في الأزمنة، بل نَعلم أنه حينما يُنفَى[٤] مَن يكرزون بالتعليم الصحيح يُنفَى[٤] الحق أيضًا. نحن لا نشكو من الأزمنة، بل سوف نفرح بالحري لأن الإثم يكشف عن نفسه أثناء فترة نفينا، حينما يَطرُد معلمي التعليم الصحيح، لكونه لم يَعُد يحتمل الحق، كي يجمع لنفسه معلمين بحسب هواه. إننا نفتخر بنفينا، ونفرح في الرب، لأن في شخصنا ينبغي أن تتحقق نبوة الرسول.

---

[٤] وقد كُتبَت "exsulantibus" أي 'يُنفى' في الطبعة البندكتية (Paris, 1693)، بينما كُتبَت "exultantibus" أي 'يتهلل' في مجموعة ميني (Paris, 1844)، ومن الواضح أن الأولى هي الأدق والملائمة لسياق الكلام.

مهاجمة الهراطقة لأصحاب الإيمان الصحيح باستخدام الآيات

٥- أنا أثق إذًا بأننا أثناء استمرارنا في إثبات الإيمان بإخلاص وبحق غير فاسد في الكتب السابقة، قد رتَّبنا طريقة ردنا طوال الوقت - رغم أن لنا حدودًا، ألا وهي أن اللغة البشرية لا يمكن أن تخلو مِن استثناء - بحيث لا يستطيع أحد أن يعارضنا بدون المجاهرة صراحةً برأي مُلحِد. وهكذا، فقد أظهرنا بشكل كامل المعنى الحقيقي لتلك النصوص التي سرقوها بمكر من الأناجيل وجعلوها تتناسب مع تعليمهم الخاص، حتى إنه لو أنكرها أحد فلن يمكنه الهروب بدعوى الجهل، بل سوف يُدان مِن فمه الكافر. وعلاوة على ذلك، قد تَقدَّمنا بنعمة الروح القدس بحرص شديد طوال إثباتنا للإيمان، كي لا تُلَفَّق لنا أية تهمة بسهولة. لقد اعتادوا أن يملؤوا مسامع البُسطاء باتهامنا بأننا نُنكر ميلاد المسيح (من الآب)، عندما نكرز بوحدانية اللاهوت؛ وهم يقولون إننا نعترف بأن الله وحيد، على أساس النَص القائل: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ[٥]، وكأننا - بحسب اعتقادهم - نقول: إن الله (الآب) غير المولود قد نزل إلى العذراء، ووُلد كإنسان، وإنه يشير بالكلمة الافتتاحية 'أنا' إلى تدبير جسده، لكنه يضيف إليها إثبات ألوهيته 'والآب'، كما لو كان الآب هو أبوه كإنسان. وأنه قال أيضًا عن نفسه 'نحن واحد'[٦]، لأنه يتكوَّن من شخصين، ناسوت ولاهوت.

---

[٥] (يو ١٠: ٣٠)

[٦] حيث يتهم الأريوسيون أصحاب الإيمان المستقيم بالسابيلية التي تُنكر الثالوث، وبتأليم الآب بالتجسد، أي بأن الإله غير المولود قد صار إنسانًا.

مُجمَل إيماننا بخصوص الابن

٦- لكننا ذكرنا دائمًا الولادة الكائنة خارج الزمن؛ لقد تعلَّمنا أن الله الابن هو إله من نفس طبيعة الله الآب، لكنه متمايز عن غير المولود، لأنه ليس غير مولود، بل مساوٍ لأنه مولود، لكونه الابن الوحيد؛ الاثنان واحد، ليس بإعطاء اسم مزدوج لنفس الشخص، بل بولادة حقيقية وبكيان مولود؛ وفي إيماننا لا يوجد إلهان مختلفان في النوع، كما أن الله، في معنى اعترافنا بسِر الله الابن الوحيد، ليس بمفرده لكونه واحدًا؛ بل أن الابن مُشار إليه في اسم الآب، وموجود في الآب، الذي اسمه وطبيعته فيه، بينما الآب يحوي الابن باسمه، ويحِل فيه، لأن الابن لا يمكن الكلام عنه، ولا يمكن أن يوجَد، سوى كمولود الآب. كما أننا نقول إنه الصورة الحية للطبيعة الحية، انطباع الختم الإلهي على الطبيعة الإلهية، حتى إنه لا يمكن تمييزه عن الله، لا في القدرة ولا في النوع، لأن أعماله وكلامه وهيئته ليست مختلفةً عن التي للآب؛ لكن بما أن الصورة تَملُك بالطبيعة طبيعة أصلها، إذًا فالأصل كان يعمل ويتكلم ويُرى من خلال صورته الطبيعية.

٧- لكن إلى جانب الولادة غير الزمنية وغير الموصوفة للابن الوحيد، التي تجاوزت إدراك فهم الإنسان، قد تعلَّمنا أيضًا سِر الله الذي وُلِد ليكون إنسانًا من رحم العذراء، مُظهرين كيف بحسب خطة التجسد، حينما أخلى ذاته من هيئة الله واتخذ هيئة عبد، لم تَضعَف الطبيعة الإلهية بسبب ضَعف الناسوت المتَّخَذ، بل أن القوة الإلهية قد مُنِحَت للناسوت بدون فُقدان

امتياز الألوهية في الهيئة البشرية. **فإنه حينما وُلِد الله ليكون إنسانًا، لم يكن الغرض هو فقدان الألوهية، بل ببقاء الألوهية يولد إنسانًا كي يكون إلهًا. مِن ثَم فإن اسمه هو عمانوئيل الذي تفسيره اَللهُ مَعَنَا[٧]، كي لا يُقلَّل من شأن الله إلى مستوى الإنسان، بل يُرفَع من شأن الإنسان إلى الاتحاد بالله. وعندما طَلب أن يتمجد[٨]، لم يكن هذا تمجيدًا لطبيعته الإلهية بأي شكلٍ، بل للطبيعة الأقل التي اتَّخَذها؛ فإنه يطلُب هذا المجد الذي كان له قبل تأسيس العالم.**

عدم معرفة الابن للساعة يُظهِر التمايز بين الأقانيم

٨- لقد جئنا الآن إلى مناقشة الساعة غير المعلومة[٩]، إذ أننا سوف نجاوِب على كل شيء، وحتى على تصريحاتهم الأكثر حُمقًا. والآن، حتى لو كان الابن لا يعرفها ، كما يقولون، فإن هذا لا يتضمن أية مساحة للهجوم على ألوهية الابن الوحيد. بحسب طبيعة الأشياء تكون الولادة هي البداية، إلا إذا كانت طبيعة المولود مساويةً للكيان غير المولود، والذي ليست له بداية؛ إذ (بحسب طبيعة الأشياء) يحتفظ الآب بامتيازه، بإظهار سلطته كغير مولود، وبتحديده لذلك اليوم الذي لا يزال غير معروف*. لكننا لا يمكننا

---

[٧] (مت ١: ٢٣)

[٨] (يو ١٧: ٥)

[٩] (مت ٢٤: ٣٦) و (مر ١٣: ٣٢)

* طبقًا لكوستان Coustant، فإن ق. هيلاري هنا يشير إلى ادعاء الأريوسيين بأن المسيح لا يَعلم الساعة لأن الأمر يختص به الله غير المولود وحده.{م}

استنتاج وجود أي نقص في شخصه، وفي تلك الطبيعة التي تحوي - بحق الولادة - كل ملء تلك الطبيعة التي يُمكِن أن تمنحه الولادة الكاملة. وأيضًا لا يجب أن ننسب جهل الله الابن الوحيد باليوم والساعة إلى لاهوتٍ أقل في المستوى. إظهار أن صفة الآب غير المولود ولا المبتدئ، وعدم امتلاك الابن المولود لتلك الصفة، يُظهِر عكس ما ينادى به الهراطقة مِن أتباع سابيليوس[١٠]. لكن لو كان كما قد ذَكرنا، أنه لم يصمُت بسبب الجهل -

---

Cf. *The Fathers of The Church*, 25, *Saint Hilary of Poitiers, The Trinity*, translated by Stephen McKenna, C.SS.R, The Catholic University of America, 2002. p. 405.

[١٠] إن ق. هيلاري يُسلِّم الآن بأن الابن كان في الحقيقة غير عارفٍ لليوم والساعة، لكنه يقول إن هذا ليس لعدم مساواة الابن للآب؛ ومع ذلك، فإن هذا يفيد في رفض تطابق الابن مع الآب، بحسب الفكر السابيلي، بإظهار أن تلك المعرفة كانت ملك الآب فقط.

لقد وَضع إراسموس Erasmus (عالِم كنسي عاش في القرنين ١٥، ١٦) هنا فقرةً وجدها في مخطوطة، حيث يقول: "وهذا يُظهِر لنا أن كلام **الكلمة** قد أشار إلى سر كمال ناسوته؛ أن ذلك الذي تحمَّل عجزنا، ينبغي أن يأخذ على عاتقه أيضًا عجز جهل الإنسان، وأنه ينبغي أن يقول إنه لم يكن يَعرف اليوم، مثلما لم يَعرف أين قد وضعوا لعازر، أو مَن كانت المرأة التي لمست هدب ثوبه؛ لقد كان ضعيفًا في المعرفة مثلما كان ضعيفًا في البكاء، وفي احتمال التعب والجوع والعطش، فهم لو يزدري حتى بخطأ الجهل؛ بالأخص حينما نتأمل كيف، حينما قام من الأموات، وكان صاعدًا إلى أعلى السموات، لم يتعامل معه الرسل كمَن لا يزال جاهلاً، بل عارفًا، ومحدِّدًا لذلك اليوم، وسألوه بالضبط عن نفس السؤال الذي صمَت عن إجابته بتدبير تأنسه؛ كي يتضح من سؤالهم المتكرر أنهم قد فهموا أن قوله "أنا لا أعرف" كان عن الجهل الذي أخذه على عاتقه، والذي هو ليس جوهريًا في طبيعته".

حينما قال إنه لا يعرف اليوم - بل تِبعًا للخطة الإلهية، فلا بُد من محو كل فرصة للتصريحات الشريرة، والتعاليم التجديفية التي للمعتقدات الهرطوقية، لكي يَظهر حق الإنجيل بوضوح من خلال تلك النصوص التي تبدو وكأنها تُخفيه.

الآيات التي توحي بضعف الابن المتجسد

٩- إن غالبية (الهراطقة) لا يريدون أن تكون له طبيعة الله غير القابل للألم، وذلك بسبب خوفه من آلامه وإظهار نفسه كضعيف أثناء خضوعه للآلام[١١]. *إنهم يؤكدون أن الذي خاف وشعر بالألم لم يتمتع بثقة القوة التي تفُوق الخوف، أو عدم فساد الروح الذي لا يشعر بالألم؛ لكن، لكون طبيعته أدنى من طبيعة الآب، قد ارتجف خوفًا من الألم البشري، وتأوه أمام قسوة العقوبة الجسدية*. تلك التأكيدات عديمة التقوى وهذا الكلام الشرير مبني على أساس كلمات الرب: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ[١٢]، و: يَا أَبَتَاهُ،

وهذا يتفق مع رأي معظم الآباء، (وبالأخص ق. أثناسيوس). لكن الفقرة لا تتفق تمامًا مع تعليم ق. هيلاري، سواء هنا أو في الكتاب التاسع فقرة ٥٨، وهي بالتأكيد إضافة غير ملائمة.

[١١] طوال المناقشة عن آلام المسيح، فرَّق ق. هيلاري بين الشعور بالألم *dolere, dolor* وبين السبب الطبيعي physical cause للألم، أي قطع وطعن الجسد *pati, passio* وسوف نناقش هذه النقطة حينما نأتي للفقرة ٢٣.{م}

[١٢] (مت ٢٦: ٣٨)

إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ[١٣]، وأيضًا: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟[١٤] التي أضافوا إليها أيضًا: يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي[١٥]. إنهم يتمسكون بكل تلك النصوص التي لإيماننا المقدس، كي يستخدموها لأجل تجديفهم عديم التقوى؛ بأنه قد خاف، ذاك الذي كان حزينًا، وصلَّى أن تَعبُر عنه الكأس؛ بأنه قد شعر بالألم، لأنه قد شكى بأن الله قد تركه في آلامه؛ بأنه كان ضعيفًا، لأنه قد استودع روحه لدى الآب. إنهم يقولون: *إن شكوكه وقلقه تعوقنا عن أن ننسب له تلك المساواة لله في الطبيعة الإلهية، لكونه مولودًا كابنه الوحيد. إنه يُعلِن ضَعفه ودُونِيَّته بالصلاة لأجل عبور الكأس، وشكواه مِن الترك، واستيداع روحه.*

خوف المسيح كان بالتدبير لأجل خلاصنا

١٠- الآن أولًا، وقبل أن نُظهِر من هذه النصوص بعينها أنه لم يكن مُعرضًا لأي ضعف من خوف أو حزن لأجل نفسه، دعونا نسأل: "ما هو الأمر الذي سنجد أنه يخاف منه، والذي فيه قد استولى فزع الألم غير المُحتمَل عليه؟" أعتقد أن دوافع خوفه التي يدَّعونها هي المعاناة والموت. والآن أنا أسأل أولئك الذين لهم هذا الرأي: "هل يُعقل أن نفترض أنه خاف من الموت، ذاك الذي أزال أهوال الموت عن رُسله، عندما حثَّهم على مجد

---

[١٣] (مت ٢٦: ٣٩)

[١٤] (مت ٢٧: ٤٦)

[١٥] (لو ٢٣: ٤٦)

الاستشهاد قائلاً: مَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُني فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا"؟[16] فإن كان الموت لأجله هو الحياة، فأي ألم يُمكِن أن نظن أنه قد احتَمله في سِر الموت، في حين أنه يُكافِئ الذين يموتون لأجله بالحياة؟ هل يمكن للموت أن يُخيفه مما قد يحدث للجسد، وهو الذي يَحُض التلاميذ قائلاً: لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ[17]؟

١١- إلى جانب ذلك، كيف ارتَعَب من ألم الموت وهو الذي مات بإرادته الخاصة؟ بالنسبة للجنس البشري، الموت يَحدث إما بهجوم على الجسم من عدو خارجي، مثل الحُمى والإصابة بجرح والحادث والقتل، أو تُغلَب طبيعتنا الجسدية من الشيخوخة فتَخضع للموت. لكن الله الابن الوحيد، الذي كان له السلطان أن يَضع حياته، وأن يأخذها أيضًا[18]، لكي يُتمِّم سِر الموت في ذاته، قد شهد أنه أكمل معاناة البشر عندما شرب الخل ونكَّس رأسه وأسلم الروح[19]. لو كانت طبيعتنا الفانية قد أُعطيَت أن تُسلِّم الروح بإرادتها، وتجد راحةً في الموت؛ إن كان يمكن للنفس المقاوِمة أن تُفارِق، دون أن يتحلل الجسد، ويمكن أن تندفع الروح وتنطلق، دون أن تكون مثل المُعتدَى عليه في بيته بكسر وثَقب وتحطُّم الأعضاء؛ فحينئذ يمكن أن يكون

---

[16] (مت ١٠: ٣٨، ٣٩)

[17] (مت ١٠: ٢٨)

[18] (يو ١٠: ١٨)

[19] (يو ١٩: ٣٠)

خوف الموت قد استولَى على رب الحياة*؛ أي، لو أنه، عندما أسلم الروح ومات، لم يكن موته بإرادته الخاصة الحُرَّة. لكن إن كان قد مات بإرادته، وأسلم الروح بإرادته، فلا يكون هناك خوف من الموت لأن الموت كان في سلطانه.

١٢- *لكن ربما يكون بسبب الخوف النابع من الجهل البشري، قد خاف من سلطان الموت الذي فيه؛ حتى إنه بالرغم من موته بإرادته، إلا أنه خشي لأنه كان سيموت.* إن كان يوجَد مَن يُفكِّر هكذا، فدعوه يسأل: "لمَن كان الموت مُخيفًا، لروحه أم لجسده؟" إن كان لجسده، فهل هو يجهل أن القدوس لن يرى فسادًا[٢٠]، وأنه سيُقيم هيكل جسده في ثلاثة أيام[٢١]؟ لكن إن كان الموت مُخيفًا لروحه، فهل يمكن أن يخاف المسيح من نار الهاوية، بينما يتنعم لعازر في حضن إبراهيم؟ إن فكرة خوفه من الموت حمقاء وسخيفة، فهو يمكنه أن يضع حياته وأن يأخذها ثانيةً، وهو مَن كان مزمعًا أن يموت بمحض إرادته لإتمام **سِر حياة البشر**. لا يمكن أن يَخاف الموتَ مَن كان سُلطانهُ وغَرضهُ من الموت هو الموت للحظة فقط؛ فإن الخوف

---

* أي أن المسيح كان له السلطان أن يضع ويأخذ روحه، بينما لا يوجد أحد من البشر يمكنه ذلك. بالتالي فلا يمكن اعتبار هذا الموت ناتجًا عن ضعف أبدًا.{م}

[٢٠] (مز ١٥: ١٠)

[٢١] (يو ٢: ١٩)، (مت ٢٦: ١٦)، (مت ٢٧: ٤٠)، (مر ١٤: ٥٨)

يتعارض مع الرغبة في الموت، والقدرة على الحياة ثانيةً[٢٢]، لأن كليهما* يَسرِق من الموت أهواله.

١٣- لكن ما الذي أرعبه؟ أكانت الآلام البدنية للتعليق على الصليب، أم الأغلال الخَشنة التي قُيد بها، أم الجراح القاسية جراء دخول المسامير؟ دعونا نرى كيف كان جسد المسيح، وكيف يمكن أن تَسكن الآلام في جسده المصلوب، والمقيَّد، والمثقوب.

النفس الضعيفة تُزيد مِن ألم الجسد

١٤- إن طبيعة أجسادنا هي أنها حينما تُوهَب حياة وشعور بارتباطها بنفس حساسة، تُصبح شيئًا أكثر من مجرد كونها مادةً جامدةً وفاقدةً للحس. إنها تشعُر حينما تُلمَس، وتُعاني عندما تُوخَز، وترتجف بالبرودة، وتبتهج بالدفء، وتهزل من الجوع، وتُسَمَّن من الطعام. إن أجسادنا تشعر بالسعادة أو بالألم وفقًا للظروف المحيطة، عن طريق ما تَبثه النفس التي تعولها وتتخللها. عندما يُوخَز الجسد أو يُثقَب، فإن النفس التي تتخلله هي التي تَشعُر وتعاني من الألم. إن جروح الجسد، على سبيل المثال، تُسبِّب ألمًا

---

[٢٢] وعن هذا يقول ستيفن ماكينَّا إن ق. هيلاري لا يقول بالتحديد إن المسيح لم يخَف الموت، بل فقط أن خوفه من الموت لم ينبُع من جهل بشري، بل بالتدبير. راجع:
The Fathers of The Church, 25, *Saint Hilary of Poitiers, The Trinity*, translated by Stephen McKenna, C.SS.R, The Catholic University of America, 2002. p. 408{م}.

* أي الرغبة في الموت، والقُدرة على الحياة ثانيةً.{م}

حتى في العظام، بينما الأصابع لا تشعُر بألم عند قص الأظافر الخارجة عن اللحم. وإن ذَبُل عضوٌ جراء مرضٍ ما، فإنه يفقد الإحساس الذي للجسد الحي؛ فإنه يُمكِن أن يُقطع أو يُحرَق، وهو لا يشعر بأي آلمٍ كان، لأن النفس لم تعُد ممتزجةً به. وأيضًا عندما تكون هناك ضرورة مُلِحَّة لقطع جزء من الجسد، فلابد أولاً من إزالة إحساس النفس بواسطة العقاقير التي تَقهر الألم، وتُحدِث في المخ عدم إحساس مماثل للموت. حينئذ يُمكن قطع الأعضاء بدون ألم؛ الجسد يكون كالميت من جهة كل إحساسٍ، فلا يشعُر بحِدة طعن السكين، لأن النفس التي بداخله تكون ساكنةً. مِن ثَم، لأن الجسد يحيا بامتزاجه بنفس ضعيفة، فهو معرَّض لضَعف الألم.

كلمة الله قد أَعطَى نفسًا لجسده لأجل فداء جسدنا ونفسنا

١٥- فإن كان يسوع المسيح الإنسان قد حُبِل بجسده بنفس طريقة الحَبَل بجسدنا ونفسنا، وإن لم يكن هو الله المُتسلِّط المباشر على جسده ونفسه بالمِثل، حينما تَشكَّل في شبه وهيئة إنسان، ووُلد كإنسان، فحينئذ يمكننا افتراض أنه قد شعر بالألم الذي يَشعُر به جسدنا (نتيجة لضعف الخطية)؛ أي لو أنه كان له جسد حي بنفسٍ مِثل ما لنا، بابتدائه بنفس طريقة حَبَلنا. لكن لو كان قد اتَّخذ لذاته جسدًا من العذراء بعمله الخاص، وأيضًا بعمله الخاص قد ألحق نَفسًا بالجسد الذي قد حُبِل به هكذا، إذًا فطبيعة ألمه لا بُد

أنها قد توافقت مع طبيعة جسده ونفسه*. فإنه عندما أخلى ذاته من هيئة الله آخذًا شكل العبد، حينما وُلِد ابن الله كابن الإنسان أيضًا، حينئذ قد شكَّل الله **الكلمة** صورة الإنسان الحي الكامل** دون أن يفقد ذاته وقوَّته. لأنه كيف وُلِد ابن الله كابن بَشر، وكيف قبِلَ هيئة عبد، وهو لا يزال في هيئة الله، ما لم يكُن الإنسان يسوع المسيح قد وُلِد كاملاً، وصار في شكل العبد باتخاذ الجسد الذي حَبلت به العذراء، {**لأن كلمة الله يستطيع بذاته أن يتخذ له جسدًا مِن العذراء ويُعطِي نفسًا للجسد لأجل فداء جسدنا ونفسنا**}؟ فإن العذراء قد حَبلت بمَن حُبِل به من الروح القدس[٣] وحده، وعلى الرغم من أنها في ميلاده بالجسد قد أمدَّته من ذاتها بتلك المادة، التي تعطيها النساء دائمًا للبذور المزروعة فيهن، إلا أن يسوع المسيح لَم يُحبَل به بالحبَل البشري المعتاد. إن سبب ولادته الفريدة هو أنه وُلِد من الروح القدس، لكن أمه قد قامت بنفس الدور الذي يتم في كل الولادات البشرية؛ لكنه لكون الآب مصدره، لم يتوقف أبدًا عن كونه الله.

---

* أي أن أله لم يكن ناتجًا عن ضعفه، بل بسماح من طبيعته الإلهية لناسوته أن يتألم، لأجل تدبير خلاصنا.{م}

** بقوله إن المسيح كان له جسد إنساني ونفس إنسانية، فإنه يدحض تعليم أبوليناريوس، الذي ادَّعى أن **الكلمة** الإلهي قد حل محل النفس.

The Fathers of The Church, 25, *Saint Hilary of Poitiers, The Trinity*, translated by Stephen McKenna, C.SS.R, The Catholic University of America, 2002. p. 409{م}.

[٣] بحذف sou 'صيغة الملكية'؛ أو بالاحتفاظ بها، أي 'روحه القدوس (أي الذي **للكلمة**)'.

تفسير قوله: ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ

١٦- لقد أظهر الرب بذاته سِر تأنُّسه العميق والجميل بقوله: لَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ[٤٢]. فإن نزوله من السماء يشير إلى أن مصدره من الروح، فبالرغم من أن مريم قد قدَّمت في نموه في الرحم والولادة كل ما هو طبيعي بالنسبة لجنسها، إلا أن جسده ليس مَدينًا لها في نشأته. عبارة 'ابن الإنسان' تُشير إلى ولادة الجسد الذي حُبِل به في العذراء، وعبارة 'الذي هو في السماء' تتضمن سلطان طبيعته الأزلية، تلك الطبيعة غير المحدودة التي لا يمكن أن تُقيِّد ذاتها في حدود الجسد، التي كانت هي ذاتها مصدره وأساسه. بقوة الروح القدس، وبسلطان **كلمة** الله، كان دائمًا حاضرًا كرَبٍ لكل ما في داخل وخارج دائرة السماء والأرض، رغم بقائه في هيئة عبد. إذًا، فقد نزل من السماء وهو ابن الإنسان الذي لا يزال في السماء؛ لأن **الكلمة** الذي صار جسدًا لم يَكُفّ عن كونِه **الكلمة**. ولكونه هو **الكلمة**، فهو في السماء، ولكونه جسدًا فهو ابن الإنسان، ولكونه **الكلمة** الذي صار جسدًا فهو في نفس الوقت من السماء، وابن الإنسان؛ وهو في السماء، لأن قوة **الكلمة** الكائنة أزليًا بدون جسد، كانت لا تزال موجودة في السماء التي تركها؛ فإن الجسد مدين بوجوده له وليس لأحد غيره. إذًا **فالكلمة** الذي صار جسدًا، رغم أنه كان جسدًا، إلا أنه لم يتوقف أبدًا عن كونه **الكلمة**.

---

[٤٢] (يو ٣: ١٣)

آيات تشرح سِر ولادة جسده

١٧- وقد شرح الرسول الطوباوي أيضًا **سِر ولادة** جسد المسيح غير المنطوق بها أتم الشرح بقوله: الإِنْسَانُ الأَوَّلُ كان مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ، الإِنْسَانُ الثَّانِي مِنَ السَّمَاءِ*. وبتسميته 'إنسانًا' فهو يُعبِّر عن ولادته من العذراء، التي في تأديتها لوظيفتها كأم، قد قامت بمهام جنسها في الحبَل وولادة إنسان. وحينما يقول: 'الإنسان الثاني من السماء' فإنه يشهد بأن مصدره هو من الروح القدس، الذي حَلَّ على العذراء[٢٥]. فبما أنه إنسان، ومن السماء، إذًا فهذا الإنسان قد وُلِد من العذراء، وحُبل به من الروح القدس. هكذا تكلم الرسول.

١٨- مرة أخرى يُعلِن الرب نفسه عن **سِر ميلاده** هذا، قائلاً هكذا: أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ[٢٦]، داعيًا نَفْسَه 'الخبز' لأنه هو مصدر جسده الخاص. علاوة على ذلك، ولكي لا يُظَن أن **الكلمة** قد ترك مِيزَتَه وطبيعته بسبب الجسد، يكرر ثانيةً أن هذا هو خُبزه؛ بما أنه هو الخبز الذي نزل من السماء، فلا يمكن اعتبار جسده قد وُلِد بحَبَل بشري، إذ قد أُظهِر أن الإنسان الثاني من السماء.

---

* (١كو ١٥: ٤٧) لكن إحدى مخطوطات النص قد ذكرتها "من الأرض، تراب"، وهي الأقرب من الأصل اليوناني للآية.{م}

[٢٥] (لو ١: ٣٥). "اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ".

[٢٦] (يو ٦: ٥١)

واستخدامه لتعبير 'خبز' هو تأكيد على أن **الكلمة** قد تجسد، حيث يضيف: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ[٢٧]. مِن ثَمَّ، طالما أن الكيان الذي هو ابن الإنسان قد نزل أيضًا كخبز من السماء، فمن خلال 'الخبز النازل من السماء' و 'جسد ودم ابن الإنسان' يُفهَم تجسد ذاك الذي حُبِل به من الروح القدس، ووُلِد من العذراء.

المسيح ليس اثنين، بل إله كامل تأنَّس بناسوت كامل

١٩- مِن ثَم لكون يسوع المسيح إنسانًا بهذا الجسد، فهو ابن الله وابن الإنسان، الذي أخلى ذاته من هيئة الله، وقَبِل شكل العبد. لا يوجد ابن للإنسان وآخر ابن لله؛ ولا يوجد واحد في هيئة الله، وآخر مولود كإنسان كامل في شكل عبد؛ لذا، فكما أن بحسب الطبيعة التي وهبنا إياها الله خالق وجودنا، يولد الإنسان بجسد ونفس، هكذا أيضًا يسوع المسيح، بسلطانه الخاص، هو إله وإنسان له جسد ونفس، مالكًا في ذاتِه ناسوتًا تامًا وكاملاً، ولاهوتًا تامًا وكاملاً.

٢٠- ومع ذلك، فكثيرون قد اعتادوا على تضليل آذان غير المتعلمين بالخطأ، باستخدام أسلوب يقصدون به إثبات هرطقتهم، *قائلين إنه مثلما أن جسد ونفس آدم كليهما قد أخطأ، هكذا ينبغي للرب أن يأخذ جسد ونفس*

---

[٢٧] (يو ٦: ٥٣)

آدم من العذراء، وأن العذراء لم تحبل بالإنسان الكامل من الروح القدس[٢٨].

لو فهم هؤلاء الرجال سِر التجسد، لفهموا في نفس الوقت **سِر ابن الإنسان** الذي هو في نفس الوقت ابن الله. فهم يَظنون أنه كما أخذ الكثير من العذراء، قد أخذ أيضًا نَفْسه منها his soul؛ مع أن الجسد يولَد دائمًا من الجسد، لكن كل نفس هي العمل المباشر لله*.

---

[٢٨] لقد جادل أبوليناريوس بأن المسيح لو كان إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً، لكان هناك مسيحان، ابن الله بالطبيعة وابن الإنسان بالتبني. من ثَم فقد علَّم بأن المسيح كان إلهًا جزئيًا وإنسانًا جزئيًا؛ بأنه قد أخذ من العذراء جسده، والنفس غير العاقلة التي هي حالة الحياة الجسدية؛ بينما روحه العاقلة كانت إلهيةً. بهذه النظرية فإن 'الإنسان الكامل'، كما يقول ق. هيلاري، لم يولَد من العذراء. لكن ق. هيلاري يرفض التقسيم الثلاثي؛ إذًا فالنفس التي تضمنها المسيح، هي كما يقول، العمل المباشر لله.

* وعن أصل النفس، رأى العلامة أوريجينوس، متأثرًا بالفكر الأفلاطوني، أن النفس موجودة قبل الولادة، وتتحد بالجسد عند الولادة، بينما تردد ق. أوغسطينوس في إبداء رأيه إن كانت النفس تُخلَق لأجل اتحادها بالجسد، أم تولَد مثلما يولَد الجسد، لكنه كان أكثر مَيلاً إلى ولادتها، وهذا واضح من رسالته للقديس جيروم، الذي أجابه بأنه ليس عنده متسع من الوقت لحل هذه المسألة (راجع كتاب، *القديس إيرونيموس*، تأليف الأب ب. لارجان، تعريب الأب ج. عقيقي اليسوعي، منشورات المعهد، المعادي، ١٠٦٦م؛ وأيضًا *NPNF*, Second series, Volume 6, Second printing, June 1995, Letter 144 p.283، *الرسالة من ق. أوغسطينوس إلى أوبتاتوس*).

وفي *الرسالة* ١٢٦ *لماسيلينوس وأنابسيخيا* يشرح ق. جيروم النظريات المطروحة بخصوص أصل النفس، إذ يقول: "أنتما تسألان إن كانت قد سقطت من السماء، مثلما يفترض فيثاغورس وكل أتباع أفلاطون، وأوريجينوس؛ أم إن كانت جزءًا من جوهر الله، مثل الرواقيين، وأتباع ماني، وأتباع بريسكيليان الأسباني؛ أم أن الأنفس قد خُلِقَت منذ زمن

٢١- إنهم بفكرتهم عن حَرم الله الابن الوحيد من الألوهية الحقيقية، رغم كونه الإله **الكلمة** عند الله منذ البدء، يجعلونه مجرد نطق لصوت الله. هم يقولون إنه *مثل الكلام بالنسبة للمتكلم هكذا الابن بالنسبة لله أبيه*. هم يحاولون أن يُدخلوا خلسةً، أن الله **الكلمة** الأزلي، الذي لا يَزال في هيئة الله، ليس هو المسيح المولود كإنسان، الذي تنشأ حياته من مصدر بشري بالتالي، وليس من سِر الحبَل الروحي؛ *أنه لم يكن الله الكلمة الذي صار إنسانًا بالولادة من العذراء، بل حل كلمة الله في يسوع، مثلما حلت روح النبوة في الأنبياء*. إنهم يتهموننا بأننا نقول إن المسيح قد وُلِد كإنسان بجسد ونَفْس مختلفَين عما لنا. لكننا نكرز **بالكلمة** الذي صار جسدًا، المسيح الذي أخلى ذاته من هيئة الله آخذًا شكل العبد، الكامل في تكوينه البشري، المولود إنسانًا كشبهنا؛ **فإن الذي بالحقيقة هو ابن الله، هو بالحقيقة فعلاً ابن الإنسان، ليس إنسانًا ناقصًا لكونه ابن الله، ولا إلهًا ناقصًا لأنه إنسان مولود من الله.**

بعيد، وهي محفوظة في مخزن الله، مثلما يتصور بعض الكُتاب الكنسيين الأغبياء؛ أم أنها تُخلَق بواسطة الله وتُدخَل في الأجساد يومًا بعد يومٍ، بحسب قول الإنجيل: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل"؛ أم أنها أخيرًا تنتقل بالتوالد، وهذه هي فكرة ترتليان، وأبوليناريوس، ومعظم الكُتاب الذين تمسكوا بأن النفس منبثقة من النفس كما أن الجسد من الجسد؟"، لكنه كان يعتقد بأنها مخلوقة. راجع: *NPNF*, Second series, Volume 6, Second printing, June 1995, Letter 126 p.252. ومن الواضح هنا أن ق. هيلاري يؤكد على أن النفس مخلوقة على صورة الله ومثاله، وليست مولودة.{م}

الإيمان الخريستولوجي السليم

٢٢- لكن كما أنه اتخذ جسدًا من العذراء بعمله الخاص، هكذا أيضًا اتخذ نفسًا من ذاته*؛ ومع ذلك فحتى في الولادة البشرية المعتادة لا تنشأ النفس أبدًا من الأبوين. إذًا، فإن قبِلَت العذراء من الله وحده الجسد الذي حملته conceived، فبالأحرى النفس التي لذلك الجسد لا يمكن إلا أن تكون من الله. فإن كان أيضًا المسيح نفسه هو ابن الإنسان، الذي هو أيضًا ابن الله - لأن ابن الإنسان الكامل هو ابن الله الكامل -، فكم هو سخيف أن نكرز إلى جانب ابن الله **الكلمة** الذي صار جسدًا، بوجود آخر، لا أعلم من هو، أُوحي إليه، مثل نبيٍ، من قِبل الله **الكلمة**؛ لأن ربنا يسوع المسيح هو ابن الإنسان وابن الله معًا. ولأن نفسه كانت حزينةً حتى الموت، وكان له السلطان أن يضع نفسه وأن يأخذها ثانيةً، أرادوا أن يستمدوها (أي النفس) من مصدر غريب، وليس من الروح القدس، مصدر الحبَل بجسده؛ فإن الله **الكلمة** قد صار إنسانًا دون ترك سِر طبيعته الخاصة. لقد وُلِد أيضًا لا ليكون في وقتٍ ما كيانين منفصلين، **بل ليكون واضحًا أن ذاك الذي كان إلهًا قبل أن يكون إنسانًا، قد صار إلهًا وإنسانًا الآن، بعد أن اتخذ ناسوتًا.** فكيف وُلِد يسوع المسيح ابن الله من مريم، إلا بأن 'الكلمة صار جسدًا'؛ أي بأن ابن الله، رغم كونه في هيئة الله، قد أخذ شكل عبد؟ فحينما اتخذ ذاك

* وهو بهذا يؤكِّد فكرة أن النفس مخلوقة بشكل عام، وبالأخص بالنسبة للمسيح، لأنه لم يولد من أبوين مثل باقي البشر.{م}

الذي كان في هيئة الله شكل العبد، حدث اتحاد لشيئين متناقضين[٢٩]. وهكذا قد صارت حقيقة بقائه في هيئة الله، تُماثل تمامًا حقيقة اتخاذه هيئة العبد. إن استخدام كلمة 'هيئة'[٣٠] form لوصف الطبيعتين تُجبِرنا على إدراك أنه يَقتني كلتيهما بالحقيقة. هو في هيئة عبد وأيضًا في هيئة الله. ورغم أنه في هيئة الله بطبيعته الأزلية، وفي هيئة العبد تبعًا لخطة النعمة الإلهية، إلا أن اللفظ له مدلوله الصحيح بالتساوي في كلتا الحالتين، لأنه كلاهما؛ فهو بالحقيقة في هيئة الله وبالحقيقة في شكل إنسان. وكما أن اتخاذه شكل العبد هو ولادته كإنسان، هكذا كونه في هيئة الله ليس إلا كونه هو الله؛ **ونحن نعترف بأنه هو نفس الشخص بعينه** one and the same person، **ليس بفقدانه للألوهة، بل باتخاذه للناسوت**؛ وهو في هيئة الله بطبيعته الإلهية، وفي هيئة العبد عندما حُبِل به من الروح القدس، لكونه قد وُجِد في الهيئة كإنسان. هذا هو السبب في أن يسوع المسيح بعد ولادته، وتألمه، وموته، ودفنه، قد قام ثانيةً. **لا يمكننا أن نفصله عن ذاته في كل تلك الأسرار المختلفة، حيث لن يظل مسيحًا؛ لأن المسيح، الذي أخذ هيئة عبد، لم يكن آخر غير ذاك الذي كان في هيئة الله؛ الذي مات كان هو نفسه الذي وُلد؛ الذي قام ثانيةً هو نفسه الذي مات؛ الذي في السماء هو نفسه الذي قام ثانيةً؛ أخيرًا، فالذي يوجد في السماء هو نفسه الذي نزل من السماء قبلاً.**

---

[٢٩] أي الطبيعة غير المحدودة لله، والطبيعة المحدودة للإنسان.

[٣٠] تعبير 'هيئة' منذ زمن أرسطو كان يُقصد به الخصائص التي تُعيِّن الجوهر المميَّز للشيء.

المسيح لم يشعر بالألم نتيجة للضعف، بل بالتدبير سمح لناسوته أن يتألم بالآلام المخلِّصة المُحيية:

٢٣- لذا فالإنسان يسوع المسيح، الإله الابن الوحيد، **الكلمة** المتجسد، ابن الإنسان وابن الله في نفس الوقت، دون التوقف عن كونه هو ذاته، أي كونه إلهًا، قد اتخذ ناسوتًا حقيقيًا في شبه ناسوتنا. ومع ذلك **فقد شعر بقوة الآلام في ناسوته**، حينما هوجم بضربات، أو أُصيب بجُروح، أو ورُبط بحبال، أو عُلِّق عاليًا، لكن بدون أن تُسبِّب له ألمًا (ناتجًا عن الضَعف المرتبِط بالخطية)*. هكذا فإن ما يمكن للرُمح أن يفعله بحسب طبيعته هو أن

---

* إن ق. هيلاري يدرك أن جسد المخلص باتحاده باللاهوت لم يكن في احتياج لأي شيء، وأن كل ما كان يصنعه بالجسد كان لأجل خلاصنا، أي أنه كان يَقبل الألم لأجلنا. وقد فسَّر ق. كيرلس الكبير هذه المسألة حينما نَسَب كل ما كان يصنعه المسيح جسديًا إلى **التدبير الخلاصي** لأجلنا، **وليس بسبب خضوعه لضعفات الجسد**، راجع:

(*Adv. Anthropomorphitas*, PG. 76.1117C.); Cyril, *Apol. contra Theod.*, PG 76.441B-C (=Pusey edn. Vol. 6 p. 476.11-12).

وقد سار على نهجه ق. ساويروس الأنطاكي، وبالأخص في *الرسالة إلى أوكيومينيوس* Severus, *To Oecumenius*, *ibid.*, p. 183.6-9.

لكن من الواضح أن ق. هيلاري قد فرَّق هكذا لأجل إيمانه بأن **الكلمة** المتجسد كان متحكمًا في كل ما يخُص إظهار صفات اللاهوت والناسوت ولم يكن مرغمًا على إظهارها. وبالتالي فقد تَرَك نفسه يشعُر أحيانًا بالجوع، وأحيانًا أخرى لم يشعُر بالجوع رغم كونه جائعًا، وهذا واضح في صومه لمدة أربعين يومًا، ثم جوعه أخيرًا. لكن هذا ليس معناه أبدًا أن المسيح لم يَسمَح لجسده بأن يشعر بالألم والجوع، وإلا فسوف يكون لاهوته قد حَمى ناسوته من الشعور بالألم والجوع، وهو ما يعني أنه تجنَّب ذلك، في حين أننا نؤمن بأن كل ما كان يَسمح به لجسده إنما كان يَسمح به لأجلنا، فلو لم يَسمح لجسده بأن يتألم ويحتمل الألم، لَمَا

يَخترِق المياه، أو النار، أو الهواء؛ إنه يَخترق ويَطعن ويَجرح، لكن كل هذا بدون تأثير على الأشياء التي يضربها؛ لأن ثَقب المياه، أو اختراق النار، أو جرح الهواء، هو ضد نظام الطبيعة، لأن طبيعة الرمح أن يَثقُب ويَطعَن ويَجرح. هكذا قد احتمل ربنا يسوع المسيح الضرب، والتعليق، والصَلب والموت؛ لكن الألم الذي اجتاح جسد الرب، دون التوقف عن كونه ألمًا، لم يكن له التأثير الطبيعي للألم (الناتج عن ضَعف). لقد مارَس دوره في العقوبة بكل عُنفه؛ لكن جسد المسيح بقُدرته قد احتمل عُنف العقاب دون أن يعاني (بسبب الضعف المرتبِط بالخطية). في الواقع، لو اكتسبَت أجسادنا القدرة على الخطو فوق المياه، والسير على الأمواج دون أن تهبط بسبب سيرنا عليها، أو أن تدفعها جانبًا بضغط خطواتنا، أو استطعنا اختراق المواد الصلبة، ولم تَعُقنا الأبواب المغلقة، لقُلنا إنه يمكن لجسد الرب أن يشعر بالألم (الناتج عن ضَعف) مثل طبائعنا. لكن لو أن جسد ربنا فقط هو الذي أمكن أن يُحمَل على الأمواج، ويَمُر مِن الجدران، فكيف يمكننا الحُكم على الجسد الذي حُبِل به بالروح القدس بمشابهته بالجسد البشري (في ضعفاته المرتبطة بالخطية)؟ إن هذا الجسد، أي هذا الخُبز، هو من السماء؛ هذا الناسوت هو من الله. **لقد كان له جسدٌ يتألم، وقد تألم؛**

كان هذا مفيدًا لنا كي نحتمل الألم بصبر وشكر، بل كنا سنتذمر قائلين: "إنه لم يشعُر بالألم، في حين أنه يطالبنا بأن نحتمل الألم لأجله". **وسوف يأتي الكلام عن هذا الموضوع بالتفصيل في فقرة ٣٢.**{م}

ولكن لم تكُن له طبيعة[٣١] يمكن أن تُعاني من الألم (سوى بالتدبير). لقد امتلك جسده طبيعةً فريدةً خاصةً بها؛ طبيعةً قد تَجلَّت transformed بالمجد السماوي على الجبل، وأزالت الحُمى بلَمستها، وأعطت نظرًا جديدًا بلُعابها.

٢٤- ربما يُقال، *'لكننا نجده يُعطي مكانًا للبكاء والجوع والعطش؛ ألا ينبغي أن نعتقد أنه عُرضة لباقي عواطف affections الطبيعة البشرية؟'* **لكن لو أننا لا نَفهَم سِر دموعه، وجوعه، وعطشه، فدعونا نتذكر أن مَن بكى قد أقام الموتى إلى الحياة أيضًا، وأنه لم يبكي على موت لعازر، بل فرِح[٣٢]، وأن مَن عطش قد أعطى من ذاته أنهار ماء حي[٣٣]. لم يكن ممكنًا أن يظمأ عطشًا، طالما كان قادرًا أن يُعطي ماءً للعِطاش. وأيضًا مَن جاع أمكنه أن يَلعن الشجرة التي لم تُقدِّم أية ثمرة لجوعه[٣٤]، فكيف تنغلب طبيعته من الجوع لو كان يمكنه ضرب الشجرة الخضراء بكلمته فتصير يابسة؟ وإن كان، إلى جانب سِر البُكاء والعطش والجوع، قد عرَّض الجسد الذي اتخذه - أي ناسوته كله - لضعفاتنا** our weaknesses**، إلا أنه لم**

---

[٣١] لقد وضع العالِم إراسموس إضافةً إلى إحدى المخطوطات هنا، وهي تشرح ما يُلمِّح إليه ق. هيلاري طوال هذا الكتاب: 'نحن ضعفاء بسبب الخطية'، أي أن الضعف هو نتيجة الخطية؛ الألم هو مجرد تأثير ثانوي وعَرَضي لضَعف الطبيعة البشرية تَسبَّبت فيه الخطية. إذًا فالمسيح رَفَع الخطية تمامًا، بالتألم، دون أن يشعر بالألم (الناتج عن الخطية). {وهذا رأي إراسموس}.

[٣٢] (يو ١١: ١٥). "لِعَازَرُ مَاتَ. وَأَنَا أَفْرَحُ لأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ، لِتُؤْمِنُوا".

[٣٣] (يو ٧: ٣٨)

[٣٤] (مت ٢١: ١٩)، (مر ١١: ٣)

يتركه يتعرض لإهاناتها their indignities. **إن بكاءه لم يكن على نفسه؛ عَطشه لم يحتاج للمياه كي ترويه؛ جوعه لم يحتاج للطعام كي يُهدئه.** لم يُقَل أبدًا إن الرب أكل أو شرب أو بكى حينما كان جوعانًا أو عطشانًا أو حزينًا. **لقد عَمل وِفق عادات الجسد لكي يُثبِت حقيقة جسده الخاص، ولكي يَتبع عادة الأجساد البشرية بعمله مثلما تَعمل طبيعتنا. فإنه (المسيح) عندما أكل وشرب، كان هذا شيئًا مُسلَّمًا به، ليس لأجل احتياجاته الخاصة** his own necessities**، بل لأجل عاداتنا** our habits.

المسيح لم تكُن له ضعفاتنا الناتجة عن الخطية

٢٥- لقد كان للمسيح جسدٌ بالفعل، لكنه جسد فريد يُلائِم أصله. فهو لم يأت للوجود بالعواطف المرتبطة بالحَمل البَشري#، بل جاء في شكل جسدنا بعمل قُدرته. لقد تحمَّل ناسوتنا الجماعي He bore our collective humanity في شكل عبد، لكنه كان خاليًا من خطايا وعيوب الجسد البشري؛ **لكي يمكننا أن نكون فيه، لأنه وُلِد مِن العذراء**، رغم أن عيوبنا ليست فيه، لأنه هو ذاته مصدر ناسوته الخاص؛ فقد وُلد كإنسان، لكنه لم يولَد بعيوب* defects الحَبَل البشري. إن الرسول تمسَّك بسِر هذا

أي بالعلاقة الحميمية بين الزوج والزوجة.{م}

* لقد فرَّق ق. كيرلس الكبير بين الضعفات الطبيعية التي لا تقع تحت دينونة، والأخرى التي لها صلة بالخطية. معتبرًا الألم والخوف والحزن من ضمن تلك التي لا تقع تحت دينونة. راجع ق. كيرلس الإسكندري: *حوار عن تأنس الابن الوحيد*، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم. القاهرة، ٢٠١٤، صـ ٧٦.

الميلاد وأظهره، حينما قال: لكِنَّهُ أَذَلَّ نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ إِنْسَانٍ، وَوُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ[٣٥]؛ ففي اتخاذه شكل العبد قد وُلِد في هيئة إنسان؛ وبينما صار في شبه إنسان، ووُجِد في الهيئة كإنسان، إذ قد شَهد مَظهر وحقيقة جسده لكونه إنسانًا، ومع ذلك، بالرغم من أنه وُجِد في الهيئة كإنسان، إلا أنه لم يعرف ما هي الخطية. إن الحبَل به كان مشابهًا لطبيعتنا، لكن ليس في امتلاك عيوبنا. ولكي لا يُفهَم قوله: آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، على أنه عن ولادة طبيعية، يضيف الرسول قائلاً: صَائِرًا فِي شِبْهِ إِنْسَانٍ، وَوُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ. إن حقيقة ميلاده تَمنع افتراض وجود العيوب defects التابعة لطبيعتنا الضعيفة، لأن 'صُورَةَ عَبْدٍ' تتضمن حقيقة ولادته، وَ 'وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ'، تتضمن مشابهة طبيعتنا. لقد وُلد حقًا كإنسان بذاته من العذراء، **ووُجد في شِبه جسد خطيتنا الفاسد**؛ وقد شَهد الرسول لهذا في رسالته إلى أهل رومية قائلاً: لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ دَانَ الْخَطِيَّةَ[٣٦]. لم يوجد فِي 'هَيْئَةِ إِنْسَانٍ'، بل 'وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ'؛ كما أن

لكن ق. هيلاري يقصد هنا الضعفات الناتجة عن الخطية، ويؤكد هذا توما الإكويني قائلاً: 'إنه يستخدم كلمة 'احتياجات' للإشارة إلى السبب الأول لتلك الضعفات، ألا وهو الخطية... لذا يُقال إن جسد المسيح لم يكن ليوضَع تحت احتياج تلك الضعفات، بمعنى أنه لم تكن فيه خطيةٌ'. راجع: Thomas Aquinas, *Summa Theologica* III, Q. 15, art. 5, (London 1931, p. 214).{م}

[٣٥] (في ٢: ٧)

[٣٦] (رو ٨: ٣)

جسده لم يكن جسد الخطية، وإنما في شِبه جسد الخطية. **هكذا فإن هيئة الجسد تتضمن حقيقية ميلاده، وشِبه جسد الخطية تُبعِد عنه عيوب الضعف البشري**. ومن هنا، فإن الإنسان يسوع المسيح قد وُلِد بالحقيقة كمسيح بلا خطية في طبيعته؛ فمِن جهة ناسوته، قد وُلِد، ولم يكن ممكنًا أن يكون سوى إنسان؛ ومن جهة ألوهيته، لم يتوقف أبدًا عن أن يكون هو المسيح. **فبما أن المسيح يسوع كان إنسانًا، فقد أُخضِع كإنسان للولادة البشرية؛ ومع ذلك لأنه المسيح، فقد كان خاليًا من عَجز** infirmity **جنسنا الفاسد** degenerate.

٢٦- إن إيمان الرسول قد أعدَّنا لفهم هذا السِر؛ حينما شَهد بأن الإنسان يسوع المسيح وُجِد في هيئة إنسان وأُرسِل في شبه جسد الخطية. فلِكونه في هيئة إنسان فهو في شكل عبد، دون أن تكون له نَقائص imperfections طبيعة العبد؛ وفيما هو في شِبه جسد الخطية، صار **الكلمة** جسدًا حقيقيًا، لكن في شِبه جسد الخطية وليس في جسد الخطية نفسه. بالمِثل بما أن المسيح يسوع إنسان إذًا فهو إنسان حقيقي، ولكنه مع ذلك لا يجب أن يكون سوى المسيح، المولود كإنسان بولادة جسده، لكن ليست فيه العيوب defects البشرية، لأنه لم يُولَد كعادة البشر. '**الكلمة** صار جسدًا' لا يمكن أن تعني سوى تجسده؛ ومع أنه صار جسدًا إلا أنه بقي **الكلمة** دائمًا. كما أن **الكلمة** الذي صار جسدًا لا يمكن أن يتخَلَّى عن طبيعة مصدره، هكذا بفضل أصل طبيعته لا يمكن إلا أن يظل هو **الكلمة**؛ لكننا في نفس الوقت لا بُد أن نؤمن بأن **الكلمة** هو ذاك الجسد الذي اتخذه؛

لكننا على العموم نقول دائمًا بشكلٍ أكثر تحفظًا إنه حينما حَلَّ بيننا، لم يكن الجسد هو الكلمة، بل كان هو جسد الكلمة الحالّ في الجسد.

ورغم أننا قد أثبتنا هذا، إلا أننا سنحاول أن نرى في كل المعاناة التي احتملها (المسيح)، هل يمكننا أن نَكشِف، في مكان آخر، عن وجود ضَعف الألم الجسدي the weakness of bodily pain **في ربنا** (يسوع المسيح)؟ سوف نؤجِّل مناقشة العبارات التي تَنسِب الخوف للرب بدافع الهرطقة؛ دعونا الآن نَنظر إلى الحقائق ذاتها؛ فلا يمكن أن تدُل كلماته على خوفٍ، إن كانت أعماله تُظهِر ثقةً.

٢٧- أيها الهراطقة، هل تظنون أن رب المجد خاف من الألم؟ لماذا قد دعا ق. بطرس 'شيطانًا' و 'حَجَر عثرةٍ'[٣٧]، حينما أخطأ عن جهل؟ إن ق. بطرس هذا الذي استنكر **سِر الآلام**، قد تقوَّى إيمانه بهذا التوبيخ الحاد من شفتي المسيح الوديع، وهو الذي ليس بواسطة لحمٍ أو دمٍ[٣٨] قد أَعلَن له الآب الذي في السموات.

أي رجاء وهمي تتبعونه حينما تُنكرون أن المسيح هو الله، وتنسبون له الخوف من الآلام؟ أكان خائفًا عندما تقدَّم لملاقاة الفِرق المسلحة التي جاءت لتعتقله؟ أكان هناك ضَعف weakness في جسده عندما اضطرب مطاردوه وحَطّوا من منزلتهم وسَقطوا مُنبَطحين، غير قادرين أن يحتملوا

---

[٣٧] (مت ١٦: ٢٢، ٢٣)

[٣٨] (مت ١٦: ١٦)

جلاله حينما سلَّم نفسه لسلاسلهم؟ أي ضَعف weakness يمكن أن يَأسُر جسد ذاك الذي لدى طبيعته مثل تلك القوة؟

٢٨- أم ربما قد خاف من ألم الجراحات the pain of wounds؟! قولوا لي إذًا، هل مَن قد أعاد الأُذن التي قُطِعَت بمجرد لمسته، يخاف من اختراق المسمار لجسده؟ أنتم يا مَن تؤكدون ضَعف الرب، فَسِّروا هذا العمل القوي الذي حدث في نفس اللحظة التي كان فيها جسده ضعيفًا ومتألمًا was weak and suffering. لقد استل بطرس سيفه وسَدَّد ضربةً، ثم وقف عبد رئيس الكهنة بأذنه مقطوعةً. كيف استطاع المسيح بلمسةٍ منه أن يعِيد لحم الأذن إلى المكان الذي قُطعت منه؟ وسط الدم السائل والجرح المتروك بفعل السيف القاطع، وحينما تشوَّه الجسد هكذا، مِن أين نشأت الأذن التي لم تكن موجودةً؟ مِن أين جاءت تلك التي لم تكن موجودةً قبلاً؟ كيف أُعيد ما كان مفقودًا؟ هل اليد التي خَلقت أُذنًا شعرت بألم pain المسامير (سوى بالتدبير)؟ ذاك الذي لم يَترُك غيره يشعر بآلام جرحه، هل هو نفسه شَعر بها (سوى بالتدبير)؟ الذي بلمسةٍ منه استطاع أن يُعِيد اللحم الذي قُطع، أكان حزينًا لأنه خاف من ثَقب جسده الخاص؟ فإن كانت هذه القوة في جسد المسيح، هل نجرؤ نحن بأن ندَّعي وجود الضعف infirmity في تلك الطبيعة، التي يمكن لقوَّتها الطبيعية أن تُبطِل كل الضعفات الطبيعية للإنسان؟

كيف يخاف المسيح من الآلام التي سيتمجد بها

٢٩- لكنهم، ربما، في انحرافهم الضال وعديم التقوى، يستدلون على ضَعفه من حقيقة أن نفسه كانت حزينة حتى الموت[٣٩]. أيها الهراطقة، أنا لا ألومكم على سوء فهم هذه العبارة. لكنني الآن سأسألكم فقط، لماذا تنسون أنه عندما خرج يهوذا ليسلمه، قد قال: الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ[٤٠]؟ إن كانت الآلام ستُمجِّده، فكيف يكون حزينًا بسبب خوفه منها؟ كيف خاف من الألم الذي سيُمجِّده، إلا إذا كان فاقد العقل أيضًا؟

كيف يخاف المسيح من كأس الألم، وهو قد أرادها

٣٠-ربما يُظَن أنه خاف لدرجة أنه توسَّل أن تَعبُر عنه الكأس، إذ قال: أَبَا، أَيُّهَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ[٤١]. ولكي لا أوسِّع الجدال، ألا يمكنكم دحض عدم التقوى الأحمق بقراءتكم لقوله: اجْعَلْ سَيْفَكَ فِي الْغِمْدِ. الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ أَلاَ أَشْرَبُهَا؟[٤٢] فكيف يدفعه الخوف من الألم أن يصلي لتعبُر عنه تلك التي أسرع لتنفيذها في حِرصه على إتمام الخطة الإلهية؟ من التناقض أن نقول إنه نَفِر من الألم الذي أراده. أنتم توافقون على أنه تألم بإرادته؛ ألا يكون أكثر توقيرًا أن تعترفوا

---

[٣٩] (مت ٢٦: ٣٨)

[٤٠] (يو ١٣: ٣١)

[٤١] (مر ١٤: ٣٦)

[٤٢] (يو ١٨: ١١)

بأنكم قد أسأتم فهم هذه العبارة، أفضل من أن تندفعوا بتهورٍ وبحماقةٍ ضالةٍ وراء تأكيد أنه صلى لأجل الهروب من الألم، رغم أنكم توافقون على أنه قد تألم بإرادته؟

قوله 'لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟' هو سلاح الكفرة الباطِل

٣١- لكنني مع ذلك أعتقد أنكم سوف تُسلِّحون أنفسكم أيضًا لأجل رأيكم الكافر بكلمات الرب: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟# ربما تظنون أن معونة أبيه قد فارقته بعد خِزي الصليب، ومِن ثَم أن صراخه بأنه قد تُرِك وحيدًا هو دليل ضعفه. لكن إن كنتم تعتبرون عار وضَعف وصليب المسيح خِزيًا، فينبغي أن تتذكروا كلماته: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَاب السَّمَاءِ*.

(مت ٢٧: ٤٦)، (مر ١٥: ٣٤) وعن تفسير هذه الآية يقول العلامة أوريجينوس: "إنها توضح سر الإخلاء من هيئة الله إلى هيئة العبد" *COMMENTARY ON MATTHEW* 135, GCS 38.2:279. ويقول ق. جيروم: "إن المسيح قَصَد أن يَذكر بداية المزمور الذي يتنبأ عن اقتسام الثياب وإلقاء القرعة على لباسه" *COMMENTARY ON MATTHEW* 4.27.46, CCL 77:274، ويقول ق. يوحنا فم الذهب: "إنه قال هذا لكي يروا أنه يعطي الكرامة لأبيه حتى النَفَس الأخير، وأنه وأباه على قلبٍ واحد": *THE GOSPEL OF MATTHEW*, HOMILY 88.1, PG 58:776; *NPNF* 1 10:521.{م}

* (مت ٢٦: ٦٤) مع ملاحظة أن النص الأصلي للآية ليست به كلمة 'الحق'.{م}

إثباتات لقوة جسد المسيح

٣٢- قولوا لي أرجوكم: أين يمكنكم أن تروا الخوف في آلامه؟ أين الضَعف؟ أين ألم الضَعف؟ أين العار؟ أيقول الكفَرة إنه قد خاف؟ لكنه قد أَعلَن بفمه رغبته بأن يتألم. أيؤكدون أنه كان ضعيفًا؟ لقد أظهر قوَّته، حينما أُصيب مطاردوه بالرُعب ولم يجسروا على ملاقاته. أيجادلون بأنه قد شَعَر بألم الجراحات في جسده (نتيجةً للضعف المرتبط بجسد الخطية)؟ لكنه أظهر، حينما أعاد لحم الأُذن المجروحة، أنه لم يشعُر* (عن ضعف) بآلام الجروح

---

* ولئلا يَظُن أحد أن ق. هيلاري يرفض فكرة شعور المسيح بالألم ينبغي توضيح نقطة مهمة. أولاً هو قد أكَّد في أكثر مِن موضع في نفس الكتاب أن المسيح قد **تألم وشعر بالألم، وحزن واضطرب وجاع**، وغيرها مِن المشاعر الإنسانية. إذ يقول، على سبيل المثال، في فقرة ٤٧ مِن نفس الكتاب: "وهكذا أيضًا قد **شَعَر** بالألم لأجلنا ". وفي نفس الفقرة يقول: "لقد أَخذ شكل العبد؛ وولادته كإنسان من العذراء تنقل لنا فكرة أن طبيعته **شعرت بالألم حينما تألم**. لكن رغم أنه كان مجروحًا، إلا أن هذا كان لأجل معاصينا". ويقول أيضًا في نفس الفقرة: "فقد تألم في جسده على شاكلة جسدنا الضعيف، ومع ذلك فقد تحمل آلام جسدنا بفضل قدرة جسده الخاص". ويقول أيضًا في نفس الكتاب فقرة ٣٠: "تألم بإرادته".

لكنه يريد أن يؤكد نقطةً في غاية الأهمية، ألا وهي أن جسد المسيح بمجرد اتحاده بلاهوت **الكلمة**، وبولادته العجيبة مِن العذراء، قد صار جسدًا مُمَجَّدًا، أو كما يسميه ق. كيرلس الكبير 'إلهيًا' {*De Adoratione*, 15 (PG 68: 1005 CD)}، غير خاضعٍ عن ضَعفٍ لأي مِن ضعفات البشر المرتبطة بالخطية ، إذ أنه بلا خطية. مِن ثَم فهو جسد قد صارت له قدراتٍ إلهيةً بفضل اتحاده **بالكلمة، لكنه مع ذلك قد شاركنا كل آلامنا وأوجاعنا ومشاعرنا الطبيعية**، وليست الناتجة عن فساد الطبيعة بسبب الخطية. **لذا فكل ما كان يصنعه جسديًا كان بالتدبير. فلو قُلنا إنه تألم وشعر بالألم فهذا بالتدبير، ولو قلنا إنه جاع أو بكى، فهذا أيضًا بالتدبير.**

والحقيقة أن هذه الفكرة قد تبناها ق. غريغوريوس النزينزي، وق. كيرلس الكبير بشكل واضح، ومِن بعدهما ق. ساويروس الأنطاكي.

يقول ق. غريغوريوس: "لأنه هو نفسه كان متحكمًا في ذاته فيما سوف يتألم به".

«..αὐτὸς γὰρ καὶ τοῦ παθεῖν ἦν ἑαυτῷ ταμίας...». Gregory Nazianzen, Or. XL, In *Sanctum Baptisma*. PG 36.400C.

ويقول ق. كيرلس الكبير: «مُنظِّمًا هو سِر التدبير بحسب الجسد من خلال الطُرق الملائمة له (للجسد)».

«τὴς κατὰ σάρκα οἰκονομίας τὸ μυστήριον διὰ τῶν αὐτῇ πρεπόντων διοικούμενος τρόπων». Adv. Nest. Lib. IV, PG 76.177B 10-12 (=Pusey edn. Vol. 6, p. 185.5-7).

ويقول أيضًا: «لكي يعيد شكل طبيعة الإنسان إلى ما كانت عليه في البدايات»

«ἀναμορφῶν εἰς τὸ ἐν ἀρχαῖς τὴν ἀνθρώπου φύσιν». Cyril, *QUSC.*, PG 75.1337 B 10-11 (= Pusey edn. Vol. 7, p. 4045-6).

ويقول أيضًا عن خوف المسيح: «خاف بالتدبير، حتى أنه أحيانًا كان يسمح لجسده باحتمال الأشياء التي تخُصه، لكي بهذا يُمكنه أن يجعلنا أقوياءً».

Cyril, *Apol. contra Theod.*, PG 76.441B-C (=Pusey edn. Vol. 6 p. 476.11-12).

ويقول ق. ساويروس الأنطاكي، بعد أن اقتبس كل الأقوال السابقة للقديسين غريغوريوس وكيرلس: "إن **الكلمة** المتجسد قد تصرَّف بطرقٍ وأمورٍ معينةٍ، «لأنها كانت تُناسب التدبير»". EM p. 85.20.

فإنه حينما وَحَّد **الكلمة** بذاته جسدًا إنسانيًا له نفس عاقلة، وجعله خاصته، قد حدث ما يُسمَّى (μεταστοιχείωσις / ميتاستويخيوسيس)، أي أن **الكلمة** قد «أعاد تشكيله» transelemented it، واستخدمه لغرضه الخاص، **وهو ما معناه أن الجسد قد ظهر بالمجد الخاص بالله، وليس أنه تحوَّل إلى الطبيعة الإلهية**. راجع: G. W. H. Lampe, *A Patristic Greek Lexicon*, s.v؛ والقديس كيرلس السكندري، *المسيح واحد*، ترجمة مركز دراسات الآباء طبعة يناير ١٩٨٧ صـ ١٠٠. ولمعرفة المزيد بخصوص هذا الموضوع، راجع كتاب *الخريستولوچي (التعليم عن المسيح) بعد مجمع خلقيدونية: الرسائل بين*

الجسدية، رغم كونه جسدًا. إن اليد التي لمسَت الأُذن المجروحة كانت تنتمي لجسده؛ ومع ذلك فإن تلك اليد قد خَلقَت أُذنًا من الجرح؛ **فكيف تكون تلك اليد إذًا لجسدٍ خاضعٍ للضَعف؟**

٣٣- لكنهم يقولون إن الصليب كان خزيًا له؛ ومع ذلك فبسبب الصليب يمكننا الآن أن نرى ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة، والذي وُلِد كإنسانٍ من رحم العذراء قد عاد في جلاله مع سُحُب السماء. **إن عدم تقواكم يُعميكم عن العلاقة الطبيعية بين السبب والنتيجة**؛ ليست فقط روح الكُفر والشر التي تملأكم هي التي تُخفي عن أفهامكم **سِر الإيمان**، بل بَلادة الهرطقة التي تَسحبكُم تحت مستوى الذكاء البَشري العادي. فمِن المنطقي أن نتجنب أي شيء نخشاه، إذ أن الطبيعة الضعيفة the weak nature هي فريسة الفزع بسبب ضعفها الشديد. فالذي يَشعُر بألم الضَعف له طبيعة مُعرَّضة للألم، إذ أن الإهانة هي دائمًا إنزال للرتبة. فبأي منطق إذًا تتمسكون بأن ربنا يسوع المسيح قد خاف مما هو مسرعًا إليه؛ أو أن الذي يُرعِب الشجعان يَرتَجِف هو نفسه بسبب الضَعف weakness؛ **أو أن الذي**

القديس ساويروس الأنطاكي وسرجيوس النحوي، ترجمة راهب من دير أنبا أنطونيوس. البحر الأحمر: دير القديس العظيم أنبا أنطونيوس، ديسمبر ٢٠١٥م، صفحة ١٥٧- ١٥٩.

وعن إعادة تشكيل الناسوت باتحاده باللاهوت يقول ق. كيرلس الكبير أيضًا: "وذلك ليحرر الجنس البشرى الذى كان مُستعبدًا للفساد، **مُشكِّلاً** إياه بطبيعة تقبل الحياة؛ ولهذا (الغرض) بالضبط اتَّخذ المسيح جسدًا". أُنظُر: القديس كيرلس السكندري: *الجلافيرا، تعليقات لامعة على سفر التكوين*، ترجمة د. جورج عوض. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م.{م}

أَوقَف ألم الجروح، هو نفسه يتألم (ضَعفًا) عندما يُجرَح؛ أو أن الذي تعرَّض للخِزي بِذُلِّ الصليب، قد جَلس بجوار الله في العُلا، وعاد إلى ملكوته بواسطة الصليب؟

الصلاة بخشوع لأجل فهم كلام الله

٣٤- لكنكم ربما تظنون أن عدم تقواكم ما زالت له فرصة باقية في أن يجد دليلاً لخوفه مِن النزول إلى العالم السفلي، وحتى من ضرورة الموت، في قوله: يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي[٤٣]. لكن لو قرأتم هذه العبارة بغير فهم، أليس من الأفضل ألا تقولوا شيئًا، أو أن تُصلُّوا بخشوع لأجل ظهور معناها، من أن تنساقوا وراء تلك التأكيدات الوقحة، وتكونوا غاضبين جدًا بحُمقكم الخاص من إدراك الحق؟ أيمكنكم أن تؤمنوا بأنه خاف من عُمق الهاوية، ولهيب النار، أو حُفرة العقاب المستحَق، حينما تُصغون إلى كلماته للِّص على الصليب: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ؟[٤٤] إن طبيعةً بهذه القوة لا يمكن أن تُحَدَّ بحدود العالم السفلي، ولا حتى تَخضع للخوف منه. حينما نَزل إلى الجحيم، لم يكن غائبًا أبدًا عن الفردوس {مثلما كان دائمًا في السماء حينما كان يكرز على الأرض كابن الإنسان}، بل وَعَد شاهِدَهُ[٤٥] ببيتٍ هناك، ومَنَحَه مشاعر الفرح الكامل. إن

---

[٤٣] (لو ٢٣: ٤٦)

[٤٤] (لو ٢٣: ٤٣)

[٤٥] أي اللص اليمين.

الخوف الجسدي لا يمكن أن يَلمس مَن نزل بالفعل إلى عُمق الجحيم، وهو موجود في كل مكان بقوة طبيعته. إن هُوة[٤٦] الجحيم abyss of Hell وأفزاع الموت لا يمكنها أن تَتحكَّم في الطبيعة التي تَحكُم العالم، (تلك الطبيعة) التي لا حدود لحُرية قوَّتها الروحية، والواثقة مِن نعيم الفردوس؛ فإن الرب الذي كان ينبغي أن ينزل إلى الجحيم، كان ينبغي أيضًا أن يمكُث في الفردوس. اِفصلوا، إن كنتم تستطيعون، الجزء الذي يمكن أن يخاف العقاب، **عن طبيعته غير القابلة للتقسيم***! اِرسلوا جزءًا من المسيح إلى الجحيم كي يُكابِد الألم، واتركوا الآخر في الفردوس لكي يحكُم! فإن اللص يقول: اذْكُرْنِي مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ. أعتقد أن **الأنين**# الذي سمعه، حينما اخترقت المسامير يد ربنا، هو الذي أثار فيه هذا الاعتراف المبارك بالإيمان؛ لقد عَرف ملكوت المسيح من خلال **جسده المُنهَك والمجروح**! لقد توسَّل لكي يذكره المسيح حينما يجيء في ملكوته؛ في حين أنكم تقولون إن المسيح خاف من موته معلقًا على الصليب! لقد وَعَده الرب قائلاً: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ؛ وأنتم تُخضِعون المسيح للجحيم وللخوف من العقاب. إن

---

[٤٦] بحسب اللغة اللاتينية للفولجاتا والآباء، فإن *chaos* لها نفس معنى χάσμα، أي (الهوة أو الهاوية) راجع: Rünsch, *Itala u. Vulgata*, p. 250.

* وهو ما يؤكد عُمق فكره اللاهوتي الأصيل، وانتماءه عن قناعة للاهوت السكندري.{م}

لا يمكن أن يكون المسيح قد أنَّ إلا إذا كان يشعُر بالألم الرهيب مِن جراح المسامير والجلدات، مما يؤكِّد أن ق. هيلاري يعي ذلك جيدًا، ولا ينفيه أبدًا، لكنه ينسبه للتدبير وليس لكون المسيح خاضعًا للألم بغير إرادته.{م}

إيمانكم سوف ينال العكس. اللص اعترف بالمسيح في ملكوته وهو مُعلَّق على الصليب، وكوفئ بالفردوس من على الصليب. أَمَّا أنتم يا مَن تنسبون للمسيح ألم القسوة والخوف مِن الموت، فلن تنالوا الفردوس ولن تنالوا ملكوته.

٣٥- لقد رأينا الآن القوة الكامنة في أعمال وأقوال المسيح. لقد أثبتنا بشكل محقَّق أن جسده لم يشترك في عجز infirmity الجسد الطبيعي، لأن قوَّته أمكنها أن تَطرُد نقائص infirmities الجسد؛ فإنه حينما تألم suffered، أمسك الألمُ بجسده، لكنه لم يبتليه بطبيعة الألم (أي بالضعف)؛ فبالرغم من أن هيئة جسدنا كانت في الرب، إلا أنه بفضل مصدره لم يكن في جسد ضعفنا ونقصنا (المرتبِطَين بالخطية). لقد حُبِل به من الروح القدس ووُلد من العذراء، التي قامت بوظيفة جنسها (أي الولادة)، إلا أنها لم تأخذ زَرع الحبَل[٤٧] به مِن رجل. لقد وَلدت جسدًا، لكن الحبَل تم بالروح القدس؛ جسدًا يمتلك حقيقةً متأصلةً، لكن بلا عجز infirmity في طبيعته. ذاك الجسد كان جسدًا حقيقيًا وواقعيًا، لأنه وُلِد من العذراء؛ لكنه كان **فوق** ضَعف weakness جسدنا، لأن بدايته جاءت من حبَلٍ روحيٍ.

---

[٤٧] *susceptis elementis*، ومعناها الحرفي 'تأخذ عناصر'.

حُزن نفس المسيح لم يكن بسبب الموت بل قد انتهى بالموت

٣٦- لكن حتى الآن، وبعد أن أثبتنا ما هو إيمان الرسول، يعتقد الهراطقة أنه في استطاعتهم أن يُقابلوه بالنص القائل: نَفْسِي حَزِينَةٌ حَتَّى الْمَوْتِ[٤٨]. تلك الكلمات، كما يقولون، *تُثبت وعيه بالضعف الطبيعي الذي جعل المسيح يبتدئ يحزن*. أنا الآن أناشد المنطق العادي أولاً، ما الذي نعنيه بـ 'حَزِينَةٍ حَتَّى الْمَوْتِ'؟ إنها لا تشير إلى نفس معنى 'حزينة بسبب الموت'؛ فإنه حينما يوجد حُزن بسبب الموت، يكون الموت هو سبب الكآبة. لكن الحزن حتى الموت[٤٩] يتضمن أن الموت هو النهاية، وليس السبب في الحزن. فإن كان إذًا حزينًا ليس بسبب الموت ولكن حتى الموت، فلا بُد لنا أن نسأل مِن أين جاء حزنه؟ لقد حَزن، ليس لمدة معينة، أو لمرحلة لا يمكن للجهل البشري أن يدركها، بل إلى الموت. الأمر بعيدٌ جدًا عن حُزنه بسبب الموت، فقد زال بالموت.

٣٧- ولكي نَفهم سبب حُزنه، تعالوا نرى ما جاء قبل وبعد هذا الاعتراف بالحُزن؛ لقد عَبَّر الرب تمامًا عن **سِر آلامه وسر إيماننا** خلال عشاء الفصح. بعد أن قال إنهم كلهم سيشُكُّون فيه[٥٠]، مع وعده بأنه سوف يسبقهم إلى الجليل[٥١]، اعترض بطرس بأنه إن شَك الجميع فإنه سيظل مؤمنًا

---

[٤٨] (مت ٢٥: ٣٨)؛ (مر ١٤: ٣٤)

[٤٩] *usque ad mortem*، ومعناها 'إلى'، وهي أكثر وضوحًا من الإنجليزية 'even unto'.

[٥٠] (مت ٢٦: ٣١)؛ (مر ١٤: ٢٧)؛ قارن (يو ١٦: ٣٢)

[٥١] (مت ٢٦: ٣٢)؛ (مر ١٤: ٢٨)؛ قارن (يو ١٦: ٧)

ولن يشُك[٥٢]. أما الرب الذي يَعرف بطبيعته الإلهية ما يجب عمله، أجاب قائلاً إن بطرس سيُنكره ثلاث مرات؛ لكي نَعرف مِن بطرس كيف شَكَّ الآخرون، لأنه هو نفسه قد زَلَّ في خطرٍ شديد على إيمانه بإنكاره ثلاث مرات. ثم بعد ذلك أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا - الأول والثاني اختيرا ليكونا شهيديه، بينما أُعطي يوحنا قوةً للكرازة بالإنجيل - وصرَّح بأنه كان حزينًا حتى الموت. ثم مضى وصلى قائلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ[#]. لقد صلى كي تعبُر عنه الكأس، بينما كانت أمامه فعلاً بالتأكيد؛ فبالرغم من هذا قد تحقق سفك دمه الذي للعهد الجديد لأجل خطايا الكثيرين. إنه لم يسأل ألا تكون هذه الكأس معه، بل أن تَعبُر عنه. ثم صلَّى ألا تتحقق مشيئته، وأراد ألا يُمنَح ما طلب أن يحدث. فإنه يقول: لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ

---

[٥٢] (مت ٢٦: ٣٣)

[#] (مت ٢٦: ٣٩). وعن تفسير ق. أثناسيوس لهذه الآية يقول: "وعن قوله 'إن أمكن، أن تعبر عني الكأس' (مت٢٦:٣٩) اعلموا كيف أنه رغم كلامه هكذا فقد انتهر بطرس قائلاً 'لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس' (مر٨:٣٣) لأنه كان يريد هذه الكأس التي طلب أن تعبُر عنه، إذ لأجل هذا قد جاء ولكن الإرادة كانت له. أما الخوف فهو خاص بالجسد، لذلك فقد نطق بهذا الكلام أيضًا كإنسان، ومع ذلك فالأمران معًا قالهما نفس الشخص، لكي يُظهر أنه هو الله الذى أراد في نفسه، ولكن حينما صار إنسانًا، فقد أخذ جسدًا يخاف، ولأجل هذا الجسد ربط إرادته الخاصة بالضَعف البشرى، لكي بإبادته لهذا الضعف، يعطى للإنسان أن يكون شجاعاً أمام الموت. يا له من أمر عجيب حقاً! فالمسيح الذى يُلصِق به أعداؤه كلمات الخوف، هو نفسه بواسطة ما يُسمّونه الخوف، جعل الناس شجعاناً وغير خائفين". راجع: ق. أثناسيوس الرسولي، *المقالة الثالثة ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، صـ ١٠٠، ١٠١.{م}

أَنْتَ، دالاً بصلاته التلقائية لأجل زوال الكأس على **اشتراكه في القلق البشري**، رغم ربط نفسه **بحُكم الإرادة التي يشارك فيها الآب بلا افتراق**. وعلاوة على ذلك، لكي يُظهِر أنه لا يُصلي من أجل ذاته، وأنه يَطلب فقط تحقيقًا مشروطًا لما يريده ويسأل من أجله، استهَل كل هذا الطلب قائلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ. هل يوجد شيء يُظَن أنه غير مُمكن لدى الآب؟ لكن إن كان لا يستحيل شيء على الآب، فيمكننا أن نرى ما كان يقصده عندما قال: إِنْ أَمْكَنَ[٥٣]؛ فإن تلك الصلاة قد تُبعَت مباشرةً بالكلمات: ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ[٥٤]. فهل مازال سبب ذلك الحُزن وتلك الصلاة غامضًا؟ إنه يوصيهم أن يسهروا ويُصلوا معه لكي لا يدخلوا في تجربة؛ لِأَنَّ الرُّوحُ نَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ. لقد كانوا تحت الوعد الذي بُني على ثبات النفوس المؤمنة، بأنهم لن يشُكُّوا، رغم أنهم كانوا سيشكُّون فيه بسبب ضَعف الجسد. لذا لم يكن حُزنه وصلاته لأجل نفسه، بل لهؤلاء الذين يحثهم على السهر والصلاة، لكي لا تكون كأس الآلام من نصيبهم؛ لئلا تظل معهم تلك الكأس التي صَلَّى أن تَعبُر عنه.

---

[٥٣] أي إمكانية ألا يتحمل التلاميذ تجربة الكأس إذا مكث الكأس معهم عوضًا عن أن يعبُر. وسوف يظهر التفسير في فقرة ٤٣.

[٥٤] (مت ٢٦: ٤٠، ٤١)؛ (مر ١٤: ٣٧، ٣٨)؛ قارن (لو ٢٢: ٤٥، ٤٦)

المسيح يصلي كإنسان لأجل البشر كي تَعبُر الكأس

٣٨- والسبب في أنه صلَّى أن تَعبُر عنه الكأس، إن أمكن، هو أنه رغم عدم استحالة شيء على الله، كما قال المسيح نفسه: أَيُّهَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ[٥٥]، إلا أنه لا يُمكن للإنسان أن يقاوِم الخوف من الألم، ولا يمكن البرهان على الإيمان إن لم يُمتحَن. ومِن هنا، **فإنه يُصلِّي كإنسان لأجل البَشر كي تَعبُر الكأس**، لكن لكونه إله من إله، فإن إرادته هي نفسها إرادة الآب الفعلية. إنه يُعْلِمنا بما قد عناه بـ 'إِنْ أَمْكَنَ'، في قوله لبطرس: هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ؛ وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ[٥٦]. **الكل كانوا سيشربون من كأس آلام الرب**، وقد صلَّى إلى الآب لكي لا يفنى إيمان ق. بطرس؛ لكي على الأقل لا يَضعُف جراء حُزن التوبة حينما أَنكر بسبب الضَعف weakness، لأن **التوبة تعني أن الإيمان قد بقي حيًا**.

الحزن كان على زعزعة إيمان التلاميذ أثناء لحظات آلامه

٣٩- إن الرب كان حزينًا إذًا حتى الموت لأن في وجود الموت، والزلزال، والنهار المُظلم، والحجاب المشقوق، والقبور التي فُتحَت، وقيامة الموتى، احتاج إيمان التلاميذ أن يترسَّخ بعد أن اهتَزَّ بشدةٍ بسبب الرعب من الاعتقال الليلي، والجَلد، والضرب، والبصق، وإكليل الشوك، وحَمْل الصليب،

---

[٥٥] (مر ١٤: ٣٦)

[٥٦] (لو ٢٢: ٣١، ٣٢)

وكل لعنات الألم، ولكن أصعبهم كان رَفْعه على الصليب الذي كان ملعونًا. وبما أن الرب كان يَعلم أن كل هذه الأمور كانت ستنتهي بآلامه، لذا فقد كان حزينًا حتى الموت. لقد عَلِم أيضًا أن الكأس لا يمكن أن تَعبُر **إلا إذا شَربها**، فإنه قال: يَا أَبَتَاهُ، إِنَّ هذِهِ الْكَأْسُ لَا يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي إِلاَّ بِأَنْ أَشْرَبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ[٥٧]؛ أي باكتمال آلامه، سوف يَعبُر الخوف من الكأس، وهذا لن يتحقق إلا إذا شربها؛ نهاية ذلك الخوف ستأتي فقط حينما يَكتمل ألمه ويزول[٥٨] الرُعب، لأن حجر عثرة ضَعف weakness التلاميذ سوف يزول بمجد قُدرته بعد موته.

لماذا قال: نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا، بعد أن انتهرهم بسبب النوم؟

٤٠- ورغم أنه بقوله: فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ، قد سلَّم الرُسل لحُكم إرادة الله، فيما يخُص عار الكأس، أي آلامه، إلا أنه لا زال يُكرِّر صلاته مرتين وثلاث مرات. ثم قال بعد ذلك: نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا[٥٩]. إنَّ دعوَتهم للنوم والراحة بعد أن وَبخهم على نومهم، كانت بوعي كامل لسرٍ مُعيَّن. أظن أن ق. لوقا قد أعطانا معنى هذه الوصية، إذ بعد أن أخبرنا كيف أن الشيطان قد

---

[٥٧] (مت ٢٦: ٤٢) مع ملاحظة تغيير صيغة الاستفسار التي جاءت في النَص اليوناني، إلى صيغة الإثبات.

[٥٨] *non nisi finito*.

[٥٩] (مت ٢٦: ٤٥)

طلب أن يُغربِل الرُسل كالحنطة، وكيف طُلِب[#] من الرب لكي لا يفنى إيمان بطرس، أضاف أن الرب صلى بحرارة، ثم وقف أمامه ملاك يعزيه، وإذ وقف أمامه الملاك صلى بأكثر حرارة، حتى صار عَرقه قطرات دم[٦٠] متساقطة. لقد أُرسل الملاك لحماية الرُسل، وبعد أن تعزى بواسطته الرب كي لا يحزن لأجلهم، قال دون الخوف من الحزن: نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا. لم يذكر ق. متى وق. مرقس شيئًا عن الملاك وعن طلب الشيطان؛ لكن بعد حُزن نفسه، وتأنيب النيام، والصلاة لكي تَعبُر الكأس، لا بُد أن يكون هناك سببٌ جيدٌ لأمره التالي للنيام؛ لو لم نفترض أنه كان على وشك الرحيل عنهم، وأنه هو نفسه قد نال التعزية من الملاك المُرسَل إليه، لفهمنا أنه كان يقصد تركهم لنومهم، كي يُقبَض عليهم قريبًا ويوضعوا في السجن.

لأنه حَزن لأجلنا، فلا بُد أيضًا أنه قد تعزى من الملاك لأجلنا

٤١- لا ينبغي في الواقع أن نُغفِل حقيقة أن مخطوطات عديدة، سواء لاتينية أو يونانية، لم تقُل شيئًا عن قدوم ملاك أو عن العَرق الدامي*. لكن بينما نحن نُرجئ الحُكم، سواء كان هذا إهمالاً لو كانت ناقصةً، أو إضافةً في

[#] (لو ٢٢: ٣٢) وهنا توجد ترجمة خاطئة لكلمة ἐδεήθην، إذ إن هذا الفعل مبني للمعلوم، لكنه يُصرَّف في المبني للمجهول، وبالتالي فالمعنى هو 'طلبتُ'، وليس 'طُلِبَ مِنِّي'.{م}

[٦٠] (لو ٢٢: ٤٣، ٤٤) وفي اليونانية ὡσεὶ، أي "مثل" الدم.

* وهي بالفعل غير موجودة في المخطوطة السينائية $\aleph^{2a}$، والمخطوطات $\mathfrak{P}^{75}$, A, B, N, T, W, 579، والقبطي الصعيدي وبعض مخطوطات من البحيري، والمخطوط السرياني السينائي.{م}

حالة وجودها {فإن اختلاف النُسَخ يترك المسألة عُرضةً للشك}، فلا تَدَعوا الهراطقة يشجعون أنفسهم بوجود إثبات لضَعفه هنا، بأنه احتاج للمعونة والتعزية من الملاك. دعوهم يتذكرون أن خالق الملائكة لا يحتاج تعضيدًا من مخلوقاته. كما أن تعزيته لا بُد أن تُفسَّر بنفس طريقة تفسير حُزنه. **لقد حزن لأجلنا، أي لحسابنا، فلا بُد أنه أيضًا قد تعزى لأجلنا، أي لحسابنا.** لو أنه قد حزن بخصوصنا، فقد تعزى بخصوصنا. الغرض من تعزيته هو نفسه الغرض من حزنه. فلا تَدعوا أحدًا يجرؤ على أن يَنسِب العَرق للضَعف weakness، لأن عَرَق الدم# أمرٌ مخالفٌ للطبيعة. ليس ضَعفًا، لأن قُدرته قد عكست قانون الطبيعة. العرق الدموي لا يُعضِّد هرطقة الضَعف، في حين أنه يَنفي الهرطقة التي تُلفِّق وجود جسد ظاهري*، ويُرسِّخ **حقيقة جسده. فبما أن حُزنه كان بخصوصنا، وصلاته كانت لأجلنا، فلا بُد لنا أن نستنتج أن كل هذا حدث لحسابنا، نحن الذين لأجلنا خاف وصلى.**

الحقيقة أن الآية التي جاءت في (لو ٢٢: ٤٤) تقول: "وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ" " ἐγένετο δὲ ὁ ἱδρὼς αὐτοῦ ὡσεὶ θρόμβοι αἵματος"، ولم تقل دمًا بشكلٍ واضح، لكن مع ذلك فمن الناحية العلمية وُجد أنه من الممكن أن يحدث هذا في حالة الاضطراب الشديد، حيث تنفجر الشعيرات الدموية المحيطة بغدد العرق، فيختلط العرق بالدم. لكن بالنسبة لزمن ق. هيلاري كان هذا أمرًا غريبًا على قوانين الطبيعة.{م}

* إشارة إلى هرطقة الدوسيين، مما يؤكد أنه لم يكن متأثرًا أبدًا بفكرهم، وهذا يدحض رأي الذين ينسبون إليه تهمة الدوسيتية بحجة عدم قبوله لفكرة شعور المسيح بالألم الناتج عن الضَعف.{م}

الأناجيل تُكمِّل بعضها البعض

٤٢- إن الأناجيل تُكمِّل بعضها البعض أيضًا؛ نحن نتعلم بعض الأشياء من الواحد، والبعض من خلال الآخر، وهكذا، لأنها جميعها من تعليم الروح الواحد. من ثَم فإن ق. يوحنا، الذي يُظهِر بالأخص عمل القضايا الروحية في الإنجيل، قد حفظ صلاة الرب للتلاميذ، تلك التي لم يَذكرها الآخرون كلهم؛ أعني كيف صلى قائلاً: أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ... حِينَ كُنْتُ مَعَهُمْ فِي الْعَالَمِ كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي حَفِظْتُهُمْ[٦١]. تلك الصلاة لم تكن لأجله بل لأجل رُسله؛ كذلك أيضًا حُزنه لم يكن على نفسه، حيث إنه أوصاهم أن يُصلّوا لئلا يدخلوا في تجربة؛ كما أن الملاك لم يُرسَل لأجله، لأنه إن أراد، يمكنه أن يُنزِل اثني عشر ألف ملاكًا من السماء[٦٢]؛ ولا هو أيضًا قد خاف من الموت حينما اضطرب حتى الموت. وهو أيضًا لم يطلُب أن تُهمَل الكأس، وإنما طلب أن تَعبُر عنه، رغم أنها لن تعبُر عنه إلا إذا شربها. **بل أيضًا 'عبور الكأس' لا يعني أن 'ترحل من مكانها' بل 'ألا يكون لها وجود بعد على الإطلاق'**؛ وهذا هو الظاهر في لغة الإنجيل والرسائل؛ على سبيل المثال، حينما يقال: اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَمْضِيانِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ[٦٣]؛ وأيضًا يقول الرسول: الأَشْيَاءُ

---

[٦١] (يو ١٧: ١١، ١٢). مع ملاحظة إغفاله لجملة "الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ".

[٦٢] (مت ٢٦: ٥٣)

[٦٣] (مر ١٣: ٣١) رغم أن اليوناني يذكر نفس الكلمة 'تزول' παρελεύσον، إلا أن ق. هيلاري يستخدم للأولى صفة 'المُضي' *transive*، وفي الثانية 'الزوال' *praeterive*.

الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا[٦٤]. وأيضًا هَيْئَةَ هذَا الْعَالَمِ تَزُولُ[٦٥]. لذا فالكأس التي يصلي إلى الآب بخصوصها لا يمكن أن تعبُر إلا إذا شُربَت؛ وحينما يُصلي فهو يُصلي من أجل هؤلاء الذين حفظهم، طالما كان معهم، والذين يستودعهم الآن للآب كي يحفظهم. والآن لكونه عتيدًا أن يُتمِّم **سِر الموت**، فهو يصلي إلى الآب أن يكون حافظًا لهم. إن حضور الملاك المُرسَل إليه {لو كان هذا التفسير صحيحًا} ليس موضع شك. لقد أَظهر يسوع يقينه بأن صلاته قد سُمعَت حينما دعا التلاميذ كي يناموا، بعد انتهائه منها. إن نتيجة تلك الصلاة والثقة التي بها أوصاهم أن يناموا، قد لاحظها الإنجيلي في طريق الآلام، إذ قال عن الرُسل قبل أن يفلتوا من أيدي المطاردين مباشرةً: لِيَتِمَّ الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ: إِنَّ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لَمْ أُهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا[٦٦]. لقد حَقَّق بنفسه طِلبته في الصلاة، فصاروا كلهم في أمان؛ لكنه يتضرع إلى الآب أن يَحفظ في اسمه أولئك الذين حفظهم. وهم محفوظون، فإن إيمان بطرس لم يسقط. لقد انكمش مرتعدًا، لكن التوبة كانت فوريةً.

٤٣- ضُمُّوا صلاة الرب التي ذكرها يوحنا، ورغبة الشيطان التي ذكرها ق. لوقا، والحزن حتى الموت والاعتراض على النوم ثم الحث على النوم، المذكورين في متى ومرقس، فتزول كل الصعوبات. إن الصلاة المذكورة في

---

[٦٤] (٢كو ٥: ١٧)

[٦٥] (١كو ٧: ٣١)

[٦٦] (يو ١٨: ٩)

يوحنا، والتي فيها يستودع الرُسل في يدي أبيه، تَشرح سبب حزنه، وصلاته لأجل عبور الكأس عنه. لم يطلب الرب أن تعبُر عنه الآلام. إنه يتضرع إلى الآب أن يحفظ التلاميذ أثناء آلامه العتيدة. بنفس الطريقة، الصلاة ضد الشيطان في لوقا تفسِّر سبب الثقة التي بها قد سَمح بالنوم الذي كان قد نهاهم عنه توًا.

أمثلة لعدم الشعور بآلام الضعف حينما تنتشي النفس بالهدف الأسمى

٤٤- وعليه، لم يكن هناك مكانٌ للقلق والخوف البشري في تلك الطبيعة التي فاقت طبيعة الإنسان*. لقد كان أعلى من أمراض الجسد الأرضي؛ جسدًا لم ينشأ عن عناصر أرضية، لأن منشأه كابن الإنسان كان بواسطة **سِر الحبَل من الروح القدس**. قوة العلي مَنحَت قوَّتها للجسد الذي ولدته العذراء بالحبَل من الروح القدس. إن الجسد الحي يستمد وجوده المدرِك من الارتباط بالنفس، التي تتخلل كل مكانٍ به، والتي تجعله أكثر إدراكًا للآلام التي يُبتلى بها من الخارج. وهكذا فإن النفس - (مثل نَفْس الشهداء) - التي بُشِّرَت بالسعادة لأجل إيمانها ورجائها السماويين، تسمو فوق منشأها الخاص عند بدايات تكوين الجسد الترابي، وتَرفع الجسد إلى

* وهو لا يقصد، كما سيظهر فيما بَعد، أن طبيعة جسد المسيح ليست مثل طبيعتنا، بل كل ما يقصده هو أن هذا الجسد بمجرد اتحاده بلاهوت **الكلمة** قد صار جسدًا ممجَّدًا إلهيًا (كما أسماه ق. كيرلس الكبير)، لكنه كان يُخفي هذا المجد (بحسب تدبير الإخلاء)، ويَسمح لجسده بالتدبير أن يشابهنا في كل احتياجاتنا وآلامنا.{م}

الاتحاد بها في سمو فكرها وحيويتها، لكي يتوقف عن الشعور بالألم* الذي يتحمله طوال الوقت. فما الحاجة إذًا إلى أن نقول أكثر من هذا عن طبيعة جسد الرب، الذي هو ابن الإنسان الذي نزل من السماء؟ فحتى الأجساد البشرية يمكنها في بعض الأحيان ألا تبالي بالاحتياج الطبيعي للألم والخوف.

٤٥- هل خاف الفتية اليهود من لهيب النار المتقدة بالوقود في أتون نار بابل؟ هل الخوف من تلك النار المُفزِعة قد تَسلَّط على طبيعتهم التي حُبل بها مثلنا[٦٧]؟ هل شعروا بألمٍ حينما حوطتهم النيران؟ ربما تقولون لي إنهم لم يشعروا بأي ألم، لأنهم لم يحترقوا؛ النيران فقدت طبيعتها المُحرِقة. من المؤكد أن طبيعة الجسد أن يخاف من الاحتراق، ومن أن يكتوي بالنار. لكن أجسادهم الأرضية - أي الأجساد التي استَمدَّت أصلها من عناصر الولادة الطبيعية - أمكنها ألا تحترق أو تخاف **بواسطة روح الإيمان**. إذًا ما حدث للرجال من انتهاكٍ لقانون الطبيعة نتيجة الإيمان بالله، لا يمكن اعتباره شيئًا طبيعيًا بالنسبة لله، **بل كفعلٍ للنفس** التي بدأت في الوجود مع بدايته الأرضية. لقد كان الفتية مربوطين في وسط النار، ولم يخافوا، بل امتطوا المَحرقة المشتعلة؛ لم يشعروا باللهيب لأنهم صَلوا؛ رغم كونهم في وسط الأتون إلا أنهم لم يحترقوا. **لقد فقدت النار وأجسادهم طبائعها**

---

* مثل الشهداء الذين كانوا يتلقون الضربات ثم ينهضون ثانيةً لنوال الأخرى، وكانوا يَقبلون الألم بالفرح الذي كان يجعلهم لا يبالون بالألم (وكأنهم لا يشعرون به).(م)

[٦٧] (دا ٣: ٢٣)

الخاصة؛ النار لم تَحرِق، والأجساد لم تحترق. ومع ذلك فبالنسبة للآخرين قد احتفظت كل من النار والأجساد بطبيعتها، إذ أن المتفرجين احترقوا، ومُنفذو العقوبة هم أنفسهم عوقبوا.

أيها الهراطقة عديمي التقوى، أنتم تريدون أن يشعر المسيح بالألم (مثلما نشعر نحن الضعفاء بآلام الضعف نتيجة الخطية) من جراء اختراق المسامير، وأن يشعر بمرارة الجرح حينما ثُقِبَت يداه؛ فقولوا لي: لماذا لم يَخَف الفتية النيران؟ لماذا لم يشعروا بأي ألمٍ؟ ما نوع طبيعة أجسادهم حتى تنتصر على طبيعة النار؟ لقد نسوا الخوف المفزع في حرارة إيمانهم وفي مجد الاستشهاد المبارك؛ أينبغي أن يحزن المسيح من خوف الصليب؟! المسيح الذي رغم كونه قد حُبِل به مثل مصدرنا المعيوب، إلا أنه لم يزل هو الله حتى فوق الصليب، وسَيُدين العالم ويَملُك إلى دهر الدهور! هل أمكنه أن ينسى المكافأة، ويرتعد بالقلق من الخوف المُشين؟

٤٦- إن دانيال الذي كان طعامه كنبي[٦٨] هو المقدار الضئيل، لم يَخف من جُب الأُسود. والرُسل فرحوا حينما ضُربوا وماتوا لأجل اسم المسيح. وكانت ذبيحة بولس تاج البر[٦٩]. الشهداء رنموا بالألحان وهم يقدمون رقابهم للجلاد، وبالمزامير تسلقوا الأخشاب المتقدة المرصوصة لأجلهم. **إن وعي الإيمان يُزيل ضَعف الطبيعة، ويُغيِّر الأحاسيس الجسدية كي لا يشعروا بالألم، وبالتالي يتقوى الجسد بالهدف الثابت للنفس، ولا يَشعُر بشيء سوى**

---

[٦٨] (دا ١: ٨- ١٦)

[٦٩] (٢تي ٤: ٦، ٨)

بحافز حماستها. إن الألم الذي يحتقره العقل لرغبته في المجد لا يشعُر به الجسد، طالما أن النفس تُقوّيه. إذًا فهو فِعل طبيعي في الإنسان، **أن حرارة النفس المتوهجة بالمجد** لا بُد أن تجعله غير مدرِك للألم، وغافلاً عن الجِراح، وغير مكترث بالموت. لكن يسوع المسيح، رب المجد، يمكن لهُدب ثوبه أن يشفي، ولُعابه وكلامه أن يخلقا؛ فإن الرجل صاحب اليد اليابسة قد مَد يده بأمره فصارت سليمة، والمولود أعمى لم يعُد يشعر بالعيب الذي وُلد به، والأُذن المقطوعة عادت صحيحةً كالأخرى؛ فكيف نجرؤ نحن أن ننسب لجسده المطعون ذلك الألم وذلك الضعف، الذي منه خَلُص الشهداء الأمجاد والمباركون **بروح الإيمان به؟**

طبيعته البشرية شعرت بالألم حينما تألم

٤٧- إذًا فالله الابن الوحيد تألم* في شخصه بهجمات جميع الضعفات التي نتعرض لها؛ لكنه تحمَّلها بقُدرة طبيعته الخاصة، مثلما وُلِد بقدرة طبيعته، لأنه لم يَفقد قدرته الكُلية بميلاده. ومع أنه وُلِد وِفقًا للظروف البشرية، إلا أنه لم يُحبَل به بنفس الطريقة؛ ولادته كانت مُحاطةً بالأحداث البشرية، إلا أن أصله يفوقها. **لذا فقد تألم في جسده على شاكلة جسدنا الضعيف، ومع ذلك فقد تحمل آلام جسدنا بفضل قدرة جسده الخاص.** ولأجل هذا الجزء من إيماننا يَشهد النبي حينما يقول: لَقَد حَمَلَ آثَامَنَا وَحَزِنَ لِأَجْلِنَا، وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا، مَضْرُوبًا، وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ

* وهذا تأكيد على عدم إنكاره أن المسيح قد تألم.{م}

مَعَاصِينَا، ومُسْتَضْعَفٌ لأَجْلِ آثَامِنَا"[٧]. إن الحُكم بالمنطق البشري يُخطئ إذا ظَن أنه شعر بالألم لأنه تعذب. لقد حمل خطايانا، **بمعنى أنه قد اتخذ له جسد خطايانا**، لكنه كان هو نفسه بلا خطية. لقد أُرسِل في شبه جسد الخطية، حاملاً بالفعل الخطية في جسده، لكنها خطيتنا نحن. **وهكذا أيضًا قد شَعَر بالألم لأجلنا*، لكن ليس بأحاسيسنا**؛ لقد وُجِد في الهيئة كإنسان، بجسد يمكنه أن يشعر بالألم، لكن طبيعته لم يمكنها أن تعاني (مثلما نعاني نحن الخطأة) بسبب الألم؛ فرغم أن هيئته كانت هيئة إنسان، إلا أن أصله ليس مثل أصل الإنسان، بل حُبل به من الروح القدس.

إذًا فقد حُسِب 'مُصابًا ومضروبًا ومذلولاً' بحسب المبررات المذكورة. لقد أَخذ شكل العبد؛ وولادته كإنسان من العذراء تنقل لنا فكرة **أن طبيعته شعرت بالألم حينما تألم**. لكن رغم أنه كان مجروحًا، إلا أن هذا كان 'لأجل معاصينا'. الجرح لم يكن جرح معاصيه الخاصة؛ الألم لم يكن لأجله هو. لم يولَد إنسانًا لأجل ذاته، ولا هو ارتكب معصيةً بفعله الخاص. إن الرسول يوضِّح **سبب التدبير الإلهي** بقوله: نَتَضَرَّعُ إِلَيكُمُ بِوَاسِطَةِ الْمَسِيحِ** كَي تَتَصَالَحُوا مَعَ اللهِ. الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، جَعَلَهُ خَطِيَّةً

---

[٧] (أش ٥٣: ٤، ٥). والترجمة هنا أقرب إلى السبعينية منها إلى العبرية والفولجاتا.

* ق. هيلاري يقول هنا إن المسيح شعر بالألم بالتدبير، لكن ليس بأحاسيسنا التي يُحرِّكها الخوف الذي أصاب طبيعتنا بسبب الفساد الناتج عن الخطية (وهذا هو فكره اللاهوتي).{م}

** وفي اليونانية Ὑπὲρ Χριστοῦ، أي 'لأجل المسيح' وليس 'بواسطة'.{م}

لأَجْلِنَا[٧١]. فإن الذي لم يَعرف خطية جُعل خطية، كي يدين الخطية في الجسد بواسطة الخطية؛ أي أنه صار جسدًا لأجلنا، كي يدين الخطية في الجسد من خلال الجسد، وهو الذي لم يكن يعرف جسدًا[٧٢]؛ ولذا فقد جُرح لأجل معاصينا.

احتمل كإنسان كل الضعفات لأجلنا، ولكنه انتصر عليها كلها كإله

٤٨- كذلك لم يَعرف الرسول شيئًا عن خوف المسيح من الألم. فحينما أراد أن يتكلم عن **تدبير الآلام**، جَعله متضمَّنًا في سِر لاهوت المسيح، إذ قال: مُسَامِحًا إِيَّانَا عَلَى جَمِيعِ الْخَطَايَا، مَاحِيًا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَالَّذِي كَانَ مُعَاكِسًا لَنَا؛ مُزِيلاً لَهُ وَمُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ؛ وبِخَلْعِهِ جَسَدِه مِنْ نَفْسِهِ، قَدْ أَشْهَرَ السُّلْطَاتِ، ظَافِرًا عَلَيهِم فِي نَفْسِهِ[٧٣]. هل تعتقدون أن تلك القوة استسلمت لجرح المسمار، أو ارتعبت أمام الضربات الثاقبة، أو تحولت إلى طبيعة يمكنها أن تشعر بالألم (سوى بالتدبير)؟ ومع ذلك فالرسول الذي يتكلم بلسان المسيح[٧٤]، رابطًا عمل خلاصنا بموت الرب، يصِف موت المسيح كـ 'خَلْع جسده من نفسه، مُخزيًا السلطات بجرأة، ومنتصرًا عليهم في ذاته'. **إن كان ألمه ضرورةً طبيعيةً وليس هو العطية**

---

[٧١] (٢كو ٥: ٢٠، ٢١)

[٧٢] أي جسد الخطية.

[٧٣] (كو ٢: ١٣-١٥)

[٧٤] (٢كو ١٣: ٣)

المجانية لخلاصكم*؛ إن كان الصليب هو مجرد ألم الجراح، وليس تسمير حُكم الموت المفروض عليكم في ذاته؛ إن كان موته عُنفًا قد تم بالموت، وليس خَلعًا للجسد مِن (النفس) بقوة الله؛ أخيرًا، إن كان موته نفسه شيئًا آخر غير إشهار السُلطات، وليس عملاً جريئًا وانتصارًا؛ فحينئذ انسبوا له الضَعف، لأنه حينئذ سوف يكون خاضعًا للحاجة والطبيعة، وللإجبار، وللخوف والعار. لكن إن كان على عكس ذلك بالنسبة **لسِر الآلام**، كما قد بُشِرنا، فقولوا لي أرجوكم، مَن هو فاقد الوعي هكذا، الذي يُنكر الإيمان الرسولي، ويُبطِل كل آراء الدين، ويشوِّه فعل الإرادة الحُرة، والسِر، وإظهار القوة والجرأة، والظَفر، إلى الاتهام المُشين بالضَعف الطبيعي؟ فيا لظفره، حينما قدَّم نفسه للذين طلبوا أن يصلبوه، ولم يحتملوا وجوده؛ حينما وقف محكومًا عليه بالموت، وهو مَن كان على وشك الجلوس عن يمين القوة؛ حينما صلى لأجل مضطهديه بينما هم يدقون فيه المسامير؛ حينما تَمم **السِر** بعدما فرغ من شرب الخل؛ حينما حُسب ضمن الأثمة ومَنح الفردوس (للِّص) في نفس الوقت؛ حتى إنه حينما رُفع على خشبة، تزلزلت الأرض؛ حينما عُلِّق على الصليب، هربت شمس النهار؛ حتى إن نفسه قد تَركَت جسده، رغم أنه

* أي أنه أراد أن يتألم لأجلنا حُبًا بنا، وليس عن ضرورة موضوعة عليه. وهذا يؤكد انتماء ق. هيلاري للاهوت الشرقي بشكل عام، والسكندري بشكل خاص، الذي يرى في الفداء خلاصًا بإعادة الحياة الإلهية للبشرية التي جلبَت على نفسها حُكم الموت، وليس مجرد إرضاء للعدل الإلهي.{م}

أعاد الحياة إلى أجساد الآخرين[٧٥]؛ دُفن كجثة وقام ثانيةً كإله؛ **احتمل كإنسان كل الضعفات لأجلنا** suffered all weakness for our sake، **ولكنه انتصر عليها كلها كإله.**

٤٩- لكن الهراطقة يقولون إنه لا يزال هناك اعترافٌ آخر هام وثقيل بخصوص الضَعف، وهو أكثر أهميةً مما سبق، لأنه قيل مِن فم الرب نفسه: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟[٧٦] إنهم يترجمون هذا إلى التعبير عن الشكوى المُرة مِن أنه قد تُرِك ثم توقف عن الشكوى بسبب الضعف weakness. يا له من تفسيرٍ مشوَّهٍ لعقل مجدِّفٍ! يا لبغضته لفحوى كلام الرب! لقد أسرع إلى الموت الذي به سيتمجد، وسيجلس بعده عن يمين القوة؛ فهل يخاف الموت بعد كل تلك الآمال المبارَكة، ويشتكي من أن إلهه قد خانه بسبب ضرورة الموت، في حين أنه كان مدخل السعادة الأبدية؟

ثلاث هرطقات

٥٠- علاوة على ذلك، فإن ابتداعهم الهرطوقي يستمر في الطريق المُعَد بواسطة تجديفهم الخاص، حتى إلى الاختزال التام لله **الكلمة** في النفس البشرية، وبالتالي إنكار كون يسوع المسيح، ابن الإنسان، هو نفسه ابن الله. *إما أن الله* ***الكلمة*** *قد توقَّف عن كونه نفسه حينما كان يؤدي دور*

---

[٧٥] تلميح إلى (مت ٢٧: ٥٢) "وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ".

[٧٦] (مت ٢٧: ٤٦)

النفس في إعطاء الحياة للجسد[٧٧]، *أو أن الإنسان الذي وُلِد لم يكن المسيح على الإطلاق، بل أن* **الكلمة** *حَلَّ فيه، مثلما حل الروح في الأنبياء*[٧٨]. تلك الأخطاء السخيفة والفاسدة قد نَمت بوقاحة وتجديف حتى إنهم أكدوا أن يسوع المسيح لم يكن المسيح* حتى وُلِد من مريم، أي أن المولود لم يكن كيانًا سابق الوجود، بل بدأ في تلك اللحظة في الوجود.

ثم يضيفون أيضًا خطأ كون الله **الكلمة** - كما لو كان جزءًا من القدرة الإلهية التي تمتد بتواصل مستمر - قد حَلَّ في ذلك الإنسان الذي أخذ بداية وجوده من مريم، ومَنَحَه قوة العمل الإلهي، رغم أن هذا الإنسان عاش وتحرَّك بطبيعة نفسه الخاصة[٧٩].

٥١- ومن خلال هذا التعليم الشرير والخبيث ينساقون وراء خطأ *أن الله* **الكلمة** *صار نفسًا للجسد، وأن طبيعته بإذلاله لذاته قد غَيرت ذاتها، وبالتالي فإن* **الكلمة** *قد توقف عن أن يكون إلهًا؛ أو أن الإنسان يسوع، في فقر وبُعد طبيعته عن الله، قد أُحيي فقط بحياة وحركة نفسه الإنسانية، التي أقام فيها* **كلمة** *الله، التي، كما لو كانت، هي قوة صوته المنطوق.* ومن هنا فإن طريق النظريات الشريرة صار مفتوحًا تمامًا؛ وخُلاصتها هي: *إما أن الله*

---

[٧٧] بدعة أبوليناريوس بأن في المسيح يسوع حل اللوغوس محل النفس البشرية العادية.

[٧٨] هذا التعليم تمسك به مارسيلُّوس أسقف أنقرة (راجع سوزومين *H.E* II. 33)، وفوتينوس؛ راجع كذلك ما قاله سوزومين عن هيبيون في (VII. 7).

* وهو هنا بالطبع يقصد أقنوم **الكلمة**.{م}

[٧٩] تعليم سابيليوس، قارن بما جاء في الكتاب الأول فقرة ١٦: 'امتدادًا أكثر من كونه ولادةً'.

الكلمة قد اندمج في النفس وتوقّف عن كونه الله؛ أو أن المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مريم، لأن يسوع المسيح، كإنسان بجسد عادى ونفس عادية، قد بدأ في الوجود فقط عند ولادته الإنسانية، وقد ارتفع إلى مستوى القوة، التي عملت فيه، بالقوة العرَضية للكلمة الإلهي، الممتدة فيه. ثم حينما تُرِك الله الكلمة بعد هذا الامتداد، صرخ قائلاً: إلهِي، إلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ أو على الأقل حينما تَركت الطبيعة الإلهية للكلمة مكانًا للنفس البشرية مرة أخرى، فإن مَن وثق حتى الآن في معونة أبيه، قد فُصِل عنها الآن، ومَن هُجِر حتى الموت، قد ناح على وحدته، ووَبَّخ هاجره.

إذًا، هناك خطرٌ داهمٌ على الإيمان من كل ناحية، سواء اعتقدنا أن شكواه تدُل على ضَعف weakness طبيعة الله **الكلمة**، أو أن الله **الكلمة** لم يكن موجودًا لأن ولادة يسوع المسيح من مريم كانت بداية وجوده.

الإيمان الكنيسة يُدرِك سِر التدبير

٥٢- وسط هذه النظريات الهشة والشريرة يظل إيمان الكنيسة، الموحَى به في تعاليم الرُسل، مُدرِكًا لميلاد المسيح، لكنه لا يعتبره بدايته. إنه يَعلم **التدبير**، لكنه ينفي وجود انقسامٍ*؛ هو يرفض أي انفصال في يسوع المسيح،

* أي أن إيمان الكنيسة يُدرِك الخطة الإلهية التي بها اختار الأقنوم الثاني من الثالوث أن يأخذ شكل إنسان، لكنه في نفس الوقت يرفض فصل الهيئة الإلهية عن البشرية في يسوع المسيح. والحقيقة أن هذا يؤكد فكر الآباء بخصوص طبيعة المسيح الواحدة المركبة غير القابلة للانفصال، حتى قَبْل أن يُثار الجدل الخاص بهرطقة نسطور، فإن ق. هيلاري قد تنيح قبل مجمع أفسس بعشرات السنين.{م}

بحيث يكون يسوع واحدًا والمسيح آخر؛ ولا يميِّز بين ابن الإنسان وابن الله، لئلا ربما يُعتبَر ابن الله ليس هو ابن الإنسان أيضًا. لا يَختزِل ابن الله في ابن الإنسان؛ ولا يُمزِّق المسيح إربًا إلى ثلاثة أجزاءٍ[٨٠] - ذاك الذي لم يُشَق ثوبه المنسوج من فوق كقطعة واحدة - بأن يُقسِّم يسوع المسيح إلى **الكلمة**، والجسد والنفس[#]؛ ولا، من ناحية أخرى، يَختزل **الكلمة** إلى جسد ونفس. بالنسبة له (أي لإيمان الكنيسة)، هو الله **الكلمة** بكامله، والمسيح الإنسان بكامله. **بهذا فقط نتمسك بشدة بسِر اعترافنا، أي، الإيمان بأن المسيح ليس آخر سوى يسوع، والتعليم بأن يسوع ليس آخر غير المسيح.**

محدودية عقل الإنسان

٥٣- أنا لست جاهلاً بالصعوبات التي تواجه فهمنا الضعيف بخصوص عَظَمة **السِر الإلهي**، حتى إن اللغة نادرًا ما يمكنها التعبير عنه، والعقل نادرًا ما يحدده، والفكر نادرًا ما يتقبله. إن الرسول، وهو عالِمٌ بأن المهمة الأكثر صعوبة بالنسبة لطبيعتنا الأرضية هي أن نَفهم بدون معونة طريقة الله في العمل {فكلما زادت قدرة الله على العمل كلما صعب علينا إدراكها}*، قد كَتب إلى ابنه الصريح في الإيمان، والذي تَسلَّم الكُتب

---

[٨٠] بدعة أبوليناريوس.

[#] أي يَفصِل لاهوته عن ناسوته.{م}

* قد تكون هذه إشارة إلى الزعيم الأريوسي إفنوميوس الذي افتخر بأنه يَعلم كل شيء عن الأمور الإلهية. راجع:

المقدسة منذ طفوليته: كَمَا طَلَبْتُ إِلَيْكَ أَنْ تَمْكُثَ فِي أَفَسُسَ، إِذْ كُنْتُ أَنَا ذَاهِبًا إِلَى مَكِدُونِيَّةَ، لِكَيْ تُوصِيَ قَوْمًا أَنْ لاَ يُعَلِّمُوا تَعْلِيمًا آخَرَ، وَلاَ يُصْغُوا إِلَى خُرَافَاتٍ وَأَنْسَابٍ لاَ حَدَّ لَهَا، تُسَبِّبُ مُبَاحَثَاتٍ دُونَ تَعْلِيمِ اللهِ الَّذِي فِي الإِيمَانِ[٨١]. إنه يوصيه أن يمتنع عن تناول الخرافات والأنساب التي تُثير مباحثاتٍ لا حد لها. وإنما تعليم الله، كما يقول، هو في الإيمان؛ **إنه يَرسم حدودًا للتبجيل البشري في العبادة المؤمنة بالقدير، ولا يسمح لضعفنا بأن يُجهد نفسه في محاولة رؤية ما يُبهر العين فقط.** إذا نظرنا إلى لمعان الشمس، يُجهَد البصر ويَضعُف؛ وأحيانًا حينما نتفحص بنظرة فضولية جدًا في مصدر النور المُشِع، تفقد العيون قدرتها الطبيعية، وتتلف حاسة البصر. وهكذا يحدُث أنه حينما نحاول أن نرى أكثر من اللازم، فإننا لا نرى شيئًا على الإطلاق. فما بالنا في حالة الأمور المختصة بالله، شمس البر*؟ ألن يكون جزاء الحُكماء أكثر من اللازم هو الحماقة؟ ألا تَحل الحماقة والذهول الأبله مَحل نور الذكاء المتوهج؟ إن الطبيعة الأدنى لا يمكنها أن تستوعب مبدأ الطبيعة الأعلى؛ ولا يمكن لطريقة السماء في التفكير أن تُعلَن للإدراك البشري، لأن كل ما هو في مجال الوعي المحدود، يكون هو نفسه محدودًا. إذًا قُدرة الله تفوق إدراك العقل البشري. وإن حاول المحدود أن يُجهد ذاته كي

The Fathers of The Church, 25, *Saint Hilary of Poitiers, The Trinity*, translated by Stephen McKenna, C.SS.R, The Catholic University of America, 2002. p. 439.{م}

[٨١] (١تي ١: ٣، ٤)

* (مل ٤: ٢)

يَصل بعيدًا، فسوف يصير أكثر ضَعفًا من ذي قبل. إنه يفقد هذا الشيء بعينه الذي كان يمتلكه؛ وبدلاً من أن يَرى الأمور السماوية لن ينال إلا العمى بسببها. لا يمكن لعقل أن يَفهم الأمور الإلهية؛ إنه يعاقِب عِناد الفضوليين بتجريدهم من قوَّتهم. وكما أننا لكي نرى الشمس لا بُد من أن نُزيل الوهج قدر إمكاننا كي يمكننا أن نراها - لكن لو لم نُزِله، فسوف نخيب في الحصول على القدر الممكن، إذا ما طلبنا أكثر من اللازم - هكذا أيضًا يمكننا أن نأمل فقط في فهم أهداف السماء، بمقدار ما هو مُتاح. لا بُد أن ننتظر فقط ما يَمنحه لإدراكنا؛ إذا حاولنا الذهاب إلى ما هو أبعد من حدود تساهله، فسوف يضيع الكل. هناك شيء عن الله نستطيع أن ندركه؛ هذا واضح للكل إذا كُنا قانعين بالمتاح. كما أننا يمكننا مع الشمس أن نرى شيئًا، إذا اكتفينا بأن نرى ما يمكن رؤيته، لكن لو أَجهدنا أنفسنا فيما هو أكثر من الممكن فسوف نخسر الكل؛ الأمر هكذا بالنسبة لطبيعة الله. هناك ما يُمكن أن نفهمه إذا كُنا قنوعين بفهم ما يمكننا فهمه؛ لكن لو تُقتم إلى ما هو أكثر من قدراتكم، فسوف تفقدون حتى القُدرة على بلوغ ما هو في متناولكم.

٥٤- لن أتناول الآن سِر ذلك الميلاد الآخَر الأزلي؛ إن معالجته تتطلب مساحةً أكثر اتساعًا من هذا. أما في الوقت الحالي فسوف أتكلم عن التجسد فقط. أخبِروني من فضلكم، يا مَن تُحدقون النظر في أسرار السماء، عن **سِر المسيح** الذي وُلد من العذراء، وعن طبيعته؛ مِن أين ستُفسِّرون أنه قد حُبِل به ووُلِد من عذراء؟ ما هو السبب الطبيعي لمصدره

تبعًا لمجادلاتكم؟ كيف تكوَّن في أحشاء أمه؟ مِن أين جاء جسده وطبيعته البشرية؟ وأخيرًا، ما هو المقصود بـ 'ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ'[٨٢]؟ فليس من الممكن لقوانين الأجساد أن تَنزِل من نفس المكان الذي تبقى فيه؛ ففي الحالة الأولى هناك عدم حركة في البقاء، وفي الأخرى هناك تغيُّر بسبب الحركة إلى أسفل. **الرضيع يبكي ولكنه في السماء؛ الصبي ينمو ولكنه يبقى الإله الذي لا حَدَّ له. فكيف يمكن لعقلنا البشري أن يستوعب أنه صعد إلى حيث كان قبلاً، ونزل وهو باقٍ في السماء؟** لقد قال الرب: فَمَاذَا إِنْ رَأَيْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ صَاعِدًا إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلاً[٨٣]؟ فأي عقل يُدرِك هذا، أن ابن الإنسان يَصعد إلى حيث كان؟ أيمكن للمَنطِق أن يَحل هذه المعضلة، أن ابن الإنسان ينزل من السماء وهو في السماء؟ أيمكن للكلمات أن تُعبِّر عن هذا، أن **الكلمة** صار جسدًا؟ **الكلمة** صار جسدًا، أي أن الله صار إنسانًا؛ الإنسان في السماء، والله ينزل من السماء. الذي نزل يَصعد؛ لكنه ينزل رغم كونه لا ينزل. هو كما كان دائمًا، ومع ذلك فهو لم يكُن أبدًا مثلما هو الآن*. نحن نَستعرِض الأسباب، لكننا لا يمكننا تفسير الأمر؛ نحن نُدرِك الأمر، لكننا لا يمكننا أن نَفهم الأسباب. **ومع ذلك فإن فَهِمنا يسوع المسيح هكذا، فسوف نَعرفه، لكن لو سعينا في طلب فهمه أكثر من هذا فلن نَعرفه على الإطلاق.**

---

[٨٢] (يو ٣: ١٣)

[٨٣] (يو ٦: ٦٢)

* أي أنه لم يكن قبلاً إنسانًا، لكنه الآن صار إنسانًا، أي تأنس.{م}

النفس البشرية للناسوت الكامل هي التي حزنَت وبكَت

٥٥- مرة أخرى، ما أعظم سِر الكلام والفعل في **كون المسيح قد بكى، وعيناه امتلأتا من الدموع بسبب كَرب مزاجه**[٨٤]. من أين جاء ضَعف نفسه حتى تَسبَّب حُزنه في انتزاع الدموع من جسده؟ أية نهاية مُرة، وأي ألم غير مُحتمَلٍ قد حدث كي يسيل دمع ابن الإنسان الذي نزل من السماء؟ وأيضًا، ما الذي بكى فيه؟ هل هو الله **الكلمة**، أم نفسه البشرية؟ على الرغم من أن البكاء هو وظيفة جسدية، إلا أن الجسد ليس سوى خادم؛ **فإن الدموع، مثلما كانت، هي عرَق النفس المكروبة**. مرة أخرى، ما هو السبب الذي دعاه للبكاء؟ هل هو مَدين لأورشليم بدَين دموعه؛ أورشليم الشريرة قاتلة آبائها، التي لا يمكن لألم أن يعوِّض عن قَتْلِها للرسل والأنبياء، وقتلِها لربها نفسه؟ لقد بكى لأجل المصائب والموت الذي يصيب البشرية؛ لكن هل أمكنه أن يحزن لأجل سقوط هذا الجنس المُدان والبائس؟ إنني أتساءل ما هو سِر هذا البكاء؟ لقد بكَت نفسه بسبب الحزن؛ لكن هل تلك النفس هي التي أَرسلَت الأنبياء؟! أكانت تلك التي جَمعَت الفراخ تحت ظِل جناحيه مرارًا كثيرة[٨٥]؟! لكن الله **الكلمة** لا يُمكن أن يَحزَن، ولا الروح* أن يبكي؛

---

[٨٤] (لو ١٩: ٤١)

[٨٥] (مت ٢٣: ٣٧)؛ (لو ١٣: ٣٤).وهو هنا يحاول أن يؤكد أن هناك فرق بين اللوغوس وبين النفس البشرية للمسيح، لأن النفس البشرية التي وُجِدَت بوجود الجسد هي التي حزنت وبكت، وليس روح **الكلمة** أبدًا هو الذي بكى. وهذا التعليق هو ضِد بدعة أبوليناريوس الذي نفى وجود نفس حيَّة للمسيح، وعَوَّض عنها باللوغوس.{م}

ولا أمكن لنفسه أن تَفعل أي شيء قَبل أن يوجد الجسد. ومع ذلك لا يمكن أن نشُك في أن يسوع المسيح قد بكى بالحقيقة[٨٦].

٥٦- وقد ذرف **دموعًا حقيقيةً** أيضًا على لعازر[٨٧]. وهنا أسأل أولاً. ما الذي دفعه للبكاء في حالة لعازر؟ ليس موته، لأن هذا لم يكُن للموت، بل لمجد الله؛ لأن الرب يقول: هذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ، بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللهِ، لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللهِ بِهِ[٨٨]. إذًا فالموت الذي هو لمجد الله لم يكن سبب الحزن والدموع، ولم تكن هناك ضرورة للبكاء في غيابه عن لعازر في وقت موته. إنه يقول بوضوح: لِعَازَرُ مَاتَ. وَأَنَا أَفْرَحُ لأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ، لِتُؤْمِنُوا[٨٩]. إذًا فغيابه، الذي عضَّد إيمان الرُسل، لم يكن هو سبب حُزنه؛ فإنه بعِلمه الإلهي غير المحدود، قد أَعلن عن موت المريض عن بُعد. من ثَم لن يمكننا أن نجد أي ضرورة للدموع، لكنه مع ذلك قد بكى. إنني أتساءل ثانيةً، إلى مَن ينبغي أن نَنسب البكاء؟ إلى الله، أم إلى النفس، أم إلى الجسد؟ إن الجسد بمفرده ليست عنده دموع سوى التي تسيل بأمر النفس الحزينة. وغير وارد أن يبكي الله، لأنه كان سيتمجد في لعازر. وليس منطقيًا أن نقول

---

* الروح الإلهية لأن الله روح.{م}

[٨٦] النفس البشرية في يسوع هي التي أمكنها فقط أن تحزن وتبكي؛ ومع ذلك فإن الروح الإلهي هو الذي أَرسل الأنبياء؛ لأن النفس البشرية وُجِدت فقط بالاتحاد مع جسده.

[٨٧] (يو ١١: ٣٥)

[٨٨] (يو ١١: ٤) و 'به' هنا يقصد بها 'لعازر'. لكن في الأصل اليوناني للآية δι' αὐτῆς أي: 'بذلك'.

[٨٩] (يو ١١: ١٥)

إن نفسه قد استَدعت لعازر من القبر؛ فهل يمكن لنفسٍ مرتبطةٍ بجسدٍ، أن تستدعي بقوة أمرها نفسًا أُخرى للعودة إلى الجسد الميت التي منه قد رحلَت؟ هل يمكن أن يَحزَن مَن سوف يتمجد؟ أيبكي مَن سوف يُعيد الحياة إلى الميت؟ ليس من خاصية مُعطي الحياة أن يبكي، ولا الذي سيتمجد أن يَحزن. **ومع ذلك فإن الذي بكى وحزن كان هو أيضًا مُعطي الحياة***.

نفس المسيح غير أقنوم الكلمة

٥٧- لو كان هناك العديد من النقاط التي عالجناها على نحو غير كافٍ، فإن هذا ليس بسبب افتقارنا لما نقوله، أو لعدم إلمامنا بما قد قيل بالفعل؛ إن هدفنا، بامتناعنا عن عملية الجدال المجهِدة، هو تقديم النتائج بأكبر قَدر من الجاذبية للقارئ. نحن نَعلم أعمال وكلمات ربنا، ومع ذلك فنحن لا نُدرِكها؛ نحن لا نجهلها، لكنها مع ذلك لا يمكن فهمها. الأعمال حقيقية، **لكن القُدرة التي تَمَّت بها هي سرٌ**. سوف نُثبت هذا من كلام الرب نفسه: لِهذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا. هذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي[٩٠]. إنه يضع نفسه من ذاته، لكنني أسأل: من الذي

---

* وهذا يبين عمق الفكر الخريستولوجي عند ق. هيلاري، بإدراكه لمبدأ 'تبادل واتصال الخواص' *communicatio idiomatum*، والذي يعني أنه بعد اتحاد اللاهوت والناسوت في شخص المسيح صار هناك تبادل للصفات الإلهية والإنسانية التي تعود إلى مركز واحد وهو شخص الكلمة المتجسد.{م}

[٩٠] (يو ١٠: ١٧، ١٨)

يضعها؟ نحن نعترف بلا تردد بأن المسيح هو الله **الكلمة**؛ لكننا نُدرك من ناحية أخرى أن ابن الإنسان له نفس وجسد؛ قارنوا هذا بما قاله الملاك ليوسف: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ[٩١]. لِمن كانت هذه النفس؟ للجسد أم لله؟ إن كانت للجسد، فما هي القوة التي يملكها الجسد كي يضع النفس، حينما يكون حيًا فقط بعمل النفس؟ وأيضًا كيف يمكن للجسد، الذي سوف يكون خاملاً وميتًا بدون النفْس، أن يأخذ وصيةً من الآب؟ لكن من ناحية أخرى، لو اعتقد أحد أن الله **الكلمة** قد وَضع نفْسه ليأخذها أيضًا، فلا بُد أن يُثبت لنا أن الله **الكلمة** قد مات، أي أنه بقي بلا حياة أو شعور مثل جسد ميت، وأخذ نفسه أيضًا ليحيا بها مرة أخرى.

اللاهوت ليست له يدان وعينان، وغيرها

٥٨- علاوة على ذلك، لا يمكن لأحد عاقل أن ينسب نفسًا إلى الله؛ رغم أنه مكتوب في أماكن كثيرة أن نفس الله تُبغِض السبوت ورؤوس الشهور[٩٢]؛ وأيضًا أنها تُسَر بأشياء معيَّنة. لكن هذا مجرد تعبير تقليدي يُفهَم بنفس المعنى عندما نتكلم عن الله كأنه يمتلك جسدًا، له يدان، وعينان، وأصابع، وذراعان، وقلب. كما قال الرب: الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ[٩٣]؛ إذًا

---

[٩١] (مت ٢: ٢٠)

[٩٢] مثلما في (أش ١: ١٤): "رُؤُوسُ شُهُورِكُمْ وَأَعْيَادُكُمْ بَغَضَتْهَا نَفْسِي".

[٩٣] (لو ٢٤: ٣٩)

فإن الذي 'لاَ يَتَغَيَّرُ'[٩٤] لا يمكن أن تكون له أعضاء وأجزاء الجسد المادي. إنه طبيعة بسيطة ومقدسة، واحدة وكاملة، وتتضمن كل شيء. إذًا فالله لا يَنشط للحياة مثل الأجساد، بفعل نفسٍ كامنة فيه، **بل هو ذاته حياته الخاصة.**

ينبغي أن نرى الله في المسيح بدون تجاهُل الناسوت

٥٩- فكيف يضع نفسه أو يأخذها أيضًا؟ ما هو معنى هذه الوصية التي قبِلَها؟ إن الله لا يضعها، أي يموت، أو يأخذها أيضًا، أي يعود للحياة. لكن الجسد لم يُؤمَر بأن يأخذها أيضًا؛ إنه لا يَفعل هذا من ذاته، لأنه قال عن هيكل جسده: انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ[٩٥]. وعليه، فإن الله هو الذي يُقِيم هيكل جسده. ومَن هو الذي يَضع نفسه ليأخذها أيضًا؟ إن الجسد لا يأخذها بذاته، لكن الله هو الذي يُقِيمها. إن الذي أُقيم ثانيةً لا بُد أنه مات، والحي لا يضع نفسه. إذًا فإن الله لم يمُت ولم يُدفن؛ ومع ذلك فقد قال: فَإِنَّهَا إِذْ سَكَبَتْ هذَا الطِّيبَ عَلَى جَسَدِي إِنَّمَا فَعَلَتْ ذلِكَ لأَجْلِ تَكْفِينِي[٩٦]. إن ما قد سُكب على جسده كان لأجل تكفينه؛ لكن 'ما هو له' ليس مثل 'ما هو عليه'. إنه استخدام آخر تمامًا للضمير حينما نقول،

---

[٩٤] (ملا ٣: ٦)

[٩٥] (يو٢: ١٩)

[٩٦] (مت ٢٦: ١٢)

'لقد حدث هذا لأجل تكفينه'، وحينما نقول، 'لقد مُسِح جسده'؛ فعبارة 'جسده قد دُفن' ليست مرادفة لعبارة 'هو قد دُفن'.

٦٠- **لكي نفهم هذا السر الإلهي ينبغي أن نرى فيه الله بدون تجاهُل الإنسان***؛ وأن نرى الإنسان دون أن نتجاهل الله. لا ينبغي أن نقسِّم يسوع المسيح، لأن **الكلمة** صار جسدًا؛ ومع ذلك فلا ينبغي أن نقول عنه إنه مدفون، رغم أننا نعرف أنه أقام نفسه ثانيةً؛ وألا نشُك في قيامته، رغم أننا لا نجرؤ أن نُنكر دفنه[٩٧]. إن يسوع المسيح قد دُفِن، لأنه مات؛ لقد مات، وصرخ عند موته قائلاً: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ - لأنه أيضا مات، والذي مات صرخ وهو على وشك الموت. ومع ذلك، فإن الذي نَطق بتلك الكلمات قد قال أيضًا: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ[٩٨]، والذي وَعد بالفردوس للِّص قد صَرخ عاليًا: يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي؛ وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ[٩٩].

٦١- فأنتم يا مَن تُقسِّمون المسيح إلى **الكلمة**، والنفس والجسد، أو تقللون من رُتبة المسيح، الذي هو الله **الكلمة**، إلى عضو مستقل من جنسنا،

---

* وهذا هو إيمان الكنيسة منذ البداية وحتى الآن، مما يؤكد عمق الفكر الخريستولوجي عند ق. هيلاري.{م}

[٩٧] ق. هيلاري هنا يؤكد سر وجود الطبيعة الإلهية والإنسانية في شخص واحد. لا يمكننا أن نقول إن الطبيعة الإلهية قد دُفِنَت؛ ولا أن الطبيعة البشرية قد أعادت الحياة إلى نفسها؛ ومع ذلك فإن يسوع المسيح قد مات، ودُفِن، وقام ثانيةً.

[٩٨] (لو ٢٣: ٤٣)

[٩٩] (لو ٢٣: ٤٦)

اكشفوا لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى الذي أُظهِر في الجسد[١٠]. ما هو الروح الذي أسلم المسيح إياه؟ مَن الذي استودع روحه في يدي أبيه؟ مَن الذي كان في الفردوس في ذاك اليوم نفسه؟ مَن الذي شكى من كونه متروكًا من الله؟ إن صراخ المتروك يدُل على ضعف مَن هو على وشك الموت؛ والوعد بالفردوس يدُل على **القوة السائدة** لله الحي. إن استيداع روحه يدُل على الثقة؛ أما تسليمه للروح فيتضمن انطلاقه بالموت. ولهذا أنا أسأل، من هو الذي مات؟ بالتأكيد هو الذي أَسلم روحه. لكن مَن هو الذي أسلم روحه؟ بالتأكيد هو الذي أستودعها لدى أبيه. لكن لو كان الذي أَسلم روحه هو نفسه الذي استودعها ومات، فهل الجسد هو الذي استودع نفسه، أم الله الذي استودع النفس التي للجسد؟ أنا أقول 'النفس'، لأنها بلا شك تترادف كثيرًا مع 'الروح'، مثلما يمكن أن يُستنتَج هنا من اللغة فحسب؛ لقد أسلم يسوع 'روحه' حينما كان في مرحلة الموت. إذًا فلو كُنتم مقتنعين تمامًا بأن الجسد هو الذي استودع النفس، أي أن الفاني قد استودع الحي، أو أن القابل للفساد استودع الأبدي، أو أن الذي سيقام من الأموات استودع الباقي بلا تغيير، فسوف أسأل الآن إن كان الذي دخل القبر قد ظل في السماء، بما أن الذي استودع روحه للآب وَجب أيضًا أن يكون في الفردوس مع اللص في نفس ذلك اليوم؟ وهل كان مقيمًا في السماء، حينما صرخ قائلاً إن الله تركه؟

---

[١٠] (١تي ٣: ١٦)

الذي يموت يملك، والذي يملك يموت

٦٢- إن الرب يسوع المسيح بعينه، **هو الكلمة** الذي صار جسدًا، والذي عبَّر عن ذاته في كل تلك الكلمات، الذي هو إنسان حينما يقول إنه قد تُرِكَ إلى الموت؛ ومع ذلك، فبينما هو يظل إنسانًا، إلا أنه يَملُك في الفردوس كإله، وإذ يَملُك في الفردوس، فإنه كابن الله يَستودع روحه عند أبيه، وكابن الإنسان فهو يُسلِّم روحه التي استودعها عند الآب للموت. لماذا نَكيل الآن الإهانات إلى ما هو سِر؟ نحن نراه مُشتكيًا مِن أنه تُرِك للموت، لأنه إنسان؛ ونراه وهو يموت، مُعلِنًا عن أنه يملُك في الفردوس، لأنه الله. لماذا نضرب على وتر تدعيم عدم تقوانا، فيما قال ليجعلنا نفهم موته، ونصمُت تجاه ما أعلنه لأجل إظهار خلوده؟ إن الكلمات والصوت هما له، حينما يشكو من أنه متروك، وحينما يُعلِن أنه يَحكُم؛ فبأي منطق هرطوقي نقسِّم إيماننا ونُنكر أن الذي مات هو نفسه الذي يملُك؟ ألم يَشهد عن نفسه في الحالتين عندما استودع روحه، وعندما أسلمها؟ لكن إن كان هو نفسه الذي استودع وأَسلم روحه، وإن كان يموت وهو يحكم ويحكم وهو ميت، **إذًا فسِر ابن الإنسان وابن الله يعني أنه واحد، فالذي يموت يملك، والذي يملك يموت.**

موت المسيح كان لتجديد طبيعتنا

٦٣- تَنحّوا جانبًا إذًا أيها الكافرون الأشرار، غير القادرين على استيعاب عَظَمة السر الإلهي، غير العارفين أن المسيح لم يَبك لأجل ذاته بل لأجلنا نحن، لكي يُثبِت **حقيقة ناسوته المُتخَذ**، بالخضوع للعاطفة العامة للبشر؛

أنتم الذين لا تُدركون أن المسيح لم يمت لأجل ذاته، بل لأجل حياتنا، لكي تتجدد حياة البشر بموت الله الذي لا يموت*؛ والذين لا يمكنهم التوفيق بين الشكوى من التَرك وثقة الحاكم؛ الذين يُعلِّمون بأننا لدينا هنا الرجل الميت والإله المالك، لأنه يملُك كإله ويشكو من أنه على وشك الموت. فإن الذي يموت ليس سوى الذي يَملُك، والذي يستودع روحه ليس سوى الذي يُسلِّمها؛ الذي دُفِن قد قام ثانيةً؛ الذي صعد هو الذي نزل.

يسوع المصلوب هو أيضًا رب المجد

٦٤- اسمعوا تعليم الرسول، ولاحظوا فيه **الإيمان** الذي تعلَّمه، ليس بفهم الجسد بل بعطية الروح. لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً؛ وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ، يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ يَسوعَ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ#. هل انقسم المسيح هنا بحيث يكون يسوع المصلوب شخصًا غير المسيح الذي هو قوة وحكمة الله؟ إن هذا الأمر عثرة لليهود وجهالة للأمم؛ وأما لنا فإن المسيح يسوع هو قوة الله وحكمة الله؛ حكمة غير معروفة

---

* واضح هنا أن ق. هيلاري يسير على نهج كنيسة الإسكندرية، وبالأخص ق. أثناسيوس، في فهمه لأن التجسد كان لأجل تجديد الطبيعة الفاسدة أولاً، وعودة الحياة للبشرية باتحادها بأصل وواهب الحياة، وعدم تأثره بالتعليم اللاتيني الغربي المتمثل في العلامة ترتليان، والذي كانت المشكلة الأولى بالنسبة له هي الخطية وليست تجديد الطبيعة. ولهذا يستحق ق. هيلاري عن جداره لقب 'أثناسيوس الغرب'.{م}

(١كو ١: ٢٢- ٢٤) مع ملاحظة إضافة "يسوع"، وهو ما لم يُذكر في أي نَص قديم للرسالة.{م}

للعالم، ولا مفهومة بفلسفة دنيوية. اسمعوا هذا الرسول الطوباوي مرةً أخرى حينما يُعلِن أنها لم تُفهَم، قائلاً: نَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ الْمَخْفِيَّةِ فِي سِرّ، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا؛ الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الْعَالَمِ، لأَنَّهُم لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ[١٠١]. ألا يَعلم الرسول أن حكمة الله هذه مكتومة في سِر، ولا يمكن أن يعرفها حُكَّام هذا الدهر؟ هل هو يُقسِّم المسيح إلى رب المجد ويسوع المصلوب؟ كَلَّا، بل بالحري يُناقض تلك الفكرة عديمة التقوى بقوله: لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا[١٠٢].

٦٥- إن الرسول لم يَعرف شيئًا آخر، ولا يُقرر معرفة شيء آخر؛ *أمَّا نحن، أصحاب العقول الأضعف والإيمان الأكثر ضعفًا، فنَفصِل ونُقسِّم ونضاعِف يسوع المسيح*، مُعتبرين أنفسنا حكام لما هو غير معروف، وجاعلين **السر المكتوم** تجديفًا! *بالنسبة لنا، المسيح المصلوب هو شخص، والمسيح حكمة الله شخص آخر؛ المسيح الذي دُفن مختلف عن المسيح الذي نزل من السماء؛ ابن الإنسان ليس هو نفسه ابن الله. نحن نُعلِّم بما لا نفهمه؛ ندحض ما لا ندركه! نحن البشر نُعدِّل على وحي الله! نحن لا نَقنع بأن نقول مع الرسول:* مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اَللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ. مَنْ هُوَ

---

[١٠١] (١كو ٢: ٧، ٨) مع ملاحظة وجود تغيير طفيف في الآية.{م}

[١٠٢] (١كو ٢: ٢)

الَّذِي يَدِينُ؟ اَلْمَسِيحُ يَسوعُ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا*.

فهل الذي يَشفع فينا غير الذي عن يمين الله؟ أليس الذي عن يمين الله هو الذي قام أيضًا؟ هل الذي قام أيضًا غير الذي مات؟ هل الذي مات غير الذي يُديننا؟ وأخيرًا، أليس الديان هو نفسه الله الذي يبرِّر؟ مَيِّزوا المسيح الذي يُديننا، إن أمكنكم، عن الله الذي يدافِع عنا؛ المسيح الذي مات، عن المسيح الذي يُدين؛ المسيح الجالس عن يمين الله يشفع فينا، عن المسيح الذي مات. لذا، فسواء كان ميتًا أو مدفونًا، نازلاً إلى الجحيم أو صاعدًا إلى السماء، **فالكل هو المسيح بعينه**؛ كما يقول الرسول: وَأَمَّا أَنَّهُ «صَعِدَ»، فَمَا هُوَ إِلاَّ إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضًا أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى. اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ[١٠٣]. هل نمضي بعيدًا إذًا في دَفْع جهلنا وتجديفنا بكثرة الكلام، متظاهرين بقُدرتنا على تفسير ما هو مكتوم في سِر الله؟ اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا. هل لدينا شك بعد الآن في أن الإنسان يسوع المسيح قام من الأموات، وصعد فوق السماوات وهو عن يمين الله؟ لا يمكننا أن نقول إن جسده نزل إلى الجحيم، لأنه موضوع في القبر. فإن كان الذي نزل هو نفسه الذي صعد؛ إن كان جسده لم ينزل إلى

---

* (رو ٨: ٣٣، ٣٤) وعبارة 'المسيح يسوع' قد ذكرتها كل من الفولجاتا والقبطي البحيري والترجمة اليسوعية وبعض النسخ اليونانية، في حين ذُكرَت 'المسيح' في أقدم النسخ اليونانية، وفي القبطي الصعيدي.{م}

[١٠٣] (أف ٤: ٩، ١٠)

الجحيم، ومع ذلك فقد قام بالفعل من الأموات، وصعد إلى السماء، فما الذي يبقى سوى أن **نؤمن بالسر الخفي**، الذي لا يعرفه العالم ولا حُكام هذا الدهر، ونعترف بأن النازل والصاعد هما واحد، **يسوع المسيح الواحد** بالنسبة لنا، ابن الله وابن الإنسان، الله **الكلمة** والإنسان الذي في الجسد، الذي تألم، ومات، ودُفن، وقام أيضًا، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الله؛ الذي يملُك في شخصه الواحد الوحيد، الهيئة الإنسانية والإلهية دون انفصال أو انقسام، بحسب الخطة الإلهية والطبيعة، في هيئة الله وهيئة العبد.

٦٦- لذا فإن الرسول يُعيد تشكيل أفكارنا الجاهلة والمستبدة إلى الخضوع للحقيقة، قائلاً عن **سِر الإيمان**: لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ صُلِبَ مِنْ ضَعْفٍ، لكِنَّهُ حَيٌّ بِقُوَّةِ اللهِ[١٠٤]، كارزًا بابن الإنسان وابن الله، الإنسان وفقًا للخطة الإلهية، والإله من خلال طبيعته الأزلية، فهو يقول إن الذي صُلب من خلال الضَعف هو نفسه الذي يحيا بقوة الله. إن ضعفه ينشأ عن هيئة العبد، بينما طبيعته تَبقى بسبب هيئة الله. لقد أخذ هيئة عبد، رغم أنه كان في هيئة الله؛ لذا فلا يوجد شك في السِر، الذي بحسبه، قد تألم وعاش. **لقد وُجِد فيه الضَعف والألم، وقُدرة الله على إعطاء الحياة؛ مِن هنا فإن الذي تألم وعاش لا يمكن أن يكون أكثر من واحد، أو آخر غير ذاته.**

---

[١٠٤] (٢كو ١٣: ٤)

لا بُد من الإيمان بما قد قاله الله، وما كُتِب في الأسفار المقدسة

٦٧- إن الله الابن الوحيد قد تحمَّل suffered بالحقيقة كل ما يمكن أن يتحمله البشر؛ لكن دعونا نُعبِّر عن أنفسنا في كلام وإيمان الرسول. إنه يقول: فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ[١٠٥]. هذا ليس تصريحًا ذاتيًا غير مُدعَّم، والذي قد يؤدي إلى الخطأ، لكنه تحذير لنا **كي نعترف بأن المسيح مات وقام بطريقة حقيقية وليست اسمية**، لأن الحقيقة مصدَّق عليها بمِلء ثِقَل المستنَد الكتابي؛ وأننا يجب أن نَفهم موته بالمعنى التام الذي يُعلنه الكتاب. في اهتمامه بارتباك وحيرة المؤمن الضعيف والحسَّاس، يُضيف تلك الكلمات المقدسة 'حَسَبَ الْكُتُبِ'، إلى إعلانه عن الموت والقيامة. لم يكن ليتركنا ننمو بشكل أضعف، وننساق وراء كل رياح التعليم الباطل، أو نُربَك بفعل الفطنة الباطلة والشكوك الكاذبة؛ لقد كان ليَستدعي الإيمان للرجوع، قبل أن يتحطم، إلى ميناء التقوى، مؤمنًا ومعترفًا بموت وقيامة يسوع المسيح، ابن الإنسان وابن الله 'حَسَبَ الْكُتُبِ'، وهذه هي وقاية التقوى ضد هجوم العدو، ألا وهو فَهم موت وقيامة يسوع المسيح، كما هو مكتوب عنه. لا يوجد خطر على الإيمان، فإن الاعتراف الوقور بسر الله المكتوم هو دائمًا في أمان. المسيح وُلِد من العذراء، لكنه، حَسَبَ الْكُتُبِ، قد حُبِل به من الروح القدس. المسيح

---

[١٠٥] (١كو ١٥: ٣، ٤)

بَكى، ولكن 'بِحَسَبِ الْكُتُبِ'؛ فالذي دعاه للبُكاء كان أيضًا هو سبب الفرح. المسيح جاع؛ ولكن حَسَبَ الْكُتُبِ، قد استخدم قوَّته كإله ضد الشجرة التي لم تأت بثمر. المسيح تألم، ولكنه 'بِحَسَبِ الْكُتُبِ'، كان على وشك الجلوس عن يمين القوة. لقد اشتكى من أنه قد تُرِك حتى الموت، لكن 'بِحَسَبِ الْكُتُبِ'، قد قبِل اللص المعترِف به في ملكوته في الفردوس في نفس اللحظة. لقد مات، ولكنه 'بِحَسَبِ الْكُتُبِ'، قد قام أيضًا، وهو يجلس عن يمين الله. فإن الحياة هي في الإيمان بهذا السر؛ وهذا الاعتراف يقاوِم كل هجوم.

٦٨- إن الرسول حريصٌ على ألا يترك أي مكان للشك، حتى لا نقول: "إن المسيح قد وُلِد، وتألم، ومات ودُفن، وقام أيضًا؛ لكن كيف، وبأية قوة، وبأي انقسام لأجزاء من ذاته؟ ومَن هو الذي بكى؟ مَن الذي فَرِحَ؟ مَن الذي اشتكى؟ مَن الذي نَزل؟ ومَن الذي صَعد؟". إنه يُبقي استحقاقات الإيمان بالكامل في الاعتراف بالتوقير غير المفنَّد. إنه يقول: وَأَمَّا الْبِرُّ الَّذِي بِالإِيمَانِ فَيَقُولُ هكَذَا: لاَ تَقُلْ فِي قَلْبِكَ: مَنْ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ؟ أَيْ لِيُحْدِرَ الْمَسِيحَ، أَوْ: مَنْ هَبِطَ إِلَى الْهَاوِيَةِ؟ أَيْ لِيُصْعِدَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ. لكِنْ مَاذَا يَقُولُ؟ الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ؛ أَيْ كَلِمَةُ الإِيمَانِ الَّتِي نَكْرِزُ بِهَا: لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ[١٠٦]. إن الإيمان يُصيِّر الإنسان البار كاملاً، كما

[١٠٦] (رو ١٠: ٦- ٩)

هو مكتوب: آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا[١٠٧]. هل اعترض إبراهيم على كلام الله، عندما وعده بميراث الأمم، وبنسلٍ يَبقى في كثرة الرمال والنجوم؟ **بالنسبة للإيمان القائم على المخافة، الذي يَثق ثقةً مطلقةً في قُدرة الله الكُلية، فإن حدود الضعف البشري ليست عائقًا.** إنه يؤمن بالوعد الإلهي، حتى لو فاق إمكانيات الطبيعة البشرية، محتقِرًا كل ما هو فانٍ وأرضي في ذاته. إنه يَعلم أن القوانين التي تحكُم الإنسان ليست عائقًا لقوة الله، لأنه سخي في العمل مثلما هو كريم في الوعد. لا يوجد شيء أبر من الإيمان. فمثلما أننا في السلوك البشري نَستحسِن الإنصاف والتحكم في التصرف، هكذا في حالة الله، ما هو الأكثر برًا للإنسان مِن **نَسْب القدرة الكلية له**، مدركًا أن قوَّته بلا حدود؟

٦٩- وبينما الرسول يتوقع بر إيمان فينا، فإنه يَقطع من الجِذر الشك والإيمان الشرير. إنه يمنعنا من أن نَقبل في قلوبنا اهتمامات الفكر القلِق، ويَستنِد إلى كلمات النبي: لاَ تَقُلْ فِي قَلْبِكَ: مَنْ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ؟[١٠٨] ثم يُكمِل فكرة كلمات النبي بإضافة: أَيْ لِيُحْدِرَ الْمَسِيحَ. إن إدراك العقل البشري لا يمكن أن يَبلغ إلى معرفة الله؛ بل لا يمكن للإيمان الموقِّر أن يشُك في أعمال الله. إن المسيح لم يحتَج إلى معونة بشرية، بأن يَصعد أحدٌ إلى السماء كي يُنزله من مسكنه المبارَك إلى جسده الأرضي. لم تُنزله قوة خارجية

---

[١٠٧] (تك ١٥: ١٦)؛ (رو ٤: ٣)

[١٠٨] (تث ٣٠: ١٢). وسياق الكلام هو تأكيد موسى على أن 'الناموس ليس مخفيًا عنك، ولا هو بعيد، بل الكلمة قريبة منك جدًا، في فمك، وفي قلبك'.

إلى الأرض. علينا أن نؤمن أنه جاء، كما أتى. الإيمان الحقيقي هو الاعتراف بأن يسوع المسيح لم يُنزله أحد، بل هو الذي نَزل. إن سِر وقت وطريقة نزوله يخصه هو وحده. ليس لنا أن نعتقد أنه أُنزل، لأنه أتى مؤخَّرًا، ولا أن مجيئه في زمنٍ معينٍ يعتمد على آخر قد أنزله.

كما لم يترك الرسول مكانًا في الاتجاه الآخر لعدم الإيمان. إنه يقتبس في التو كلمات النبي: أَوْ مَنْ هَبِطَ إِلَى الْهَاوِيَةِ؟[١٠٩] ويُضيف مباشرةً التفسير: أَيْ لِيُصْعِدَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ. إنه حر في العودة إلى السماء، ذاك الذي كان حُرًا في النزول إلى الأرض. إذًا فكل تذبذبٍ وشكٍّ قد أُزيل. إن الإيمان يُعلِن ما يُخطِّط له كُلي القدرة، والتاريخ يروي الحقيقة، والله القدير كان هو العلة.

الطريق إلى الأبدية واضح وسهل

٧٠- أما المطلوب منا فهو اليقين غير المتردد. إن الرسول وهو يشرح **السر الكامل للكُتب** يخبرنا قائلاً: الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ[١١٠]. إن كلمات اعترافنا لا ينبغي أن تكون بطيئةً أو غامضةً عن عمدٍ: لا يجب أن يكون هناك أي فاصل بين القلب والفم، لئلا يصير الاعتراف بالتبجيل الصحيح ذريعةً للكفر. الكلمة لا بُد أن تكون قريبة منا، وفينا؛ لا يوجد توانٍ بين القلب والفم؛ **الإيمان القائم على الاقتناع مثل القائم على الكلمات. القلب والفم لا بُد أن يكونا منسجمين، وأن يُظهِرا بالفكر والقول إيمانًا**

---

[١٠٩] (تث ٣٠: ١٣). والآية تقول "مَنْ يَعْبُرُ الْبَحْرَ لأَجْلِنَا؟"

[١١٠] (تث ٣٠: ١٤)

غير متردد. وهنا أيضًا، كما حدث في مواضع أخرى، يُضيف الرسول شرحًا لكلمات النبي: تِلْكَ هِيَ كَلِمَةُ الإِيمَانِ الَّتِي نَكْرِزُ بِهَا: لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ. إن التقوى تتوقف على رفض الشك، والبِر على الإيمان، والخلاص على الاعتراف. لا تعبَثوا بالغوامض، ولا تُثاروا بالثرثرة الباطلة، ولا تنخرطوا في أي نوع من أنواع المجادلات عن قدرات الله، أو تفرضوا حدودًا على قوَّته، توقفوا عن البحث مرات ومرات عن أسباب الأسرار غير المفحوصة، واعترفوا بالأحرى بأن يسوع هو الرب، وآمنوا بأن الله أقامه من الأموات؛ هنا الخلاص. **ما أحمق التقليل من طبيعة وشخص المسيح، في حين أن الخلاص يكمُن فقط في معرفة أنه هو الرب.** كذلك ما أفدح خطأ الخيلاء البشرية بالنزاع حول قيامته، حينما يكون الإيمان بأن الله أقامه كافيًا للحياة الأبدية. **إذًا، فالإيمان في البساطة، والبر في الإيمان، والتقوى الحقيقية في الاعتراف.** فإن الله لا يدعونا إلى الحياة المباركة من خلال التحقيقات المجهِدة. إنه لا يجرِّبنا بفنون البلاغة المتنوعة. **إن الطريق إلى الأبدية واضح وسهل؛** آمِن أن الله أقام يسوع من الأموات واعترف بأنه هو الرب. فلا تدَعوا أحدًا إذًا يُحرِّف ما قُلناه بسبب جهلنا، إلى سببٍ لعدم التقوى. لا بُد أن نكون متأكدين **أن يسوع المسيح مات لكي نحيا نحن فيه***.

---

* تأكيدًا لِما ذكرناه سابقًا عن سَير ق. هيلاري على نهج كنيسة الإسكندرية في رؤيته لموت المسيح المُحيي.{م}

لقد مات لكي يؤكد أن الناسوت الذي اتخذه كان ناسوتًا حقيقيًا

٧١- إن كان قوله إذًا: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟[١١١]، وأيضًا: يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي[١١٢]، لأجل تأكُدنا من أنه مات، أليس هذا لاهتمامه بإيماننا، وبالحري بتبديد شكوكنا، أكثر من كونه اعترافًا بضعفه؟ فإنه حينما كان مزمعًا أن يُقيم لعازر صلَّى للآب، لكن ما كانت حاجته للصلاة، وهو الذي قال: أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي[١١٣]. إذًا فقد صلَّى لأجلنا، لكي نَعرِف أنه الابن؛ كلمات الصلاة لم تنفعه في شيء، لكنه قالها لأجل تقدُّم إيماننا. هو لم يكُن محتاجًا للمساعدة، بل نحن المحتاجون إلى أن نتعلم. مرة أخرى، لقد صلَّى ليتمجَّد، وسَمِع على الفور صوت الله الآب من السماء يُمجده، لكنه حينما تعجبوا من الصوت قال: لَيْسَ مِنْ أَجْلِي صَارَ هذَا الصَّوْتُ، بَلْ مِنْ أَجْلِكُمْ[١١٤]. لقد تضرع إلى الآب لأجلنا، والآب يتكلم لأجلنا. يا ليت كل هذا يقودنا إلى الاعتراف والإيمان. **إن استجابة الممجِّد لم تُعطَ لأجل طِلبة التمجيد، بل لأجل جهل المستمعين**؛ أفلا ينبغي أن نَعتبر أن الشكوى من الألم مقصودة لأجل بناء إيماننا، حينما وَجد فرحه الأعظم في الألم؟ لقد صلَّى المسيح لأجل

---

[١١١] (مت ٢٧: ٤٦)

[١١٢] (لو ٢٣: ٤٦)

[١١٣] (يو ١١: ٤١، ٤٢)

[١١٤] (يو ١٢: ٣٠)

مضطهديه لأنهم لم يَعلموا ما فعلوا. لقد وعد بالفردوس من على الصليب لأنه الإله الملك. لقد تَهلل على الصليب لأن الكل قد أُكمِل حينما شرب الخل، لأنه قد أتم كل نبوةٍ قبل موته. **لقد وُلِد لأجلنا، وتألم لأجلنا، ومات لأجلنا، وقام لأجلنا. هذا فقط هو ما يَلزم لخلاصنا، أن نعترف بابن الله القائم من الأموات**؛ فلماذا نموت إذًا على هذا المعتقد الشرير؟ لو أن المسيح، الواثق في ألوهيته دائمًا، الذى قد أوضح لنا موته، كان هو نفسه غير مبالٍ بالموت، لكنه مات لكي يؤكد أن الناسوت الذي اتخذه كان ناسوتًا حقيقيًا، فلماذا ينبغي علينا أن نَستخدم هذا الاعتراف بالذات الذي اعترف به ابن الله بأنه قد صار ابن الإنسان ومات، كسلاحٍ رئيسٍ لإنكار لاهوته؟

الكتاب الحادي عشر

الفرق بين 'رب واحد'، و 'إله واحد'

١- إن الرسول في رسالته إلى أهل أفسس، مستعرضًا في كل جوانبها المتعددة السر الكامل والتام للإنجيل، قد مَزج مع التعاليم الأخرى بخصوص المعرفة الإلهية، ما يلي: كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي بِالْكُلِّ وَفِي كُلِّنَا[1]. فهو لم يتركنا في الطُرق الغامضة والمضلِّلة الموجودة في التعليم غير المحدَّد، أو يهجرنا لأوهام الخيال المتغيرة، وإنما يضع حدًا للحرية المطلقة للعقل، والرغبة بتعيين الحواجز الكابحة. إنه لا يعطينا الفرصة لأن نكون حكماء إلا في تلك الأمور التي علَّم بها، بل عرَّف الإيمان الثابت لكل وقت بلغة مضبوطة ودقيقة، كي لا يكون هناك عُذرٌ لعدم ثبات الإيمان. فهو عندما يُكرز لنا بالإله الواحد، إنما يَذكر الإيمان الواحد، وعندما يُظهِر الإيمان الواحد بالرب الواحد، إنما يُعلن عن المعمودية الواحدة، فبما أن هناك إيمانًا واحدًا بالرب الواحد، ففي هذا الإيمان بالرب الواحد تكون هناك أيضًا معمودية واحدة. وبما أن السر الكامل للمعمودية والإيمان ليس

---

[1] (أف ٤: ٤- ٦) مع حذف عبارة 'فوق الكل'. والملاحَظ هنا في آخر الآية قوله 'كلنا' بصيغة المتكلم، وهو ما يوافق الفولجاتا والترجمة السريانية وبعض المخطوطات اليونانية القديمة، كما ذكرتها بعض المخطوطات اليونانية الأخرى 'كلكم'. في حين أن أقدم النصوص اليونانية لم تذكر ضمائر، بل ذكرتها ἐν πᾶσιν 'في الكل' فقط دون إضافة ضمائر.{م}

في الرب الواحد فقط، بل وفي الإله الواحد، فإنه يلخص لنا تحقيق رجائنا بالاعتراف بالإله الواحد. فكما أن المعمودية الواحدة والإيمان الواحد هما في الرب الواحد، هكذا أيضًا هما في الإله الواحد. الرب والإله* كلاهما واحد، ليس بالاتحاد في شخص بل بتمايز الخواص. فمن ناحية، خاصية كل منهما أن يكون واحدًا، سواء خاصية الآب في أبوته، أو الابن في بنوته، ومن ناحية أخرى، تلك الصفة الفردية التي يمتلكها كل منهما، تُعيِّن لكلٍ منهما سِر اتحاده مع الآخر. وهكذا فإن المسيح الرب الواحد لا يمكنه أن يَسلب سيادة الآب، ولا يُنكر الآب الإله الواحد على الرب المسيح الواحد ألوهيته. فلو كان بسبب أن الله واحد، لا يكون المسيح بطبيعته إلهًا أيضًا، فلا يمكننا أن نوافق على كون الإله الواحد ربًا، لأن هناك ربًا واحدًا المسيح؛ بما معناه أنه في فرضية وحدانيتهما يُستدل على وحدتهما الخاصة، وليس على السر#. إذًا، فهناك معمودية واحدة وإيمان واحد برب واحد، مثلما بإله واحد.

٢- لكن كيف يكون هناك إيمان واحد فيما بعد، إن كان (الإيمان) لا يتمسك ولا يعترف بأمانةٍ بالرب الواحد والله الآب الواحد. وكيف يَعترِف الإيمان - إن لم يكن إيمانًا واحدًا - بالرب الواحد وبالله الآب الواحد؟ وأيضًا، كيف يكون الإيمان واحدًا، إذا كان الكارزون به مختلفين هكذا؟ البعض يُعلِّم بأن الرب يسوع المسيح، لكونه في ضَعف طبيعتنا، تأوَّه

---

* المقصود بالرب هو المسيح والإله هو الآب.{م}

أي سر تمايزهما كأقنومين.{م}

بألمٍ حينما دُقَّت المسامير في يديه، حتى إنه فَقَد ميزة قوَّته وطبيعته الخاصة، وانكمش مرتعدًا من الموت الذي أمامه. الآخرون يُنكِرون حتى التعليم الأساسي بخصوص ولادته ويُعلنونه كمخلوق. والآخرون يَدعونه إلهًا، دون أن يرونه كذلك، بحجة أنه يجوز تسمية الأتقياء بالآلهة*، أمَّا ذلك الذي نُدرك أنه إله، فلا بُد أن يكون مشاركًا في الطبيعة الإلهية[٢]. فضلاً عن ذلك، كيف يكون المسيح الرب واحدًا، حينما يقول البعض إنه كإله لا يشعر بأي ألم، والبعض الآخر يجعلونه ضعيفًا وخائفًا؛ بالنسبة للبعض هو إله بالاسم، وللآخرين إله بالطبيعة؛ للبعض هو ابن بالولادة، وللآخرين ابنٌ باللقب؟ إن كان هكذا، فكيف يكون الله الآب واحدًا في الإيمان، إذا اعتقد البعض أنه آب بقُدرته، والبعض الآخر أنه آب بولادته، بمعنى أنه الله هو آب للكون؟

ومع ذلك، فهل يُنكِر أحدٌ أن ما ليس واحدًا في الإيمان، ليس إيمانًا على الإطلاق؟ ففي الإيمان الواحد يوجد رب واحد المسيح، كما أن الله الآب واحد. لكن الرب الواحد يسوع المسيح لن يكون واحدًا في حقيقة الاعتراف، مثلما في الاسم، إلا إذا كان ابنًا، وإلهًا، وغير متغير، وبنوته

---

* إذ أن هذا ما فهموه من قول المسيح في (يو ١٠: ٣٤).{م}

[٢] يبدو أن المقصود هو أننا بينما يحق لنا من خلال الكتاب المقدس الكلام عن الآلهة، إذا كنا لا نقصد بها المعنى الكامل للكلمة، مثلما في (مز ٨٢: ٦) "أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ"، إلا أننا لو استخدمنا الاسم لوصف المسيح بنفس المدلول المقصود من تلك الآية، فسوف يكون هذا تجديفًا، لأن المسيح إله حقيقي شريك في الجوهر الإلهي.{م}

وألوهيته موجودتان فيه منذ الأزل. لذا فإن مَن يكرز بمسيح مختلفٍ غير ما هو، أي غير الابن والإله، فهو يكرز بمسيح آخر. ولا يكون له الإيمان الواحد الذي للمعمودية الواحدة، لأنه طبقًا لتعليم الرسول فإن الإيمان الواحد هو الإيمان بالمعمودية الواحدة، إذ أن الرب الواحد هو المسيح، ابن الله الذي هو أيضًا الله.

اعترافنا بالله الآب الواحد يعتمد على إيماننا بالرب المسيح الواحد

٣- ومع ذلك فلا يمكن إنكار أن المسيح هو المسيح. لا يمكن أن نقول إنه كان غير معروف للجنس البشري. لقد خَتَمَت أسفار الأنبياء عليه، ومِلء الزمان الذي يزداد يوميًا يَشهد، ومقابر الرُسل والشهداء تُعلِن عنه من خلال عمل المعجزات، وقوة اسمه تُظهِره، والأرواح النجسة تعترف به، والشياطين الصارخة في عذابها تُردِّد اسمه بصوت عال. في كل هذه الأمور يمكننا أن نرى تدبير قوَّته. لكن إيماننا لا بُد أن يكرِز به كما هو، أعني، ربًا واحدًا، ليس بالاسم بل بالاعتراف، في إيمان واحد لمعمودية واحدة: فإن اعترافنا بالله الآب الواحد يعتمد على إيماننا بالرب المسيح الواحد.

تأكيد الهراطقة على عظمة صفات الآب إنما هو بغرض إنكارها على الابن

٤- أما هؤلاء المنادون بمسيح جديد، الذين يُنكرون عليه كل ما له، فهُم يكرزون برب مسيح آخر وبإله آب آخر. *الواحد ليس هو الوالد بل الخالق، والآخر غير مولود بل مخلوق. بناءً عليه، فإن المسيح ليس إلهًا حقًا، لأنه*

ليس إلهًا بالولادة، والإيمان لا يمكنه الاعتراف بالله الآب، لأنه لا توجد ولادة تُصيره أب. إنهم يمجِّدون الله الآب فعلاً، كما يحق له ويليق به، حينما يَنسبون له طبيعةً لا يمكن بلوغها، غير مرئية، حُرمتها غير منتهَكة، غير موصوفة، غير محدودة، كُلِّية المعرفة وكُلِّية القدرة، مفعمةً بالحب، تتحرك في الكل وتتخلل الكل، ذاتيةً وفائقةً، حساسةً في كل كيان حساس. لكنهم حينما يَنسبون له المجد الفريد لكونه وحده الصالح، وَحده كُلي القدرة، وَحده الخالد، فمَن هو الذي لا يشعر بأن ذلك التمجيد التقي يهدف إلى تجريد الرب يسوع المسيح من القداسة، بتعبير 'وحده' الذي يَقصُر المجد على الله (الآب) وحده؟ ألا يجعل ذلك المسيح في إثم وضعف الموت، بينما يملك الآب بكمال منفرِد؟ ألا يُنكِر ذلك المصدر الطبيعي للمسيح من الله الآب، لكي لا تكون له القداسة الطبيعية التي لله الآب وَحده، عن طريق الولادة التي تَمنح المولود نفس قُدرة الوالد.

٥- وبما أنهم لم يتعلموا مِن تعاليم الأناجيل والرُسُل، فهم يُفْرِطون في تمجيد الله الآب، ليس بإخلاص المؤمن التقي، بل بمكر العقوق، كي يسحبوا منه جِدالاً يُفيد هرطقتهم الشريرة. إنهم يقولون إنه لا شيء يمكن أن يُقارَن بطبيعته: *لذا فإن الله الابن الوحيد مُستثنى من المقارنة، لأنه يَملُك طبيعةً أقل وأضعف.* هذا الأمر يقولونه عن ذاك الذي هو الصورة الحية للإله الحي، والهيئة الكاملة لطبيعته المبارَكة، والمولود الابن الوحيد من جوهره غير المولود؛ ذاك الذي لن يكون هو بالحقيقة صورة الله إلا إذا امتلك المجد الكامل لقداسة الآب، وأظهر في ذلك صورة طبيعته الكاملة.

أما إن كان الله الابن الوحيد هو صورة الله غير المولود، فإن حقيقة تلك الطبيعة الكاملة والفائقة تَكمُن فيه وتجعله صورة الله الحقيقي. (هم يقولون): *هل الآب كلي القدرة؟ إذًا فالابن الضعيف ليس هو صورة القدرة الكلية. هل هو صالح؟ إذًا فالابن، الذي لاهوته من طراز آخر، لن يَعكس في طبيعته الخاطئة صورة الصلاح. أهو بلا جسد؟ إذًا فالابن، الذي روحه مقيَّدةً داخل حدود الجسد، ليس في هيئة مَن هو بلا جسد. هل هو فائق الوصف؟ إذًا فالابن، الذي يُمكن لُلغة أن تحدده، ولِّلسان أن يَصِف طبيعته، ليس هو صورة غير الموصوف. هل هو الإله الحقيقي؟ إذًا فالابن يملُك فقط لاهوتًا زائفًا، والزائف لا يمكن أن يكون صورة الحقيقي.*

إن الرسول لا يَنسِب للمسيح جزءًا من الصورة، أو جانبًا من الهيئة، بل يُعلنه صراحةً كصورة الإله غير المنظور وهيئة الله[٣]. فكيف يمكنه أن يُعبِّر عن طبيعة ابن الله اللاهوتية، إلا بأن يقول إن المسيح هو صورة الله غير المنظور حتى فيما يتعلق بكونه غير مرئي. فلو كان جوهر المسيح قابلاً للإدراك، فكيف يكون هو صورة الطبيعة غير المنظورة؟

ينبغي فهم المناسبات التي كان يتكلم فيها عن الناسوت وعدم نسبها للاهوت

٦- لكن كما أشرنا في الكتب السابقة، فإنهم يفهمون تدبير التأنس كحجةٍ لإهانة لاهوته، ويُحرِّفون سِر خلاصنا إلى فرصة للتجديف. فلو أنهم تمسَّكوا بإيمان الرسول، لَما نسوا أن الذي كان في هيئة الله، قد أخذ صورة

---

[٣] قارن (كو ١: ١٥)؛ (في ٢: ٦)

عبد، ولا استخدموا شكل العبد لإهانة هيئة الله {لأن هيئة الله تتضمن ملء اللاهوت}، بل كانوا لاحظوا، بشكل معقول ومُهذَّب، اختلاف المناسبات[٤] والأسرار، بدون إهانة اللاهوت، أو التضليل بسبب تجسُّد المسيح. أما الآن فأنا مقتنِع بأنه ليس هناك مكان للشك، بعد أن أثبتنا كل شيء بدقة بالغة، وأشرنا إلى قوة الطبيعة الإلهية الكامنة في ولادة الجسد المتَّخَذ. إن مَن كان إنسانًا وكان الله الابن الوحيد في نفس الوقت، قد قدَّم كل الأشياء بقوة الله، وبقوة الله قد أكمل كل الأشياء من خلال طبيعة إنسانية حقيقية. هو يمتلك طبيعة القُدرة الكُلية الإلهية لأنه مولود من الله، وله ناسوت كامل وصحيح لأنه مولود من العذراء. رغم أنه كان له جسد حقيقي، إلا أنه ظَل في طبيعة الله، ورغم أنه ظَل في طبيعة الله، إلا أنه أقام في جسد حقيقي.

آيات ما بعد القيامة التي يستخدمها الهراطقة لإثبات هرطقتهم

٧- لقد تبِعناه، في ردِّنا، حتى لحظة موته المجيد، وبأخذِنا تصريحات تعليمهم غير المقدسة واحدةً فواحدةً، قد نَقضنا تعليمهم من خلال تعاليم الأناجيل والرسول (بولس). لكن حتى بعد قيامته المجيدة توجد أشياء معينة تجاسروا وفسروها كإثباتات لضَعفه وطبيعته الأقل، لذا لا بُد أن نَرُد عليها. دعونا نتبنى مرةً أُخرى طريقتنا المعتادة باستنتاج المعاني الحقيقية لتلك الكلمات عينها، لكي يُمكننا بدقةٍ أن نكتشف الحقيقة التي يظنون

[٤] أي المناسبات التي كان يتكلم فيها عن ناسوته، والأخرى التي كان يشير فيها إلى طبيعته الإلهية.

أنهم يمكنهم أن يقلبوها. فإن الرب قد تكلم بكلمات بسيطة لأجل تقويم إيماننا، وكلماته لا يمكن أن تحتاج إلى دعم أو تعليق من أقوال غريبة وليست لها صلة بالموضوع.

٨- ومن ضمن خطاياهم يجادل الهراطقة بقول الرب: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ. (إنهم يقولون) *إن أباه هو أيضًا أبوهم، وإلهه هو أيضًا إلههم؛ لذا فهو ليس في طبيعة الله، لأنه يُعلن الله أبًا للآخرين مثلما هو أبوه هو نفسه، وبنوته الفريدة تتوقف حينما يشارك الآخرين الطبيعة والمصدر اللذين يجعلانه ابنًا وإلهًا.* لكن دعوهم يضيفون أيضًا كلمات الرسول: وَلكِنْ حِينَمَا يَقُولُ: إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُخْضِعَ، فَهُوَ غَيْرُ الَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ. وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، فَحِينَئِذٍ هُوَ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَنَفْسِهِ الْكُلَّ، كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ[٦]. فبما أنهم يرون أن هذا الخضوع هو دليل على الضعف، فربما يُفقِدونه طبيعة أبيه، *لأن ضعفه الطبيعي يُخضعه لسيادة طبيعة أقوى.* وبعد هذا، دعوهم يَتبنون موقفهم الأقوى ودفاعهم المنيع، الذي أمامه (كما يظنون) تتدمر حقيقة الولادة الإلهية! ألا وهو: *أنه لو أُخضِع، إذًا فهو ليس إلهًا؛ لو كان إله وأبوه هو إلهنا وأبونا أيضًا، فهو إذًا يُشارِك كل المخلوقات في الأمور العادية، وبالتالي فهو نفسه مخلوق: مخلوق من الله وليس مولودًا، لأن المخلوق يأخذ مادته مِن لا شيء، بينما المولود يَملُك طبيعة والده.*

---

[٥] (يو ٢٠: ١٧)

[٦] (١كو ١٥: ٢٧- ٢٨)

بإيماننا بالتدبير نُعَد لمشابهة الرب في مجده

٩- إن الزيف دائمًا سيئ السمعة، لأن الكذب الهارب من لجام الخزي يجرؤ على أن يخالف الحقيقة، أو يختفي أيضًا في بعض الأوقات وراء ستار الحجج، حتى إنه يبدو مدافعًا بتواضع عما هو مخزٍ في مفهومه. لكن في هذه الحالة، حينما يستخدمون الأسفار بدنسٍ كي ينتقصوا مِن ألوهية ربنا، فلا يوجد مكان للحياء أو للعُذر الكاذب؛ فهناك أحداث يكون فيها العُذر بسبب الجهل مرفوضًا، ويكون سوء الفهم المقصود مكشوفًا في نجاسته العارية. دعونا نُرجئ شرح تلك الفقرة من الإنجيل للحظاتٍ، ونسألهم أولاً إن كانوا قد نَسوا كرازة الرسول الذي قال: وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ[٧]. فهل يوجد مَن هو ضعيف الفهم لدرجة أنه غير قادرٍ على فهم أن سِر التقوى هو ببساطة تدبير تجسد الرب؟ إذًا، فمِن البدء، مَن لا يوافق على هذا الاعتراف ليس في الإيمان بالله. فإن الرسول لا يَترك أي شك في أن الكل لا بُد أن يعترف بأن سِر خلاصنا المخفي ليس هو إهانةً لله، بل سِر التقوى العظيمة، وهو سِر لا يَبقى بعيدًا عن أعيننا بَعد، بل هو معلَن في الجسد؛ وهو ليس بَعد ضعيفًا بسبب طبيعة الجسد، بل هو مُبرَّر في الروح. وهكذا مِن خلال تبرير الروح قد أُزيلَت فكرة الضعف الجسدي عن إيماننا؛ فمِن خلال إظهار الجسد قد أُظهِر ما كان سرًا، وفي هذا السبب

[٧] (١تي ٣: ١٦)

غير المعلوم لِما كان سرِّيًا يوجد الاعتراف الواحد، الاعتراف بسِر التقوى العظيمة. هذا هو النظام الكُلي للإيمان الذي شرحه الرسول في أمره الصحيح. فإن السر ينشأ عن التقوى، ومن السر ينشأ الظهور في الجسد، ومن الظهور في الجسد ينشأ التبرير في الروح؛ فإن سِر التقوى المُعلَن في الجسد، كي يكون سرًا حقيقيًا، قد أُظهِر في الجسد من خلال تبرير الروح. مرةً أُخرى، لا يجب أن ننسى ما هي طريقة التبرير بالروح المُعلَنة في الجسد: فإن السر المُعلَن في الجسد، قد تبرَّر في الروح، وتراءى لملائكةٍ، وكُرز به بين الأمم، وأُومِن به في هذا العالم، وهذا السِر نفسه قد رُفع في مجد. وبهذا يكون هو سِر التقوى العظيمة في كل شيء، حينما يَظهر في الجسد، ويُبرَّر في الروح، وحينما يُرى لملائكة، ويُكرز به بين الأمم، ويؤمَن به في العالم، ويُرفع في مجد. إن الكرازة تتبع الرؤية، والإيمان يتبع الكرازة، واكتمال الكل هو الرفع في مجد؛ فإن الرفع إلى المجد هو سِر التقوى العظيمة، **وبالإيمان بالتدبير نُعَد للرفع، ولمشابهة الرب في مجده.** إذًا فالتجسد أيضًا هو سِر التقوى العظيمة، لأن السِر قد أُظهِر في الجسد من خلال التجسد. لكننا لا بُد أن نؤمن بأن الظهور في الجسد هو أيضًا نفس هذا السر العظيم الذي للتقوى، لأن ظهوره في الجسد هو تبرره في الروح، ورَفعِه للمجد. والآن، كيف يَترك إيماننا الفرصة لأحدٍ كي يظُن بأن سِر تدبير التقوى هو إضعاف للاهوت، حينما يُعترَف بسِر التقوى العظيمة من خلال الارتفاع في مجد؟ ما كان 'ضعفًا'

صار الآن هو 'السر': ما كان 'ضرورةً' صار 'تقوى'[٨]. أمَّا الآن فدعونا نتحول إلى معنى كلمات الإنجيلي، حتى لا يتحول سِر خلاصنا ومجدنا إلى سبب للتجديف.

أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ

١٠- أيها الهراطقة، أنتم تَقبلون كلام الرب كمستند غير قابل للمقاومة، حينما يقول: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ[٩]. أنتم تقولون *إن نفس الآب هو أبوه وأبونا، ونفس الإله هو إلهه وإلهنا، لذا فهو يقاسمنا ضعفنا، فنحن لسنا أقل منه في البنوة بسبب امتلاكه لنفس الآب، وفي خدمة نفس الإله نحن متساوون كعبيد. وبما أننا في الأصل خليقة الله وبالطبيعة عبيد، وفي نفس الوقت لنا نفس الآب والإله اللذان له، إذًا فهو يشترك معنا في الطبيعة كمخلوق وعبد.* هكذا يقول هذا التعليم المفتون غير الشرعي. إنه يقدِّم كذلك قول النبي: مَسَحَكَ إِلهُكَ ... يَا اَللهُ[١٠]، كي يُثبِت أن المسيح ليست له صفات الطبيعة التي لله، *لأن الله الذي مسحه مفضَّلٌ عنه كإله.*

---

[٨] أي أن التجسد هو سر التقوى، وليس ضعف الضرورة.

[٩] (يو ٢٠: ١٧)

[١٠] (مز ٤٥: ٧)

كونه مولودًا يشير إلى نمط وجوده، لكن المولود هو من نفس طبيعة الوالد

١١- نحن لا نعرف المسيح الإله إلا إذا عرفنا الإله المولود. أن تولد إلهًا هو أن تنتمي لطبيعة الله، لأن اسم 'مولود' يشير إلى نوع مصدره بالطبع، لكنه لا يجعله مختلفًا في النوع عن الوالد. فإن كان هكذا، فلا بُد أن يَدين المولود لوالده بمصدر وجوده، لكنه لا يتخلى عن طبيعة الوالد، لأن ميلاد الله لا يمكن أن ينشأ سوى عن مصدر واحد، وليس له سوى طبيعة واحدة. إن كان مصدره ليس من الله، فلا يُعتبَر هذا ميلادًا؛ وإن كان شيئًا آخر غير الولادة، إذًا فالمسيح ليس إلهًا. لكنه إله من إله، لذا فالله الآب يَظَل بالنسبة لله الابن إلهًا لولادته وأبًا لطبيعته، لأن ولادة الله هي من الله، ومِن الطبيعة الخاصة لله.

هو أبوه من جهة لاهوته، وإلهه من جهة ناسوته

١٢- لاحظوا في كل ما قاله الرب، كيف عالج بحرصٍ الاعتراف التقي بدَينه، كي لا يتعارض الاعتراف بالميلاد مع لاهوته، ولا تَنتهك طاعته الموقِّرة طبيعته السيادية. إنه لم يُكبِح الإجلال اللائق به كمولود مَدين لأبيه بوجوده الحقيقي، بل يُظهِر بوقفته الواثقة إدراكه لمشاركته في تلك الطبيعة، والتي يَملُكها بفضل مصدر ولادته كإله. خذوا على سبيل المثال تلك الكلمات: مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ أَيْضًا[١]، وأيضًا: الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ

---

[١] (يو ١٤: ٩)

لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي[١٢]. إنه لا يتكلم من نفسه، بل يَقبل من أبيه ما يقول. فلو رآه أحدٌ فقد رأى الآب أيضًا. إنهم يُدرِكون بهذا البرهان المُعطى لإظهار أن الله فيه، أن الطبيعة التي هي من نفس طبيعة الله، قد وُلِدت من الله كي توجد كإله. خذوا ثانيةً الكلمات: أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ[١٣]، وأيضًا: أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ[١٤]. القول بأن الآب قد أَعطى هو اعتراف بأنه قد قبِل مصدره، في حين أن وِحدة ذاته مع الآب هي خاصية طبيعته الناشئة عن هذا المصدر. خذوا مثالاً آخر: لَقَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ، لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ[١٥]. إنه يَعترِف بأن الدينونة مُعطاة له، ولذا فهو لا يُهمل ذكر ولادته، لكنه يَطلب لنفسه نفس كرامة الآب، ولذا فهو لا يتخلى عن طبيعته. هناك أيضًا مثال آخر: أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ[١٦]، الآبُ أَعْظَمُ مِنِّي[١٧]. إن الواحد في الآخر، فلاحِظوا إذًا ألوهية الله المولود من الله. الآب أعظم منه، فافهموا إذًا اعترافه بسلطان الآب. وبنفس الطريقة يقول: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ[١٨]. هو لا يعمل شيئًا من

---

[١٢] (يو ١٤: ١٠)

[١٣] (يو ١٠: ٢٩)

[١٤] (يو ١٠: ٣٠)

[١٥] (يو ٥: ٢٢، ٢٣)

[١٦] (يو ١١:١٤)

[١٧] (لو ١٨: ١٩)

[١٨] (يو ٥: ١٩)

ذاته، إذ بحسب ولادته، الآب يحُث أعماله. ومع ذلك فالابن يَعمل كل ما يعمله الله الآب كذلك؛ أي أنه لا يوجد كشيء أقل من الله، وبطبيعة الآب كُلية القُدرة الكامنة فيه يُمكنه أن يَعمل كل ما يعمله الآب. كل ما قيل قد قيل بالاتفاق مع وحدة روحه مع الآب، ووِحدة خصائص الطبيعة، التي يمتلكها بفضل ولادته. تلك الولادة، التي هي سبب وجوده، قد عيَّنته كإله، ووجوده يُظهِر وعي تلك الطبيعة الإلهية. إن الله الابن يَعترف بالله كأبيه، لأنه وُلِد منه؛ لكنه أيضًا يَرِث كل طبيعة الله، لكونه قد وُلِد.

١٣- **لذا فإن تدبير السر العظيم والإلهي يجعل ذاك الذي كان بالفعل أبًا للابن الإلهي، هو أيضًا ربه في الهيئة المخلوقة التي اتخذها، لأن الذي كان في هيئة الله، قد وُجِد أيضًا في هيئة عبد.** ومع ذلك فهو لم يكن عبدًا، لأنه بحسب الروح كان هو الإله ابن الإله. الكل سوف يوافق أيضًا على أنه لا يوجد عبدٌ مادام لا يوجد سيدٌ. إن الله في الواقع أبٌ في ولادته لله الابن الوحيد، لكننا يمكننا فقط أن ندعوه ربًا مثلما هو أبٌ في حالة أن يكون الآخر عبدًا. إن الابن لم يكن في البداية عبدًا بالطبيعة، لكنه بعدئذ قد بدأ يكون شيئًا لم يكُنه قبلاً بالطبيعة. وهكذا فإن الآب ربٌ بنفس خلفيات كون الابن (المتجسد) عبدًا. إن الابن له رب بتدبير طبيعته، حينما جعل نفسه عبدًا باتخاذه ناسوتًا.

ويمكن أيضًا أن يُقال إنه أبوه من جهة ناسوته مثلما هو أبونا

١٤- فلكون يسوع المسيح في هيئة عبد، وهو الذي كان قبلاً في هيئة الله، قد قال كإنسان: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ[١٩]. لقد كان يتكلم كعبد مع العبيد، فكيف يمكننا إذًا أن نَفصِل الكلمات عن المسيح العبد، وننقلها إلى الطبيعة التي لا يوجد فيها شيء مما للعبد؟ لأن الذي أقام في هيئة الله قد اتَّخَذ صورة عبدٍ، وهذه الهيئة هي الحالة الأساسية لاشتراكه كعبدٍ مع العبيد. بهذا المعني يكون الله أباه وأبا الناس، وإلهه وإله العبيد. إن يسوع المسيح كان يتكلم كإنسانٍ في هيئة عبدٍ للناس والعبيد؛ ما هي الصعوبة في تلك الفكرة، أن يكون الآب أباه، مثلما هو أبونا، من جهة ناسوته، ويكون الله إلهه من جهة طبيعته كعبد، مثلما هو إله كل الناس؟

هو أخونا من جهة ناسوته

١٥- هذه إذًا هي الكلمات التي استهلَّ بها الرسالة: اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ. وهُنا أنا أسأل: هل نَفهم أنهم إخوته وهو في هيئة الله أَم في هيئة عبد؟ وهل لجسدنا قرابة معه مِن جهة ملء اللاهوت الحال فيه، بحيث نُحسَب إخوته من جهة لاهوته؟ كَلَّا، لأن روح النبوة يُميِّز بشكل واضح من أية جهة نكون إخوةً لله الابن الوحيد. لقد قال: أُخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي[٢٠]، كـ 'دُودَةٍ لاَ إِنْسَانٍ'[٢١]. كدودة غير

---

[١٩] (يو ٢٠: ١٧)

[٢٠] (مز ٢٢: ٢٢)

مولودة بالعملية المعتادة للحَبَل، وتأتي إلى العالم حيَّةً بالفعل من أعماق الأرض، قد تكلم هنا مُظهرًا حقيقة أنه قد اتخذ جسدًا، وأقامه حيًا من الجحيم. إنه يتنبأ عن أسرار آلامه طوال المزمور بروح النبوة، فلا بُد أن يكون له إخوة حسب تدبير الآلام التي تألم بها. والرسول أيضًا قد أَدرك سِر تلك الأُخوَّة، لأنه لم يدعوه فقط 'باكورة الراقدين''[٢٢]، بل أيضًا 'البِكر بين إخوةٍ كثيرين''[٢٣]. إن المسيح هو البِكر بين أخوةٍ كثيرين بنفس الطريقة التي بها يكون باكورة الراقدين. وبما أن سِر الموت يخُص جسده، هكذا فإن سِر الأُخوَّة أيضًا يعود على جسده، لأن **الكلمة** صار جسدًا وحل بيننا[٢٤]. أما الابن المولود الوحيد، الفريد كابن الله الوحيد، فليست له إخوةٌ.

١٦- على العموم، لقد اكتسب بتجسده طبيعتنا بكاملها، وصار مثلنا بالتمام، لكنه لم يَفقد ما كانه قبلاً. **سواء قبلاً بسبب أصله السماوي، أو الآن بوضعه الأرضي، فإن الله هو أبوه.** إن الله هو أبوه بوضعه الأرضي، لأن كل الأشياء هي مِن الله الآب، والله أب لكل شيء، لأن كل الأشياء هي منه وفيه. أما بالنسبة لله الابن الوحيد، فالله أب، وليس فقط لأن **الكلمة** صار جسدًا؛ إن أُبوَّته تمتد أيضًا لمَن كان عند الله منذ البدء، كالإله **الكلمة**. هكذا فإنه حينما صار **الكلمة** جسدًا، كان الله أباه بولادة الله **الكلمة**، وبوضع

---

[٢١] (مز ٢٢: ٦)

[٢٢] (كو ١: ١٨)

[٢٣] (رو ٨: ٢٩)

[٢٤] (يو ١: ١٤)

تجسده. إن الله هو أبو كل جسد، رغم أن هذا ليس بنفس طريقة أبوته لله **الكلمة**. لكن الله **الكلمة**، رغم أنه لم يكُف عن أن يكون هو الله، قد صار جسدًا بالفعل. لقد ظَلَّ بالحقيقة **الكلمة**، بينما قد حلَّ هكذا، بالضبط مثلما ظَلَّ هو الإله الحقيقي والإنسان، حينما صار **الكلمة** جسدًا. فإن 'الحلول' يمكن فقط أن يُقال عمَّن يَسكن في شيء ما، بينما 'التجسُّد' يُقال عن المولود. لقد حلَّ بيننا؛ أي قد اتَّخذ جسدنا. **الكلمة** صار جسدًا وحَلَّ بيننا؛ أي أنه كان إلهًا في حقيقة جسدنا. لو أن يسوع المسيح، الإنسان بحسب الجسد، قد سَرق الطبيعة الإلهية من الله **الكلمة**، أو لم يكن الله **الكلمة** طِبقًا لسِر التقوى أيضًا، فإن هذا يُنزل من شأن طبيعته إلى مستوانا، بحيث يكون الله أباه وأبانا، وإلهه وإلهنا. لكن لو أن الله **الكلمة**، حينما صار الإنسان يسوع المسيح، لم يكُف عن أن يكون الله **الكلمة**، إذًا فالله هو أبوه وأبونا، وإلهه وإلهنا في نفس الوقت، فقط وفقًا للطبيعة التي بها يُعتبَر **الكلمة** أخًا لنا، **وتكون الرسالة لإخوته: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ، قد قيلت عن الكلمة الذي صار جسدًا، وليست عن الله الكلمة الابن الوحيد.**

١٧- يتحدث الرسول هنا بكلماتٍ حريصةٍ حَذرةٍ لا يمكن أن تترك فرصةً للأشرار بسبب وضوحها. لقد رأينا أن الإنجيلي يخبرنا باستخدام الرب لكلمة 'إخوة' في بداية رسالته*، وهذا يدُل على أن الرسالة كلها، الموجَّهة

* الرسالة الشفهية التي بعثها المسيح لتلاميذه مع مريم المجدلية.{م}

لإخوته، تشير إلى اشتراكه في تلك الطبيعة التي تجعله أخاهم. وهكذا فقد أَظهر أن سِر التقوى المُعلَن هنا ليس تقليلاً من رُتبة لاهوته. إن اتحادنا به، والذي على أساسه يكون الله أباه وأبانا، وإلهه وإلهنا، يوجد بحسب تدبير التجسد. نحن محسوبون كإخوته، لأنه وُلِد في الجسد. لن يشُك أحدٌ في أن الله الآب هو أيضًا إله ربنا يسوع المسيح، لأن هذا الاعتراف التقي لا يقدِّم أية فرصة لعدم التقوى. إن الله هو إلهه، لكنه ليس إلهًا بطبيعةٍ تختلف عن طبيعته. لقد وُلِد مِن الآب كإله، ووُلِد عبدًا بحسب التدبير. وهكذا فإن الله هو أبوه لأنه إله من إله، والله هو إلهه لأنه تجسَّد من العذراء. كل هذا يؤكِّده الرسول في فقرةٍ قصيرةٍ ومحدَّدةٍ: ذَاكِرًا إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ[٢٥]. فحينما يتكلم عنه كيسوع المسيح يذكر إلهه، وحينما تكون فكرته الرئيسة هي مجد المسيح يقول عن الله إنه أبوه. إن الله هو أبو المسيح الذي له المجد، وهو إله المسيح بكونه يسوع. فإن الملاك، حينما تكلم عن المسيح الرب، الذي ينبغي أن يولَد من مريم، قد دعاه بالاسم 'يسوع'[٢٦]، أما بالنسبة للأنبياء فالمسيح الرب هو 'روح'[٢٧]. إن كلمات الرسول في العبارة تبدو غامضةً بعض الشيء للكثيرين، لأن اللغة اللاتينية لا يوجد بها الضمائر وأدوات التعريف التي تستخدمها اللغة اليونانية بشكل جميل ومنطقي. تقول الجملة باليونانية:

---

[٢٥] (أف ١: ١٦، ١٧)

[٢٦] (مت ١: ٢١)؛ (لو ١: ٣١)

[٢٧] أي روح إلهي.

ὁ Θεὸς τοῦ Κυρίου ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ, ὁ πατὴρ τῆς δόξης.

والتي قد نترجمها إلى اللاتينية، لو جاز استخدام الضمير:

Ille Deus illius Domini nostri Jesu Christi, ille Pater illius claritis.

{حرفيًا: إله الرب (الذي لنا) يسوع المسيح، أبو المجد}. بهذه الصيغة 'الإله الذي ليسوع المسيح'، و 'أبو المجد' تُعبِّر الجملة، بمقدار ما يمكننا أن نفهمها، عن حقائق معيَّنة بخصوص طبيعته. فحيثما يكون مجد المسيح، يكون الله هو أبوه؛ وحيثما يكون المسيح هو يسوع، يكون الآب هو إلهه. **في التدبير الذي يكون فيه عبدًا، هو له إله، وفي المجد الذي يكون فيه إلهًا، هو له آب.**

المَسحة هي للناسوت

١٨- إن الأزمنة والدهور لا تُغيِّر الروح[٢٨]، فالمسيح هو نفسه المسيح، سواء بالجسد، أو بحلوله بالروح في الأنبياء. إنه يقول على فم داود رئيس الآباء المبارَك: مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ[٢٩]، وهو ما لا يشير إلَّا إلى سِر تدبير تجسده. إن الذي يُرسِل الآن الرسالة إلى إخوته بأن أباهم هو أبوه، وإلههم هو إلهه، قد أَعلن نفسه إذًا كممسوح من إلهه أكثر من

---

[٢٨] مع ملاحظة أن ق. هيلاري يقصد بالروح، 'الكيان الروحي' الذي هو الله، كما هو واضح في الفقرة السابقة.

[٢٩] (مز ٤٥: ٧)

رفقائه. لا يوجد مَن يُرافق المسيح الابن الوحيد، الإله **الكلمة**، لكننا نَعرف أننا رفقاؤه بتجسده. إن تلك المَسحة لم تَرفع المولود المبارَك غير الفاسد الساكن في طبيعة الله، بل رسَّخَت سِر تجسده، وقدَّسَت الناسوت الذي اتخذه. لقد شهد لهذا بطرس الرسول عندما قال: لأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ، الَّذِي مَسَحْتَهُ.. *. وفي مناسبة أخرى: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الأَمْرَ الَّذِي صَارَ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئًا مِنَ الْجَلِيلِ، بَعْدَ الْمَعْمُودِيَّةِ الَّتِي كَرَزَ بِهَا يُوحَنَّا. يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ[٣٠]. **لقد مُسِح يسوع إذًا كي يتم سِر تجديد الجسد**. ولا يوجد شك في الطريقة التي بها مُسِح بالروح وبقوة الله، حينما نسمع صوت الآب، كما قال في لحظة خروجه مِن نهر الأردن: أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ[٣١]. وبهذا قد صُدِّق على تقديس جسده، وفي تلك الشهادة لا بُد أن نعترف بمَسحته بقوة الروح.

١٩- لكن **الكلمة** كان هو الله، وكان منذ البدء مع الله، لذا فإن المِسحة لا يمكن الكلام عنها أو وصفها، إذا كانت تشير إلى تلك الطبيعة التي لم نُخبَر بأي شيء عنها، سوى أنها كانت في البدء. في الحقيقة، إن الذي كان هو

---

* (أع ٤: ٢٧) مع ملاحظة ذكره لعبارة 'هذه المدينة' والتي لم تذكرها ترجمة KJV ولا الترجمة البيروتية، في حين أنها موجودة في النص اليوناني الأصلي، وترجمات القبطي الصعيدي والبحيري، والترجمة اليسوعية، وغيرها.{م}

[٣٠] (أع ١٠: ٣٧، ٣٨)

[٣١] (مز ٢: ٧) بيروتية (؟: ٨) سبعينية. قارن (مت ٣: ١٧) و(لو ٣: ٢٢).

الله لم تَكُن له حاجةٌ إلى أن يَمسح نفسه بالروح وبقوة الله، حينما يكون هو نفسه الروح وهو قوة الله. لذا فإنه، مع كونه إلهًا، قد مُسِح مِن إلهه أكثر من رفقائه. وبالرغم من أنه كان هناك مُسحاء كثيرون {أي أناس قد مُسحوا} بحسب الناموس قبل تدبير التجسد، إلا أن المسيح، الذي مُسِح أكثر من رفقائه، قد جاء بعدهم، لأنه كان مفضَّلاً أكثر من رفقائه. وهكذا فإن كلمات النبوة تقدِّم حقيقة أن المَسحة قد حدثت في وقتٍ، وهي متأخرة في الوقت نسبيًا:- أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ.

إن الحقيقة التي تأتي بعد حقائق، لا يمكن أن تُحسَب كأنها جاءت قبلهم. كون المكافأة مستحَقة يَفرض مُسبقًا وجود مَن يستحقها، لأن الميزة المُستحَقة تتضمن وجود مَن كان مؤهَّلاً لنوالها. لذا فإن كُنَّا نَنسب ميلاد الإله الابن الوحيد لتلك المسحة، كمكافأة لمحبته للبِر وبُغضته للإثم، فلن نعتبره كمولود، بل كمَن رُقِيَّ بالمَسح، لكي يكون الإله الابن الوحيد. لكن هذا لن يكون إلا تلميحًا إلى أنه قد رُفع بتقدُّمٍ وترقيةٍ متدرِّجةٍ إلى الألوهية الكاملة، وأنه لم يولَد كإله، بل مُسح فيما بعد كإله لأجل استحقاقه. وهكذا سوف نَجعل المسيح إلهًا مشروطًا، لكونه هو الناتج النهائي لكل الشروط؛ فما هو إذًا معنى كلام الرسول: الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ[٣٢]؟ إن الرب يسوع المسيح لم يؤلَّه لسببٍ ما، أو

[٣٢] (كو ١: ١٦، ١٧)

بواسطة أمرٍ ما، وإنما وُلد إلهًا؛ هو في أصله إله، ولم تتم ترقيته إلى الألوهية لأي سبب بعد ولادته، بل هو ابن؛ هو والله واحد لأنه مولود منه. إذًا فمَسحته، رغم كونها نتيجةً، إلا أنها لم تُزِد ما فيه، والذي لا يمكن أن يكون أكثر كمالاً. إنها تخص ما كان ينبغي أن يصير أكثر كمالاً فيه، مِن خلال كمال السر؛ **أي أن ناسوتنا قد قُدِّس في المسيح بالمسح.**

فإن كان النبي (داود) يُعلِّمنا هنا أيضًا تدبير العبد، والذي لأجله قد مُسِح المسيح من إلهه أكثر من رفقائه، وهذا بسبب حُبه للبر وبغضته للإثم، إذًا فلا بُد أن كلمات النبي تشير إلى تلك الطبيعة الموجودة في المسيح، والتي صار له بها رفقاء مِن خلال التجسد. فهل يمكن أن نشُك بهذا حينما نُلاحِظ كيف اختارت روح النبوة كلماته بحرص؟ إن الله قد مُسِح بواسطة إلهه؛ أي أنه في طبيعته إله، لكن في تدبير المَسحة يكون الله هو إلهه. لقد مُسِح الله، لكن أخبِروني، هل مُسِح **الكلمة** الذي كان منذ البدء عند الله؟ كلَّا بكل تأكيد، لأن المَسحة جاءت بعد ميلاده الإلهي. إذًا **فالكلمة** المولود، الإله الذي كان في البدء مع الله، ليس هو الممسوح، بل تلك الطبيعة التي في الله، والتي صارت له بالتدبير في وقتٍ لاحق. وحينما مَسحه إلهه، فإنه قد مَسَح فيه كل طبيعة العبد التي اتخذها في سِر التجسد.

خضوع المسيح للآب كان بحسب تدبير التجسد

٢٠- لا تدَعوا أحدًا إذًا يُدنِّس سِر التقوى العظيمة الذي ظهر في الجسد بتفسيراته الخاطئة، أو يَحسب نفسه على قدم المساواة مع الابن الوحيد في

جوهر لاهوته. دعوه يكون أخانا ورفيقنا، طالما حلَّ بيننا **الكلمة** الذي صار جسدًا، وطالما أن الإنسان يسوع المسيح هو الوسيط بين الله والإنسان. دعوه يشاركنا نفس الأب والإله، كعبد، وكمَن مُسِح أكثر من رفقائه، ودعوه يكون مِن نفس طبيعة رفقائه الممسوحين، رغم أن مَسحته لها امتياز خاص. دعوه في سِر الوساطة يكون إنسانًا حقيقيًا وإلهًا حقيقيًا في نفس الوقت، ويكون هو نفسه إله من إله، لكن مع اشتراكه معنا في نفس الأب والإله في تلك الشركة التي يكون بها أخًا لنا.

٢١- *لكن ربما يُدل هذا الخضوع، وهذا التسليم للمُلك، وأخيرًا تلك النهاية، على ذوبان طبيعته، أو فُقدانه للقوة، أو ضَعف لاهوته!* هكذا يجادِل الكثيرون *بأن المسيح مقيدٌ بخضوعه لله مثل الكل، وهو بخضوعه يَفقِد لاهوته. إنه يسلِّم ملكوته، لذا فلن يبقى مَلكًا بعدئذ، فالنهاية التي تَلحَق به تستلزم فقدان قدرته كنتيجة لها.*

٢٢- لن يكون في غير محله هنا لو استعرضنا المعنى التام لتعليم الرسول بخصوص تلك المسألة. دعونا نأخذ إذًا كل جملة منفردة ونفسرها، كي يمكننا فهم السر الكامل بإدراكه في تمامه. إن كلمات الرسول هي: فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ. لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورَةً، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ. وَبَعْدَ ذلِكَ النِّهَايَةُ، مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكَ لِلَّهِ الآبِ، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ. لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ. لَكِنَّهُ حِينَمَا يَقُولُ :إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ

أُخْضِعَ، فَوَاضِحٌ أَنَّهُ غَيْرُ الَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ. وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، فَحِينَئِذٍ هُوَ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ، كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ[٣٣].

لو آمنَّا فسننال عطية الفهم كمكافأة للإيمان

٢٣- إن الرسول المختار، ليس من الناس أو من إنسان، بل من يسوع المسيح، كي يكون معلمًا للأمم[٣٤]، يوضِّح بِلُغةٍ معبِّرةٍ قَدر إمكانه عن أسرار التدبير السماوي. ذاك الذي رُفع إلى السماء الثالثة وسَمع ما لا يُنطق به[٣٥]، يُعلِن للعقل البشري ما يستطيع أن تُدرِكه الطبيعة البشرية. لكنه لا ينسى أن هناك أمورًا لا يمكن فهمها بمجرد أن نسمعها. إنَّ ضَعف الإنسان يحتاج وقتًا كي يستعرض أمام محكمة العقل الحقيقية والكاملة، ذاك المسكوب في الآذان بشكل غير مميَّزٍ. **إن الإدراك يتبع الكلمات المنطوقة بشكل أبطأ من السماع، لأن الأُذن هي التي تَسمع، بينما العقل هو الذي يَفهم، رغم أن الله هو الذي يَكشف المعنى الباطني لمَن يطلبونه.** لقد عَرفنا هذا من الكلمات المكتوبة وسط الكثير من النصائح لتيموثاوس، التلميذ الذي تَعلَّم الكتب المقدسة منذ طفولته بواسطة الإيمان المجيد لجدَّته وأُمه[٣٦]: افْهَمْ مَا

---

[٣٣] (١كو ١٥: ٢١- ٢٨)

[٣٤] (غل ١: ١)

[٣٥] (٢كو ١٢: ٢، ٤)

[٣٦] (٢تي ١: ٥)

أَقُولُ. فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ[٣٧]. **إن الدعوة للفهم تأتي من صعوبة الفهم. أما عطية الله التي للفهم فهي مكافأة الإيمان، لأن بواسطة الإيمان يكافأ ضعف العقل بنعمة الاستعلان.** فإن تيموثاوس 'رجل الله' كما يشهد[٣٨] له الرسول، والابن الحقيقي لبولس في الإيمان[٣٩]، مدعو للفهم لأن الرب سوف يعطيه الفهم في كل شيء. لذا دعونا نتذكر - نحن العارفون أن الرب سوف يمنحنا الفهم في كل شيء - أن الرسول ينصحنا أيضًا أن نفهم.

٢٤- ولو حدث أن تمسَّكنا بفكرةٍ تكوَّنت لنا قبلاً، بسبب عيب في الطبيعة البشرية، فدعونا لا نَرفُض فرصة المعرفة التي تأتينا من خلال نعمة الاستعلان. لو أننا كنا نَستخدِم حُكمنا الخاص فقط إلى وقتنا هذا، فلا تدَعوا ذلك يُخجِلنا من تغيير قراراتنا للأفضل. ولكي يقدِّم لنا الرسول إرشادًا حكيمًا وآمنًا في هذه الأمور، فإنه يَكتب إلى أهل فيلبي قائلاً: فَلْيَفْتَكِرْ هذَا جَمِيعُ الْكَامِلِينَ مِنَّا، وَإِنِ افْتَكَرْتُمْ شَيْئًا بِخِلاَفِهِ فَالله سَيُعْلِنُ لَكُمْ هذَا أَيْضًا. وَأَمَّا مَا قَدْ أَدْرَكْنَاهُ فَقَطْ، فَلْنَسْلُكْ بِحَسَبِ ذلِكَ عَيْنِهِ[٤٠]. إن العقل لا يمكنه أن يتوقع استعلان الله بأفكار مُسبَقة. فإن الرسول قد أظهر لنا هنا أين تكمُن حكمة مَن لهم الحكمة الكاملة، ويتوقع استعلان الله لأولئك العاقلين بطريقة أخرى، كيما يحصلوا على الحكمة الكاملة. فإن كان البعض

---

[٣٧] (٢تي ٢: ٧)

[٣٨] (١تي ٥: ١١)

[٣٩] (١تي ١: ٢)

[٤٠] (في ٣: ١٥، ١٦)

قد فهم هذا التدبير العميق للمعرفة الخفية بشكل مختلف، وكان ما قدَّمناه لهم مُصدَّق عليه بشكل أصح وأفضل، فلا تدَعوهم يخجلون من قبول الحكمة الكاملة، كما يَنصَح الرسول، من خلال استعلان الله. لو كرهوا البقاء في الوهم، فلا تدَعوهم يُحبون الجهل أكثر من هذا. لو أن الله قد أَعلن هذا أيضًا لمَن لهم حكمة أخرى، فالرسول يحث هؤلاء على التمسُّك بالطريق الذي بدأوه، لكي يتخلوا عن جهالتهم الأولى، وينالوا استعلان الفهم الكامل بواسطة الطريق الذي دخلوه بلهفة. لذا دعونا نستمر في الطريق الذي تمسَّكنا به؛ ولو تعطَّلَت سرعة لهفتنا بسبب ضلال خطواتنا، فدعونا، رغم هذا، نبدأ من جديد من خلال استعلان الله، بأن نتجه نحو هدف رغبتنا، ولا نُحوِّل أقدامنا عن الطريق. **لقد أسرعنا نحو يسوع المسيح رب المجد، ملك الدهور الأبدية، الذي فيه قد رُدَّت كل الأشياء، ما في السماء وما على الأرض، والذي فيه يقوم الكل، والذي فيه وبه نَثبُت إلى الأبد.** طالما أننا نسير في هذا الطريق فستكون لدينا الحكمة الكاملة، وإن كانت لنا حكمة أخرى، فسوف يُظهِر لنا الله الحكمة الكاملة. دعونا إذًا نَفحص سِر الكلمات التي أمامنا في ضوء إيمان الرسول، ولنجعل معالجتنا، كما كانت دائمًا، دحضًا لكل تفسير نجس يمكن أن يدسوه لتلك الكلمات، بالحق الفعلي للاعتراف الرسولي.

تفسير ما جاء في (١كو ١٥: ٢١- ٢٨)

٢٥- وفقًا لترتيب الكلام، هناك ثلاثة تأكيدات قد وضعها الرسول يجرى الاعتراض عليها: أولاً الغاية، ثم التسليم، وأخيرًا الخضوع. إن الغرض من الاعتراض هو إثبات أن المسيح قد توقَّف عن وجوده عند بلوغ الغاية، وأنه يفقد ملكوته حينما يُسلِّمه، ويُجرِّد ذاته من الطبيعة الإلهية حينما يَخضع لله.

٢٦- أول كل شيء، لاحِظوا أن هذا ليس هو ترتيب تعليم الرسول، لأن أول ما سيحدث هو تسليم المُلك، ثم الخضوع، وأخيرًا الغاية. لكن كل سبب هو نفسه نتيجة لداعيه الخاص، لكي يكون في كل سلسلة للسببية، كل مُسبِّبٍ له سابِقه الأساسي بشكلٍ محتومٍ، مع كونه هو نفسه نتيجة. وهكذا سوف تتحقق الغاية، لكن حينما يُسلِّم مُلكه. هو سوف يسلِّم المُلك، لكن حينما يُبطِل كل قوة وسلطان. وسوف يَقضى على كل قوة وسلطان، لأنه لا بُد أن يملك. وسوف يملك حتى يضع جميع أعدائه تحت قدميه. وهو سيَضَع جميع أعدائه تحت قدميه لأن الله قد أخضع الكل تحت قدميه. لقد أخضعهم له الله بحيث يكون الموت هو آخِر عدو يُبطَل. وعندما يَخضع الكل له، ماعدا ذاك الذي أخضعهم له، فسوف يَخضع ذاك الذي أَخضع الكل له أيضًا. لكن سبب الخضوع هو أن يكون الله الكل في الكل؛ لذا، فالغاية هي أن يكون الله الكل في الكل.

٢٧- والآن، قبل أن نذهب لأي مكانٍ، لا بُد أن نتحقق إن كانت النهاية هي ذوبانًا*، أو إن كان التسليم خسارةً، أو الخضوع إضعافًا للمسيح. وإذا وَجدنا أن هناك تناقضات لا تتفق مع بعضها البعض، فسنكون قادرين على فهم الكلمات في معناها الحقيقي التي قيلت به.

ليست نهاية البشر هي الذوبان في الهواء

٢٨- إن غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ الْمَسِيحُ[٤١]؛ لكن أخبِروني، هل هو جاء لكي يَنقضه أم ليُكمله؟ وإن كان المسيح لا يَنقض الناموس، بل يُكمله، لأنه هو غاية الناموس {كما يقول: مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ، بَلْ لأُكَمِّلَهُ}[٤٢]، ألا تكون غاية الناموس بعيدةً تمامًا عن موته، بل على العكس تمامًا، هي كماله التام؟ إن كُل الأشياء تتقدم نحو غايةٍ، لكن تلك الغاية هي حالة مِن البقاء في الكمال، الذي هو هدف تقدُّمها، وليس فَناءها. كما أن كل الأشياء توجَد لأجل الغاية، لكن الغاية نفسها ليست الوسيلة لأي شيء ورائها؛ إنها الذُروة، التي تتضمن الكل، الذي يبقى بدوره فيها. ولأنها مكتفيةٌ ذاتيًا، ولا تَعمَل لأجل وقت أو هدف آخر غير ذاتها، يكون الهدف دائمًا هو ما تتجه إليه آمالنا. لهذا يحُثنا الرب على الانتظار بصبر وإيمان ورِع إلى أن تأتي

---

* كما نادى ماني في بدعته.{م}

[٤١] (رو ١٠: ٤)

[٤٢] (مت ٥: ١٧)

النهاية: طُوبَى لِمَنْ يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى[٤٣]. إن ما ينتظرنا ليس ذوبانًا مباركًا، ولا الثمرة هي عدم الوجود، ولا إبطال الأُجرة المعيَّنة للإيمان؛ بل الغاية هي الحصول النهائي على السعادة الموعودة، والذين يصبرون إلى أن يَصِلوا إلى هدف السعادة الكاملة هم مبارَكون، حينما لا يكون هناك هدفٌ وراء انتظار الرجاء الوفي. إن غايتهم هي البقاء براحة مستمرة في هذا الوضع، الذي يسعون نحوه بإلحاحٍ. وبالمثل، يُنذِرنا الرسول - كما لو كان يُردِعنا - بنهاية الأشرار: الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ... أَمَّا مَا يِنْتَظِرُنَا نَحْنُ فَهوَ فِي السَّمَاوَاتِ[٤٤]. ولو افترضنا أننا نُفسِّر الغاية على أنها ذوبانٌ، فسوف نُجبَر على الاعتراف بأنه بما أن هناك نهايةً للأبرار والأشرار، فسوف تتساوى نتيجة التقوى مع الكفر، لأن النهاية المقررة لهما هي الإبادة. ماذا عن رجائنا في السماء، لو كانت نهايتنا ونهاية الأشرار هي التوقُّف عن الوجود؟ لكن حتى لو بقي للقديسين رجاء، ونهاية الأشرار هي ما يستحقونه، فلن يمكننا اعتبار تلك النهاية كذوبان نهائي. فما هي عقوبة الأشرار إن كانوا فوق مستوى الشعور بألم العذابات عِوض شرهم، لأن ذوبانهم سوف يزيل إمكانية التألم؟ لذا فإن النهاية هي الوضع الأقصى والنهائي الذي ينتظرنا، المحفوظ للأبرار والمُعَد للأشرار.

---

[٤٣] (مت ١٠: ٢٢)؛ (مر ١٣: ١٣)

[٤٤] (في ٣: ١٩، ٢٠) وإعادة صياغة 'ما ينتظرنا' في اليونانية هي كلمة πολίτευμα، والتي تعني 'مواطَنةً' أو 'دولةً' أو 'نظام الحُكم'.

معنى تسليم المُلك للآب

٢٩- لذا فلم يعُد لدينا شك في أن النهاية ليست ذوبانًا، بل وضع تام ونهائي. سوف يكون لدينا شيءٌ أكثر يمكننا أن نقوله بخصوص هذا الموضوع، حينما نأتي إلى توضيح تلك الفقرة، لكن هذا كافٍ لجعل قصدنا واضحًا. لذا دعونا نتحول الآن إلى تسليم المُلك، ونرى إن كان يعني تنازلاً عن الحُكم، وإن كان الابن بهذا قد توقَّف عن امتلاك ما قد سلَّمه للآب. إن كان هذا هو ما يؤكده الأشرار في افتتانهم المُفرِط، فلا بُد أنهم يعتقدون أن الآب قد فقد الكل بالتسليم، حينما سلَّم الكل للابن، إن كان التسليم يتضمن التنازل عما قد سُلِّم. لقد قال الرب: كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي[٤٥]، وأيضًا: دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ[٤٦]. إذًا، فإن كان تسليم الشيء هو التنازل عن المِلكية، فلن يَظل الآب مالكًا لما قد سلَّمه. لكن لو لم يتوقف الآب عن امتلاك ما قد سلَّمه، فلن يتنازل الابن عما يُسلِّمه. لذا، فإن كان لم يَفقد بالتسليم ما قد سَلَّمه، فلا بُد أن نُدرِك أن التدبير الإلهي فقط هو الذي يُفسِّر كيف ظَلَّ الآب يَملُك ما قد سَلَّمه، وكيف لم يَفقد ما قد أعطاه.

٣٠- بالنسبة للخضوع، هناك حقائق أخرى تأتي لمساعدة إيماننا، وتمنعنا من إهانة المسيح بسبب هذا السبب، بل بالحري تحتوي تلك العبارة

---

[٤٥] (لو ١٠: ٢٢)

[٤٦] (مت ٢٨: ١٨)

على دفاعها عن نفسها. أيًا كان، فسوف ألجأ أولاً إلى المنطق العام: هل مازال الخضوع يُفهَم على أنه خضوع العبودية للسيادة، والضعف للقوة، والدناءة للكرامة، كصفات متناقضة؟ هل الابن خاضع للآب بهذه الطريقة بسبب التمايز الناتج عن اختلاف الطبيعة؟ إن كنَّا بالفعل نظُن هذا، فسوف نجد في كلمات الرسول الوقاية من تلك الأخطاء التي للخيال. يقول الرسول إنه عندما تَخضع كل الأشياء له، فحينئذ لا بُد أن يَخضع للذي أخضع لنفسه الكل؛ وهو يَعني بتلك الكلمة 'حينئذ' الإشارة إلى التدبير الزماني. *فلو وَضعنا أي معنى آخر للخضوع، فلن يكون المسيح خاضعًا الآن، رغم أنه سوف يَخضع حينئذ، وبهذا نجعله متمردًا متغطرسًا وعديم التقوى، وبُحكم ضغط الزمن سوف يُجبَر غروره المتعجرف في النهاية على الطاعة.* فما الذي قاله هو نفسه؟ لَمْ آتِ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي[٤٧]. وأيضًا: لِهذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ[٤٨]. وأيضًا: يَا أَبَتَاه، لِتَكُنْ إِرَادَتِكَ[٤٩]. أو اسمعوا الرسول يقول: وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ[٥٠].

رغم أنه وضع نفسه، إلا أن طبيعته لم تَعرف أي إذلال؛ رغم أنه كان مطيعًا، إلا أنها كانت طاعةً بمحض الإرادة، لأنه صار مُطيعًا بوضع نفسه. الله الابن الوحيد قد وَضع نفسه، وأطاع أباه حتى موت الصليب. لكن

---

[٤٧] (يو ٦: ٣٨)

[٤٨] وهذه الآية هي دمج لما جاء في (يو ٨: ٢٩) و(يو ١٠: ١٧).{م}

[٤٩] قارن (مت ٢٦: ٣٩، ٤٢)؛ (مر ١٤: ٣٦)؛ (لو ٢٢: ٤٢).

[٥٠] (في ٢: ٨)

كيف خَضع للآب، كإله أم كإنسان، حينما خَضعَت له كل الأشياء؟ في الحقيقة إن هذا الخضوع ليس علامةً لطاعة جديدة، بل لتدبير السِر، لأن الإخلاص أزليٌ، أمَّا الخضوع فهو حدث زمني. إذًا فالخضوع هو إعلان للسِر بالمعنى البسيط.

٣١- ما الذي ينبغي أن يُفهَم بسبب نفس هذا الرجاء الذي لإيماننا. لا يمكننا تجاهُل أن الرب يسوع المسيح قد قام ثانيةً من الأموات، وأنه يجلس عن يمين الله، لأننا لدينا أيضًا شهادة الرسول: حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قوَّته، الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ[٥١]. إن لغة الرسول، لكونها تُلائِم قوة الله، تتكلم عن المستقبَل كأنه ماضٍ، فإن ذلك الذي يجب أن يُعمَل باكتمال الزمن موجودٌ بالفعل في المسيح، الذي فيه كل الملء، و 'المستقبل' يشير فقط إلى الترتيب الزمني للتدبير، وليس إلى تطوُّر جديد. الله قد وَضع كل الأشياء تحت قدميه، مع أن هذا الخضوع سيأتي فيما بعد. فبخضوعها، الذي يُدرَك أنه قد حدث بالفعل، يُستدَل على اكتمالها في نهاية الدهور كنتيجة لملء الزمان.

٣٢- إن معنى إبادة كل قوةٍ ضده واضح. رئيس الهواء، وقوى الشر الروحية، سوف يتم تسليمهما للإبادة الأبدية، كما يقول المسيح: اذْهَبُوا عَنِّي

---

[٥١] (أف ١: ١٩- ٢٢)

يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ[٥٢]. لكن الإبادة ليست مثل الخضوع. أن تُدمِّر قوة المضاد يعني أن تَتغَلَّب على قوَّته للأبد، لكي بإبادة قوَّته توضَع نهاية لحُكم مملكته. لقد شَهد الرب لهذا حينما قال: مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ[٥٣]، إذ قال قبلاً إن حاكم هذه المملكة هو رئيس هذا العالم، الذي ستفنى قوَّته بمحو حُكم مملكته[٥٤]. وأما الخضوع النابع من الولاء والطاعة فهو دليل على الإذعان والتغيير.

الآب يأتي بنا إلى الابن، والابن يقودنا إلى الآب

٣٣- لذا سوف يَخضع أعداؤه حينما يُمحى سلطانهم؛ فأن يخضعوا معناه أنه سوف يُخضِعهم لذاته. وإخضاعهم هكذا معناه أن الله سيُخضِعهم له. هل تعتقدون أن الرسول كان جاهلاً بقوة كلمات الإنجيل: لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ[٥٥]، إلى جانب: لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي[٥٦]؛ مثلما قيل في الرسالة إن المسيح يُخضِع أعداءه لنفسه، رغم أن الله يُخضِعهم له، وهو يشهد طوال هذا بأن عمل الإخضاع الذي يعمله معناه أن الله يعمل فيه؟ **لا يوجد اقتراب من الآب إلا من خلاله، لكن لن يوجد أيضًا اقتراب منه، إن لم يجتذبنا الآب.** طالما أننا نَفهم أنه ابن الله، فسنعترف بطبيعة

---

[٥٢] (مت ٢٥: ٤١)

[٥٣] (يو ١٨: ٣٦)

[٥٤] (يو ١٦: ١١) "رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ".

[٥٥] (يو ٦: ٤٤)

[٥٦] (يو ١٤: ٦)

الآب الحقيقية فيه. مِن ثَم، فحينما نَعرف الابن، يدعونا الله الآب؛ حينما نؤمن بالابن، يَقبلنا الآب؛ فإن إدراكنا ومعرفتنا بالآب هي في الابن، الذي يُظهِر لنا في ذاته الله الآب، الذي يجتذبنا إليه إن كنا مُخلِصين، بمحبته الأبوية، إلى رباط متبادَل مع ابنه. بهذه الطريقة يجتذبنا الآب، حينما يُعترَف به كآب، كشرط أول. لكن لا أحد يأتي إلى الآب إلا من خلال الابن، لأننا لا يمكننا أن نَعرف الآب، إلا إذا كان الإيمان بالابن فينا بالفعل، بما أننا لا يمكننا الاقتراب من خِدمة الآب، ما لم نَعبُد الابن أولاً، في حين أننا لو عَرفنا الابن، فسوف يجتذبنا الآب إلى الحياة الأبدية ويَقبلنا. لكن كل نتيجة هي عمل الابن، **لأننا حينما نكرز بالآب، الذي يكرز به الابن، فإن الآب يأتي بنا إلى الابن، والابن يقودنا إلى الآب.** إنَّ ذِكر هذا السر كان ضروريًا للفهم الكامل للعبارة الحالية، لإظهار أنه من خلال الابن يجتذبنا الآب ويَقبلنا؛ أننا يمكننا أن نفهم الوجهتين، الابن مُخضِعًا الكل لذاته، والآب مُخضِعًا الكل له. إن طبيعة الله حالَّةٌ في الابن بالميلاد، وتفعل ما يفعله هو نفسه. ما يعمله هو يعمله الله، أما ما يعمله الله فيه، فهو نفسه يعمله؛ بمعنى أنه حيثما يعمل هو نفسه، فلا بُد أن نؤمن بأن ابن الله يعمل؛ وحيثما يعمل الله، فلا بُد أن نُدرِك صفات طبيعة الآب الكائنة فيه كابن.

اليهود أعداء من أجلنا، لكنهم أحباء من أجل الآباء

٣٤- عندما يتم القضاء على السلاطين والقوات، فسوف يَخضع أعداءه تحت قدميه. لقد أخبرنا الرسول مَن هم هؤلاء الأعداء: مِنْ جِهَةِ الإِنْجِيلِ هُمْ

أَعْدَاءٌ مِنْ أَجْلِكُمْ، وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الاخْتِيَارِ فَهُمْ أَحِبَّاءُ مِنْ أَجْلِ الآبَاءِ[٥٧]. نحن نتذكر أنهم أعداء صليب المسيح، لكن دعونا نتذكر أيضًا أنهم، لأنهم محبوبون من أجل الآباء، فهم محفوظون لأجل الخضوع، كما يقول الرسول: فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا هذَا السِّرَّ، لِئَلاَّ تَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ حُكَمَاءَ، أَنَّ الْقَسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزْئِيًّا لإِسْرَائِيلَ، إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِلْءُ الأُمَمِ، وَهكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: سَيَخْرُجُ مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِذُ، وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ. وَهذَا هُوَ الْعَهْدُ مِنْ قِبَلِي لَهُمْ، مَتَى نَزَعْتُ خَطَايَاهُمْ[٥٨]. لذا فإن أعداءه سيخضعون تحت قدميه.

سنصير على صورة جسد مجده

٣٥- لكننا لا يجب أن ننسى ما يتبع هذا الخضوع، أعني أن: آخِرُ عَدُوٍّ يَنْتَصِرُ عَلَيهِ هُوَ الْمَوْتُ[٥٩]. هذه النصرة على الموت ليست إلا القيامة من الأموات، فعندما يُبطَل فساد الموت تَصير الطبيعة السماوية الحية والحالية أبديةً، كما هو مكتوب: لأَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَ بُد أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ. لَكِن مَتَى لَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ، ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ. أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ

---

[٥٧] (رو ١١: ١٨)

[٥٨] (رو ١١: ٢٥- ٢٧)

[٥٩] (١كو ١٥: ٢٦)

نِزَاعُكِ يَا هَاوِيَةُ؟"[٦٠] لقد غُلِب الموت في خضوع أعدائه؛ وبعد هزيمة الموت تأتي حياة الخلود. يُخبرنا الرسول أيضًا عن المكافأة الخاصة التي يُحقِّقها هذا الخضوع الذي يصير كاملاً بالخضوع للإيمان: الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا، لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ، أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ"[٦١]. فوق ذلك هناك خضوع آخر، الذي هو التحول من طبيعة إلى أخرى، فإن طبيعتنا تتوقف عن القيام بدورها الحالي، وتَخضع لذاك الذي تتحول إلى صورته. لكن 'التوقف' لا يتضمن نهاية الوجود، بل الترقية إلى شيء أعلى. وهكذا فإن طبيعتنا، بعبورها إلى صورة الطبيعة الأخرى التي تأخذها، تصير خاضعةً من خلال الصورة الجديدة المفروضة.

٣٦- مِن ثَم، فلكي يَجعل الرسول تفسيره لهذا السر كاملاً، بعد قوله إن الموت هو آخر عدوٍ يُهزَم، أضاف: لَكِنْ حِينَمَا يَقُولُ :إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُخْضِعَ لِغَيْرِ الَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ، فَحِينَئِذٍ لَا بُد أَنْ يَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ، كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ"[٦٢]. إن الخطوة الأولى في السر هي أن كل شيء قد أُخضع له، ثم هو نفسه سيخضع للذي أخضع الكل لنفسه. وكما أننا نخضع لمجد سلطان جسده، هكذا الذي يحكم بمجد جسده، بنفس السر هو

---

[٦٠] (١كو ١٥: ٥٣- ٥٥) مع إغفال "مَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ".

والسبب في استخدامه لتعبير 'نزاعك' بدلاً من 'غلبتك' ناتج عن الخلط بين (νεῖκος) 'النزاع'، و (νῖκος) 'الغلبة' في النص اليوناني الأصلي.

[٦١] (في ٣: ٢١)

[٦٢] (١كو ١٥: ٢٧، ٢٨) بتصرف.

بدوره خاضعًا لذاك الذي يُخضِع الكل لذاته. **ونحن خاضعون لمجد جسده، كي يمكننا أن نشترك في ذلك البهاء الذي يملك به في جسده، لأننا سوف نكون على صورة جسده.**

٣٧- لَم تصمت الأناجيل عن ذِكر مجد جسدِه المالك حاليًا. لقد كُتِب أن الرب قال: اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هٰهُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ. وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ كَالثَّلْجِ[٦٣]. فقد تجلى أمام الرُسل مجد جسد المسيح الآتي في ملكوته، لأن الرب قد ظهر في شكل تجلّيه المجيد، ببهاء جسده الذي يملُك به.

٣٨- لقد وَعَد الرُسُل أيضًا بشركة مجده. هكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ هذَا الْعَالَمِ. يُرْسِلُ ابْنُ الإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ، فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَفَاعِلِي الإِثْمِ، فَيَطْرَحُهُم فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ[٦٤]. أكانت آذانهم الطبيعية والجسدية مُغلقةً عن سماع الكلام، حتى اضطر الرب إلى تحذيرهم لكي يسمعوا؟ لكن الرب، الذي يُلمِّح إلى معرفة السر، يَطلُب منهم سماع تعليم الإيمان. فعند انتهاء العالم سوف تُطرَح المعاثر خارج ملكوته. حينئذ سنرى الرب مالكًا في بهاء جسده، إلى أن

---

[٦٣] (مت ١٦: ٢٨ - ١٧: ٢)

[٦٤] (مت ١٣: ٤٠- ٤٣)

تُطرَح المعاثر. وسنرى أنفسنا بالتالي في شِبه مجد جسده في ملكوت أبيه، مضيئين بلمعان الشمس، اللمعان الذي به قد كَشف لرسله شكل ملكوته، عندما تجلى على الجبل.

لأن ملكوت الله في داخلنا، فنحن إذًا ملكوت الله

٣٩- هو سوف يُسلِّم الملكوت لله الآب، ولكن ليس كما لو كان يتخلى عن قوَّته بالتسليم، بل سنكون نحن ملكوت الله في شِبه مجد جسده. لَم يُقال: 'سوف يُسلِّم مُلكه' بل قيل: 'مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكَ'[٦٥]، أي يُسلِّمنا لله بعد أن صِرنا ملكوته من خلال مجد جسده. سوف يُسلِّمنا للملكوت وِفقًا لما جاء في الإنجيل: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ[٦٦]. حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم، وسوف يُسلِّم الابن ملكوته للآب، أي أولئك الذين دُعوا إلى ملكوته، والذين وُعِدوا ببركة هذا السِر: طُوبَى لِأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ[٦٧]. حينما يَملُك سوف يَطرح كل ما يسبِّب العثرة، ثم يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت الآب. ثم يُسلِّم المُلك للآب، والذين سلَّمهم للآب، كملكوته، سوف يعاينون الله. هو نفسه يشهد للرُسُل عن طريقة الملكوت: هَا مَلَكُوتُ اللهِ

---

[٦٥] (١كو ١٥: ٢٤)

[٦٦] (مت ٢٥: ٣٤)

[٦٧] (مت ٥: ٨)

دَاخِلَكُمْ[٦٨]. إذًا فالذي يُسلِّم المُلك هو مَلِك، وإن سأل أحد: من هو هذا الذي سيسلم المُلك، فدعوه يسمع: قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ؛ فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ[٦٩]. إن كل ما قيل عن المسألة التي أمامنا يشير إلى سِر الجسد، لأن المسيح هو باكورة الراقدين. دعونا نستنتج أيضًا من كلام الرسول سِر قيامة المسيح من الأموات: اُذْكُرْ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي كَانَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ[٧٠]. وهو هنا يُعلِّم بأن الموت والقيامة يناسبان فقط التدبير الذي به قد تجسد المسيح.

خضوع المسيح لم يكن معناه خضوع الابن للآب، بل ابن الإنسان لمجد الألوهية بعد قيامته

٤٠- إنه يملُك بنفس هذا الجسد الذي صار الآن ممجدًا، حتى تَبطُل السلاطين، ويُهزَم الموت، ويَخضع أعداؤه. إن الرسول يحافظ على هذا التمييز بحرص: السلاطين والقوات تَبطُل، والأعداء يخضعون[٧١]. وعندما يخضعون، فسوف يخضع الرب (بناسوته) للذي أخضع كل شيء لنفسه، لكي يكون الله الكل في الكل، وتَفرض طبيعة ألوهية الآب نفسها على طبيعة جسدنا الذي

---

[٦٨] (لو ١٧: ٢١)

[٦٩] (١كو ١٥: ٢٠، ٢١)

[٧٠] (٢تي ٢: ٨)

[٧١] (١كو ١٥: ٢٤، ٢٥)

اتخذه. وبهذه الطريقة يكون الله الكل في الكل، لأنه وِفقًا للتدبير يصير بلاهوته وناسوته الوسيط بين الناس والله، وبالتالي فهو بالتدبير ينال طبيعة الجسد، وبالخضوع يأخذ طبيعة الله في كل شيء، لكي لا يكون ممجَّدًا، ليس بشكلٍ جزئيٍ، بل بالتمام والكمال. إذًا فالغاية من الخضوع هي ببساطة أن يكون الله الكل في الكل، فلا يبقى فيه أي شيء من طبيعة الجسد الأرضي*. **فالذي فيما سبق كانت له طبيعة الجسد المادي والطبيعة الإلهية، لا بُد أن يصير الآن ممجدًا فقط؛ ليس بطرح الجسد جانبًا، بل برفعه من خلال الخضوع؛ ليس بفقدانه بالموت، بل بتغيير هيئته بمجد؛** فهو قد جَمع بين طبيعته البشرية ولاهوته، ولم يجرِّد ذاته من اللاهوت بسبب طبيعته البشرية. وخضوعه ليس معناه توقُّفه عن الوجود، بل أن يكون الله الكل في الكل، لأنه في سِر الخضوع ينبغي أن يستمر كما هو، رغم أنه لم يعُد كما كان#، ولن تُسلَب منه ذاته بالموت، لأنه لن يُجرَّد مِن كيانه.

٤١- يوجد لدينا ضمانٌ كافٍ ومقدَّسٌ لهذا الإيمان في مرجعية الرسول (بولس)، إذ بالتدبير، وداخل الزمان، قد خضع الرب يسوع المسيح، باكورة الراقدين، لكي يكون الله هو الكل في الكل، وهذا الخضوع ليس تحقيرًا لألوهيته، بل ترقيةً لطبيعته المتَّخَذَة، فإن الذي هو إله متأنس، هو الله. لكن البعض قد يظُن أن إيماننا لن يجد دَعمًا له من الأناجيل، ولا حتى من الرسائل، حينما نقول إنه قد تَمجَّد في الجسد وقت مُلكه في الجسد، وإنه بعد

---

* إذ قد صار ناسوته ممجدًا علانيةً، دون إخلاء لذاته من هيئة الله.{م}

فهو يبقى بناسوته إلى الأبد، لكنه ناسوت مُمجَّد.{م}

ذلك لا بُد أن يَخضع لكي يكون الله الكل في الكل. نحن سوف نُقدِّم شهادةً لإيماننا، ليس فقط مِن كلمات الرسول، بل أيضًا مِن فم ربنا. سوف نُظهِر أن المسيح قد قال أولاً بشفتيه ما قاله بعد ذلك بفَم ق. بولس.

مجد جسده هو نتيجة اتحاده بالطبيعة الإلهية

٤٢- ألم يَكشف لرُسله تدبير هذا المجد بكلمات معبرة: الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ، وَتَمَجَّدَ الله فِيهِ. إِنْ كَانَ الله قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ، فَقَدْ مَجَّدَهُ الله فِي ذَاتِهِ، وَمَجَّدَهُ حَالاً*. ففي الكلمات التي تقول: الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ، وَتَمَجَّدَ الله فِيهِ، لدينا أولاً مجد ابن الإنسان، ثم مجد الله في ابن الإنسان. لذا فهناك أولاً **ما يشير إلى مجد الجسد، الذي استعاره من اتحاده بالطبيعة الإلهية**، ثم تأتي الترقية إلى مجد أكمل ناتج عن ازدياد مجد الجسد. إِنْ كَانَ الله قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ، فَقَدْ مَجَّدَهُ الله فِي ذَاتِهِ، وَمَجَّدَهُ حَالاً. الله قد مجَّده في ذاته، لأنه قد تَمجَّد فيه بالفعل. الله قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ: هذا يشير إلى مجد الجسد، لأنه بهذا المجد يَظهر مجد الله في الجسد البشري. وفي مجد ابن الإنسان يُرَى مجد الله. الله قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ، فَقَدْ مَجَّدَهُ الله فِي ذَاتِهِ: أي أن الله قد مجَّده في ذاته، بترقية ذاك الذي قد زاد مجده فيه، إلى مجد اللاهوت. لقد مَلَك بالفعل قبل هذا في المجد المُستمَد من المجد الإلهي، إذ صار منذ ذلك الحين في المجد

* (يو ١٣: ٣١، ٣٢) مع ملاحظة أن النَص اليوناني والترجمات القبطية واللاتينية للآية تذكر الجملتين الأخيرتين في زمن المستقبل، "سوف يمجده... ويمجده سريعًا"، ومع ذلك فبعض مخطوطات هذا الكتاب قد ذكرَتها في صيغة المستقبل، لكنها أقل قيمةً من الأقدم.{م}

الإلهي. فَقَدْ مَجَّدَهُ الله فِي ذَاتِهِ، أي، في الطبيعة التي بها يكون الله. كَيْ يَكُونَ الله الْكُلَّ فِي الْكُلِّ: كي يتحول كل كيانه الذي له بتدبير التجسد، إلى (مجد) الألوهية الأبدي. وقد أُعلِن لنا الزمان: فَقَدْ مَجَّدَهُ الله فِي ذَاتِهِ، وَمَجَّدَهُ حَالاً. في وقت خيانة يهوذا له، قد أشار إلى أن المجد الذي يناله في القيامة بعد الآلام كان حاضرًا، لكنه حدَّد للمستقبل المجد الذي سيمجده الله به في ذاته. إن مجد الله ظاهرٌ فيه من خلال قوة القيامة، إلا أنه هو نفسه، بعد تدبير الخضوع، سوف يَظَل إلى الأبد في مجد الله، أي في الله، الذي هو الكل في الكل.

٤٣- فيا للحماقة السخيفة للهراطقة الذين يَجعلون الهدف الذي يرجو الإنسان الوصول إليه صعب المنال، بالتلميح إلى كون المسيح عاجزًا عن أن يَعمَل في نفسه ما يَقدر أن يعمله فينا. ليس مِن المَنطِق ولا العقل العادي أن يُقال إن الله مضطرٌ بحُكم طبيعته أن يُراعي سعادتنا، لكنه لا يستطيع أن يُنعِم على نفسه بنفس البركات. بالتأكيد الله لا يحتاج إلى أية بركة إضافية، لأن طبيعته وقدرته ثابتتان في كمالهما الأبدي. لكن بالرغم من أنه في التدبير، أي في سِر التقوى العظيمة، صار الله إنسانًا، إلا أنه ليس عاجزًا عن الحفاظ على الملء الإلهي، لأنه بلا شك سوف يغيِّرنا أيضًا إلى ما لسنا عليه الآن. **إن النتيجة النهائية لحياة الإنسان وموته هي القيامة؛** المكافأة الأكيدة لجهادنا هي الخلود وعدم الفساد، وليس الإصرار المتواصل على العقوبة الأبدية، بل الاستمتاع المستمر وسعادة المجد الأبدي. **إن أجساد الأصل الأرضي سوف ترتفع إلى هيئة طبيعة أسمى، وتتطابق مع مجد**

جسد الرب. لكن ماذا عن الله الذي وُجِد في هيئة عبد؟ ألن يطابق الله أيضًا، ذاك الذي كان بالفعل ممجدًا في الجسد رغم بقائه في هيئة عبد؟ أهو سوف يَمنحنا شكل جسده الممجَّد، ولا يقدر أن يفعل لجسده أكثر مما يشترك فيه معنا*؟ إن معظم الهراطقة يفسِّرون عبارة: فَحِينَئِذٍ هُوَ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَنَفْسِهِ الْكُلَّ، كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ، كما لو كان معناها أن الابن ينبغي أن يَخضع لله الآب، لكي بخضوع الابن يكون الله الكل في الكل. لكن هل الله لايزال ينقصه بعض الكمال الذي يناله من خضوع الابن؟ هل هم يؤمنون بأن الله لا يملُك بالفعل الارتقاء النهائي للألوهية المقدسة، بسبب ما قيل عن إنه سيصير الكل في الكل في ملء الزمان.

'كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ' ليس معناها أنه لم يكن هكذا قبلاً

٤٤- بالنسبة لي، أنا الذي أتمسك بأن الله لا يمكن معرفته سوى بالتقوى، فإن الرد على تلك الاعتراضات ليس أقل شرًا مِن تدعيمها. أي افتراضٍ يمكن افتراضه بشأن الكلمات التي يمكنها أن تَصِف طبيعته على نحو كافٍ، حينما يكون الفِكر أعمق بكثير من الكلمات، وطبيعته تسمو حتى فوق تصورات الفكر! أي تجديف يمكن مناقشته بخصوص شيء يَنقص الله، أو عن إن كان هو نفسه كاملاً، أو عن كونه سيصير أكمل من كماله!

---

* أي هيئة العبد.{م}

إن كان الله - الذي هو نفسه مصدر لاهوته الأبدي - قابلاً للتقدم، حتى إنه اليوم أعظم من الأمس، فلن يمكنه أن يصل إلى الوقت الذي يصبح فيه غير محتاج إلى شيء، لأن الطبيعة القابلة للزيادة مهما أحرزت من تقدم لا يمكن أن تتوقف. لو كانت خاضعة لقانون الزيادة، فستجد الطريق مفتوحًا أمامها دائمًا إلى الزيادة، طالما أنها في تقدم مستمر. لكن بالنسبة لمَن يقيم في كمال الملء، الكامل إلى الأبد، لا يوجد مِلءٌ متبقٍ يمكن أن يصيرَ به أكثر كمالاً، لأن المِلء الكامل لا يمكن أن يَقبَل أي مِلءٍ إضافيٍ. هذا هو بالتأكيد موقف العقل الذي يُفكِّر في الله بتقوى، أن الله لا ينقصه شيء، وأنه هو المِلء.

مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ!

٤٥- لكن الرسول لا يتجاهل الكلام عن شكل الاعتراف الذي نَشهد به عن الله. يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ! لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأَ؟ لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَفِيهِ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ*. لا يمكن لعقل أرضي أن يَضع حدودًا لله، ولا تستطيع قدرات الذهن الثاقب أن تَفحص عمق حكمته. إن أحكامه تتحدى الفحص الدقيق

* (رو١١: ٣٣- ٣٦) وعبارة 'فيه' الموجودة في الآية الأخيرة جاءت في النَص اليوناني للعهد الجديد εἰς αὐτὸν والتي تعني حرفيًا 'إليه' into، لكنها تحمل أيضًا معنى 'فيه'، وهو ما فهمه ق. هيلاري بخصوص الآية.{م}

لمخلوقاته، وطُرق معرفته غير المطروقة سابقًا تُربِك حماسة كل مَن يسعى. إن طُرقه مغمورةٌ في أعماق عدم الإدراك، فلا توجد نهايةٌ تخُص الله، يمكن قياس عمقها أو اقتفاء أثرها. لم يتعلم أحدٌ أن يعرف عقل الله، وهو بدوره لم يكن قط في حاجة إلى مشورة من أحد معه. أمَّا كل هذا فينطبق علينا نحن البشر فقط، وليس على ذاك الذي به كل الأشياء، الذي هو 'مَلَاكُ الْمَشُورَةِ الْعُظْمَى'[٧٢]، الذي قال: كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ[٧٣]. لا بُد لنا أن ندوي هتاف الرسول، لئلا نحاول بجَدْس متهور أن ننتزع أكثر مما سُر أن يُعلنه لنا، بل نكبح عقولنا الضعيفة، التي تغوص في أعماق الطبيعة الإلهية بتعريفاتها وتحديداتها.

٤٦- الحقيقة المؤكدة التي يمكن إدراكها عن الفلسفة الطبيعية، أنه لا يمكن لشيء أن يوجد في مجال الحواس إلا إذا خَضع لملاحظتها. على سبيل المثال، الشيء الموضوع أمام الأعين، أو العمل الذي يحدث بعد إدراكه بالحس والعقل البشري. الأول يمكننا أن نراه ونمسكه، وبالتالي يصير العقل مؤهَّلاً للحُكم عليه، بما أنه يمكن فحصه بحاستي اللمس والنظر. الأخير، والذي هو عمل زمني قد حدث أو نشأ بعد نشأة الإنسان، يقع في الحدود التي تَدَّعي حاسة البصر أنها يمكنها تمييزه، لأنه لم يحدث قبل إدراكنا وعقلنا. إنَّ بصرنا لا يمكنه أن يدرك غير المرئي، لأنه يميز المرئي

---

[٧٢] (إش ٩: ٦) في السبعينية واللاتينية القديمة والقبطية.{م}

[٧٣] (مت ١١: ٢٧)

فقط؛ عقلنا لا يمكنه أن يصل إلى زمن لم يكن موجودًا فيه، لأنه يمكنه فقط أن يحكُم على ما جاء بعده. وحتى داخل تلك الحدود، فإن الضَعف المرتبط بطبيعته يسلبه معرفته الأكيدة بتسلسل السبب والنتيجة. فما بالكم بالأمور التي كانت قَبله في العوالم الأزلية، وما لا يمكن فهمه من الأمور التي سبقت وجوده؟

٤٧- إذًا فقد أَدرَك الرسول أنه لا يوجد شيء يمكن أن نَعرفه، سوى ما هو لاحق لقُدرة العقل. تبعًا لذلك، فحينما أَكَّد عُمق حِكمة الله، وعدم محدودية أحكامه الغامضة، وسِر طُرقه غير المفحوصة، وسِر عقله غير الممكن قياسه، وعدم إدراك مشورته غير الواضحة، قد أكمل قائلاً: مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأَ؟ لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَفِيهِ كُلَّ الأَشْيَاءِ. إن الله الأزلي غير خاضعٍ للتحديد، ولا يمكن للعقل والذكاء البشري القيام بعملهما مع ذاك الذي له وجوده الخاص. لذا فإن كيانه هو عُمقٌ لا يمكننا فحصه أو اختراقه. نحن لا نقول 'كل' كيانه بهدف تحديد كيانه، بل لكي نفهمه في لا نهائيته غير المحدودة. إنه لم يَتخذ وجوده من أحد، ولا يوجد أحد سابق له في الزمن يمكن أن يدَّعي أنه قد أعطاه شيئًا يكافئه عليه بدوره، لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَفِيهِ كُلَّ الأَشْيَاءِ، لذا فهو لا يحتاج لتلك الأشياء التي منه أو به أو فيه. إن أصل الكل وصانع الكل، ومحتوي الكل، ومَن يفوق الكل، لا يحتاج لِما يوجد داخله، فلا يحتاج الخالق لخليقته، ولا المالك لمتلكاته. ليس شيءٌ قَبله، ولا يأخذ شيءٌ وجوده من سواه، ولا يوجد شيءٌ يفوقه. ما حاجة الله إلى زيادة الملء التي يأخذها عبر الزمن، لكي يكون هو الكل في الكل؟ من أين يحصل عليها،

ذاك الذي لا يوجد شيءٌ خارجًا عنه، بينما هو ذاته الأبدي؟ فإن كان هو نفسه أبديًا، ولا يوجد شيء خارجًا عنه، فبأية زيادة يصير كاملاً، وبأية إضافة يصير غير ما هو عليه؟ أَلَم يقُل: أَنَا لاَ أَتَغَيَّرُ[٧٤]؟ فهل هناك فرصة لتغييره؟ ما هي فرصة الزيادة؟ ما الذي يَسبق الأزلية؟ ما هو الأكثر قداسةً من الله؟ إن خضوع الابن لن يَجعل الله إذًا الكل في الكل، ولا أي سبب يَجعله كاملاً، لأن منه وبه وفيه يَكمُن كل سبب. هو يَظل كما هو الله، ولا يحتاج إلي شيء آخر، فإنه أبدي من ذاته ولذاته.

سر الإخلاء

٤٨- كما أن الله الابن الوحيد غير محتاج للتغيير. هو الله، وهذا هو اسم الألوهية التامة والكاملة. وكما قد قُلنا سابقًا، فإن معنى المجد المتكرر، والهدف مِن الخضوع، هو أن يكون الله الكل في الكل. لكن **'أن يكون الله الكل في الكل' هو سرٌ وليس احتياجًا**. لقد ظَلَّ المسيح في هيئة الله حينما اتخذ شكل عبد، ليس بخضوعه للتغيير*، بل بإخلاء ذاته؛ لقد صار مخفيًا داخل ذاته، وبقي حاكمًا لذاته رغم إخلائه لذاته. لقد وَضع نفسه

---

[٧٤] (ملا ٣: ٦)

* تؤكد ثيؤطوكية الخميس أن **الكلمة** بتجسده لم يعتره أي تغيير، بل ظل هو الله، فتقول القطعة الثانية: "أي عقل أو أي قول أو أي سمع يقدر أن ينهض باللجة التي لا توصف التي لمحبتك للبشر يا الله. الواحد وحده **الكلمة** المولود قبل كل الدهور باللاهوت بغير جسد من الآب وحده. هو ذاته أيضًا وُلِد جسديًا بغير تغيير ولا تحول". وفي إبصالية الخميس: "وأيضًا **كلمة** الآب أتى وتجسد منها. ولدته بغير تغيير...".{م}

صائرًا في شكل البشر، لئلا يَصير ضَعف الاتضاع الذي اِتَّخذه غير قادر على احتمال قوة طبيعته غير المحدودة. لقد أَخفَت قوَّته غير المحدودة نفسها، حتى تُتمِّم مهمة الطاعة باحتمال الجسد الذي ارتبطَت به. لكن بما أنه كان ذاتي الاحتواء حتى حينما أخلى ذاته، إذًا فسلطانه لم يتأثر بأي نقصان، لأنه في تواضع الإخلاء قد مارس في ذاته قوة ذلك السلطان الذي أُخلي.

٤٩- **إنها إذًا ترقية لنا، ولناسوتنا المُتَّخَذ، أن يكون الله الكل في الكل.** إن مَن وُجِد في شكل العبد، مع كونه في هيئة الله، هو الآن مُعتَرَف به ثانيةً في مجد الله الآب؛ أي أنه، بلا شك، يوجد في هيئة الله، الذي ينبغي أن يُعترف به في مجده. إذًا فالأمر كله هو مجرد تدبير، وليس تغييرًا لطبيعته، فإنه مازال كائنًا في ذاك الذي كان فيه دائمًا. لكن هناك طبيعةً جديدةً تتدخل، تلك التي بدأت فيه بميلاده الإنساني، وبهذا فإن كل ما يُحرِزه هو لمصلحة تلك الطبيعة التي لم تكن لله قبلاً، بما أن الله هو الكل في الكل بحسب سِر التدبير. إذًا فنحن الذين ربحنا، نحن الذين حصلنا على الترقية، لأننا سنكون مُشابهين لمجد جسد الله. كما أن الله الابن الوحيد، رغم ولادته البشرية، ليس سوى الله، الكل في الكل. إن خضوع الجسد، الذي به يكون كل ما هو جسدي فيه قد تلاشى في الطبيعة الروحية*، سوف يجعله الإله الكل في الكل، لأنه إنسانٌ كما أنه إله؛ **فإن ناسوته الذي يتقدم نحو هذا الهدف هو ناسوتنا أيضًا.** نحن سوف نَمضي إلى الأمام نحو مجد مشابه لمجد ذاك الذي صار

* الممجدة.{م}

إنسانًا لأجلنا نحن، الذين تجددنا في معرفة الله، وخُلِقنا ثانيةً إلى صورة الخالق، بحسب كلمات الرسول: إِذْ خَلَعْتُمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ[٧٥].

هكذا يكون الإنسان المخلوق على صورة الله الكاملة. فبمشابهته لمجد جسد الله، يرتفع إلى صورة الخالق، على النمط الذي عُيِّن للإنسان الأول[#]. **فبترك الخطية والإنسان العتيق، يصير إنسانًا جديدًا لمعرفة الله، ويصل إلى كمال قوامه، لأنه يصير صورة الله الكاملة من خلال معرفة إلهه. فبالتقوى يرتقي إلى الخلود، وبالخلود سوف يحيا إلى الأبد كصورة خالقه.**

---

[٧٥] (كو ٣: ٩، ١٠)

[#] إذ قد خُلقنا على صورته ومثاله.{م}

الكتاب الثاني عشر

'اَلرَّبُّ خَلَقَنِي أُوْلَى طُرُقِهِ' هي أصعب آية يستخدمها الهراطقة

١- بعد مُدة طويلة، وبإرشاد الروح القدس، نقترب من الميناء الآمن والهادئ للإيمان الثابت. نحن في موضع الرجال، الذين تَقاذفهم البحر والريح كثيرًا، وحَدَث لهم مرارًا أن دفعهم الاندفاع الشديد للأمواج المُخيفة والمتلاطمة إلى ملاذ آمن ومعروف، بعد أن عطَّلتهم شِدة الأمواج وقوَّتها لمُدةٍ حول السواحل. وأنا آمل في الكتاب الثاني عشر أن يحدُث لنا نفسى الشيء، في صراعنا ضد عاصفة الهراطقة؛ حتى إننا حينما نُغامر بِجَذَعِنا الذي نَثق به هناك، فوق أمواج ذلك الشر الخطير، قد تُحضرنا تلك الأمواج عينها إلى مرفأ الراحة الذي نتوق إليه. فبينما الكل ينجرف بفعل رياح التعليم المشكوك فيه، سوف يجدون الرُعب هنا والخطر هناك، وبعدها أيضًا تنكسر السفينة غالبًا، لأنه قد ذُكِر في المرجعية النبوية أن ابن الله الوحيد مخلوق[#]؛ وبالتالي يقال إنه قد خُلِق بدل الولادة، إذ قيل عن شخص (أقنوم) **الحكمة**: اَلرَّبُّ خَلَقَنِي أُوْلَى طُرُقِهِ[١]. تلك هي أعتى أمواج العاصفة التي يُهيِّجونها، والموجة الأكبر في دوامة العاصفة؛ إلا أننا حينما واجهنا إياها

[#] بحسب ظنهم.{م}

[١] (أم ٨: ٢٢) سبعينية. والقديس هيلاري يؤكد أن الخلق هنا مقصود به ما يخص ناسوت المسيح الذي وُلِد به لما جاء ملء الزمان.{م}

تحطَّمَت بدون أيَّة خسارة لسفينتنا، وهي ستدفعنا نحو الميناء المَحمي جيدًا على شاطئنا المنشود.

٢- ومع ذلك فنحن لا نضع ثقتنا في آمال غامضة لا جدوى منها، مثلما يفعل البحارة الذين بعدما يُحدِّدون مسارهم نحو رغبتهم، وهم غير متأكدين، تَهجرهم الرياح المتغيرة أحيانًا، أو تجعلهم ينحرفون عن مسارهم. لكن روح الإيمان الثابت يَبقى بجانبنا، ويَظل معنا من خلال عطية الله الابن الوحيد، ويقودنا عَبر مياه هادئة في مَسار غير متغير. نحن نؤمن بأن السيد المسيح ليس مخلوقًا، لأنه بالتأكيد ليس هكذا؛ ولا نؤمن بأنه شيء مصنوع، لأنه هو نَفسه رب كل ما هو مصنوع؛ لكننا نؤمن به كإله، وبأنه الإله المولود بالحقيقة من الله الآب. فبحسب صلاحه، قد دُعينا وصِرنا بالفعل أبناء الله بالتبني، إلا أنه هو الابن الواحد الحقيقي لله الآب، والمولود الحقيقي الكامل الذي يَظَل فقط في معرفة الآب والابن. هذا وحده فقط هو إيماننا، أن نعترف بأنه ابنٌ، ليس بالتبني بل بالميلاد، وليس كمُختار بل كمولود. فإننا لا نتكلم عنه كمخلوق أو غير مولود؛ لأننا لا نُقارِن الخالق بمخلوقاته، ولا نتكلم كلامًا مغلوطًا عن ميلادٍ بدون ولادة. إن الكائن بالميلاد ليس كائنًا (مستقلاً) بذاته، كما أن الابن ليس غير مولود، ولا يمكن للابن أن يوجَد سِوى بالولادة، لأنه ابنٌ.

٣- علاوة على ذلك، لا أحد يشُك في أن مبادئ الشر دائمًا ما تُناقِض وتُقاوِم مبادئ الإيمان التقي؛ وأن ما أُدين بالفعل كاعتقادٍ عديم التقوى، لا يمكن التمسك به الآن؛ على سبيل المثال، التعارُض والاختلاف الذي

يَذكُره هؤلاء المُصلِحون الجدد عن الإيمان الرسولي بين روح الإنجيليين وروح الأنبياء، أو تأكيدهم على أن الأنبياء قد تنبأوا عن شيء، وأما الإنجيليون فكرزوا بشيء آخر - بما أن سُليمان يدعونا لعبادة مخلوق، في حين أن بولس يدين الذين يعبدون مخلوقًا. بالتأكيد مِن وِجهة النظر الشريرة لا يبدو هذان النصَّان متفقين معًا، والتي بها يكون الرسول الذي دَرَس الناموس، وأفرز بتعيين إلهي، وتكلَّم من خلال المسيح الذي يتكلم فيه، إما جاهلاً بالنبوة، أو أنه لم يَجهلها، لكنه عارضها؛ وبهذا فهو لم يَعترف بالمسيح كمخلوق حينما دعاه 'الخالق'؛ ومَنَع عبادة المخلوق، مُحذِّرًا إيانا بأن الخالق وحده هو الذي يُعبَد، قائلاً: الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ[٢].

شهادة الكتاب بعهديه للخالق

٤- هل المسيح الإله المتكلم في بولس قد فَشَل في دَحض هذا الزيف عديم التقوى؟ هل هو فَشل في إدانة هذا التحريف الكاذب للحق؟ فإن الكل قد خُلق بالمسيح الرب، لذا فإن اسمه الذي يليق به هو 'الخالق'. ألا تُلائمه حقيقة ولَقَب قوَّته الخالقة؟ لدينا شهادة ملكيصادق، الذي يُعلِن أن الله هو خالق السماء والأرض: مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ[٣]. والنبي هوشع أيضًا يشهد قائلاً: أَنَا الرَّبُّ، إِلهُكَ، اَلَّذي أَسَّسَ السَّمَواتِ وَخَلَقَ

---

[٢] (رو ١: ٢٥)

[٣] (تك ١٤: ١٩)

الْأَرْضَ، اَلَّذي خَلَقَتْ يَدَاهُ جَيشَ السَّمَاءِ*. وق. بطرس أيضًا يَشهد قائلاً: فَلْتَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَكُمْ، كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ**. لماذا نَنسِب اسم المخلوق لصانع هذا المخلوق؟ لماذا نُعطي الله والناس نفس الاسم؟ هو خالقنا، وهو خالق جميع جند السماوات.

٥- وبما أن تلك التصريحات التي قيلت بإيمان الرُسل والإنجيليين تنطبق في معناها على الابن، الذي به خُلق كل شيء، فكيف يتساوى مع تلك المخلوقات التي خلقَتها يداه، فيصير مشترِكًا في نفس نوع الطبيعة مع بقية الأشياء؟ قبل كل شيء، عقلنا البشري يرفض القول بأن الخالق مخلوق؛ لأن الخليقة توجد مِن خلال الخالق. لكنه لو كان مخلوقًا، لكان قابلاً للفساد وتحت رحمة الانتظار، وخاضعًا للعبودية. فإن نفْس الرسول الطوباوي يقول: لأَنَّ انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ. إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ، لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا عَلَى الرَّجَاءِ. لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ[٤]. إذًا، فلو كان المسيح مخلوقًا، فلا بُد أنه يَظلَّ في حيرة، راجيًا دائمًا بانتظار طويل، وهذا الانتظار يكون مِن جانبه بدلاً من أن يكون مِن جانبنا، وفي انتظاره يَخضع للبُطل، وخضوعه يكون عن ضرورة، وليس بمحض إرادته. ولو كان ليس خاضعًا طوعًا، فلا بُد أن يكون عبدًا أيضًا. وبما أنه عبد، فلا بُد أن تكون له

---

* (هو ١٣: ٤) سبعينية، وعنها أخذت الترجمات القبطية.{م}

** (١ بط ٤: ١٩) مع ملاحظة تغييره صيغة الغائب في الآية إلى المخاطَب.{م}

[٤] (رو ٨: ١٩- ٢١)

طبيعةٌ فاسدةٌ. فإن الرسول يُعلِّم بأن كل تلك الأشياء تخُص الخليقة، التي حينما تتحرر منها بعد انتظار طويل، فحينئذ سوف تُضيء بمجدٍ يناسب الإنسان. يا له من تجديف وحماقة أن نَصِف الله بأنه مُعرَّضٌ، من خلال الإهانات التي يحملها المخلوق، لتلك الأكاذيب عن كونه لا بُد أن يرجو ويَخدِم، ويَخضع للإلزام وينال التقدير، ويتحرر بعدئذ إلى وضع يخصنا ولا يخصه، في حين أننا نتقدم نحو أي شيء بواسطة عطيته.

لو كان مَن هو في صورة الله مخلوقًا، إذًا فالله مخلوقٌ

٦- لكن عدم تقوانا، بما يتوافق مع تلك اللغة الممنوعة، يزداد بسرعةٍ بكُفرٍ أعمَق؛ إذ يدَّعي أنه بما أن الابن مخلوقٌ فلا بُد مِن ذِكر أن الآب أيضًا مخلوق. فإن المسيح، الذي هو في صورة الله، قد أخذ شكل عبد؛ وإن كان ذاك الذي في صورة الله مخلوقًا، فلن يُمكِن فصل الله عن المخلوق، إذ سيكون هناك مخلوقٌ في صورة الله. إن الوجود في صورة الله لا يمكن أن يَعني سوى البقاء في طبيعة الله؛ أمَّا إذا امتلك مخلوقٌ طبيعة الله، فحينئذ سيكون الله أيضًا مخلوقًا. أمَّ ذاك الذي كان في صورة الله، لم يَحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لأنه تنازل من كونه معادلاً لله، أي من هيئة الله، إلى شكل عبد. لكنه لم يكن ليَنزل مِن صورة الله إلى صورة الإنسان دون أن يُخلي ذاته الإلهية من صورة الله، وحينما أَخلى ذاته لم يتأثر ويَفقد كينونته، ولم يَصِر منذ ذاك الحين نوعًا آخر غير ما كان. **إن الذي أخلى ذاته داخل ذاته لم يتوقف عن كونه هو ذاته**؛ لأن قُدرَة قوَّته تستمر حتى في قوة إخلائه

لذاته؛ فاتخاذه شكل عبدٍ لا يَعني فقدانه لطبيعة الله، **لأن إخلاء هيئة الله ليس إلا عملاً قديرًا لقوةٍ إلهيةٍ.**

المساواة في الكرامة تعني المساواة في الطبيعة

٧- لكن أن يكون في صورة الله بهذه الطريقة لا يعني سوى كونه معادلاً لله. لذا فإن الرب يسوع المسيح، الذي هو في صورة الله، تَحِق له نفس الكرامة، إذ يقول هو نفسه: لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ، كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ[٥]. لا يوجد اختلافٌ بين الأشياء التي لا تختلف في الكرامة أيضًا. الأشياء المتساوية تستوجب عبادةً واحدةً، وإلَّا فالكرامة العالية ستُمنَح بغير استحقاق لمَن هم أقل في الشأن، والذين هم أقل في الشأن سيُمنَحون كرامةً متعادلةً. لكن لو أن الابن، الذي تعتبرونه مخلوقًا أكثر من كونه مولودًا، قد أُكرِم بنفس الإكرام المقدَّم للآب، فحينئذ لن نُقدِّم إكرامًا خاصًا للآب، لأننا سنكون متَّهَمين بتقديم نفس الإكرام لمخلوقٍ. لكن بما أنه معادلٌ لله للآب - إذ هو مولود منه كإله - إذًا فهو مساوٍ له في الكرامة، لأنه ابن وليس مخلوقًا.

٨- وهذه أيضًا كلمات بارزة يقولها الآب عنه: مِنَ الْبَطْنِ قَبْلَ كَوكَبِ الصُّبْحِ وَلَدْتُكَ[٦]. هنا، كما قُلنا مِرارًا عديدةً، لا يوجد انتقاص من قَدر ما يخص الله بحسب فهمنا الضعيف؛ كما لو كان بذلك - أي بسبب قوله إنه قد

---

[٥] (يو ٥: ٢٣)

[٦] (مز ١٠٩: ٣) سبعينية، (١١٠: ٣) بيروتية.{م}

وَلده مِنَ الْبَطْنِ - قد تركَّب من أجزاء داخلية وخارجية، قد اتحدت لتكوين أعضائه، وبالتالي سيكون مَدينًا بوجوده لنفس الأسباب التي تَدين لها الأجساد الأرضية بوجودها؛ إن ذاك الذي لا يَدين بوجوده لضرورات طبيعية، حينما يكون بالحقيقة حُرًا وكاملاً، ورَبًا أزليًا لكل الطبائع، فهو يشير إلى قوة طبيعته غير المتغيرة، لأجل توضيح الصفة الحقيقية لولادة ابنه الوحيد. فرغم أن الروح مولودٌ مِن الروح* {علمًا بأن هذا أمر متفق عليه، أن له نفس الصفة الحقيقية للروح، لأنه من خلاله يكون أيضًا روحًا} ومع ذلك فالعِلة الوحيدة في ولادته تكمُن داخل تلك الأسباب الكاملة وغير المتغيرة. ورغم أن ولادته مِن علةٍ كاملةٍ وغير متغيرةٍ، إلا أنه لا بُد أن يولَد مِن تلك العلة تبعًا للصفة الحقيقية لتلك العلة. إن العملية الضرورية للولادة البشرية يُشترط لها الأسباب التي تَعمل داخل الرحم. لكن لأن الله لا يتكون من أجزاء، بل هو غير قابل للتغيير لكونه روحًا، فلأن الله روحٌ، فلا بُد ألَّا يَخضع لأية ضرورةٍ طبيعيةٍ تَعمل داخله. لكن بما أنه كان يُخبرنا عن ولادة الروح من الروح، فقد أنار عقولنا بمثال مِن العِلل التي تَحدث بيننا، لا لكي يُقدِّم مثالاً عن طريقة الولادة، بل لكي يُعلِن حقيقة الولادة؛ ليس أن المثال قد يَكشف عن كونه خاضعًا للضرورة، بل لكي يُنير عقلنا. إذًا، إن كان الله الابن الوحيد مخلوقًا، فما هو معنى الوحي الذي يستخدم الحقائق العادية للولادة البشرية للكَشف عن كونه قد وُلِد ولادةً إلهية؟!

---

* وهو هنا يتكلم عن الله باعتباره روح، وليس عن الروح البشرية، لأنه سبق أن رَفض فكرة ولادة الروح البشرية من روحي الأبوين. راجع فقرة ٢٠ من الكتاب العاشر.{م}

استخدام الله للأعضاء الجسدية كتشبيهات لتوضيح مقاصده

٩- عادةً ما يُعلِّمنا الله، مستخدمًا أعضاء جسدنا، كيف يَقوم بأعماله الخاصة، مُنيرًا عقولنا باستخدام مصطلحات مفهومة؛ إذ يقول (إنه هو): اَلَّذي خَلَقَتْ يَدَاهُ جَيشَ السَّمَاءِ*. وأيضًا: عَيْنَا الرَّبِّ نَحْوَ الصِّدِّيقِينَ[٧]، وأيضًا: وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي[٨]. هنا يُشار بالقلب إلى الإرادة، التي بسببها وُجِد داود مرضيًا مِن خلال استقامة شخصه؛ كما أن معرفة الكون كله مُعبَّر عنها بكلمة 'عينين'، بمعنى أنه لا شيء خارج إدراك الله؛ وعَمله الخلَّاق، الذي به لا يوجد شيء ليس مِن الله، يُفهَم مِن تعبير 'يداه'. وبما أن الله يُريد ويَعلم ويَعمل كل شيء، فحتى في استخدام المصطلحات التي تُشير إلى حركات الجسد، ينبغي أن يُفهَم أنه لا يحتاج إلى مساعدة جسد؛ فبالتأكيد الآن، في قوله إنه قد وَلَد من البطن، ليس المعنى وجود نشوء بشري قد نتج عن فِعل جسديٍ، بل مِن ولادةٍ لا يُفهَم سوى أنها روحيةٌ، لأن في الحالات الأخرى التي يتم الكلام فيها عن أعضاء، يكون هذا بغرض توضيح قدرات الله العملية لنا.

١٠- فبما أن القلب يُمثِّل الإرادة، والعينين تُمثِّلان البصيرة، واليدين تُمثِّلان العمل المُحقَّق - فرغم أن الله يريد ويرى ويعمل بدون أن يتركب من أجزاء، إلا أنه يُعبِّر عن تلك العمليات نفسها بالقلب والعينين واليد -

---

* (هو ١٣: ٤) سبعينية، وعنها أخذت الترجمات القبطية.{م}

[٧] (مز٣٤: ١٥)

[٨] (أع ١٣: ٢٢)

ألا يكون معنى عبارة: مِنَ الْبَطْنِ وَلَدْتُكَ، تأكيدًا لحقيقة الميلاد إذًا؟ ليس لأنه وَلَدَه من بطنه، مثلما أنه لا يَعمَل بيديه، أو يَرى بعينيه، ولا يريد بقلبه. لكن لأن استخدام تلك المصطلحات يوضِّح أنه يعمل ويرى ويريد كل شيء، إذًا فاستخدام كلمة 'البطن' يشير إلى أنه ولده بالحقيقة من ذاته؛ ليس المعنى أنه استخدم الرَحِم، بل هو تعبير عن أمر حقيقي. مثلما أنه بنفس الطريقة لا يريد أو يَرى أو يَعمَل من خلال قُدرات جسدية، بل يستخدم أسماء تلك الأعضاء كي نَفهم قوَّة القدرات غير الجسدية من خلال وظائف القدرات الجسدية.

مولود غير مخلوق

١١- بالتالي فإن عُرف المجتمع البشري، وأيضًا كلمات تعليم ربنا، لا تسمح بأن يَفوق التلميذ مُعلِّمه، ولا أن يتسلط العبد على سيده؛ لأن في تلك المواقف المتعارضة، الخضوع للمعرفة هو الوَضع المناسب للجهل، والطاعة العمياء هي العمل الحَتمي للعبودية. فإن كان الأمر هكذا في التقدير العام، فأي تهوُّرٍ يَدفعنا لأن نقول أو نَظُن أن الله مخلوقٌ، أو أن الابن مصنوعٌ؟ لن نجد في أي موضع أن سيدنا وربنا قد تكلَّم هكذا مع عبيده وتلاميذه، أو أنه علَّم بأن ميلاده كان خَلقًا أو صُنعًا. علاوة على ذلك، لم يَشهَد الآب أبدًا عنه بأنه أي شيء آخر سوى ابن، ولم يُثبِت الابن أن الله

كان شيئًا آخر سوى أبيه الحقيقي، مُبرهنًا بكل يقين أنه قد وُلِد، ولم يُصنَع أو يُخلَق، بقوله: كُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ أَيضًا[٩].

١٢- ومن جهة أخرى، فإن أعماله في الخَلق هي أعمال خَلقٍ وليست ولادةً مِن خلال التكاثر. فإن السماء ليست ابنًا، ولا الأرض ابنًا، ولا العالم مولودًا؛ فقد قيل عن هذه الأشياء: كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ[١٠]؛ والنبي قال: السَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ[١١]؛ ويقول نفس النبي أيضًا: عَنْ أَعْمَالِ يَدَيْكَ لاَ تَتَخَلَّ[١٢]. فهل الصورة هي بنت الرسَّام، أو السيف ابن الحداد، أو البيت ابن المهندس؟ تلك هي أعمال قد صنعوها، لكنه هو وَحدَه الابن المولود من الآب.

نحن أبناء بالتبني، أما هو فابن بالطبيعة

١٣- **نحن بالتأكيد أبناء الله، ولكننا أبناء لأن الابن جَعلنا هكذا.** فإننا كُنَّا قَبلاً أبناءً للغضب، لكننا جُعلنا أبناءً لله من خلال روح التبني، وأُعطينا هذا الاسم فَضلاً وليس كأحقيةٍ بسبب الولادة. ولأن كل ما هو مخلوق لم يكن كائنًا قبل أن يُخلق، هكذا نحن، رغم أننا لم نَكُن أبناءً، قد صرنا هكذا. نحن لم نَكُن قَبلاً أبناءً، لكننا أبناءٌ بعد أن أخذنا الاسم. علاوة على ذلك، نحن لم نولَد، بل خُلقنا؛ لسنا مولودين بل مُشتَرين. فإن الله

---

[٩] (١يو ٥: ١)

[١٠] (يو ١: ٣)

[١١] (مز ١٠٢: ٢٥)

[١٢] (مز ١٣٨: ٨)

اشترى له شعبًا، وبهذه الطريقة وَلَدهم. لكننا لم نتعلَم أبدًا أن الله وَلد أبناءً بالمعنى الحَرفي للمُصطلح، فإنه لم يقُل قَط: 'وَلدتُ أبنائي وربيتهم'، بل يقول: وَلَدْتُ بَنِينَ وَرَبَّيْتُهُم[١٣].

١٤- ربما بقوله: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ[١٤]، يُفسِّر أحدٌ بحسب هواه حقيقة قوله 'ابْنِي الْبِكْرُ'، على أنه حرمانٌ للابن مِن صفته المميزة كمولود؛ كما لو أن تبني هؤلاء الذين صاروا أبناءً لله قد أُسيء فهمه كما لو كان ميلادًا حقيقيًا، لأن الله قد نَسَب لإسرائيل نفس اللقب، بالتالي سيكون التعبير الذي قيل عنه: هذَا هُوَ ابْني الْحَبِيبُ[١٥]، ليس مقتصرًا فقط على ابن الله، لأن لقب 'ابني' يشترك فيه هؤلاء الذين لم يولدوا مِن الله صراحةً. لكن عدم ولادتهم بالحقيقة، رغم أنه قد قيل عنهم إنهم قد وُلِدوا، هو أمر ظاهر حتى من تلك الفقرة التي قيل فيها: شَعْبًا سَيُولَدُ، اَلَّذينَ صَنَعَهُمُ الرَّبُ[١٦].

١٥- لذا فإن شعب إسرائيل مولودٌ، بمعنى أنه مخلوقٌ؛ فإن التأكيد على أنه مولودٌ لا يتعارض مع حقيقة أنه مُخلوقٌ. إنه ابنٌ بالتبني، وليس بالولادة؛ فإن هذه ليست صفته الحقيقية، بل لقبه. فعلى الرغم من أن عبارة 'ابْنِي الْبِكْرُ' مكتوبة عنه، إلا أن هناك فرقًا كبيرًا متَّسِعًا بين 'ابْني الْحَبِيبُ' و 'ابْنِي الْبِكْرُ'. فحيثما توجَد الولادة فهناك توجَد عبارة 'ابْني الْحَبِيبُ'؛ لكن حيثما

---

[١٣] (إش ١: ٢) سبعينية.

[١٤] (خر ٤: ٢٢)

[١٥] (مت ١٧: ٥)

[١٦] (مز ٢١: ٣٢) سبعينية.

يوجد اختيارٌ مِن بين الأمم، وتَبنٍّ بالإرادة، فهناك تكون عبارة 'ابْنِي الْبِكْرُ'. في هذه الحالة يكون الشعب ابنًا لله، بصفته البِكر؛ أمَّا في الحالة الأولى، فإن حقيقة كونه ابنًا لله هي بخصوص صِفته كابن. في الولادة تكون الأبوة سبب محبته، أما في حالة التبني، فالحقيقة الأولي هي أن الابن قد صار بكرًا، ثم نتيجة لذلك يصير ابنًا. وهكذا فإن إسرائيل، المتبنَى كابنٍ مِن بين جميع شعوب الأرض، تَليق به صفة البِكر؛ أمَّا بالنسبة لذلك المولود وَحدَه من الله، فتليق به صفة الابن. مِن ثَمَّ، فلا يوجد ميلادٌ حقيقيٌ وكاملٌ حينما تكون البنوة منسوبةً وليست حقيقيةً؛ لأنه من الواضح أن الشعب، الذي وُلِد ليكون ابنًا، كان أيضًا مخلوقًا. لكن لأن ذلك الذي صار الآن لم يكُن قبلاً، وطالما أن ميلاده ليس سوى اسم لكونه قد خُلِق، فليست هناك ولادةٌ حقيقيةٌ، لأنه كان شيئًا آخر قبل أن يولَد. ولأجل هذا لم يكُن هذا قبل أن يولد، أي قبل أن يُخلَق، لأن هذا الابن بين الشعوب كان شعبًا قبل أن يكون ابنًا؛ بالتالي فهو ليس ابنًا حقيقيًا، لأنه لم يكُن ابنًا على الدوام. لكن الله الابن الوحيد لم يكُن هناك وقتٌ لم يكُن فيه ابنًا، كما لم يكُن شيئًا آخر قبل أن يكون ابنًا، وهو نفسه ليس إلا ابنًا. وهكذا فإن ذاك الذي هو ابن على الدوام، لم يَسمح لنا بأن نعتقد أنه لم يكن موجودًا في وقت من الأوقات.

الولادة البشرية لا تنطبق على ولادة الابن من الآب

١٦- من المؤكد أن الولادة البشرية تتضمن عدم الوجود المُسبَق، والسبب الأول في ذلك هو أن الكل مولودٌ مِن أُناس هم أيضًا لم يكُن لهم وجودٌ قبل ذلك. ومع أن كل شخص مولود له أصل من أحدٍ كان موجودًا، إلا أن الوالد نفسه لم يكن له وجود قبل أن يولَد. والسبب الثاني أن المولود قد وُلد بَعد مَن لم يكن له وجود، لأنه كان هناك وقتٌ لم يكن فيه قد وُلِد. فلو أنه مولودٌ اليوم، فهو لم يكن موجودًا بالأمس؛ وقد أتى للوجود من حالة عدم الوجود؛ وعقلنا يؤكد أن الذي وُلد اليوم لم يكن موجودًا بالأمس. إذًا، فميلاده الذي به وُجِد، قد حدث بعد حالة العدم؛ لأن مجيء اليوم يؤكِّد على وجود الأمس، وبالتالي فهناك وقتٌ لم يكُن فيه موجودًا بالفعل. وتلك الحقائق بخصوص أصل كل شيء يخُص البشر مازالت موجودةً؛ الكل له بداية، وقَبْلها لم يكونوا موجودين؛ أولاً، كما شَرَحنا، وثانيًا مِن جهة العلة.

أما مِن جهة الزمن، فلا شك أن الأشياء التي لها بداية الآن لم يكن لها وجودٌ قبل ذلك؛ ونفس الشيء يُقال بالنسبة للعلة، لأنه مِن المؤكَّد أن وجودهم لم يُستمَد من علة موجودة داخل أنفسهم. تأملوا جميع أسباب البدايات، ووجِّهوا فكركم إلى الأشياء التي سبقتها، فسوف تجدون أنه لا يوجد شيء قد بدأ وجوده من ذاته، لأنه لا يوجد شيء مولود بالإرادة الحُرة للوالد، بل الكل قد خُلق بقوة الله ليكونوا ما هُم عليه. لذا فإن الخاصية الطبيعية أيضًا لكل نوع مِن الأشياء بفضل الوراثة الفعلية، هي أنه لم يكن قبلاً ثم بدأ في الوجود، فإن بدايته هي بعد ابتداء الزمن، ووجوده يحدُث في

زمن. وبما أن أصل كل الأشياء* قد بدأ بعد الزمن، هكذا أيضًا فإن علَّتها لم يكن لها وجودٌ من قبل، لأنها وُلِدَت من أشياء لم تكن موجودةً مِن قَبل. حتى آدم، أول أب لجنس البَشر، قد جُبل مِن التراب، الذي خُلق مِن العدم؛ وبعد زمن، أي بعد أن خُلقت السماوات والأرض والنهار والشمس والقمر والنجوم؛ ولم يكن له أصلٌ عن طريق ولادةٍ، بل كانت له بدايةٌ بعد وقت لم يكُن فيه موجودًا.

الله الابن فوق الزمان

١٧- أما بالنسبة لله الابن الوحيد، الذي لم يَسبقه أي زمن سابق، فإن إمكانية عدم وجوده في زمنٍ ما أمرٌ مستبعدٌ، وإلا فسيصبح ذلك الزمن سابقًا له؛ فإن القول بعدم وجوده يتضمن فكرة الزمن. وبالتالي فإن الزمن لن يبدأ في الوجود بعده، بل هو نفسه سوف يبدأ في الوجود بعد الزمن، وطالما أنه لم يكن موجودًا قَبل أن يولد، فإن تلك المرحلة التي لم يكُن فيها موجودًا سوف تكون سابقةً له. كما أن المولود مِن ذاك 'الكائن' بالحقيقة، لا يمكن أن يُفهَم أنه قد وُلِد مِمَّن لم يكن موجودًا؛ لأن ذاك الكائن بالحقيقة هو عِلَّة وجوده، وولادته لا يمكن أن تكون قد بدأت مِمَّن ليس موجودًا. فبما أنه ليس صحيحًا أنه قد جاء للوجود من العدم، سواء من جهة الزمن الذي لم يكن موجودًا فيه أبدًا، أو من جهة الآب، الذي هو مصدر وجوده، إذًا فهو لم

* الأصل الأرضي، والعلة الأرضية، أي الأبوين.{م}

يَترك لنا فرصةً للشك، سواء في كونه قد وُلِد من لا شيء، أو كونه لم يوجد قبل أن يولَد.

ادعاء الهراطقة أن ميلاد الابن معناه أنه لم يكن موجودًا قبلاً

١٨- والآن أنا أعرف أن معظم هؤلاء الذين قد اِظلمَّت عقولهم بعدم التقوى لا يَقبلون سِر الله، أو الذين بتأثرهم الشديد بروح مُعادي - تحت ذريعة التقوى - مستعدون لإظهار شغَفٍ مجنونٍ بالحَط مِن قَدر الله، معتادين على وضع أقوال غريبة في آذان بُسطاء العقل. إنهم يؤكِّدون *أننا نُعلِن أنه غير مولود، طالما أنه كان موجودًا دائمًا، حينما نقول إن الابن كان موجودًا دائمًا، وإنه لم يكن أبدًا غير ما كان دائمًا؛ فبحسب المنطق البشري، فإن الكائن على الدوام لا يمكن أن يكون قد وُلِد؛ فإنهم يقولون إن سبب ولادة الشيء هو أن يأتي ذاك الشيء إلى الوجود، في حين أن مجيء ما لم يكُن موجودًا إلى الوجود لا يعني سوى الولادة، بحسب المنطق العام.* وهم قد يضيفون أيضًا تلك الجدالات الدقيقة بما فيه الكفاية، والتي ترضي مَن يسمعها، مثل: *"إن كان قد وُلد، فهو قد بدأ في الوجود؛ وفي وقت ابتدائه في الوجود، لم يكن موجودًا: فإن لم يكن موجودًا، فلا يمكن أن يُقال إنه كان موجودًا"*. دعوهم يؤكدون بتلك البراهين أن لغة التقوى المعتدلة (في نظرهم) تقول إنه: *"لم يكن موجودًا قبل أن يَولد؛ إن ذاك الذي لم يكُن موجودًا، وليس الذي كان موجودًا، قد وُلد، لكي يمكن أن يوجد. فالذي كان،*

لم يكُن في حاجةٍ لميلاد، أما الذي لم يكُن موجودًا، فقد وُلد لكي يكون موجودًا".

كيف يَنصُب الملحِدون شِبَاكهم

١٩- أولاً، إن الذين يتظاهرون الآن بالمعرفة التقية بالأمور الإلهية، في المسائل التي قادت فيها الحقيقة التي كرز بها الإنجيليون والرسل الطريق، كان ينبغي عليهم أن يَرفضوا المسائل المعقَّدة للفلسفة المخادعة، ويتَّبعوا بالأكثر الإيمان المُستنِد على الله؛ **فإن سفسطة السؤال تَنزع بسهولةٍ سلاح حماية الإيمان مِن ضُعفاء الفهم، بما أن القول الخطير يُغري المُدافع الساذج، الذي يحاول تعضيد قضيته بالاستفسار عن الحقائق، إلى أن تَسلبه ثقته في النهاية، بواسطة استفساره الخاص؛ وبالتالي لا يحتفظ المُجيب بالحقيقة التي قد تنازل عنها باستسلامه وهو في كامل وعيه.** فما هي الإجابة التي تتناسب جيدًا مع غرض السائل، إلا أن نَقبل أن ذاك المولود لم يوجد قبلاً، حينما نُسأل: 'هل يوجد شيء قَبل أن يولد؟' فليس مِن الطبيعي ولا مِن المنطقي أن يولَد الشيء الموجود بالفعل، فإن الشيء يحتاج بالضرورة أن يولد لكي يأتي للوجود، وليس لأنه كان موجودًا بالفعل. لكننا حينما نُقدِّم هذا الشيء المُسلَّم به على أنه صحيح، فإننا نخسر حقيقة إيماننا، وبوقوعنا في الشَرك نَقبل خططهم الشريرة وغير المسيحية.

الإيمان البسيط رغم كونه الأفضل إلا أنه في خطرٍ

٢٠- لكن الرسول بولس الطوباوي، كما أظهرنا مِرارًا، قد أوصانا بالحَذَر قائلاً: أُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ. فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا[١٧]. لذا لا بُد أن نَحذر الفلسفة، والطُرق المرتكزة على تقليد البَشَر، التي لا يجب فقط أن نتجنبها، بل أن نُفنِّدها أيضًا. إن أي امتياز نصنعه لا يتضمن كوننا غير قادرين على الجدال، بل كوننا مشوَّشين، لأننا بالحقيقة، نحن الذين نُعلن أن المسيح هو قوة الله وحكمة الله، لا يجب أن نتجنب تعاليم الناس، بل بالحري نهزمها؛ ولا بُد أن نُقيِّد ونُعلِّم البُسطاء لكي لا يُفسدهم هؤلاء المعلمون. فبما أن الله قادرٌ على كل شيء، وهو في حكمته قادرٌ أن يَعمل كل شيء بحكمة، إذًا فهدفه ليس أعزلاً بِلا قوة، ولا قوَّته غير منقادة بالهدف، فلا بُد أن يواجِه هؤلاء - الذين يكرزون بالمسيح للعالم - تعاليم العالم الخاطئة عديمة التقوى بمعرفة القُدرة الكُلِّية الحكيمة، وِفقًا لقول الرسول الطوباوي: إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ[١٨]. إن الرسول لم يَترك لنا إيمانًا عارٍ وخالٍ مِن المنطق؛ **فعلى الرغم مِن أن الإيمان المجرَّد قد يكون الأعظم للخلاص،**

---

[١٧] (كو٢: ٨- ٩)

[١٨] (٢كو١٠: ٤- ٥)

لكن بدون تلقينه بالعلم، فحتى لو امتلَك بالفِعل مأوىً آمنًا للتحول إليه مِن وسط الأعداء، إلا أنه لن يستمر قادرًا على الحفاظ على مركز آمن وقوي للمقاومة. إن موقفه سيكون مثل القلعة بالنسبة للضعفاء بعد الهروب، ولكن ليس مثل القلعة التي تُلهِم أصحابها بجرأة وشجاعة. لذا ينبغي علينا أن نَضع حدًا للمجادلات الوقحة الموجَّهة ضد الله، وأن نهدم دفاعات فِكرهم الباطل، وأن نحطِّم حججهم الماكرة التي أقاموها دفاعًا عن الشر، **وذلك ليس بأسلحةٍ جسديةٍ بل بأسلحةٍ روحيةٍ، ليس بعِلمٍ أرضيٍ بل بحكمةٍ سماويةٍ؛** وكما يَعظُم الفرق بين الأمور البشرية وبين الأمور السماوية، كذلك تَفوق الفلسفة السماوية المنافسة الأرضية.

المولود من الأزلي له صفة الولادة الأزلية

٢١- دعوا إذًا عدم الإيمان يُقلِع عن محاولاته؛ دعوه لا يَظُن، لأنه لا يفهم، أننا نُنكر حقيقةً نفهمها نحن فقط، ونؤمن بها بشكل صحيح. فبينما نحن نُعلِن بكلام كثير أنه قد وُلِد، إلا أننا مع ذلك لا نؤكِّد أنه كان قَبلاً غير مولود. إن غير المولود والمولود مختلفان: فإن الأخير يُعبِّر عن نشوء شيء من شيء آخر، والأول لا يأتي من أحد. الوجود الأزلي الأبدي بدون أي مصدر للوجود شيء، والشركة مع الآب - مصدر الوجود - في الأزلية شيء آخر. فحينما يكون الأب مصدر الوجود، يكون هناك ميلادٌ أيضًا؛ وحينما يكون مصدر الوجود أزليًا، يكون الميلاد أيضًا أزليًا؛ وكما أن الميلاد يأتي من مصدر الوجود، هكذا لا بُد أن يكون الميلاد الآتي من مصدر أزلي هو

أيضًا أزلي. إن دائم الوجود لا بُد أن يكون أيضًا أزليًا. ومع ذلك، ليس كل أزلي غير مولود؛ فإن المولود من الأزلي له صفة الولادة الأزلية، أمَّا غير المولود فهو غير مولود منذ الأزل. لكن لو كان المولود منذ الأزلي لم يولَد أزليًا، فبالتالي الآب أيضًا لن يكون مصدرًا أزليًا للوجود. لذا لو كان ذاك المولود من الآب الأزلي يَنقُصهُ شيء من الأزلية، فسوف يَنطبق هذا النَقص بعينه على مصدر وجوده؛ لأن ما يتعلق بالوالد بشكل مُطلَق، يتعلق بالمولود منه أيضًا بشكل مُطلَق. فلن يسمح العقل ولا المنطق بوجود أي فاصل بين ميلاد الله الابن وبين الولادة مِن الله الآب؛ لأن الميلاد يتوقف على الولادة، والولادة على الميلاد. وهكذا فإن كل واحدة مِن تلك الأحداث تتزامن بالضبط مع الأخرى، إذ لا تَحدث إحداهما إن لم تَحدث الأخرى. لذا فإن ما يدين بوجوده لكلتا الحادثتين لا يمكن أن يكون أزليًا إن لم تكونا أزليتين؛ لأن كلتا المتلازمتين لو انفصلتا لن يكون لهما وجودٌ، لأنه من المستحيل أن توجد إحداهن دون الأخرى.

٢٢- وقد يقول مَن لا يمكنه أن يَقبل هذا السر الإلهي: *'إن أي مولود لم يكن له وجود قبلاً؛ لأنه وُلد لكي يكون له وجود'*.

صفة الأبوة أزليةً كأزلية الآب، كما أن صفة البنوة أزليةً كأزلية الابن

٢٣- لكن هل من الممكن أن يَشُك أحدٌ في أن كل البشرية المولودة لم يكن لها وجودٌ في وقت ما؟ على العموم، فالولادة مِما لم يكُن موجودًا شيء، والولادة مِن الكائن دائمًا شيء آخر. فإن كل حالةٍ مِن حالات الطفولة

المبكرة، لكونها لم يَكُن لها وجود سابق، قد بدأت من نقطة زمنية معينة؛ وهذه أيضًا تنمو إلى الطفولة، وتتطور من مرحلة الشباب إلى الأبوة. ومع ذلك فالإنسان لم يكن أبًا على الدوام، لأنه قد تَقدَّم لِسِن الشباب بعد الصِبا، وللصِبا بعد الطفولة المبكرة. لذا فإن الذي لم يكُن دائمًا أبًا، لم يكن دائمًا والدًا، لكن حيثما يكون الآب أزليًا، يكون الابن أيضًا أزليًا. فإن كنتم تتمسكون، سواء بالجدال أو بالحجج، بأن الله، في سِر معرفتنا بمَن له صفة الأبوة، لم يكُن دائمًا أبًا للابن المولود، فأنتم تتمسكون أيضًا، كما هو واضح ومفهوم، بأن الابن المولود لم يكُن دائمًا موجودًا. لكن إن كانت صفة الأبوة أزليةً كأزلية الآب، فمِن الضروري أيضًا أن تكون صفة البنوة أزليةً كأزلية الابن. فكيف يتوافق مع تعليمنا وفهمنا أن نقول إنه لم يكُن موجودًا قبل ولادته، مع أنه هو المولود على الدوام.

٢٤- وهكذا فإن الله الابن الوحيد، الذي يحوي في ذاته صورة وهيئة الله غير المنظور، يتساوى في جميع الصفات الخاصة بالله الآب مِن خلال مِلء اللاهوت الموجود في ذاته. وكما أوضحنا في الكتب السابقة أنه من جهة القوة والمهابة، له قوة الآب، ويستحق التكريم مثل الآب تمامًا؛ وهكذا أيضًا، طالما أن الآب هو آب على الدوام، هكذا أيضًا طالما أنه الابن، فله نفس الصفة في كونه ابنًا على الدوام. فبحسب الكلمات التي قيلت لموسى: 'الَّذي يَكُونُ'

أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ»[١٩]، نَحصل على المفهوم الواضح عن أن الكيان المُطلَق يخُص الله؛ لأن الذي 'يكون' لا يمكن أن يُشار إليه أو يُقال عنه إنه غير كائن. فإن الكائن وغير الكائن يُناقضان بعضهما البعض، ولا يمكن التوفيق بين المَعنَيين أو التوحيد بينهما؛ فطالما هو كائن، فلا يمكن أن لا يكون. لذا حيثما يكون الشيء، فلا يمكن للإدراك أو للُّغة أن يُسلِّما بعدم وجوده. وعندما نعود إلى فكرنا، ونسترجع أكثر فأكثر ما نفهمه عن طبيعة الكائن، تَبقى تلك الحقيقة الواحدة سابقةً لأفكارنا دائمًا، ألا وهي أنه كائن؛ إن تلك الصفة* الموجودة في الله بلا حدود، دائمًا ما تَسحب نفسها مِن تحديق أفكارنا نحو الماضي، لأنها تعود إلى فترة غير محدودة. والنتيجة هي أننا مهما تَعبنا في استرجاع أفكارنا، فلن ندرك شيئًا يَسبق صفة الوجود المُطلَق لله؛ فلا يوجد شيء مِن نفسه يجعلنا نَفهم طبيعة الله - رغم استمرارنا في البحث عن الأبدية - سوى الحقيقة الدائمة عن أن الله كائن على الدوام. ولذا فإن ما أوضحه لنا موسى عن الله، لا يمكن لفهمنا البشري أن يوضحه أكثر من هذا؛ إن الأناجيل تَشهد أن تلك الصفة بعينها يختص بها ابن الله الوحيد؛ لأنه في البدء كان **الكلمة**، ولأن **الكلمة** كان مع الله، ولأنه كان النور الحقيقي،

---

[١٩] (خر ٣: ١٤).

* أي الوجود.{م}

ولأن الله الابن الوحيد هو في حضن الآب[٢٠]، ولأن يسوع المسيح هو إله فوق الكل[٢١].

العقل لا يَفهم سوى ما يحدث بعده

٢٥- إذًا فهو 'الذي كان'، و 'الكائن'، لأنه مِن ذاك الذي هو ما هو على الدوام. لكن أن يكون منه - أي من الآب - هو الميلاد. علاوة على ذلك، فإن كونه على الدوام مِن ذاك الكائن على الدوام، هو الأزلية. لكن تلك الأزلية ليست مِن ذاته**، بل مِن الأزلي. ومن الأزلي لا ينشأ إلا الأزلي؛ فإن

---

[٢٠] (يو ١٠: ١، ٩، ١٨)

[٢١] (رو ٩: ٥)

** من جهة طبيعة وجوده هو بالطبع أزلي من ذاته، أما من جهة نمط وجوده، فإن أزليته نابعة من أزليه مصدره، أي الآب.

وبالرغم من تأكيد ق. هيلاري في أكثر من موضع على المساواة في الجوهر والأزلية بين الآب والابن، إلا أن مفهومة عن التمايز بين الأشخاص (الأقانيم) يقترب كثيرًا من مفهوم الآباء الكبادوك، والذين قد تأثر بتعاليمهم وفهمهم لتمايز الأقانيم بتسلسل نمط الوجود (أولوية وجود الآب عن الابن عن الروح القدس من جهة نمط الوجود، وفكرة أن الآب هو مصدر وجود الابن)، وهذا ما يَظهر هنا في هذه الجملة بالذات. بعكس المدرسة السكندرية المتمثلة في ق. أثناسيوس ومِن بعده ق. كيرلس الكبير، وكذلك ق. إبيفانيوس أسقف سلاميس، التي لم تكن ترى هذا التسلسل، بل تؤكِّد في موضوع أزلية وجود الأقانيم الثلاثة عدم أسبقية وجود أحدهم قبل الآخر، معتمدةً على فكرة الوجود القائم على الاحتواء المتبادل بينهم. ومع ذلك فهذه الفكرة يتبناها ق. هيلاري في بعض المواضع، والتي تظهر بشكل واضح في قوله: "الله (الابن) في الله (الآب)، لأنه منه" (الكتاب الرابع فقرة ٤٠)، وفي اعتراضه على الهرطقة

في (الكتاب الخامس فقرة ٣٨) بقوله: "دعوا الهرطقة، لو أمكنها، تَفصل الله (الابن) عن الله (الآب) الذي هو فيه".

وعن السبب في التجاء ق. هيلاري للفكرة الكبادوكية عن التسلسل الهرمي، يقول د. سينكلاير فيرجسون Dr. Sinclair Ferguson أن سبب اعتقاد ق. هيلاري في هذا التسلسل الهرمي هو محاربته لبدعتين متضادتين، الأولى هي بدعة سابيليوس التي تنادي بالوحدانية unity، عن طريق المساواة بدون تمايز أو أولوية Equality without Priority، والأخرى هي الأريوسية التي قدَّمها هيبيون، والتي تنادي بالاختلاف Diversity عن طريق فكرة الأولوية دون المساواة Priority without Equality، مما جعل ق. هيلاري يحاول الجمع بين فكرة الوحدة ومساواة الجوهر من جهة، وفكرة التسلسل الهرمي وتمايز الأقانيم في نمط الوجود من جهة أخرى، وجمعهما في فكرة واحدة، وهي الفكرة التي أَطلق عليها Ferguson اسم 'التوافق التكميلي' Integral harmony بين المساواة والأولوية، مؤكدًا أن ق. هيلاري لم يُرِد أن يَفصل بين الجوهر والأشخاص، في حين أنه يؤكد على التمايز بينهم، ولكي لا يسمح بأي انفصال للجوهر الإلهي عن الأشخاص (الأقانيم الإلهية)، يقول ق. هيلاري: "وبسبب أنه الله، والله (الآب) فيه، لا يوجد إله معه؛ فإن الله، الذي لا يوجد مصدر للألوهة سواه، فيه، وبالتالي لا يوجد فيه فقط وجوده الخاص، بل (وأيضًا) مصدر وجوده." (الكتاب الخامس فقرة ٣٧). ويرى فيرجسون أيضًا أن في فكر ق. هيلاري، خضوع الابن للآب ليس معناه انفصال عن طبيعة وجود الألوهية، بل هو إظهار لطبيعة الوجود الإلهية، كما أن طبيعة الوجود والأولوية التدبيرية مرتبطين جدًا Ontology and economic priority are bound up in one another، وقد لخص ق. هيلاري تلك النتيجة في (الكتاب الأول فقرة ٣٣): "الخضوع ليس دليلاً على نقص القدرة في المسيح، بل هو في الواقع علامة ألوهيته الحقيقية، لكونه الله الابن". كما أنه يتكلم عن السلطة الإلهية الكاملة للابن الذي يمكنه أن يخلي ذاته من تلك السلطة (أي أن خضوعه لأبيه ليس إجباريًا من سُلطة خارجة عنه، بل بتدبير الإخلاء، مما يُثبت ألوهيته) (١١: ٣٠)، مما يؤكد أن التسلسل الهرمي في فكر ق. هيلاري كان تسلسلاً وأسبقيةً في الأدوار وليس في الوجود. يقول ق. هيلاري في (الكتاب الحادي عشر فقرة ٤٨): "لكن بما أنه كان ذاتي الاحتواء حتى حينما

أخلى ذاته، إذًا فسلطانه لم يتأثر بأي نقصان، لأنه في تواضع الإخلاء قد مارس في ذاته قوة ذلك السلطان الذي أُخلي". كما يؤكد أن ولادة الابن هي التي أعطت له نفس سلطة الآب؛ الولادة تضمن مساواة السلطة فيما يتعلق بلاهوتهما المساوي: "من خلال سر الولادة فإن قوة الابن هي قوة الآب، وسلطته هي سلطة الآب، وطبيعته هي طبيعة الآب". (الكتاب التاسع فقرة ١). وأيضًا: "لا الاعتراف بالولادة يمكن اعتبار أنه يشين لاهوته، ولا طاعته الموقَّرة يمكنها أن تنتهك طبيعته السيادية". (الكتاب الحادي عشر فقرة ١٢).

Dr. Sinclair Ferguson, *Equality and Priority in Hilary of Poitiers' De Trinitate*, Term Paper for ST 751: Studies in Historical Theology I, Fall 2003. (soft copy).

في حين يرى Mark Weedman أن السبب في قول ق. هيلاري لهذه الجملة، هو تأثره بفكر صديقه المقرَّب باسيليوس أسقف أنقرة Basil of Ancyra، الذي كان يؤمن بفكرة تشابه الجوهر *Homoiousian*. لكن هذا الرأي غير مُرَجَّح نهائيًا، لأن ق. هيلاري أكد طوال الاثني عشر كتابًا على مساواة الجوهر *homoousios*.

Mark Weedman, *The Trinitarian Theology of Hilary of Poitiers*, LEIDEN, BOSTON, 2007.

وبخصوص فكر الآباء الكبادوك عن التسلسل الهرمي، يشير توماس ف. تورانس T. F. Torrance في كتابه '*الإيمان بالثالوث*'، إلى أن كلاً من القديسين غريغوريوس النيصي وغريغوريوس النزينزي قد راجع نفسه بالنسبة لهذا التعليم الخاص بالعلاقات بين الأقانيم الثلاثة، والذي كان قد أُرجع فيه وجود الابن والروح القدس أو صميم كيانهما إلى أقنوم الآب بدلاً من جوهر الآب. حيث عاد ق. غريغوريوس النيصي ليُفرِّق بين الوجود ونمط الوجود، بمعنى أن نمط وجود الابن هو الولادة من الآب (المصدر) ونمط وجود الروح القدس هو الانبثاق من الآب - حيث المقصود هنا الآب كجوهر وليس كأقنوم (Gregory Nyss., *non tres dei*, Jaeger, 3.1, p. 56.). بينما أكد ق. غريغوريوس النزينزي أن لفظ 'الآب' ليس اسمًا للجوهر، بل للعلاقة التي للابن مع الآب (Gregory Naz., *Or.*, 29.16; 31.14, 16.). راجع توماس ف. تورانس: *الإيمان بالثالوث*، ترجمة د. عماد موريس. القاهرة: مركز باناريون للتراث الآبائي، الطبعة الأولى- نوفمبر ٢٠٠٧م.{م}

لم يكُن المولود أزليًا فلن يكون الآب أيضًا، الذي هو مصدر الميلاد، أزليًا. وبما أن الصفة الخاصة بوجوده هي أن أباه موجود دائمًا، وأنه دومًا ابنه، وبما أن الأزلية مُعبَّر عنها في اسم 'أهيه'، لذا فلأنه يملُك الوجود المُطلَق، فهو يملُك أيضًا الوجود الأزلي. علاوة على ذلك، لا أحد يشُك في أن الميلاد يتضمن الولادة، وأن الولادة تُشير إلى مَن هو كائن على الدوام، لا إلى مَن لا يستمر في الوجود. لا شك أيضًا (طبقًا لقانون الطبيعة الأرضي) أنه لا يوجد أحد كان موجودًا بالفعل يمكن أن يولَد، *فلا داعي أن يولَد مَن كان موجودًا منذ الأزل من ذاته*. لكن الله الابن الوحيد، الذي هو حكمة الله وقوة الله **وكلمة** الله، بما أنه قد وُلِد، فهو يشهد أن الآب هو مصدر وجوده. فبما أنه مولود مِمَّن يوجد منذ الأزل، إذًا فهو لم يولد من العدم. وبما أنه وُلد أزليًا قبل الدهور، فلا بُد أن تكون ولادته بالضرورة قبل كل فكر. لا يوجد مكان للمراوغة اللفظية التي تقول: 'إنه لم يكن موجودًا قبل أن يولَد'. فلو كان موجودًا داخل مجال تفكيرنا، بمعنى أنه لم يكن موجودًا قبل أن يولَد، إذًا ففكرنا وزمننا يسبقان ولادته؛ بما أن كل شيء مِمَّا لم يكُن، هو داخل نطاق الفكر والزمن، فبنفس المعنى يُقال إنه لم يكُن في وقتٍ ما، مما يجعل هناك وقتًا لم يكن فيه موجودًا. لكنه مِن الأزلي، ومع ذلك فقد كان موجودًا على الدوام؛ هو ليس غير مولود، ومع ذلك فهو لم يكن أبدًا غير موجود؛ لأن الوجود الدائم يتجاوز الزمن، والميلاد هو أن تولَد.

٢٦- ولذا فنحن نَعترف بأن الله الابن الوحيد قد وُلد، لكنه وُلد قبل كل الدهور، لأننا يجب أن نجعل اعترافنا داخل حدود الكلام الذي حدَّده لنا

الرُسل والأنبياء؛ رغم أن العقل البشري في نفس الوقت لا يمكنه أن يستوعب أي فكرة واضحة عن الميلاد غير الزمني، لأن الولادة الأزلية لا تتفق مع طبيعة الكائنات الأرضية. لكننا حينما نؤكد على هذا، كيف يمكننا التوفيق في نفس الوقت بين التصريح المتعارض بأنه لم يكن موجودًا قبل ولادته، وأنه هو الله الابن الوحيد المولود قبل كل زمان، طِبقًا لكلام الرسول؟ فإن كان الإيمان بأنه قد وُلِد قبل كل الدهور، ليس هو فقط الاستنتاج المنطقي للعقل البشري، بل هو الاعتراف بإيمان عميق التفكير، إذًا، فلأن الولادة تتضمن وجود مصدر للوجود، وما يتجاوز كل الزمن هو أزلي، وأي شيء يولَد قبل الدهور يفوق الإدراك الأرضي، فلو صَمَّمنا، بالمعنى الجسدي، على أنه لم يكن موجودًا قبل أن يولَد، فنحن إذًا بالتأكيد نُعظِّم فِكر العقل البشري بإرادة حُرة غير تقية، لأنه قد وُلِد أزليًا بشكل يفوق الإدراك البشري أو التفكير الدنيوي. مرة أخرى، إن ما يفوق الزمن هو أزلي.

٢٧- فإننا يمكننا أن نُطوِّق الزمن كله في الخيال أو المعرفة، بما أننا نَعرف أن الموجود الآن في هذا اليوم، لم يكن موجودًا البارحة، لأن ما كان بالأمس ليس هو الآن؛ ومِن جهة أخرى، ما هو موجود الآن هو الآن فقط ولم يكن موجودًا بالأمس أيضًا. وبالخيال يمكننا أيضًا أن نقيس الماضي بحيث نقول بلا شك إنه قَبل أن تُبنى مدينة، كان هناك وقتٌ لم تكن فيه تلك المدينة موجودةً. فبما أن الزمن كله هو نطاق المعرفة والخيال، فنحن نحكُم عليه وِفقًا لمُدرَكات العقل البشري؛ مِن ثَم، فنحن نَعتبر أنفسنا على حق إذا قُلنا عن أي شيء: 'إنه لم يكن موجودًا قبل أن يولد'، لأن الزمن

الماضي يَسبق مصادر الأشياء. لكن من جهة أخرى، بما أنه في الأمور الخاصة بالله، أي فيما يتعلق بولادة الله، لا يوجد شيء لم يكن قبل الأزمنة الأزلية، فمِن غير المنطقي أن نقول عنه: 'قبل أن يولَد'، أو أن نفترض أن ذاك الذي نال الوعد الأزلي قبل الأزمنة الأزلية، له رجاء الحياة الأبدية"[٢٢] {حسب قول الرسول الطوباوي}، ذلك الوعد الذي وَعد به الله - الذي لا يمكن أن يكذب - قبل الأزمنة الأزلية، أو أن نقول إنه لم يكن موجودًا في زمنٍ ما. إن المنطق يرفض فكرة أن ذاك الذي يجب أن نعترف بأنه موجود قبل الأزمنة الأزلية، قد بدأ في الوجود بعد أي شيء.

٢٨- قد نُسلِّم بأنه أمر لا نفهمه، ومخالِفٌ للطبيعة البشرية، أن يولَد شيءٌ قبل الأزمنة الأزلية، إلا أننا في هذا نُصدِّق شهادة الله عن نفسه. كيف إذًا يَجزم كُفر يومنا هذا، بحسب مدارك الفهم البشري، أنه لم يكُن موجودًا قبل ولادته، ذاك الذي يُخبرنا الإيمان الرسولي - بشكل لا يدركه الفهم البشري - أنه وُلد، أو بمعنى آخر أنه كان موجودًا قبل الأزمنة الأزلية؟ فإن المولود قبل الأزمنة هو دائمًا مولود؛ لأن الموجود قبل الأزمنة الأزلية هو كائن على الدوام. لكن ذاك المولود على الدوام لا يمكن أن يكون غير موجود في زمن ما؛ لأن عدم الوجود في زمنٍ ما يتعارض مباشرةً مع الوجود الأزلي. كما أن الوجود الدائم يَستبعد فكرة عدم الوجود الدائم. ولأن فكرة عدم الوجود الدائم مُستبعَدةٌ، لأن كونه مولودًا دائمًا هو أمر مُسلَّم به، فلا

---

[٢٢] (٢تي ١: ٩)؛ (تي ١: ٢)

يمكننا ادراك الافتراض بعدم وجوده قبل أن يولد. فمِن الواضح أن ذاك المولود قبل كل الدهور كان مولودًا دائمًا، رغم أننا لا يمكننا أن نُشكِّل أي مفهوم إيجابي عن أي شيء وُلِد قبل كل الدهور. فلو كنا مضطرين للاعتراف - ونحن بالفعل مضطرين - بأنه مولود قبل أي مخلوق، سواء كان غير مرئي أو جسدي، وقَبل كل الدهور والأزمنة الأزلية، وقَبل أي فكر، وأنه كائن على الدوام بسبب حقيقة أنه قد وُلِد هكذا، فلا يمكن إذًا بأي شكل من أشكال الفكر أن يُفهَم أنه لم يكن موجودًا قبل أن يولَد؛ لأن المولود قبل الأزمنة الأزلية يَسبق كل فكر، ولا يمكننا أبدًا التفكير بأنه لم يكن موجودًا في زمن ما، حينما ينبغي لنا أن نعترف بأنه دائمًا موجود.

الابن موجود منذ الأزل لأنه مولود منذ الأزل

٢٩- لكن عدونا الماكر يُسارِع بانتقادنا بذلك الاعتراض: *'إن كان أمرًا يفوق الإدراك أنه لم يكن موجودًا قبل أن يولد، فلا بُد أن ندرِك أن ذاك الموجود بالفعل قد وُلد (بعد ذلك)'*.

٣٠- سوف أقدِّم ردًا على هذا المعترِض، سائلاً إن كان يتذكر أنني قُلت أي شيء سوى أنه مولود، وإن كنت لم أقل إن الوجود قبل الأزمنة الأزلية له نفس معنى أنه قد وُلِد؟ لأن ولادة الموجود بالفعل لن تكون ولادةً حقيقيةً، بل تغييرًا ذاتيًا للشكل من خلال الولادة، أما الوجود الأزلي للمولود فيعني أن ولادته تسبق أي إدراك للزمن، وأنه لا يمكن للعقل افتراض أنه كان في وقتٍ ما غير مولود. وبالتالي فإن الولادة الأزلية قبل كل الدهور ليست مثل

الوجود قبل الولادة، بل الولادة الدائمة قبل الأزمنة الأزلية تستبعد إمكانية عدم الوجود قبل الولادة.

٣١- مرةً أخرى، فإن تلك الحقيقة نفسها تَستبعِد إمكانية القول بأنه كان موجودًا قبل أن يولَد؛ لأن الذي يتجاوز الإدراك يفوق الإدراك تمامًا. فإن كانت فكرة ميلاده، رغم كونه موجودًا دائمًا، تَفوق الإدراك، فلا يمكن بالمِثل أن تكون فكرة عدم وجوده قبل ميلاده أمرًا يمكن فهمه. وبما أننا لا بُد أن نعترف بأن كونه مولودًا دائمًا لا يعني لنا شيئًا يتجاوز حقيقة الولادة، فإن السؤال عن إن كان موجودًا أو غير موجود قبل أن يولد لا يمكن إقراره داخل حدود فكرنا؛ لأن حقيقة أنه مولود أزليًا قبل الأزمنة لا يمكن إدراك تعريفها بفكرنا. لذا فهو قد وُلِد وفي نفس الوقت كان دائمًا موجودًا؛ فهو الذي لا يَسمح بالتفكير أو الكلام عنه سوى بأنه مولود. فبما أنه يَسبِق الزمن نفسه، الذي يوجد داخله الفكر - لأن الأزلية سابقةٌ للفكر - إذًا فهو يمنع الفكر عن تحديد ما يخصه، سواء عن كونه كان موجودًا أو لم يكن موجودًا قبل ميلاده؛ **لأن الوجود قبل الولادة لا يتوافق مع فكرة الولادة، وعدم الوجود المسبق يتضمن فكرة الزمن**. لذا، فبينما تكون عدم محدودية الدهور الأزلية أمرًا محسومًا بالنسبة لأي شرح يتضمن فكرة الزمن، أي لفكرة أنه لم يكن موجودًا، هكذا أيضًا ولادته تَمنَع ما يتناقض معها، أي فكرة وجوده قبل أن يولَد. فلو كان السؤال عن وجوده أو عدم وجوده يمكن وضعه داخل حدود تفكيرنا، إذًا فالولادة نفسها لا بُد أن

تكون بعد الزمن؛ لأن الذي لم يكُن موجودًا على الدوام، لا بُد أنه قد بدأ في الوجود في وقتٍ ما.

٣٢- إن النتيجة النهائية التي وَصَل إليها الإيمان والنِقاش والفكر هي أن الرب يسوع مولود وأزلي الوجود. فلو فَحَص العقل الماضي، باحثًا عن أية معرفةٍ بخصوص الابن، فستظهر تلك الحقيقة، وليس سواها، بشكل واضح لإدراك الباحث، ألا وهي أنه قد وُلِد وكان دائمًا موجودًا. وبما أن الصفة المميزة لله الآب هي الوجود بدون ولادة، هكذا أيضًا الصفة المميزة للابن هي أن يكون موجودًا على الدوام من خلال الولادة. لكن الولادة لا يمكنها أن تُعلِن سوى عن وجود آب، ولقب آب لا يُعلِن إلا عن وجود ولادةٍ. فلن يسمح اسماهما ولا طبيعتهما بوجود أي وضع متوسط. فإما أنه لم يكن آبًا، إن لم يكن هناك ابنٌ على الدوام؛ أو إن كان دائمًا آبًا، فلا بُد أن يكون هناك ابنٌ على الدوام أيضًا؛ فلو أُنكر وجود الابن في زمنٍ ما، لكي تكون بنوته غير أزلية، فلا بُد أيضًا مِن إنكار كون الآب آبًا على الدوام، بما معناه أن كونه أبًا ليس بنفس أزلية كونه إلهًا.

٣٣- أما تصريحات عدم التقوى فتذهب إلى أبعد من هذا، فهي لا تَنسِب فقط ميلادًا زَمنيًا للابن، بل أيضًا قيام الآب بالولادة في زمنٍ ما؛ إذ أن عمليتا الولادة والميلاد تَحدثان في نفس الحقبة.

آيات من العهدين تشهد عن أسبقيته للزمان

٣٤- لكن، أيها الهراطقة، هل تعتبرون أنه مِن التقوى والتدين أن تعترفوا بأن الله موجود بالفعل على الدوام، لكنه لم يكن آبًا على الدوام؟ فإن كان مِن التقوى أن تَظنوا هكذا، فعليكم إذًا أن تَحكُموا على بولس (الرسول) بعدم التقوى، حينما يقول إن الابن موجود قبل الأزمنة الأزلية[٣]. وعليكم أيضًا أن تتَّهموا **الحكمة** نفسها، حينما تَشهد عن نفسها أنها تأسست قبل الدهور، فإنها كانت حاضرةً مع الآب حينما كان يُهيئ السماء*. وإن أردتم تحديد بداية كون الله آبًا، فعليكم أن تُحدِّدوا أولاً نقطة البداية التي بدأَت عندها الأزمنة. فإن كانت لها بدايةٌ، فسيكون الرسول كاذبًا حينما قرَّر كونها أزليةً. فأنتم جميعًا معتادون على حساب الأزمنة منذ خلق الشمس والقمر، لأنه مكتوب عنهما: وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ[٤]. لكن ذاك الذي هو قَبل السماء، التي تقولون إنها أيضًا قبل الأزمنة، هو أيضًا قَبل الدهور. وليس فقط قَبل الدهور، بل أيضًا قَبل أدوار الأدوار التي تسبق الدهور. لماذا تضعون حدًا للأمور الإلهية وغير المحدودة على أنها فانية وأرضية وضيِّقة؟ إن بولس لا يَعرف شيئًا عن المسيح إلا أنه أزلي قبل كل الدهور. و**الحكمة** لا تقول إنها جاءت بعد شيء ما، وإنما قبل

---

[٣] (تي ١: ٢) "عَلَى رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الْكَذِبِ، قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ".

* قارن (أم ٣: ٩).{م}

[٤] (تك ١: ١٤)

كل الأشياء. أمَّا مِن وجهة نظركم فإن مراحل الزمان قد تأسَّسَت بالشمس والقمر؛ مع أن داود يشير إلى أن المسيح يبقى قبل الشمس، إذ يقول: قَبْلَ الشَّمْسِ يَبْقَى اسْمُهُ[٢٥]. ولكي لا تظنوا أن أمور الله قد بدأت مع بداية تكوين هذا الكون، يقول أيضًا: وَقَبْلَ الْقَمَرِ إِلَى أَجْيَالِ الأَجْيَالِ[٢٦]. هؤلاء العظماء الذين اعتُبروا مستحقين لروح النبوة لم يهتموا بالزمان، إذ أن العقل البشري لم تُعطَ له الفرصة للوصول إلى الدهور التي قبل الميلاد، تلك التي تتجاوز السنين الأزلية. والآن دعوا إيمان الخيال التقي يَقبل هذا كحدٍ لتأملاته، متذكرًا أن الرب يسوع المسيح، الله الابن الوحيد، مولودٌ بطريقة مُعترَف بكونها ولادةً كاملةً، مُتذكرًا في إكرام ألوهيته أنه أزلي.

٣٥- لكننا نُتَّهم بالكذب، وكذا يُهاجَم أيضًا تعليم الرسل، لأنه يؤكِّد أزلية هذه الولادة، حينما يَعترف بالميلاد. والنتيجة هي أنه حينما يَشهد الميلاد لمصدر الوجود، فإن التأكيد على الأزلية في سِر الميلاد الإلهي يفوق حدود الفكر البشري. إن العبارة التي قالتها **الحكمة** عن نفسها: اَلرَّبُّ خَلَقَنِي أُوْلَى طُرُقِهِ*، تُساق ضدنا على أنها تُعلِّم بأنه مخلوق.

---

[٢٥] (مز ٧٢: ١٧) بيروتية، (٧١: ١٧) سبعينية.

[٢٦] (مز ٧٢: ٥) بيروتية، (٧١: ٥) سبعينية.

* (أم ٨: ٢٢) سبعينية. والقديس هيلاري يؤكد أن الخلق المذكور هنا مقصود به ما يخص ناسوت المسيح الذي وُلِد به لما جاء ملء الزمان. وهو ما يؤكده أيضًا ق. أثناسيوس قائلاً: "لأن **الكلمة** هنا لم يتحدث من خلال سليمان مشيرًا إلى جوهر ألوهيته ولا إلى ميلاده الأزلي والحقيقي من الآب، ولكنه يشير إلى ناسوته وعمل تدبير خلاصنا". راجع: القديس أثناسيوس الرسولي: *المقالة الثانية ضد الأريوسيين*، مرجع سابق، الفصل التاسع عشر، فقرة٤٥. صـ ٨٨.{م}

'اَلرَّبُّ خَلَقَنِي أُوْلَى طُرُقِهِ' تُشير إلى ناسوته

٣٦- وأنتم، أيها الهراطقة البائسون، تحوِّلون الأسلحة الممنوحة للكنيسة لدحض المجمع اليهودي ضد الإيمان بالتعليم الكنسي، وتشوِّهون الخلاص المشترَك الموجود في المعنى الأكيد للتعليم المخلِّص. فإنكم تؤكدون بتلك الكلمات أن المسيح مخلوقٌ، بدلاً من أن تُسكتوا اليهود، الذي ينكرون أن المسيح هو الله قبل الأزمنة الأزلية، وأن قوَّته فعَّالةٌ في كل أعمال وتعاليم الله، بتلك الكلمات التي **للحكمة** الحية! **ففي هذه العبارة أكَّدَت الحكمة أنها قد خُلقَت أُوْلَى طُرق الله التي لأعماله منذ بدء الدهور، لئلا نظن أنه لم يكون موجودًا قبل مريم**؛ ومع ذلك فقد وَظف هذه الكلمة 'خَلَق' لكي يدُل على أن ولادتها (أي **الحكمة**) كانت خِلقةً، لأنها قد خُلقَت أُوْلَى طُرق الله التي لأعماله. ولكي لا يَفترض أحدٌ أن تلك البداية لطُرقه - التي تعني بلا شك نقطة البداية للمعرفة البشرية بالأمور الإلهية - كان المقصود منها إخضاع الميلاد الأزلي للزمن، أعلنت **الحكمة** عن نفسها أنها قد أقيمت قبل الدهور. فبما أن الخَلق أولى الطُرق قبل أعمال الله شيء، والإقامة قبل الدهور شيء آخر، إذًا فقد كان ذِكر كون الإقامة سابقةً للخَلْق أمرًا مقصودًا؛ وتلك الحقيقة بالذات بخصوص إقامتها قبل أعمال الله قبل الدهور كانت

مقصودةً للإشارة لسِر الخَلق؛ **لأن الإقامة هي قبل الدهور، أما الخَلق أولى الطُرق وقبل أعمال الله فهو بعد بدء الدهور** *.

٣٧- أمَّا الآن، ولكي لا تَعوق مصطلحات 'الخَلق' و 'الإقامة' الإيمان بالولادة الإلهية، تأتي تلك الكلمات: قَبْلَ أَنْ يَخْلِقُ الأَرْضَ، قَبْلَ أَنْ يُثَبِّتُ الْجِبَالَ، قَبْلَ كُلِّ التِّلاَلِ وَلَدَني[٢٧]. مِن ثَم فالذي أُقيم قبل الدهور هو مولود قبل الأرض؛ وليس فقط قبل الأرض، بل وأيضًا قبل الجبال والتلال. بالتأكيد تلك التعبيرات مقصودةٌ أكثر من كونها مقولةً، لأن **الحكمة** تتكلم عن نفسها. فإن كل الأشياء المُستخدَمة لنقل فكرة الأزلية لا بُد أنها ليست لاحقةً في الزمن لأي شيء آخر أو لأية فئةٍ مِن الكائنات. لكن الأمور الزمنية لا يمكنها بسهولةٍ أن توضِّح الأزلية؛ **لأن حقيقة كونها لاحقةً لأمور أخرى، تعني أنها غير قادرة على الإيحاء بفكرة أن الأزلية هي بداية، لأنها هي نفسها لها بدايتها الزمنية.** فما هو الغريب في كون الله قد وَلد المسيح الرب قبل الأرض، حينما نجد أن أصل الملائكة أَقدم من الأرض؟ أم لماذا يُقال إن الذي وُلِد قبل الأرض قد وُلِد قبل الجبال أيضًا، وليس فقط قبل الجبال، بل وأيضًا قبل التلال؛ لقد ذُكرَت التلال، كفكرة متأخرة، بعد الجبال، والمنطق يتطلب وجود عالَم قبل وجود الجبال؟ ولهذه الأسباب لا يمكننا الاعتقاد بأن هذا الكلام قد استُخدِم فقط لكي نفهم أنه كان موجودًا

---

* مما يؤكد أن تعبير 'الرب خلقني' هو بخصوص الناسوت الذي اتَّخذه أقنوم **الحكمة**، وليس بخصوص لاهوته.{م}

[٢٧] (أم ٨: ٢٣، ٢٥) سبعينية.

قبل التلال والجبال والأرض، لأنه يسمو فوق كل هذه الأشياء التي قبل الأرض والجبال والتلال بفضل أزليته المُطلقة.

٣٨- لكن تلك الكلمة الإلهية لم تترك أفهامنا حائرةً، فقد شَرحَت لنا سبب العبارة فيما يلي: لَقَدْ خَلَقَ الله الْأَقَالِيمَ غَيْرِ الْمَسْكُونَةِ وَالمُرْتَفَعَاتِ الْمَسْكونَةَ تَحْتَ السَّمَاءِ. لَمَّا كَانَ يُثَبِّتُ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ أَنَا مَعَهُ؛ وَلَمَّا كَانَ يُمَيِّزُ كُرْسِيهِ. لَمَّا خَلَقَ السُّحُبَ عَالِيَةً فِي الهَواءِ مِنْ فَوْقُ الرِّياحِ، وَحينَما وَضَعَ اليَنَابِيعَ بِأَمانٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ، لَمَّا ثَبَّتَ أَسَاسَاتِ الأَرْضِ كُنْتُ أَنَا عِنْدَهُ، مُشتَرِكًا مَعَهُ فِي كُلِّ شَيءٍ[٢٨]. ما هي الفترة الزمنية المذكورة هنا؟ وما هو المسموح لأفكار العقل البشري أن تصل إليه بخصوص ما هو أبعد من الولادة الأزلية لله الابن الوحيد؟ إن هذه الأشياء المخلوقة التي نُدرِكها بعقولنا لا تُمكِّننا مِن فهم ولادة ذاك الذي يسبق كل تلك الأشياء؛ ومن ثَم فلا يمكننا تأكيد أنه قد جاء سابقًا لها من حيث الزمان، لأنه لن يكون أزليًا طالما أن الامتياز الوحيد الممنوح له هو أنه وُلد قبل الأشياء الزمنية. ففي تلك الحالة، لأنها بحسب طبيعتها خاضعةٌ للزمن، فمع كونه سابقًا لها جميعًا، إلا أنه سيكون خاضعًا بالمِثل للزمن، لأن خِلقتها داخل الزمن سوف تحدِّد زمن ولادته، أي أنه قد وُلِد قبل ذلك الحين؛ لأن السابق للأمور الزمنية له نفس العلاقة بالزمن مِثلها.

---

[٢٨] (أم ٨: ٢٦- ٣٠) سبعينية.

أقنوم الحكمة كان حاضرًا عند الآب وقت إعداد السموات

٣٩- أمَّا كلام الله، الذي هو تعليم الحكمة الحقيقية، فيتكلم بما هو كامل، ويُعبِّر عن الحقيقة المُطلَقة، حينما يُعلِّم بأنها (**الحكمة**) هي نفسها سابقةٌ ليس للأشياء الزمنية فقط، بل وحتى للأشياء الأزلية. فقد كانت حاضرةً مع الله حينما كانت السموات تُعَدُّ. فهل كان إعداد السماوات عملاً زمنيًا بالنسبة لله؛ لدرجة أن عقله بغتةً قد فوجئ بحركة فكرية، كما لو كان قبلاً في حالة تبلُّد وثُبات، ثم بدأ بطريقة بشرية في البحث عن مواد ومعدات لتشكيل السموات؟ كلَّا، بل فكرة النبي عن عمل الله مختلفة تمامًا، إذ يقول: بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ قوَّتها[٢٩]. فالسموات كانت في حاجةٍ إلى أمر من الله، لكي تتأسس؛ فإن نظامها وقدرتها الظاهرين هما في طبيعتها الثابتة غير المتزعزعة، وليسا نابعين مِن خلط ومزج مواد معينة، وإنما من نسمة فم الله. فما هو إذًا معنى أن **الحكمة** المولودة من الله كانت حاضرةً معه عند إعداده للسموات؟ فإن خَلْق السموات لم يكُن متوقفًا على تجهيز مادةٍ، ولا مِن طبيعة الله التريُّث عند التفكير في أعماله. فإن كل الأمور الخاصة بالأشياء المخلوقة كانت دائمًا عند الله؛ فمع أن كل الأشياء لها بداية مِن جهة خلقتها، إلا أنها لم تكن لها بداية مِن حيث معرفة وقوة الله. وهنا يَشهد النبي قائلاً: يَا الله، الَّذِي خَلَقَ

---

[٢٩] (مز ٣٢: ٦) سبعينية، (٣٣: ٦) بيروتية.

كُلَّ الآتِياتِ*. **فإن الآتيات، رغم أنها في حُكم المستقبل من حيث خلقتها طالما أنها مازالت على وشك الصنع، إلا أنها قد خُلقَت بالفعل بالنسبة لله، الذي ليس عنده شيئًا جديدًا أو مفاجئ مما سيخلقه؛ لأن هناك تدبيرًا إلهيًا لخِلقتها من حيث الزمن، وفي العمل الغيبي للقوة الإلهية قد خُلقت بالفعل.** وعليه، فمادامت **الحكمة** تُعلِّمنا أنها كانت موجودةً قبل الدهور، فهي تُعلِّمنا أيضًا أنها سابقة، ليس فقط لِما خُلِق، بل هي أزلية كأزلية إعداد السموات، وتمييز موضع الله. فإن هذا الموضع لم يُفصَل في الوقت الذي صُنع فيه، لأن الفَصل شيء والتكوين شيء آخر. كما لم تُشكَّل السموات في الوقت الذي تم فيه إعدادها، لأن **الحكمة** كانت حاضرةً معه عندما أَعدها وعندما فَصل بين السموات. ثم بعدئذٍ كوَّنت السموات مع الله الذي خلق السموات؛ فإنها تُثبِت أزليَّتها بحضورها معه وهو يُعِد السموات؛ إنها تُظهِر وظائفها، حينما تُشكِّل مع الله الذي يَخلِق. لذا فهي تقول، في الفقرة التي ذكرناها، إنها مولودةٌ حتى قبل الأرض والجبال والتلال، لأنها تَقصد تعليمنا أنها كانت حاضرةً عند إعداد السموات؛ لكي تُظهِر أن هذا العمل، حتى حينما كانت السموات تُعَد، كان بالفعل قد أُكمِل في خطة الله، لأنه ليس عنده شيء جديد.

---

* (أش ٤٥: ١١) سبعينية، لكنها في الأصل: 'هذا ما يقوله الرب الإله.. الذي خلق الآتيات':
ὅτι οὕτως λέγει κύριος ὁ θεὸς.. ὁ ποιήσας τὰ ἐπερχόμενα.
وكذلك في القبطي البحيري:
{ⲙ}Ⲫⲁⲓ ⲡⲉ ⲡⲫⲣⲏ ⲉⲧⲉⲣⲉϥⲥⲱ ⲛⲙⲙⲟⲥ ⲛⲁⲉ Ⲡⲟ̅ⲥ̅ Ⲫ†... ⲫⲏⲉⲧⲁⲣⲉϥⲓⲟ ⲛⲛⲏⲉⲑⲛⲏⲟⲩ.

الإعداد الكامل للسموات والأرض هو أمر أزلي كأزلية الله

٤٠- إن الإعداد للخَلق عمليةٌ أبديةٌ وأزليةٌ. لم يُخلَق إطار هذا الكون فعليًا بأعمال منعزلة عن الفكر، بمعنى التفكير أولاً في السموات، ثم بعد ذلك جاءت لعقل الله فكرةٌ وخطةٌ بخصوص الأرض؛ بمعنى أنه قد فكَّر في كل واحدة على حدة، بحيث تكون الأرض قد بُسِطَت على سطحٍ مستوٍ، ثم ارتفعت في جبال بخطَطٍ أفضل، وفيما بعد تغيرَت إلى تلال، ثم رابعًا صارت صالحةً للسُكنى حتى في القمم العالية؛ وهكذا أُعدَّت السموات وفُصِل موضع الله، وحَملَت السُحُب الضخمة في الهواء العالي زفرات الرياح؛ ثم بعد ذلك فاضت منها ينابيعُ ثابتةٌ تحت السموات، وأخيرًا تثبَّتت الأرض على أُسس قوية. إن **الحكمة** تُعلِن أنها سابقة لكل هذه الأشياء. لكن بما أن كل شيء تحت السماء قد خَلقه الله، وكان المسيح حاضرًا عندما تَشكَّلَت السماوات، إذ سبق حتى أزلية السموات التي أُعدَّت، فإذًا لن تسمح لنا تلك الحقيقة بالتمعُّن في الله بأفكار منفصلة، لأن الإعداد الكامل لتلك الأشياء هو أمر أزلي كأزلية الله. فكما علَّمنا موسى، أنه بالرغم من أن كل عمل من أعمال الخَلق كان له ترتيبه الخاص- تثبيت الجلَد، وبَسْط اليابسة، وجَمْع مياه البحار معًا، وترتيب النجوم، وعملية الولادة الخاصة بالمياه والأرض حينما أخرجت كائنات حية من ذاتها - إلا أن خَلق الله للسموات والأرض والعناصر الأخرى لا يوجد به أقل انفصال زمني، لأن إعدادها قد كمُل بنفس الأزلية والأبدية التي لخطط الله.

المسيح لم يعطنا أن نعرف سوى ما ينفعنا فقط

٤١- وبالتالي، بالرغم من أن المسيح كان حاضرًا في الله أثناء تلك المراسيم الأزلية والأبدية، إلا أنه لم يمنحنا أكثر من معرفة حقيقة ميلاده؛ لكي يساعدنا فهمنا للميلاد أن نؤمن بالله، مثلما تنفعنا المعرفة بأزلية ميلاده على البقاء في التقوى؛ فلن يَسمح لنا العقل ولا الخبرة بأن نتكلم سوى عن خروج الابن الأزلي مِن الآب الأزلي.

الخَلق يخُص الناسوت، والولادة الأزلية تخص اللاهوت

٤٢- لكن ربما تُقلِقنا كلمة 'خَلق'، واستخدامها لوصفه. بالتأكيد كلمة 'خَلق' لا بُد أن تُقلقنا لو لم يكن ميلاده قبل الدهور، وخِلقته أُوْلَى طُرق الله التي لأعماله أمرًا مُثبتًا. فلا يمكن فَهْم الميلاد على أنه يَرمز إلى الخَلق، لأن الميلاد يسبق السبب، أما الخَلق فهو نتيجة للسبب. فقد كان قائمًا قبل إعداد السموات وقبل بدء الدهور، ذاك الذي خُلِق أُوْلَى طُرق الله التي لأعماله. فهل يمكن أن يكون الخَلق أُوْلَى طُرق الله التي لأعماله، يحمل نفس معنى أنه مولود قبل كل شيء؟ كَلَّا: فالأولى تتضمن الزمن المستَخدَم في العمل، وأما الأخرى فتحمل معنىً ليست له علاقة بالزمن.

ناسوت الابن قد خُلِق لأجل تجديد الخليقة

٤٣- أم ربما تريدوننا أن نفهم قوله إنه خُلق للأعمال بمعنى أنه خُلِق لأجل الأعمال؛ بمعنى آخر أن المسيح قد خُلِق لأجل إنجاز الأعمال. في تلك

الحالة سيُصبح وجوده كعبدٍ وبَنَّاءٍ للكون، ولم يكُن مولودًا كرَبِّ المجد؛ أي أنه خُلِق ليَقوم بتشكيل الدهور، ولم يكُن على الدوام الابن المحبوب وملك الدهور. لكن، على الرغم من أن فكركم غير التقي يتعارض مع المفهوم العام للمسيحيين، الذي يميِّز بين الخَلق أولى طُرق الله التي لأعماله، وبين الولادة قبل الدهور، إلا أن نَفس تلك الفقرة تُعيق غايتكم من التأكيد الخاطئ على أن المسيح الرب قد خُلِق، لأجل تأسيس الكون، لأنها تُظهِر أن الله الآب هو صانع وخالق الكون، وتبيِّنه بشكلٍ مُقنِعٍ، لأن المسيح نفسه كان مؤسِّسًا مع مَن كان يَخلق كل الأشياء. لكن بينما صُمِّمَ كل الكتاب المقدس للكلام عن الرب يسوع المسيح أنه خالق الكون، **والحكمة**، لإبطال كل فرصة لعدم التقوى، إلا أنه قد أَعلن هنا أنه بالرغم مِن كون الله الآب مؤسِّس الكون، إلا أن **الحكمة** نفسها لم تكُن غائبةً عنه أثناء تأسيسه، لأنها كانت حاضرةً معه حتى حينما كان يُعده مُسبقًا، وأن **الحكمة**، حينما كان الآب يؤسِّس الكون، كانت أيضًا تُشكِّله مع ذاك الذي أسَّسه، وكانت حاضرةً معه حينما كان يُعده. لذا فإن **الحكمة** تُفهِمنا أنها لم تُخلَق لأجل أعمال الله، بسبب حقيقة أنها كانت حاضرةً عند التحضير الأزلي للأعمال القادمة، وتُثبِت أن الكتاب ليس كاذبًا، بسبب حقيقة أنها كوَّنت الكون مع الله حينما أسسه.

٤٤- أخيرًا أيها الهراطقة، تعلَّموا مِن إعلان التعليم الجامع معنى أن المسيح خُلِق أولى طُرق الله التي لأعماله؛ وتعلَّموا مِن كلام **الحكمة** نفسها حماقة بلادتكم عديمة التقوى. فقد بدأَت هكذا: إِنْ كُنْتُ سَوفَ أُعْلِنُ لَكُمُ الأُمُورَ الَّتِي تُعْمَلُ كُلَّ يَومٍ، فَسَوفَ أَذْكُرُ سَرْدَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَتَ

مُنْذُ القِدَمِ[٣٠]. فقد قالت **الحكمة** قبلاً: لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أُنَادِي، وَصَوْتِي إِلَى بَنِي آدَمَ. أَيُّهَا السُّذَّجُ اِفْهَمُوا الذَّكَاءَ، أَيُّهَا الجُهَّالُ أَعْمِلوا عَقْلَكُمْ[٣١]؛ وأيضًا: بِي تَمْلِكُ الْمُلُوكُ، وَتَقْضِي الْعُظَمَاءُ عَدْلاً. بِي تَتَعاظَمُ الرُّؤَسَاءُ، وَيَمْلُكُ الْحُكَّامُ الأَرْضِ[٣٢]؛ وأيضًا: فِي طُرُقِ الْعَدْلِ أَتَمَشَّى، وَفِي وَسَطِ سُبُلِ الْحَقِّ أَسِيرُ، فَأُقَسِّمُ لِمُحِبِّيَّ الثَّروةَ، وَأَمْلأُ خَزَائِنَهُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ[٣٣]. إن **الحكمة** لا تَمتنع عن ذِكر عملها اليومي، فهي تُلِحُّ أولاً على كل الناس، وتَنصَح السُذَج بأن يفهموا الذكاء، والجُهال بأن يُعملوا عقلهم، لكي يستطيع القارئ الغيور والمجتهد أن يتأمل المعاني المختلفة والمنفصلة للكلمات. وهكذا فهي تُعلِّم بأن كل نجاح وكل بلوغٍ للمعرفة أو للشهرة أو للثروة، يتحقق بطُرقها وقوانينها؛ إنها تُظهِر أن تَملُّك الملوك وتدبير العظماء، وأعمال الرؤساء الشهيرة، وعَدل الحُكام الذين يَملكون الأرض، كلها تدخل في دائرتها؛ ولكنها لا تَختلط بالأعمال الآثمة، ولا دَخل لها بأعمال الظُلم؛ وأن كل هذا يتم **بالحكمة**، لكي يمكنها بالتدخُّل في كل عملٍ مُنصِفٍ وعادلٍ، أن تَمِد هؤلاء الذين يُحبونها بثروة مِن الخيرات الأبدية والكنوز التي لا تَفسد. لذا، فبينما تُعلِن **الحكمة** أنها سوف تَروي عن الأمور التي تُعمَل بصفةٍ يوميةٍ، فهي تَعِد أيضًا بأنها سوف تكون منتبهةً لكي تَسرد الأمور التي منذ القِدم. فيا لحماقة الاعتقاد بأن الأشياء قد

---

[٣٠] (أم٨: ٤١) سبعينية.

[٣١] (أم٨: ٤، ٥) سبعينية.

[٣٢] (أم٨: ١٥، ١٦) سبعينية.

[٣٣] (أم٨: ٢٠، ٢١) سبعينية.

أُكمِلَت قبل بدء الدهور، تلك التي أُعلن بوضوح أن موعدها قد بدأ فقط منذ بداية الدهور! فإن كل عمل بين هؤلاء الذين بدأوا منذ بداية الدهور، هو نفسه يَسبق تلك البداية: لكن على العكس، الأشياء التي هي قَبل بداية الدهور، قد سبقت ترتيب الدهور التي جاءت بعدها. وهكذا فإن **الحكمة**، بعد أن أَعلنت انتباهها للحديث عن تلك الأمور التي بدأَت منذ بداية الدهور، قالت: اَلرَّبُّ خَلَقَنِي أُوْلَى طُرُقِهِ، الَّتِي لِأَعْمَالِهِ، لكي تُعلِن بتلك الكلمات عن الأشياء التي تَمَّت قبل بداية الدهور. **وهكذا فإن تعليم الحكمة لا يخُص الولادة التي قَبل الزمن، بل التدبير الذي كانت بدايته مع بداية الدهور نفسها.**

٤٥- لا بُد لنا أيضًا أن نبحث عن معنى القول إن الله، المولود قبل الدهور، قد خُلِق أيضًا أولى طرق الله التي لأعماله. إن هذا بالتأكيد قد قيل بسبب أنه حيثما توجَد ولادةٌ قبل بدء الدهور، توجد أزلية الميلاد غير المنتهي؛ لكن حيثما تُقدَّم تلك الولادة نفسها على أنها خَلقٌ منذ بدء الدهور لطُرق الله التي لأعماله، فحينئذ يكون الميلاد مرتبطًا بالطُرُق والأعمال كسبب له*. وبما أن المسيح هو **الحكمة**، فلا بُد لنا أولاً أن نرى إن كان هو أولى طُرق أعمال الله. أعتقد أنه لا شك في هذا؛ لأنه يقول: أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي[٣٤]. إن الطريق هو الذي يُرشِد السائرين، السياق المحدَّد للمسرعين، الضمان للجُهال، ويمكن أن يُقال إنه

* أي أن طُرق الله وأعماله هما سبب تجسد الابن.{م}

[٣٤] (يو ١٤: ٦)

المُعلِّم للأمور المجهولة المرغوبة. من ثَم، فهو مخلوق أولى طُرق الله التي لأعماله؛ لأنه هو الطريق الذي يقود الناس إلى الآب. لكننا لا بُد أن نبحث عن غاية ذلك الخلق، الذي هو منذ بدء الدهور. إنه أيضًا سِر التدبير الأخير#، الذي فيه خُلق (جسد) المسيح، وصار في الهيئة كإنسان، وأُعلِن أنه كان الطريق لأعمال الله. مرة أخرى، لقد خُلق منذ بدء الدهور لأجل طُرق الله، عندما اتَّخَذ هيئة الكائن المخلوق، مُخضِعًا نفسه للهيئة المرئية للمخلوق.

ظهورات المسيح في العهد القديم بأكثر مِن شكلٍ تؤكِّد أنها ليست هيئته الطبيعية كإله:

٤٦- لذا دَعونا نرى في أي طُرِق الله وأعماله قد خُلقَت **الحكمة** منذ بدء الدهور، رغم أنها مولودةٌ مِن الله قبل كل الدهور. لقد سَمع آدم صوت شَخصٍ يمشي في الفردوس. هل تظنون أن اقترابه قد سُمع بدون اتخاذ شكل الكائن المخلوق؟ أليست حقيقة أنه قد سُمع ماشيًا تُثبِت أنه كان حاضرًا في هيئةٍ مخلوقةٍ؟ أنا لا أسأل في أي شكلٍ كلَّم قايين وهابيل ونوح، أو بأي شكل اقتَرَب من أخنوخ لكي يباركه. إن ملاكًا قد كلَّم هاجر، ومن المؤكد أنه الله أيضًا. أكانت له نفس هيئة الطبيعة الإلهية، حينما تراءى كملاك؟ بالتأكيد هيئة الملاك قد أُظهِرَت، لكن بَعد ذلك قد ذُكِرَت طبيعته الإلهية. لكن لماذا ينبغي لي أن أتحدث عن ملاك؟ لقد أتي لإبراهيم كرجُلٍ. أليس المسيح

أي تجسد ابن الله.{م}

إذًا موجودًا بتلك الطبيعة التي يملكها لكونه إلهًا أيضًا، في مظهر الإنسان، في هيئة ذلك الكائن المخلوق؟ إنه إنسانٌ يتكلم، وهو حاضر في الجسد، ويتغذى بالطعام، ومع ذلك فهو الله المعبود. لا شك أن مَن كان ملاكًا هو أيضًا الآن إنسانًا، لكي يخلِّصنا من افتراض أن أي من تلك الوجهات المختلفة للحالة الواحدة - أي التي للمخلوقات - هي هيئته الطبيعية كإله. لقد جاء أيضًا ليعقوب في شكلٍ بَشريٍ، لدرجة أنه أَمسك به للمصارعة؛ لقد أمسكه بيديه، وقاومه بأطرافه، وثَنى جوانبه، متخِذًا كل حركاتنا وإيماءاتنا. ثُم ظَهر أيضًا كنار، وهذه المرة لموسى، لكي تُصدقوا أن هذه الطبيعة المخلوقة كانت لتزويده بمظهر مادي، وليست لتجسيد حقيقة طبيعته. لقد امتلك في تلك اللحظة القُدرة على الحَرق، لكنه لم يَتَّخِذ الخاصية المدمِّرة المتأصلة في طبيعة النار، لأن النار قد اشتعَلَت بشكل واضح، ومع ذلك لم تتلف العليقة.

لماذا يُهاجَم ميلاد الله الأزلي بسبب ما قد صُمِّم خصيصًا لخلاص الإنسان؟

٤٧- وبالمرور بأحقاب الزمان كلها، لاحظوا بأي مَظهَر قد ظَهر ليشوع بن نون، ذلك النبي الذي يَحمل اسمه، أو لإشعياء الذي قال إنه رآه كما يشهد الإنجيل أيضًا[٣٥]، أو لحزقيال الذي سُمِح له بمعرفة القيامة*، أو لدانيال، الذي اعترف بابن الإنسان في ملكوت الدهور الأبدية، أو لكل الباقين الذين أَظهر

---

[٣٥] (يو ١٢: ٤١)

* (حز ٣٧: ٣).{م}

لهم ذاته في شكل مخلوقات مختلفة، لأجل طُرق الله وأعماله، أي لكي يُعلِّمنا معرفة الله، ولكي نفوز بأبديتنا. لماذا يُهاجَم ميلاد الله الأزلي بهذا الجحود، بسبب ما قد صُمِّم خصيصًا لخلاص الإنسان؟ إن الخَلق، الذي تتكلمون عنه، قد بَدأ مع بداية الدهور؛ أما ميلاده فليست له نهايةٌ، وقَبل الدهور. أكِّدوا بكل الطُرق أننا نُحرِّف كلام الأنبياء، وكلام الرب، أو الرُسُل، أو أي وحي إلهي قد وَصف ميلاد لاهوته الأزلي بالخَلق. إن الله، النار الآكلة، حاضرٌ في كل تلك الإعلانات كمخلوق، بحيث يمكنه أن يَطرح عنه هذا الشكل المخلوق بنَفس القُدرَة التي اتخذه بها، وأن يُزيل أيضًا ما قد أوجده لكي نتفرس فيه فقط.

المسيح الذي نلبسه قد خُلق ناسوته كإنسان جديد بحسب الله

٤٨- لكن الرسول قد سَمَّى الميلاد المبارَك والحقيقي للجَسد الذي حُبل به داخل العذراء، خَلقًا وصُنعًا، لأن فيه قد حَدَث ميلادٌ لطبيعة وهيئة طبيعتنا المخلوقة. وبحسب نظرته، فإن هذا الاسم يَخُص بالتأكيد الميلاد البَشري الحقيقي للمسيح، إذ يقول: وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ، صَائِرًا مِنِ امْرَأَةٍ، صَائِرًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ*. إذًا، فهو الابن الذاتي لله، الذي صار في هيئة إنسان ومن

* (غل ٤: ٤، ٥)، والترجمة هنا مطابقة للنص اليوناني والقبطي البحيري.{م}
ὅτε δὲ ἦλθεν τὸ πλήρωμα τοῦ χρόνου, ἐξαπέστειλεν ὁ θεὸς τὸν υἱὸν αὐτοῦ, γενόμενον ἐκ γυναικός, γενόμενον ὑπὸ νόμον

مصدر بشري؛ وهو ليس فقط مخلوقًا، بل ومولودًا أيضًا، كما قيل: كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ، أَنْ تَخْلَعُوا، مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ، الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ، الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ[٣٦]. لذا يجب أن نَلبَس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله. فإن ابن الله قد وُلِد أيضًا ابنًا للإنسان. هذه لم تكُن ولادةً للّاهوت، بل خَلقًا للجسد؛ الإنسان الجديد الذي أخذ لقب الجنس، والمخلوق بحسب الله، والمولود قبل كل الدهور. لقد شَرح كيف خُلِق الإنسان الجديد بحسب الله، عندما أضاف قائلاً: فِي الْبِرِّ وَالْقَدَاسَةِ والْحَقِّ**. فإنه لم يكن فيه غش؛ وقد جُعل بِرًا وقداسةً لأجلنا، لأنه هو نفسه الحق. إذًا، فهذا هو المسيح الذي نَلبسه، الذي خُلق كإنسان جديد بحسب الله.

هناك فرق بين الخَلق منذ بدء الدهور، والميلاد الذي سبق الدهور

٤٩- إذًا، فلو كانت **الحكمة** في قولها إنها كانت مُنتبهةً للأعمال التي أُنجزَت منذ بداية الدهور، قد قالت إنها قد خُلِقَت لأعمال الله ولطُرق الله، وعلَّمتنا أنها قد أُقيمت قبل الدهور، لئلا نفترض أن سِر تلك الهيئة المخلوقة، التي اتُّخِذَت في أشكال متنوعة وكثيرة، قد تضمَّنَت وجود بعض

ⲥⲟⲧⲉ ⲁⲉ ⲉⲧⲁϥⲓ ⲛⲁⲉ ϧⲙⲟⲥ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲥⲛⲟⲩ ⲁ ϧⲛⲟⲩϯ ⲟⲩⲱⲣⲡ ⲙⲡⲉϥϣⲏⲣⲓ ⲉⲁϥϣⲟⲡⲓ ⲇⲁ ⲟⲩⲥⲥⲓⲙⲓ ⲉⲁϥϣⲟⲡⲓ ⲇⲁ ⲡⲓⲛⲟⲩⲟⲥ.

[٣٦] (أف٤: ٢١- ٢٤)

** (أف٤: ٢٤) مع ملاحظة أن الأصل اليوناني والترجمات القبطية والفولجاتا قد ذكرتها: 'فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ'.{م}

التغيير في طبيعتها، فلماذا يُطبَّق مصطلح 'خَلقٍ' الآن على ميلاد ما قد وُلِد قبل كل الأشياء، وتأسَّس قبل الدهور؟ فبالرغم من أن الثبات الذي أُقيمت به لم يكن ليسمح بأي اضطراب يُسقطها، إلا أن **الحكمة**، لكي لا يبدو أن تعيينها يعني شيئًا أقل من الميلاد، قد أَعلنت عن نفسها أنها قد وُلِدت قبل كل الأشياء. فإن تلك التي أُقيمت قبل الدهور قد خُلِقت أيضًا منذ بدء الدهور أُولى طُرق الله وأعماله. لا بُد أن نفهم بهذه الطريقة الفرق بين الخَلق منذ بدء الدهور، والميلاد الذي سبق الدهور وكل الأشياء. على أقل تقدير، لا يمكن لعدم التقوى أن يَحتج بأنه يمكنه أن يبرِّر الخطأ الناتج عن تجديفه.

ق. بولس قَصَد أن يقول 'صَائِرًا مِنِ امْرَأَةٍ' لكي يؤكد ولادته الفريدة منها

٥٠- وحتى لو أعاق ضَعف الفهم إدراك الإنسان التقي، ولم يستطع فهم معنى 'الخَلق' بعد هذا التفسير، فإن كلام الرسول، حينما يَستخدم مصطلح 'الصيرورة' للتعبير عن الميلاد الحقيقي، سوف يكون كافيًا لجعل المؤمن المُخلِص - حتى ولو لم يكُن على درجةٍ من الذكاء - فاهمًا أن مصطلَح 'خَلق' قد خُصص لأجل الإيمان بالولادة. فإنه حينما أراد الرسول أن يُثبت ميلاد شخص من أحد الأبوين، أي ميلاد الرب من العذراء دون الحبَل الناتج عن عاطفة بشرية، كان له قصدٌ واضحٌ مِن قوله عمَن عَرفه وأكَّد مِرارًا أنه قد وُلِد: صَائِرًا مِنِ امْرَأَةٍ. لقد رَغب في أن يُشير 'الميلاد' إلى حقيقة الولادة، وأن تَشهد 'الصيرورة' على ولادته من أحد الأبوين؛ فلأن مصطلَح 'صار' يُبعِد فكرة حدوث الحَبَل عن طريق اتصال جنسي بَشري، فقد صَرَّح

بشكل واضح بأنه قد صار مِن عذراء، رغم أنه واضحٌ بالمِثل أنه قد وُلِد ولم يصِر. فانظروا أيها الهراطقة كَم هو عدم تقواكم! فلا توجد جملةٌ لنبي، أو لإنجيل، أو لرسول، قد قالت إن (ناسوت) يسوع المسيح قد خُلِق من الله، بل وُلِد منه. ومع ذلك فأنتم تُنكرون الميلاد، وتؤكِّدون الخَلْق، ليس بالمعنى الذي قصده الرسول حينما قال إنه قد صار، لكي لا يشُك أحدٌ في أنه مولود من أحد الأبوين. إن تأكيدكم إنما هو بطريقةٍ شريرةٍ جدًا، ويتضمن أن الله لم يأخذ كيانه كإله بميلاد طبيعي، بل أخذ كيانه من عدمٍ، مِثله مِثل المخلوق. هذا هو التلوُّث الأساسي الموجود في عقلكم التَعِس، ليس بأنكم تُسَمون الولادة خَلقًا، بل أنكم تُكيِّفون إيمانكم على فكرة الخَلق بدلاً من الميلاد. ومع ذلك، فإن قولكم إن المسيح مخلوقٌ - بغرض أن يُدرك الناس ميلاده بغير ألم مِن الله على أنه ميلادُ واحدٍ مِن آخر - هو ناتج عن ضعف الذكاء وليس عن شر بَشري تام.

٥١- لكن الإيمان الرسولي الثابت لا يَقبَل أيًا مِن تلك العبارات. فإنه يَعلَم في أي تدبير إلهي زمني قد خُلق (ناسوت) المسيح، وفي أيَّة أزلية زمنية قد وُلِد. علاوة على ذلك، فقد وُلِد كإله من إله، ولا يوجد شك في ألوهية ميلاده الحقيقي وولادته الكاملة. فمِن جهة أمور الله، نحن نَعترِف فقط بشكلين من الوجود، الميلاد والأزلية؛ فالميلاد أيضًا ليس بعد أي شيء، بل قَبلَ كل الأشياء، بحيث يَشهد الميلاد فقط لمصدر الوجود، ولا يتضمن وجود تنافرٍ بين المولود ومصدر وجوده. لا يزال هذا الميلاد، بحسب الاعتراف العام، مَصدر وجوده هو الله، لأنه مِن الله، ومع ذلك فلا يمكن فصله عن

المَصدَر، لأن أيَّة محاولة للفكر بأن يذهب إلى ما هو بعيد عن قبول حقيقة الميلاد، سوف تَخترق بالضرورة سِر الولادة أيضًا. **وبالتالي فهذه وحدها هي اللغة التقية الوحيدة المستَخدَمة للحديث عن الله، ألا وهي معرفته كآب، ومعه معرفة ذاك الذي هو الابن المولود منه.** كما أننا يقينًا لم نُعلِّم بأي شيء عن الله، سوى بأنه أبو الله الابن الوحيد والخالق. فلا تدَعوا أي ضعف بشري يَخدع نفسه؛ بل دعوه يعترف فقط بما فيه وَحده خلاصنا، **فالحقيقة المؤكَّدة دائمًا بالنسبة للرب يسوع المسيح هي أنه مولودٌ قبل سِر التجسد.**

مناجاة للآب بخصوص الابن والروح القدس

إقرار بالإيمان بالآب والابن

٥٢- أما من جهتي، أيها الآب القدوس، الإله كلي القدرة، طالما كانت لروحي التي منحتني إياها القدرة، فلن أعترف فقط بأنك الإله الأزلي، بل وأيضًا الآب الأزلي. ولن أشرع أبدًا في مثل تلك الحماقة وعدم التقوى، بجعل نفسي حاكمًا على قدرتك الكلية وأسرارك، ولن يبحث فهمي الضعيف بتعالٍ عما هو أكثر من ذلك اليقين الخاشع بأبديتك، والإيمان بأزليتك، اللتين قد أعلنتهما لي. لن أَجزم بأنك كنت في وقت ما بدون حكمتك، وقوتك، وكلمتك، بدون الله الابن الوحيد، ربي يسوع المسيح.

إن لغتنا الضعيفة والناقصة، التي تتقيد بها طبيعتنا، لا تتحكم في أفكاري عنك، لكن فقر كلامي يَكبت الإيمان حتى يصمت. فعلى الرغم من أننا لدينا الكلام والحكمة والقوة الخاصة بنا، والتي تَنبُع مِن عملنا

الداخلي الحُر، إلا أن ولادتك ولادةً مُطلقةً لإله كامل، الذي هو **كلمتك وحكمتك وقوّتك**؛ لذا فلا يمكن أبدًا أن ينفصل عنك، ذاك الذي يظهر من خلال تلك الأسماء التي لصفاتك الأزلية أنه مولود منك. ومع ذلك فإن ولادته تَظهر فقط على قدر ما يجعل حقيقة أنك مصدر وجوده أمرًا مُعلَنًا؛ وهذا كافٍ لإثبات إيماننا بأزليته، طالما أنه مرتبط بأنه مولود قبل الدهور الأزلية.

إدراك حضور الله في أعماله

٥٣- فلقد وَضعتَ للمسائل البشرية أشياءً كثيرة من هذا القبيل، التي رغم أننا لا نعرف أسبابها، إلا أن نتيجتها معروفة؛ فإن التقوى تغرس الإيمان في الزهن، رغم أن الجهل متأصل في طبيعتنا. **من ثَم حينما رفعت عينيَّ الضعيفتين إلى سمائك، كان يقيني بخصوصها محدودًا في حقيقة أنها لك. فإنني برؤيتي لتلك المدارات الموجودة هناك، حيث تَثبُت النجوم، ودوراتها السنوية، والثُرَيَّا والدُب الأكبر، وكوكب الصُبح، التي لكل منها وظيفة مختلفة في الخدمة المحددة لها، قد أدركْتُ حضورك يا الله، في تلك الأشياء التي لا يمكنني أن أُدركها بوضوح. وحينما أشاهد انتفاخات بَحرك***، أعرف أني لم أَفشل فقط في فهم إدراك مصدر المياه، بل وحتى حركات ذاك الامتداد المتغير؛ ومع ذلك فأنا أتمسك بالإيمان بسببٍ منطقيٍ رغم أنني لا أراه، ولا أفشل في إدراك وجودك في تلك الأشياء أيضًا، والتي لا أعرفها.**

* أي أمواجه واضطراباته.{م}

علاوة على ذلك، حينما أتوجَّه بالفكر نحو الأرض، التي تَتسبَّب بقُدرة طاقاتها الخفية في إفساد جميع البذور التي تلقَّتها، وعند فسادها تُعيدها إلى الحياة، وعند إعادتها إلى الحياة تجعلها تتكاثر، وفي تكاثرها تُقويها؛ في كل تلك الأشياء لا أجد ما يمكن لعقلي إدراكه، لكن جهلي يساعدني على إدراكك، فرغم أنني لا أعرف شيئًا عن الطبيعة التي تَعمل لي كل شيء، إلا أنني أُدركك باختبارٍ حقيقي للمميزات التي أملكها. ورغم عدم معرفتي بنفسي، إلا أني أُدرِك جيدًا إعجابي بك أكثر، لأني لا أعرف نفسي. فبدون فهمها أُدرك وجود حركةٍ أو ترتيب أو حياة في عقلي حينما يمارِس قدراته؛ وأنا مدين لك بهذا الفكر بالذات، فإنك بالرغم من أنك حَرمتني مِن القُدرة على فهم البداية الأولى لطبيعتي، إلا أنك تمنحني شيئًا مِن فهم جمال تلك الطبيعة. ولأني أُدركك فيما يخص نفسي، مع أني أجهل ما يخص نفسي، فإني أعترف لك، ولن أُنقص شيئًا من إيماني في قدرتك الكاملة بسبب عدم فهمي. إن أفكاري لن تحاول استيعاب وإخضاع مصدر ابنك الوحيد، ولن تجتهد قدراتي في الوصول إلى ما يفوق حقيقة أنه خالقي وإلهي.

إنكار ميلاد الابن هو إنكار لقدرة الآب على الولادة

٥٤- إن ميلاده كان قبل الدهور الأزلية. لو وُجِد شيء يَسبق الأزلية، فسيظل شيئًا يفوق الفهم، حتى ولو أُدركَت الأزلية. هذا الشيء هو لك، وهو ابنك الوحيد؛ ليس جزءًا ولا امتدادًا ولا اسمًا باطلاً قد دُبر ليناسب نظريةٍ ما عن طريقة عملك. **إنما هو ابنك، ابنًا مولودًا منك يا الله الآب، فهو إله**

حقيقي، مولود بواسطتك في وِحدة طبيعتك، فينبغي الاعتراف به معك، ومِثلك، لأنك الوالد الأزلي لأصله الأزلي. فبما أنه منك فهو ثانٍ* لك؛ وبما أنه لك، فأنت غير منفصل عنه. فإننا لا يجب أن نؤكد أبدًا أنك كُنتَ موجودًا قط بدون ابنك، لئلا نَتَّهمك بعدم الكمال لعدم قدرتك على الولادة، أو بعدم وجود فائدة لك بعد الولادة. لذا فإن المعنى المضبوط بالنسبة لنا بخصوص الولادة الأزلية هو أننا نعرف أنك الآب الأزلي لابنك المولود الوحيد، المولود منك قبل الأزمنة الأزلية.

الروح القدس منبثق من الآب، ومُرسَل بالابن

٥٥- أما من جهتي، فلن أكتفي بأن أنفي بواسطة إيماني وصوتي، أن ربي وإلهي، ابنك الوحيد يسوع المسيح، مخلوقٌ؛ ينبغي أيضًا أن أنفي ارتباط اسم 'مخلوق' بروحك القدوس، المنبثق منك والمرسَل من قِبله، لأن تبجيلي كبير لكل شيء يخصك. كما أرفض القول بأن الروح القدس مولود منك، لأني أعلم أنك أنت وحدك غير المولود وأن الابن الوحيد هو المولود منك، ولن أقول قط إنه مخلوق. أنا أخشى التجاديف التي قد تُدَس ضدك باستخدام لقب 'مخلوق'، الذي أَشترك فيه مع البشر الذين أَنعمت عليهم بالحياة. طبقًا

* ثانٍ من حيث ترتيب طبيعة الوجود وليس من حيث زمن الوجود، أو من حيث الأولوية. حيث قال رب المجد 'عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس' (مت ٢٨: ١٩) قاصدًا بهذا الترتيب توضيح نمط وجود الأقانيم الثلاثة الإلهية، حيث الآب هو المصدر الذي منه يولد الابن وينبثق الروح الذي يُرسِله الابن.{م}

للرسول، فإن روحك القدوس يَفحَص ويَعرِف أعماقك، وهو كشفيعٍ لي يتحدث إليك بكلمات لا يمكنني أن أنطق بها[٣٧]؛ أم هل يمكنني أن أُعبِّر عن قدرة طبيعته التي توجد منذ الأزل، والمنبثقة منك والمُرسَلة بابنك الوحيد، أو أسيء إليها بلقب 'مخلوق'؟ لا يقدر شيء أن يخترق كيانك سوى ما هو لك، كما لا يمكن لأي قُدرة خارجية أو غريبة عنك أن تقيس عُمق جلالك غير المحدود. فكل ما يدخل فيك هو لك، وما يَسكُن فيك بقوَّته الفاحصة ليس غريبًا عنك.

كما أن الابن غير مخلوق هكذا أيضًا الروح القدس غير مخلوق

٥٦- لكني لا أستطيع أن أصِف مَن لا يمكنني وصف كلامه. ففي الاعلان عن ولادة ابنك الوحيد مِنك قبل الدهور الأزلية، حينما نتوقف عن الصراع مع غوامض اللغة وصعوبات الفكر، تبقى حقيقة ولادته الأكيدة؛ **لذا فإنني أتمسَّكُ بوعيٍ بحقيقة أن الروح القدوس هو مِنك وبه (يُرسَل)، رغم أني لا يمكنني أن أدركه بعقلي.** فإني متبلد الفهم في أمورك الروحية، كما يقول ابنك الوحيد: لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُ مَرَّةً أُخْرَى. اَلرِّيحُ يَهُبُّ حَيْثُ يَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهُ، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ[٣٨]. ورغم تمسكي

---

[٣٧] قارن (رو ٨: ٢٦).{م}

[٣٨] (يو ٣: ٧، ٨)، وهناك ملاحظتان:

بالإيمان بميلادي الجديد، إلا أنني أجهله؛ أنا أملك الحقيقة، رغم أنني لا أفهمها. فإن وعيي ليس له دور في سبب تلك الولادة الجديدة، التي نتائجها واضحة. **كما أن الروح ليس له حدود؛ فهو يتكلم بما يشاء عندما يشاء وحيثما يشاء.** وبما أن سبب مجيئه وذهابه غير معروف، رغم أن المراقِب يُدرِك الحقيقة، فهل أحسب طبيعة الروح مِن ضِمن المخلوقات، وأَحدّه بتحديد زمنٍ لوجوده؟ في الواقع، يقول خادمك يوحنا إن كل شيء بالابن كان[٣٩]، الذي كان في البدء هو الإله **الكلمة**. وأيضًا ق. بولس يُعدِّد كل الأشياء التي خُلقت به، في السماء وعلى الأرض، ما يُرى وما لا يُرى[٤٠]. وحينما أَعلن أن كل الأشياء خُلقت في المسيح وبالمسيح، اِعتقَدَ، فيما يتعلق بالروح القدس، أن الوصف كان كافيًا، حينما دعاه روحك. **ومع هؤلاء الرجال، الذين هم مختاريك بالأخص، سيكون اعتقادي في تلك المسائل؛ وأنا مثلهم تمامًا، لن أقول عن ابنك الوحيد شيئًا يفوق إدراكي، بل أُعلن ببساطة أنه**

أولا: ذكره لتعبير 'مرة أخرى' وليس 'من فوق'، والكلمة ἄνωθεν في اليونانية الكلاسيكية تحمل معنى 'من فوق، أو منذ البدء'، لكنها في يونانية العهد الجديد تفيد أكثر معنى 'مرة أخرى'، وهذا ما حدث عند ترجمة الكلمة إلى اللاتينية في الفولجاتا، والقبطي الصعيدي والبحيري ⲁⲛⲕⲉⲥⲟⲡ، مما يؤكد أن الكل قد فهمها هكذا، وحتى ترجمة KJV قد ذكرتها again، بعكس البيروتية التي ذكرتها 'من فوق'.

ثانيًا: إضافته في آخر الآية الثانية لجملة 'من الماء والروح' عوضًا عن 'من الروح'، وهذه الإضافة غير موجودة في النص الإنجيلي الأصلي ولا في الترجمات.{م}

[٣٩] (يو ١: ٣).{م}

[٤٠] قارن (كو ١: ١٦).{م}

مولود، ومثلهم أيضًا لن اتجاوز ما يمكن للفهم البشري أن يعرفه عن روحك القدوس، بل أُعلن ببساطة أنه روحك. يا ليت نصيبي لا يكون كفاحًا عقيمًا بالكلمات، بل يكون اعترافًا غير مترددٍ بالإيمان غير المتزعزع.

٥٧- أتضرع إليك أن تحفظ تقوى إيماني بلا دنس، وأعطني أن يكون هذا هو كلام إيماني إلى النفَس الأخير؛ لكي أتمسك جيدًا بقانون الإيمان الذي أَعلنته عند تجديدي، عندما اعتمدت باسم الآب والابن والروح القدس. بالإجمال، دعني أسجُد لك يا أبانا، وأسجد لابنك معك؛ دعني أحظى بتأييد روحك القدوس، الذي هو منك، من خلال ابنك الوحيد. إذ يوجد لدى إيماني خير شاهد، ألا وهو مَن قال: كُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي[٤١]؛ ربي يسوع المسيح، الكائن فيك، ومنك، ومعك إلهًا على الدوام: المبارك إلى أبد الآبدين. آمين.

[٤١] (يو ١٧: ١٠)

فهرس الكلمات والمجامع

أخلى، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٢، ٥٧٣، ٥٩٠، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٣١، ٦٣٤، ٦٣٨، ٦٥١، ٦٨٩، ٦٩٨، ٧٠١، ٧٠٣، ٨١١، ٨١٧، ٨٣٦

أقنوم، ٧٠، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٥١، ٣٢٩، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٦، ٦٨٠، ٧٣٩، ٧٤٧، ٨٣٦، ٨٤٦، ٨٤٨

الأبدي، ١٩٦، ٣٠٧، ٣٤٤، ٣٧٣، ٤٠٦، ٤٦٥، ٥٧٠، ٧٥١، ٨٠٥، ٨٠٧، ٨١٠، ٨٣٠

الأبدية، ٦٩، ٨٤، ١٥٢، ١٨٣، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٤١، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣١٢، ٣٧١، ٤١٢، ٤٢٧، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٦٠، ٥٣٢، ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٧٨، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩٤، ٥٩٧، ٦٠٦، ٦٢١، ٦٢٤، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٣٣، ٦٣٩، ٦٤٢، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٧٣٨، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٨٩، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٨٠٥، ٨٣٣، ٨٣٩، ٨٤٣، ٨٥٣، ٨٥٦

الاحتواء، ١٥٠، ١٥٥، ٢٥٦، ٢٧٣، ٢٧٦، ٣٤١، ٥٥٤، ٦٧٩، ٨١١، ٨٣٤، ٨٣٥

الأزلي، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٦، ١٩٥، ١٩٩، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٥٢، ٢٧٥، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٧، ٣٤٢، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤١٤، ٤٤٣، ٤٨٢، ٥٠٦، ٥٤٧، ٥٨٩، ٦٠٤، ٧٠٣، ٧٤٣، ٨٠٩، ٨٣٠، ٨٣٤، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٦١، ٨٦٤

الأزلية، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٤، ١٨١، ١٨٦، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٣٠، ٢٧٦، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٩، ٣٤٦، ٤٠٣، ٤٣٨، ٥٠٧، ٥٤٢، ٦٩٩، ٧٠٥، ٧٥٦، ٨٠٩، ٨١٠، ٨٣٠، ٨٣٤، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٣،

٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨،
٨٥٠، ٨٥١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٥
الأشخاص، ١٥٩، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٢،
٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٤، ٤١١، ٤٢٥، ٥٦٥،
٨٣٤، ٨٣٥
الإعلان الإلهي، ١٤٤
الأقانيم ٢٧٣، ٢٩٨، ٣٢٨، ٣٤٠، ٥٣٢،
٦٩٠، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٦٤
الأقنوم، ٣٥٧، ٥٨٢، ٥٨٥، ٧٤٠
التجديد، ٢٠٣، ٣٩٢، ٤٤٤، ٤٥٥، ٥٣٦
التدبير، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ٥٩٥، ٦٣٣،
٦٣٨، ٦٦٦، ٧٠٦، ٧٣٥، ٧٤٠،
٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٧، ٧٨٩، ٧٩٣،
٧٩٤، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٥، ٨١١، ٨٥٤،
٨٥٥
التشابهات الجزئية، ١٥٤، ٥٠٨
التقوى، ٧٩، ٩٣، ٩٧، ١٣٥، ٢٩٣،
٣٠٩، ٣٧٣، ٣٨٤، ٤٩٤، ٥٠١، ٥٣٠،
٥٤٢، ٥٦١، ٥٨٦، ٦٤٦، ٦٨٦،
٦٩٢، ٧١٤، ٧٣٣، ٧٥٤، ٧٥٧،
٧٦١، ٧٧٣، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٩٢،
٧٩٤، ٨١٤، ٨١٥، ٨٢٧، ٨٢٩،
٨٤٢، ٨٤٣، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٩،
٨٦١، ٨٦٢
الجوهر، ٤٧، ٦٢، ٦٨، ٧٥، ٧٨، ٩٢،
١٠٣، ١٠٥، ١٥١، ١٥٥، ١٦٥، ٢٠٩،
٢١٠، ٢١٣، ٢١٦، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٩٨،
٣٠٨، ٣١٠، ٣١٨، ٣١٩، ٣٥٤، ٣٩١،
٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٥،
٤٧٠، ٤٧٦، ٤٨٣، ٥٣٣، ٦٣١، ٧٠٥،
٧٦٦، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦
الحكمة، ٣٦، ١٠٦، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٤٤،
٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٢٩، ٣٥٥، ٣٨٢،
٤٠٦، ٤٠٧، ٤٢١، ٤٣٩، ٤٥٣، ٤٧٢،
٤٨١، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٥٨،
٥٦٠، ٥٦٢، ٦٦٤، ٦٧٢، ٦٨١، ٧٨١،
٧٨٨، ٨١٣، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥،
٨٤٦، ٨٤٨، ٨٥٠، ٨٥٢، ٨٥٤،
٨٥٥، ٨٥٨
الحياة، ٣٤، ٤٦، ٤٨، ١٠٧، ١٥٢، ١٧٢،
١٧٨، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٩١، ١٩٢،
١٩٣، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١١،

٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦،
٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧،
٢٨٨، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٩٢، ٤٠٧،
٤١١، ٤١٢، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٥٠، ٤٥٩،
٤٦٠، ٤٧٠، ٤٨٢، ٤٨٦، ٤٩٢، ٤٩٤،
٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٥، ٥١٨، ٥٣٦، ٥٥٨،
٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٨،
٥٨٩، ٥٩١، ٦٠٣، ٦٠٦، ٦٠٩، ٦٢١،
٦٢٤، ٦٢٦، ٦٢٨، ٦٣٣، ٦٣٩،
٦٤٢، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٩٤، ٦٩٥،
٦٩٦، ٧٠٢، ٧٠٨، ٧٣٨، ٧٣٩،
٧٤٧، ٧٥٠، ٧٥٣، ٧٥٦، ٧٥٨،
٧٦١، ٧٩٧، ٨٣٩، ٨٦٣
الخلاص، ١٨٧، ٢١٦، ٢٤١، ٢٦٨،
٣٠٢، ٤٠٦، ٤٣٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٦٩،
٥١٥، ٦٢٦، ٦٥٧، ٦٧١، ٧٦١، ٨٤٥
الخلاصي١٧٣، ١٧٤، ٢٠٨، ٣٨٠، ٣٩٥،
٤٥٨، ٤٩٠، ٥٠٠، ٥٦٣، ٥٨٧، ٧٠٦
العدم، ١٥٨، ٢٧٧، ٣٢٩، ٤٠١، ٤١٤،
٤١٥، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٣، ٤٣٥، ٤٣٦،
٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٦٨،
٤٨٦، ٥٦٦، ٥٨١، ٦٥٣، ٨٢٥،
٨٢٦، ٨٣٧
العلة، ٣٢٩، ٨١٩، ٨٢٥
الكلمة، ٤٦، ٧٠، ٩٤، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٥،
١٧٨، ١٨٢، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣،
٢٠٨، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧،
٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥،
٢٦٠، ٢٨٢، ٢٩٠، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٧،
٣١٥، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٦٠، ٣٦٣،
٣٦٤، ٣٨٢، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٣٦، ٤٤١،
٤٥٠، ٤٥٦، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢،
٤٩١، ٥١١، ٥٣٨، ٥٤١، ٥٦٢، ٥٧٧،
٥٨٩، ٥٩٢، ٥٩٥، ٦١٢، ٦٣٢، ٦٥٦،
٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٨، ٦٧١، ٦٨٦،
٦٩١، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠٣، ٧٠٤،
٧٠٦، ٧١١، ٧٢٩، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠،
٧٤١، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٥٠،
٧٥٢، ٧٥٦، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠،
٧٧٩، ٧٨٣، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٩٤،
٧٩٨، ٨١٠، ٨٣٣، ٨٤٤، ٨٤٥،
٨٤٧، ٨٦٦

المحبة، ٣٧، ١٠١، ٢٣٨، ٢٧٥، ٢٧٦، ٤٤٦، ٤٥٠، ٦١٧، ٦١٨، ٦٥٦، ٦٦٤
الملاك، ٢٦٤، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٧، ٤٢٥، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٤٨، ٧٨١، ٨٥٥
الموت، ٥٨، ٦٩، ١٤٧، ١٧٥، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٤٣، ٢٦١، ٢٧٩، ٣١٤، ٣٥٤، ٣٧٣، ٣٧٩، ٣٩٠، ٤٤١، ٤٨٣، ٥١٥، ٥٧٣، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٩، ٦٠١، ٦٠٣، ٦٣٢، ٦٥٤، ٦٨٢، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٧٠٤، ٧١٤، ٧١٩، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٥، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٤٠، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٧، ٧٦٦، ٧٦٨، ٧٨٦، ٧٩٠، ٧٩٤، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠٢
الناسوت، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ٥٠٦، ٥١٨، ٥٢٢، ٥٩١، ٥٩٥، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٨٩، ٧٠٧، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٩، ٧٨٣، ٨٥١
الوسيط، ٣٧٨، ٦٥١، ٧٨٦، ٨٠٣
انبثاق الروح، ١٨٤، ٥٤٧
تبني، ٤٩، ٢٤٤، ٣٠٦، ٤٥١، ٤٥٨، ٥٦٩، ٦٨٤، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٥٧
تجديد، ٢٠٥، ٥٣٧، ٥٩٠، ٥٩٨، ٧٥٣، ٧٨٣، ٨٥١
جسده الخاص، ١٨٦، ٥٤٢، ٧٠٠، ٧٠٩، ٧١٣، ٧١٦، ٧٣٤
حياة، ٣٩، ٤١، ٦٢، ٦٧، ١٠٢، ١٢٣، ١٣٨، ١٧٢، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٧، ٢١١، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦، ٣٠٣، ٣٢٦، ٣٦٤، ٣٧٢، ٣٧٦، ٤١١، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٥٤، ٤٥٩، ٤٩٧، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٢٦، ٥٦٣، ٥٧١، ٥٨١، ٦١٣، ٦١٤، ٦٢٤، ٦٢٦، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٩٥، ٦٩٦، ٧٠١، ٧٤٨، ٧٥٣، ٧٩٩، ٨٦٣
خلاصنا، ٢٦١، ٢٧٥، ٢٩٠، ٤٢٧، ٤٣٩، ٤٥٣، ٤٧٦، ٥٣٤، ٥٧٢، ٦٠٠، ٦٢٦،

٦٩٣، ٦٩٨، ٧٠٦، ٧٣٦، ٧٦٣،
٧٦٩، ٧٧٢، ٨٤٤، ٨٦١
ذاتي الوجود، ١٩٤، ٢٤٢، ٤١٢، ٤١٥
سر، ١٨٦، ٧٠٠، ٧٠٢، ٧٨٥، ٨٦١
السر المقدس، ١٨٦، ٥٣٧، ٥٤٢
سر ابن الإنسان، ٦٧١، ٧٠٢
سر الآب ٥٧٧، ٦٢٤، ٦٥٠، ٦٦٤،
٦٨٢
سر الابن، ٦٧٧
سر الإخلاء، ٦٠٤
سِر الأُخوَّة، ٧٧٩
سر الأسرار المقدسة، ٥٤٣
سر الآلام، ٤٤٨، ٦٥٦، ٧١٢
سر الإنجيل٣٢٦، ٣٧٥، ٣٨٠، ٦١٨
سر الإيمان ٢٢٣، ٢٣٧، ٤٠٠، ٤٥٩،
٤٧٢، ٤٨٢، ٤٩١، ٤٩٦، ٥٠٤،
٥٠٧، ٥٦٤، ٥٧٩، ٧١٨، ٧٥٦
سر البنوة، ٤٧٣
سر التجديد، ٤٤٤، ٤٥٥
سر التجسد، ٣٨٤، ٥٧٠، ٥٧٤،
٦٥٦، ٧٨٣
سر التدبير، ٦٠٣، ٧١٧، ٧٧٣،
٧٨٢، ٨١١، ٨٥٥
سر التقوى، ١٨٦، ٥٤٢، ٧٧٢،
٧٧٣، ٧٧٤، ٧٨١، ٧٨٥، ٨٠٥
سِر التقوى، ١٨٦، ٥٤٢، ٧٧٢،
٧٧٣، ٧٨١
سر التواضع، ٦٥٤
سر الجسد، ١٨٥، ٥٠٦، ٥٤٣، ٥٤٥،
٥٧٣، ٨٠٢
سر الحبَل، ٧٠٣، ٧٣١
سر الحياة، ٦٩٥
سر الخلاص، ٤٢١، ٥٧١، ٦٥٧
سر الدموع، ٧٠٨
سر الشركة، ٥٨
سر الطبيعة، ١٩٥، ٥٩٣، ٥٩٨،
٦٣٤، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٨، ٧٠٤
سر الطبيعة الإلهية، ١٩٥
سر القيامة، ٤٢١، ٨٠٢
سر الكلام والفعل، ٧٤٥
سر الله، ٣٠٣، ٥٣٢، ٦٢٠، ٦٢٩،
٦٦٤، ٦٨٩، ٧٥٥، ٨٢٧

سر المسحة الروحية، ٥٥٢
سر المسيح، ٧٣٦، ٧٤٣
سر الموت، ٦٩٤، ٧٣٠، ٧٧٩
سر الميلاد، ٢١٢، ٢٧٦، ٤٢٣، ٥٠٦،
٥١١، ٥٢٦، ٥٥٢، ٥٦٠، ٥٧١،
٥٨٧، ٦٥٨، ٨٣٦، ٨٤٤، ٨٦١
سر النفس والجسد، ٢٢٧
سر الوحدة، ٥٤٢، ٥٤٤، ٦٠٨، ٦١٠،
٦١٩، ٦٢٠، ٦٣٧، ٦٤٧، ٧٦٥
سر الوحي، ٢٢٠
سر تجسده، ٥٤١، ٦٧١، ٦٩٩، ٧٠٢
سر جسده ١٨٠، ٦٥٣
سر خلاص الإنسان، ٢٣٤، ٣٧٧
سر خلاصنا، ٧٦٩، ٧٧٤
سر ميلاده، ٤٩٨، ٦٢٣، ٦٧٥، ٧٠٠
سِر الخضوع، ٨٠٣
سِر الوساطة، ٧٨٦
سِر جسده، ١٨٠، ١٨٦، ٢٤١، ٤٢٢،
٥٤٢، ٥٧٤، ٥٧٩، ٦١٩، ٦٢٠،
٦٦٤، ٦٧١، ٦٧٣، ٦٨٩، ٧٠٠،
٧٠٨، ٧١٨، ٧٣١، ٧٤٣، ٧٤٥،
٧٥٢، ٧٥٤، ٧٦٥، ٧٦٩، ٧٧٢،
٧٧٣، ٧٧٩، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣،
٧٨٦، ٧٨٩، ٨٠٣، ٨٢٧، ٨٣٢،
٨٤٤، ٨٥٥، ٨٥٨، ٨٦١
صلاح، ٢٢١، ٣١٢، ٤٤٨، ٦٠٦، ٦٠٧
صورة، ٧٣، ٨٦، ٨٨، ١٥٢، ١٥٨،
١٧٢، ٢١٦، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٧٩،
٢٩٢، ٢٩٩، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨،
٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٨٠، ٤٨٨،
٥١٩، ٥٢٠، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥،
٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٧، ٥٩٠،
٥٩٤، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥،
٦٢٤، ٦٥٥، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٩،
٦٨٩، ٦٩٨، ٧٠٣، ٧١٠، ٧٦٨،
٧٦٩، ٧٧٨، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠،
٨١٢، ٨١٧، ٨١٨، ٨٢٢، ٨٣٢
صورة الله، ١٥٢، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٧٩،
٢٩٩، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٦٣،
٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٨،
٦٠٣، ٦٠٥، ٧٠٣، ٧٦٨، ٧٦٩، ٨١٢،
٨١٧، ٨١٨

ضعفاتنا، ١٧١، ٧٠٩
ضعفنا، ٢٧٤، ٥٩٦، ٧٢١، ٧٧٤
علة، ٢٤٨، ٣١٨، ٤٠٢، ٨١٩، ٨٢٥، ٨٢٦
عين الإيمان، ٣٣٣، ٣٧٥
قوة، ٥٠، ٨٥، ٨٧، ٩٨، ١١٥، ١٣٦، ١٤١، ١٦٤، ١٦٦، ١٩٧، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٢٦، ٣٧٣، ٣٩٢، ٤٠٥، ٤٢٠، ٤٢٨، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٩٠، ٤٩٩، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٦، ٥٢٠، ٥٢٦، ٥٤٨، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٧٦، ٥٨٧، ٥٩١، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٢، ٦٠٧، ٦٢٢، ٦٤٤، ٦٥٣، ٦٥٥، ٦٥٩، ٦٦٢، ٦٧٤، ٦٨٦، ٦٩٩، ٧٢٣، ٧٣١، ٧٣٩، ٧٥٣، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٧٠، ٧٨٤، ٧٨٦، ٧٩٠، ٧٩٥، ٨٠٥، ٨١١، ٨١٧، ٨١٩، ٨٢١، ٨٢٩، ٨٣٢، ٨٣٦
مجد اللاهوت، ١٨٣، ٦٢٥، ٨٠٤
مجد المسيح، ١٦٣، ٦٣٩، ٧٨١، ٧٨٢
مجمع
مجمع آرل، ٦٥، ١٣٨، ١٤٠
مجمع التدشين، ١٠٠
مجمع القسطنطينية ٣٨١م، ٦٣
مجمع القسطنطينية المكاني، ٣٨
مجمع أنطاكية، ٦٣
مجمع بزييه، ٣٨، ٨٩
مجمع توليدو، ١٢٦
مجمع روما، ٦٢، ١٣٠، ١٣٧
مجمع ريميني، ٣٨، ٧٥، ٧٩، ١١٩، ١٢٩، ١٣٧
مجمع سرديقا، ٥٣
مجمع سلوقيا، ٣٨، ٦٧، ٩٢، ٩٨
مجمع سيرميام الثالث، ٦٧، ٧٣
مجمع ميلان، ٣٧، ٣٨، ٥٤، ٥٧، ١٠١
مجمع نيقيه، ٦٢، ٦٧، ٨٢
محبة، ٣٧، ٤٨، ٧٤، ١٣٩، ٤٢٦، ٤٣٨، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٧، ٦١٨، ٦٦٢
مصالَحة، ٥٧٩

مصدره، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٨،
٣١٩، ٣٩٤، ٤٠٣، ٤٠٦، ٤١٢، ٤١٣،
٤١٤، ٤٣٦، ٤٦٨، ٤٨٠، ٤٨٦، ٥٠٦،
٥١٩، ٥٣٩، ٥٨٧، ٥٩٢، ٦٢٥، ٦٢٩،
٦٤٢، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧١١، ٧٢١،
٧٧٥، ٧٧٦، ٨٣٤
ناسوت، ١٦٤، ١٧٧، ٢٣٠، ٥٢٥، ٥٨٣،
٦٣٢، ٦٨٨، ٧٠١، ٧٧٠، ٨١٣، ٨٤٤،
٨٤٦، ٨٥١
نعمة، ١٣٥، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٣٢، ٢٤٣،
٣٢٦، ٤٣٢، ٧٨٨
هوموأوسيوس، ٣٧، ٧٥، ٣١٠
هوموأوسيون، ٣٠٧، ٣٠٩
هيئة، ٨١، ٩٤، ١١٢، ١٦١، ١٦٨، ١٦٩،
١٧٩، ١٨٢، ٢٦٥، ٢٧٧، ٣٥٣، ٣٧١،
٤٠٧، ٤٧٤، ٥٠٠، ٥٧٤، ٥٧٧، ٦٠٤،
٦١٢، ٦٣١، ٦٣٤، ٦٣٨، ٦٤٨،
٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٦،
٦٥٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩٨، ٦٩٩،
٧٠١، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧١٠، ٧١١،
٧١٥، ٧٢١، ٧٣٠، ٧٣٥، ٧٤٠، ٧٥٦،
٧٦٩، ٧٧٧، ٧٧٨، ٨٠٣، ٨٠٥،
٨٠٦، ٨١٠، ٨١١، ٨١٧، ٨٥٥، ٨٥٧،
٨٥٨
وسيط، ٣٥٣، ٥٤٣
ولادة، ١٠٣، ١١٠، ١٥١، ١٥٧، ١٦١، ٢٠٧،
٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٦٢، ٣١٥،
٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٤،
٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٦٦،
٤٦٧، ٤٨١، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧،
٤٩٩، ٥١٢، ٥٢٠، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٣٢،
٥٤٥، ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٦٩، ٥٧٢،
٥٨٦، ٥٩٠، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٣٠، ٦٥٣،
٦٥٤، ٦٦٣، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٣٩، ٧١٠،
٧٤٠، ٧٦٨، ٧٧٠، ٧٧٥، ٧٨٤،
٨١٤، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢٢، ٨٢٤، ٨٢٦،
٨٢٧، ٨٣٦، ٨٤٠، ٨٤٢، ٨٤٤،
٨٤٧، ٨٥٤، ٨٥٨، ٨٦٢، ٨٦٣،
٨٦٥
يُصالِح، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٦٦١

مَراجِع المُترجِم

Swete, H. B. (1899). *The Apostles' Creed: Its relation to primitive Christianity* (3d ed.). Cambridge: University press.

The Fathers of The Church, 25, *Saint Hilary of Poitiers, The Trinity*, translated by Stephen McKenna, C.SS.R, The Catholic University of America, 2002.

The Fathers of the Church - St. Cyril of Alexandria, Letters, vol. 76, Translated by J. McEnerney, The Catholic University of America Press, Washington, D.C. 1987.

Ferguson*: Encyclopedia of Early Christianity*, Everett Butler, 1999 May 13.

EXHORTATION TO THE GREEKS 10, Loeb Classical Library. Cambridge, Mass.: Harvard University Press; London: Heinemann, 1912.

Nestle, E., Nestle, E., Aland, K., Aland, B., & Universität Münster. Institut für Neutestamentliche Textforschung. (1993, c1979). *Novum Testamentum Graece*. At head of title: Nestle-Aland. (28. Aufl., rev.), 2012. Stuttgart: Deutsche Bibelstiftung.

Jones, B. W. (1996). Hadrian (Emperor). In D. N. Freedman (Ed.), *The Anchor Yale Bible Dictionary* (D. N. Freedman, Ed.). New York: Doubleday.

Ancient Christian commentary on Scripture series, Institute of Classical Christian Studies (ICCS), Thomas C. Oden and Andrew Louth. Catholic University of America Press, A New Translation.

The Oxford Latin Dictionary: Oxford University Press, United Kingdom. (1968).

The Oxford Dictionary Of The Christian Church, Second Edition. 1983.

G. W. H. Lampe, *A Patristic Greek Lexicon*, (Oxford, 1961).

Greek-English an Intermediate Lexicon Founded upon The Seventh Edition of Liddell and Scott's Greek-English Lexicon, Unicode.

Liddell & Scott.doc Abridged.

Thomas Aquinas, *Summa Theologica* III, Q. 15, art. 5, (London 1931).

Mark Weedman, *The Trinitarian Theology of Hilary of Poitiers*, LEIDEN, BOSTON, 2007.

Dr. Sinclair Ferguson, *Equality and Priority in Hilary of Poitiers' De Trinitate*, Term Paper for ST 751: Studies in Historical Theology I, Fall 2003. (soft copy).

Mark Weedman, *The Trinitarian Theology of Hilary of Poitiers*, LEIDEN, BOSTON, 2007.

The certainty of faith in God's word: The Theological Method And Structure of Hilary of Poitiers' De Trinitate, a Dissertation, Degree of Doctor of Philosophy, by Carl Laurence Beckwith, B.A., M. Phil, M.A. Graduate Program in Theology, Notre Dame, Indiana, June 2004.

Martinus Nijhoff, *Hilary of Poitiers' role in the Arian struggle,* The Hagne, Nederlands, 1966.

Ante-Nicene Christian Library, Vol. XII. *Clement of Alexandria,* Vol. II.

James F. Keating and Thomas Joseph White, *Divine impassibility and the mystery of human suffering*. Cambridge, 2009.

Nicholas E. Lombardo, *The logic of desire: Aquinas on emotion*, The Catholic University of America Press, 2011.

St. Cyril Arch Bishop of Alexandria: *Commentary on The Gospel St. John* Vol. II, translated by members of the English Church. London: Walter Smith. 1885.

الكتاب المقدس (ترجمات متنوعة).

القديس أثناسيوس الرسولي: *تجسد الكلمة*، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الطبعة الثالثة، نوفمبر ٢٠٠٤م.

القديس أثناسيوس الرسولي: *المقالة الثالثة ضد الأريوسيين، الشهادة لألوهية المسيح*، ترجمة الأستاذ مجدى وهبة صموئيل والدكتور نصحى عبد الشهيد. القاهرة: المركز الأرثوذكسي لدراسات الآباء، نوفمبر ١٩٩٤.

القديس أثناسيوس الرسولي: *المقالة الثانية ضد الأريوسيين؛ الشهادة لألوهية المسيح*، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد و أ. صموئيل كامل. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م.

القديس غريغوريوس اللاهوتي: *رسائل لاهوتية وفصلان من مسرحية المسيح المتألم*، تعريب الأب يوحنا الفاخوري. بيروت: منشورات المكتبة البولسية، ٢٠٠٠م.

القديس كيرلس الكبير: *المسيح واحد*، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، يناير ١٩٨٧م.

القديس كيرلس الكبير: *الكنوز في الثالوث القدوس والمساوي*، ترجمة د. جورج عوض، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، طبعة يوليو ٢٠١١م.

القديس كيرلس الكبير: *حوار حول الثالوث*، ترجمة د. جوزيف موريس. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠١٤.

القديس كيرلس الكبير: *الجلافيرا، تعليقات لامعة على سفر التكوين*، ترجمة د. جورج عوض. القاهرة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م.

القديس كيرلس الكبير: *حوار عن تأنس الابن الوحيد*، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم. القاهرة، ٢٠١٤.

متى المسكين (القمص): *القديس أثناسيوس الرسولي*. وادي النطرون: دير أنبا مقار، الطبعة الأولى مايو ١٩٨١م.

تادرس يعقوب ملطي (القمص): *مدخل إلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية*. الإسكندرية: مارجرجس سبورتنج، ١٩٩٣م.

تادرس يعقوب ملطي (القمص): *الاصطلاحان (طبيعة وأقنوم) في الكنيسة الأولى*، مراجعة الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري. الإسكندرية: مارجرجس سبورتنج، ١٩٨٧م.

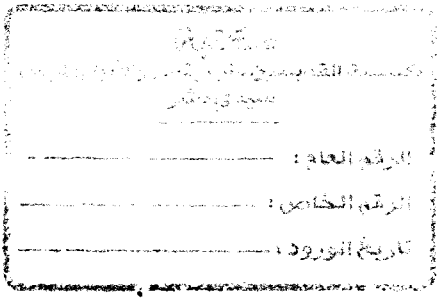
تادرس يعقوب ملطي (القمص): *قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنيسة*. الإسكندرية: مارجرجس سبورتنج، نسخة إلكترونية.

في سي صمويل (الأب): *مجمع خلقيدونية إعادة فحص*، ترجمة د. عماد موريس. القاهرة: دار بناريون للنشر. الطبعة الأولي يوليو ٢٠٠٩م.

توماس ف. تورانس: *الإيمان بالثالوث*، ترجمة د. عماد موريس. القاهرة: دار بناريون للنشر. نوفمبر ٢٠١٠م.

نصوص مختارة من كتابات العلَّامة ترتليان، ترجمة راهب من دير أنبا أنطونيوس. البحر الأحمر: دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس، الطبعة الأولى، ديسمبر ٢٠١٤.

الخريستولوچي (التعليم عن المسيح) بعد مجمع خلقيدونية: الرسائل بين القديس ساويروس الأنطاكي وسرجيوس النحوي، ترجمة راهب من دير أنبا أنطونيوس. البحر الأحمر: دير القديس العظيم أنبا أنطونيوس، ديسمبر ٢٠١٥م.





"أتضرع إليك
أن تحفظ تقوى إيماني بلا دنس،
وأعطني أن يكون هذا هو كلام إيماني
إلى النفس الأخير: لكي أتمسك جيدًا بقانون الإيمان
الذي أعلنته عند تجديدي، عندما اعتمدت باسم الآب
والابن والروح القدس. بالإجمال، دعني أسجد لك يا أبانا،
وأسجد لابنك معك: دعني أحظى بتأييد روحك القدوس،
الذي هو منك، من خلال ابنك الوحيد."

(كتاب ١٢ فقرة ٥٧)



MONASTERY OF
ST. ANTHONY
RED SEA - EGYPT

مكتبة الكتب المسيحية









كتب روحية



كتاب الباحث عن الله – مذكرات كتبها الفيلسوف المصري المشهور نوسترداميس – د ق لبيب مشرقي pdf



كتاب من اخبار و حكم الاباء النساك – نقله عن اليونانية الاب منيف حمصي – تحميل الكتاب pdf



كتاب يوميات طبيب في ضوء الكتاب المقدس – بول تورنييه – مكتبة دار الكلمة LOGOS – تحميل pdf



كتاب لاهوت العرض – جان كلود لارشيه – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الارثوذكسية – تحميل pdf



كتاب الايادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الاب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf



كتاب صوم يونان و الصوم الكبير – الاب متى المسكين – سلسلة عظات مختارة على اناجيل القداسات pdf